مجلة علمية دورية محكمة تصدرها

جامعة محمد لمين دباغين سطيف2

مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية

مجلة العلوم الاجتماعية سابقا

المجلد: 18 العدد 01 -2021

ISSN .1112-4776 EISSN:2588-1906 الإيداع القانوني:650-2004

مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية جامعة سطيف2 المجلد: 18 العدد:01 2021 01

REVUE DES LETTRES ET DES SCIENCES SOCIALES Université Sétif 2 Vol: 18 N° 01 2021

Revue scientifique périodique indexée éditée par

L'Vniversité Mohamed Lamine Debaghine Sétif2

REVUE DES LETTRES ET DES SCIENCES SOCIALES

Anciennement Revue Des Sciences Sociales

Vol:18 N° 01 - 2021

Dépôt légal :650-2004 EISSN:2588-1906 ISSN .1112-4776

مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية

مجلة العلوم الاجتماعية سابقا

هوية المجلة وأهدافها

مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية

مجلة علمية دورية محكِّمة ، ومنبر معرفي ومنهجي ، يُسهم في إثراء البحث العلمي والحوار المنهجي الموضوعي في حقول المعرفة الاجتماعية ؛ وتهدف إلى:

1- الارتقاء بالبحث العلمي إلى مستويات عالية من الجودة من خلال البناء المنهجي للفكر والممارسة البحثية.
2- تحقيق التكامل المعرفي بين حقول المعرفة الاجتماعية ومختلف المناهج البحثية.
3- وصل الحركة العلمية في العلوم الاجتماعية بالتنمية الاجتماعية وقضايا المجتمع الواقعية.
4- إثارة الجدل العلمي في القضايا المستحدثة في مجال العلوم الاجتماعية ، وتوجيهها نحو أفق العالمية.

مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية

- مجلة العلوم العلوم الاجتماعية سابقا -

مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن جامعة محمد لمين دباغين سطيف2

مدير المجلة

أ.د. الخير قشى مدير الجامعة

رئيس التحرير

أ.د. يوسف عيبش

نائب مدير الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمى

هيئة التحرير

أ.د. ميلود سفاري

أ.د. جازية لشهب صاش

أ.د صلاح الدين زرال

أ.د. محمد عزوي

أ.د. عبد الملك بومنجل

د. محمد بن أعراب

أ.د. أنور مقراني

د. عبد الحليم مهورباشة

د. لبنى أشهب

د. فريدة قماز

د. هشام شراد

أمانة المجلة

ريضا جابي

مفيدة شريفي

مبروك صبايحي

اللجنة العلمية

أ.د. السعيد كسكاس	جامعة سطيف2
د. نصرالدين غراف	جامعة سطيف2
د. التوفيق سامعي	جامعة سطيف2
د. فوزية رقاد	جامعة سطيف2
أ.د. محمد بوادي	جامعة سطيف2
د. رؤوف بوسعدية	جامعة سطيف2
أ.د. خير الدين دعيش	جامعة سطيف2
أ.د الطاهر سعود	جامعة سطيف2
أ.د. فضيل دليو	جامعة قسنطينة3
أ.د. محمود بوسنة	جامعة الجزائر2
أ.د. الطيب بودربالة	جامعة باتنة 1
أ.د. دحو فغرور	جامعة وهران
أ.د. حمزة محمد الشريف	جامعة الجزائر2
أ.د. عمار مانع	المركز الجامعي تبازة
أ.د. احمد صاري	الجامعة الإسلامية الأمير عبد القادر قسنطينة
أ.د. عزالدين بن زغيبة	مركز جمعة الماجد دبي
أ.د. عواد كاظم لفتة الغزي	جامعة ذي قار العراق
أ.د. محمد الحسن عبد الرحمن	جامعة بخت الرضا –السودان
أ.د. ساعد خميسي	جامعة قسنطينة 2
أ.د. حسين أمزيان	المدرسة العليا قسنطينة
أ.د. دانيال إستريا	CNRS فرنسا
أ.د. محمد سحنوني	CENIEH اسبانيا
أ.د. حمداوي إبراهيم	جامعة ابن طفيل القنيطرة المغرب
أ.د. آل ديكو بريما	جامعة باري 7 فرنسا

شروط النشر في المجلة

تنشر مجلة العلوم الاجتماعية ، الأبحاث والدراسات العلمية ، الفكرية والأدبية في تخصصات العلوم الإنسانية ، الاجتماعية ، الحقوق والعلوم السياسية مكتوبة باللغة العربية ، الانجليزية ، أو الفرنسية.

كما ترحب المجلة بالدراسات النقدية التي تتناول المنشورات الجديدة والتعريف بها في حدود 2000 كلمة.

- **يشترط في المقالات المقدمة للنشر ما يلي:**

1/أن يكون المقال أصيلا وجديدا ، لم يسبق نشره في نشريات أخرى مهما كانت ، ولم يسبق عرضه أو المشاركة به في ندوة أو ملتقى علمي. وألاّ يكون مستلا من رسالة أكاديمية (ماجستير أو دكتوراه).

2/الالتزام بآداب الحوار الهادف والنقد البناء بعيداً عن التجريح.

3/اعتماد منهجية موحدة في ترتيب عناصر البحث والالتزام باعتماد تقسيم من التقسيمات المعروفة (مبحث ، مطلب ، فرع ، أولا...)

4/ ألاّ يقل عدد صفحات المقال عن 12 صفحات ولا يزيد عن 25 صفحة ، بما فيها المصادر ، الهوامش ، الجداول والرسوم التوضيحية ، ويجب أن ترقم الصفحات ترقيماً متسلسلاً.

5/أن يكون المقال مطبوعا على الكومبيوتر وفق برنامج "Microsoft Word" ، ومسجلا في قرص صلب.

6/هوامش الصفحة تكون كما يلي: يمين 03 سم ، يسار 1.5 سم ، رأس الورقة 1.5 سم ، أسفل الورقة 1.5 سم ، حجم الصفحة 21cmX29.7 cm.

7/تكتب المادّة العلمية العربية بخطّ من نوع Traditional Arabic مقاسة 14 بمسافة 21 نقطة بين الأسطر ، العنوان الرئيسي **Gras** Traditional Arabic 14 ، العناوين الفرعية **Gras** Traditional Arabic 12 ، أمّا الفرنسية أو الإنجليزية فتقدّم بخطّ من نوع Times New Roman مقاسة 12.

8/ تتحفظ المجلة عن نشر مقالين متتاليين في العدد ذاته أو في عددين متتالين لمؤلف واحد

9/ يراعى عند كتابة المقال ما يلي:

- يجب أن يكون المقال خالياً من الأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية والمطبعية قدر الإمكان.

- الالتزام بقواعد ضبط الكتابة من خلال:

- احترام مسافة بداية الفقرات ، وتجنب الفقرات والجمل الطويلة جدا.

- عدم ترك مسافة (فراغ) قبل علامات الضبط المنفردة كالنقطة (.) والفاصلة (،) والنقطة الفاصلة (؛) والنقطتين (:) وعلامة التعجب (!) وعلامة الاستفهام(؟) وترك مسافة بعدها إذا أُتبعت بكلمة أو نص ، وعدم ترك مسافة بعد الواو (و) التي تليها كلمة.

- يُتَجَنَّب الاختزال ما لم يُشَرْ إلى ذلك.

- يُذكر مرة واحدة في البحث المصطلح العلمي وأسماء الأعلام باللغة العربية وبجانبه المصطلح باللغة الإنجليزية أو الفرنسية عند وروده أول مرة ، ويُكتفى بعد ذلك بكتابته باللغة العربية.

- يجب أن يراعى في الأعمال المتضمنة لنصوص شعرية أو آيات قرآنية كريمة ، أو أسماء أعلام ضبطها بالشّكل وتخريج والأحاديث والأبيات الشعرية.

10/أن توضع الهوامش والإحالات والمراجع والمصادر في آخر المقال ، وبطريقة الإدراج الآلي مع اتبّاع ترقيم تسلسلي حسب ظهورها في النص ، (مراجع المقال هي فقط المراجع والمصادر المقتبس منها فعلا). ويراعى في طريقة التهميش المنهج التالي:

***الكتب**: إسم ولقب المؤلف ، **عنوان الكتاب** ، الجزء ، الترجمة (إن وجدت) ، الطبعة ، دار النشر (الناشر) ، مكان النشر ، وسنة النشر ، رقم الصفحة. (في حالة **التأكد** من عدم وجود البيانات الجوهرية الإجبارية **فقط** (دار النشر ، بلد النشر ، سنة النشر) على المؤلف الإشارة إلى ذلك باستعمال مختصرات د.د.ن /د.ب.ن /د.س.ن) حسب الحالة.

* **المقالات:** إسم ولقب المؤلف ، "عنوان المقال" ، **عنوان المجلة** ، (الجهة التي تصدر عنها) ، العدد ، الصفحة.

* **البحوث المدرجة ضمن كتاب:** إسم ولقب المؤلف ، "عنوان المقال" ، ضمن كتاب: (**العنوان**)، المنسق العام (اسم من أشرف على تجميع مادته العلمية) ، الجزء ، الطبعة ، دار النشر (الناشر) ، مكان النشر ، وسنة النشر ، رقم الصفحة.

* **الأطروحات والرسائل الجامعية:** اسم الطالب ، عنوان الأطروحة أو المذكرة (تحته خط) ، بيان نوعها (دكتوراه ، ماجستير) ، تحديد الكلية والجامعة التي نوقشت فيها هذه الرسالة ، تحديد السنة ، بيان حالة النشر (رسالة منشورة ، أو غير منشورة) ، الصفحة.

* **النصوص القانونية:** بيان نوع النص (دستور ، قانون عضوي ،....) ، رقمه (15/01) ، المؤرخ في (ذكر اليوم والشهر والسنة) ، موضوع النص (المتضمن كذا:...) ، **الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية** ، العدد ، تاريخ نشرها.

* **الأحكام والقرارات القضائية:** لا بد من بيان الهيئة المصدرة (محكمة ، مجلس)، تحديد القسم أو الغرفة (رقمها ، تخصصها)، رقم الحكم أو القرار ، تاريخ صدوره (ذكر اليوم والشهر والسنة)، ذكر أطراف القضية أو الحرف الأول لألقابهم ثم الاسم ، (قضية بين..)، بيان حالة النشر (قرار أو حكم منشور أو غير منشور)، المصدر (مجلة ، نشرية ، صادرة عن)، العدد ، السنة ، الصفحة.

* **المنشورات الداخلية**: بيان الجهة المصدرة ، بيان رقم التعليمة أو المقرّر ، تحديد موضوعه.

* **التقارير:** الجهة المصدرة للتقرير ، موضوع التقرير ، مناسبة تقديمه ، التاريخ ، الصفحة.

***المراجع الالكترونية:** اسم المؤلف ، أو المنظمة "عنوان المقال" ، العنوان الإلكتروني كاملا ، (تاريخ التصفح: اليوم ، الشهر ، السنة).

* **المخطوطات:** اسم المؤلف كاملاً ، **عنوان المخطوط كاملاً** ، ويذكر اسم المكان المحفوظ فيه هذا الاقتباس ويشار إلى تاريخ النسخة ، وعدد أوراقها. ويذكر رقم الورقة مع بيان الوجه أو الظهر المأخوذ منه الاقتباس ، ويشار لوجه الورقة بالرمز (أ) كما يشار لظهرها بالرمز (ب).

* **الصحف:** إذا كان خبرا يكتب اسم الصحيفة ، والعدد ، والتاريخ ، ومكان الصدور. أما إذا كانت مقالة يكتب اسم الكاتب ، "وعنوان المقالة" **واسم الصحيفة** ، ثم تحديد نوعها (يومية ، أسبوعية ، شهرية)، (ومكان الصدور) والعدد ، والتاريخ ، والصفحة.

* عند تكرار ذكر نفس المرجع يكتب بعد رقم الإحالة عبارة: المرجع نفسه ، ثم الصفحة ، أما في حالة ما إذا كان التكرار غير مباشر (فصل تكرار المرجع بمرجع آخر أو عدة مراجع أو بصفحة جديدة) فينبغي بعد رقم الإحالة ذكر اسم ولقب الباحث ، كتابة عبارة: المرجع السابق ، ثم بيان رقم الصفحة.

* تكون الأشكال والخرائط والرسوم البيانية على درجة عالية من الجودة مع تجنب التظليل الثقيل ، وترقم الجداول والأشكال ترقيماً متسلسلاً مستقلاً ، مع إعطاء عنوان قصير لكل منها تتم كتابته (أعلى) الشكل ، ويكون المصدر أسفله. (على الباحث إرسال الخرائط والصور في ملفات مستقلة عن النص ، أي ملف لكل خريطة أو صورة وهذا من نوع (jpeg)) لتسهيل عمل الهيئة التقنية للمجلة.

11/ ترسل أو تسلّم نسخة ورقية من المقال مرفقة بقرص مدمج (CD) فضلا عن ضرورة إرسالها في ملف عبر البريد الإلكتروني للمجلة المدون أدناه ، مع مراعاة ما يلي:

-على الباحث إخفاء شخصيته في الدراسة ، وتجنب وضع أي إشارة تكشف هويته من خلال الدراسة ، ولأجل ذلك تكتب المعلومات الشخصية (اسم المؤلف ، ورتبته العلمية ، والمؤسسة التي يعمل فيها) على صفحة منفصلة ، ثم يكتب عنوان البحث مرة أخرى على الصفحة الأولى من البحث دون ذكر الاسم.

- تقديم صورة رقمية حديثة خاصة.

- التزام الدقة عند إمضاء تعهد (عقد نشر) خطي من المؤلف أو المترجم على نموذج تعده هيئة تحرير المجلة.

- ترك نسخة من بيان السيرة الذاتية للمؤلف أو المترجم (وفي حالة تقديم المقال من طرف باحثين ، يجب إرسال الموافقة الصريحة لكل واحد منهما بقبول النشر المشترك).

- تقديم ما يثبت موافقة الأستاذ المشرف على البحث ، بالنسبة للبحوث المقدمة من طلبة الدكتوراه (L.M.D).

- تقديم نسخة من الكتاب الأصلي إذا تعلق الأمر بعرض لكتاب.

12/ أن يرفق المقال وجوبا بملخص مُعَبِّر عن محتوى المقال بصورة شاملة وصادقة (في حدود 150 كلمة) باللغات الثلاث عربي ، فرنسي وانجليزي ، متبوعا بالكلمات المفتاحية ذات الدلالة على محتوى المقال(Key words) والتي لا تتعدى 7 كلمات تُرتَّب حسب ورودها في المقال ، وينبغي أن تشملها الترجمة باللغات الثلاث.

تنبيهات هامة:

* في حالة وجود أكثر من مؤلف يتم مراسلة الاسم الذي يرد أولا في ترتيب الأسماء في حالة تساوي الدرجات العلمية ، والأعلى درجة في حالة اختلاف الدرجات العلمية.

* يحول المقال إلى لجنة التحكيم السرية المختصة لتحكيمه علميا بعد التأكد من ملاءمته لقواعد النشر ، وعلى صاحب المقال إجراء التصحيحات المطلوبة منه خلال مدة زمنية تحددها هيئة التحرير.

* كل مقال يخالف شروط النشر لا يؤخذ بعين الاعتبار ، والمجلة غير معنية بإعلام صاحب المقال بذلك.كما لا تلتزم بإبداء أسباب عدم النشر.

* يحق للمجلة (إذا رأت ضرورة لذلك) إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة للنشر دون المساس بمضمونها ، كما تحتفظ المجلة بحقها في حذف أو إعادة صياغة بعض العبارات التي لا تتناسب مع أسلوب النشر.

* ترتب البحوث في كل عدد ، واختيار حيّزها الزماني يتم وفق اعتبارات فنية تقدّرها اللجنة العلمية ولا علاقة لها باسم الباحث أو رتبته العلمية أو قيمة العمل.

*الأبحاث المنشورة في المجلة لا يعاد نشرها في جهة أخرى إلا بإذن مكتوب من مدير تحريرها ، ولا تلتزم المجلة برد المقالات غير المقبولة للنشر إلى أصحابها.

* يتحمل كاتب المقال جميع التبعات الناتجة عن خرق حقوق الملكية الفكرية المترتبة للغير.

-لا تدفع مكافآت عن البحوث التي تقبل للنشر بالمجلة ، غير أن الباحث يستفيد من نسختين من العدد الذي نُشِر فيه مقاله.

- تنشر موضوعات المجلة في موقع الجامعة الالكتروني بعد صدورها.

*** الدراسات التي تنشرها المجلة تُعَبِّر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.**

المراسلة والاشتراك: ترسل جميع المراسلات إلى السيد

رئيس التحرير: مجلة العلوم الاجتماعية-جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

الهاتف: 036661181

البريد الالكتروني:

revue@univ-setif2.dz

revue.setif2@gmail.com

الموقع الإلكتروني للمجلة: http://revues.univ-setif2.dz

الفهرس

المؤلف	عنوان المقال	صفحة
الزهرة لونيس عبد الملك بومنجل	آليات التأويل في الخطاب النقدي العربي القديم ابن جني والعكبري أنموذجا	09
هيبة محني	أسس النفاذ المباشر لاتفاقيات حقوق الإنسان	22
فطوم موقاري	أسماء الإله في اليهودية والمسيحية	36
حفيظة عياط	إشكالات ترجمة المصطلحات السياسية المستحدثة من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية-إجراءات بيتر نيومارك أنموذجا-	52
شفيقة محري أمال محري	المهن الإعلامية الجديدة في ظل تطبيقات الويب 0,2 – مهن التحرير الإعلامي الإلكتروني والتواصل الاجتماعي نموذجا-	67
ياسمينة كتفي	أساليب تربية الطفل في الأسرة من منظور الإسلام	84
جمال بختاوي جمال مقراني	تحليل وظائف أستاذ التربية البدنية والرياضية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية للتعليم الثانوي بالجزائر	98
ليلى شيباني	أهمية الوعي الصحي وممارسة النشاط الرياضي لدى الراشد المصاب بالسمنة	111
أسامة بقار	الجيش الروماني في إفريقيا البروقنصلية ونوميديا خلال زيارة الإمبراطور "هادريانوس" لبلاد المغرب سنة 128م	124
نعيمة حاج عبد الرحمان	هيدغر: الحقيقة، الأشياء والكلمات -قراءة في درس 1924-1925-	151
سليمة جلال	تراتبية العقل في الممارسة الإسلامية عند طه عبد الرحمان	163
نسيمة ضيافات	دين الأزمة .... لاهوت الجمال عند جيل ليبوفتسكي	183
عائشة سالمي	دور النخبة السياسة في إدارة المرحلة الانتقالية -دول ما بعد الحراك العربي-	192
فارس عليوي	الجهود الدولية لمواجهة الغازات الدفيئة: (بين المسؤولية عن غازات الرفاه والحق في غازات النجاة)	203
عبد العالي بلعيفة	الجهود الدولية والجزائرية لحماية الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي	221
فتيحة شمام	آلية التنازل عن العقار غير المبني الموجه لإنجاز السكن الجماعي في القانون الجزائري	236
فاطمة قيدوش	تمظهر الآخر الذكوري في قصص غادة السمان	262
سامية يحياوي	جدلية الافتقاد والامتلاك في رواية بنت المطر لمريم الغفلي -دراسة موضوعاتية-	275
إيمان هاجر مقيدش	دور حملات التوعية المرورية في نشر ثقافة السلامة المرورية –دراسة ميدانية على عينة من شباب بولاية سطيف-	287
يوسف مريخي رابح أوكيل	الكلمة المنقولة وتأثيرها على كسب ولاء المستهلكين - دراسة ميدانية لعينة من مستهلكي وكالة موبيليس بالجزائر العاصمة –	299
Zeyneb khaldi	Algerian Higher Education Instructors' Perceptions towards Incorporating Global Citizenship Education in ELT Courses	315
Soumia Boudinar Said Keskes	Preliminary Analysis of Management Master's Students English Needs: Considerations for English for Specific Purposes Problem Based Course Design	328
Wafa Nouari	Atheism in Emily Dickinson Selected Poems	343
Djellal Eddine Semaane	L'Image de la femme orientale dans *Léon l'Africain* d'Amin Maalouf : entre mémoire, politique, religion et... *vengeance* !	356

366	Formulaic Sequences Difficulties in Affecting Communicative Competence: The Case of Master One EFL Learners in Biskra	Raihana Fourar Ahmed Chaouki Hoadjli
382	Est-il temps pour une Cour internationale des conflits : Un œil sur les différends liés au Droit de la Mer ?	Katya Guermache

آليات التأويل في الخطاب النقدي العربي القديم ابن جني والعكبري أنموذجا

Interpretation mechanisms in the old Arabic critical discours Ibn Jinni and Al-Ukbarï as model

تاريخ الإرسال: 27-04-2020 تاريخ القبول:29-12-2020

الزهرة لونيس، مخبر المثاقفة العربية في الأدب ونقده، جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، louniszohra46@gmail.com
عبد الملك بومنجل، جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، abumindjel@yahoo.fr

الملخص

التأويلية العربية القديمة هي إستراتيجية قرائية بارزة في التراث العربي ، تشتغل عَلَى مسارين أساسيين فِي بناء المعنى ؛ أولهما: الاشتغال عَلَى البنى النسقية ، وهي مجموعة مواد النّص وأبنيته الداخلية مِنْ كلمات وتراكيب نحوية وصرفية وبلاغية...الخ. وثانيهما: الاشتغال عَلَى البنى الخارجية السياقية مِنْ مقامات الخطاب والمناسبات والموازيات النصية ، كالنصوص القرآنية والشعرية والأمثال...الخ. وفِي مقاربتنا للآليات التأويلية فِي الخطابين التأويليين لابن جني والعُكبري رصدنا أنَّ هذه الآليات النسقية والسياقية مفاتيح أساسية لبناء المعنى المُؤَوَل ، وأنَّ الآليات النسقية تنفتح عَلَى الآليات السياقية ، وهذه الأخيرة بدورها تساهم فِي اتساع المعنى وتأطير الفهم والتأويل. كما بيّنت هذه المقاربة بين الخطابين التأويليين وظيفة هذه الآليات فِي فهم المعنى ، ووضحت أنَّ عملها يكمن فِي تساندها لِأجل قراءة سليمة.

الكلمات المفاتيح: التأويلية ، القراءة التأويلية ، البنى النسقية ، السياق ، الموازيات النصية.

Résumé

L'interprétation arabe classique est une stratégie de lecture très prisée dans le patrimoine arabe. Elle s'oriente vers deux voies principales dans la construction du sens. La première est axée sur les structures thématiques, à savoir la collecte de structures matérielles intérieures des mots et des structures grammaticales et rhétoriques.... La seconde se focalise sur les constructions du contexte, les tons et les occasions des discours, ainsi que sur les événements et les textes parallèles, tels que les textes coraniques, la poésie, les proverbes... Dans notre approche des mécanismes d'interprétation des deux discours d'interprétation ; celui d'Ibn Jinni et celui d'Al-Ukbarï, nous avons remarqué que ces mécanismes sont les principales clés de la construction du sens, du fait que les structures morphologiques s'ouvrent aux mécanismes contextuels, contribuant à leur tour à l'étendue du sens tout autant qu'à l'encadrement de la compréhension et de l'interprétation (des textes ou des discours). Cette approche entre les deux discours d'interprétation nous a permis de montrer la fonction de ces mécanismes dans la compréhension du sens et le rôle qu'ils jouent dans une lecture appropriée.

Mots-clés : Interprétation, lecture interprétative, structure, contexte, parallèles textuels.

Abstract

The ancient Arabic interpretation is a prominent reading strategy in the Arab heritage, which is based on two main paths in the construction of meaning, the first of which is the work on the theme structures, namely the collection of material and interior structures of words and grammatical structures, purely rhetorical... Etc. Secondly, working on the external contextual structures of speech, events and parallel textual, such as Qur'anic texts, poetry, proverbs... Etc In our approach to the interpretive mechanisms in the two interpretations of Ibn Jinni and Al-Ukbarï, we have observed that these mechanisms are the main keys to building the meaning, as well as that the mechanisms of the format open to the contextual mechanisms, the latter in turn contributing to the breadth of meaning and the framing of understanding and interpretation. This approach between the two interpretive discourses demonstrated the function of these mechanisms in understanding the meaning, and made it clear that their work lies in supporting them for a proper reading.

Keywords: Interpretation, interpretive reading, structure, context, textual parallels.

مقدمة

إنَّ لكل قراءة هدفا ترمي إِلَى تحقيقه ، ورهانا تسعى إِلَى كسبه ، أَوْ مشروعا تحاول بناءه. وَلَمَّا كان محور هذا البحث هو الفهم والإفهام والتأوّل بكل مَا يزخر به هذا المحور المعرفي مِنْ بالغ الأهمية ، وكان موضوعه هو التأويل منهجا فِي قراءة الخطاب ، وكان أنموذج التأويل فِيه هو الخطاب النقدي العربي القديم ، فَقَدْ ارتأينا اختيار خطابين تأويليين معروفين فِي الخطاب النقدي العربي القديم ؛ وهما: الفسر لابن جني(ت392ه) Ibn Jinni ، والتبيان فِي شرح الديوان لأبي البقاء العُكْبري(ت616ه)Abu-Al-Baqa-Al-Ukbarï ، وهذا للفاصل الزمني بينهما ؛ فحيث إنَّ ابن جني عاصر المتنبي Al-Mutanabbi ، و لَا شك أَنَّهما قد نهلا مِنْ ذات المنبع الثقافي ؛ فكانت لابن جني حظوة القرب مِنَ المتنبي ولغته ، بَيْنَمِا العُكْبري لحقه بعد أمَة تنوعت فِيهَا طرق التأويل وتفرعت بتفرع العلوم ، ناهيك عَنْ بعد الخطاب ولغته عَنْهُ ، وكثرة الشروح والشراح للمتنبي السابقة لعصر العُكْبري أَوْ المزامنة له. ونظرا لخصوصية كل خطاب ، وشخصية كل مؤوّل فِي استقصاء الدلالة وفهم المراد ، سنحاول رصد تجليات اشتغال التأويل والمآزق القرائية التي واجهتهما فِي مقاربتهما لقصيدة المتنبي (المتنبي ، 2014م ، ص24) التي مطلعها:

عَذلُ العَـــواذِلِ وهَـــــــوى الأحِبَّةِ
حَـــــــوْلَ قَلبِـــــي منْـــــــــهُ فـــــي
التَّائِـــــــهِ سَوْدائِهِ

وتكملتها التي استزاده فِيها سيف الدولة ، فأنشده:

القَلْـــــبُ أعْـــلَـــمُ يَـــا وَأحَـــقُّ مِنْـــــكَ
عـــــذُولُ بِـــجَـــفْـــنِـــــهِ
بِـــــدَائِـــــــــهِ وبِـــمـــائِـــــهِ

وهذا عَلَى مستويين بارزين هما: مستوى البنيات النصية النسقية ؛ ونقصد بها: (اللغة ، الصرف ، النحو ، البلاغة والعروض... الخ)، ومستوى البنيات النصية الغائبة أَوْ مَا يسمى بِالبنيات السياقية ؛ ونقصد بِهَا: (النصوص القرآنية والحديث النبوّي والشعر ، والأمثال والأقوال وغيرها). وفِي مقاربتنا سنعمد إلى الوقوف عَلَى الآليات التأويلية المستند عَلَيْهَا فِي قراءة هذه القصيدة ، وأثرها فِي تأويل المعنى وبنائه ، وكذا تتبع إجراءات الفهم التي يلجأ إِلَيْهَا المؤوّلان فِي تأوُّل معاني نص المتنبي ، وكيف يسهم انفتاح البنى السياقية في اتساع المعنى ؛ وهي فِي كل الأحوال لَا تخرج عَنْ مرجعياتهما الفكرية ومكتسباتهما العلمية ، ومهاراتهما الفردية. فهذه الآليات هي وليدة نسق ثقافي معين تتطور والعصر ، إِلَّا أَنَّ مبادئها ثابتة تعبر عَنْ موروث ثقافي أصيل. يشكل فِيْهِ المؤوّل جزءا رئيسا فِي بناء المعنى المُؤوَّل ، فهي ضوابط مقيدة للفعل القرائي ، وتمثل شرطا أساسا للتأول لابد مِنَ العمل وفقه ، وَإِلَّا انحرفت القراءة عَمَّا حدده النسق الثقافي التأويلي.

ومَا يدعو إِلَى بحث هذا الموضوع هو التباعد الزمني بين المؤولين ابن جني والعُكبري ، وقراءتهما لنفس نص المتنبي فِي إطار نسق ثقافي تأويلي موروث ، يسير وفق خطة قرائية خطية تستدعي التساؤل عَنْ خصوصية كل فعل تأويلي ، وعَنْ نوعية الآليات المستعان بها. ولإثبات صحة هذه الغاية سنقوم بمقاربة وصفية تحليلية لرصد التماثلات والاختلافات فِي النموذجين القرائيين القديمين ، وَمَا قدمته كل آلية فِي تأول المعنى ، والدور الأساسي للفروق الفردية فِي اتساع المعنى ، واستحضار الموازي النصي.

وكان لِلناقد نصر حامد أبو زيد Nasr Hamid Abû Zayd مؤلفان فِي هذا الموضوع ؛ وهما: "إشكاليات القراءة وآليات التأويل" ، و"النص ، السلطة ، الحقيقة" ، وتتابعت بعده المؤلفات والقراءات التي تركز عَلَى الفعل التأويلي فِي التراث العربي ، وَمِنْهَا كتاب طاهر محمود مُحَمَّد يعقوب T.M.M.Jacob "أسباب الخطأ فِي التفسير" ، ومُحَمَّد البازي M.Al – Bazi فِي كتابه "التأويلية العربية" ، وَقَدْ كان لِهذه الجهود أثر عظيم فِي تحديد الآليات التأويلية عند القدماء ؛ لَكِنَّا نرجو ، مَعَ ذلك ، فِي بحثنا هذا أَنْ نبين قيمة الآليات التأويلية فِي فهم نص المتنبي ، وننبّه عَلَى الفارق الذي يقدمه المؤوّل فِي فهم وبناء المعنى المؤوَّل ؛ عبر دراستنا لقامتين نقديتين اعتمدتا عَلَى الآليات ذاتها ، إِلَّا أَنَّ التمايز بينهما فيصل قراءتهما.

أولا: الآليات التأويلية المتعلقة بالبنيات النسقية

إنَّ القراءة التأويلية البانية للمعنى ومقاصد النص ، هي فعل شمولي واشتغال توليفي بين مواد النص المختلفة ، والأدوات والمرجعيات المستخلصة مِنِ العلوم والمهارات التحصيلية المتنوعة ، وكذا المهارات الفردية والتي لها مقام بالغ الأهمية ، إِذْ عبر هذه الجهود والتوليفة التي تتعاضد فِيهَا

البنى والآليات يتم تحصيل الدلالة واستقصاؤها وفهم المراد مِنَ القول ، وإفهامه للآخرين. فأفعال القراءة التأويلية البانية للمعنى ، والتي نفترض وجودها فِي خطابي ابن جني والعُكْبري ، اشتغال تتلاحم فِيهِ البنى النصية سواء النسقية أو السياقية ، بيّد أَنَّ هذين الخطابين التأويليين ليسا كفيلين بِأَنْ نحكم بشكل نهائي عَلَى الأدوات والإجراءات القرائية للمؤولين ، بَلْ سيكون جهدنا مجرد وقفات عَلَى نموذج يحتمل حمله لمعظم الآليات المتعامل بِهَا فِي قراءة النص وتحليله. وعَلَيْهِ مَا هي الآليات التأويلية المرتبطة بِالبنية النسقية فِي قراءة قصيدة "عذل العواذل حول قلبي التائه" وتكملتها "القلب أعلم يا عذول بدائه"؟

1-الجانب اللغوي

يمثل مدخلا أساسيا فِي عملية تشكيل الدلالة والفهم ، فالرجوع إِلَى المادة اللغوية يساهم فِي تأسيس المعنى ، وشرح المفردات يعّد عتبة للفهم منطلقها النص. وَفِي هذا يقول ابن تيمية(ت:728ه) Ibn Taymiyya: "وَلَا بد فِي تفسير القرآن والحديث مِنْ أَنْ يعرف مَا يدل عَلَى مراد الله ورسوله-ص- مِنَ الألفاظ ، وكيف يفهم كلامه ، فمعرفة العربية التي خوطبنا بِهَا مِمَّا يُعين عَلَى أَنْ نفقه مراد الله ورسوله بكلامه ، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ عَلَى المعاني فَإِنَّ عامة ضلال أهل البدع كان بِهذا السبب." (ابن تيمية ، د-ت ، ص74)، فعدم معرفة الألفاظ ودلالتها سبيل إِلَى الفساد والانحراف عَنْ الفهم الصحيح ، لِذلك يمثل مفتاحا تأويليا ضروريا وجب امتلاكه ، لِأَنَّ ظاهر التفسير أوْ التأويل حسب الزركشي(ت794ه) Zarkachi "يجري مجرى تعلم اللغة التي لا بد مِنْهَا لِلفهم ، ولَا بُدَّ فِيهَا مِن استماع كثير ، لأَنَّ القرآن نزل بلغة العرب ، فَمَا كان الرجوع فِيهِ إِلَى لغتهم فَلَا بُدَّ مِنْ معرفتها أَوْ معرفة أكثرها ، إِذْ الغرض مِمَّا ذكرنا التنبيه عَلَى طريق الفهم ليفتح بابه." (الزركشي ، 1988م ، ص17)؛ فَإِذَا كان المؤوّلون أوْ المفسرون للقرآن الكريم قَدْ رأوا أَنَّه لزام عَلَيْهِم العودة إِلَى المادة اللغوية ، ومعرفتها فِي استعمالات العرب وجذورها اللغوية باب يفتح مصراعيه للولوج إِلَى المعنى ، ومفتاح لِانطلاق عملية الفهم. فَإِنَّ المؤوّلين والشراح مِمَّنْ تناولوا النصوص غَيْرَ القرآنية قَدْ فقهوا هذا المفتاح ، وصار تجليا عاما ظاهرا فِي خطاباتهم التأويلية. فَمَا هي مظاهره إِذَنْ فِي خطابي ابن جني وأبي البقاء العُكْبري ؟

قالا فِي وقوفهما عَلَى كلمة "العذل" الواردة فِي مطلع القصيدة:

أبو الفتح عثمان ابن جني: "العَذْلُ: أحرُ العتاب وأمضُّه ، ومِنْهُ قيل: أيامٌ معتذلات: إِذَا اشتد حرُّها ، يقال: عذلته عذْلا وعَذَلا ، وجمع عاذلِ عُذَّلُ وعُذَالٌ ، وجمع عاذلةِ عواذلُ وَمِنْ كلامهم: سبق السيف العذَلَ.

وقال الأخر:

أيـــــا تَمْلَـــــكَ وذاتَ الطَّـــــــــوقِ
يـــــا والحِجْـــــــــــلِ
تَمْلـــــــــي
ذَرينـــــــــي فـــــــإنَّ
واتَّقـــــــــي العَـــــــذْلَ
عَذْلـــــــي كالقتـــــــلِ

وقال زهير:

غـــــدوتُ عليـــــه قُعـــــوداً لديـــــه
غـــــــدوةً فرأيتـــــه بالصَّـــــريم عواذِلُـــــهْ"

(ابن جني ، 2004م ، ص24 ، 25).

أبو البقاء العُكْبري: "الغريب: العاذل: واحد العذال والعذّل: والجمع عاذلة: عواذل." (العُكبري ، د-ت ، ص2)

وهنا يعمل المؤوّلان عَلَى إيراد المعاني الممكنة للكلمات التى يعتبرونها غريبة عَنْ الاستعمال اللغوي ، ويتخذ هذا الإجراء شكلا بسيطا ، حيث تجرد الألفاظ مِنْ سياقها النصي الموضوعة فِيهِ ، ويتم تعريفها مِنْ خلال مرادف لَهَا أوْ نقيض أوْ مقابل ، وَقَدْ يكون بِإيراد شواهد عَلَى ذلك المعنى ، وهذا مَا نلمسه فِي شرح العواذل عِنْدَ ابن جنى عَلَى خلاف العُكْبري ؛ الَّذي اكتفى بِتحديد أصلها الصرفي: وكان الغريب عِنْدَهُ هو معرفة تركيبتها مِنْ مفرد أوْ جمع لَا معناها ، وفِي هذا المدخل اللغوي يظهر جيدا تفاوت المؤوّلين ، فِيمَا يفترض امتلاكه مِنْ سعة لغوية وذاكرة وحافظة قوية ، فالجانب اللغوي يعتبر نقطة العبور ، ولِذَا وجب عَلَى المُؤوّل امتلاك اللغة بِفروعها. فهى عتبة قرائية ضرورية للفهم والإفهام ، فمعرفة اللفظ ومعناه يفيد فِي فهم بناء النص ومقصوده. ويقول فخر الدين الرازي(ت606ه) Fakhr ad-Dîn ar-Râzî عَنْ دور الكلام وفهمه: "اعلم أَنَّ المقصود بِالكلام إفادة المعاني ، وهذه الإفادة عَلَى وجهين ، إفادة لفظية وإفادة معنوية. فأَمَّا الإفادة اللفظية فيستحيل تطرق الكمال

والنقصان إِلَيْهَا ، فَإِنْ كان السامع للفظ إِمَّا أَنْ يكون عالما بِكونه موضوعا لِمسماه أَوْ لَا يكون ؛ فَإِنْ كان عالما بِهِ ، عرف مفهومه بِتمامهِ ، وَإِنْ لَمْ يكن عالما بِهِ لَمْ يعرف مِنْهُ شيئًا أصلا... أَمَّا الإفادة المعنوية فلِأجل أَنَّ حاصلها عائد إِلَى انتقال الذهن مِنْ مفهوم اللفظ إِلَى مَا يلازمه مِنْ اللوازم..." (الرازي ، 1989م ، ص62). فهذه هي غاية تحديد الدلالة اللغوية ومعرفة أصلها اللغوي المتواضع عَلَيْهِ ، وَإِنْ لاحظ عَلَيْهَا المؤوّلُ أَنَّهَا استعملت استعمالا مجازيا فَإِنَّهُ سيعمل عقله وقريحته حَتَّى يقف عَلَى المعنى المجازي المقصود. والملاحظ للخطابين التأويليين لِهذه القصيدة "عذلُ العواذلِ حول قلبِي التائِهِ" ، يجد المؤولين ابن جني والعُكْبري قَدْ اهتما كثيرا بِجانب اللغة حَتَّى لَا يكاد بيت يخلو مِنَ الشرح اللغوي والشواهد الساندة لِهذه المفردات واستعمالاتها فِي اللغة. وهذا مثال ثان يؤكد دور اللغة فِي فهم المعنى ، حيث قالا فِي موضع آخر يؤَوِلان لفظ يستأسر:

يستأ سِـــرُ البَطَـــلَ ويحـــــولُ بين فـــــــؤادِهِ
الكمِـــــــيَّ بِنَظَـــــرةٍ و عَزَائِـــــــــــهِ

ابن جني: " يستأسرُ أي: يأسر ، والبطلُ قيل: هو الرجل الذي تبطل عنده دماء الأقران لشجاعته ، والكميُّ: الشجاع الذي قَدْ استترت مواضع خلَلَه إِمَّا بسلاحه أَوْ بِشجاعته لِثقافته وحذقه ، وكمى شهادته يكميها: إِذَا سترها ، وسمي كميًا لِا ستتار خلله كَمَا قيل ، بُهْمَةٌ لِاستبهام أمره عَلَى قرنه ، فَلَا يدري مِنْ أين يأتيه. ومعنى البيت قريب مِنْ قوله عليه السلام: «حبك الشيءَ يُعمِي ويُصِمُّ»." (ابن جني ، 2004م ، ص55 ،54).

أبو البقاء العُكبري: "الغريب: يستأسر: يجعله فِي الأسر ، وهو الوثاق. والبطل: الشجاع. والكمّي: المستتر بسلاحه. والبطل: هو الذي تبطل عنده دماء الأعداء الأبطال لشجاعته. وقيل الكميّ: الَّذي يستر مواضع خلله بسلاحه ، أَوْ بجودة ثقافته وحذقه. والعزاء: الصبر والتجلد.

المعنى: يقول: الهوى يستأسر البطل ، مِنْ أوّل نظرة ينظرها إِلَى الحبيب ، فيملكه هواه ، فَلَا يبقى لَهُ خلاص ولَا صبر ولَا تجلد ، ولَا يسمع ولَا يبصر ، وهو مِنْ قوله عليه الصلاة والسلام: «حبك الشيءَ يُعمِي ويُصِمُّ». ومعناه مِنْ قول جرير:

يَصْرَعْـــــنَ ذا اللـــــبِّ وهْـــــنَّ أضعـــــفُ
حتـــــى لا حـــــراك بهِ خَلْـــــقِ اللهِ إنْسانـــــا"

(العُكبري ، د-ت ، ص7).

والمتأمل لِمَا قدماه مِنْ معان ممكنة لِغريب اللغة ، يجد أَنَّهَا جاءتْ مسندة بِشواهد متنوعة سواء حديث نبوي أو شعر ، وهنا تتمايز القدرات فِي استرجاع وحفظ الشواهد مِنَ القرآن الكريم والأحاديث النبوية أَوْ حَتَّى مِنْ كلام العرب ، وهذا دليل آخر عَلَى ضرورة حضور المكون اللغوي ؛ فهو فعل قرائي ثابت وأساسي للتأويل. إِذْ يشكل آلية أساسية لتفتيق الدلالة ، وسبيلا أول لِلفهم. كَمَا يلاحظ عَلَى الجانب اللغوي أيضا أَنَّهُ فعل تأويلي ينفتح عَلَى جملة مِنَ الآليات المساندة ؛ والتي تشتغل عَلَى تعزيز البنية النصية الداخلية ، وانفتاحها عَلَى السياق الخارجي ، وَمَا يطرحه مِنْ احتمالات ، وهذا مَا تلمسه فِي قراءتي ابن جني والعُكبري ؛ إِذْ لَمْ يقتصرا عَلَى إيراد المعنى للمفردات الغريبة عَنْ الاستعمال عندهما فقط ، بَلْ تجدهما قَدْ دعّما هذه المعاني المحتملة بِشواهد مِنَ الحديث النبوي ، وَكَذَا بِبيت شعري لِقائله جرير ، وهو شاعر يُعْتَدُ بِشعره ويؤخذ كَشواهد فِي الدراسات البلاغية والنحوية وغيرهما. وَمِنْهُ قَدْ سمح للمفتاح الأول للقراءة التأويلية البانية للمعنى بِالانفتاح عَلَى البنيات السياقية النصّية المساندة للمعنى المحتمل. فمعرفة المعنى اللغوي لِمفردات النّص هو السبيل الأول للفهم والإفهام لِكون المعنى كَمَا قال عَنْهُ أحمد الهاشمي Aḥmad Hāshimi هو: "تعبير باللفظ عما يتصوره الذهن ، أو هو الصورة الذهنية مِنْ حيث تقصد مِنَ اللفظ." (الهاشمي ، د-ت ، ص48)

2- الجانب الصرفي والاشتقاقي

إِنَّ الصرف والاشتقاق آليتان قرائيتان منطلقهما هو الكلمة داخل تركيب لغوي مَا ، فتهدفان إِلَى إزالة الغربة عَنْ المفردات ، وتيسران الفهم والبحث عَنْ الدلالة المقصودة ، كَمَا تجعلان اختيار المعنى المناسب فِي ظل التعدد واتساع الاحتمالات أسرع وأسهل ، وفِي هذا يقول الزركشي: "فائدة التصريف حصول المعاني المختلفة المتشعبة عَنْ معنى واحد ، فالعلم بِهِ أهم مِنْ معرفة النحو فِي تعرف اللغة ، لِأَنَّ التصريف نظر فِي ذات الكلمة ، والنحو نظر فِي عوارضها." (الزركشي ، 1988م ، ص373). فَإِذَا كانت معرفة تصريفات الكلمات أنفع فَإِنَّ الاشتقاق يساهم فِي الوقوف عَلَى وجوه الأبنية والصيغ ومعرفة أصولها ، فمعرفة المشتقات للجذر اللغوي للمفردة يساعد عَلَى إرجاع المعنى إِلَى مَا هو أقرب

وأليق، وخصوصا إِذَا كانت الكلمة مشتركة بين أصلين اشتقاقيين لَهَا، مِمَّا يوقع المؤوّلُ فِي حيرة لَا يخرج مِنْهَا إِلَّا بِالترجيح والسند والحجة المُمّلةِ لِلكفة. لِأَنَّ الاشتقاق كَمَا يصوره الزمخشري(ت538) Al-Zamakhshari هو: "أَنْ يَنْتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد." (الزمخشري، 1995م، ص16) فمعرفة جميع الصيغ والمشتقات ضرورة لازمة، ومنجاة مِنَ الزلل، ومِنَ السقوط فِي هفوات سببها الجهل بِأصل الكلمة. وَقَدْ فقه المؤوّلون قيمة معرفة المادة الاشتقاقية لِلكلمات الغريبة عَنْهُم، فكانت عيونهم منصبة حولها، وتسير بِأسلوب خطي عَلَى طول خطاباتهم التأويلية لِلنصوص، وهذا فِي حال استدعت الضرورة وغاب المعنى. والملاحظ لِخطابي ابن جني والعُكْبري يراهما قَدْ سارا عَلَى نهج مَنْ سبقوهما. وَفِي مَا يلي نموذجان لِلتمثيل لَا الحصر. فَقَدْ وقفا عند كلمة "المَلامُ"فِي هذا البيت:

يَشْكُو المَلامُ إِلى ويَصُدَّ حينَ
اللَّوَائِمِ حَرَّهُ يلْمِنَ عنْ بُرَحائِهِ

أبو الفتح ابن الجني: "الملامُ: اللّومُ؛ يقال: لمتُه ألومُه لوما وملاما ولائمة، وأنا لائمٌ، وهو ملومٌ، وألامَ، وهو يُليمُ إلامةً، فهو مُليمٌ، إِذَا أتى مَا يستحقُ عَلَيْهِ اللّوم لمتَهُ أَوْ لَمْ تلمْهُ، وَقَدْ يقال أيضا: ألمتُه أليمُه إلامةً فهو مُلامُ فِي معنى مَلومٍ. قال معقل بن خويلد الهذليُّ:

حَمِدْتُ اللهَ إذا بدارِ الذّلِ
أمسى ربيعٌ ملحيًّا مُلاما

قال الله تعالى: ﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ١٤٢﴾ أَيْ قَدْ أتى مَا يلام عَلَيْهِ، واللّوائم: جمع لائمة، كَمَا أَنَّ العواذل جمع عاذلة، وأَمَّا عاذلٌ ولائمٌ فجمعها عُذَّالٌ وعُذَّلٌ ولُوَّامٌ ولُوَّمٌ ولِيَّمٌ أيضا." (ابن جني، 2004م، ص28، 29)

أبو البقاء العُكْبري: " الغريب: الملام: اللوم واللوائم: جمع لائمة..." (العُكبري، د-ت، ص2)

وَمِنْهُ، تبيّن المداخل الاشتقاقية والصرفية التي قدماها للفظ "الملام" أهمية الرجوع إِلَى الأصول الاشتقاقية لِلكلمة، وخصوصا إِذَا كان لَهَا أكثر مِنْ احتمال وأصل اشتقاقي، وهذا مَا يبيّنه ابن جني؛ حيث رد أصل الملام إِلَى الفعل المجرد الماضي لُمْتُ والمزيد ألمته وكيف اشتقت مِنْهُمَا لفظ الملام، وَقَدْ أتى بدليلين أحدهما مِنَ الشعر والآخر مِنَ القرآن الكريم، وهذا بحدّ ذاته يفتح المجال لِلتوسع والعودة إِلَى الدلالات اللغوية، وتبيين احتمالاتها الاشتقاقية بِمَا يناسب المساق الكلامي. كَمَا يؤكد هذا الفعل القرائي تساند الآليات التأويلية وَكَذَا ضرورتها لِتحديد المعنى المناسب لِلمساق النصي. وَفِي المثال التالي دليل آخر عَلَى ذلك؛ إِذْ وقف ابن جني عَلَى لفظة "مهجة" مِنَ القصيدة المدروسة "عذل العواذل حول قلبي التائه"؛ فقال: "المهجة: خالص النفس، ويقال: المهجة: دم القلب، وَمِنْهُ قيل: لبنٌ أمهجانٌ وأَمْهُجٌ وماهجٌ؛ لِلخالص. قال هَمَيانُ بنُ قحافة: وعَرَّضوا المجلس محضا ماهجا أيْ: لبنا خالصا. ووجدت بخط أبي علي الفارسي عَنْ الفراء: لبنٌ أُمْهُوجٌ، وحكى عَنْ أبي زيد لبنٌ أمهُجٌ، وأفْعُلٌ فِي الصفات قليل جدّا." (ابن جني، 2004م، ص32) وهنا نجد ابن جني قَدْ قدم الأوزان الصرفية وَالمشتقات الممكنة لِلفظة المهجة، حَتَّى إِنَّهُ عاد إِلَى أصولها وكيف استعملتها العرب كَنحو اسم الصفة أُمْهُجٌ عَلَى وزن أُفْعُلٌ وعده مِنَ الأوزان القليل ورودها. والفاحص لِهذه المداخل الصرفية والاشتقاقية سيوقن جيدا تلاحمها مَعَ الآليات التأويلية القائمة عَلَى السياق النصي.

وأَمَّا النموذج الثاني، فَقَدْ تناولا مشتقات وأوزان لفظة "السهاد" مِنَ البيت التالي:

وَهَبِ المَلامَةَ مَطْرودَةَ بِسُهَادِهِ
في اللّذَاذَة كالكَرَى وبُكائِهِ

أبو الفتح ابن جني: "والسهادُ: السّهرُ، يقال: سَهِد يَسْهَدُ سُهَادًا. قال الأعشى:

أَرِقْتُ وما هذا وما بي من سُقْمٍ
السُّهادُ المُؤَرِّقُ وما بيَ مَعْشَقٌ؟"

(ابن جني، 2004م، ص49).

أبو البقاء العُكْبري: "الغريب السهاد: الأرق، وسهد(بالكسر) يسَّهْد سُهدًا، والُّسُّهْد بضم السين والهاء قليل النوم. قال الشاعر أبو كبير الهذلي:

فأتَيْتَ بهِ حُوشَ سُهُدًا إذا ما نام
الجِنّانِ مُبطنًا ليل الهَوْجَلِ"

(العُكبري، د-ت، ص5).

فِي هذه اللفظة(السهاد) أعطى المؤوّلان مشتقاتها وتصريفاتها، وفقا لِمَا يملكانه مِنْ زاد معرفي وَمَا يحفظانه مِنْ شواهد، وَإِنْ كان العكبري قَدْ أشار فِي مقدمة كتابه (التبيان في شرح الديوان) اخذه عَنْ أبي الفتح ابن جني، وكان لَهُ سندا قويا فِي تأوّله وقراءته لِشعر المتبني، فقال: "جمعت كتابي هذا مِنْ أقاويل شراحه الأعلام معتمدا عَلَى قول إمام القوم

المقدّم فِيهِ ، الموضح لِمعاينه المقدم فِي علم البيان ، أبي الفتح عثمان..." (العُكبري ، ب-د-ت ، ص ج)

فَلِهذا يمكننا التأوّل أنَّ العكبري قَدْ زاد مَا سها عَنْهُ المؤوّلون قبله ، وَمَنْ شرحوا أشعار المتنبي. وهذا مردّه إلَى القدرة علَى استرجاع الشواهد وحب التميّز الَّذي يعتريه ، وهنا لسنا نحاول الحكم علَى أيّ مِنَ المؤوّلين وصحة مَا قدماه ، بِقدر مَا تهمنا معرفة الآليات المعتمدة فِي تأوّل نص المتنبي. وَبِالعودة إلَى موضوعنا فَإنَّنَا نخلص إلَى أنَّ قيمة معرفة مشتقات الكلمات وتصريفها يشكل مفتاحا ضروريا يلازم المفتاح الأول وهو الجانب اللغوي ، وكل هذه الآليات تتساند فِيمَا بينها لِلوصول إلَى المعنى بغية الفهم والإفهام.

3-الجانب النحوي

يعّد النحو آلية هامة فِي القراءة التأويلية أوْ غيرها مِنَ القراءات ، وهذه الأهمية قَدْ اكتسبها مِنْ قراءته لِعوارض أخر الكلمات فِي مختلف تراكيبها ، وعلاقاتها الدلالية الحاصلة بين الكلم والجمل ضمن سياق معرفي معيّن ، لِأن المعنى كَمَا جاء فِي (الإتقان في علوم القرآن): " يتغير ويختلف بِاختلاف الإعراب فَلَا بُدَّ مِنْ اعتباره." (السيوطي ، 1991م ، ص397) ولِلظفر بِالمعنى مِنَ الجانب النحوي ، فَإنَّهُ يلزم المؤوّل مراس واضطلاع واسع بِعلم النحو وقواعده وأصوله ، فهو المفتاح لِمَا أغلق مِنَ المعاني ، وَفِي هذا قال عبد القاهر الجرجاني(ت:471هـ) al- Ğurğānī: "إذَا كان قَدْ عُلِم أنَّ الألفاظ مُغْلقة عَلَى معانيها حَتَّى يكون الإعراب هو الَّذي يفتحها ، وَأنَّ الأغراض كامنة فِيهَا حَتَّى يكون هو المستخرج لَهَا ، وَأنَّهُ المعيار الَّذي لَا يتبيّن نقصان كلام ورُجحانه حَتَّى يعرض عَلَيْهِ ، والمقياس الَّذي لَا يعرف صحيح مِنْ سقيم حَتَّى يرجع إلَيْهِ ، لَا ينكر ذلك إلَّا مَنْ ينكر حسّه ، وَإلَّا مَنْ غالط فِي الحقائق نفسه." (الجرجاني ، 1992م ، ص28) وَعَلَيْهِ فَإنَّ النحو عنصر تأويلي يفرض حضوره فِي القراءات العربية القديمة ، كَمَا أنَّهُ آلية بارزة فِي توجيه المعنى وترجيحه. لِذَا أَوْلاَها المؤوّلون عناية كبري ، واختلفوا فِي التوسع فيها. والناظر فِي خطابي ابن جني والعُكْبري يجدهما قَدْ اعتمدا النحو آلية للتأويل وفهم المعنى ، بَيْدَ أَنَّ القارئ يمكنه ملاحظة الفروق بين ابن جني والعُكْبري فِي درجة اهتمامهما بِالإعراب والتوسع فِيهِ ، حيث نجد ابن جني لَا يُفِيضُ كثيرا فِي مسألة الإعراب إلَّا بِقدر مَا يفيده فِي فهم المعنى ، وَلَا يعطي لِآلية النحو أكثر مِمَّا يعطي لِباقي الآليات ، وهذه السمّة يتسم بِهَا الأوائل مِنَ المؤوّلين عَلَى خلاف مَنْ جاؤوا بعدهم ، وخصوصا بعد القرن الرابع الهجري ؛ فَقَدْ برزت ظاهرة التوسع فِي احد أفعال القراءة أوْ آلية تأويلية عَلَى حساب أخرى. وهذا يكون بحسب اهتمام المؤَوِّل وشغفه بِعلم مِنَ العلوم ، وهذا مَا نلمسه فِي خطاب العُكْبري ؛ إذْ نجده يعتني بِالجانب النحوي كثيرا مِمَّا جعله يسهب فِي التعليل والشرح ، ويضع لَهُ عنوانا ويُكْوِنُ منهجية متبعة في شرحه لِلديوان ، وهذا نظرا لِاهتمامه وشغفه بِالنحو ، وَقَدْ أشار إلَى ذلك فِي مقدمة كتابه (التبيان في شرح الديوان) فقال: "وجعلت غرائب إعرابه أوّلا ، وغرائب لغاته ثانيا ، وليس غريب اللغة بغريب المعنى." (العكبري ، ب-د-ت ، ص د) أيْ: النحو يعد أولوياته الأولى تأوُّل المعنى فِي نصوص المتنبي ، مقارنة بِتأويل ابن جني ؛ الَّذي لَمْ يُقَصِرْ فِي جانب النحو ، وإنَّمَا كان معتدلا فِي توظيفه لَهُ ، فأعرب مَا يخدم المعنى لَا شغفه ، وهو النحوي صاحب كتاب (الخصائص).

وفِي مقاربتنا هذه لَا يهمنا أنْ نعرض مَا قدماه أوْ نحكم عَلَى صحته ، بِقدر اهتمامنا بِكيفية استعمال النحو كَقناة لِبناء المعنى وتوجيهه ، وَمِنْ أمثلة ذلك قول المتنبي:

فَـــوَمَنْ أحِـــبُ قَسَمـــاً بـــــه ، لأعْصِيَنَّـــــكَ فِـــي الهَوَى وبِحُسْنِـــــهِ ، وَبِهائِـــــهِ.

قال ابن جني عن "فَوَمَن": "الفاء للعطف والواو للقسم ، والمعصيُّ: المعذول ، والمُقْسَمُ به: المحبوب." (ابن جني ، 2004م ، ص41)

قال العُكْبري:" الإعراب: فَوَمَنْ أحِبُّ: الفاء عاطفة عَلَى مَا تقدم ، والواو لِلقسم. وَمَنْ: فِي موضع خفض. المعنى: يقول: قسما بِهذا المحبوب لَا أطعت فِيهِ عاذلا ، وكيف وَقَدْ أقسم بحسنه ونور وجهه." (العُكبري ، د-ت ، ص4)

وهنا قَدْ توقف المؤوّلان عند العبارة "فَوَمَنْ" وأعرباها لِتسهيل الفهم عَلَى المتلقي ومعرفة المقصود بمَنْ ، وعَلَى مَنْ يعود القسم ، ففعلهما هذا قَدْ أزال الإبهام عَنْ مراد الشاعر فِي بيته ، وحددا عَلَى مَنْ يعود القَسم ، وهو علَى المحبوب سيف الدولة. فمعرفة التخريجات النحوية ، والفاعلية علَى مَنْ تعود تزيل الغموض عَنْ المعنى. وليس هذا فقط بَلْ يستند المؤوّلان ابن جني والعُكْبري علَى شواهد مِنَ القرآن أيضا ،

مماثلة لِلحالة الإعرابية التي يعالجانها. لِينتهيا إلَى مراد الشاعر ومعنى البيت، وهذا الفعل يفتح القنوات التأويلية علَى بعضها. وَمِنْ أمثلة ذلك قولهما فِي البيت التالي:

لَوْ قُلْتَ للدِّفِ الحزين: مِمَّا بِهِ لأَغْرَتَهُ بِفِدائِهِ فَدَيْتُهُ

ابن جني: "ووجهُ إغارته إيّاه الشُحُّ على محبوبه والخوف أنْ يحلَّ أحد محلَّه مِنْهُ فهو علَى مَا هو فِيهِ، لَا يسمح لِأحد أنْ يفديه مِمَّا هو بِهِ مِنَ الضُرِّ والجَهْدِ، وقوله: بفدائه، أيْ: بِفدائك إيّاه، فأضاف المصدر إلَى المفعول، كقوله تعالى﴿ **قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ** وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ ﴾ ومعناه: بِسؤالك لِنعجتك، وقوله تعالى﴿ **لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ** وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ ﴾، أيْ: مِنْ دعائه الخير، وهذا كثير." (ابن جني، 2004م، ص54، 55)

أبو البقاء العُكبري: "الإعراب: بِفدائه أيْ بفدائك إياه، أضاف المصدر إلَى المفعول، كقوله تعالى: ﴿**بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ**﴾ ص [24] أيْ: بِسؤاله نعجتك، ويجوز إضافة المصدر إلَى المفعول، لِملابسته إياه." (العُكبري، د-ت، ص6).

وكذلك يستند المؤوّلان علَى شواهد مِنَ الشعر بِمَا يوافق المعطيات التي تبدو غريبة فِي الاستعمال، كَحال إضافة المسمى إلَى الاسم، وَقَدْ وردت هذه الحالة عند المتنبي فِي قوله:

الشَّمسُ من حُسَّاده والنَّصْرُ مِنْ قُرَنَائِهِ والسَّيفُ مِنْ أسمائِهِ

فقال ابن جني فِيهِ مؤوّلا لِلعبارة "والسيف مِنْ أسمائه" التي رأى فِيهَا أنَّ المتنبي لَا يقصد السيف جوهرا ومعدنا بَلْ قصد بِهِ سيف الدولة، وهو اسمه لَا مسمى لَهُ، فصرح المتنبي علَى حد قول ابن جني فِي هذا البيت عَنْ "مراده، وقوله: والسيف مِنْ أسمائه، يعني هذه اللفظة التي هي ألف سين ياء فاء، وليس يريد المسمّى بهذه اللفظة، أعني جوهر الحديد لِأَنَّ ذلك ليس بِاسم، وَإِنَّمَا هو المسمّى، ومحال أنْ يكون جوهر الحديد نفسه مِنْ أسماء أحدٍ... وحكي عَنْ أحمد بن صالح، يقال: قبَّلتُ حيَّ زيد، أيْ قبّلتُ زيدا، وأنشد:

... ... وحيَّ بِكْرٍ طَعَنَّا
... ... طعنَةً بجراً.

قال أحمد: يريد: وبكراً طعنّا، قال أبو علي: فَإِنَّمَا يقصد بِحيّ: جسمه الحيَّ، ويقصد بِبكر: الاسم، فحيُّ هَهُنَا هو الجسم المسمّى بكرا... ومثله قول الآخر:

يا قُرَّ إنّ أباك قد كنت خَائِفَهُ
حيَّ خويلدٍ على الإحماقِ.

كَأَنَّهُ قال: إنَّ أباك خويلدا مِنْ أمره وَمِنْ سببه، فجعل خويلدا بدلا مِنْ أباك، كَمَا تقول إنَّ أباك زيدا قائمٌ." (ابن جني، 2004م، ص35، 36، 37)

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الإعراب والتخريجات النحوية تفتح باب الاحتمالات الدلالية المتاحة، وهذا مِنْ خلال تعدد الحالات الإعرابية، والاختلاف فِي العملية الإسنادية بين المسند والمسند إلَيْهِ، كنحو اختلاف المؤوّلين علَى إسناد الضمير الغائب المفرد فِي لفظة "بِمائه" فِي قول المتنبي:

القَلْبُ أعلَمُ يا وأحَقُّ مِنْكَ
عَذُولُ بِدَائِهِ بِجَفْنِهِ وبِمائِهِ

ابن جني: "هو يصرف الدمع إلَى حيث يريد، لِأَنَّهُ مالكه، يعني القلب مالك الدمع، والهاء فِي مائه تعود علَى الجفن، ويجوز أنْ تعود علَى القلب، وفِيهِ بعد." (ابن جني، 2004م، ص41)

أبو البقاء العكبري: "الإعراب: الضمير فِي«مائه»يعود علَى الجفن، وقيل يعود علَى القلب، وَفيهِ بعد، وأضاف الجفن إلَى ضمير القلب، لِأَنَّهُ المالك والأمير علَى الأعضاء كلها. المعنى: يقول لِلعذول: القلب أعلم مِنْكَ بِمَا فِيهِ مِنْ برْح الهوى، فهو يطلب شفاءه وهو أحق بِالبكاء، وأنت تنهاه عَنْهُ، والقلب يأمر الجفن بِالبكاء، طالبا بِذلك شفاء مَا فِيهِ، فهو أولى بِذلك مِنْكَ، والبكاء فِيهِ شفاء القلب واستراحة، وَفِيهِ نظر إلَى قول امرئ القيس: «وإنَّ شفَائِي عَبْرَةٌ مُهْرَاقةٌ»." (العُكبري، د-ت، ص3).

وبناء علَى مَا سبق، نستنتج أنَّ الدلالة النحوية تقوم بِدور مهم فِي الفعل التأويلي العربي القديم، وهي تمثل قناة تنفتح علَى القنوات التأويلية السياقية، مِنْ خلال انفتاحها عَلَى الموازيات النصية الشعرية مثلا، فتستند عَلَيْهَا لِترجيح الدلالات الممكنة الموافقة لِلسياق النصي والوجوه الإعرابية

المحتملة ، وفِي قراءتي ابن جني والعكبري يتضح جليا دور الدلالة النحوية فِي فهم معاني أبيات المتنبي ، وَكَذَا يبرز ميولهما وشغفهما بِعلم النحو وتخريجاته.

4-الجانب البلاغي

تمثل البلاغة مستوى بنائيا نصيا أساسيا فِي أيّ قراءة ، والوقوف عندها ضرورة لازمة ، والمعرفة بِها واجبة علَى كل مؤوّل ، وَعَنْ هذا قال بدر الدين الزركشي: "واعلم أنَّ معرفة هذه الصناعة بِأوضاعها هي عمدة التفسير.. وهي قاعدة الفصاحة وواسطة عقد الفصاحة." (الزركشي ، 1988م ، ص388)، وَلَا يعني هذا أنَّ كل مطلع علَى علم البلاغة هو مدركها ، بَلْ يشترط البراعة فِيهَا والممارسة والغوص فِي غمارها ، ومزاولتها زمنا والرجوع إِلَيْهَا ، لِأَنَّ "أكثر مَا يستحسن ويستقبح فِي علم البلاغة ، له اعتبارات شتى بِحسب المواضع... وَلَا يقف الإنسان عَلَى تلك المواضع ، إِلَّا بِطول المزاولة. وَلَا يشرف الإنسان علَى جمل مِنْ تلك المواضع يمكنه أنْ يستنبط بِهَا أحكام مَا سواها إِلَّا بِكثرة الفحص والتنقيب عمَّا يجب اعتماده فِي جميع أحوال الصناعة مِنْ إيثار مَا يجب أنْ يؤثر ، وترجيح مَا يجب أنْ يرجّح ، بِالنظر إِلَى الشيء نفسه أوْ النظر إِلَى مَا يقترن بِهِ أوْ إِلَى مَا هو خارج عَنْ ذلك..." (القرطاجني ، 2014م ، ص88)، أيْ: مَنْ لَا يملك القدرة علَى معرفة البلاغة وممارستها ، وَلَمْ يقف عَلَى علميها علم المعاني وعلم البيان ، يكون ظالما لِنفسه ، جاحدا لِقيمتها فِي الكلام ، وَعَنْ هذا يقول السكاكي (ت:626هـ) -Al Sakkaki: "إنَّ الواقف علَى تمام مراد الحكيم وتقدس مِنْ كلامه ، مفتقر إِلَى هذين العلمين كل الافتقار ، فالويل كل الويل لِمَنْ تعاطى التفسير وهو فِيهمَا راجل" (القرطاجني ، 2014م ، ص88). وَعَلَيْهِ فَإِنَّ البلاغة تشكل آلية عظمى فِي تأوُّل المعنى وفهمه ، وهذا لِمَا تملكه مِنْ قدرة علَى حمل المعاني وإخفائها وتجليتها فِي آن واحد ، فهي تشكل النص ومفهومه. إِلَى جانب البنيات النصية الأخرى. كَمَا أنَّهَا ثابت نصي قوي يساهم فِي انفتاح النص علَى الفعل التأويلي ، وَلِذَا قدر ركز المؤوّلون القدماء عَلَيْهَا كثيرا فِي خطاباتهم التأويلية ، وَهَا هو ابن جني والعكبري قَدْ سارا علَى خطى القدماء ، وكانت البنيات البلاغية حاضرة فِي تأوُّلهما لِقصيدة المتنبي هذه. وَإِنْ لَمْ يكن تناولهما لِهذه البنية متقاربا ؛ فنجدها تخفت نوعا مَا فِي تأويل العكبري مقارنة بِا بن جني الَّذي يؤوّل حَتَّى البنيات البلاغية فِي الشواهد المستدل بِهَا ، وَمِنْ بين البنيات الحاضرة ؛ الاستعارة والكناية والتشبيه والمقابلة والطباق. وفِي مقاربتنا سنحاول الاقتصار علَى مثالين مِنْ أجل التوضيح فقط.

المثال الأول:

فَأَتَيْتَ مِنْ فَوْقِ الزَّمَانِ وَتَحْتِهِ مُتَصَلِّصاً وَاَمَامِهِ وَوَرَائِهِ

قال ابن جني: "وقوله: مِنْ فوق الزمان وتحته وأمامه وورائه ، استعارة لَا حقيقة ويريد إسراعه وجِدّه فِي نصرته ، وهذا فاش فِي أشعار العرب. وأخبرنا أبو بكر مُحَمَّد بن الحسن عَنْ أحمد بن يحي قال: يقال ، رأيتك وراء وراءَ ووراءُ وراءُ ووراءٍ وراءٍ ووراءٍ وراءً. أيْ: أحطت بالزّمان الَّذي هو أمُّ النّوائب وَلَمْ تعبأ بِالنَّوائب." (ابن جني ، 2004م ، ص56)

قال العكبري: "والأمام: قُدّام ، وهو ضد الوراء ، وطابق بين الفوق والتّحت ، والقدّام والخلف. المعنى: يقول: منعتني مِنْ نوائب الزمان بِإحاطتك عَلَيْهِ مِنْ جوانبه كَالشيء الَّذي يحاط عَلَيْهِ مِنْ جميع أركانه فصَارَ ممنوعا. والمعنى أنَّك منعتني مِنَ الزمان ، وحميتني مِنْهُ وَفِيهِ نظر إِلَى قول الحَكَمِيّ:

تَغَطَّيْتُ مِنْ فَعَيْنِي تَرَى دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي"

(العُكبري ،ب-د-ت ، ص7).

نلاحظ أنَّ القراءتين قَدْ اختلفتا فِي نوعية الاهتمام بِالبناء البلاغي فِي هذا البيت ، فالأولى قَدْ اهتمت بِعلم البيان ورأت فِي العبارة "مِنْ فوق الزمان وتحته وأمامه وورائه "استعارة وَقَدْ دَعَمها ابن جني بِشاهد مِنْ كلام العرب ؛ وهو عَنْ احمد بن يحي. أمَّا القراءة الثانية فَقَدْ اعتنت بِعلم البديع وركزت علَى ظاهرة الطباق والتضاد بين تحت وفوق ، وأمام ووراء ، مَعَ تدعيم مَا ذهب إِلَيْهِ بيت شعري قريب فِي نسجه مِنْ بيت المتنبي. لِيخلص المؤوّلان إِلَى معنى واحد ؛ وهو تحصين المحبوب مِنْ نوائب الزمان وحمايته مِنْها. فكل مِنْهُمَا تناول المفتاح البنائي البلاغي التأويلي وفق منظوره ، ودعمه بِمَا يملكه مِنْ ذخيرة. فالتنوع فِي البناء البلاغي يسمح بِتعدد أنماط القراءات كَمَا يبرز قدرة المؤوّل علَى الفهم.

المثال الثاني:

مَنْ لِلسُّيُوفِ فِي أَصْلِهِ بِأَنْ تَكُونَ وفِرِنْدِهِ وَوَفَائِهِ

سَميّـهُ

قال ابن جني: "مَنْ للسيوف بِأنْ تكون سيف الدولة ، لأَنَّهُ سميُّها؟ وقريب مِنْهُ قوله:

تَـظَـنّ سـيـوفُ وأنّـك مـنـها ساءَ ما
الهِـنْـد أصْـلَـكَ أصـلَـها تَـتـوَهَّـمُ

وعنى بالفرند: مكارمه ومحاسنه ومساعيه ، واستعار الفِرند لمَا كان يقع عَلَيْهِ سيف الدولة." (ابن جني ، 2004م ، ص56، 57)

قال العكبري: "المعنى: يقول: مَنْ يكفل للسيوف بأنْ تكون مثل سيف الدولة سميّها واستعار اسم الفرند لمَا كان علَيْهِ اسم السيف. ثُمَّ ذكر الفضل بينه وبين السيوف المضروبة مِنَ الحديد ، واستعار الفرند لِمكارمه ومحاسنه ، لأَنَّهُ أفضل مِنَ السيوف ، وهو يفعل مَا لَا تفعله السيوف ، والسيف لَوْلَا الضارب لمَا كان إِلَّا حديدا. وَإِنَّكَ شَرَفَ وقمر للناس ، فكيف لَا تتمنى السيوف أنْ يكون لَهَا مثلا سميًّا؟ وهو كَقولـه:

تظن السيوف الهند أصلَكَ أصلَها." (العُكبري ، د-ت ، ص8)

وهنا قَدْ حاول المؤوّلان فهم الظاهرة البلاغية الموجودة فِي هذا البيت ، وَقَدْ حدداها فِي نوع البيان وهو الاستعارة ، فقدما لَهَا تخريجات دلالية تؤوّل مَنْ المستعار ووجه الاستعارة مَعَ التدعيم بِدليل مِنَ الشواهد الشعرية للسابقين مِنَ الشعراء ومَنْ نظموا فِي نفس الموضوع وتشابهت الدلالات مَعَهُم. لِيصلا إلَى المعنى المقصود والغرض مِنْ هذه البنية البلاغية.

والملاحظ لِهذين الخطابين التأويليين يرى أنَّ المؤوّلين لَمْ يقفا فِي شرح البنيّات البلاغية علَى قصيدة المتنبي المدروسة ، وإِنَّمَا حَتَّى الشواهد التي يوردانها ، وهذا مَا لاحظناه بِكثرة عنْدَ ابن جني مقارنة بِالعكبري ، وهذا دليل علَى ولعهما بِفهم البنيات البلاغية وإفهامها حَتَّى فِي شواهدهما التي يستعينان بِهَا لِلاستدلال والحجاج. ومِنْ أمثلة ذلك مَا عرضه ابن جني فِي تأويله لِبيت المتنبي فِي قوله:

يشْكُـو الْمَـلَامُ وَيَـصُـدّ حِيـنَ
إلـى اللَّـوَائِمِ حَـرَّهُ يَلْمُـنَ عَـنْ بُرَحائِهِ

قال ابن جني بعد مَا تعرض لِلمفاتيح الأولى مِنْ شرح لغوي واشتقاق مؤوّلا مَا استشهد بِهِ مِنْ أشعار تشابه البينية البلاغية الواردة فِي نصه:

"قال: تأبط شرا: إذا هـزّه نَواجِـذَ أفـواهِ
فـي عَظْمِ قِرنٍ تَهَلَلَتْ المنَايَـا الضَّواحِـكِ

فجعل لَهَا نواجذ وأفواها. وقال آخر:

"نَعـاءِ ابنَ ليلَـى وأيْـدِي شَمـالٍ
للسَّماحَـةِ والنَّـدَى بـارداتِ الأنامـلِ

فجعل لَهَا أيديا وأنامل ، استعارة وتصرّف فِي القول...

وقال الآخر:

قَرَعْـتُ ظنابيـبَ ويـومَ النَّقَـا حتَّـى
الهـوى يـومَ عالـجٍ قسَـرتُ الـورى قَسْـرا

فجعل لِلهوى ظنابيبَ ، وهذه كلها استعارات وهي أكثر مِنْ أنْ أحصيها لَك." (ابن جني ، 2004م ، ص30 ، 31)

وتأسيسا عَلَى مَا سبق ، فإنَّ البنيات البلاغية تمثل مفتاحا تأويليا مهما فِي تشكيل المعنى وبنائه ، كَمِا أنَّهَا فعل قرائي يتكاتف مَعَ الأفعال التأويلية السياقية ويتساند مَعَهَا ، مشكلة بِذلك مجالا لِتعدد القراءات وتنوع أنماطها.

ثانيا: الآليات التأويلية المتعلقة بِالسياق النصي.

إنَّ أيَّ قراءة محكومة بِنسق قرائي معين وتختلف مِنْ قارئ إلى آخر. والمعلوم الثابت أنَّ القراءة التأويلية لَا تنطلق مِنْ فراغ ، "وإنَّما مِنْ مؤشرات نصية ، وهي مؤشرات تركيبية تلحظ فِي علاقة الملفوظ بمساقه التركيبي... وإمَّا مؤشرات استبدالية ، حيث يتم المواجهة بين الملفوظ والذاكرة الجمعية التي تحدد مجموع المعايير والقيم الملائمة لِمجتمع معين." (البازي ، 2010م ، ص65) أيْ: أنَّ الفعل التأويلي لَا يتوقف عند البنيات النسقية فقط ، بَلْ يتعداها إلَى البنيات السياقية ، وهذا لِكونها تدخل فِي تشكيل وبناء المعنى ، فالبنى السياقية لَهَا دور فعال فِي عملية التأوُّل والفهم والإفهام ، فهي مؤشرات تستخدم لِتقريب المعنى المؤوَّل ، وإثباته أوْ لِلدفاع عَنْ فهم مِنَ الأفهام ، كَحجة لِلقطع والترجيح. أيْ أنَّ هذه البنى كَالدعامات ، يستند عَلَيْهَا المؤوّل لِمساندة تخريجاته وتأويلاته والمراد مِنَ النص. كَمَا يمكن أنْ يستعملها لِإقناع المتلقي بِمعرفته واطلاعه الواسع ، وهي آليات تساندية لَا يمكن الاستغناء عَنْهَا. فِبهَا يكتمل المعنى ويتشكل. والقارئ لِتأويلات القدماء يجدها قَدْ أولت عناية كبرى لِهذه المعطيات السياقية. كَمَا أنَّهَا قَدْ اختلفت وتفاوتت فِي نسبة توظيفها ، وهذا مردّه إلَى أمرين ؛ الأول: الخضوع إلَى مَا تقتضيه الحاجة أيْ المقام هو الَّذي يتحكم فِي استحضارها. الثاني: قدرة المؤوّل علَى استحضار الشواهد وحفظها ، وفِي هذا درجات.

وَعَلَيْهِ مَا هي الآليات التأويلية السياقية البارزة فِي خطابي ابن جني والعكبري؟

1-مرجعيات ومقامات الخطاب

يمثل هذا المفتاح التأويلي وسيطا مهما يُضمنه المؤوّل فِي بداية خطابه يتكئ عَلَيْهِ فِي توجيه المتلقي نحو مقاصد المؤلف أوْ الشاعر، واستقطابه إلَى فهم معيّن. إذْ أنَّ معرفة هذه المقامات والمناسبات تحُدُّ مِنَ الوقوع فِي إشكاليات دلالية وتأويلية لَا حصر لَهَا؛ لِكون النص أوْ الخطاب بِصفة عامة هو وليد تلك الشروط، أوْ يحاكيها المؤوّل كَمَا يفعل مَعَ النصوص المتقدمة فِي أزمنة متباعدة عَنْ أزمنة إنتاجها. فمعرفة تلك المعطيات: مناسبة إنتاج النص ومقام إنتاجه وصاحب النص تساعد علَى تمثل أفضل للنص، إذْ تقرب المتلقي مِنْ زمن إنتاجه ومعانيه المقصودة، وَبِهذا تؤطر الفهم والتأويل، وتقدم لِلمؤوّل عونا وزادا معرفيا يسهل عليه اقتحام دلالات النص والتعمق فِيهَا. وَقَدْ أيقن القدماء دور هذه المقامات والمناسبات فِي فهم النصوص، فَدَرَّجُوا علَى استعمالها فِي قراءاتهم. وَفِي خطابي ابن جني والعكبري قَدْ تمثلت فِي تعريفها بِالمتنبي وذكر مناسبة إلقاء القصيدة وَإنْ لَمْ يكن واضحا القصد مِنْهَا، فقال:

ابن جني: "قال أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي مِنْ أهل الكوفة، ومولده فِيهَا بِكندة سنة ثلاث وثلاثمئة، وتوفي سنة أربع وخمسين، وَقَدْ أمر سيف الدولة بِإجازة أبيات علَى قافية الهمزة." (ابن جني، 2004م، ص23، 24)

العكبري: "قال أبو الطيب، وَقَدْ أمره سيف الدولة بِإجازة أبيات لِأبي ذرّ سهل بن مُحَمَّد الكاتب وهي مِنَ الكامل، والقافية مِنَ المتدارك." (العُكبري، د-ت، ص1) فمعرفة صاحب النص ومقام قرضه لِلنّص يدرج المتلقي فِي سياق دلالي معين خصوصا هنا أنَّ المتنبي هو القائل؛ وهو أشهر مِنْ نار على علم. فذكر هذه المقامات بِمثابة بطائق تعريفية علَى حد قول مُحَمَّد البازي كَمَا "أنَّها السياج الدلالي لِلقصيدة، وكان الشارح يقول مِنْ خلال إيراده لَهَا: فِي حدود هذه المعطيات يجب أنْ يفهم النص." (البازي، 2010م، ص208) وهذا لَا يحدث إلَّا إذَا كانت توقعاته وافتراضاته تسير فِي الاتجاه الصحيح، وَمِنْهُ إنَّ مَا تقدمه المقامات الخطابية والمناسبات هو مفتاح تساندي لِلأفعال التأويلية، وهي آلية مهمة فِي انطلاق عملية التأويل.

2- الموازيات النصية

ويقصد بِها كل المواد الخارجية المتعلقة بِتشكيل النص ودلالته، والتي تعمل علَى مساندة المعنى وتأوُّله، فهي عبارة عَنْ مفاتيح تعزز المفاتيح البنائية، وتفتح آفاقا دلالية جديدة، وتسهم فِي انفتاح المعنى واتساعه. فهذه الموازيات تعمل علَى استيفاء الجوانب الناقصة فِي العملية التأويلية. وتقوم بِسدّ تلك الفجوات القرائية نُشدانا لِترجيح وإثبات المعنى المقصود. وهذا عبر نظائر وأشباه تماثله، والمتأمل فِي القراءات التأويلية العربية القديمة يجدها قَدْ أسست خطاباتها التأويلية عَلَى منطق التساند لِهذه الآلية السياقية ودورها فِي فهم المعنى وتأوله، وإثبات صحته وهذا لِإدراكهم قيمة الآليات السياقية ودورها فِي تشكيل المعنى. وَفِي قراءتنا لِخطابي ابن جني والعكبري دليل عَلَى مَا قلناه، ولِإثبات صحته نستعرض بعض الأمثلة مِمَّا أورداه.

المثال الأول: الاستدلال علَى إمكانية المعنى فِي قول المتنبي:

يَشْكُو المَلامُ إلى ويَصُدُّ حِينَ يَلُمْنَ
اللَّوائِم حَرَّهُ عَنْ بُرحائِه

قال ابن جني عَنْ لفظة البرحاء: "والبرحاءُ: الشّدة والمشقة... قال الأعشى:

أقولُ لهُ لُ: أبرحتَ ريّاً
حِينَ جَدَّ وأبرحْتَ جارا
الرَّحيلِ

أيْ: أعظمتَ، واتخذت عظيما. والبارحُ ضدُّ السّانِحِ هو مِنْ هذا، لِأنَّهُ يُتَشاءمُ بِهِ." (ابن جني، 2004م، ص29)

قال العكبري: "الغريب: والبرحاء: شدة الحرارة التي فِي القلب مِنَ الحب، وأصله الشدة، يقول لقيت مِنْهُ برحا بارحا: أيْ شدة وأذى؛ قال الشاعر:

أجِدَّك هذا دعاك الهَوَى
عمرَك اللهَ كلَّما بَرْحٌ لعينيك بارحُ"

(العُكبري، د-ت، ص2)

المثال الثاني: الاستدلال على الجانب الاشتقاقي.

قال المتنبي:

وَهَبِ المَلامَةَ مَطْرُودَةً
فِي اللَّذَاذَةِ كالكَرَى بِسُهادِهِ
وَبُكائِهِ

قال ابن جني: " والسُّهادُ: السَّهَرُ، يقال: سَهِدَ يَسْهَدُ سُهَادًا وسَهَدًا. قال الأعشى:

"أرِقْتُ ومَا ومَا بي مِنْ سُقْمٍ وما
هَذَا السُّهادُ المُؤَرِقُ بيَ مَعْشَقُ ؟"

(ابن جني ، 2004م ، ص49)

قال العكبري: "الغريب: السهاد: الأرق، وسهِد (بالكسر) يَسهْد سُهْدًا، والسُّهْدُ (بضم السين والهاء): قليل النوم. قال الشاعر أبو كبير الهذلي:

فأتَتْ بهِ حُوشَ سُهْدًا إذا ما نَام
الجِنَانِ مُبطنًا ليلُ الهَوْجَلِ

المعنى: قال أبو الفتح: اجعل ملامتك إياه فِي التذاذكها كَالنوم فِي لذته، فاطردها عَنْهُ وَبِمَا عنده مِنَ السهاد والبكاء، أيْ: لَا تجمع عَلَيْهِ اللوم والسهاد والبكاء، أيْ فَكَمَا أنَّ السهاد والبكاء قَدْ أزالا الإكراه، فلتُزِل ملامتك إياه. ورّد عَلَيْهِ الواحدي وقال: هذا كلام مَنْ لَمْ يفهم المعنى، فظّن زوال الكرى مِنَ العاشق، وليس كَمَا ظنّ ولكنَّه يقول لِلعاذل: هب أنَّك تستلذ الملامة كَاستلذاذك النوم...فكذلك دع الملام، فَإنَّهُ ليس بألّذ مِنَ النوم، فَإنْ جاز أنْ لَا تنام جاز أنْ لَا تعذل. وذكر ابن القطاع مَا ذكر أبو الفتح." (العُكبري، د-ت، ص5، 6)

المثال الثالث: الاستدلال علَى قضية نحوية.

وهنا نجد ابن جني والعكبري قَدْ أعربا، واستدلا بِمَا يخدم تأويلهما واستغرابهما. وَلَا يعني بِالضرورة أنْ يقفا علَى نفس المسألة أوْ البيت. وَلِلإشارة هدفنا ليس رصد الاختلافات بينهما، وَقَدْ نوهنا إلَى ذلك مِنْ قبل، بِقدر التركيز علَى الآليات المستخدمة فِي تأوّل المعنى. وَمِنْ أمثلة ذلك؛ قول ابن جني عَنْ بيت المتنبي:

مَا الخِلُّ إلاّ وَأرَى بطَرْفِ لا
مَنْ أوَدُّ بقلبهِ يرى بِسَوائِهِ

فقال معللا استعماله لِكلمة "سواء" وسبقها بِحرف الجرّ: "ويقال مررت بِرجل سِواك وسُواك وسوائِك: أيْ غيرك ... قال أبو دُواد:

وكُلّ مَنْ ظَنَّ مُعَلّلٌ بِسَواءِ
أنَّ المَوتَ مُخْطِئُهُ الحَقّ مَكذوبُ

أيْ بِغير الحق، فادخل الباء علَى سواءٍ، وهي لَا تستعمل فِي حالة السعة والاختيار إلَّا ظرفا، فاضطُرَّ، فجعلها اسما، ويَدُلُّكَ علَى كونها ظرفا

قولهم: مررت بِالَّذي سواك، فكونها صلة تدلُّ علَى ظرفيَّتها، وشيء آخر، وهو قول لبيد:

فابذلْ سواءَها
سوامَ دُهْماً أوجُوناً.
القِدرِ إنَّ

فنصب "دُهْمًا" و "جونًا" لِأنَّهما اسمُ إنَّ وقدَّر الخبر، وهو سواءُ، كَمَا يقول: إنَّ فِي الدار زيدًا، وَلَوْ لَمْ تكن ظرفا مَا جاز أنْ يفصل بِهَا بين: إنَّ واسمها. قال أحمد بن يحي: ومعناه: إنَّ لَكَ فِي غير قِدْرِك إبلا أيضا، فأطعم الناس مِنْ هذه." (ابن جني، 2004م، ص44، 45) وهنا، استدل ابن جني بِأكثر مِنْ مُوازٍ نصي مِنَ الشعر، لِيثبت تأوّله لِاستعمال سواء كَاسم متحججا بِأقوال مَنْ أجازوها فِي أشعارهم.

كَمَا نجد العكبري يستدل فِي تأوّله لِلدلالة النحوية علَى علم القراءات، بقول المتنبي:

أأحِبُّهُ و أحِبُّ إنَّ المَلامَةَ فِيهِ
فِيهِ مَلامَةً؟ مِنْ أعْدائِهِ

فقال محددا أنواع الجملة فِي "أأحِبُّهُ": " الإعراب: هذا استفهام إنكار، وجمع بين همزتين وهي لغة فصيحة، وَقَدْ قرأ أهل الكوفة وابن ذكْوان بِتحقيق الهمزتين فِي كلّ القرآن إذَا كانت مِنْ كلمة، ووافقهم هشام إذَا كانتا مِنْ كلمتين، كقوله: ﴿جاء أمرنا﴾." (العُكبري، د-ت، ص4).

إنَّ الفاحص لهذه الأمثلة يجد أنَّ الموازي مِنَ النصوص الشعرية يحضر بِقوة. إضافة إلَى أقوال السابقين. فِي حين أنَّ الشواهد القرآنية كان حضورها قليلا. وكل هذه الموازيات هي شواهد لِتأكيد التخريجات الدلالية والمعاني الممكنة المعروفة، بغية إظهار مَا خفي عَنْ فهم المتلقي، والتخلص مِنَ المآزق الدلالية فِي لحظات الحرج، وَمَا يرتبط بِهَا مِنْ تخريجات تأويلية. وهذا الإتيان بِالشواهد دليل قوي علَى انفتاح العملية التأويلية علَى بنى سياقية خارجية وتساند الآليات فِيمَا بينها، وهو مطلب ضروري فِي عملية الفهم والإفهام. وصفوة الكلام، أنَّ المؤوّلين ابن جني والعكبري قَدْ أدركا أنَّ الوقوف علَى المواد غير النصية ومؤشراتها عتبة دلالية ضرورية لِبناء المعنى. ولا يمكن التعالي عليها، أوْ تجريد النص مِنْهَا. فهي مدخل أساسي مكمل لِلمدخل البنائي للنص، وهي آلية مساندة تفتح آفاقا قرائية موسعة، وتزكي التجربة التأويلية؛ فَمَا تقدمه الثقافة بِالعلوم والموسوعية فِي الشعر والنصوص الموازية والأخبار والعادات والأمثال وحَتَّى ميول

المؤوّل نحو علم مِنَ العلوم ؛ كعلم النحو ، أو علم العروض الَّذي هو" ميزان الشعر ، بِهِ يعرف صحيحه مِنْ مكسوره." (التبريزي ، 1994م ، ص17) سند دلالي يسّد باب المزالق والتحريف والتأويل الفاسد.

خاتمة

إنَّ التأويلية العربية القديمة هي نتاج الثقافة العربية ، وهي تسعى إلَى تحصيل قراءة منسجمة مَعَ النص عبر فهم مقاصده ومقاصد منتجه ، والنسق الثقافي الّذي تولد مِنْهُ ، وفق إستراتيجية تأويلية تتوالف فِيهَا البنى النسقية والسياقية مَعًا ، والقارئ لِخطابي ابن جني والعكبري يدرك أنَّ الشبكة التأويلية فِي قراءتيهما قائمة علَى تساند الآليات النسقية والسياقية مَعًا ، وَأنَّها لَمْ تخرج عَنْ الإطار العام للتأويلية العربية القديمة ، وعَنْ مرجعياتهما الثقافية. وَفِي قراءتنا خلصنا إلَى النتائج الآتية:

1-أنَّ اللغة مفتاح تأويلي أساسي فِي القراءة التأويلية ، وهذا المفتاح يقوم بِعزل الكلمات الغريبة وتعريفها والوقوف علَى دلالاتها التواضعية ، ثُمَّ اختيار الأنسب مِنْهَا بِمَا يوافق السياق النصي. وَإِلَى جانب هذا المدخل يبرز المفتاح الاشتقاقي ويقوم بدور لَا غنى عَنْهُ فِي تتبع موازين الكلمة وتصريفاتها ، فيختار المؤوّل مَا يفيده فِي فهم الموضوع ، وهما مفتاحان ينفتحان علَى النصوص الموازية بغيّة تأكيد المعنى واتساع دائرة التأويل.

2- أنَّ قراءتي ابن جني والعكبري قَدْ أولتا أهمية كبرى لِلمدخل النحوي ، وهو مدخل قرائي يفتح المجال لِلاحتمالات الدلالية تبعا لِتعدد الحالات الإعرابية ، وكذلك الحال بِالنسبة لِلمدخل البلاغي ، فهو مفتاح تأويلي ضروري وشرط أساسي فِي قيام العملية التأويلية عند القدماء. وهما فعلان قرائيان يرتكزان علَى الآثار والشواهد لِتأكيد دلالات هذه التخريجات وصحتها. وهذا يكشف عَنْ سعة مجال التأويلية وتعدد آلياتها ومشاربها.

3- تشغل البنيات السياقية والموازيات الخارجية دورا مهما فِي تأويل خطابي ابن جني والعكبري ، وهي بِمثابة دعامات لَا غنى عَنْهَا فِي قيام العملية التأويلية. فأشكال إحضار النصوص الغائبة والنظائر والأشباه هو ملمح قوي ، لِاستدراج وتوجيه المتلقي ضمن سياق دلالي معيّن ، وفهم وتأويل مؤطرين ، مبنيين علَى مكتسبات معرفية ومهارات فردية ، تؤكد دور المؤوّل فِي فهم وبناء المعنى المؤوَّل واتساع المعنى .

وختاما ، بيّنت مقاربة الخطابين لِابن جني والعكبري عَنْ مدى وعيهما بِدور الآليات التأويلية فِي استنطاق النص والبحث عَنْ مقصديته ، وَكَذَا عَنْ دورها البارز فِي الفهم والإفهام ، وَأنَّ العملية التأويلية تنطلق مِنَ الداخل لِتكتمل فِي الخارج ، وفق خطة قرائية بانية لِلمعنى يقومان فِيهَا بِدور أساسي لَا يمكن عزله عَنْ الأفعال الأخرى. كَمَا أنَّ هذه الإستراتيجية التأويلية المعتمدة تسمح للقارئ أنْ ينفتح علَى علوم كثيرة ويكتشف آليات تمكنه مِنَ الفهم ، مِمَّا يجعل هذه القراءات أفقا خصبا لِلبحث والقراءة والتعلّم ، ومدعاة إلَى دراستها والتعمق فِيهَا. كَمَا يمكن أنْ تكون فرضا هذه الإجراءات والآليات حلاً لقراءة نماذج نصية متباينة الأجناس التي عجزت المناهج المعاصرة عَنْ احتوائها.

قائمة المصادر والمراجع

1) البازي مُحَمَّد ، 2010م ، التأويلية العربية ، الدار العربية للعلوم/منشورات الاختلاف ، بيروت / الجزائر.
2) التبريزي الخطيب ، 1994م ، الكافي في العروض والقوافي ، مكتبة الخالجي ، القاهرة.
3) ابن تيمية تقي الدين ، د-ت ، مجموع الفتاوى ، دار الكتاب العلمية ، بيروت.
4) الجرجاني عبد القاهر ، 1992م ، دلائل الإعجاز ، دار المدني/شركة القدس ، جدّة.
5) ابن جني أبو الفتح ، 2004م ، الفسر (الشرح الكبير على ديوان المتنبي) ، دار الينابيع ، دمشق.
6) الرازي فخر الدين ،1989م ، الإيجاز في بداية الإعجاز ، المكتب الثقافي الأزهر ، القاهرة.
7) الزركشي بد ر الدين ، 1988م ، البرهان في علوم القرآن ، دار الفكر ، بيروت.
8) الزمخشري جار الله ،1995م ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
9) السكاكي أبو يعقوب ، 1983م ، مفتاح العلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
10) السيُوطي جلال الدين ،1991م ، الإتقان في علوم القرآن ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
11) العُكبري أبو البقاء ، د-ت ، التبيان في شرح الديوان ، دار المعرفة ، بيروت.
12) القرطاجني أبو الحسن حازم ، 2014م ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت.
13) المتنبي أبو الطيب ، 2014م ، ديوان المتنبي ، المكتبة العصرية ، بيروت.
14) الهاشمي أحمد ، د-ت ، جواهر البلاغة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

أسس النفاذ المباشر لاتفاقيات حقوق الإنسان

Foundations of Direct Execution of Human Rights Treaties

تاريخ الإرسال: 29-09-2018 تاريخ القبول: 25-11-2020

هيبة مهني، جامعة محمد لمين دباغين-سطيف 2-hiba.mheni@yahoo.fr

الملخص

لتطبيق اتفاقيات حقوق الإنسان من طرف القاضي الداخلي ، وتمسك الأفراد بالحقوق المقررة فيها يجب أن تكون هذه الاتفاقيات مدمجة في القانون الداخلي للدول الأطراف فيها. إلا أن الإدماج وحده غير كاف لترتب هذه الاتفاقيات آثارها على المستوى الداخلي ، بل يتطلب ذلك أيضا أن تكون ذات تنفيذ مباشر. ويتوقف تحديد النفاذ المباشر لاتفاقيات حقوق الإنسان على نية أطراف المعاهدة وهو ما يعبر عنه بالأساس الذاتي ، وعلى مدى دقة النصوص الاتفاقية وكفايتها بحد ذاتها ، ويعبر عنه بالأساس الموضوعي.

وقد كشفت الدراسة أن العمل بالأساس الذاتي شكل عائقا أمام فعالية اتفاقيات حقوق الإنسان ، في حين فتح الأساس الموضوعي آفاقا جديدة على صعيد التطبيق المباشر لها ، كإمكانية تطبيق الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

الكلمات المفاتيح: النفاذ المباشر ، اتفاقيات حقوق الإنسان ، الأساس الذاتي ، الأساس الموضوعي.

Résumé

Pour une application des traités relatifs aux droits de l'homme par le juge interne et pour que les individus adhèrent à ces droits qui y sont établis ، il faut que ses traités soient incorporés dans le droit interne des États parties. Mais l'incorporation seule n'est pas suffisante pour qu'ils aient leurs effets au niveau interne, ils exigent, également, d'être directement applicables. L'exécution directe des traités relatifs aux droits de l'homme dépend de l'intention des États parties de la convention exprimée par le fondement individuel, dépend aussi de la précision des dispositions et de son autosuffisance exprimés dans le fondement objectif.

L'étude a révélé que le travail avec le fondement subjectif était un obstacle devant l'efficacité des traités relatifs aux droits de l'homme, alors que le fondement objectif ouvrait de nouveaux horizons en terme d'application directe, comme la possibilité d'appliquer des droits économiques, sociaux et culturels

Mots-clés : L'exécution direct, traités des droits de l'homme, le fondement subjectif, le fondement objectif.

Abstract

For the implementation of human rights treaties by the internal judg and the individual's adherence to the rights established therein, these treaties must be incorporated into the internal law of the state's party to them. However, incorporation alone is not sufficient for these treaties to have their effects at the internal level, it requires that they must be implemented directly. The direct application of human rights treaties depends on the intention of parts of the treaty which is called the subjective foundation, on the preciseness of the treaty's texts and on its satisfaction which is called the objective foundation.

The study has revealed that working with the subjective foundation constitutes an obstacle in front of the effectiveness of human rights treaties. On the other hand, the objective foundation has opened a new horizon on its direct application, like the possibility of applying economic, social and cultural rights.

Keywords: Direct application, human rights treaties, subjective foundation , objective foundation.

مقدمة

يعد إدماج اتفاقيات حقوق الإنسان – كغيرها من الاتفاقيات الدولية - مسألة ضرورية لعدّها جزءا من القانون الداخلي للدول الأطراف فيها. أما نفاذها داخليا وتطبيقها من القاضي في النزاعات المثارة أمامه وتمسك الأفراد بها ، فمرتبط بتحديد طبيعتها بأن كانت ذات تنفيذ مباشر أو غير مباشر. بحيث تطبق في الحالة الأولى ، أما في الحالة الثانية ، فيتوقف نفاذها داخليا على اتخاذ الدولة للإجراءات التشريعية أو الإدارية الضرورية لذلك. بمفهوم المخالفة تستبعد الاتفاقيات ذات التنفيذ غير المباشر.

وتختلف كل فئة من هذه الاتفاقيات عن الأخرى من عدة زوايا ، لعل أهمها الشروط أو الأسس الواجب توفرها لتكون المعاهدة ذات تنفيذ مباشر. وتتعلق هذه المسألة بتحديد نية أطراف المعاهدة ، وكذلك مدى دقة النصوص الاتفاقية وكفايتها بحد ذاتها لترتيب آثارها على المستوى الداخلي.

وتبدو الأهمية العملية للموضوع في معرفة متى يمكن للأفراد التمسك بالحقوق المقررة في الاتفاقية أمام القاضي الداخلي. حيث لا يمكن لهذا الأخير تطبيقها ما لم تكن الاتفاقية ذات تنفيذ مباشر. الأمر الذي يدفعنا لطرح إشكالية رئيسية تتمحور حول أسس النفاذ المباشر لاتفاقيات حقوق الإنسان.

وتتفرع عن هذه الإشكالية عديد من التساؤلات الفرعية تتمثل في:

- ما المقصود بالأساس الذاتي للنفاذ المباشر ؟
- كيف شكل هذا الأساس عائقا أمام التنفيذ المباشر لاتفاقيات حقوق الإنسان ؟
- ما المقصود بالأساس الموضوعي للنفاذ المباشر ؟
- كيف فتح هذا الأساس آفاقا جديدة للتنفيذ المباشر لاتفاقيات حقوق الإنسان ؟

وللإجابة على هذه الإشكالية تم اعتماد المنهج الوصفي ، من خلال بيان كل أساس على حدى والمسائل التي يثيرها كل منهما ، وإعطاء تصور مستقبلي للنفاذ المباشر لاتفاقيات حقوق الإنسان في ظل الأساس الموضوعي.

وتماشيا مع إشكالية الموضوع ، قسمنا هذا الأخير إلى مبحثين أساسيين ، عرضنا في الأول إلى الأساس الذاتي للنفاذ المباشر من خلال مطلبين ، تطرقنا في الأول إلى فحص نية الدول الأطراف في الاتفاقية المتعلقة بحقوق الإنسان ، وتناولنا في الثاني فحص نية الدولة الطرف في اتفاقية حقوق الإنسان. في حين خصصنا المبحث الثاني للأساس الموضوعي من خلال مطلبين ، عرضنا في الأول إلى مفهوم الأساس الموضوعي والآثار المترتبة عنه ، وتطرقنا في المطلب الثاني للآفاق الجديدة للتنفيذ المباشر لاتفاقيات حقوق الإنسان في ضوء الأساس الموضوعي. وختمنا الموضوع بخاتمة تطرقنا فيها لمختلف نتائج البحث والاقتراحات الممكنة.

المبحث الأول: الأساس الذاتي للنفاذ المباشر

يقوم الأساس الذاتي على إرادة الدولة(Dupuy, 2006, p. 416) أي اتجاه نية الدول أطراف المعاهدة إلى تطبيق أحكامها مباشرة في النظام الداخلي(المسماري ، 2008 ، صفحة 80) ، وبذلك فهو قائم على إرادة الدول(N, 2006, pp. 137-138). ويمكن الكشف عن هذه النية من خلال تفسير المعاهدة أو الكيفية التي طبقت بها المعاهدة. (حجازة ، 2005 ، الصفحات 64-78و81)ويعتمد على هذا الأساس في تحديد التطبيق المباشر لاتفاقيات حقوق الإنسان. إلا أن الدراسة أكدت أن العمل به في هذا الإطار يشكل عائقا أمام فعاليتها(الجدار ، 2000 ، صفحة 41). لأن تطبيقه ليس أمرا بسيطا ، متى كانت إرادة الدول غير صريحة. إذ يبقى تحديدها معلقا على التفسير الذي يعتمده القاضي لنصوص الاتفاقية. ومن جهة أخرى ، نية من تؤخذ بعين الاعتبار ؟ هل هي نية كل الدول الأطراف في الاتفاقية والتي يعبر عنها بصوت واحد؟ أو النية الفردية للدولة بذاتها الطرف في المعاهدة ؟ كيف تم اعتماد هذا الأساس ؟ وهل تعبر الدول بصراحة عن هذه النية ؟

المطلب الأول: فحص نية الدول الأطراف في الاتفاقية المتعلقة بحقوق الإنسان

ينظر عديد من القضاة الداخليين لتقرير ما إذا كان نص المعاهدة ذو تنفيذ مباشر إلى بحث نية صائغي المعاهدة. أي الدول التي تفاوضت في وضع نصها الأصلي ، لأن الدول الأخرى المنضمة إليها اتبعت النية نفسها المعبر عنها من

طرف سابقتها.(Lam, 2004, p. 358) وقد وضحت المحكمة الدائمة للعدل الدولي هذا الأساس وأكدته المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان. لكن المشكلة تكمن في غياب تعبير صريح عن هذه النية في اتفاقيات حقوق الإنسان، مما يحتم البحث عنها باستعمال وسائل أخرى، رغم اقتراحات عديد من الدول إدراج نص يوضحها. هذا ما سنحاول توضيحه من خلال بيان موقف المحاكم في فرع أول وفي الفرع الثاني نتطرق إلى مدى احتواء اتفاقيات حقوق الإنسان لنص صريح يعبر عن النفاذ المباشر لنصوصها.

الفرع الأول: موقف المحكمة الدائمة للعدل الدولي والمحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان بصدد نية الدول الأطراف في الاتفاقية

تبنت المحكمة الدائمة للعدل الدولي في قضية محاكم دانتزج الأساس الذاتي لتحديد ما إذا كانت المعاهدة قابلة للنفاذ المباشر، وقد أكدت المحكمة الأوروبية هذا الموقف، وفيما يلي توضيح ذلك.

أولا: موقف المحكمة الدائمة للعدل الدولي

أخذت المحكمة الدائمة للعدل الدولي بنية أطراف المعاهدة في رأيها الاستشاري رقم 15 المتعلق باختصاص محاكم دانتزج، المؤرخ في 3 مارس 1928 بصدد إمكانية التطبيق المباشر لاتفاقية بين بولندا ومدينة دانتزج. فيما يتعلق بوضعية موظفي سكة الحديد لمدينة دانتزج. حيث استندت المحكمة إلى أن المعاهدة الدولية لا يمكن أن تخلق حقوقا والتزامات للأفراد. لكن يتعين النظر إلى نية الأطراف في تحديد بعض النصوص التي تمنح هذه الحقوق والالتزامات للأفراد، ومن ثمة إمكانية تطبيقها من المحاكم الداخلية. وتبدو هذه نية واضحة من خلال عبارات المعاهدة. حيث أكدت على أن المعنى العام وعبارات المعاهدة تظهر إمكانية التطبيق المباشر لنصوصها في حكم العلاقة بين الموظفين والإدارة. ونظرا لهذا المضمون، فإن غرض المعاهدة هو خلق نظام خاص يحكم العلاقات بين الإدارة البولندية وموظفي مدينة دانتزج. ويظهر هذا النظام الخاص من خلال نية الأطراف المتعاقدة الواضحة في نص المادة الرابعة منها.

واستنادا لما تقدم، نجد المحكمة قد قررت بداية أن المعاهدة كأصل لا تخلق هذه الحقوق والالتزامات للأفراد. لكنها عدلت رأيها، بإمكانية أن يخلق موضوع المعاهدة ذاته قواعد قانونية ترتب حقوقا والتزامات يمكن للمحاكم الوطنية أن تطبقها(Tribunaux de Dantzig).

ثانيا: موقف المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان

أكدت المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان موقف المحكمة الدائمة للعدل الدولي، إمكانية التطبيق المباشر للاتفاقية المؤسسة للاتحاد الأوروبي بصدد حكمها في Van Gend en Loo، وحق الأفراد في التمسك بما تقرره من حقوق أمام المحاكم الوطنية للدول الأعضاء. حيث عالجت المحكمة مسألة جوهرية أثارتها محكمة دانيماركية، تتعلق بمدى إمكانية الأفراد التمسك بالحقوق المكرسة في نص المادة 12 من الاتحاد الأوروبي أمام المحاكم الوطنية. حيث تدخلت إحدى دول الاتحاد، مقررة عدم اختصاص المحكمة في الفصل في المسألة لأن الأمر متعلق بتطبيق القانون الدانيماركي، وأن منح أثر لاتفاقية دولية هو مسألة داخلية يحكمها القانون الوطني للدولة. لكن المحكمة الأوروبية رفضت هذه الحجة، لأن المسألة تتعلق بتحديد نص المادة 12 من اتفاقية الاتحاد الأوروبي كقانون مشترك وحق الأفراد في التمسك به. وفي تفسيره، ناقشت المحكمة مسألة التطبيق المباشر لمحتوى الحقوق الواردة فيه. وأشارت إلى أن ذلك متوقف على تحديد نية الأطراف المتعاقدة، والتي يمكن كشفها من خلال روح المعاهدة، محتواها، عباراتها، ومضمون المعاهدة ككل(Beurgenthal, 1935, pp. 325-327).

وقررت المحكمة أن الاتحاد أسس لنظام جديد يعلو على سيادة الدول الأطراف فيه، ويمنح حقوقا للأفراد أضحت تشكل جزءًا من الإرث القانوني لدولهم. وأن نص المادة 12 لا يحتاج إلى تشريع وطني مستقبلي لمنحه أثرا داخل النظام الداخلي للدولة. وتبعا لذلك، فهو ذو تطبيق مباشر ويخلق حقوقا يمكن للأفراد التمسك بها أمام المحاكم الوطنية لدولهم (Beurgenthal, 1935, pp. 325-327). بل وذهبت أبعد من ذلك، بتأكيدها أن نصوص اتفاقية الاتحاد الاقتصادي الأوروبي هي نفسها ذات تنفيذ مباشر في المحاكم الداخلية،

وتمنح حقوقا للأفراد مباشرة دون حاجة إلى تدخل مستقبلي من طرف الدول(Beurgenthal, 1935, pp. 327,332-333).

الفرع الثاني: مدى احتواء اتفاقيات حقوق الإنسان على نص صريح حول النفاذ المباشر لنصوصها تجدر الإشارة إلى غياب تعبير صريح عن النية الجماعية للدول الأطراف ، في مجال التطبيق المباشر لاتفاقيات حقوق الإنسان. مما يعني صعوبة تحديدها وما هي الوسائل التي يتعين البحث بها عنها ؟ وقد كانت هناك اقتراحات من طرف الدول ، بإدراج بند ضمن الاتفاقية يوضح التطبيق المباشر لنصوصها لكنها رفضت. الأمر الذي يدفعنا للتساؤل عن أسباب ذلك ؟

أولا: غياب نص صريح في اتفاقيات حقوق الإنسان حول النفاذ المباشر لنصوصها

لا تتضمن اتفاقيات حقوق الإنسان نصوصا واضحة تعبر عن نية الدول في موضوع التطبيق المباشر. عكس الدساتير الوطنية التي يتم التعبير فيها بصراحة عن هذا الموضوع ، خاصة فيما يتعلق بالنصوص المتضمنة لحقوق الإنسان. والمقصود بالنية الواضحة التعبير الصريح عنها ،لا ما يمكن استنباطه أو ما يوحي به النص من خلال مفرداته(Lam, 2004, pp. 359-360).

ويرى بعض الفقه أن الأثر المباشر للقواعد الدولية الاتفاقية سواء تعلقت بحقوق الإنسان أم لا هو الاستثناء لا الأصل ، وهو رهن إرادة الدول الأطراف المتعاقدة(الموسى م. ، 2007، صفحة 71). والغالب في اتفاقيات حقوق الإنسان خلوها من نصوص قاطعة حول المسألة ، إلا في حالة الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان والحريات الأساسية ، التي تضمنت إشارات صريحة عن التنفيذ المباشر في المادة الأولى منها. وفي المقابل لا تتضمن اتفاقيات دولية عديدة ، من قبيل العهدين الدوليين لحقوق الإنسان واتفاقية حقوق الطفل ، والميثاق الاجتماعي الأوروبي والميثاق العربي لحقوق الإنسان ، أحكاما قاطعة إزاء الأثر المباشر لها. إذ ما يوجد في هذه الاتفاقيات هو تعهد الدول باحترام الحقوق المدرجة فيها في مواجهة الدول الأخرى لصالح الخاضعين لولايتها.

1-دواعي صمت الدول الأطراف في اتفاقيات حقوق الإنسان حول مسألة النفاذ المباشر لنصوصها

يعد صمت الدول حول إدراج نص في اتفاقيات حقوق الإنسان منطقيا لتعدد اتجاهاتها ، خاصة متى كانت المعاهدة متعددة الأطراف بين دول ثنائية وأخرى أحادية لها حرية اختيار الوسائل التي تدمج بها المعاهدات في القانون الداخلي. وفي وقت مصادقة العديد من الدول على اتفاقيات حقوق الإنسان الأساسية ، لم تقدم دول أخرى على إدماجها. ولم تكن مسألة التفاوض حول التنفيذ المباشر للاتفاقيات تعني إلا قلة من الدول ، وتحل تقليديا داخل الدولة وفقا لإرادتها. وانصبت المفاوضات حول تحديد مضمون الحقوق المحمية.

وحتى إن قامت هذه الدول بإدراج نصوص في دساتيرها متعلقة بالتطبيق المباشر للنصوص الدستورية المرتبطة بحقوق الإنسان ، كما فعلت ألمانيا في نص المادة 3/1 من دستورها ، فليس هناك ما يلزم الدول بإدراج نص مشابه في اتفاقيات حقوق الإنسان قصد ضمان التنفيذ المباشر لها أو استبعاده(Lam, 2004, p. 360)، لأنها - الاتفاقيات-تعد نتيجة لمحاولة التوفيق بين إرادات و مواقف متعارضة حول موضوع معين ، ولا يتم صياغتها بالعناية ذاتها المعتمدة في صياغة النصوص الداخلية (عجيل ط. ، صفحة boudidi.blogspot.com) .مما يدفعنا للبحث عن أي إشارات أخرى تحدد لنا نية الدول المتعاقدة.

2-سبل الكشف عن نية الدول حول النفاذ المباشر لنصوص اتفاقيات حقوق الإنسان

لتحديد هذه النية ، يجب أولا البحث عنها في نص المعاهدة ذاته وما إذا تم ببساطة الإشارة إليها أو غيابها. ويمكن الكشف عنها من خلال تفسير المعاهدة أو الكيفية التي طبقت بها المعاهدة (حجازة ، 2005، الصفحات 64-78 و81). فإذا لم يحدد النص ذلك ، يمكن الرجوع إلى عناصر أخرى لاسيما في ملاحق الاتفاقية أو التقارير المفسرة لها المرفقة بها أو في الأعمال التحضيرية لها. وهو أمر نادرا ما نجده ، وإن وجد فسيكون غير واضح أيضا ويفتح المجال لعدة تفسيرات(Lam, 2004, p. 368).

ثانيا: اقتراحات بعض الدول بإدراج نص في اتفاقيات حقوق الإنسان حول مسألة النفاذ المباشر

اقترحت بعض الدول إدراج نص ضمن الاتفاقية يوضح التطبيق المباشر لنصوصها، كالولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا. حيث قامت بعض المحاكم الأمريكية باعتبار نصوص جد عامة لميثاق الأمم المتحدة متعلقة بحقوق الإنسان ذات تنفيذ مباشر. ومن أجل ألا يشكل ذلك سابقة قضائية لصالح تطبيق اتفاقيات حقوق الإنسان في قانونها الداخلي، قامت جمعية American Bar Association باقتراح حول المفاوضات الأمريكية بصدد المعاهدات المستقبلية، بأن يتم إدراج نص في المعاهدة بموجبه يمكن اعتبارها ذات تنفيذ مباشر وتشكل جزءًا من القانون الداخلي، متى صدر بشأنها نص تشريعي فقط. واقترحت إدراج نص في العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية، بموجبه لا تتمتع كل نصوصه بتطبيق موحد في القانون الداخلي(Lam, 2004, pp. 360-361).

ووفقا لـ O. Schachter، كانت النية الحقيقية للولايات المتحدة الأمريكية دحض الطلبات المؤسسة على العهد في حالة ما إذا دخل حيز النفاذ(Lam, 2004, p. 361). لكن لم يتم إدراج البند لا في العهد ولا في أي اتفاقية لحقوق الإنسان تم اعتمادها لاحقا. ويفسر ذلك برفض غالبية الدول الأعضاء في اتفاقيات حقوق الإنسان إنكارها للتطبيق المباشر. وقد تخلت الولايات المتحدة عن هذه الفكرة، لكنها اعتمدت التحفظ بديلا عنها والذي يلغي كل تطبيق مباشر للمعاهدات (Lam, 2004, p. 361)

مثل هذا الموقف أبدته أيضا الممثلة الألمانية فيما يتعلق بالميثاق الاجتماعي الأوروبي، حيث اقترحت تضمين نصوص الميثاق بندا لا يسمح بمنح حقوق مباشرة للأفراد والمنظمات غير الحكومية والجماعات الخاصة لكنه رفض أيضا.

المطلب الثاني: فحص نية الدولة الطرف في اتفاقية حقوق الإنسان

يتعين على القاضي الرجوع لنية الدولة ذاتها، والمعبر عنها بصفة فردية، لتحديد ما إذا كان النص الاتفاقي ذو تنفيذ مباشر. وهي مسألة بسيطة، إذ يمكن التعرف عليها لتعلقها بنظامها القانوني الداخلي. فإذا عبرت عن هذه النية، فلا يخرج الأمر عن نوعين من التصريحات الفردية:

- يتعلق الأول بوضعيات تتخذها الدولة على المستوى الداخلي دون أن توضح موقفها للدول الأخرى.
- ويرتبط الثاني بتصريحات ترفقها الدولة بتصديقها على المعاهدة المعبرة عن نيتها بعدم التطبيق المباشر لها(Lam, 2004, p. 418).

الفرع الأول: تعبير الدولة الداخلي عن نيتها في استبعاد التطبيق المباشر لاتفاقيات حقوق الإنسان

يمكن أن تتخذ الدولة عدة وضعيات للتعبير عن إرادتها على المستوى الداخلي حول التطبيق المباشر لاتفاقية من عدمه. وتختص بذلك السلطة التأسيسية في الدول التي تعتمد أسس مدرسة الوحدة، والسلطة التشريعية في الدول المنتهجة لأسس مدرسة الثنائية. فإدماج المعاهدة من طرف الدول يدفع منطقيا إلى التفكير في أنها أرادت منحها كامل الأثر في القانون الداخلي، ويكون فرضية حول التطبيق المباشر لها، وفيما يلي بيان ذلك:

أولا: اتجاه نية الدول المعتمدة لأسس مدرسة الوحدة

إذا كان النص الدستوري في الدولة الأحادية واضحا حول مسألة التطبيق المباشر فإن الفرضية السابقة تتأكد، مما يبرز رغبة الدولة في منح الاتفاقيات المدمجة أثرا مباشرا في منظومتها القانونية. فقد عبرت الجزائر في نص المادة 150 من التعديل الدستوري لسنة 2016، عن منحها المعاهدات الدولية المصادق عليها وفقا للشروط الدستورية مكانة أسمى من القانون. وهو ما لا يدع مجالا للشك في التعبير عن نية الوفاء بالالتزامات التي تقررها هذه الاتفاقيات وتطبيقها، وإلا لما منحتها هذه المرتبة في سلم تدرج القواعد القانونية. وقد أكد القضاء الجزائري ذلك في الأمر رقم 06-2000 الصادر عن القسم الاستعجالي لمحكمة غرداية، بإخضاع الإكراه البدني في العقود المدنية والتجارية لنص المادة 407 من قانون الإجراءات المدنية، وإسناده لنص المادة 11 من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية، الذي صادقت عليه الجزائر، والتي تنص على أنه لا يجوز سجن أي إنسان بمجرد عجزه عن الوفاء بالتزام تعاقدي. وقد وضح هذا الأمر تطبيق المعاهدة الدولية استنادا لمبدأ السمو بدل القانون الداخلي (حساني، 2017، صفحة 157).

والموقف ذاته اتخذته المحكمة العليا، حيث استبعدت توقيع الإكراه البدني المنصوص عليه في المادة 597 وما بعدها من قانون الإجراءات الجزائية لمخالفته لأحكام المادة 11 من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية(العليا، 2002)

لكن لا توضح بعض الدول هذه المسألة بدقة، مما يدفع إلى الشك بأن الدولة لم ترد منحها هذا الأثر المباشر. فمثلا تعدّ الولايات المتحدة في نص المادة السادسة من الدستور المعاهدات قانونا أعلى للبلاد تطبيقا لمبادئ مدرسة الوحدة. وتمنح أثرا للمعاهدات الدولية في القانون الداخلي. تظهر هذه الوحدة فقط في علاقة القانون الدولي بالقانون الداخلي(Beurgenthal, 1935, p. 342). لأن المحكمة العليا منحتها مرتبة مساوية للقوانين الفدرالية الصادرة عن السلطة التشريعية، وبذلك تكون قابلة للتنفيذ بذاتها متى كانت لا تحتاج إلى إجراء تشريعي(Beurgenthal, 1935, pp. 341-344). وهنا فقط تتأكد فرضية التطبيق المباشر لها.

ثانيا: اتجاه نية الدول المعتمدة لأسس مدرسة الثنائية

يمكن أن تتكون فرضية حول التطبيق المباشر في الدول الثنائية عند اعتمادها لقانون الإدماج. الفرق الوحيد هنا أن تحقيق هذه الغاية يتم حالة بحالة في قانون الإدماج، بينما يتم دفعة واحدة في الدول الأحادية. لكن يمكن استبعاد هذه الفرضية من خلال تصرف السلطة التنفيذية لأسباب عديدة سواء في الدول الأحادية أو الثنائية، إذ يمكن أن تتعرض السلطة التنفيذية لمسألة التطبيق المباشر للاتفاقية وقت التصديق عليها. حيث قدم المجلس الفدرالي السويسري إلى البرلمان رسالة حول طلب التصديق على الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان. وذكر أن تحديد التطبيق المباشر لهذه الاتفاقية والتمسك بها من طرف الأفراد، دون ضرورة اعتماد إجراءات أخرى يعود للقاضي.

لكن ممارسة المحاكم السويسرية أكدت عدم ارتباطها بمثل هذه المواقف. وعبرت عن ذلك من خلال نفي العلاقة بين سلوك السلطات السياسية والإدارية، وممارسة المحاكم الداخلية في مجال الاتفاقيات الدولية حتى وإن كان له دور في تكوين رأي القاضي(Lam, 2004, p. 421).

يتضح مما تقدم، أنه في مسألة التطبيق المباشر لاتفاقيات حقوق الإنسان تصبح السلطة التنفيذية طرفا وقاضيا في الوقت نفسه. ومن المؤسف إمكانية رجوع القاضي لهذه التصريحات، دون أخذه في الاعتبار لاستبعادها التطبيق المباشر، مما يحد من فعالية اتفاقيات حقوق الإنسان(Lam, 2004, p. 423).

الفرع الثاني: تعبير الدولة عن نيتها على المستوى الدولي لاستبعاد التطبيق المباشر لاتفاقيات حقوق الإنسان

تصدر الدولة على المستوى الدولي أحيانا تصريحات عدم النفاذ المباشر لاتفاقية حقوق الإنسان، لكن ما الطبيعة القانونية لهذه التصريحات وما مدى حجيتها على المحاكم الداخلية؟

لا تقدم الدول على مثل هذا السلوك وقت التصديق على المعاهدة، إلا إذا أرادت عدم تطبيقها(Lam, 2004).

فقد أرفقت الجزائر تصديقها على اتفاقية حقوق الطفل بجملة من الإعلانات التفسيرية تمثلت في:

- تعلق الإعلان الأول بالفقرتين الأولى والثانية من المادة 14، حيث قيدت الجزائر حق الطفل في حرية الفكر والوجدان والدين بما تضمنته المادة الثانية من التعديل الدستوري 2016 والقاضية بأن الإسلام دين الدولة، فضلا عن أن تربية الطفل تتم وفقا لدين أبيه، عملا بنص المادة 62 من قانون الأسرة (رابح، 2016-2017، الصفحات 73-77).

- أما الإعلان الثاني، فقد مس المواد 13-16-17 من الاتفاقية والتي تنص على حرية التعبير وحماية الطفل من كل مساس بشرفه، وتمكينه من الحصول على كافة المعلومات من مختلف المصادر الوطنية والدولية.

حيث أكدت الجزائر في الإعلان التفسيري المتعلق بالمادة 16، أن هذه الحماية يضمنها قانون العقوبات الجزائري، من خلال عمله على حماية القصر، وكل ما يتعلق بتحريض الأحداث على الفسق والدعارة، وهو ما تسعى إليه اتفاقية حقوق الطفل (رابح، 2016-2017).

أما فيما يتعلق بأحكام المادتين 13 و17، فقد أكد الإعلان الجزائري على أن حق الطفل في حرية التعبير والإعلام لا يعد مطلقا، بل مقيدا بالقوانين المتعلقة باحترام الغير والمحافظة على الأمن الوطني والنظام العام. وهو ما

كرسته الجزائر في قانون الإعلام قبل انضمامها إلى اتفاقية حقوق الطفل (رابح ، 2016-2017)

وتجدر الإشارة أن الغاية من هذه الإعلانات ، عدم تطبيق أحكام نصوص الاتفاقية التي شملتها بحذافيرها على المستوى الداخلي للدولة الجزائرية ، بتعبير صريح وواضح لا يدع مجالا للشك ، من خلال تحديد وإيضاح لبعض أحكام الاتفاقية لمخالفتها للمبادئ الأساسية للنظام القانوني الجزائري. ويغلب على هذه الإعلانات التفسيرية تأكيدها أن الالتزامات التي تقبلها الدول بمقتضى الاتفاقيات المعنية ، يجب أن تكون مطابقة في مضمونها وأثرها القانوني للأحكام المرادفة لها في قوانينها الوطنية(الموسى م. ، 2007 ، صفحة 53).

لكن لا نجد مثل هذا الموقف لدى الولايات المتحدة ، حيث صرحت وقت تصديقها على العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية بأن المواد من 1 إلى 27 ذات تنفيذ غير مباشر(Vasquez, 1985, pp. 706-707). والخلفية لهذا التصرف سياسية ، إذ عدت أن مثل هذه المسائل تتطلب تعديلا تشريعيا. ونظرا للتساوي في المرتبة بين القوانين الفدرالية والمعاهدة ، فإن هذه الأخيرة يمكنها تعديل أو إلغاء تلك القوانين الموضوعة من ممثلي الشعب. ولا يمكن أن تعدل إلا بالطريقة نفسها التي وضعت بها. ويتطلب تطبيق تلك المواد من العهد العودة إلى المشرع ، لإصدار قانون يلزم القاضي الأمريكي (Dhommeaux, 1995, p. 411).كما أصدرت تصريحات أخرى متعلقة باتفاقية منع كل أشكال التمييز العنصري ، إلا أنها تعلقت بالاتفاقية ككل(Lam, 2004, p. 426).

أما في ألمانيا فقد كانت اتفاقية حقوق الطفل محل تصريح من السلطة التنفيذية باستبعاد أي تطبيق مباشر لنصوصها. وأرفق هذا التصريح بتصريح انسجام القانون الألماني مع هذه الاتفاقية ، مما يكشف عن سوء نية ألمانيا. فإذا كان القانون الألماني منسجما مع الاتفاقية من يوم التصديق عليها ، فما الداعي لاستبعاد التطبيق المباشر لها(Lam, 2004, pp. 426-427).

أولا: الطبيعة القانونية لتصريحات عدم النفاذ المباشر

لا تشكل هذه التصريحات تحفظات طبقا لاتفاقية فينا لقانون المعاهدات لسنة 1969لأنها لا تتوفر على شروطها. إذ لا تعدل هذه التصريحات أولا تلغي الأثر القانوني لبعض نصوص المعاهدة في تطبيقها من طرف الدولة. واستنادا إلى نص المادة السادسة من الدستور الأمريكي لسنة 1787 ، وتطبيقا لبند السمو الوارد فيها تكون الاتفاقيات ذات تطبيق مباشر. إلا أن وجود مثل هذه التصريحات يلغي رسميا كل تطبيق مباشر لها. وإن كان بعض الفقه في ألمانيا وأمريكا يعدها تحفظات لكنها ليست كذلك ، لأنها متعارضة مع هدف المعاهدة بل مستبعد تطبيقها كليا في بعض الحالات ، وفي حالات أخرى تستبعد النصوص المتعلقة بجوهر المعاهدة.

من جهة أخرى ، لا يمكن عدّها تحفظات لأنها لا تعدل أو تلغي الأثر القانوني للنصوص الدولية. ولا تطرح التصريحات أية مشاكل إلا على المستوى الداخلي فيما يتعلق بعدم النفاذ المباشر للنصوص المدرجة عليها. وفي كل مرة يعبر فيها مجلس النواب عن عدم التطبيق المباشر لنصوص جوهرية في المعاهدة وقت التصديق عليها ، يجعلها في شكل تصريحات لا تحفظات مما يعني وعيه بالفرق بينهما.

ثانيا: حجية تصريحات عدم النفاذ المباشر على المحاكم الداخلية

عدّ جانب من الفقه ، أن تصريحات عدم النفاذ المباشر ملزمة للقاضي حتى ولو لم تكيف على أنها تحفظات. لكن طالما يغيب عنها هذا الوصف فليس لها أي قوة قانونية في القانون الداخلي.

فإذا صدرت هذه التصرفات وتعلقت بتفسير المعاهدة ، فتكيف على أنها رأي قدمته السلطة التنفيذية أو السلطات الإدارية الوطنية ولا تلزم القاضي. فإذا قرر هذا الأخير الأخذ بها ، فإنه يعرض نفسه للرقابة الدولية لغياب الاستقلالية. فالتصريح الألماني بعدم النفاذ المباشر لاتفاقية حقوق الطفل الصادر عن السلطة التنفيذية ، يتعارض مع قانون الإدماج الصادر في 17 فيفري 1992 عن المشرع الألماني. وبهذا تبرز إرادتان: إرادة المشرع في التطبيق المباشر

للاتفاقية وإرادة السلطة التنفيذية في استبعاده، ويتعين هنا منح أولوية لرأي المشرع. الأمر الذي دفع البعض إلى عدّ الحكومة الألمانية معترضة على القانون الأساسي الألماني في مادته 2/59، التي تمنح الاختصاص للمشرع في اعتماد قوانين الإدماج(Lam, 2004, pp. 434-435).

أما في الولايات المتحدة الأمريكية، فلم تمنح للمحكمة العليا الفرصة في تحديد القيمة القانونية لتصريحات عدم النفاذ المباشر لاتفاقيات حقوق الإنسان(Lam, 2004, p. 436).

مما تقدم، توضح دراسة الأساس الذاتي حول نية الدول الأطراف في اتفاقيات حقوق الإنسان ضرورة إلغائه وعدم اعتماده في تحديد التطبيق المباشر لها من عدمه. فإذا كان يستند ببساطة على النية، وهي أمر سهل لكن آثارها السلبية والخطيرة كثيرة مقارنة بهذه الميزة الإيجابية (البساطة). لأنه يحد في حالات كثيرة من فعالية اتفاقيات حقوق الإنسان وعدم تحقيقها للغاية التي أبرمت من أجلها. إذ تظهر التجربة أنه أضحى يشكل وسيلة سياسية للاعتراض على النصوص الاتفاقية لحقوق الإنسان. لذلك يتعين استبعاده والبحث عن أساس آخر موضوعي يضمن فعالية أكثر لاتفاقيات حقوق الإنسان.

المبحث الثاني: الأساس الموضوعي للنفاذ المباشر

يتطلب تفعيل اتفاقيات حقوق الإنسان، البحث عن أساس آخر يسمح أكثر للقاضي الداخلي بتطبيق المعاهدة تطبيقا مباشرا وهو الأساس الموضوعي. ويتعين هنا فحص ما إذا كان النص المثار في النزاع كافيا دقيقا كاملا قادرا على تسوية النزاع حتى يكون ذا تنفيذ مباشر. بحيث يعمل بهذا الأساس على حد السواء في حالة النصوص الداخلية والمعاهدات الدولية المدمجة في القانون الداخلي بالنظر إلى مضمون النص ذاته(الجدار، 2000، صفحة 41).

ولا يعني هذا تطبيق المعاهدة في كل الظروف من خلال هذا الأساس. إذ قد تكون بعض نصوصها في حالات خاصة ذات تنفيذ غير مباشر. لكن مقارنة بالأساس الذاتي، يسعى الأساس الموضوعي إلى التقليل من حالات عدم تطبيق اتفاقيات حقوق الإنسان. حيث دشن آفاقا جديدة على صعيد التطبيق المباشر لها لم تكن متصورة في ظل العمل بالأساس الذاتي، كإمكانية تطبيق الحقوق الاقتصادية، والاجتماعية والثقافية، وإمكانية العمل باتفاقيات حقوق الإنسان في العلاقات القانونية الخاصة، وليس في العلاقات القانونية العامة فقط (الموسى م.، 2010).

لذلك يتعين بداية شرح معنى هذا الأساس وما هي الآثار المترتبة عنه في مطلب أول، ثم نتطرق لكيفية فتحه لآفاق جديدة للتطبيق المباشر لحقوق الإنسان خاصة الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية في مطلب ثاني.

المطلب الأول: مفهوم الأساس الموضوعي والآثار المترتبة عنه

عملا بالأساس الموضوعي يتعين فحص المعاهدة نصا بنص لمعرفة ما إذا كان كل نص على حدة قابلا للتطبيق المباشر. إذ يجب أن تتمتع القواعد الاتفاقية بالدقة والتحديد بما يسمح بتطبيقها المباشر، (Dupuy, 2006, p. 416)،كأي قانون نافذ على إقليم الدولة المعنية دون حاجة هذه الأخيرة لاتخاذ أي إجراء إضافي لإتمام نفاذها الداخلي. ويترتب على تطبيق الأساس الموضوعي عديد من النتائج المهمة لصالح اتفاقيات حقوق الإنسان. وسنوضح بداية معنى الأساس الموضوعي وعناصره في فرع أول، ثم نتطرق في الفرع الثاني إلى الآثار المترتبة عنه.

الفرع الأول: مفهوم الأساس الموضوعي

تطبيقا للأساس الموضوعي، يقوم القاضي بعملية فحص دقيقة للنصوص الاتفاقية كل على حدة، للتأكد من مدى قابليتها للتطبيق المباشر من عدمه. مستعينا في ذلك بمجموعة من العناصر الضرورية التي تساعده في إعمال هذا الأساس. وفيما يلي توضيح لمعناه ولعناصره.

أولا: معنى الأساس الموضوعي

نعني بالأساس الموضوعي استعمال القاضي لسلطته في فحص ما إذا كان النص الاتفاقي لحقوق الإنسان كافيا بحد ذاته من الناحية الموضوعية (Sudre, 2006, p. 195)،دقيقا وكاملا حتى يطبق مباشرة(الجدار، 2000، صفحة 42) دون أن تكون هناك حاجة لاعتماد إجراءات تنفيذ أخرى،وقادرا على ترتيب كل آثاره القانونية، مثل أي قاعدة من قواعد القانون الداخلي. وهو يتعلق بمحتوى القاعدة القانونية

الدولية، بحيث يجب أن تكون واضحة بذاتها في ترتيب الالتزامات والحقوق على عاتق الأفراد وأجهزة الدولة المختلفة، حتى يمكن للقاضي تطبيقها في النزاعات المثارة أمامه.

ومن أمثلة النصوص الاتفاقية المتعلقة بحقوق الإنسان القابلة للتطبيق المباشر استنادا إلى الأساس الموضوعي، بعض نصوص العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية، كنص المادة السابعة منه المتعلقة بتجريم التعذيب، والمادة الثامنة المتعلقة بتحريم الرق والعبودية، والمادة التاسعة المتعلقة بالحق في الحرية والأمان. إذ ترتب هذه النصوص وغيرها التزامات فورية لا برامجية.

وكذلك الأمر بالنسبة للاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان، التي تسعى لحماية الحقوق المدنية والسياسية في الأساس، مما دفع بالقضاء إلى الاعتراف بالأثر المباشر لنصوصها(الموسى م.، 2007، صفحة 82)

أما فيما يتعلق بالنصوص البرامجية أو التوجيهية التي تحتويها اتفاقيات حقوق الإنسان فلا تعد ذات تنفيذ مباشر، لأن نفاذها معلق على اتخاذ إجراءات تشريعية أو إدارية من طرف الدول، وبذلك تفتقد نصوصها للدقة والتحديد. ويتعلق الأمر بالعهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، لكن ليس في كل نصوصه فمنها ما يقبل التطبيق المباشر كالحق في الإضراب والحريات النقابية.

ثانيا: عناصر الأساس الموضوعي

تطبيقا للأساس الموضوعي يأخذ القاضي بعين الاعتبار عوامل عديدة، بدءًا بمضمون النص والهيكلة القانونية الوطنية، من أجل مقارنة مختلف العناصر مع الظروف المحيطة بالقضية المعروضة أمامه (الموسى م.، 2010) ،وفي ما يلي تفصيل ذلك:

1- مضمون النص

يشكل مضمون النص الاتفاقي عاملا محددا لمعرفة ما إذا كان دقيقا وكافيا لتطبيقه المباشر، بحيث يحدد القاضي دقة النص من عدمه. فإذا وجده قادرا على ترتيب آثاره عدّه ذا تنفيذ مباشر، وإن لم تكن له تلك الصفة حكم بعدم نفاذه(N, 2006, p. 137).لكن لا يمكن القول إن النص الواسع غير قابل لأن يكون ذات تنفيذ مباشر.

من جهة أخرى، يمكن أن يضع النص الاتفاقي شرطا يعلق نفاذه عليه بعبارات تدل على ذلك. وفي مثل هذه الحالة، لا يمكن أن يطبق من طرف القاضي. وهو ما أضافته محكمة عدل الجماعات الأوروبية بألا تكون القاعدة الجماعية مشروطة، أي ألا يتوقف نفاذها في النظام القانوني الداخلي على عمل قانوني آخر سواء كان مصدره القانون الجماعي، أو القانون الداخلي (حجازة، 2005، صفحة 76)

ولا يجب فهم عدم شرطية النص، أنه لا يمكن تطبيق إلا النصوص القاطعة التي لا تضع أي شرط كان، وهو ما أغلفت المحكمة الإشارة إليه. إنما قضت ألا يكون النص متوقفا على أي تدخل من جانب أي جهاز تابع للجماعات الأوروبية، أو تابعا لأي من دولها الأعضاء أو لكليهما. وأكدت على أن النص المشروط، هو الذي يترك للدول سلطة تنظيم الحق الممنوح للأفراد أو خصائصه الجوهرية، أو شروط ممارسته الأساسية. وليس من شأن الاحتفاظ باختصاص الدول فيما يتعلق بتطبيق قانون من زاوية إجرائية فقط أن يعطل الأثر المباشر للنص (حجازة، 2005، الصفحات 80-81)

كما أن بعض النصوص الاتفاقية تتوقف عند استنكار سلوك فرد انتهك حقوق الإنسان، دون النص على العقوبة الجزائية الملائمة. مما يدل على أن اختصاص الجزاء العقابي للفرد متوقف على سيادة الدولة. كالمادة الخامسة من اتفاقية منع الإبادة التي تنص على تعهد الدول الأطراف توافقا مع نصوصها الدستورية، باتخاذ الإجراءات التشريعية الضرورية، لضمان تطبيق نصوص هذه الاتفاقية. ولا يمكن تكييف النصوص السابقة على أنها ذات تنفيذ مباشر، لأنها تفرض على الدول اعتماد الجزاءات العقابية(Lam, 2004, p. 441).

2- الهيكلة القانونية الوطنية

تتوقف قابلية النص الاتفاقي للتطبيق المباشر على البناء القانوني الداخلي للدولة. إذ لم ينشأ هذا النص من العدم، وتطبيقه متوقف على نصوص أخرى، دون ضرورة انتظار تكملتها بإجراءات تنفيذية بحيث تتداخل النصوص القانونية. فإذا اعتمد أحدها على آخر معناه تطبيق الأول ضمن إطار قانوني يضع في حسابه تلك النصوص السابقة

عليه. ويتعلق نفاذ النصوص الدولية الاتفاقية على البناء المادي والشكلي للقانون الداخلي.

فإذا احتوى النص الاتفاقي على تجريم فعل ينتهك حقوق الإنسان ، فيجب أن يكون له صدى في القانون الجنائي الداخلي ضمن الجزاءات العقابية المنصوص عليها صراحة في القانون. ومن المنطقي إذن ، ألا تتضمن اتفاقيات حقوق الإنسان كل النصوص المادية الضرورية من أجل تطبيقها. وأن ترتكز فعاليتها في جزء كبير منها على البناء القانوني الداخلي لكل دولة طرف(Lam, 2004, p. 442).

كما يتوقف التطبيق المباشر أيضا للنص الاتفاقي ، على القانون الداخلي الشكلي الذي ينظم إجراءات المحاكم الداخلية واختصاصاتها. فمن أجل تطبيق نص مادي لحق إنسان ، من الضروري وجود قضاء مختص بتطبيق هذا الحق من أجل منحه كل الأثر. فإذا احتج أحد ما بنص اتفاقي معارض لقواعد مسبقة في القانون الداخلي ، فلا يمكن أن يكون هذا النص ذو تنفيذ مباشر.

لكن لا يعني عدم التمتع بهذا الحق مطلقا ، وإنما يجب فهم أنه لا يوجد قضاء داخلي يمكنه احترام هذا الحق المعترف به في الاتفاقية. إذ يتعين من أجل نفاذه المباشر ، انتظار خلق المشرع الوطني لجهاز مختص ، أي اتخاذ إجراءات للتنفيذ.

ومن جهة أخرى يتعين النظر إلى المكانة المعيارية للنص الاتفاقي في القانون الداخلي والقيمة القانونية التي يمنحها المشرع الوطني له (المسماري ، 2008، صفحة 81).فإذا كان يحتل مرتبة أسمى من التشريع الداخلي ، أمكن تفادي خطر استبعاده. أما إن احتل مرتبة دنيا ،فلا يمكن أن يكون ذا تنفيذ مباشر. ويتعين هنا إما إلغاء النص الداخلي المتعارض أو تعديله.

3-الظروف المحيطة بالقضية المعروضة على القاضي

يتوقف التطبيق المباشر لنص دولي على عناصر متغيرة كملابسات الموضوع ، إذ لا يمكن للقاضي استبعادها أو تجريد المسألة منها. كحالة أطراف الدعوى ، والنتيجة التي يرجوها كل طرف ، وسعة اختصاص القاضي الداخلي مقارنة بطلباتهم. ويمكن لمثل هذه العناصر الحد من التطبيق المباشر لاتفاقيات حقوق الإنسان. إذ يحتمل أن يقبل نص ما التطبيق المباشر في حالات ، وفي حالات أخرى لا يمكنه ترتيب هذا الأثر ، لاختلاف الظروف المحيطة بكل مسألة على حدة. فإذا حكم القاضي بالنفاذ المباشر لنص اتفاقي ، يتعين عليه بحث كل العناصر السابق تعدادها (النص ذاته ، الهيكلة القانونية الوطنية ، الظروف المتعلقة بكل مسألة)، لأنها مؤشرات مهمة من أجل بناء تصوره حول النص.

الفرع الثاني: الآثار المترتبة على اعتماد الأساس الموضوعي

يرتب اعتماد الأساس الموضوعي آثارا مهمة ، يمكن أن تحبط من عزيمة القاضي في الأخذ به نظرا لتعقيدها مقارنة ببساطة الأساس الذاتي. ومن هذه الآثار نذكر:

1- دقة الأساس الموضوعي

تستبعد بعض الأحكام الاتفاقيات دون أن يتم فحص النص المتمسك به من طرف الفرد. لكن عملا بالأساس الموضوعي لا محل لمثل هذا الفرض ، لأن ضرورة أن يكون النص دقيقا كافيا بحد ذاته ، يمنع من تعميم هذه الصفة على المعاهدة كلها. الأمر الذي يدفع بالقاضي إلى فحص المعاهدة نصا بنص ، ليس فقط محتوى النص المتمسك به ، وإنما أيضا محتوى القانون الداخلي ، وظروف النزاع ، من أجل التوصل إلى التطبيق المباشر للنص المثار من عدمه(Lam, 2004, pp. 443-444).

فإذا كان الأساس الموضوعي ، يضع حدا للصورة العامة للمعاهدة في مجملها ، واعتبارها ذات تنفيذ مباشر ، إلا أنه يفرض في المقابل احتمال ألا تكون المعاهدة كلها ذات تنفيذ مباشر. فإذا قلنا أن الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان ذات تنفيذ مباشر ، فهذا استنادا إلى الأساس الذاتي. أما إذا طبقنا الأساس الموضوعي ، فيعني النظر إلى كل نص على حدة وإلى ظروف النزاع ، وكلها مؤشرات يمكن أن تدفع بالقاضي إلى عدم تطبيقها(Lam, 2004, p. 444). من هنا ، لا يمكن القول إنها ليست ذات تنفيذ مباشر ، وكذلك لا يمكن عدّها دائما ذات تنفيذ مباشر. إلا أن اعتماد الأساس الموضوعي يمنح الاتفاقية الأوروبية أساسا خاصا ملائما للتطبيق المباشر ، ومن النادر الحكم بعكس ذلك.

2- إمكانية قيام مسؤولية القاضي الداخلي

يمكن أن يؤدي اعتماد الأساس الموضوعي، وتحديد مدى قابلية النص الاتفاقي للتطبيق المباشر إلى قيام مسؤولية كل قاضي داخلي، متى كان الحكم الصادر من قبله فريدا. ويمكن التخفيف من حدة هذه المسؤولية استنادا إلى العوامل المشار إليها مسبقا (النص ذاته، الهيكلة القانونية الداخلية، ظروف النزاع) في تقرير حكمه. أي أن هذا الأخير لم يأت وليد الصدفة، وإنما كان نتاج عديد من الفواعل لا يمكنه استبعادها. كما له صلاحية الرجوع لأحكام سابقة من تشابه الظروف، لاسيما قضاء دولته وقضاء المحاكم العليا، بل وحتى قضاء الدول الأخرى متى تقاربت الأوضاع(Lam, 2004, pp. 445-446).

وفي حالة اتفاقيات حقوق الإنسان، يتعين على القاضي اعتماد القواعد نفسها المتبعة عند تطبيقه للحقوق المكرسة في الدستور، حيث لا يعترض على التطبيق المباشر لها، لأنه يطبقها عفويا حتى ولو لاحظ افتقارها لأحد العناصر الضرورية(Lam, 2004, p. 446).

وتجدر الإشارة في الأخير، إلى حاجة تطبيق الأساس الموضوعي بحسن نية وبموضوعية. لأنه يمكن أن يتجه القضاة الداخليين آليا دون فحص لكل حالة على حدة إلى عدّ النص الاتفاقي غير كاف وغير دقيق ليكون ذا تنفيذ مباشر.

المطلب الثاني: آفاق جديدة للتطبيق المباشر لاتفاقيات حقوق الإنسان في ضوء الأساس الموضوعي

جرت أحكام القضاء على استبعاد التطبيق المباشر لبعض النصوص الاتفاقية بحجة عدم توفرها على شروطه. في حين أن العمل وفقا للأساس الموضوعي يؤدي إلى منحها هذا الأثر. ويطرح التساؤل عن مدى إمكانية استفادة اتفاقيات الحقوق الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية من التطبيق المباشر؟ وما الداعي إلى الرفض الدائم لهذا التطبيق كلما تعلق الأمر بهذا النوع من المواثيق؟

لقد فتح الأساس الموضوعي آفاقا جديدة حول إمكانية تطبيق الحقوق الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية على المستوى الداخلي (الموسى م.، 2010).وتجدر الإشارة إلى أن عديد الأحكام القضائية، منحت أثرا مباشرا لحقوق اقتصادية واجتماعية وثقافية، مع أنها تتعلق بنصوص دستورية وليس اتفاقية. لأن الحجج المرتبطة بالموارد المتاحة، والصفة البرامجية ليست محددة لتقرير التطبيق المباشر لنص، وفقا لما أكدته ممارسة بعض المحاكم الداخلية التي لم تجد أي صعوبة تذكر في التطبيق المباشر للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، والثقافية(Lam, 2004, p. 484). وسنوضح الحجج الرافضة للتطبيق المباشر لهذه الحقوق بداية في فرع أول، ثم نعرض لأمثلة تطبيقية مؤكدة للتطبيق المباشر لها على ضوء الأساس الموضوعي.

الفرع الأول: إنكار التطبيق المباشر للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، والثقافية

جرى التقليد على رفض التطبيق المباشر للحقوق الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية من طرف القضاة الداخليين مستندين في ذلك على طبيعة هذه الحقوق بحد ذاتها وليس على أصلها الدولي ولا نية الدول الأطراف لعدة أسباب منها:

أولا: عدم انتماء الحقوق الاقتصادية، والاجتماعية والثقافية إلى فئة الحقوق

يدخل هذا النوع من الحقوق في مجال المبادئ المرغوب فيها، وهي جزء من حقوق الإنسان الغامضة، بل لا تنتمي أصلا إلى حقل الحقوق لأنها مجرد مبادئ وقيم.

ثانيا: الصفة البرامجية للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية

اتجه الفقه إلى عدّ الحقوق الاقتصادية، والاجتماعية والثقافية ذات صفة برامجية مقارنة بالحقوق المدنية والسياسية، فحتى وإن تعلقت بحقوق للأفراد والتزامات على عاتق الدول، فلا يمكن تطبيقها، لأنها مجرد أهداف يراد الوصول إليها في عدة مجالات، فهي تتميز بالصفة التدرجية لا الفورية.

ثالثا: تفرض الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التزامات ايجابية على عاتق الدول الأطراف

رفض بعض الفقه صفة التطبيق المباشر للاتفاقيات المتضمنة حقوقا اقتصادية، واجتماعية، وثقافية، استنادا للتفرقة بين الالتزامات الايجابية والسلبية للدول. فعلى عكس الالتزامات السلبية التي تطبق مباشرة، فإن التزام الدول

الإيجابية في القيام بتصرف ما ، لا يمكن أن يكون محل تنفيذ مباشر إلا بتدخل المشرع. وتدخل حماية الحقوق الاقتصادية والاجتماعية ، والثقافية ضمن الالتزامات الإيجابية ، لذا فهي ليست محل تطبيق مباشر أمام القاضي الداخلي.

رابعا: تطبيق الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية مقيد بموارد الدول الأطراف

وهو ما نصت عليه الفقرة الأولى من المادة الثانية من العهد الدولي للحقوق الاقتصادية ، والاجتماعية ، والثقافية ، من خلال التزام الدول الأطراف في العهد بتطبيق الحقوق المعترف بها في العهد الحالي وفقا لمواردها المتاحة وبوسائلها الخاصة.

الفرع الثاني: دعوة للتطبيق المباشر لاتفاقيات الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية

دافع فقه آخر عن فكرة التطبيق المباشر للحقوق الاقتصادية ، والاجتماعية ، والثقافية المعترف بها في الاتفاقيات. آخذا بعين الاعتبار تعدد أوجه هذه الحقوق لأن طبيعتها ليست واحدة ، الأمر الذي يفرض على القاضي الداخلي ضرورة دراستها حالة بحالة. حيث صنفت هذه الحقوق من ناحية آثارها القانونية ، بين تلك التي تؤسس لحق ذاتي بالإعانة الاجتماعية لفائدة الأفراد ، وتلك التي تفرض على المشرع الوطني أو الدولة اتخاذ بعض الإجراءات لتنفيذ الحقوق ، وتلك التي تفرض على القاضي رفض تطبيق نص يتعارض مع آخر مرتبط بحق اجتماعي معين. وقد عدّت لجنة الحقوق الاقتصادية ، والاجتماعية ، والثقافية في توصيتها رقم 12 المتعلقة بحق التغذية الكافية ، أنه حق مثله مثل باقي حقوق الإنسان ، يفرض على الدول الأطراف ثلاث مستويات من الالتزامات: التزام احترام ، وحماية هذا الحق ، ومنحه أثرا(Lam, 2004, p. 485).

كما يمكن للقاضي اعتماد عديد من الوسائل للسماح بتطبيق مثل هذه الحقوق مباشرة كاللجوء إلى التفسير الديناميكي للحقوق ، والنظر في مضمونها وارتباطها ببعضها البعض ، فضلا عن إعادة تحديد التزامات الدولة من خلال اتخاذ إجراءات إيجابية متعلقة بجوهر الحق أو الإجراءات من أجل ضمان ممارسة فعالة للحق المضمون من طرف الاتفاقية (Sudre, 2003, pp. 759-764). وعملا بهذه الوسائل ، يمكن أن تفهم بعض الحقوق الاجتماعية في ظل حقوق أخرى ذات تنفيذ مباشر. فقد أقرت المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان أن حماية الصحة يندرج ضمن حقل الحياة الخاصة والعائلية ، ولا يمكن للقاضي إلا تقبل حق المعاق في المساعدة الاجتماعية والمشاركة في المجتمع وفقا لنص المادة 15 من الميثاق الاجتماعي الأوروبي ، المتضمن لحق الحياة الخاصة المحمي بدوره بموجب المادة الثامنة من الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان.

وليست هذه الوسائل وحدها الممكنة ، لكنها تمنح فكرة عن أن الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية يمكن أن تكون لها آثار مختلفة في القانون الداخلي كغيرها من حقوق الإنسان مما يجعل إمكانية تطبيقها المباشر قائمة ، ومن أمثلتها:

أولا: إمكانية التطبيق المباشر للحرية النقابية

تعد الحرية النقابية امتدادا لحرية التجمع ، وكانت محل تطبيق مباشر في قضاء ثابت لعديد من الدول. ففي بلجيكا ، طبق نص المادة الثامنة من العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، ونص المادة الخامسة من الميثاق الاجتماعي الأوروبي ، المتعلقان بالحرية النقابية ، تطبيقا مباشرا بطريقة ضمنية من طرف محكمة تحكيم في قرارها رقم 93/62 الصادر بتاريخ 15 جويلية 1993. واستثنت المحكمة الفدرالية السويسرية الحرية النقابية بالتطبيق المباشر ، من بين نصوص العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. ليستفيد أيضا هذا الحق في اسبانيا بحماية دستورية ، حيث شكل جزءًا من الحقوق الأساسية والحريات العامة. وهو ذو تنفيذ مباشر من القاضي الإسباني(Lam, 2004, p. 487). ولقد امتازت الحرية النقابية بالتطبيق المباشر ، لارتباطها بحق اجتماعي وعلاقته بالعمل ، ولكونها أيضا حقا مدنيا وسياسيا فهي أحد مظاهر حرية التجمع.

ثانيا: إمكانية التطبيق المباشر للحق في السكن

لا يتصور أن يكون لحق السكن أثر مباشر. فهو ليس من الحقوق الذاتية وتحقيقه متوقف على موارد الدولة. ومع ذلك ، فقد طبق مباشرة من طرف القضاة بتقنيات مختلفة.

ففي فرنسا ، قبل قضاة الموضوع فكرة التطبيق المباشر لحق السكن المنصوص عليه في المادة 11 من العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. بصدد قضية تعلقت بجماعة تفتقر للمأوى في مدينة باريس ، أين طالبت هذه الأخيرة أمام قاضي الدرجة الأولى بطرد 23 عائلة دون مأوى احتلت عقارات تعود للمدينة دون رضاها. حكم القاضي بمنح أجل شهرين لهذه العائلات للخروج من العقار. إلا أن محكمة استئناف باريس ، قررت منح أجل إضافي يقدر بستة أشهر مستندة في ذلك إلى الحق في سكن ملائم طبقا للنص المادة 11 من العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. فإن كانت غير مختصة بإيجاد حل ، لكن يمكنها منح أجل إضافي للمدعى عليهم ، ودعت السلطات المحلية والجهوية والوطنية لإيجاد حل خلال هذا الوقت.

طعنت مدينة باريس بالنقض في هذا القرار ، لكن محكمة النقض أكدت القرار السابق للأسباب نفسها المقدمة من محكمة الاستئناف(Lam, 2004, p. 497)

خاتمة

شكل الأساس الذاتي القائم على نية الدول الأطراف في المعاهدة عائقا أمام التطبيق المباشر لاتفاقيات حقوق الإنسان ، الأمر الذي دعا إلى ضرورة رفضه واعتماد أساس آخر موضوعي ، يقوم على دقة النص ومدى كفايته لترتيب آثاره. إذ فتح هذا الاساس أفقا جديدة للتنفيذ المباشر لاتفاقيات حقوق الإنسان.

ومن خلال دراستنا لأسس النفاذ المباشر لاتفاقيات حقوق الإنسان توصلنا إلى النتائج التالية:

1- يقوم الأساس الذاتي على نية الدول الأطراف في اتفاقيات حقوق الإنسان ، والتي لا يعبر عنها بصراحة ، مما يصعب مهمة القاضي في الكشف عنها.

2- رفض الدول اقتراح تضمين اتفاقيات حقوق الإنسان نصوصا حول نفاذها المباشر.

3- يحد الأساس الذاتي من فعالية اتفاقيات حقوق الإنسان رغم بساطته ، من أجل ذلك تم اللجوء إلى تطبيق الأساس الموضوعي.

4- يقوم الأساس الموضوعي على مدى دقة وكفاية النص الاتفاقي بذاته دون حاجة إلى اعتماد إجراءات أخرى.

5- عملا بالأساس الموضوعي ، يأخذ القاضي في الحسبان عوامل عديدة كمضمون النص ، والهيكلة القانونية الوطنية ، والظروف المحيطة بالقضية لتقرير حكمه حول النفاذ المباشر للنص من عدمه.

6- تطبيقا للأساس الموضوعي ، يتم فحص المعاهدة نصا بنص والتأكد من مدى قابليتها للنفاذ المباشر من عدمها.

7- يسعى الأساس الموضوعي إلى التقليل من حالات عدم تطبيق اتفاقيات حقوق الإنسان ، حيث دشن آفاقا جديدة على صعيد التطبيق المباشر لها لم تكن متصورة في ظل العمل بالأساس الذاتي ، كإمكانية تطبيق الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وتدعيما للنفاذ المباشر للنص الاتفاقي اقترح الفقيهان EricClaes وArneVandaele على القضاة أربع موجهات تتمثل في:

1- تحديد النواة الصلبة للنص الاتفاقي وهي جوهر الحق الذي من دونه يفقد الحق معناه. وتشكل أول التزام يجب أن تعترف له السلطات العامة بالأثر المباشر.

2- التوفيق بين النص الاتفاقي وقواعد القانون الداخلي في النزاع المعروض أمامه.

3- إدخال النص الاتفاقي ضمن البناء الواقعي للنظام الداخلي المحيط به وإجراء المقارنة بين القواعد لاسيما إن كان احترام حق يؤدي إلى انتهاك آخر. مع القيام بالموازنة وتحديد الأولويات بين المصالح العامة والخاصة(Vandael, 2001, p. 470).

قائمة المراجع

أولا: باللغة العربية

الكتب

1. أبو حجازة ، عرفات أشرف ، (2005)، مبدأ قابلية القانون الجماعي للتطبيق الفوري والمباشر وأولويته على القانون الوطني للدول الأعضاء. دار النهضة العربية.
2. المسماري ، بوزيد ، (2008)، دور القضاء الوطني في تطبيق وتفسير المعاهدات الدولية. دار الفكر الجامعي.
3. الجدار ، سعيد ، (2000)، تطبيق القانون الدولي أمام المحاكم المصرية ، دار المطبوعات الجامعية ، الإسكندرية.
4. علوان ، مُحَمَّد يوسف ، الموسى ، مُحَمَّد خليل. (2007). القانون الدولي لحقوق الإنسان (المجلد الجزء الأول الحقوق المحمية)، دار الثقافة ، عمان.

المقالات

1. حساني ، خالد ، (2017)،" نفاذ المعاهدات الدولية في النظام القانوني الجزائري" ، مجلة القانون الدستوري والمؤسسات السياسية ، 1(1).
2. الموسى ، مُحَمَّد خليل ، (2010)،" الأثر المباشر لاتفاقيات حقوق الإنسان في النظم القانونية الوطنية" ،دراسة ناقدة. مجلة الحقوق ، 34(3).

الرسائل الجامعية

رابح ، سعاد ، (2016-2017)،"الجزائر والقانون الدولي لحقوق الإنسان" ، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم تخصص قانون عام ، كلية الحقوق والعلوم السياسية ، جامعة أبوبكر بلقايد ، تلمسان ، الجزائر.

القرارات القضائية:

المحكمة العليا. (11 12 ، 2002). الغرفة المدنية ، قضية ي.ب ضد ح.ب ، ملف رقم 288587.

المواقع الإلكترونية

عجيل ، طارق كاظم ، (بلا تاريخ)، إدماج النصوص الدولية في القوانين الداخلية ، دراسة مقارنة. تاريخ الاسترداد 14 05 ، 2015 ،

boudidi.blogspot.com/2012/02/blog-post-28

ثانيا: باللغة الأجنبية

الكتب

1. Dupuy, Pierr-Marie , (2006) , Droit international public. Dalloz.
2. Lam , Claudia Sciotti , (2004), L'applicabilittédes traites internationaux relatif aux droit de l'homme en droit interne.Bruyant.
3. N, Ferdinandusse. Ward, (2006), Direct Application of International Law in National Courts. The Netherlands and the auuthor: T.M.C Asser Press.
4. Sudre , Frederic ,((2006 , Droit international des droit de l'homme. France: Presses universitaires de France.

المقالات

1. Beurgenthal , Tomas , (1935) , "Self Executing and Non Self Executing Treaties in National and International Law" ,R.C.A.D.I ,(40).
2. Claes , Eric et Vandael , Arne , (2001) " L'effet direct des traites internationaux.Une analyse en droit positif et endroit positif et enthéorie du droit axée sur les droits de l'homme." R.B.D.I.
3. Sudre , Frederic , (2003)," La protection des droits sociaux par la cour européenne des doits de l'homme:Un exercice de jurispridence fiction? " , Rev.trim.dr.h .
4. Vasquez , Carlos Manuuel , (1985)," The Four Doctrines of Self-Executing Treaties", A.J.I.L, 4)89).

القرارات الدولية

Tribunaux de Dantzig, C. (s.d.). Avis consultatif du 3 mars 1928,Série B n15.

أسماء الإله في اليهودية والمسيحية

Names of God in judaism and christianity

تاريخ الإرسال: 06-09-2019 تاريخ القبول: 18-11-2020

فطوم موقاري*، د. ليليا شنتوح: جامعة الجزائر1- بن يوسف بن خدة- كلية العلوم الإسلامية، عضوة بمشروع بحث: العائر الإسلامية في الجزائر وأبعادها العقدية والجمالية: العهد المرابطي والتوحيدي والعثماني أنموذجا، مخبر: مناهج البحث في العلوم الإسلامية ومقاصدها ومسالك تقويمها، عمار جيدل
f.mougari@univ-alger.dz

الملخص

مما لا شك فيه أن كل ديانة تطمح لتقرير وجود الإله وكل القضايا المتعلقة به من أسماء وصفات ، وإن المتمعن لأسماء الله في الكتب المقدسة التناخ والأناجيل المسيحية يكتشف العدد الكبير لأسماء الله مثل: إلوهيم إيل ، عليون ، شداي يهوه.. وغيرها كثير ، وقد حاول بعض فلاسفة الفكر اليهودي والمسيحي مثل فيلون السكندري وكلمنت السكندري والفيلسوف وعالم اللاهوت المسيحي أوريجينشرح هذه الأسماء وتأويلها وفق منهج توفيقي بين الدين والفلسفة. ومن هنا نروم من خلال هذا البحث الكشف عن معان أسماء الإله في الكتب المقدسة للديانة اليهودية والمسيحية ، من خلال عرض أسماء الإله الواردة في الديانتين اليهودية والمسيحية ومقاربتها مع آراء بعض فلاسفة ورواد الفكر اليهودي والمسيحي.

الكلمات المفاتيح: أسماء الإله ؛ الكتب المقدّسة ؛ التأويل ، المدرسة الاسكندرية ، الفلسفة اليونانية

Résumé

Il ne fait aucun doute que chaque religion aspire à déterminer l'existence de Dieu et toutes les questions qui lui sont liées, y compris les noms et les attributs, et une personne qui examine les noms de Dieu dans les livres saints, le Tanakh et les évangiles chrétiens, découvre un grand nombre de noms de Dieu, tels que : Elohim El, Elion, les afflictions de Jéhovah ... et bien d'autres. Certains philosophes de la pensée juive et chrétienne, tels que Philon d'Alexandrie, Clément d'Alexandrie, philosophe et théologien chrétien, Origène, ont tenté d'expliquer ces noms et de les interpréter selon une approche de compromis entre religion et philosophie. Par conséquent, à travers cette recherche, nous visons à analyser les significations des noms de Dieu dans les livres sacrés du judaïsme et du christianisme, en présentant les noms de Dieu contenus dans le judaïsme et le christianisme et en les comparant avec les vues de certains philosophes et pionniers de la pensée juive et chrétienne

Mots-clés : *Les noms de la divinité, Les livres sacrés, herméneutique, l'école d'Alexandrie, philosophie grecque*

Abstract

There is no doubt that every religion aspires to determine the existence of God and all the issues related to him, including names and attributes. A person who examines the names of God in the holy books, the Tanakh and the Christian Gospels, discovers the great number of the names of God, such as: Elohim El, Elion, Jehovah's affliction, and many others. Some philosophers of Jewish and Christian thought, such as Philon of Alexandria Clement of Alexandria tried to explain these names and interpret them according to a compromise approach between religion and philosophy. Hence, through this research, we aim to reveal the meanings of the names of God in the sacred books of Judaism and Christianity, by presenting the names of God contained in the Judaism and Christianity and comparing them with the views of some philosophers and pioneers of the Jewish and Christian thought.

Keywords: *The names of the deity, The Holy Books, Hermeneutics, the Alexandria School, Greek philosophy.*

* المؤلف المراسل

مقدمة

إن المتمعن لأسماء الإله في الكتب المقدسة التناخ والأناجيل المسيحية يكتشف العدد الكبير منها مثل: إلوهيم إيل ، عليون ، شداي يهوه...وغيرها كثير ، وقد حاول بعض فلاسفة الفكر اليهودي والمسيحي مثل فيلون السكندري وكلمنت السكندري والفيلسوف وعالم اللاهوت المسيحي أوريجين وأغسطين وغيرهم تأويلها وفق منهج توفيقي بين الدين والفلسفة. لينتقل هذا الإشكال حتى لبعض مفكري الغرب الحديث والمعاصر. وهنا نطرح مجموعة من الأسئلة هي: ما هي أسماء الإله الواردة في الكتب المقدّسة؟ وماهي تفسيراتها في القواميس العبرية المسيحية؟ ثم كيف تعامل فلاسفة ومتكلمي الديانتين مع هذه النصوص المقدّسة؟

وعليه فسنتطرق أولا لأسماء الإله في اليهودية والمسيحية وبيان معانيها ، ثم نتناول أسماء الإله عند بعض فلاسفة الفكر الديني اليهودي والمسيحي ، وبعض المدارس التأويلية كمدرسة اللاهوت الاسكندرية والمدرسة السكولاستيكية. ونختم الموضوع بخاتمة نبرز فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها.

أولا: أسماء الإله في اليهودية

كثير من أسماء الإله في التناخ هي أعلام على الذات والمناظرة لصفاته العليا ، وقد ساقنا تتبع أسماء الإله في التناخ إلى اكتشاف عدد متنوع منها: يهوه ، إلوهيم ، إل ، أدوناي ، شداي ،Ẓeba’ot ، Ehyeh-Asher-Ehyeh ، ويمكن تفصيلها فيما يلي:

1- يهوهYHWH (الرب)

وهو من أكثر الأسماء المميزة لبني إسرائيل ، حيث ورد أول مرة في سفر الخروج الإصحاح الثالث جاء فيه:"هكذا تقول لبني إسرائيل: يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلني إليكم. هذا اسمي إلى الأبد وهذا ذكري إلى دور فدور" (سفر الخروج 3: 15) ، "وقد ترجم اسم يهوه من اللغة العبرية إلى اللغة العربية بكلمة الرب ، ذكر في العهد القديم بصيغة الجمع مثل اسم (إيلوهيم). "وقد ورد اللفظ أكثر من 6000 مرة" (Byrne, 2011, p. 22) ، وقد حددته الموسوعة اليهودية بـ 6823 مرة (Singer, 1905, p. 160) ، غير أن "النطق الأصلي غير مؤكد حيث أن هذا قد ضاع من التقليد اليهودي في وقت ما في العصور الوسطى" (Freedman, 1979, p. 5).

"عندما ترجم الشعب اليهودي الكتب المقدسة العبرية لليونانية ، استبدلوا يهوه دائما بـ كيريوس اليوناني ، وهو ما يعني الرب" (Kerper, january/ february 2001, p. 7). أما بالنسبة لتفسير اللفظة بين اليهود أنفسهم فقد وقعت بينهم اختلافات عديدة فمنهم فسر هذا الاسم على أساس فلسفي ميتافيزيقي نتيجة تأثرهم بعصر الأنوار والتنوير والدراسات التاريخية خصوصا في نهاية القرن الثامن عشر ومعظم القرن التاسع عشر. فنجد على سبيل المثال موسى مندلسون Moses Mendelssohn يترجم كلمة يهوه إلى 'الأزلي' ، في حين أشار نحمان كروكمال Nahman Krochmal إلى الإله على أنه 'الروح المطلق'. وبتأثير الكبالاه ترجم مارتن بوبر كلمة يهوه إلى 'أنت' ، أو'هو'" (المسيري ، 1999 ، صفحة 69). لقد كان الغنوصيون ينظرون ليهوه (إله العهد القديم) نظرة تختلف عن إله العهد الجديد ، حيث "يهوه هو الإله الصانع الشرير ،الذي خلق هذا العالم الفاسد وهذا الزمان الرديء وسجن البشر فيه وفرض عليهم قوانين جائرة لا يستطيعون تنفيذها ، على عكس إله العهد الجديد الإله الخيّر الذي يضحي بنفسه من أجل البشر" (المسيري ، 1999 ، صفحة 70).

2- إيلوهيم Elohim

" إلوهيم وهو أكثر الأسماء استخداما في العهد القديم ، ويظهر الاسم " إلوهيم" في سفر التكوين وحده حوالي مائتي مرة ، وهو اسم من أصل كنعاني ، جاء بصيغة الجمع المذكر الدال على المفرد ، حيث أن "اللاحقة يم**IM** في كلمة إلوهيم هي للجمع التوقيري فإلوهيم = إلوه و يم" (الجوهري ، دت ، صفحة 79) لا يدل على التعددية والكثرة بل على المفرد المعظم أي الوحدانية ، وقد "وردت لفظة إيلوهيم 2570 مرة في الكتاب المقدس" (Byrne ، 2011 ، صفحة 27)، والمفرد من اسم إيلوهيم هو**El** أو(eloah). تمت ترجمته للعربية باسم الإله ، يأتي بمعنى الإله ، الرب ، المولى ، الخالق.

وقد ذكر فريدمان freedman أن هذا الاسم استخدم حتى القرن العاشر بصيغة الجمع من أجل الآلهة ، ولكن من منتصف القرن العاشر فصاعدا كان استخدامه السائد بمثابة تسمية الإله-المفرد-" (Freedman ، 1979 ، صفحة 55).

والملحوظ كذلك أنه اختلف في تحديد معنى جذر كلمة إلوهيم، وحسبهم الرأي الأكثر ترجيحا أن يكون "متصلا بالفعل العربي القديم alih، إلواه، إلوهيم، إذا سيكون: هو الذي يلجأ إليه من يخاف، غلبة هذا الاسم في الكتابات اللاحقة مقارنة بالاسم القومي العبري الأكثر تميزا يهوه، ربما كانت بسبب توسيع فكرة الإله باعتباره الرب المتسامي والعالمي" (Jacobs, 1995, p. 161). "وصفات الإله 'إلوهيم' مختلفة عن صفات يهوه، فإلوهيم رحيم يراعي في أعماله القواعد الأخلاقية، وهو خالق السموات والأرض " (المسيري، 1999، صفحة 70) . ()

نطق الاسم عند اليهود

على الرغم من أنه لا يوجد في التوراة ما يمنع نطق الاسم كما هو، "غير أن اليهود المتدينون لا ينطقونه لأنه يعتبر مقدسا جدا لاستخدامه في الصلاة وقراءة النصوص المقدسة" لمزيد من التوضيح انظر (Jacobs، 1995، الصفحات 544-547)، حسبهم أنه أقدس من أن يذكر على لسان بشر وعند نطقه يتم استبداله من طرف "اليهود وأولئك الذين يرغبون في إظهار الاحترام سوف يقرؤون اسم Adonai'سيدي' أو'هيم شيم' كما في النص الماسوري للكتاب المقدس العبري، تم توجيه Tetragrammatonمع أحرف العلة من adonai " (Richard & Kendall, 2002, p. 188). لعل من الأسباب التي دفعت باليهود لعدم كتابة اسم الإله هو الوقوع في النطق غير الصحيح والمحترم، لهذا اقتصروا على يهوه اسما لله. رغم كل المحاولات لشرح وتبسيط معنى مفهوم اسم الإله عند اليهود فإنه" لا يُظهر استخدام التسمية ""YHWH في الكتاب المقدس أي اعتراف بأصل الكلمة، وليس هناك أي إشارة في الكتاب المقدس العبري إلى لاهوت يتم بناؤه حول معنى الاسم. ومع ذلك فإن هذه النظريات على أصل مصطلح""YHWH خادعة ؛ حتى إذا تم تحديد المعنى الأصلي للاسم بشكل قاطع، لا يوجد حتى الآن أي ضمان بأن الإسرائيليين يفهمون الاسم بشكل صحيح" (Byrne, 2011, p. 23).

3- إيل El God

"تظهر كلمة El في الآشورية و ilu في الفينيقة، وكذلك باللغة العربية، كاسم الإله، تم العثور عليه أيضا في لهجات الجنوب العربي، وفي الآرامية والعربية والإثيوبية، يعد هذا الاسم أكثر الأسماء انتشارا بين الشعوب الناطقة للسامية للإله" (Singer, 1905, p. 161)، وهو "اسم من أسماء الإله في العبرية فقد كان اليهود يسمون الإله (إيل) وكثير ما تستعمل التوراة اسم إيل مع صيغة صفات الإله مثل (إيل عليون)، كما جاء في الأصل العبير أي (الإله العلي) و(إيل شداي) كما جاء العبري كذلك أي (الإله القدير) سفر التكوين 35: 11) (الكتاب المقدس، 1989). ، "وقد حظيت مسألة العلاقة بين الاستخدام الكتابي لـEL والمفاهيم السامية لـEL بكثير من الاهتمام، لاسيما منذ اكتشاف النصوص الأوغاريتية" (Wyatt, p. 364) . أما عن الجذر المشتق منه الاسم "الاشتقاق المقبول الشائع لهذا الاسم من الجذر العبري 'ليكون قويا'، مشكوك فيه، تم تفسير جذر مشابه من اللغة العربية على أنه يعني 'أن تكون في المقدمة'، 'لتكون في المقدمة'، 'القيادة'، 'الحكم'، والتي من شأنها تعطي معنى الزعيم، السيد" (Singer, 1905, p. 69)، ورد لفظ إيل في الحضارات السابقة "ورد في النصوص المصرية التي تعود إلى عهد الهكسوس مصطلح 'يعقوب إيل'، أي 'ليعقب الرب بعده'" (المسيري، 1999, p. 69). ومع هذا يبقى أصل الكلمة غامض.

4-شداي Shaddai (Almighty)، وإليون (Elyon)

"كلمة شداي مأخوذة من الجملة العبرية 'شومسر دلاتوت يسرائيل' ومعناها 'حارس أبواب يسرائيل'، وهي من أصل أكادي شدر ، وكانت تستخدم في الأصل للإشارة إلى القوى الشريرة أي الجن والشياطين، وقد تطور استخدام الكلمة وأصبحت تشير إلى 'إله الجبال' ثم إلى 'الإله القوي'" (المسيري، 1999، صفحة 71)، "وفقا للمصادر الكهنوتية، فإن الاسم الإلهيYHWH لم يكن معروفا قبل موسى، وشداي هو الاسم الذي كان البطاركة يتضرعون به لله في المصدر الكهنوتي كدلالة إلهية، استخدم لفظ شداي حوالي 48 مرة في الكتاب المقدس العبري" (Byrne، 2011، صفحة 29)، وقد أظهر ويليام ألبرايت William Albright "أن الاسم مشتق من جذور بلاد ما بين النهرين الشمالية، وجاء إلى كنعان مع أسلاف اسرائيل كإله عائلة الأبوي (as a patriarchal familly)" (Albright, 1935, p. 3)، ومن بين الدلالات التي دلّ عليها الاسم في أساطير بلاد النهرين نجد "الأرواح الحارسة" (حرب، 1999، صفحة 218). وقد جاء الاسم واضحا في العهد القديم في سفر التكوين: 'وإيل

شداي يباركك' (التكوين 3/28). "جاء معني هذا الاسم في العهد القديم من معنى الفساد والعنف" (Brown, 1963, p. 994)، أيضا من دلالات الاسم نجد "قد يكون مرتبطا بالآشوريين شادو (الجبل)، وهي كلمة مرتبطة أحيانا بأسماء الآلهة الآشورية" (Singer، 1905، صفحة 160). "أما اسم Elyon "يظهر مع El، مع yhwh ومع Elohim وأيضا بمفرده استخدمه الفينيقيون، ما يبدو أنّه الاسم نفسه للإله" (Singer، 1905، صفحة 162).

5- السيد Adonai (אֲדֹנָי) Adon (אָדוֹן):

"أدوناي اسم من أسماء الإله حسب التصور اليهودي، يعني 'سيدي' أو 'مولاي'" (المسيري، 1999، صفحة 71)، ويأتي "بمعنى سيدي باللغات السامية وهو اللقب الذي كان الكنعانيون يطلقونه على الإله (تموز) والذي أصبح أدونيس عندما انتقل لليونانيين" (ديب، 1981، صفحة 16)، "يحدث كاسم للإله بصرف النظر عن استخدامه من قبل الماسوريين (النص الماسوري: هي تلك التسمية التي تطلق على النص العبري للعهد القديم، لأن العهد القديم في صورته الحالية يقوم على التقاليد النصية المعروفة بالماسورا، أما الماسوريون: هم من قاموا بجمع نسخ النصوص المقدسة، وإدخال التعديلات والتصويبات على ما بدا لهم أنه على صورة خاطئة. أول ما قاموا به: تقسيم الأسفار إلى فقرات، أدخلوا الحركات من أجل ضبط النص ووضعوا نظام النبر، قاموا بإحصاء الفقرات والكلمات والحروف والأقسام الخاصة بكل سفر، مع ملاحظة الفقرة الوسطى في كل منها، وملاحظة الكلمة الوسطى في بعض الحالات وهو ما عرف بـ الماسورا الكبرى. انظر (سالم، 2011، الصفحات 138-139)) كقراءة بديلة لـ يهوه، من المحتمل أنه كان في البداية أدوني Adoni (ربي) أو Adonai (ربي جمع الجلالة)" (Singer، 1905، صفحة 162)، "تتنوع ترجمات مصطلح أدوناي، باختلاف إصدارات الكتاب المقدس العبري، عادة يتم ترجمة المصطلح على أنه: رب، سيد أو مالك، كما فيه إشارة للذكورية، عندما يتم الاستشهاد بـ أدوناي في صيغة الجمع، مع لاحقة مفردة، عادة ما يشير إلى يهوه، يظهر هذا الشكل في الغالب في كتاب المزامير، كتاب الرثاء والأنبياء" (Byrne، 2011، الصفحات 25-26). منهم من يُرجع استبدال كلمة أدوناي بيهوه لأنه "عندما قام الكتبة بعمل نسخ من الكتاب المقدس تحت الإملاء قاموا أحيانا بالخلط بين كلمة أدوناي ورباعية التيتراجرام أدوناي، كانت طريقة النسخ غير مناسبة لأنها تولد أخطاء، لحسن الحظ وجد السوفريم (السوفريم(Spherim):أي الكتبة، وهي صيغة جمع عبرية بنفس المعنى، وهي مصطلح يطلق على الكتبة والعلماء اليهود الذين قاموا بتدريس وتعليم وشرح الشريعة من حوالي منتصف القرن الخامس قبل الميلاد إلى حوالي عام 100ق م، وقد جُمعت أقوالهم في كتب المدراش. وبهذا المعنى يكون عزرا أول الكتبة حين وضع أساس الدراسات الحاخامية، والكتبة هم أولئك الذين قاموا بوضع الشريعة الشفوية فعلا. وتعود أهمية الكتبة إلى أنهم أول من بدأ الدراسات الحاخامية "وبالتالي فإن ظهورهم يعتبر بداية المرحلة اليهودية، مقابل المرحلة اليسرائيلية أو العبرانية من تواريخ الجماعات اليهودية في العالم'. وقد قام الكتبة بتحقيق العهد القديم وتنقيحه وتدوينه. (المسيري، 1999، صفحة 225)) الذين كانوا سلف الماسوريين 134 موقع، كما يتضح من قراءة الماسوريين الفقرة من سفر التكوين(18: 3): "وقال يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك"، حيث تم استبدال رباعية تتراجرام بـ أدوناي 'سيدي'. على سبيل المثال في أقدم نص اشعياء (من 150 إلى 100 قبل الميلاد) وجدت في قمران، 16 مرة حيث أدوناي أخذ مكان تتراجرام"(Getroux, p. 6) . آدني: المشتق من السيادة، الذي يعني سيدي وهو أخص الأسماء المشهورة للإله.

لكن إلى جانب هذه الأسماء الحسنى للإله عند اليهود، فإننا نجد في العهد القديم أسماء لا تليق في أغلبها بمقام الله تبارك وتعالى، وهي: الرب رجل الحرب (خر 3/15)، المحارب(تث 22/3)، الغيور (خر 14/34)، المخوف (تث 21/7)، نار آكلة (تث 24/4). المحطم (خر15 /6)، المهدم (خر 7/15)، النادم (خر 14/32)، الحازن (تك 6/6، ... المتأسف (تك 6/6)، المقاتل (خر14 /14)، المنسي (تك 56/41) ...

ثانيا: أسماء الإله في المسيحية

إن تعدد الأسماء الذي يتميز به العهد القديم، غير موجودة في العهد الجديد، حيث نجد أشهر الأسماء:

1-ثيوس Theos: هو أكثر الأسماء استخداما في العهد الجديد، إذ يذكر أكثر من ألف مرة، ويقابل(إيل) و (إلوهيم)، ولذلك فهو يطلق على جوهر الألوهية على الآب.

(يو 20: 28، رو 9: 5). "وردت أكثر من 4000 مرة في سفر المزامير كتعبير عن المصطلح العبري Elohim، كما تستخدم في المزامير للإشارة للآلهة الوثنية، تماما كما كان المصطلح المعتاد لآلهة اليونان والرومان في العهد الجديد" (Byrne, 2011, p. 55)، وقد وردت كلمة théos أي الإله في الأصل اليوناني "للآية نكرة، لا تتقدمها أداة تعريف، وهذه صيغة يكثر استخدامها في الأسفار اليونانية، وتتكرر خمسة مرات في ذات الإصحاح. لكن لا السياق ولا قواعد اللغة اليونانية يلزمان بالترجمة إلى 'إله'، هذا لأنّ يوحنا في مجمل الإصحاح يستعمل 'ثيوس' (فرجو، 1992) النكرة للدلالة على الكيان الإلهي لا على إله نسبي أو مجهول الهوية، لذا نبغي أن تكون الترجمة 'وكان الكلمة الله'". ويبقى مفهوم ثيوس "نظري أو غيبي أو إلهي" (مهدي، 2009، صفحة 261) . جاء في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثيوس (1كو 8. 5) "لأنه وإن وُجد ما يسمى آلهة، سواء كان في السماء أو على الأرض، كما يوجد آلهة كثيرون وأرباب كثيرون"، وحسب تفسيرها فإنها تشير للآلهة الوثنية، أما في يوحنا (20. 8) "أجاب توما وقال له: ربي وإلهي!"غير أن شُرّاح الآية فسروها بيسوع هذا ما يؤكد استخدام المصطلح على نطاق واسع ومتنوع. ومن بين الدارسين للعهد الجديد نجد موراي .ج هاريس يرى أن "سبعة فقط من استخدامات 1315 في العهد الجديد تشير إلى يسوع" (لاحظ هورتادو أن theos استخدمت 48 مرة في مرقس ، و 51 مرة في متى ، و 122 مرة في لوقا (لا تشمل أعمال الرسل) ، و 73 مرة في يوحنا (Hurtado, 1992, p. 270). ، وحسب هاريس Harris يرجع هذا التضارب والاستخدام غير المنتظم لـ الإله θεός كوصف ليسوع بسبب (Caps, 1996, p. 39):

- الحفاظ على التمييز بين الابن والأب.
- التأكيد على خضوع الابن للأب.
- لتجنب تهمة تعدد الآلهة أو الشرك من طرف الخصوم.
- لحماية إنسانية يسوع ضد منتقدي الغنوصية.

وللتمييز بين الإله المعبود بحق، وغير المعبود بحق استخدم اليونانيون مصطلحين، حيث "الكلمة اليونانية التي تعني 'الإله' المعبود بحق هي: 'هوثيوسHotheos' وعندما يكون الإله غير جدير بالعبادة ولكن يعبده أقوام آخرون، فإن اليونان كانوا يستخدمون لفظة أخرى هي 'تونثيوسTontheos'" (الجوهري، دت، p. 136). قدّم أحمد ديدات انتقادات للمترجمين الذين ترجموا انجيل يوحنا من اليونانية القديمة إلى الإنجليزية، "قام مترجموا الإنجيل باستخدام الحرف الكبير عند ترجمتهم عبارة وكان 'الكلمة' هو الله في حين أن الكلمة الموجودة بالأصل اليوناني كلمة Tontheos وليس Hotheos ولقد كان من الضروري أن تكتب الكلمة الدالة على لفظ الجلالةgod وليس God" (الجوهري، دت، p. 137). وهنا يظهر الخلط والتلاعب في الترجمة وبقيت آثاره ليومنا هذا، حتى أننا نشهد مثل هذه الظاهرة عند بعض المترجمين والباحثين المسلمين عند ترجمتهم لكلمة الإله بالانجليزية يكتبونها بحرف كبير.

حتى أنّ "الربوبية ترجمة لكلمة Deism الإنجليزية المشتقة من الكلمة اللاتينية ديوسdeus، ومع هذا فإنّ كلمة ثيزم theism الإنجليزية تعني 'المؤمن بالخالق داخل إطار ديني'، على حين أصبحت 'ديزم' تعني 'مذهب دين الطبيعة' أو 'الدين الطبيعي'" (المسيري، العلمانية الجزئية العلمانية الشاملة، 2002، صفحة 51) .

من الملاحظات التي قدّمها إلياد Eliade حول العلاقة بين كلمة الإله واليوم باللاتينية، أي بين(God and Day, Deus and Dies inLatin) التي أثارها الإله ديوس، قال: "من المؤكد أنّ Dyaus الهندي، المشتري الروماني وزيوس اليوناني والإله الجرمانيTyr-Zioهي الأشكال التي تطورت على مر التاريخ انطلاقا من الإله البدائي للسماء، وأنّ أسماءهم ذاتها تكشف عن المعنى المزدوج الأصلي 'النور (اليوم)' و'المقدس'.Div السنسكريتية التألق، اليوم Dyaus 'السماء'، 'اليوم'dios ,dies، deivos, divus" (Eliade, p. 66). لطالما كان لتقديس السماء علاقة باستمرار الحياة، غير أنّ بعض المجتمعات القديمة استبدلت رمز السماء بالشمس الرمز النهائي للخصوبة خاصة من طرف الفراعنة المصريين. يظهر لنا الاستمرارية لجذر div بين الحضارات ليبقى محافظا على دلالته على الإله. يظهر تأثير الحضارة المصرية على اليونانية من خلال "أنّ أسماء آلهة اليونان كافة مأخوذة عن آلهة مصرية" (فراج، 2014، صفحة 110).

2- كيريوس (الرب): وهي الكلمة اليونانية الأكثر استخداما والتي يقابلها في العبرية " ياه" و" أدوناي"، وترد أكثر من 600 مرة في العهد الجديد، قد استخدمتها الترجمة السبعينية للكلمتين "يهوه" و"أدوناي"، ولذلك فكل

الاقتباسات من العهد القديم التي يذكر فيها هذان الاسمان، فإنهما يترجمان إلى كيريوسوهي تطلق على الآب والابن والروح القدس، بدرجات متساوية، وهناك أسماء وفية مجازية توجد في العهد الجديد منها اسم العلي (لو 1: 32، و35 و 76،...) وهو يقابل اسم عليون والقدير وهو يقابل شداي... (انظر صموئيل حبيب آخرون: دائرة المعارف الكتابية، مصر: دار الثقافة، دت، مج1، ص197.)

3- أبا Abba: أبا هو الترجمة اليونانية للمصطلح الآرامي الذي يعني الأب (Fitzmyer, 1985)، "وهو أيضا مصطلح احترام للأساقفة والبطاركة داخل الكنائس القبطية والسريانية والإثيوبية" (https://www.dictionary.com/browse/abba.)، جاء في انجيل مرقس 14: 36 "وقال يا أبا الآب، كل شيء مستطاع لك، فأجز عني هذه الكأس. ولكن ليكن لا ما أريد أنا، بل ما تريد أنت"، كما جاء أيضا في رسالة بولس لأهل رومية (8. 15): "إذا لم تأخذوا روح العبودية أيضا للخوف، بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ: 'يا أبا الآب'"، أيضا رسالة بولس لأهل غلاطية (4. 6): "ثم بما أنكم أبناء، أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخا: 'يا أبا الآب'". وقد أثار هذا المصطلح إشكالات في ترجمته، ليتم في الأخير الإشارة إليه على أنه بمعنى فقط الأب، في العهد القديم (اليهودية) عُثر على نصوص ورد فيها لفظ الأب ولكن ليس أبا، وفي نسب استخدام عيسى لهذا الاسم هو أمر ملفت للنظر. من بين الداعمين لنسب مصطلح أبا لله نجد Joachim Jeremias (79–1900) وهو باحث ألماني لوثري، تعرض لكثير من النقد بسبب أفكاره، حتى أنها اعتبرت متطرفة، ليعترف في الأخير أن مصطلح أبا abba كان "قطعة من السذاجة غير المقبولة"(Jeremias, 1967, p. 63) .

وهنا يظهر مدى الاختلاف بين اليهود والمسيحيين في طريقة استخدامهم لأسماء الإله، ففي المسيحية هناك دائما حضور لعقيدة التثليث، ومصطلح الأب الذي يعنون به ربط العلاقة بين الله وابنه عيسى، بينما في اليهودية يجعلون يهوه في معزل عن المعبودات الأخرى، وهنا يظهر الاختلاف الرئيسي في النظرية اللاهوتية بين الديانتين.

3- الأب الحي

"يبدو أن عبارة 'الأب الحي' تقابل عبارة 'الله الحي' في الكتاب المقدس العبري (الذي ظهر 15 مرة في الكتاب المقدس العبري و 13 مرة في العهد الجديد)، بشكل عام فإن عبارة 'الله الحي' في الكتاب المقدس العبري تتناقض عادة مع الآلهة المزيفة والأوثان من الناس الذين ليس لديهم حياة ولا يمكنهم منح الحياة للأشخاص الذين يعبدونهم" (Byrne، 2011، صفحة 75)، من بين الأمثلة التي ورد فيها المصطلح، جاء في سفر إرميا (2: 13): "لأَنَّ شَعْبِي عَمِلَ شَرَّيْنِ: تَرَكُونِي أَنَا يَنْبُوعَ الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ، لِيَنْقُرُوا لأَنْفُسِهِمْ أَبْآرًا، أَبْآرًا مُشَقَّقَةً لاَ تَضْبُطُ مَاءً"، "في نص إنجيل يوحنا تعدل صفة الحياة تعدل اسما في جملتين أخرتين" (Janzen, 2006). ، يوحنا (4. 10- 11): "أجاب يسوع وقال لها: 'لو كنت تعلمين عطية الله، ومن هو الذي لك أعطيني لأشرب، لطلبت أنت منه فأعطاك ماء حيا' 10، قالت له المرأة: 'يا سيد، لا دلو لك والبئر عميقة. فمن أين لك الماء الحي؟'"، وقد فسروا الماء الحي بيسوع، يوحنا (7: 38): "من آمن بي، كما قال الكتاب، تجري من بطنه أنهار ماء حي"، يوحنا (6: 51): "أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء، إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم"، وبالتالي لا اعتراض على وصف الله 'بالأب الحي' في كتب العهد الجديد المنسوبة ليوحنا (إنجيل يوحنا، رسائل يوحنا الثلاث، كتاب الرؤيا) وهو الذي أرسل يسوع إلى الأرض، فدلالات المصطلح في العهد الجديد على أن الإله هو معطي الحياة، كما له السيادة على الموت، فالله خالد.

4- المخلِّص Saviour (σωτήρ): المقصود بالمخلِّص: هو من يخلص البشر من خطاياهم، فالله يخلص عباده بالتوبة والتكفير عن ذنوبهم، جاء في إنجيل لوقا (1. 47): "وتبتهج روحي بالله مخلصي"، "يستخدم مصطلح المخلِّص فقط في ثلاثة أحداث أخرى في الأناجيل باستثناء الأعمال" (Byrne, 2011, p. 75)، حسبهم أن الكلمة تشير إلى "العلاقة التي يعززها الرب مع أتباعه، فهو منقذهم" (Easton, 1987)، من بين الآيات التي ورد في هذا المصطلح لوقا (1. 69): "وأقام لنا قرن خلاص في بيت داوود فتاة"، أيضا لوقا (2. 11): "أنه وُلد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب"، نرى أن الآية الأولى فيها إشارة لداوود والثانية فيها وصف ليسوع، جاء في إنجيل يوحنا (4. 42): "وقالوا للمرأة: 'إننا لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن، لأننا نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم'" وفي هذه الآية إشارة لبيان نوع العلاقة التي كانت بين يسوع وأتباعه من خلال حواره مع

المرأة ، أيضا في نشيد مريم: لوقا (1/ 46- 55): "قالت مريم: تعظم الرب نفسي ، وتبتهج روحي بالله مخلصي ، ... لإبراهيم ونسله إلى الأبد ، كما كلّم آباءنا" ، هنا يظهر أن مريم تبشر بمولودها المبارك. غير أن الدراسات الحديثة انتقدت نسب مصطلح 'المخلص' لعيسى لأنه"فيه استباق لدور يسوع كمخلص" (Byrne, 2011, p. 76).

5- الرب إلهك The Lord Your God: يظهر المصطلح في إنجيل لوقا (4. 8): "فأجابه يسوع وقال: 'اذهب يا شيطان! إنه مكتوب: للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد'" ، نفس الآية جاءت في فقرتين من إنجيل متى (4. 10)، (4. 7): "قال له يسوع: مكتوب أيضا: لا تجرب الرب إلهك" ، أيضا في سفر التثنية (6. 16): "لا تجربوا الرب إلهكم كما جربتموه في مسّة" ، من خلال مقارنتها بنص شيما يظهر لنا أن "يسوع استخدم اقتباسا من نص يشكل بطبيعته جزءا من النظرة الدينية اليهودية (حيث يشكل النص جزءا من شيما) في حوار مع الشيطان" (Byrne، 2011، صفحة 77). إن هذا الأسلوب يشبه أسلوب الأنبياء المتبع في تذكير الإسرائيليين بالقانون الموسوي الذي ينبغي عليهم إتباعه.

6- رب السماء والأرض: ورد المصطلح في إنجيل لوقا (10. 21): "وفي تلك الساعة تهلل يسوع بالروح وقال: 'أحمدك أيها الآب ، رب السماء والأرض ، لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال. نعم أيها الآب ، لأن هكذا صارت المسرة أمامك'" ، أيضا وردت في سفر أعمال الرسل (17. 23- 24): "لأنني بينما كنت أجتاز وأنظر إلى معبوداتكم وجدت أيضا مذبحا مكتوبا عليه لإله مجهول فالذي تتقونه وأنتم تجهلونه هذا أنا أنادي لكم به. الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه هذا إذ هو رب السماء والأرض لا يسكن في هياكل مصنوعة بالأيادي".

المعلوم في المسيحية أن عيسى هو أحد الأقانيم الثلاثة ، وهم يعدونه إلها مع أنه لا يوجد له وصف بهذا الاسم في العهد الجديد ، حيث أن عبارة "رب السماء والأرض" جاءت في وصف عيسى لله ، فكيف يمكن لهم تسمية عيسى بالإله وهو ينفي هذه الصفة عن نفسه وينسبها لله ؟ وبالتالي نجد أن الاسم ورد بالتوازي في الإسلام ثبت نسب هذا الاسم لله عزّ وجل.

7- السيد Master: من بين الكلمات التي لها نفس الدلالة نجد **دسبوتس، حيث** وردت الكلمة اليونانية خمس مرات في العهد الجديد ، وتترجم السيد أو الرب ، (لو 2: 29 ، أع 4 :24)، وفيها نجد التأكيد على السيادة ، فهي تقابل كلمة أدون في العهد القديم.

جاء في إنجيل لوقا (2. 29): "الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام" ، حسب شراح العهد الجديد فإن هذه الفقرة تتناول قصة ولادة النبي عيسى ، وهي نفسها تأتي في سياق نعمة وبركة سمعان (25-35). "بركة الطفل في لوقا 2 (29- 32) المعروفة تقليديا بنشيد سمعان" (Nickle, 2000, p. 28) ، هذا النشيد هو الذي نطق به اليهودي عندما أخذ بين ذراعيه الطفل يسوع عند الهيكل ، مضمونها الشكر للهعلى نعمة رؤية النبي والخلاص بعينيه. غير أنه لا يمكن اعتبار مصطلح 'السيد' كتصنيف جديد لاسم الله في اللاهوت المسيحي ، بل هو مرتبط بالعهد القديم بدليل أن سمعان يهودي.

والملحوظ كذلك أن لمصطلح 'السيد' انعكاسات سلبية وارتباطات نابعة من الأفكار الحديثة لمفهوم الهيمنة والعبودية ، كما أن المصطلح في الحياة الاجتماعية مرتبط بالشخص المسؤول صاحب القرارات والتأثيرات الرئيسية كرب الأسرة ، ورب العمل.

8- إله إسرائيل: ورد المصطلح في إنجيل متى (15. 31): "حتّى تعجّب الجموع إذ رأوا الخرس يتكلمون ، والشلّ يصحّون ، والعرج يمشون ، والعمي يبصرون. ومجدوا إله إسرائيل". وحسب لوزLuz"هذه العبارة المقدسة كانت مألوفة لدى جمهور متى الأصلي" (Luz, 2001, p. 344)، سفر المزامير (72. 18): "مبارك الرب إله إسرائيل ، الصانع العجائب وحده" ، أيضا (106. 48): "مبارك الرب إله إسرائيل من الأزل وإلى الأبد. ويقول كل الشعب: آمين. هلّلويا"

9- المبارك والقوة: ورد المصطلح في إنجيل مرقس (14. 61- 62): "أما هو فكان ساكتا ولم يجب بشيء. فسأله رئيس الكهنة أيضا وقال له: 'أأنت المسيح ابن المبارك ؟'. فقال يسوع: 'أنا هو. وسوف تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة ، وآتيا في سحاب السماء'" ، أيضا نجد اللفظ في الرسالة إلى مؤمني روما (1. 25): "إذ قد استبدلوا بحق الله ما هو باطل ، فاتقوا المخلوق وعبدوه بدل الخالق المبارك إلى الأبد". "الكاهن الأكبر هو الذي يدعو الله المبارك ويستجيب يسوع باستخدام مصطلح القوة ، كلاهما صفات إلهية" (Byrne, 2011, p. 79)، "مصطلح القوة هو for God

circumlocution هو محيط بالإله لا يحدث في الكتابات اليهودية المعاصرة... ويناشد قوة الرب في الدفاع عن الخادم الصالح"(Culpepper & Mark, 2007, p. 250) من بين التناقضات الواردة عند المسيحيين فقرة سفر التكوين (2. 1-3) التي تقول أن الله استراح في اليوم السابع وفي هذا تناقض مع مفهوم القوة. فالله تقدس لا يطاله التعب.

- النقد

الملاحظ أن هناك اختلافا واضحا بين شخصية الإله في العهد القديم والجديد، هنا جسموا الإله في شخص يسوع وكابن الله. غير أن يسوع من خلال عمله التبشيري لم ينشر فكرة جديدة عن الله "لكن ليوضح لهم من هو إله إسرائيل، الخالق، حاكم العالم...ليس في حياته الغيبية (ليس هناك أي سؤال حول هذا)، لكن في أهميته ومدلوله للفرد" (Conzelmann, 1969, p. 99).

غير أن الأسماء المستخدمة عن الإله في نص العهد الجديد تعكس حقيقة التأثيرات الواقعة من حيث الثقافة واللغة اليونانية على كتابة النصوص، "إن المصطلحات والتقاليد التي تؤثر على لغة النص مأخوذة من الكتاب المقدس العبري، وعُدّلت في السبعينية" (Boring, 1985, p. 5). ففي العهد القديم حتى وإن لم يسمح بنطق اسم الإله صراحة إلا أنهم عوضوه بـ الأحرف الأربعة Tetragrammation وفي نطاق التوحيد، مقارنة بالعهد الجديد قلة الأسماء المنسوبة للإله مع انحراف عن مسار العهد القديم.

إنّ أسماء الله في اليهودية جاءت متعددة بين الأسماء البسيطة والمركبة مع إل ومع يهوه، من خلال الجدول الآتي: (Lüthert) :www.bible-ouverte.ch/faq/faq-theme/qr-dieu-jesus-le-saint-esprit/2081-reponse-55.html.

التصنيف	الأسماء	معناها
بسيطة	El, Elah ou Elohim YHWH Adon ou Adonaï	الله الخالد أو الأبدي السيد
مركبة مع إل	El Schaddaï El Elyon El Olam El Gibbor	الله القدير مرتفعة، الأعلى أو العلوي إله الخلود الله القوي
مركبة مع يهوه	YHWH Elohim Adonaï YHWH YHWH Sabaoth	الله الخالد السيد الخالد رب الجيوش

جدول رقم 1 أسماء الإله في اليهودية المركبة مع إل ويهوه.

استعمال المسيحيين الأوائل اسم يهوه

كان المسيحيون الأوائل مزيجا بين من كانوا من أصل يهودي، وبين من كانوا من أصل وثني، والمعروف أنّ اليهود كانوا ينطقون اسم الإله يهوه، والسؤال الذي يطرح نفسه هو هل نطق المسيحيون الأوائل اسم الإله يهوه؟، "تعتمد الإجابة على نوع المسيحيين الذين نتحدث عنهم، نعم للمسيحيين اليهود (المسيحيين من أصل يهودي، قبل 70 عام من ميلاد المسيح)، لأن الكثير منهم كانوا يعرفون العبرية، ولا للمسيحيين الوثنيين (مسيحيون وثنيون) الأصل، لا سيما بعد 100 عام من ميلاد المسيح، معظمهم يعرفون اليونانية فقط" (Getroux، صفحة 2)، كيف كتب المسيحيون الأوائل التيتراغرام عندما نسخوا الكتاب المقدس؟ نظرا لأنهم كانوا من أصل يهودي (يهودي-مسيحي)، فقد قبلوا السبعينية اليونانية تعرف الترجمة اليونانية للتوراة باسم 'السبعينية' interpretation Septuaginta Seniorum أي ترجمة السبعين رئيسا ،ويطلق عليها أيضا الترجمة اليونانية السكندرية.

انظر: (سلوى، دت، صفحة 17) التي كانت ترجمة يهودية) واستمروا في نشرها" (Harl, Dorival, & Munnich, pp. 274-288).

وفيما يلي سنعرض جدولا يوضح التصنيف الزمني للمخطوطات اليونانية التوراتية ، يظهر فيها العديد من المتغيرات المتعلقة باسم الإله (Getroux G. , 2002, pp. 99-142):

الكلمة باليونانية	قبل 70 عام من ميلاد المسيح	من 70 إلى 135 عام من ميلاد المسيح	من 135 إلى 400 عام من ميلاد المسيح	بعد 400 عام من ميلاد المسيح
حتى	تدمير المعبد	ثورة بار كوخبة	جيروم النسخة اللاتينية للإنجيل	كاثوليك العهد الجديد
أسماء الإله	YHWH	KS / YHWH	KS	O KURIOS
يسوع (يوشع)	IESOUS	IESOUS / IS	IS	IESOUS
الرب	O KURIOS	O KURIOS/ O KS	O KS	O KURIOS

الجدول رقم 2: التصنيف الزمني للمخطوطات اليونانية التوراتية.

من خلال الجدول يظهر أن اسم الله مرّ بمتغيرات ، ويرجع ذلك بسبب أن معظم الترجمات الحديثة للكتاب المقدس ، المخطوطات اليونانية الكاثوليكية للعهد الجديد إضافة للمخطوطات اليهودية للعهد القديم ، نتج عنه التباسات حول اسم الإله عندما يستشهد العهد الجديد بالعهد القديم. يمكن أن نلاحظ أن اسم يهوه تمّ تداوله بين المسيحيين اليهود ذوي الأصل اليهودي قبل 70م ، بسبب أنّهم كانوا يعرفون العبرية ، حتى أنّهم استخدموه بحذر مخافة اتهامهم بإدخال جديد غير مصرّح به ، ما دفعهم لاستخدام أسماء بديلة له ، كما حدث لسقراط. أمّا المسيحيين الوثنيين بعد 100م ، لم ينطقوا الاسم يهوه بسبب معرفتهم لليونانية فقط ، لكنهم قبلوا الترجمة السبعينية ، "مع اتباع العرف اليهودي في كتابة الاسم ضمن النص اليوناني" (HOWARD, 1978, pp. 12-14) .أمّا كيريوس فكان بديلا للتيتراجرام ، كُتب بحروف عبرية داخل النص اليوناني ، رغم أنه كان هناك فئة من اليهود في ذلك الوقت يتحدثون العبرية.

ولعل الترجمات الحديثة للعهد الجديد استبدلت اللفظ بالرب بدل يهوه ، لتجنب الخلط بين الرب يسوع والرب يهوه. نجد أيضا مشكل اختلاف اللغات المتحدث بها بين آرامية ويونانية وعبرية ، هذه اللغة الأخيرة ربما كانت مختلفة بعض الشيء عن العبرية التوراتية تماما مثل اليونانية الشائعة ، أو الكوين ، (الكوين: هي لغة الترجمة السبعينية ، وهي اللغة اليونانية السائدة المستخدمة في الفترة الهيلينية التي عاصرت الترجمة السبعينية ، وقد انحدرت من لغات أثينا القديمة المسماة أتيك Atic التي كانت تمد كل اللهجات الأخرى التي كان يحملها معه الإسكندر في غزواته ومستعمراته). انظر (سلوى ، دت ، صفحة 43) التي تختلف قليلا عن اليونانية الأدبية ، ربما لهذا السبب قام بولس بتفادي استخدام التتراجرام وعوضها بـ: الآلهة ، الإله ، رب السماء والأرض. ما يمكن أن لنتخلص أنّ السياق الديني كان له دور في التأثير على استخدام الاسم يهوه.

إن المتتبع والدارس للعهد الجديد يجد ندرة في دراسة والتعليق على صورة أو طابع الإله ، "إن الإله قد تم تجاهله إلى حد كبير فيما يتعلق بمضمون اللاهوت في العهد الجديد"(Thompson, 2001, p. 1) .

ولعلّ من الأسباب التي كانت وراء هذا الإغفال والتجاهل ترجع لـ:

1- "صعود اللاهوت المسيحي منذ ألبريشتريتشل Albrecht Ritschl(1822- 1889). لقد رأى ريتشل أن ألوهية يسوع هي أفضل فهم على أنها تعبر عن قيمة إلهية للمسيح للمجتمع الذي يؤمن به كإله.

2- الاشتباه في اللغة الميتافيزيقية – أي الحديث عن الأشياء غير المادية.

3- التأكيد على العناصر المسيحية على وجه التحديد في العهد الجديد مع النظرة المقابلة التي مفادها أن مفهوم الإله في العهد القديم كما فسرته اليهودية في وقت متأخر يعتبر أمرا مفروغا منه ، جنبا إلى جنب مع تنوع كبير في العهد الجديد نفسه في اللغة بشأن الإله" (John, 1982).

ما نلاحظه على لاهوت العهد الجديد عند تطرقه ليسوع أو في إشارته للإله يتم التطرق للثالوث، صوّروا يسوع على أنه الإله على الأرض، جمعوا في شخصه بين الجانب البشري كإنسان كامل وبين الجانب اللاهوتي.

ثالثا: أسماء الإله عند الفلاسفة اليونانيين

لقد كان لمذهب التأويل حضورا واضحا في فكر المدرسة السكندرية، من خلال إسهام فلاسفتها اليهود والمسيحيين في دراسة وفهم النصوص المقدّسة، وهي المدرسة التي "تأسست في مدينة الاسكندرية منذ دخول المسيحية إلى مصر، والتي كانت تعرف أيضا باسم مدرسة الاسكندرية التعلمية، أو مدرسة الوعظ أو مدرسة المدافعين وذلك لأنها تقوم بالدفاع فلسفيا عن المسيحية. وقد كان لها دورا فعالا في اجتذاب الفلاسفة الوثنيين إلى الديانة المسيحية" (باسيليوس، 2015)، التي منها نشأت الأفلاطونية الحديثة. من بين فلاسفة التأويل اليهود والمسيحيين الذين ظهروا في "مدرسة الإسكندرية" خلال القرون الثلاث الأولى للميلاد، نجد أمثال اليهودي فيلون السكندري الذي يعد ممثلا للاتجاه التوفيقي الديني لدى اليهود، كلمنت السكندري وأوريجن السكندري، من خلال اتجاهاتهم التوفيقية ومذهبهم في التأويل للنصوص المقدّسة الذي كان له تأثيره على الفلاسفة اللاحقين. وفي ظل هذا التضارب في التأويل، ظهر تياران: الأول يرى أن اسم الله وكلمته جوهر غير قابل للترجمة، من بينهم أورجين السكندري الذي يرى "بوجود تعاطف جوهري أو ارتباط صوفي بين الاسم والإله لا يمكن ترجمته" (Assmann, دت، p. 144) ، والفريق الثاني نقيض الأول. وفيما يلي سنقوم بعرض آراء الفلاسفة وفق تسلسلهم التاريخي.

1- عند فلاسفة اليهود

- فيلون السكندري (20ق م. 50م) Philo of Alexandria:

هو فيلسوف يهودي وكاتب يوناني، ولد في الاسكندرية لأسرة غنية، كان متضلعا من التوراة (رغم جهله العبرية) والفلسفة اليونانية وسائر الفلسفات التي كانت تموج بها الإسكندرية في عصره، وقد لقّب بأفلاطون اليهود. يعد أول فيلسوف جمع بين الفلسفة واللاهوت، فكان لاهوتيا أكثر من كونه فيلسوفا، وقد تزعّم المدرسة الفكرية في الإسكندرية التي جمعت بين التوحيد اليهودي وفلسفة أفلاطون، واشتهر بشغفه بالأمور الدينية والتوفيق بين الكتاب المقدّس وعادات اليهود من جهة، والآراء الأفلاطونية وخاصة أفلاطون من جهة أخرى. كان متصوفا ورائدا للأفلاطونية المحدثة ومؤسسا لمذهب في التأويل الرمزي المجازي مستفيدا من مناهج الفلسفة اليونانية التي سادت آنذاك في مدرسة الإسكندرية الفلسفية. حرص فيلون على تأويل نصوص التوراة خاصة "سفر التكوين" تأويلا نظريا متشبعا بالفلسفة اليونانية، فكان يدعم تفسيراته بمختارات من هذه الفلسفة، وخاصة أفلاطون. انظر: (نصار، 1982)

عدّه البعض أهم فيلسوف هيلنستي وخاصة اليهود الاسكندرانيين، من بين أصحاب التأويل المجازي. يظهر ارتباطه بتاريخ الفلسفة اليونانية والهيلنستية الكلاسيكية وبدايات الفلسفة اليهودية. كما تظهر علاقته بتاريخ الفكر الديني ولاسيما التقليد الحاخامي والمسيحي المبكر، حتى أن هيجل يرى أن فيلون

"علامة الانتقال من الفلسفة اليونانية إلى المسيحية، على الرغم من أنه في تاريخ الفلسفة يقول أيضا أن هذا الانتقال تمثله الشعارات، مما يخلق الاختلاف في الإله" (Hoblík, 2014, p. 401) ، هو الذي "حاول إنشاء فلسفة دينية إلهية متأثرة ببعض الآراء الأفلاطونية والرواقية والفيثاغورية المحدثة" (النشار، 2016، صفحة 143). حيث كان يرى أن المعرفة الحقّة بالإله يمكن أن تتأتى من الفلسفة والدين، كون الفلسفة شارحة له. انطلق فيلون في تقديم تصوره عن الله كرد فعل لآراء مادية الرواقية التي جسّمت الله، وجسدته في الطبيعة أو هو والطبيعة واحد، لذا "فالإله بالنسبة له بسيط غير مركب، لأن التركيب صفة للمخلوق والله غير ذلك، فالإله أيضا ليس خالقا للعالم فحسب، إنّما هو أب له والعالم بمثابة حفيد" (حمادة، 2017، الصفحات 158-159). يُعرّف فيلون اللوغوس مع الله كنقطة انطلاق، واللوغس "عنده نوعان: اللوغس الباطني أو النفسي واللوغس الخارجي أي التلفظ والنطق، وهذان النوعان يوجدان في الله كما يوجدان لدى الإنسان، فاللوغس في الله إما اللوغس باعتباره العقل الإلهي نفسه أو اللوغس باعتباره كلمة الإله" (النشار، 2016، صفحة 88) . كما

اعتبره Forger "أوّل عالم لاهوت اسكندري مهم بدأ بمناقشة مشكلة التجسد الإلهي في اللوغس" (Forger, 2018, p. 49).

لقد كان للترجمة من اليونانية إلى الإنجليزية تأثير على تقريب المعاني، كمثال ترجمة "كلمة الإله" الموجودة في مقدّمة إنجيل يوحنا المستوحاة بشكل غير مباشر من فيلون، حيث يعد "أول من صاغ هذه الصيغة القائلة: 'في البدء كان الكلمة. وكان الكلمة عند الله. وكان الله الكلمة'. وهي الصيغة التي استهل بها يوحنا انجيله" (الجوهري، دت، pp. 135-136) وهنا فيلون كان يقصد 'بالكلمة' اللوغس، غير أن المترجمين عند ترجمة كلمة الله للإنجليزيةGod -god مرات يكتبونها بحرف كبير ومرات أخرى بحرف صغير. وفي هذا تدليل على الإله المعبود بحق عن غيره، حيث كلمة god هي الأصح. عند مواجهة اليهودية مع الحضارة الهيلينية، "حاول فيلون السكندري أن يحدد ما تصوره أركان الإيمان الأساسية بخمسة: 1- الإله موجود ويحكم العالم، 2- الإله واحد، 3- العالم مخلوق، 4- العالم واحد، 5- الإيمان بالعناية الإلهية" (المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، اليهودة المفاهيم والفرق، 1999, p. 17).

2- **ابن جبيرول Solomon ibn Jubirol**

(رغم التضارب الكبير حول تاريخ ولادته ووفاته إلا أن أغلبهم اتفق على 1070/1021) (تاريخ ولادة ووفاة الشاعر والفيلسوف اليهودي الشهير متنازع عليه: الأفلاطوني الحديث اليهودي سليمان بن جودا بن جابيرول (شلومون بن يهودا بن جابيرول بالعبرية؛ أبو أيوب سليمان بن يحيى بن جبيرول (أو جبيرول) بالعربية؛ Avicebron/ Avicenbrol /Avicembronباللاتينية) ولد في مالقا بإسبانيا عام 2/1021 (يقدم Guttman 1026) وتوفي، على الأرجح في فالنسيا، على الأرجح في 8/1057(يقدم Guttman 1050؛ عرضSirat 8/1054؛ Josepf ibn Zaddik يقدم 1070). (Sarrah, p. 1).

إنه أفلاطون اليهود الذي عمل على تدريس الفلسفة الأفلاطونية الجديدة وفق طابع يوناني إسلامي بسبب اعتماده على المراجع العربية والمسيحية، لدرجة أن عدّه البعض مسيحيا وآخرين عدوه مسلما، فكان مذهبه دمج وخلط بين مذهب أفلوطين وأرسطو خاصة في موضوع الربوبية. يؤمن ابن جبيرول بمبدأ الواسطة حيث يجعل "بين الله أو الجوهر الأول من جهة وبين سائر الوجود من جهة أخرى حتى يحقق تنزيه الله عن كل ما عداه متبعا في هذا تقليدا سار عليه علماء الكلام اليهود من قبله" (العراقي، 2004، صفحة 334). أما عن مفهوم الله عنده يرى أن "الله وحده هو الواقع الخالص، وهو الجوهر الوحيد، ليس له أعراض (صفات)، ولكن فيه إرادة وحكمة" (O'Leary, 2003)، قام ابن جبيرول بإضفاء الطابع اليوناني العربي على الفلسفة وأعادها إلى أوروبا، وقد كان تأثيره واضحا على الدوائر غير اليهودية، خاصة على المدرسة السكولاستيكية في المسيحية في العصور الوسطى. يرى Seyerlen أن من بين فلاسفة العصر الحديث الذين تشابهت أفكارهم مع ابن جبيرول "سبينوزا قدّم على التوالي فلسفة القرون الوسطى والحديثة، ويرى أن كل منهما أبقى تكهناته الفلسفية خالية من التحيز اللاهوتي" (Seyerlen، دت، الصفحات 24-5).

- **موسى بن ميمون (1135-1204م) Moses Maimonides**

إنه أبرز المفكرين اليهود في الأندلس في العصور الوسطى وأشهر أطباء اليهود وفلاسفتهم خلال الحقبة العربية، عُرف عند العرب باسم أبي عمرانن عبيد الله القرطبي، قام موسى بن ميمون بدراسة الكتاب المقدّس من خلال التوفيق بين الإيمان والعقل، حيث عمد لشرح ألفاظ كثيرة منه اعتمادا على "تعاليم ارسطاطاليس وفحول فلاسفة العرب مع إظهار ما له من الملاحظات والانتقادات والفروق بين العقلية اليونانية والإسلامية واليهودية" (ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، 2013، صفحة 109). استطاع موسى بن ميمون التأثير بشكل كبير على الفكر اليهودي من خلال التوفيق بين الفلسفة والدين وتسليط أنوار العقل والمنطق والفلسفة على الإيمان، هو القائل أن "العقل الفائض علينا هو الصلة بيننا وبين الله تعالى" (اسرائيل، 1936، صفحة 32)، أمّا في مفهوم الألوهية هو الذي "أبعد معنى التفريد في الآلهة، وجعل الله هو إله بني اسرائيل، واقترب من معنى الألوهية عند المسلمين كما بينها

عندما حدد أركان الدين اليهودي في ثلاثة عشر ركنا" (الموحي ، دت ، الصفحات 21-22). ولإدراك الله ومعرفته يرى موسى بن ميمون أنه يجب أن يكون بالطريقة السلبية لا الإيجابية لأن "وصف الله عزّ وجل بالسوالب هو الوصف الصحيح الذي لا يلحقه شيء من التسامح وليس فيه نقص في حق الله جملة ولا على حال. أمّا وصفه بالايجابيات ففيه من الشرك والنقص..الله عزّ وجل واجب الوجود لا تركيب فيه ولسنا ندرك إلا أنيته ففقط لا ماهيته" (ولفنسون ، دت ، صفحة 109).

كان لفكر ابن ميمون تأثير كبير على الفكر الغربي وحتى الإسلامي ، يعتبر سبينوزا واحدا منهم من خلال كتابه رسالة في اللاهوت والسياسة ، إلا أنه خالفه حول النزعة التوفيقية.

يرى موسى بن ميمون أن أسماء الله تعالى قسمين:

1. **اسم الذات**: وهو اسم غير مشتق ، ويعبر عن لفظ الجلالة ، وهذا الاسم يعرف بالكتابة لا بالقراءة ، أي لا يلفظ ولا يقرأ بحروفه الخاصة به ، ويحق للكاهن الأعظم أن ينطق به بحروفه الأصلية ،ويجب أن يكون في مكان خاص ، هو المقدس أو المعبد ، وفي يوم خاص هو يوم الصوم ، ، وهذا الاسم هو يهوه ، ويذكره ابن ميمون بحروفه على الترتيب : الياء –الهاء- والواو ، أما الاسم الذي يحل محله أثناء إرادة النطق هوأدوناي (ميمون ، دت ، صفحة 152) ، ومعنى هذا الاسم عند ابن ميمون هو (واجب الوجود باعتباره اسما دالا على ذاته وحده ، دون مشاركة أحد من مخلوقاته في تلك الدلالة ، فهو اسم خاص به فقط) (ميمون ، دت ، صفحة 49).

2. **أما باقي أسماء فهي مشتقة من أفعال الله، كما يوجد** مثلها عند الإنسان ، ومثل هذه الأسماء خصوصا:

أ. **آدني: مشتق من السيادة الذي يعني سيدي** وهو أخص الأسماء المشهورة لله تعالى.

ب. **آدناي:** ويعني الرب.

ت. **أما باقي الأسماء في نظر ابن ميمون** مثل: ديان صادق ، رؤوف ، رحيم ، وإلوهيم ، فهي عامة ومشتقة (ميمون ، دت ، الصفحات 149-150).

- **الكبالا**

للمصطلح دلالة على مذهب يهودي باطني (غنوصي) نشأ في القرن السابع واستمر حتى القرن الثامن عشر ميلادي ، إلا أنه كانت له دلالات أخرى ، حيث "في العصر الحديث ، استخدمه العديد من اللاهوتيين والفلاسفة وحتى العلماء اليهود والمسيحيين بطرق مختلفة ، وأحيانًا متناقضة ، لقد كان تعبيرًا عن العقيدة اليهودية الصارمة وكذلك وسيلة لوجهات نظر عالمية متطرفة ومبتكرة. لذلك ، يجب تعريف وشرح معنى المصطلح ضمن سياق تاريخي واضح ، يوضح الوقت والمكان والثقافة التي استخدمته في الماضي أو تستخدمه اليوم" ، (Dan, 2006, p. x).

اكتسبت الكبالا قوة رمزية كبيرة في المجتمعات اليهودية ، يعرّفها معجم التلمود Boxtrof "على أنها علم سري يعالج بطريقة باطنية مواضيع غامضة كالإله والملائكة واللاهوت وما وراء الطبيعة عن طريق رموز سرية" (مغنم ، 2019، صفحة 180) يقوم منهجها في تفسير الكتاب المقدس على دعوى أن لكل كلمة وحرف معنى خفي ، وأن لأسماء الله قوة خفية. "رغم أنّ القابالاه لعبت دورا مهما في تطور العقل اليهودي من خلال طابعها التأملي الكوني ، إلا أنه قد كانت لها في المقابل توغلات صوفية أسطورية باطنية تدور حول فكرة واحدة وأساسية هي التطلع إلى ظهور المسيح اليهودي المنتظر" (صميدة ، 2018 ، صفحة 347) .

1- عند الفلاسفة المسيحين

كليمنت السكندري (150- 210م) of Alexandria Clement

يعد Clement واحدا من علماء اللاهوت المنتمين لمدرسة الاسكندرية في العصور القديمة المتأخرة ، يظهر تأثيره في تكوين نوع جديد من العقلية والثقافة ، وكذلك دوره في تكييف التراث الثقافي القديم من أجل تأسيس الايديولوجية المسيحية ، حيث مثلما تأثر بأفلاطون وهراقليطس ، تماشى أيضا مع أفكار معاصريه أمثال: Justin Martyr, Tertullian, Monarchians وهو الذي "حاول رفع الإيمان المسيحي إلى مستوى المعرفة اليونانية اعتمادا على أفلاطون وأرسطو والرواقية وفيلون نظرا لرغبته في إقامة فلسفة مسيحية لها نسقها الداخلي المحكم بصرف النظر عن مصادرها ومكوناتها" نقلا عن (حنفي ، 1991 ، صفحة 119)

اشتهر كلمنت بعقيدة اللوغس العنصر الرئيسي لمفهومه الفلسفي وفي اللاهوت المسيحي، غير أن عالم اللاهوت الروسي Bolotov يرى ان "طابع هذا المذهب فلسفي أكثر منه لاهوتي" (Bolotov, 1879, p. 77).

من بين المواضيع الهامة التي تناولها Clement شخص المسيح أي الكيان الثاني في الثالوث الأقدس، حيث أنه استخدم "أحد أكثر المفاهيم شيوعا في الفلسفة اليونانية القديمة لدراسة طبيعة المسيح كسابقة ثابتة في الأدب التاريخي الفلسفي والتاريخي اللاهوتي، للاعتراف بقيمة العلوم والفلسفة اليونانية التقليدية من قِبل معظم علماء اللاهوت المسيحي الاوائل" (G M. G., 1979)

أوريجن الاسكندري- أوريجانوس- (158- 254)

Origen of Alexandria

أورجين السكندري: هو فيلسوف مسيحي ولد بمصر سنة 185م، وتعلم بالإسكندرية، نشر الإنجيل بست صور مختلفة، عبرية ويونانية، لمقابلة بعضها ببعض حاول أن يؤيد العقيدة المسيحية ببيان اتفاقها مع الفلسفة اليونانية، فكان بذلك واضع الأساس لفلسفة العصور الوسطى، توفي سنة 254م. انظر: (المؤلفين، 2010، صفحة 513)، عُرف بلقب أدمانتيوس أو الألماسي، يعد هو وسابقه من أبرز أساتذة المدرسة المسيحية في الاسكندرية، سار أوريجن على نفس خطى فيلون السكندري، الذي عمل على التوفيق بين الدين والفلسفة اليونانية، والعمل على دعم ونشر المسيحية من خلال استخدامه للفكر والفلسفة ودفاعه عن المعتقدات المسيحية الأساسية. اشتهر بأسلوبه في تفسير النصوص المقدّسة اعتمادا على منهجيته القائمة على العقل والمجاز في فهم النصوص. من بين أهم المسائل العقدية في المسيحية التي ناقشها أورجين نجد قوله في الله، "والله عنده خالق منذ الأزل، وليس في زمان بعينه وإلا عد ذلك تغيرا في ذات الله، والتغير ليس من صفاته. والله الأزلي ولد أو خلق 'كلمته' Logos 'الابن'، الذي على الرغم من كونه ليس إلا حقا، إلا انه يشارك في جوهر الآب والابن. في رأيه العقل الذي ينظم العالم، خلقه الله وجعله له تابعا ليخلق به كل شيء. ومن ثمّ فالابن واسطة بين الله وسائر الخلائق، وكذلك الروح القدس يأتي من مرتبة تألية، شأن الابن" نقلا عن (التواب، دت، صفحة 179). أيضا من بين العقائد المسيحية الأساسية التي تناولها نجد عقيدة التثليث، "رغم اعترافه الكامل بالتثليث، فإنه كان من أوائل من رفض مفهوم 'الهوموأوسياس' أي الطبيعة الواحدة للأب والابن، ما جعله منافيا تماما لمبدأ الإيمان الذي تمّ إقراره في المجمّع المسكوني في نيقا عام 325م" (البدري، 2019). غير أن البعض أمثال إبيفانيوس "كان يؤمن إيمانا يقينيا أن أوريجن السكندري هو الأب الروحي والفكري لكل هرطقة ظهرت في المسيحية، وأنه المؤسس الحقيقي للآريوسيةArianism" (رأفت، 2000). بعد كل الجهود التي بذلها في خدمة المسيحية من خلال تفسيره للعهد القديم والعهد الجديد توفي في سجنه بسبب آرائه وأفكاره.

أوغسطين (354- 430) م Saint Augustin:

يُعد أوغسطين واحدا من الفلاسفة الذين كان لهم تأثير كبير على المسيحية في الغرب من خلال مناقشة أوغسطين لمصدر المعرفة والحقائق، هل يكمن في النفس؟ ليلجأ إلى نظرية الإشراق الإلهي المستقاة من الأفلاطونية المحدثة، لتتسمى فيما بعد نظريته في المعرفة به وهي: نظرية الإشراق الإلهي الأوغسطيني. جاء في أحد محاوراته: "لا نستطيع نفي وجود حقيقة ثابتة، تحوي كل هذه الحقائق" (Augustin, 1955, p. 582) ، من خلال هذا القول فإن أوغسطين يؤكد على مبدأ الكمال المطلق كون الحقائق تستلزم حقيقة باقية وغير مخلوقة، كون هذه الحقائق تحمل جملة من الخصائص كالضرورة والأبدية والثبات والتي بدورها تستلزم وجودا يسمو على العقل.

يذهب أوغسطين إلى ضرورة وجود كائن أبدي ثابت وكامل وهو الله، حسبه وجوده أمر بديهي يتأسس على ثبات الحقيقة التي مهما كان مضمونها سواء كانت رياضية أو أخلاقية فإنها تمثل انعكاس الصفات الإلهية الثبات والأزلية. يفضل أوغسطين أن يطلق على الإله اسم الماهية التي لا تعني إلا الوجود، "لا يمكن وصف الله بأي صفة لأن كل وصف تحديد، والله هو النور الأزلي اللّامتناهي الذي يجعلنا ندرك الحقائق الأبدية فهو النور الحقيقي الذي ينير إنسان آت إلى هذا العالم" (اوغسطين، 1988، صفحة 161)، كما لم يرضى بإطلاق اسم الجوهر على الله، كون الجوهر يفترض

وجود صفات متميزة وأعراض. يقول أوغسطين في محاورة 'مناجاة'(soliloque)"الله أب الحكمة ، أب السعادة ، أب النور المعقول ، أب الإشراق ، مبدأ ومصدر كل حقيقة ، والله هو الذي يوجهنا نحوه ويدخلنا إلى كل حقيقة" (Augustin, 1955, p. 255) ليؤكد أوغسطين على حقيقة رسخت عنده وأقرّها في كتاباته عن الإله "هو الحقيقة الوحيدة ، الخلاص الوحيد ، الماهية العليا والأولى التي يكون بها كل موجود موجودا" (pertrand, 1916, p. 126) ومضمون قوله أنه كان مقتنعا بسيادة إرادة الله والخير ، وأن الله هو خالق كل الموجودات لأنه لا يمكن لغير الموجود حقيقة أن يكون علة وجوده ، وهو الحقيقة الكاملة المعقولة والضرورية ، وأنه الوحيد القادر على منح النعمة للإنسان. غير أن العقيدة المسيحية لا تتقبل دائما أفكار أوغسطين الأكثر تطرفا مثل إنكاره شبه التام لدور الإنسان في عملية الخلاص.

الخاتمة

نسبت اليهودية عددا كبيرا من ألأسماء للإله أكثر من المسيحية ، منها ما يليق ومنها ما لا يليق بالله جلّ وعلا.

أسماء الإله الواردة في العهد الجديد هي ببساطة الأشكال اليونانية لتلك الموجودة في العهد القديم ، حيث:

- لقد كان للثقافة واللّغة اليونانية ، وحتى المصطلحات والتقاليد العبرية تأثير واضح على أسماء الإله الواردة في نصوص العهد الجديد.

- اسم ثيوس: الاسم الأكثر استخداما وشيوعا في العهد الجديد ، وه الذي يقابل اسم إيل وإيلوهيم في العهد القديم.

- اسم كيريوس: تعني الرب ، والتي تطلق على الإله وعيسى ، وتحل محل كلمة أدوناي Adonai ويهوه ، كان بديلا للتيتراجرام كُتب بحروف عبرية داخل النص اليوناني.

- اسم الآب: يُعتقد أن هذا الاسم ظهر في العهد الجديد ، والذي يرمز للأقنوم الأول من الثالوث. إلا أنه كان موجودا أيضا في العهد القديم للتعبير عن علاقة الإله بإسرائيل (علاقة تفرد) ، حيث جاء في سفر اشعياء (63: 16) "فإنّك أبونا وإن لم يعرفنا إبراهيم ، وإن لم يدرنا إسرائيل. أنت يا رب أبونا ، وليُّنا منذ الأبد اسمك". أما في العهد الجديد فكان للاسم دلالة على العموم ، أي أب جميع المؤمنين كما في (1كو 8:6) "لكن لنا إله واحد: الآب الذي منه جميع الأشياء ، ونحن له. ورب واحد: يسوع المسيح ، الذي به جميع الأشياء ، ونحن به".

- لطالما كانت الفلسفة اليونانية حاضرة في الفكر الغربي جنبا إلى جنب مع الدين أو اللاهوت من أجل كشف أسرار الكون وتأويل نصوص الكتب المقدّسة وخاصة ما تعلق بمفهوم الألوهية ، غير أن هذا الاحتكاك بين التفكير العقلاني اليوناني والمعتقدات اليهودية والمسيحية كان له آثاره الجانبية. وكمثال أصحاب المدرسة الاسكندرية: فيلون الذي درس النصوص المقدّسة باليونانية وتشبع بفكر أفلاطون وأرسطو طاليس ، والملاحم اليونانية ، وكليمنت الذي بدأ بتكوين التراكيب اللاهوتية ، وأوريجن الذي جمع بين حكمة اليونان والتعدد في الألوهية وحكمة المسيح المشتقة من التنزيل. كل هذا كان له تأثير في دراستهم للعهد القديم والعهد الجديد وتفسير نصوصه ، ما نشأ عنه يهودية يونانية ومسيحية يونانية.

استبدلت الترجمات الحديثة للعهد الجديد اللفظ بالرب بدل يهوه ، لتجنب الخلط بين الرب يسوع والرب يهوه. نجد أيضا مشكل اختلاف اللغات المتحدث بها بين آرامية ويونانية وعبرية ، التي كانت تختلف بعض الشيء عن العبرية التوراتية ، والترجمات وكثرة الكتابات في العهد الجديد ، تأثير على تعريف أسماء الإله ، ربما لهذا السبب قام بولس بتفادي استخدام التتراجرام وعوضها بـ: الآلهة ، الله ، رب السماء والأرض. لنخلص أنّ السياق الديني كان له دور في التأثير على استخدام اسم الله في اليهودية والمسيحية

قائمة المصادر والمراجع

- ابن ميمون ، دت ، دلالة الحائرين ، تقديم: حسن اتاي ، مكتبة الثقافة الدينية.
- أحمد ديدات ، دت ، الله في اليهودية والمسيحية والإسلام ، ترجمة وتعليق: مُحَمَّد مختار ، المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة.
- أحمد ديدات ، دت ، مناظرتان في استوكهولم بين: أحمد ديدات وكبير قساوسة السويد: استانليشوبيرج ، نقله إلى العربية: علي الجوهري ، دار الفضيلة
- أبو ذؤيب إسرائيل ، 1936 ، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1936.
- إسرائيل ولفنسون ، 2013 ، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته ، تقديم: الحسيني الحسيني معدّي ، كنوز للنشر والتوزيع.
- القديس باسيليوس الكبير ، 2015 ، الكنيسة وثقافة العصر ، ترجمة: سامح فاروق حنين ، مركز باناريون للتراث الآبائي ، مصر ، ط1.
- حسن حنفي ، 1991 ، مقدمة في علم الاستغراب ، الدار الفنية.
- حمادة أحمد علي ، 2017 ، فلسفة الدين اليهودي فيلون السكندري ، نيو بوك للنشر والتوزيع.
- جورج بسام فرجو ، 1992 ، الرد على شهود يهوه ، دار منهل الحياة.
- رأفت عبد الحميد ، 2000 ، الفكر المصري في العصر المسيحي ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
- ريتشارد إليوت فريدمان ، 2003: من كتب التوراة ؟ ، ترجمة: عمرو زكريا ، مراجعة وتقديم: أيمن حامد ، دار البيان للنشر والتوزيع ، ط1.
- سامي عامري ، 2019 ، هل القرآن الكريم مقتبس من كتب اليهود والنصارى ؟ ، تقديم: صلاح الخالدي ، فضل حسان عباس ، إبراهيم عوض ، حاتم جلال ، من إصدارات مبادرة البحث العلمي لمقارنة الأديان. لندن.
- سلوى ناظم ، دت ، الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الواقع والأسطورة.
- سهيل ديب ، 1981م: التوراة بين الوثنية والتوحيد ، دار النفائس ، ط1.
- شريف حامد سالم ، 2011م ، نقد العهد القديم ، دراسة تطبيقية على سفري صموئيل الأول والثاني ، مكتبة مدبولي ، القاهرة.
- طلال حرب ، 1999م ، معجم أعلام الأساطير والخرافات ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
- عاطف العراقي ، 2004 ، يوسف كرم مفكرا عربيا ومؤرخا للفلسفة ، المجلس الأعلى للثقافة ، لجنة الفلسفة والاجتماع ، الهيئة العامة لشؤون المطابع ، القاهرة.
- عبد الرحمن م عبد التواب: دراسات وبحوث في الآثار والحضارة الإسلامية ، المجلس الأعلى للآثار ، وزارة الثقافة ، مصر ، مج1
- عبد الرزاق الموحي: العبادات في الديانة اليهودية
- عبد الوهاب المسيري ، 1999م: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، اليهودية المفاهيم والفرق ، دار الشروق ، ط1 ، مج5.
- علي مُغنَّم: عن الجَفر والكابالا ، إبداع للترجمة والنشر والتوزيع ، 2019.
- مجموعة من المؤلفين ، 2010 ، الموسوعة العربية الميسّرة ، المكتبة العصرية (صيدا ، بيروت) ، مج1.
- مُحَمَّد عبد الستار البدري: الفكر والدين عند "أوريجين السكندري" ، جريدة الشرق الأوسط ، الثلاثاء العدد 14833 ، 9 يوليو 2019. اطلع عليه: 2020/09/29. https://aawsat.com/home/article/1803851/الفكر-والدين-عند-"أوريجين السكندري"
- مصطفى النشار ، 2016 ، مدرسة الإسكندرية الفلسفية بين التراث الشرقي والفلسفة اليونانية ، الدار المصرية اللبنانية.
- الكتاب المقدس ، 1989م - العهد القديم (التوراة ، كنيسة الأنبا تكلا ، الإسكندرية ، مصر ، إصدار مكتبة المحبة ، سفر التكوين 35: 11).
- نزار صميدة ، 2018 ، النصوص الرؤيوية الكتابية مجالاتها وتداعياتها على الفكر الديني الكتابي قديما وحديثا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان.

- Abba Raymond, 1962. The divine name YHWH. Journal of biblical literature 80 (1961), The Interpreter's Dictionary of the Bible. Edited by G. A. Buttrick. Nashville, volume 3.
- Assmann, Jan. Translating Gods: 'Religion as a Factor of Cultural (Un) Translatability', in Hent De Vries (ed), Religion: Beyond a Concept, New York: Fordhman University Press
- David Noel Freedman et al, 1979, 'Divine names and titles in early Hebrew poetry'. In Magnalia Dei: The Mighty Acts of God; Essays on the Bible and Archaeology in Memory of G. Ernest Wright, 'יהוה YHWH', Garden City, NY: Doubleday. TDOT.
- Lacy O'Leary, 2003, Arabic Thought and Its Place in History, Dover Oublications, INC. Mineola, New York, 1st published. https://books.google.dz/books?id=ra6jAQAAQBAJ&pg=PT162&dq=Ibn+jabirul+the+God+is&hl=f
- David Noel Freedman, 1979 Divine names and titles in early Hebrew poetry, in magnolia Dei: The Mighty Acts of God, Essays on the Bible and Archaeology in Memory of God. Ernest Wright (eds, Frank Moore Cross et al; Garden City, NY: Doubleday.

- Davidson, A. B., and S. D. F. Salmond, 1904, The Theology of the Old Testament, The International Theological Library. Edinburgh: T&T Clark.
- Father Michael Kerper, 2001: What is God's name? Parable Magazine, P.O Box 310, Manchester, NH 03105, januarry/ february.
- Francis X. Clooney, 2001, Hindu God, Christian God: How Helps Break Down the Boundaries between Religions (Oxford; New York University Press,
- Forger, D. (2018). Divine Embodiment in Philo of Alexandria. *Journal for the Study of Judaism, 49,* 223-262. https://doi.org/10.1163/15700631-12491160
- Francis X. Clooney, 2010, Comparative Theology: Deep Learning across Religious Borders (Chichester, UK: Wiley-Blackwell.
- G. Getroux, The Use of the Name (YHWH) by Early Christians, International Meeting Society of Biblical Literature, SYNCHRONLIZED CHRONOLOGY.
- George Howard, march 1978, The Name of God in New Testament, Biblical Archaeology Review, volume VI, n° 1.
- Francis Brown, 1963, A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament, with an appendix containing the Biblical aramic based on the lexicon of WILLIAM GESENIUS, translated by Edward Robinson, Edited with constant reference to the Thesaurus of Gesenius as as completed by E. Rodiger, and with authorized use of the latest German editions of Gesenius's Handworterbuch uber das Alte Testament by: FRANCIS BROWN with the co-operation of S. R. DRIVER and CHARLES A. BRIGGS, USA, 2nd edition.
- Hans Conzelmann, 1969, An Outline of the theology of the New Testament (New York: Harper & Row.
- Hoblik J, January 2014, The Holy Logos in the writings of philo of Alexandaria, Communio Viatroum, Thomson Reuters, United States.
- John Donahue, 1982, A neglected factor in the theology of Mark, JBL 101 (1982): 564, This article was presented at the society of Biblical Literature Annual Meeting in 1980 at the Markan Seminar.
- Josef Dan, Kabbalah, 2006, A Very Short Introduction, Oxford University Press.
- Joseph Jacobs, 1906, D. Litt. The Jewish Encyclopedia, a guide toits contents an aid to its use Funk &Wagnalls Company, New York and London.
- Jouette Bassler, God in the new Testament, ABD 2: 1049.
- Maiorov, G. G. (1979). Formirovaniesrednevekovoifilosofii. Latins kaiapatristika [Conceptualization of Medieval Philosophy. Latinic Patristics (standards CDIO)]. MosCow: Publishing House Thought.
- M. Eugene Boring, 1985, Names of God in the New Testament, in Harper's Bible Dictionary, ed. Paul J. Achtemeier (San Francisco: Harper & Row.
- Maire Byrne, 2011: The Names of God in Judaism, Christianity, and Islam, A Basis for Interfaith Dialogue, Continuum International Publishing Group, London.
- Marriane Meye Thompson, 2001, The God of Thr Gospel oh John (Grand Rapids, MI: W.B. Eerdmans.
- Marvin Pope H, 1955, El in the Ugaritic Texts, Suplements to vetusTestamentum, 2. Leiden: Brill.
- N. Wyatt, 2002, Religious Texts from Ugarit (Biblical Seminar, 53. London; New York: Sheffield Academic Press.
- -Richard Schebera, 2003, Comparative theology: a new method of interreligious dialogue, Dialogue and Alliance 17.
- Sarah Pessin, Solomon ibn Gabirol (Avicebron) http://plato.stanford.edu/entries/ibn-gabirol 20
- Seyerlen, Die Gegenseitigen Beziehungen Zwischen Abendländischer und Morgenländischer Wissenschaftmit
- Scott B. Noegel, 2002, Brannon M. Wheeler, Historical Dictionary of Prophets in Islam and judaism, Historical Dictionaries of religions, Philosophies, and Movements, No.43, The Scarecrow Press, Inc. Lanham, Maryland, aldlondon.
- The Jewish Encyclopedia, prepared by more than four hundred scholars and Specialists, isidore singer. Ph. D. Projector and Managing Editor assisted by american and foreign boards of consulting, volume 9, Morawczyk- Philippso, KTAV PUBLISHING HOUSE, INC
- William F. Albright, 1935, The Names of shaddai and Abram, Journal of Biblical Literature 54, 192-3.

إشكالات ترجمة المصطلحات السياسية المستحدثة من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية- إجراءات بيتر نيومارك أنموذجا-

Problematics of Translating Political Neologisms from English into Arabic-Peter Newmark's Procedures as a Model-

تاريخ الإرسال: 05-02-2019 تاريخ القبول: 02-12-2020

حفيظة عياط، طالبة سنة ثالثة دكتوراه تخصص ترجمة العلوم والتكنولوجيا عربي – إنجليزي – عربي، hafi.islam@hotmail.fr

الملخص

تعتبر ترجمة المصطلحات السياسية المستحدثة واحدة من أكثر المهمات التي يواجهها المترجم تعقيدا أثناء ترجمته للنصوص السياسية بوصفها نصوصا متخصصة ؛ فترجمتها ليست بالسهولة التي يظنها البعض أي مجرد عملية إيجاد مقابلات جاهزة متفق عليها سلفا في اللغة المنقول إليها. لذلك نحن نسعى من خلال هذا المقال إلى تسليط الضوء على إشكالات ترجمة هذا النوع من المصطلحات من الإنجليزية إلى العربية ، وبالتحديد تلك التي ظهرت في الفترة ما بين سنة 2001 إلى غاية 2018، ودراسة مختلف الإجراءات المتبعة لترجمتها ومدى نجاعتها في ذلك. والأهم من كل ما سبق ، نسعى لاقتراح ترجمة لبعض المصطلحات المستحدثة التي لم تترجم ولم تدرج في القواميس بعد. ولقد انطلقنا في دراستنا هذه من الإشكالية التالية: ما هي الإشكالات والتحديات التي يواجهها المترجمون العرب أثناء ترجمتهم للمصطلحات السياسية المستحدثة ؟ ، وما هي الإجراءات الترجمية التي يستعملونها لترجمتها بنجاح ؟ وقد اعتمدنا على النظرية المزدوجة لبيتر نيومارك في المناهج الدلالية والتواصلية كإطار عمل نظري وتطبيقي للدراسة ، بالإضافة إلى نموذجه لإجراءات الترجمة لترجمة أنواع مختلفة من المصطلحات والتعابير السياسية المستحدثة.

الكلمات المفاتيح: المصطلحات السياسية المستحدثة - إجراءات بيتر نيومارك للترجمة.

Résumé

La traduction des néologismes politiques est une mission compliquée qui affronte le traducteur lors de la traduction des textes politiques spécialisés, certains considèrent la traduction comme un processus qui consiste à employer des facile correspondances déjà utilisées dans la langue cible. C'est pour cette raison que cet article vise à mettre en évidence les problématiques, de la traduction des néologismes politiques de l'Anglais à l'Arabe, notamment ceux qui sont apparus durant la période entre 2001 et 2018, Il vise également et spécialement à suggérer des traductions pour quelques néologismes qui ne sont pas encore traduits ni inclus dans les dictionnaires. Il s'articule autour de la problématique suivante : Quelles sont les problèmes et les défis que les traducteurs arabes affrontent lors de la traduction des néologismes politiques ? Quelles sont les procédures de traduction pour les traduire convenablement ? Pour ce faire, nous avons adopté la double théorie de Peter Newmark sur les méthodes sémantiques et communicatives de la traduction comme un cadre de travail théorique et pratique de l'étude, ainsi que son modèle procédural destiné à traduire de différents types d'expressions et néologismes politiques.

Mots-clés : néologismes politiques, procédures de traduction de Peter Newmark.

Abstract

The translation of political neologisms is considered to be one of the most complicated tasks translators face while translating political texts as specialized texts; for it is not merely a process of finding pre-agreed upon and ready-made equivalents in the target language. Therefore, we seek through this article to shed light on the problematic of translating those terms from English into Arabic, especially the ones used during the period 2001 to 2018, and to study how well the procedures used in their translation succeeded in transferring them into Arabic. Most importantly, we will suggest a translation for those which have not been translated or included in dictionaries yet; departing from the following problematic: what are the problems faced by Arab translators in translating political neologisms, and what are the best translation procedures to successfully translate them? As a theoretical and practical framework of the study, Peter Newmark's dual theory of semantic and communicative translation will be used, along with his procedures model.

Keywords: Political neologisms, translation procedures of Perter Newmark.

مقدمة

أصبح تأثير اللغة الإنجليزية اليوم على اللغات الأخرى -بعدّها لغة التواصل العالمي المهيمنة- حقيقة لغوية لا يمكن إخفاؤها، ويرجع الفضل إلى الترجمة التي لعبت الدور الأبرز في تحقيق ذلك. ونظرا لما يشهده عالمنا اليوم من أحداث سياسية متسارعة، فإنّ الحاجة إلى استحداث كلمات جديدة للتعبير عن الأحداث المستجدة أصبح أيضا حاجة لغوية لا بد منها، والتي تطرح بدورها معضلة ترجمية تستدعي الوقوف عندها مطولا. حيث يعدّ المجال السياسي واحدا من أكثر المجالات التي يتم إثراء معجمه بشكل مستمر وذلك نظرا للتطورات والأحداث المتسارعة التي تشهدها الساحة السياسية العالمية والمحلية بشكل يومي والتي تتم فيه الترجمة من اللغة الإنجليزية إلى اللغات الأخرى.

غمرت المصطلحات السياسية المستحدثة خلال العقدين الماضيين المعجم اللغوي الإنجليزي نتيجة الأحداث والصراعات السياسية المتصاعدة على الساحة العالمية والمحلية. كما لا يخفى على أحد أن الحاجة إلى ترجمة هذه المصطلحات المستحدثة ترجمة دقيقة هو أمر في غاية الأهمية لما قد يحدثه أي خطأ في ترجمتها إلى نتائج لا يحمد عقباها؛ أقلها وطأة حدوث أزمة دبلوماسية، وأشدها وطأة نشوب حرب دموية، والتاريخ يعج بأمثلة تؤكد وتوثق هذا الأمر.

ساهمت ترجمة المصطلحات السياسية المستحدثة من الإنجليزية إلى العربية في حقيقة الأمر في إثراء محتوى الخطاب السياسي العربي بمصطلحات وتعابير جديدة، وهو الأمر الذي ساعد بدوره على عصرنة اللغة العربية إلى حد ما، وتمكينها من اللحاق بالركب ومواكبة الأحداث السياسية العالمية. لكن تعتبر ترجمة هذه المصطلحات مهمة ليست بالأمر السهل على الإطلاق؛ إذ يتطلب الأمر من المترجم أكثر من كفاءة لغوية عالية، ومن إلمام شامل بمعاني هذه المصطلحات لترجمتها بنجاح؛ بل يتطلب إلى جانب ما تقدم تمكّنا من توظيف تقنيات وإستراتيجيات الترجمة المختلفة حتى يتمكن من خلق مكافئات صحيحة تؤدي معانيها بدقة. والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو: ما هي الإشكالات والصعوبات التي يواجهها المترجمون أثناء ترجمتهم للمصطلحات السياسية المستحدثة من الإنجليزية إلى العربية؟، وماهي إجراءات الترجمة التي يلجؤون إليها للتغلب على هذه الصعوبات؟، وما أهمية تحري الدقة في ترجمة هذه المصطلحات بصفة عامة؟

بناء على ما سبق، سنقوم بتقسيم محتوى المقال كالتالي: سنقوم أولا بالتفصيل في مفهوم المصطلح المستحدث (neologism)، والخصائص التي تجعل منه مستحدثا وتميزه عن باقي المصطلحات الأخرى. وبعد ذلك سنتطرق بشيء من التفصيل إلى مختلف أنماطه وطرق صياغته مع التركيز بالأخص على الأنماط التي عددها بيتر نيومارك (Peter Newmark) (1988)، ومن ثم سنتطرق إلى مجمل الصعوبات التي يواجهها المترجمون لترجمة هذه المصطلحات بشكل عام، والسياسية منها على وجه الخصوص، وما على المترجمين القيام به للتغلب عليها، لنقوم بعد ذلك بعرض مختلف إجراءات الترجمة التي اقترحها نيومارك لترجمة هذه المصطلحات بنجاح. وأخيرا وليس آخرا، سنقوم بجمع وعرض عينة من المصطلحات السياسية المستحدثة باللغة الإنجليزية التي ظهرت في الفترة ما بين سنة 2001 إلى غاية 2018 للنظر في مدى صحة ترجمتها إلى اللغة العربية -إن وجدت- والإجراءات التي استعملت لترجمتها ومدى فاعليتها في نقل كامل معانيها. كما سنحاول اقتراح ترجمة للمصطلحات التي لم تُترجم بعد؛ وبذلك تكون هذه هي الإضافة التي نسعى لتقديمها من خلال هذا البحث. وتجدر الإشارة إلى أن اختيارنا لعينة المصطلحات المختارة للدراسة والتحليل في هذا المقال كان بناء على مدى شيوع استخدامها وتداولها، بالإضافة إلى الحاجة إلى اقتراح ترجمات تصويبية لبعض منها، وكذلك ترجمة بعض ما تيسر من التي لم تتم ترجمتها بعد.

01. تعريف المصطلح المستحدث

اسْتَحْدَثَ يَسْتَحْدِثُ اسْتِحدَاثا فهو مُسْتَحْدَثٌ، ويقال في اللغة استحدث الكلمة بمعنى أوجدها حيث أنها لم تكن موجودة من قبل(almaany.com, n. d.). والمصطلح المستحدث هو اللفظ الجديد الذي لم يكن متداولا في العرف من قبل، وتم صكه حديثا للتعبير عن سياق أو حالة ناشئة جديدة.

يعود أصل مصطلح **neologism** إلى اللغة اليونانية، وهو مكون من قسمين ((**neos** بمعنى) جديد)،

و(**logos**)بمعنى(**كلمة**). إذن تعني كلمة **neologism** الكلمة الجديدة (Merriam Webster Dictionary, n. d.) كما تجدر الإشارة إلى أن معظم القواميس الإنجليزية التي قمنا بالاطلاع عليها مثل Merriam Webster Dictionary, Cambridge Advanced Learner's Dictionary, The American Heritage Dictionary, Collins Thesaurus تتفق جميعها في تعريف المصطلح المستحدث على أنه كلمة أو عبارة جديدة أو استعمال معنى جديد لكلمات وعبارات قديمة. حيث ورد التعريف في قاموس كامبريدج على سبيل المثال كالآتي:

"A new word or expression, or a new meaning for an existing word". (Cambridge advanced learner's dictionary, n. d.)

إنّه ومن المثير للاهتمام ، ولزمن غير بعيد ، كان ينظر إلى الكلمات المستحدثة على أنها ظاهرة لغوية مرضية وشاذة ، حيث عرف قاموس Webster's Third New International Dictionary (1966) المصطلح المستحدث على أنه كلمة بدون معنى يتم صكها من طرف أشخاص يعانون من أمراض نفسية. أما في سنة 1975 فقد نشر عالم المصطلح والمعجمي الفرنسي ألان راي (Alain Rey) دراسة باللغة الفرنسية عنوانها ""Essai de définition du concept de néologisme" محاولة تعريف مفهوم المصطلح المستحدث"(ترجمتنا)، والتي ترجمت ونشرت فيما بعد إلى اللغة الإنجليزية سنة 1995 ، وقد ساهمت هذه الدراسة في تغيير النظرة إلى المصطلحات المستحدثة من كونها ظاهرة مرضية إلى اعتبارها ظاهرة لغوية طبيعية وصحية. وشدد الباحث في أطروحته - من بين عناصر أخرى- على الجانب الاجتماعي والبراغماتي للكلمات المستحدثة (Shadia, Y. B, n. d.).

يعدّ تعريف نيومارك (1988) للمصطلح المستحدث ، وهو واحد من بين أكثر المنظرين الذين تناولوا مسألة ترجمة المصطلحات المستحدثة ، من التعاريف الشاملة للمفهوم ؛ حيث عرف المصطلح المستحدث بأنه وحدة معجمية أو عبارة تم صكها حديثا ، أو قد تكون وحدة معجمية قديمة اكتسبت معنى جديد ، تظهر فجأة لسد واحدة من الثغرات التي لا حصر لها في مصادر اللغة للتعبير عن الفكر والمشاعر الإنسانية المستجدة.

في سياق متصل ، تعدّ مسألة الجدة والقدم بالنسبة للمصطلحات المستحدثة مسألة نسبية لا يمكن الجزم فيها وتحديدها بدقة. فقد يعتبر البعض مصطلحا تم استحداثه منذ سنة فقط مصطلحا مستحدثا ، وقد يعتبر البعض الآخر مصطلحا آخر ظهر منذ عقد من الزمن أو أكثر مستحدثا أيضا. كما يمكن أن يطول عمر المصطلح المستحدث ويدوم استعماله في اللغة لفترات زمنية طويلة ، كما يمكن أن يكون ظهوره مسألة وقتية فقط ليختفي بعد فترة وجيزة من استعماله للتعبير عن مواقف وسياقات محددة. وبشكل عام ، يشير بعض اللغويين بخصوص مسألة جدة وقدم المصطلحات المستحدثة إلى أنه يجب ألا يتجاوز عمر المصطلح خمسة وعشرون سنة حتى يمكن اعتباره مصطلحا مستحدثا. (Putri, 2014)

كما يعتبر استحداث كلمات جديدة أمرا طبيعيا لا بد منه في جميع اللغات ، خاصة المتخصصة منها. حيث تنشأ على الدوام أحداث ويتم اختراع أشياء جديدة تحتاج إلى صك مفردات وعبارات جديدة لتسميتها والتعبير عنها ، وهو الحال الذي ينطبق على المجال التكنولوجي بشكل كبير. والحال ذاته في المجال السياسي ؛ حيث يتم استحداث مصطلحات وعبارات جديدة باستمرار للتعبير عن الأحداث السياسية المستجدة والمتسارعة والمتشابكة التي تطرأ على الساحات السياسية العالمية والمحلية بشكل دوري. وبصفة عامة ، يتم استحداث هذه المصطلحات على ثلاثة أوجه:

أولا ، خلق كلمات وعبارات جديدة كليا. ثانيا ، استعارة كلمات وعبارات من لغات أجنبية أخرى. ثالثا ، إعطاء معاني جديدة لكلمات قديمة (Choi, 2006).

كما حددت كابري (Cabré) عدة معايير تساعد على تحديد إذا ما كانت وحدة لغوية ما هي كلمة مستجدة أم لا حيث تقول:

A unit is a neo-logism if it has arisen recently, if it is not in dictionaries, if it exhibits signs of formal instability (e.g. morphological, graphic, phonetic) or semantic instability and if speakers perceive it as a new unit. (1999, p. 72)

" تعدّ وحدة لغوية ما كلمة مستحدثة إذا ظهرت حديثا ، أو إذا لم تكن مدرجة في القواميس ، أو إذا ظهرت

عليها مظاهر عدم استقرار شكلي (مورفولوجية، كتابية، صوتية) أو عدم استقرار دلالي، أو إذا عدّها متحدثو تلك اللغة وحدة جديدة"(ترجمتنا).

02. أنماط المصطلحات المستحدثة وطرق صياغتها

في الواقع، قام عديد الباحثين والمنظرين في مجال دراسات الترجمة بدراسة موضوع المصطلحات المستحدثة وإجراءات ترجمتها، نخص بالذكر منهم نيومارك (1981, 1988)، سيلفيا ((Silvia) (2001، وديلاباسيتا (Delabasita) (2004) كونهم من أكثر الباحثين الذين تناولوا الموضوع بشكل شامل. وتجدر الإشارة هنا إلى أننا سنقوم باعتماد التصنيف الذي وضعه نيومارك بخصوص هذا الموضوع باعتباره التصنيف الذي يحتوي على مصنف شامل لأنماط المصطلحات المستحدثة وطرق صياغتها وإجراءات ترجمتها أكثر من التصنيفات التي وضعها كل من سيلفيا وديلاباسيتا. كما سنقوم بتدعيم تصنيف نيومارك لأنماط المصطلحات المستحدثة بإضافة بعض الأنماط الشائعة الأخرى التي لم يقم بذكرها في تصنيفه. وعلى هذا الأساس قام نيومارك بتصنيف المصطلحات المستحدثة إلى عدة أنماط كالآتي:

1.2- كلمات قديمة بمعاني جديدة (Semantic neologisms): هي وحدات لغوية موجودة في اللغة مسبقا، يتم إعطاؤها معاني جديدة للدلالة على أشياء أو ظواهر جديدة. وهي كلمات غير ثقافية وغير تقنية بالأساس غالبا ما يكون لها مقابل في اللغة الهدف، وإذا لم يوجد لها مقابل يفضل ترجمتها بمكافئ وصفي أو وظيفي.

هذا النوع من الكلمات بالتحديد يطرح إشكالا على المترجم لكي يتمكن من ترجمته بنجاح الذي عليه أن يبقى على إطلاع دائم بالمعاني الجديدة التي قد تكتسبها الكلمات. مثال على هذا النمط من الكلمات المستحدثة كلمة **(scenario)** التي تعني "مخطط مكتوب لفيلم أو رواية أو عمل مسرحي يعطي تفاصيل عن الحبكة والمشاهد الفردية"، لكن تم إعطاء هذه الكلمة معنى جديد لتعني أيضا" أي مسار أو خطة عمل متوقعة".

2.2- كلمات مصكوكة حديثا New coinages (Formal neologisms): هي وحدات لغوية جديدة لم تكن موجودة في اللغة من قبل تم استحداثها أو صكها للتعبير عن أحداث أو مواقف أو أفكار أو ابتكارات جديدة.

3.2- كلمات مشتقة (Derived words): وهي أكثر أنواع الكلمات المستحدثة شيوعا، وتشمل خاصة المصطلحات العلمية والتكنولوجية. يتم تشكيل هذا النوع من الكلمات من خلال إضافة مورفيمات (أصغر وحدة لغوية لها معنى) إلى جذوع الكلمات حتى تكتسب معاني جديدة. وفيما يلي أمثلة عن هذه المورفيمات في اللغة الإنجليزية:

- **السوابق (prefixes)** التي تشمل على سبيل المثال لا الحصر: com-, con-, de-, ex-, inter-, pre-, pro-, re-, sub-, un-, mis-, non-.

- **اللواحق (suffixes)** التي تشمل على سبيل المثال: al, -ence, -er, -ment, -ness, -ship, -tion, -ate, -ed, --ize, -able, -ful, -ous, -ly, -ism, -ize, -ization.

نضرب مثالا بسيطا على الكلمات المشتقة عن طريق إضافة السوابق واللواحق بالصفة **(inaccurate)** المكونة من السابقة **(in)** والصفة **(accurate)** هذه الأخيرة التي تعني **(صحيح)**، لكن من خلال إضافة السابقة **(in)** اكتسبت الصفة معنى جديد لتعني بذلك **(خاطئ)**. وتجدر الإشارة إلى أن نفس العملية موجودة أيضا في اللغة العربية وتسمى بالاشتقاق.

4.2- الاختصارات (Abbreviations): الاختصار هو الصيغة المختصرة لكلمة أو عبارة ما، على سبيل المثال الاختصار شائع الاستعمال **(I. Q)** المكون من الحروف الأولى للكلمتين **(intelligence quotient)** التي تعني **(حاصل الذكاء)**. أمثلة أخرى شائعة لبعض الاختصارات مثل **Mr.**, **Mrs.**, **Dr**. التي تعني على التوالي: **سيد، سيدة، دكتور**. تجدر الإشارة إلى أنه يتم عادة إلى جانب ترجمة الاختصارات الجديدة في لغة ما إلى اللغة المنقول إليها، إضافة شرح أو ملاحظات وصفية للترجمة إلى أن تصبح هذه الاختصارات معروفة على نطاق واسع.

5.2- المتلازمات اللفظية ((Collocations: يعرفها د. عَبْد الغَنيّ أبو العَزْم:" المتلازمة اللفظية هي وحدةٌ لُغَويّةٌ اسميّةٌ أو فعليّةٌ مُكوَّنةٌ من كلمتَيْن أو أكثر، ينشأ عن ارْتباطِها معنىً جديد، يختلفُ كلّياً عمّا كانَت تدلُّ عليها مَعانيها اللّغويّةُ الأصليّةُ منفرِدةً، حيثُ تنتقلُ بذلِكَ إلى دلالاتٍ اجتماعيّةٍ وسياسيّةٍ وثقافيّةٍ ونفسيّةٍ واصطلاحيّةٍ"(2006، ص 34). بمعنى أنها وحدات لغوية مكونة من كلمتين أو أكثر، تظهر بجانب بعضها البعض لتشكل وحدة دلالية معينة، ويكون تجاورها بجانب كلمات أخرى محصور بخيارات محددة، فمثلا الفعل الأنسب الذي يتماشى مع الاسم (**crime**) (جريمة) للتعبير عمن قام بها هو الفعل (**commit**) **أو** (**perpetrate**) (**ارتكب**) أو (**اقترف**) دون غيرهما من الأفعال ؛ فمن الخطأ القول مثلا "**عمل فلان جريمة**".

تشمل المتلازمات اللفظية الأسماء المركبة (**compound nouns**)، والصفات والأسماء (**adjective + noun**)، وتعمل في النص كوحدة لها معنى مختلف عن معنى كلماتها منفردة. وتتكون معظم المتلازمات اللفظية من كلمتين غالبا على شكل (**اسم** + **صفة**)، مثال (**blind confidence**) التي تترجم إلى (**ثقة عمياء**)، أو (فعل + اسم)، مثال (**draw a sword**) التي تعني (**يستل سيفا**)، أو (**اسم** + **اسم**)، مثال (**brain drain**) والتي تترجم بـ (**هجرة الأدمغة**). وإذا لم يكن لهذه التركيبات مقابل في اللغة المنقول إليها فعلى المترجم أن يترجمها بمصطلح وظيفي أو وصفي.

6.2- المسميات (Transferred word / Eponyms): عرفها نيومارك (1981) بأنها كلمات مشتقة من أسماء علم أو من علامات تجارية، على سبيل المثال المصطلح (**Rooseveltian**) الذي تم استحداثه للإشارة إلى الأسلوب السياسي القوي لثيودور روزفلت (Theodore Roosevelt) الرئيس السادس والعشرون للولايات المتحدة الأمريكية، وأيضا للإشارة إلى أنشطته القوية في الخارج.

7.2- الكلمات العباراتية (Phrasal Words): وتشمل الأفعال (**phrasal verbs**) التي هي نوع من الأفعال التي يتم تشكيلها من خلال إضافة ظرف (**adverb**) أو حرف جر (**preposition**) إلى فعل ما لإكسابه معنى جديد، مثال الفعل (**act upon**)؛ هذا الفعل مكون من الفعل (**act**) الذي يعني (**يمثل** أو **يؤدي دورا**)، ومكون كذلك من حرف الجر (**upon**)، وبجمعهما معا يصبح معنى الفعل (**يتخذ إجراء بناء على** ، **أو كردة فعل على شيء ما**) كمعلومة مثلا.

تشمل هذه الفئة أيضا على الأسماء المركبة (**phrasal nouns**) التي يتم تشكيلها بواسطة الجمع بين فعل معين وحرف من حروف الجر أو ظرف لتصبح كلمة واحدة، أو من خلال الوصل بينهما بواصلة. (**hyphen**)(-) على سبيل المثال الفعل (**buy out**) **الذي** يعني (**شراء حصة مسيطرة في شركة خاصة من قبل مدراءها**)، أما عندما يُجمع الفعل وحرف الجر في كلمة واحدة (**buyout**) تصبح الكلمة اسما بمعنى (**الاستحواذ**)(Brians, n. d.). ويعتبر المكافئ الدلالي هو الإجراء الأنسب لترجمة هذا النوع من الكلمات المستحدثة.

8.2- اللفظة الأوائلية (Acronym): هي نوع من الاختصارات المكونة من الأحرف الأولى للكلمات المشكلة لعبارة من العبارات، وتلفظ هذه الاختصارات ككلمة واحدة وليس كأحرف منفصلة. يشيع استعمال هذا النوع من الاختصارات في النصوص غير الأدبية خصوصا، والغرض من استعمالها بالدرجة الأولى هو الاختصار، بالإضافة إلى إثارة فضول القارئ للبحث عن معناها وإلى ماذا ترمز ؛ على سبيل المثال الاختصار (**POTUS**) المكون من الحروف الأولى **للعبارة President of the Unites States of America** (**رئيس الولايات المتحدة الأمريكية**).

9.2- اختصارات (Pseudo-neologisms): يشير نيومارك إلى أن هذه الفئة تشبه اللفظات الأوائلية إلى حد كبير من حيث أنها تتكون من الحروف الأولى للكلمات المكونة للعبارات التي تشير إليها. وقد ازداد تداول هذا النوع من الاختصارات على نطاق واسع في السنوات الأخيرة خاصة مع الانتشار الواسع لاستعمال وسائط التواصل الاجتماعي، على سبيل المثال الاختصار **ASAP (as soon as possible)**، والتي تعني (**في أقرب وقت ممكن**). مثال آخر الاختصار (**bty**) (**by the way**) الذي يعني (**بالمناسبة أو على فكرة**).

10.2- الاستعارة / الاقتراض (Borrowing): وهي عملية إدخال كلمة من لغة إلى لغة أخرى دون إحداث أية تغييرات عليها ؛ مثل بعض الكلمات التي اقترضتها اللغة الإنجليزية من اللغة الفرنسية ، على سبيل المثال المصطلح **(coup d'état)** الذي يعني (**انقلاب**)، وكلمة **(brigade)** التي تعني (**فرقة** أو **لواء**).

11.2- النحت ((Portmanteau: يعرف هذا الأسلوب المستعمل لاستحداث كلمات جديدة أيضا بال**مزج ((Blending**، ويقوم على المزج بين كلمتين أو أكثر ، أو أجزاء منها لتشكيل كلمات جديدة ذات معاني جديدة ، مثال الكلمة **brunch))** التي تعني (**وجبة فطور وغداء**)؛ حيث تم تشكيل هذه الكلمة من خلال الجمع بين الحرفين الأوليين لكلمة **(breakfast) (فطور)** والأحرف المتبقية من كلمة **lunch)) (غداء)** ما عدا الحرف الأول لتشكيل هذه الكلمة الجديدة.

12.2- كلمات مركبة (Compound words): يتم خلق هذا النوع من الكلمات من خلال الجمع بين كلمتين أو أكثر من الكلمات المعروفة والموجودة مسبقا في اللغة بغرض تشكيل كلمات ذات دلالات ومعاني جديدة ، مثل الجمع بين صفتي (**أمريكي**) **(American)** و(**هندي**) **(Indian)** للإشارة إلى السكان الأصليين لأمريكا **(American-Indian)**.

13.2- الحذف (Clipping): ويكون من خلال القص أو التقصير في عدد الحروف المكونة لكلمة من الكلمات لخلق كلمات جديدة تحمل نفس المعنى وتحافظ على معاني الكلمات الأصلية قبل تقصيرها ؛ مثال كلمة **(memo)** التي تم استحداثها من خلال الإبقاء على الحروف الثلاثة الأولى فقط من كلمة **(Memorandum)** التي تعني **مذكرة**.

03. صعوبات ترجمة المصطلحات السياسية المستحدثة

غالبا ما يواجه المترجمون صعوبات جمة أثناء ترجمتهم للمصطلحات بسبب حداثة عهدها في اللغة. يشير نيومارك إلى أن ترجمة هذا النوع من المصطلحات يطرح العديد من الإشكالات ؛ حيث يقول في هذا الصدد:

Neologisms are perhaps the non- literary and the professional translator's biggest problem. New objects and processes are continually created in technology. New ideas and variations on feelings come from the media. Terms from the social science, slang, dialect coming into the main stream of language, transferred words, make up the rest. (Newmark, 1988, p. 140)

"ربما تكون المصطلحات المستحدثة أكبر المشاكل المهنية والغير الأدبية التي يواجهها المترجم ؛ حيث يتم اختراع أشياء وعمليات جديدة بشكل مستمر في المجال التكنولوجي. كما تصدر من الإعلام أفكار جديدة واختلافات فيما يتعلق بالمشاعر. كما يدخل إلى الاستعمال اللغوي مصطلحات من العلوم الاجتماعية واللغة العامية واللهجات وكذلك الكلمات المنقولة" (ترجمتنا).

أدى تسارع الأحداث السياسية على الساحة العالمية في واقع الأمر إلى استحداث مصطلحات وعبارات جديدة للتعبير عن المواقف المستجدة. ونظرا لضيق الوقت قد لا يوفق المصطلحيون واللغويون في الإسراع في خلق مقابلات لها في اللغة المنقول إليها بالسرعة المطلوبة لمجاراة تلك الأحداث ، وهو الأمر الذي يشكل عقبة كبيرة أمام المترجم أثناء أداء عمله. وتعتبر ظاهرة عدم وجود مقابلات جاهزة للمصطلحات السياسية المستجدة من الظواهر اللغوية العادية التي لا توحي بالضرورة عن فقر اللغة المنقول إليها أو عجزها ، وهو الأمر الذي أشار إليه يشير جورج مونان (Georges Mounin) في هذا الصدد إلى أنه:" إذا كانت الحقيقة غير اللغوية لحضارة ما غير موجودة في حضارة اللغة التي نترجم منها ، فلا نندهش لعدم وجود الألفاظ التي تدل عليها" (مونان ، 2002، ص 56).

في سياق ذي صلة ، يؤدي غياب المقابل في اللغة المنقول إليها في كثير من الأحيان إلى ما يطلق عليه ب**استحالة الترجمة untranslatability))**، ويشير كاتفورد (Catford) إلى أن استحالة الترجمة تكون على مستويين ثقافي ولغوي ، حيث يقول:" تكون الترجمة غير ممكنة عندما لا يوجد بديل مفرداتي أو نحوي في اللغة الهدف يقابل الكلمات المعنية في اللغة الأصل. أما من الناحية الثقافية ، تعود عدم إمكانية الترجمة إلى عدم وجود حالة وظيفية تتعلق بالموضوع المترجم في ثقافة اللغة الهدف مقابل نص اللغة الأصل"(كما وثق عند باسنت ، 2012،ص 58). والمقصود

بعدم وجود الحالة الوظيفية التي تتعلق بالموضوع المترجم هو غياب السياق أو الموقف في الثقافة واللغة الهدف مما قد ينتج عنه ترجمات خاطئة أو غير دقيقة في الأغلب. ومرد هذا الأمر أيضا قد يكون جهل المترجم بالمعاني السياقية لهذه المصطلحات وعدم إلمامه بالحالة التي أدت إلى ظهورها. نضرب مثالا على ذلك بالعبارة الإنجليزية (**rubber chicken)** التي تتم ترجمتها إلى العربية بـ(**دجاج مطاطي)**، وهي ترجمة -في نظرنا- ترجمة حرفية لم تؤدي العبارة معناها الفعلي. وفي سياق متصل ، يتطلب الأمر من المترجم الجيد لكي يترجم هذه العبارة بشكل صحيح إلماما بظروف ظهورها ، ومعانيها السياقية كاملة.

نشدد إلى جانب ما سبق على ضرورة اعتماد المترجم على المنهج التواصلي لترجمة مثيلات هذه العبارة ، وكذلك ترجمة المصطلحات المستجدة بصفة عامة ، وعدم الوقوع في فخ اتباع المنهج الدلالي بشكل كلي لترجمة النصوص والمصطلحات السياسية مثلما يدعو إلى ذلك معظم منظري الترجمة. وفي واقع الأمر ، لا تشير عبارة **rubber chicken** لا من قريب ولا من بعيد إلى أي شيء له علاقة بمادة المطاط ؛ بل تستعمل العبارة لوصف الطعام المحضر مسبقا والمقدم في الخطب والمؤتمرات السياسية لأعداد غفيرة من الحضور مما يجعل من مذاق اللحم "قاسيًا" أو "مطاطيًا" ، والعبارة كذلك استعارة عن إلقاء الخطب في الحملات الانتخابية في الولايات المتحدة الأمريكية (Wikipedia, n. d.)

تعدّ ترجمة المصطلحات السياسية المستحدثة على وجه الخصوص أمرا في غاية التطلب ، ومهمة ليست بالسهلة أبدا حتى على أمهر المترجمين وأكثرهم كفاءة ؛ وذلك بسبب طبيعة المصطلحات الغامضة والمعقدة في الكثير من الأحيان. نضرب مثالا على هذا بالمصطلح الإنجليزي **(pullover policy)** الذي تم تداوله بشكل كبير في الأوساط الإعلامية الغربية قبيل الحرب على العراق في شهر مارس من سنة 2003. في الواقع إنّ تخمين معنى المصطلح بناءً على المعاني الحرفية للكلمات التي تشكله لن يساعد المترجم في الوصول إلى دلالاته الفعلية وبذلك ترجمته بنجاح. بل يجب أن يكون المترجم على دراية شاملة بالأبعاد والظروف السياسية التي أدت إلى استحداث المصطلح حتى يتمكن من ترجمته بنجاح. المصطلح يعني ببساطة اللباس غير الرسمي المتمثل في الكنزة الصوفية (**pullover**) التي كان يرتديها آنذاك رئيس الوزراء البريطاني توني بلير (Tony Blair) أثناء إجراء محادثاته بشأن الحرب على العراق. وقد فسر المحللون السياسيون ارتداء هذا النوع من الملابس غير الرسمي على أنه عبارة عن خدعة أو تمويه يهدف من ورائها رئيس الوزراء البريطاني بلير التخفيف من وطأة قرار الحرب على الشعب الإنجليزي ، وكذلك لصرف انتباه الإعلام المضاد عن الخوض في تبعات هكذا قرار مصيري. وفي رأينا أن على المترجم ترجمة هذا المصطلح ترجمة حرفية إلى **(سياسة البلوفر)** أو **(سياسة الملابس غير الرسمية)**، بالإضافة إلى ترجمته بمكافئ وصفي بـ (مصطلح سياسي يشير للملابس غير الرسمية التي كان يرتديها رئيس الوزراء البريطاني توني بلير قبيل الحرب على العراق للتغطية على قرار الحرب).

مثال آخر عن المصطلحات السياسية المستحدثة المثيرة للاهتمام التي تشكل تحديا كبيرا للمترجمين هو مصطلح (**smart sanctions)** الذي تم تداوله أيضا في الأوساط السياسية والإعلامية قبيل الحرب على العراق سنة 2003، لكنه اختفى بعد ذلك لأن هذه العقوبات التي اقترحتها الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة على العراق لم تلقى موافقة ودعما من طرف المجتمع الدولي. المصطلح ببساطة يشير إلى اقتراح صيغة من العقوبات تتمثل في منع دولة العراق بقيادة الرئيس الراحل صدام حسين من استيراد المنتجات أو السلع ذات الاستعمال المزدوج ؛ أي تلك التي يمكن استعمالها لأغراض سلمية وعسكرية في نفس الوقت مثل اليورانيوم. إنّ الترجمة الحرفية لهذا المصطلح بـ(**عقوبات ذكية**) تبدو ترجمة غريبة بعض الشيء ؛ فكيف للعقوبات أن تكون ذكية! لذلك نعتقد بأن أفضل إجراء لترجمة هذا المصطلح هو إجراء المكافئ الوصفي عن طريق ترجمته كالتالي (العقوبات الذكية هي نوع من العقوبات التي اقترحتها كل من الولايات المتحدة وبريطانيا لتطبيقها على العراق والتي تقضي بمنع استيراده للمواد أو المنتجات ذات الاستخدام المزدوج السلمي والعسكري).

ضف على ما سبق أنه تبقى أكبر العقبات التي يواجهها المترجمون العرب في ترجمتهم للمصطلحات الإنجليزية

المستجدة هي صعوبة البحث عن المكافئات المناسبة لها بسبب قلة القواميس المتخصصة والمُحَّدثة، وهو ذات الأمر الذي ينطبق على ترجمة المصطلحات المستحدثة في جميع اللغات، حيث أشار إلى هذه النقطة كل من فولدن ولورد حول الصعوبات التي يواجهها المترجمون لإيجاد مكافئات للمصطلحات المستجدة في القواميس والمعاجم، وقاما بإعطاء تعريف للمصطلحات المستحدثة بناء على هذا الأساس على أنها:

"Words that are not included in a standard lexicon of adult native language speakers" (Volden, Lord, 1991, p. 110)

"الكلمات التي لم يتم تضمينها في المعجم المعياري للمتحدثين الأصليين البالغين للغة ما"(ترجمتنا).

وفي سياق ذو صلة، يشير إلينيور ماير (Elinor Meyer)، مساعد رئيس التحرير في قاموس أوكسفورد الإنجليزي، أنه عادة يستغرق الأمر حوالي عشر سنوات لكي تُضمن الكلمات المستحدثة في القاموس بشكل رسمي، ويستثنى من ذلك الكلمات التي يشيع استعمالها في وقت قصير (Kean, 2017).

وصف كل من حاتم وماسون (Hatim&Mason) (1990، 1997) الترجمة السياسية بأنها عملية تواصلية تحدث في سياق اجتماعي قائم بذاته، أين يلعب السياق والأهداف الاجتماعية والعلاقة بين المرسل والمتلقي دورا مهما في عملية الترجمة. كما أن لكل ثقافة أو بلد النظام السياسي الخاص بها، هذا ما يجعل من الترجمة السياسية صعبة ومعقدة. ويشير نيومارك أيضا إلى أن اللغة السياسية تحتوي على الكثير من المفاهيم المجردة التي قد تبدو سهلة للترجمة من الوهلة الأولى، لكن ترجمتها تنطوي على الكثير من الصعوبات، فعلى سبيل المثال قد تطرح ترجمة كل من كلمتي **الديموقراطية والشيوعية** المتواجدتين في كل اللغات العديد من الصعوبات؛ والأمر راجع بالأساس إلى اختلاف معاني هاذين المفهومين من بلد لآخر، وتأثرهما بالتقاليد السياسية لتلك البلدان (2006، ص 243).

كما حدد بعض الشروط التي على المترجم تحريها عند ترجمته للكلمات المستجدة التي لم تترجم بعد، أو تلك التي لم يتم الإجماع على ترجمة موحدة لها؛ حيث شدد في هذا الخصوص على "ضرورة التأكد من عدم وجود ترجمة مسبقة للمستجدة، أن تثير الترجمة المقترحة اهتمام الجمهور، أن يقر المترجم بأي مستجدة يبتكرها باستعمال علامات الاقتباس على الأقل، وأن لا ينتهك في ترجمته للمصطلحات التقنية حرمة عالم المصطلح الذي يعمل ضمن فريق وعلى اتصال بالمنظمة الدولية للمعيرة (**ISO**)" (نيومارك، 2006، ص 243).

04. إجراءات نيومارك لترجمة المصطلحات المستحدثة

إنّ إجراءات الترجمة هي طرق يلجأ إليها المترجمون عندما يقومون بصياغة مكافئات بغرض نقل عناصر المعنى من النص الأصلي إلى نص الترجمة، وقد اقترح الكثير من المنظرين نماذج مختلفة لترجمة المصطلحات المستحدثة التي من بينها اخترنا نموذج نيومارك (1988). يشدد هذا الأخير على أن مناهج الترجمة (translation methods) تستعمل لترجمة النصوص، بينما تطبق إجراءات الترجمة (translation procedures) حصرا على الجمل والوحدات اللغوية الأصغر (Newmark, 1988). وبما أن المصطلحات المستحدثة هي عبارة عن وحدات معجمية سيتم تطبيق الإجراءات الترجمية عليها. تستند معظم المعلومات الواردة في هذا القسم إلى كتاب الترجمة الخاص بنيومارك A Textbook of Translation الذي عدد فيه الإجراءات التالية:

1.4- النسخ:(Transcription) هي عملية نقل كلمة من اللغة المنقول منها إلى اللغة المنقول إليها عن طريق نسخها بنفس نطقها في لغتها الأصلية بحروف اللغة المنقولة إليها. يتم اللجوء إلى هذا الإجراء إما لأن اللغة المنقول إليها لا تحتوي على مكافئات معجمية أو لأسباب أسلوبية أو بلاغية، وفي هذه الحالة تصبح الكلمات المترجمة كلمات مقترضة (**loan words**).

2.4- الترجمة الحرفية :(Literal translation) هي ببساطة شديدة ترجمة المصطلحات بما يكافئها بشكل دقيق في اللغة المنقول إليها. ويشير نيومارك إلى أن الترجمة الحرفية هي إجراء ترجمي أساسي سواء في المنهج الدلالي أو التواصلي، وهو إجراء جد مناسب لترجمة الكلمات أكثر من ترجمة الجمل والنصوص؛ إلا في حالة واحدة فقط وهي

تطابق المعنى في اللغة المنقول منها مع المعنى في اللغة المنقول إليها.

3.4- التوطين:(Naturalization) يكون هذا الإجراء عن طريق تكييف نطق ومورفولوجيا كلمات اللغة المنقول منها إلى اللغة المنقول إليها بهدف تقليل الغرابة في النص الأجنبي لصالح قرّاء نص الترجمة ؛ على سبيل المثال ترجمة مصطلح "**Zionism**" بـ"**صهيونية**".

4.4- الإضافة:(Addition) يكون هذا الإجراء بإضافة كلمات أو عبارات أو حتى جمل إلى المصطلحات المراد ترجمتها ليست جزء أساسيا منها بهدف إعادة التعبير عن فكرة أو تعزيز معنى كلمة ما لأن مقابلها في اللغة المنقول إليها لن يوفي المعنى بشكل دقيق. كما يستخدم هذا الإجراء لتقديم معلومات إضافية حول المصطلحات ذات البعد الثقافي أو المصطلحات التقنية المتخصصة.

5.4- الحذف :(Omission) يقوم هذا الإجراء على حذف واستبعاد كلمات ، أو عبارات ، أو جمل كاملة من الترجمة ، ويتم اللجوء إليه لصعوبة التعامل مع التباين الثقافي الموجود بين اللغة المنقول منها واللغة المنقول إليها بشرط ألا يؤدي حذفها إلى إخلال بالمعنى.

6.4- التعويض:(Compensation) هو إجراء يتم فيه التعويض عن فقدان معنى التأثير الصوتي ، أو الاستعارة ، أو التأثير البراغماتي في جزء واحد من الجملة في جزء آخر ، أو في جملة متصلة في النص الأصلي من خلال إعادة خلق أثر مماثل في نص الترجمة.

7.4- الترجمة الدلالية :(Semantic translation) يطلق عليه أيضا بالترجمة الشفافة ، وهو إجراء يقوم فيه المترجم بنقل كلمة من اللغة المنقول منها إلى اللغة المنقول إليها دون التقيد بالترجمة الحرفية ؛ مراعيا بذلك المعنى والمضمون والقيمة الجمالية والفنية لكل من النص الأصلي ونص الترجمة.

8.4- المكافئ الوظيفي (Functional equivalent): يعتبر هذا الإجراء وفقا لنيومارك الإجراء الأكثر دقة لترجمة الكلمات الثقافية. يقوم المترجم عن طريق استعمال هذا الإجراء باستيعاب المفهوم في اللغة المنقول منها ومن ثم إيجاد طريقة للتعبير عنه في اللغة المنقول إليها ، مع الاحتفاظ على نفس النية والمعنى كالتي في النص الأصلي. وهو أيضا ترجمة كلمة ثقافية في اللغة المنقول منها بكلمة غير ثقافية في نص الترجمة.

8.4- المكافئ الوصفي / إعادة الصياغة (Descriptive Equivalent / paraphrasing): يشير إلى عملية وصف عناصر اللغة المنقول منها في اللغة المنقول إليها ، ويتم اللجوء إليه عندما لا يتوفر مكافئ في اللغة المنقول إليها ، ويهدف هذا الإجراء إلى التوسعة والشرح أيضا ؛ مثل ترجمة كلمة (**Samurai**) التي تنقل في أغلب الأحيان نقلا صوتيا إلى العربية بـ(**ساموراي**) ، لكن نعتقد أنه من الأفضل ترجمتها بمكافئ وصفي ؛ ونقترح ترجمتها بـ**عضو في الطبقة العسكرية والأرستقراطية اليابانية من القرن الحادي عشر إلى التاسع عشر**.

9.4- النحت :(loan translation/Through-translation) هي الترجمة الحرفية للكلمات الشائعة الاستعمال وأسماء المنظمات خاصة. يتم استخدام هذه الطريقة عندما يرغب المترجم في الاحتفاظ على صورة المصطلح الأصلية ، أو عندما لا يمكن ترجمة المصطلح بأي طريقة أخري ، أو عندما يكون القارئ الهدف لا يعرف شيئا عن اللغة المنقول منها ، مثال " "**European Union**"**الاتحاد الأوروبي**".

10.4- الترجمة المعروفة (Recognized Translation): يتم اللجوء إلى هذا الإجراء في حالة وجود عدة ترجمات لمصطلح واحد تحمل نفس الدلالات والمعنى ، في هذه الحال يلجأ المترجم من خلال إجراء الترجمة المعروفة إلى استعمال أكثر هذه الترجمات شيوعا ، وفي حالة عدم اقتناع المترجم بصلاحية هذه المكافئات ما عليه إلا أن يشير إليها في الحواشي ، وبعد ذلك يستعمل المكافئات التي يفضلها ويراها الأنسب.

11.4- الترادف المعجمي (Lexical synonymy): عند استعمال هذا الإجراء يكون اختلاف بسيط في المعنى بين المصطلح المستحدث وترجمته ، ويتم اللجوء إليه في حال غياب مكافئ دقيق في اللغة المنقول إليها فتتم ترجمة

المصطلح بمكافئ مواز أو قريب في المعنى ، أو عندما تكون الترجمة الحرفية غير ممكنة.

12.4-المكافئ الثقافي/التكييف (Cultural Equivalent /Adaptation): هي ترجمة تقريبية أين يتم فيه استبدال كلمة ثقافية ما في النص الأصلي بأخرى في نص الترجمة ، وهذا بهدف تلبية توقعات الجمهور المستهدف. ويتم اللجوء إلى هذا الإجراء عندما يصعب فهم المواقف التواصلية في ثقافة اللغة المنقول إليها ، أو عند غياب المقابل الثقافي فيها ؛ لذلك يستوجب خلق موقف مكافئ لسد هذه الفجوة الثقافية.

13.4- Couplets: يقوم هذا الإجراء على الجمع بين إجراءين أو أكثر من الإجراءات المذكورة أعلاه على التوالي للتعامل مع مشكلة واحدة وللوصول إلى ترجمة أكثر دقة خاصة للمصطلحات ذات الحمولة والخصوصية الثقافية. الاستخدام الأكثر شيوعًا لهذا الإجراء هو لترجمة الكلمات الثقافية ، حيث يتم في كثير من الحالات نسخ المصطلح ثم ترجمته بمكافئ ثقافي أو وظيفي أو وصفي من أجل نقل كامل أبعاده الدلالية والسياقية إلى اللغة المنقول إليها بشكل كامل.

14.4- الهوامش (Notes): يقوم هذا الإجراء بإضافة معلومات أكثر للمصطلحات التي تمت ترجمتها ، وتكون هذه المعلومات في معظم الأحيان على شكل حواشي (**footnotes**). تكمن أهمية استخدام هذا الإجراء في مساعدة القارئ الهدف على إصدار حكم أفضل على محتويات النص الأصلي وأبعاده الثقافية.

05. نماذج عن ترجمة بعض المصطلحات السياسية المستحدثة

سنقوم فيما سيأتي بعرض بعض المصطلحات السياسية المستحدثة التي ظهرت في الفترة ما بين 2001 و2018 ، وتجدر الإشارة إلى أن بعض هذه المصطلحات قد ظهرت قبل سنة 2001 ، لكن شاع استعمالها فقط في السنوات الأخيرة إلى جانب البعض الآخر منها الذي هو عبارة عن مصطلحات قديمة لكن اكتسبت معاني جديدة مما يجعل منها أيضا مصطلحات مستحدثة يستوجب على المترجم أن يكون مطلعا عليها ، وملما بالمعاني الجديدة التي اكتسبتها حتى تكلل ترجمته بالنجاح في الأخير. وتجدر الإشارة إلى أننا قمنا بجمع هذه المصطلحات من العديد من المصادر المتنوعة مثل المقالات الصحفية ، والتقارير والنصوص السياسية ، ومواقع الإنترنت المتخصصة في الشأن السياسي للدول الناطقة باللغة الإنجليزية مثل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا.

كإطار عمل تطبيقي لهذه الدراسة ، سيتم تبني مناهج الترجمة التي وضعها نيومارك المتمثلة في المنهج التواصلي والدلالي إلى جانب نموذج إجراءات الترجمة الخاص به كأساس لتحليل ترجمة نماذج هذا البحث ؛ لأنه في نظرنا الوحيد الذي يقدم في نظريته قائمة بإجراءات الترجمة المختلفة التي نراها جد مناسبة وعملية لترجمة المصطلحات المستحدثة ؛ كل هذا هو محاولة منا لتحديد إجراءات الترجمة التي استخدمت لترجمة هذه المصطلحات من الإنجليزية إلى العربية ، ولتحديد الإجراءات الأنسب لترجمة هذا النوع من المصطلحات بشكل عام. والأهم مما سبق ، أننا سنقوم باقتراح ترجمة للمصطلحات التي لم تتم ترجمتها بعد.

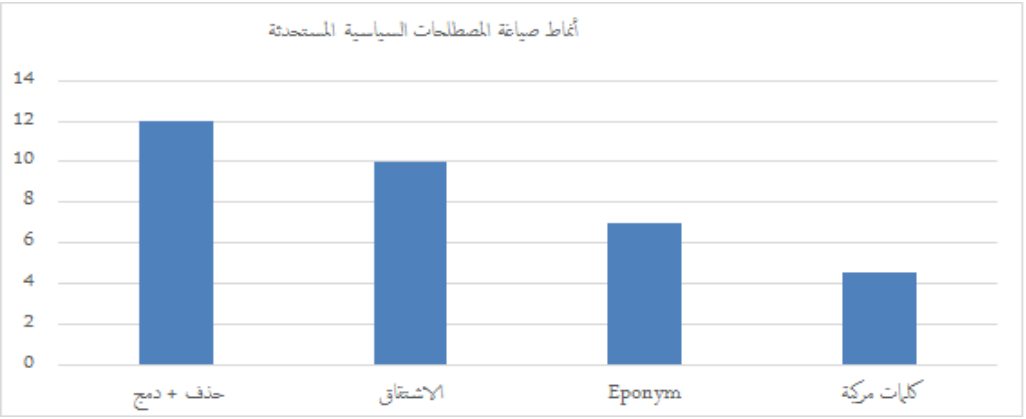
جدول 01: بعض المصطلحات السياسية الإنجليزية المستحدثة وترجمتها إلى العربي

المصطلح المستحدث	نمط صياغة المصطلح	الترجمة إلى العربية	إجراء الترجمة	الترجمة المقترحة
Brexit	حذف + دمج Britain + exit	بريكسيت	النسخ	الخروج المرتقب لبريطانيا من الاتحاد الأوروبي.
Brexiter	حذف + دمج + اشتقاق Britain + exit + er	لم يترجم بعد	المكافئ الوصفي	انجليزي مؤيد لمغادرة المملكة المتحدة الاتحاد الأوروبي.
Bremainian	حذف + دمج + اشتقاق Britain+ remain + ian	لم يترجم بعد	المكافئ الوصفي	معارض لخروج المملكة المتحدة من الاتحاد الأوربي.

المصطلح المستحدث	نمط صياغة المصطلح	الترجمة إلى العربية	إجراء الترجمة	الترجمة المقترحة
alt-right	حذف + دمج Alternative + right	اليمين البديل	النحت	/
Trumpism	Eponymكلمة مشتقة /	لم يترجم بعد	المكافئ الوصفي	شعبوية الرئيس الأمريكي دونالد ترامب خاصة بسبب مواقفه المعادية للمهاجرين.
Trumpian **Trumpist**	Eponymكلمة مشتقة /	لم يترجم بعد	المكافئ الوصفي	مؤيد للرئيس دونالد ترامب.
Trumpette	Eponymكلمة مشتقة / Trump + ette	لم يترجم بعد	المكافئ الوصفي	مؤيدة(أنثى) للرئيس دونالد ترامب.
Trumpista	Eponymكلمة مشتقة / Trump + ista	لم يترجم بعد	المكافئ الوصفي	مؤيد (ة) للرئيس دونالد ترامب من أصول لاتينية.
Trumpflation	حذف + دمج Trump + inflation	لم يترجم بعد	المكافئ الوصفي	التضخم الذي تسببت به السياسة الاقتصادية للرئيس ترامب.
Trumponomics	حذف + دمج Trump+ economics	لم يترجم بعد	المكافئ الوصفي	السياسة الاقتصادية للرئيس ترامب.
Birther	كلمة مشتقة Birth + er	لم يترجم بعد	المكافئ الوصفي	شخص مُشَكِك في أهلية وشرعية رئاسة الرئيس الأمريكي باراك أوباما لإيمانه بالادعاءات القائلة بأنه ليس أمريكي المولد.
Obamacon	دمج + حذف Obama + conservative	لم يترجم بعد	المكافئ الوصفي	المحافظ المؤيد لانتخاب باراك أوباما رئيسا لأمريكا.
Obamacan	دمج + حذف Obama+ republican	لم يترجم بعد	المكافئ الوصفي	شخص ينتمي للحزب الجمهوري مؤيد لانتخاب باراك أوباما للرئاسة.
Obamania	دمج + حذف Obama + mania	لم يترجم بعد	المكافئ الوصفي	الهوس والحب الشديد للرئيس باراك أوباما.
Obamacare	مسمى (eponym) Obama + care	لم يترجم بعد	المكافئ الوصفي	مشروع قانون الرعاية الصحية الذي وضعه الرئيس باراك أوباما في الولايات المتحدة الأمريكية.
Clintipathy	حذف + دمج Clinton + pathy	لم يترجم بعد	المكافئ الوصفي	الكراهية الشديدة للزوجين بيل وهيلاري كلينتون.
Healther	كلمة مشتقة Health + er	لم يترجم بعد	المكافئ الوصفي	الشخص الذي يعتقد أن هيلاري كلينتون تخفي مرضا خطيرا يمنع من ترشحها للرئاسيات.
Rummy's Dummies	Eponym	دمى رومي	المكافئ الوصفي	مصطلح تحقيري يطلق على الجيش الأمريكي تحت قيادة وزير الدفاع السابق دونالد رامسفيلد. (رومي Rummy هي صفة تعني شخص سكير تم استعمالها لنعت وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد ووصف الجنود في الجيش الذي يقوده على أنهم مجرد دمى تعمل تحت إمرة شخص سكير).
Putinism	Eponymكلمة مشتقة / Putin + ism	لم يترجم بعد	المكافئ الوصفي	الحكومة الروسية تحت إدارة الرئيس فلاديمير بوتين.
Euroscepticism	حذف + دمج Europe+ skepticism	لم يترجم بعد	المكافئ الوصفي	موقف مشكك تجاه مستقبل الاتحاد الأوروبي.
Islamology	كلمة مركبة / دمج Islam + ology	الاسلامولوجيا	النسخ	علوم الإسلام.
Glocalism	دمج + حذف Globalizationالعولمة +localization التوطين	العولمحلية / العوقلمة	النحت	الجمع بين الصبغة العالمية والمحلية بالتزامن في الأنظمة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المعاصرة.

المصطلح المستحدث	نمط صياغة المصطلح	الترجمة إلى العربية	إجراء الترجمة	الترجمة المقترحة
Zionazism	دمج + حذف Zionism + Nazism	الصهيونازية	النحت	الحركة الصهيونية ذات الممارسات النازية.
Orange revolution	كلمة مركبة	الثورة البرتقالية	ترجمة مباشرة	ثورة سلمية اندلعت في أوكرانيا في ديسمبر 2004 أين كان المتظاهرون فيها يرفعون رايات برتقالية كرمز للسلمية.
Homeland security	كلمة مركبة	الأمن القومي	النحت	الأمن الوطني (الداخلي).
Iraqification	كلمة مشتقة Iraq + fication	العرقنة	النسخ	عملية الإشراف على إعادة إعمار الحكومة على أساس الصيغة المستخدمة في العراق.
Mitthead	كلمة مركبة Mitt + head	لم يترجم بعد	المكافئ الوصفي	المرشح الذي يغير مواقفه السياسية باستمرار للتوافق مع أهدافه وجمهوره.

شكل رقم 01: أنماط صياغة المصطلحات السياسية المستحدثة في اللغة الإنجليزية.



شكل رقم 02: إجراءات ترجمة المصطلحات السياسية المستحدثة.



في الأخير، تبين لنا من خلال تحليل عينة هذا البحث أن الدمج والاشتقاق هما من أكثر الطرق استعمالا لاستحداث المصطلحات السياسية. كما تبين لنا بأن المكافئ الوصفي هو أكثر الإجراءات الترجمية المعتمدة في ترجمته والأنسب كذلك لأنه يساعد على نقل المعنى الكلي للمصطلحات بصورة أفضل من باقي الإجراءات الأخرى، وبهذا نكون قد أجبنا عن تساؤلات هذا البحث.

في الحقيقة لا توجد مبادئ وقواعد ترجمة ثابتة تساعد في الحكم على مدى صحة الترجمات المختلفة باختلاف مترجميها، فبعض المصطلحات المستحدثة تتطلب أكثر من إجراء واحد لترجمتها، واستعمال أكثر من إجراء هو وسيلة

يلجأ إليها المترجمون المتمكنون للتغلب على العقبات التي قد يواجهونها في ترجمتهم لهذا النوع من المصطلحات.

1.5. قواعد هامة لترجمة المصطلحات السياسية المستحدثة

1.1.5. يجب على المترجم تجنب استخدام النسخ في حال وجود ترجمة عربية جيدة للمصطلح ، مثال ذلك:

المصطلح	Transliterated translation	الترجمة المقترحة
McDonaldization	- المكدلة - المكدونالية	نشاط إنساني عقلاني يعتمد على سرعة الإنجاز والإنجاز الشخصي.
Human Rights Watch	هيومن رايتس ووتش	منظمة رصد حقوق الإنسان.
Friendly fire	نيران صديقة	إصابة خطأ.

2.1.5. على المترجم تجنب الترجمة الحرفية في معظم الأحيان ؛ بمعنى من الأفضل للمترجم أن يلجأ إلى ترجمة المعنى لأن الترجمة الحرفية قد تُنتج ترجمة هزيلة وغير صحيحة ، ومن ثم يضطر المترجم في كثير من الأحيان إلى استخدام الشرح أو ما يسمى في علم الترجمة بـ**الاستيفاء** أو **الإقحام** (interpolation) أو ما يسمى أيضا **(bracketing)** وهو الأمر الذي يتسبب في انقطاع تسلسل الأفكار وضياع المعنى في الغالب. فالمترجم الجيد يحاول قدر الإمكان تجنب ترجمة هذه المصطلحات ترجمة حرفية ، فإن عجز عن ذلك يترجمها حرفيا ثم يشرحها بين قوسين لكي يوضحها للقارئ الهدف. بمعنى آخر ، على المترجم الجيد ألا يقع في فخ تبني المنهج الدلالي بشكل حصري في الترجمة السياسية كما يوصي به منظري الترجمة ، بل عليه أن يلجأ إلى المنهج التواصلي كلما اقتضى الأمر ذلك ، وفيما يلي بعض الأمثلة:

المصطلح	الترجمة الحرفية (المنهج الدلالي)	الترجمة المقترحة)المنهج التواصلي(
Axis of evil	محور الشر	أطلقت هذه العبارة من طرف الرئيس الأمريكي جورج بوش على كل من العراق ، وإيران ، وكوريا الشمالية اعتقادا منه بأنها تدعم الإرهاب وتسعى لتكوين ترسانة من أسلحة الدمار الشامل.
Tomato warfare	حرب الطماطم	حرب تجارية سياسية بين اسبانيا والمغرب حول تصدير الطماطم لأوروبا.
Banana republics	جمهوريات الموز	الدول التي لا تتمتع باستقرار سياسي بسبب سيطرة رؤوس الأموال الأجنبية على اقتصادها.
Yellowcake	الكعكة الصفراء	اليورانيوم المخصب الذي يدخل في صناعة أسلحة الدمار الشامل.
Iraqgate	فضيحة العراق	الفضيحة التي تفجرت عقب الحرب على العراق حول تضليل كل من بوش وبلير لشعبيهما بزعمهما امتلاك العراق للأسلحة النووية كذريعة للحرب.
Ping pong policy	سياسة البينغ بونغ	- سياسة إعادة العلاقات بين طرفين أو دولتين. - التبادل السياسي والدبلوماسي بين طرفين / دولتين.
Pizza policy	سياسة البيتزا	الهيمنة الثقافية الأمريكية على العالم.
Political football	كرة القدم السياسية	مشكلة تثير جدلا سياسيا.
Football diplomacy	دبلوماسيةكرة القدم	إقامة مباريات كرة القدم لتحسين العلاقات السياسية بين الدول.
Fragile state	الدولة الهشة	دولة ذات كفاءة وشرعية ضعيفة.
Kurdification	تكريد	عملية تحويل قسري لأشخاص ومناطق جغرافية من ثقافاتها الأصلية إلى الكردية.

خاتمة

تعد ترجمة المصطلحات السياسية المستحدثة من أصعب المهام والتحديات التي تقابل المترجم أثناء ترجمته للنصوص السياسية بوصفها نصوصا متخصصة لما للمهمة من صعوبة ومسؤولية قد تؤدي عدم ترجمتها بشكل مناسب ودقيق إلى نشوب حروب في أسوأ الحالات. ومن خلال دراستنا هذه حول ترجمة المصطلحات السياسية المستحدثة ، يمكننا أن نخلص للقول بأن نوعية وجودة الترجمة لا تعتمد فقط على مهارة المترجم وكفاءته اللغوية على مستوى اللغة المنقول منها واللغة المنقول إليها ، والخلفية المعرفية بمادة النص المترجم ، بل تتعلق بشكل أساسي بمدى مواكبة المترجم ومعرفته بالمصطلحات المستجدة في اللغة والتي تشكل كلمات مفاتيح لا تتم امتلاك ناصية النص إلا بها. إذن ، فالترجمة الناجحة لهذه المصطلحات السياسية المستجدة يجب أن تقوم على الفهم الكامل للأبعاد السياسية لمعاني المصطلحات في اللغة المترجم منها وامتلاك المترجم للملكة اللغوية والبيانية في اللغة المترجم إليها لترجمتها بنجاح.

في حال ما إذا صادف المترجم مصطلحا مستحدثا لم يتم إدراجه في القواميس بعد ، فإنه يجد نفسه مجبرا أن يخلق مكافئا له في اللغة المنقول إليها واضعا بعين الاعتبار مبادئ

وضع المصطلح ، ومعتمدا على السياق لما له من أهمية كبيرة. ومع كل التحديات التي تطرحها ترجمة المصطلحات السياسية المستحدثة ، يبقى المترجم الكفء في سعي دؤوب لإيجاد وخلق المقابلات المناسبة في اللغة المنقول إليها مهما استعصت عليه المهمة ، وذلك باستعمال كل ما يتوافر لديه من إجراءات وتقنيات للقيام بمهمته بنجاح.

نأمل وفي الأخير أن يستفيد أساتذة وطلبة دراسات الترجمة والعلوم السياسية من هذه الدراسة التي فصلنا فيها مختلف أنماط المصطلحات السياسية المستحدثة والإجراءات الترجمية الأنسب المستخدمة لترجمتها. كما نختم بمجموعة من التوصيات التي خرجنا بها من هذه الدراسة:

- دعوة إلى إنشاء قاعدة بيانات ومسرد للمصطلحات السياسية المستحدثة المترجمة من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية والعكس ، يتم تحديثها بشكل دوري. كما ندعو إلى ضرورة إدراج هذه المصطلحات في الإصدارات الجديدة للقواميس باللغتين العربية والإنجليزية في وقت وجيز لتسهيل عمل المترجمين ، لإننا نطالع بعض معاجم اللغات الأجنبية -بالتحديد باللغة الإنجليزية- نرى كيف تواكب الحديث من الألفاظ وتضمه إلى متنها ، فنشعر بحاجتنا الشديدة إلى مثل ذلك في معاجمنا العربية.

- دعوة للمتخصصين في الترجمة السياسية إلى إشراك المتخصصين في العلوم السياسية في عملية ترجمة وإيجاد مكافئات للمصطلحات السياسية المستحدثة ، لأن المهمة تتطلب متخصصين في المجال وليس فقط إلى مترجمين ولغويين ومصطلحيين.

- أهمية إدراج مناهج وكورسات خاصة بترجمة المصطلحات المستحدثة ضمن برامج تكوين المترجمين لما لها من أهمية بالغة في ضمان نجاح الترجمة.

- لا يجب على المترجم الاعتماد على القواميس التقليدية (الورقية) كمصدر وحيد لترجمة المصطلحات المستحدثة ، لأنها تأخذ وقتا طويلا حتى يتم إدراجها فيها. بل يجب عليه أيضا الاستعانة بمصادر معلومات أخرى كالإنترنت وقواعد البيانات المتخصصة ، وكذلك تطوير مهارة تخمين المعنى من خلال السياق في محاولته الوصول للترجمة الأنسب والأصح لهذه المصطلحات.

قائمة المصادر والمراجع

- نيومارك ، بيتر. (2006). *الجامع في الترجمة* ، ترجم: غزالة ، حسن (الطبعة الأولى). بيروت ، لبنان: دار مكتبة الهلال.
- مونان ، جورج. (2002). *علم اللغة والترجمة* ، ترجمة: إبراهيم ، أحمد زكريا (الطبعة الأولى). القاهرة ، مصر: المجلس الأعلى للثقافة.
- باسنت ، سوزان. (2012). *دراسات الترجمة* ، ترجمة: عبد المطلب ، فؤاد (الطبعة الثالثة). سوريا: الهيئة العامة السورية للكتاب.
- معجم المعاني الجامع عربي عربي. (د. ت. ن). متاح على الموقع التالي: https://www.almaany.com.
- أبو العزم ، عبد الغنيّ. (2006). مفهوم المتلازمات وإشكالية الاشتغال المُعجماتيّ. مجلة الدّراسات المعجميّة ، العدد الخامس ، جانفي 2006.
- Brains, P. (n. d.). *Phrasal verbs vs. Nouns*. Retrieved from: https://brians.wsu.edu
- Cabré, M.T. (1999). *Terminology: Theory, methods and applications*. Amsterdam and Philadelphia: John Benjamins.
- Choi, J. (2006). Interpreting neologisms used in Korea's rapidly changing society. In: *Meta, 51.* DOI https://doi.org/10.7202/013250ar
- Kean, D. (2017). *Oxford dictionary considers including wave of Trumpian neologisms*. The Guardian. Retrieved from: https://www.theguardian.com
- Merriam Webster Dictionary. (n. d.). *Neologism*. Retrieved from: https://www.merriam-webster.com/dictionary/neologism
- Neologism. (2003). In *Cambridge advanced learner's dictionary*. Cambridge, UK: Cambridge University Press.
- Newmark, P. (1988). *A textbook of translation*. London: Prentice Hall.
- Putri, H. (2014). *The translation of neologism (neologism & the phenomenon around)*. Indonisia: University of Education.
- Rubber chicken. (n. d.). Retrieved from: https://en.wikipedia.org/wiki/Rubber_chicken
- Shadia, Y. B. (n. d.). *Neologism and translation*. Retrieved from: https://www.slideshare.net
-Volden, J., & Lord, C. (1991). Neologisms and idiosyncratic language in autistic speaker. *Journal of Autism and Development Disorders*, *21*(2), 109-130.

المهن الإعلامية الجديدة في ظل الويب 0,2 مهن التحرير الإعلامي الالكتروني والتواصل الاجتماعي نموذجا

New Functions Under Web 0. –electronic Media editing and Social communication professions as an example-

تاريخ الإرسال: 14-12-2018 تاريخ القبول: 11-11-2020

شفيقة محري، جامعة سطيف 2، mehrichafika@yahoo.fr،
أمال محري، جامعة سطيف1، amalove1987@hotmail.fr

الملخص

بظهور خدمات الويب 0.2 وتطوراتها حدثت جملة من التطورات في سوق العمل ، فظهرت مهن جديدة في قطاع الإعلام والاتصال ؛ حيث بدأت تفرض نفسها على المنصات والمواقع الإلكترونية من مدونات وشبكات تواصل اجتماعي ، ومواقع تفاعلية ذكية ، وهو الأمر الذي أدى إلى استحداث مهن تستجيب لمتطلبات التحرير الإعلامي الإلكتروني والتواصل الاجتماعي ، في هذا الإطار سلط هذا المقال الضوء على هذه المستجدات في مجالات التوظيف في قطاع الإعلام والاتصال في ظل تطورات العالم الرقمي ، بالإضافة إلى التعرف على المهن التي ولدت وسوف تولد ، ورصدت الدراسة ملاحظة استطلاعية لعينة من إعلانات التوظيف في الجزائر للتعرف على واقع هذه المهن فيها ، كما حددت هذه الدراسة مقترحات لتطوير أداء المؤسسات الإعلامية في ظل هذه التحولات.

الكلمات المفاتيح: الويب 0.2 ، التحرير الإعلامي ، مهن الويب الجديدة ، مهن التواصل الإجتماعي.

Résumé

Avec L'émergence et l'évolution des services Web intelligents 0.2, de nouveaux métiers de médias et de la communication ont commencé à s'imposer sur les plateformes et les sites Web tels que les blogs, les sites de réseaux sociaux et les sites interactifs intelligents. Cette réalité a conduit à la création de professions répondant aux exigences de l'édition de médias et de la communication sociale. Cet article met en évidence les derniers développements dans les domaines de l'emploi dans les médias et la communication. En plus de découvrir les métiers qui sont nés à la lumière des évolutions du monde numérique, l'étude a noté une enquête d'observation d'un échantillon d'annonces d'emploi en Algérie pour connaître la réalité de ces métiers. Cette étude a également identifié des propositions pour améliorer la performance des organisations de médias à la lumière de ces transformations

Mots-clés : Web 0.2, édition multimédia, nouvelles carrières Web, carriéres de communication social

Abstract

With the emergence of Web 0.2 services, a number of developments occurred in the labor market and new professions emerged in the media and communication sector; which began to impose themselves on platforms, websites, blogs, social networks, and smart interactive sites. This led to the creation of professions that respond to the requirements of electronic media editing and social communication. In this context, this article sheds light on the developments in the field of employment in media and communication sector in light of the evolution of the digital world. The study monitored an exploratory observation of a sample of employment's advertisements in Algeria to know the reality of these professions in the country. The study also identified proposals to develop the performance of media institutions in light of these changes

Keywords: Web 0.2, Media Editing, New Web Careers, Social communication professions

مقدمة

بعد التحولات التي شهدها الويب وأجياله عبر الإنترنت استمرت موجة الويب في التطور، وظهرت أنماط أكثر حداثة استجابة للتطورات الحاصلة في مجال تكنولوجيات الإعلام والاتصال، وكان من نتائجها أن ظهر الويب 0.3، وصولا للويب 0.4 أو الويب الذكي ، هذا المجال الخصب الذي ساهم في تنمية وتطوير خدمات الأنترنيت التفاعلية من مواقع تفاعلية وشبكات تواصل اجتماعي تفاعلية معززة بأدوات وتقنيات التشبيك والوسائط المتعددة، هذه الخصائص جعلت جمهور الويب يستقطب ويضم شرائح مختلفة من المستهلكين والمعلنين والباحثين عن المعلومات والباحثين عن التسلية والترفيه، والباحثين عن إشباع الذات عبر هذا العالم الافتراضي الذي اختزل حدود الزمان والمكان، وتمازجت فيه الثقافات والحضارات، وتماهت فيه المصالح والأهداف .

"هذا ويمثل الاتصال الإلكتروني منظومة جديدة هي أحد مكونات ما يسميه بيار ليفي "إيكولوجيا ثقافية"، فالاتصال الإلكتروني متعدد الوسائط يحقق مجالات غنية ومعقدة، وهو في تحول مستمر، فالاتصال الإلكتروني المتعدد الوسائط يحقق مجالا شبكيا يتحول فيه الفرد باستمرار بين مواقع البث والتلقي، وتنصهر داخله العوالم الافتراضية فشبكة الويب فضاء جماعي يشترك المستعملون في إنتاجه، كما يمثل الويب بهذا المعنى فضاء تواصليا جديدا لا يتعلق هنا بعملية بث مركزية، ولكن يتفاعل داخل حالة ما يساهم كل فرد في استكشافها بطريقته أو في تغييرها، أو في الحفاظ عليها كما هي لأنها صيرورة يفاوض موضوعها المعنى، وتشارك فيها المجموعات من خلال التواصل، التشاور، والنقاش بين المشاركين."(الحمامي، 2007، ص ص 43-66)

"حيث أصبح النظام الرقمي يتيح الوسائط المتعددة بالاعتماد على النظام الثنائي الذي حققت من خلاله تقنيات الاتصال الحديثة ثورة في مجال الإعلام والاتصال، عبر تشبيك العالم من خلال الأنترنت وهو ما جعل عالمنا اليوم عالما اتصاليا متشابكا، يستند إلى ما توفره وسائل الاتصال المختلفة من معارف ومعلومات حولت مجتمعنا إلى مجتمع معرفة ومعلومات."(أبو إصبع، 2015، ص4)

هذه المميزات عززت من ظهور مجالات وفرص أكثر للمستفيدين من خدمات الأنترنت ليس فقط في المجالات التي ذكرناها سابقا، بل حتى في المجال المهني وقطاع التوظيف وسوق العمل، حيث بدأت تظهر لوائح جديدة عن وظائف الأنترنت، فهذا الفضاء الرقمي خلق فرص عمل ووظائف تستجيب للاحتياجات المتزايدة لسوق الأنترنت، حيث توجهت المؤسسات بمختلف أشكالها وأهدافها إلى استخدام هذه المنصات للتوظيف، واستهداف المستهلكين والجمهور، ومختلف الفئات، لتحقيق أهدافهم المختلفة في ظل هذه البيئة الرقمية الجديدة، التي أدخلت مهناً جديدة وستدخل مهنا أخرى مستقبلا حسب دراسات استشرافية في هذا الصدد.

وهو الأمر الذي دفع بنا لتحرير هذا المقال " فهنالك القليل من الابحاث حول الطرق التي تساعد بها الثورة الرقمية في تطوير ممارسات جديدة، في إنشاء تخصصات ومهن جديدة في قطاع

الاتصال على نحو فعال في مواجهة التطورات التكنولوجية، فمهنيو الاتصال هم بصدد العيش في تحولات كبيرة، تجعل الحقائق الحالية واضحة وخاصة في مستقبل مهن الاتصال، حيث تعمل الأنترنت وتكنولوجيات الإعلام والاتصال على تغيير جذري في الممارسة العملية في نشاطات مهن الإشهار والاتصال والتسويق، حيث نجد الشركات تناضل في بعض الأحيان للعثور في هذه المجالات على الكفاءات التي تحتاجها لتطوير مهن الاتصال الرقمي، الذي أصبح يحيط بالتطورات المهنية في جميع الوظائف الخاصة بالتمويل والتسويق والخدمات اللوجستية، والموارد البشرية (Xavier prud' homm et autre,2011,page4)

في هذا الإطار أصبح ما يعرف بمهن الويب مجالا تنافسيا لسوق العمل التقليدية التي تكلف الكثير من الوقت والجهد وبدون نتائج مرضية في غالب الأحيان، وقد بدأت خصائص هذه الوظائف تضفي سمات إيجابية على العمل الإعلامي في المؤسسات الإعلامية، وفي هذا الإطار اتخذنا نموذجين لمهن الويب نموذج مهن الويب المرتبطة بالعمل الإعلامي أو التحرير الإعلامي الرقمي، وما يضيفه للمؤسسات الإعلامية،

ونموذج مهن شبكات التواصل الاجتماعي، هذه الأخيرة التي أحدثت ثورة في مختلف المجالات، وأصبحت

من أهم أدوات العصر التي تستقطب شريحة ضخمة من المستخدمين في العالم، هؤلاء الذين يعتبرون الجمهور المستهدف للمؤسسات الإعلامية، وبما أنها تسوق أفكارا ومنتجات فكرية، فالتواصل الاجتماعي للمؤسسة الإعلامية مدخل استراتيجي للتأثير في الجمهور المستخدم لوسائل التواصل الاجتماعي..

انطلاقا من هذا المدخل الإشكالي: نطرح الإشكالية التالية في هذا المقال:

ماهي مهن الويب الإعلامية الجديدة في ظل تطبيقات الويب 0.2؟ وماهو وضعها وتحدياتها في الجزائر؟

للإجابة عن هذا السؤال حددنا الأسئلة الفرعية التالية:

- ماهي موجة الويب 0.2 والإعلام الجديد.؟
- كيف ساهم الإعلام الجديد وتكنولوجيات الإعلام والاتصال في ظهور عوامل التحول في مهن الويب ؟
- ماهي أهم وظائف الويب المتعلقة بالتحرير الإعلامي ، والتواصل الاجتماعي؟
- ماهو مستقبل مهن الويب؟ وماهي المهن التي ستولد؟
- ماهو واقع مهن الويب في المؤسسات الإعلامية الجزائرية؟ وماهي التحديات التي تواجهها؟
- ماهي أوجه الاستفادة من مهن الويب في ظل البيئة الإعلامية الجديدة بالنسبة للمؤسسات الإعلامية ؟
- **أهداف الدراسة:** الكشف عن خصوصيات وتحولات البيئة الإعلامية الجديدة من خلال خدمات الإعلام الجديد.
- الكشف عن خصائص مهن الويب ومتطلباتها " مهن التحرير الإعلامي الرقمي، ومهن التواصل الاجتماعي."
- التعرف على مستقبل مهن الويب.
- التعرف على واقع هذه المهن في الجزائر والتحديات التي تواجهها
- تقديم مقترحات لتثمين الاهتمام بمهن الويب لدى المؤسسات الإعلامية في الجزائر .

مفاهيم الدراسة

الإعلام الجديد

هي بيئة تسمح للأفراد والمجموعات بإسماع أصواتهم وأصوات مجتمعاتهم إلى العالم، وقد تعددت وسائل الإعلام الجديد ، وهي تزداد تنوعا ونموا مع مرور الوقت، وأهم هذه الوسائل المدونات، مواقع مشاركة الصور والبودكاسيت، التدوين الصوتي، مواقع مشاركة الفيديو، الويكي....(شميسي ، 2015، ص 204)

ويتميز الإعلام الجديد عن القديم بخاصية الحوار بين الطرفين بين صاحب الرسالة ومستقبلها، ومع ذلك فإن الفواصل بين الإعلام الجديد والقديم ذابت، لأنه القديم نفسه أعيد تكوينه وتحسينه ومراجعته ليلتقي مع الجديد في بعض جوانبه. (Jones ,2002).

مفهوم الويب 0.2

"حيث يشير مصطلح الجيل الثاني للأنترنت أو الويب 0.2 إلى مجموع التطبيقات التي يمكن استخدامها من طرف الأفراد بغية مشاركتهم في إنشاء المحتوى عبر الشبكة العنكبوتية العالمية، فمصطلح الجيل الثاني للأنترنت هو مجموع المصادر المفتوحة والتفاعلية، ومختلف التطبيقات الافتراضية المساهمة في نشر خبرات الأفراد ومعارفهم، باعتبار هؤلاء أحد الاطراف الأساسية والمهمة في العمليات التجارية والاجتماعية، عبر إمكانية التدفق الحر للآراء والمعارف والمعلومات"(ملوكي ، 2015، ص 322)

" الويب 2.0 هو أسلوب جديد لتقديم خدمات الجيل الثاني من الأنترنت، يعتمد على مجموعة من التطبيقات، وعلى دعم الاتصال بين مستخدمي الأنترنت وتعظيم دور المستخدم في إثراء المحتوى الرقمي على الأنترنت، والتعاون بين مختلف المستخدمين في بناء الويب الاجتماعي". (Chantal ,2008 ,page48)

"هو مجموعة من التطبيقات عبر الأنترنت مفتوحة المصدر والتفاعلية، والتي يسيطر عليها المستخدم لتوسيع الخبرات والمعرفة والقوة السوقية للمستخدمين والمشاركين في العمليات التجارية والاجتماعية، تدعم تطبيقات الويب 0.2 إنشاء مستخدمين غير رسميين، من خلال شبكات تسهيل تدفق الأفكار والمعرفة من خلال السماح بكفاءة

توليد ونشر ومشاركة وتحرير وتحسين المحتوى المعلوماتي" (J ,Quesada ,2014,page11)

التحرير الإعلامي: يعتبر التحرير طريقة في التفكير والتعبير والمقصود من التحرير هو الكتابة ، وكلمة إعلامي تعني وسائل الإعلام ونشر ما يكتبه الإعلامي للجمهور بمختلف ثقافاتهم وتعليمهم وطبقاتهم .(مجول ،2018، https://hrdiscussion.com/hr38168.html)

كما يعني التحرير الإعلامي بث وإعداد رسائل واقعية موحدة تبث للنقل إلى أعداد كبيرة من الناس ، يختلفون فيما بينهم من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية ، ويعنى بالرسائل الواقعية ، وفي التحرير الإعلامي مجموعة من الأخبار والمعلومات والتعليمات التي تدور حول الأحداث وتنشرها وسائل الإعلام ، فالتحرير الإعلامي أسلوب من أساليب الاتصال بالجماهير التي تضم التحرير الإقناعي والإمتاعي والتعبيري ، ويعتمد على عدة وسائل للوصول للجمهور(شرف ،1987 ،ص ص 16-16)

وإجرائيا يختلف التحرير الاعلامي حسب الوسيلة ، وبما أن الدراسة تشير لوسيلة الانترنت ، فالتحرير هنا يختلف عن التحرير الاعلامي في بقية وسائل الإعلام ، وهو ما يسمى بالتحرير الإلكتروني الذي يتميز بخصوصيات معينة .

استشراف المهن: مقاربة استباقية لتوقع المستقبل الممكن للمهن من حيث الكفاءات والأنشطة ، ومن حيث مسؤوليات المهنة ، فهو يسمح بتصور المعارف الممكنة والمؤهلات والخبرات أو الخبرة المهنية والسلوكات والمواقف ، كما أنه يتطلب بناء مشتركا من قبل الفاعلين أو الخبراء لتحليل المهن ومعرفة المصير الممكن لها(شماس ، مشرور ،2018 ،ص25)

الإجراءات المنهجية للدراسة: تعتبر الدراسة من الدراسات الوصفية اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي ، من حيث وصف ظاهرة تطبيق المهن الجديدة للويب في المؤسسات الإعلامية الجزائرية من خلال الاعتماد على نتائج دراسات سابقة ، وملاحظات استطلاعية لعينة من إعلانات التوظيف بالجزائر.

أدوات البحث: اعتمدنا على أدوات بحثية لتحليل هذا الواقع من خلال اعتماد الملاحظة ، انطلاقا من واقع الاحتكاك بالمؤسسات الإعلامية ، بالاضافة لرصد وتحليل دراسات سابقة حول هذا الموضوع وتوظيفها في تحليل موضوعنا ، واستطلاعات هامة للموضوع من طرف مختصين في الإعلام والاتصال ، مكنتنا من استنتاج نتائج مهمة حول واقع استخدام وتطبيق مهن الويب في المؤسسات الإعلامية المحلية والوطنية ، كما اعتمدنا بشكل اساسي على الملاحظة البسيطة لعينة من الإعلانات التي تم نشرها في مواقع التوظيف بالجزائر في ستة أشهر الأخيرة من هذه السنة والتي ترصد واقع المهن الإعلامية للويب0,2 في سوق العمل

الدراسات السابقة: تناولت هذا الموضوع العديد من الدراسات السابقة الأجنبية ،حيث إن مجال التقدم والتطور في مهن الويب نما بشكل متصاعد في الأونة الأخيرة لدى المؤسسات الإعلامية الغربية ، وحتى لدى المؤسسات الاقتصادية ، حيث نشرت عدة دراسات واقع واستشراف مستقبل مهن الويب في ظل تطور البنية التكنولوجية للأنترنت وخدماتها ، من بين الدراسات التي استفدنا منها :

Le forem : métiers d avenir etat des lieux de secteur des technologies de l information et de la communication,septempre 2013

تناولت الدراسة واقع واستشراف مستقبل مهن الويب في الدول المتقدمة ، وذلك نظرا لتأثير عامل التطور المتسارع لتكنولوجيات الإعلام والاتصال ، حيث ساهمت جملة من العوامل في ظهور هذه المهن من بينها ظاهرة البيانات الضخمة في ظل العولمة ، وتطور سوق تكنولوجيات الإعلام والاتصال ، وظهور قطاع استهلاكي قوي لها ، وهو الأمر الذي فرض على المؤسسات مسايرة هذه التحولات ، وتتوقع الدراسة انتشار مهن الويب بشكل كبير جدا في المستقبل القريب مع ميلاد مهن أخرى وتلاشي مهن أخرى.

Selvie de lattre et autre : les métiers de l internet les referentiels des métiers cadres ,juin 2012

تناولت هذه الدراسة مهن الأنترنت من حيث تصنيفاتها وأشكالها ، وتقدم الدراسة دليلا للمهتمين يمهن الويب الجديدة ، كما تطرقت للفاعلين في مجال المهن

الجديدة ، وعرضت الدراسة تصنيفات لمهن الويب حسب العائلات ، بداية بمهن الأنترنت والمعلوماتية informatique من مهندسي ومطوري الواب ، ومهن مرتبطة بأمن المعلومات ، كما تناولت الدراسة قطاعا أخر من مهن الويب la creation مهن الخلق والإنشاء ، تضم مصممي البرامج والمحتويات ، ثم تطرقت الدراسة لمهن التسويق الرقمي التي تضم طائفة واسعة من المهن ، وفي الأخير عرضت الدراسة مهن الاتصال وهي القطاع الذي بهمنا ، حيث احتوى على مهنة مسؤول تحرير موقع الويب ، ومهنة مسير محلي.

Géraldine gomaere : les nouveaux métiers du web : de la redaction au webmarketing,mars 2017

تطرقت الدراسة لتطورات مهن الويب المتسارعة التي لم تكن معروفة سابقا ، فبدأت تظهر شيئا فشيئا في الدول المتقدمة ، حيث إن هناك أزيد من 40 مهنة جديدة للويب لا تزال في دائرة الضوء ، حسب ما ورد في تقييم موقع العمل للويب metiers ,internet,gov ، وتنقسم المهن الجديدة للويب لثلاث مجموعات: مهن التحرير الإعلامي ، أي كل ما يتعلق بعملية الإعلام والتحرير والنشر الرقمي ، وهي تخص المؤسسات الإعلامية ، تليها مهن الاتصال والتسويق التي تشمل شريحة واسعة من الوظائف المستحدثة التي تعزز العملية التسويقية في الفضاء الرقمي ، وتفعل الأداء التسويقي ، وتساهم في زيادة مبيعات المؤسسة ، إضافة إلى مهن التواصل الاجتماعي ، ومهن تقنية ترتبط بتقنية المعلومات كتصميم وتطوير البرامج ومراقبة حركة المرور.

دراسات عربية

أما الدراسات العربية الخاصة بتوظيف المهن الجديدة للويب في البيئة العربية فلم نجد دراسات في هذا الصدد ، غير أننا وجدنا دراسات خاصة باستخدام تكنولوجيات الإعلام والاتصال لدى المؤسسات الإعلامية في الجزائر ، وكانت عبارة عن رسائل ماحستير من بينها :

دراسة سولاف بوصبع : تأثير التكنولوجيات الاتصالية الحديثة على العمل الصحفي في الجزائر، رسالة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2005-2004

انطلقت الباحثة من إشكالية مفادها فهم العلاقة بين التكنولوجيات الاتصالية الجديدة والعمل الصحفي ، وقد اعتمدت الدراسة على عينة من الصحف الجزائرية "الخبر ، الوطن ، الشعب الأحرار" ، واعتمدت على استمارة الاستبانة لتحليل معطيات الدراسة الميدانية ، وتوصلت الباحثة لجملة من النتائج أهمها أن العلاقة بين وسائل الإعلام والمجتمع هي علاقة تأثير وتأثر ، في ظل التطور التكنولوجي ، وتتأثر أشكال الكتابة الصحفية بهذا التطور ، حيث إن للتكنولوجيات تأثيرات على سيرورة العمل الصحفي على كل المستويات ، التغطية الإعلامية ، التحرير ، الإنتاج والطبع والتوزيع والأرشفة ،ايضا اهم نتيجة أن التكنولوجيا الاتصالية الحديثة لديها الكثير من المحاسن فيما يتعلق بالجانب الإداري ،كما يعتمد جل الصحفين على ستعمال ما جلبته التكنولوجيا الجديدة من أدوات أتصال ، أنترنت ، هاتف نقال ، حواسيب شخصية.

دراسة صليحة شلواش: واقع استخدام تكنولوجيا الاتصال الحديثة وأثرها على العمل الصحفي رسالة ماجستيير، كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة مُحَّد خيضر بسكرة، 2011

تناولت إشكالية الدراسة استخدام التكنولوجيا الحديثة للاتصال ومعرفة انعكاسها على الأداء المهني ، وقد اعتمدت الباحثة على المنهج المسحي ، وتوصلت لنتائج هامة أهمها: خلصت الدراسة أن التكنولوجيا الحديثة سهلت العمل الصحفي وخاصة المراسل من أحكام الزمكان واختصار الجهد ، والاستخدام الكبير لوسائل التكنولوجيا الحديثة على رأسها الأنترنت ،حيث تمتلك جريدة الشروق أحدث التقنيات والوسائل المسخرة للعمل الإعلامي

درسات أخرى: تم تناول موضوع المهن الجديدة للويب في مجال الإعلام والاتصال في حلقات نقاشية وندوات ، نذكر على سبيل المثال ندوة نظمت بالمعهد العالي للإعلام والاتصال بالمغرب ، يوم 21 مارس 2019 بالرباط ، بعنوان المهن الجديدة في الإعلام والاتصال" التكوين والكفاءات والفرص" ، استعرضت الفرص المهنية الجديدة في ميدان الإعلام والاتصال في ظل تحولات العالم الرقمي ، وتم التطرق لتجارب شخصية الإعلاميين ، وتم التعرض للتحديات

والرهانات التي فرضها التحول الرقمي في قطاع الإعلام والاتصال بالمغرب ، حيث مست ثلاث موضوعات: الكفاءات والتكوين والاندماج المهني ، وأكدت الندوة على حتمية ملاءمة العرض التكويني مع مستجدات التحول الرقمي ، وتكوين كفاءات تستجيب لحاجات السوق الواعدة بفرص كثيرة في هذه المهن الجديدة ، وأشارت الندوة لخصوبة التحول الرقمي الذي يستدعي تغييرا شاملا وجذريا في استراتيجيات المؤسسات

الإعلامية..(caza24 ،2020،

(http: //Caza24.ma /media/19252,html

كما نظمت ندوة حول المهن الجديدة في مجال الإعلام والاتصال بقسم الإعلام جامعة سطيف2 الجزائر فيفري 2019، وطرحت واقع هذه المهن وخصوصيتها ومستقبلها وعرضت نماذج عنها

1- عوامل تطور مهن الويب في ظل الإعلام الجديد وتكنولوجيات الإعلام والاتصال

"تطور قطاع تكنولوجيات الإعلام والاتصال من خلال عدد كبير من المؤسسات الصغيرة والمتوسطة ، والتي أصبحت تعد أكثر من 11400 منصب عمل مأجور ، وذلك من خلال ملاحظة التطور التكنولوجي الملاحظ في قطاع المعلومات باختلاف العوامل التنظيمية والاقتصادية لخبراء الاتصال ، ومن بين هذه التطورات والعوامل التي ساهمت في ظهور سوق عمل جديدة ظاهرة البيانات الضخمة " BIG DATA" ، المتعلقة ببناء كميات ضخمة من البيانات ، وهو ما فرض تحديد وظائف جديدة داخل المؤسسات مرتبطة بإدارة البيانات الكبيرة ،التي تربط الاتصال بملايين الأحداث في عشرات الثواني ، وتفعيل خدمات التخزين الافتراضية وإدارة خوادم الأنترنت ومحطات العمل ، ومختلف الفاعلين في قطاع تكنولوجيا الإعلام والاتصال يلعبون دورا في حقل بنية الشبكة الافتراضية ، وزيادة الاعتماد المتبادل بين أنواع مختلفة من الموارد يجبر مهن المشغلين والمصممين بتوسيع مهاراتهم ، حيث تنشأ شبكة البيانات الضخمة OPEN DATA ، وهو ما يفتح المجال لظهور مهن أمن البيانات ، ومهنة مدير البيانات المفتوحة OPEN DATA MANAGER ، الذي يطور الهاتف وتكنولوجياته في اتجاه ثقيل ، من خلال معدل الإختراق في الهاتف الذكي الذي فرض أيضا مهنا جديدة في مجال تكنولوجيات الإعلام ، وتظهر الحاجة هنا لمهندسي المشاريع المتنقلة.

العامل الثاني في تطور مهن الويب هو تحول الأنترنت من هدفها في إنتاج البيانات وتحرير المحتويات ، إلى التركيز على المستهلكين ، فتطور مفهوم CRM إدارة العلاقة مع العميل نحو مزيد من التسويق الفردي ، والاتجاه نحو الأرشفة الإلكترونية ، هذه التطورات التكنولوجية كانت لصالح التطورات الاجتماعية والثقافية ، مع انتشار تقنيات الأجهزة المحمولة التي فرضت هي الأخرى مهنا أخرى ، تستهدف علاج اختراق الحوامل التكنولوجية ، فوظيفة نظام المعلومات تطور دورها للمستهلك من أجل ضمان الأمن المعلوماتي فتم تطوير متجر التطبيقات APPSTORE في المؤسسة ، مهما كان شكلها تحتاج لتغيير في إدارة قسم نظام المعلوماتالذي سينتقل من دور مخطط إلى وسيط بين المستخدمين والمطورين من أجل توفير التطبيقات للموظفين ، فالتقينات المحمولة أثرت على تطور أهداف التجارة الإلكترونية التي تتأثر هي الأخرى بمهن الاتصال والمعلومات.

عامل آخر أثر في قطاع مهن الويب في الدول المتقدمة ، وهو حركة الإعلام الآلي الأخضر Green IT لتؤكد إدماج الرهانات البيئية مع ظهور هذه المهن ، من أجل فردنة التقنيات ، وطرق العمل لتحسين توجه التمكين empowerment بسهولة ، بما يعطل النماذج التنظيمية ، وهرمية المؤسسات مع التقنيات الاجتماعية المشاركة الاجتماعية والجماهيرية للمستهلكين ، وتقلص سلطة العلاقات في تقارير الرؤساء للمرؤوسين» (le FREM ,2013.pp 2-3»)

2-المهن الإعلامية الجديدة في الويب 0.2

2-1 مهن التحرير الإعلامي الرقمي

2-1-1-صحفي الويب" المفهوم ، المميزات ، والمهارات"

عرف ivan valerio صحفي سابق بموقع europ 1 lab صحفي الويب على أنه صحفي كغيره من صحفي الإذاعة أو التلفزيون ، كما أن قلة ظهوره في الميدان لا يعني أنه لا

يقوم بعمله الصحفي كما يجب، بل على العكس فأساس العمل الصحفي موجود، وهو صحفي يسعى لنقل الخبر بأسلوب صحفي، إلا أن وسيلة النشر هي الإنترنت، حيث أثير كثير من النقاش حول الجهد الذي يبذله صحفي الويب، منها أنه بعيد عن الميدان ولا يغادر جهاز الكمبيوتر، ويكتفي بنقل الأخبار التي يجدها في شبكة الانترنت. وهو الأمر الذي جعل العديد من المواقع الإخبارية تدفع بصحفييها إلى القيام بعملهم كما يجب، كإجراء المكالمات والحوار والتأكد من صحة الأخبار التي تتداولها المواقع والشبكات الاجتماعية، والنزول للميدان بصفة مستمرة حتى يلامس هؤلاء الحقائق بأنفسهم.(رواتي ،2018، (http://adelraouti.net/blog/digital-journalism

تنوعت ألقاب صحفي الأنترنت بحسب وظائفه الاتصالية، من بين هذه المفردات " القائم بالاتصال في شبكة الأنترنت The web communicator، الصحفي الإلكتروني online journalist المحرر المتكامل integrated reporter ، حارس البوابة الإلكترونية online gate keeper، محرر الأنترنت، internet journalist وصحفي الويب web journalist، كما يمكن أن نطلق عليه منتجا producer بسبب طبيعة الويب المتعددة الوسائط . (كمال ،2014، ص20.)

مميزات صحفي الويب: رصدت إحدى الدراسات عدة مميزات ينفرد بها محرر الأنترنت عن نظيره التقليدي العامل في الصحف الورقية أهمها:

- قدرة محرر الموقع على العمل في أي مكان والنشر الفوري طالما يمتلك كلمة المرور للدخول إلى الموقع، وصلاحية التحرير والنشر.
- لا ينتهي دور صحفي الأنترنت بكتابة الموضوع أو القصة الخبرية لأنه مطالب بتغذيتها بأكبر قدر من المعلومات والخلفيات، باستخدام خاصية الهايبرتكست، فضلا عن اختياره للصور وإمكانية قيامه بنشر الموضوع بنفسه باستخدام برنامج ،MS ومتابعة التعليقات وعمل التعديلات المطلوبة إذا تطلب الأمر.
- عدد المحررين في الصحافة الالكترونية أقل من عددهم في الصحافة المطبوعة.
- لا يحتاج المحرر في الصحافة الإلكترونية إلى سنوات من الخبرة، كما هو الحال بالنسبة للعمل كمحرر في الصحافة المطبوعة .
- السرعة في أداء العمل وتعدد المهام التي يقوم بها.
- تجذب الصحافة الإلكترونية الخريجين من أقسام وكليات الإعلام، نظرا لتفوق رواتبها على الرواتب في الصحافة المطبوعة
- يمنح نظام العمل على الكمبيوتر راحة أكبر للصحفي عبر الأنترنت عن نظيره في العمل الميداني للصحفي في الصحف المطبوعة
- القدرة على تنقيح وتحليل واختيار المعلومات
- أتاحت التكنولوجيا الجديدة صنع احتياجات جديدة للقراء، منها المشاركة في صناعة المحتوى، حرية إبداء الأراء، التواصل، الاختصار، تنوع المحتوى.
- ويحظى القائم بالاتصال في الوسيلة التكنولوجية الحديثة بأعلى درجة من التفاعلية عن أي وسيلة إعلامية أخرى (كمال، نفس المرجع ،ص ص 21-22)

ب- مهارات صحفي الويب: يتميز بجملة من المهارات هي:

- التحرير الإلكتروني.
- مهارة توظيف الروابط التشعبية .
- مهارة كتابة الأخبار عبر الأنترنت .
- مهارات البحث في شبكة الأنترنت.
- مهارات توظيف الوسائط المتعددة.
- مهارات التعامل مع صحافة المواطن.(نفس المرجع ، ص24)

2-1-2 - مدير تحرير الويب : Responsable éditorial web

هو مسؤول عن إدارة وهيكلة وتحديث محتوى موقع ويب بالتناسق مع الخطوط الاستراتيجية للتحرير، ينظم الإنتاج التحريري بناء على مساهمي الأنترنت " المستخدمين وضغوطاتهم"، أو المحتويات التي يتم شراؤها من مزودي الخدمات الخارجيين، يوظف مدير تحرير الويب لدى المجموعات الصحفية "راديو ، صحافة ، تلفزيون " ويدير محتواها الإلكتروني عبر مواقعها، ولدى وكالات الأنباء،

ووكالات النشر عبر الويب، وشركات خدمة الاتصالات الخارجية التي لها وجود مهم عبر الويب..(Delattere et autre ,2012 ,page 134)

أ- **مهامه الأساسية**: لديه عدة مهام أهمها مايلي:

1- **التعريف بالخط التحريري:** من خلال التحريك والمشاركة مع لجنة التحرير، اقتراح خط تحريري عبر شبكة الأنترنت في العادة يكون ذلك بالتناسق مع الدعائم المطبوعة، تحديد جداول النشر، تحديد المشاركة مع مسؤول الإعلام المحلي ، تسيير المناقشات والمشاركات عبر مواقع التواصل، اختيار المحتوى لتمييزه

2- **تسيير وتحريك النشاط التحريري للموقع:** من خلال تحديث المحتوى وإنشاء محتوى جيد ورسائل إخبارية ومنتجات ويب أخرى. - تنظيم إنتاج التحرير من نصوص وصور وفيديوهات وعروض حركية

شراء المحتويات من مزودي الخدمات الخارجيين " وكالات ويب أو وكالات مستقلة" ،أو الممولة من طرف فريق الأنترنت " محرري الأنترنت ،مصممي الأنترنت، غرافيك...."،تصميم ودمج المحتويات عبر المواقع بفضل وسائل ،CMS

-ضمان الحفاظ على تماسك وجاذبية وسيولة المحتويات في الموقع

3- **ادارة فريق التحرير:** من كتاب ومراجعين وإدارة فريق مديري الإعلام الاجتماعي، وتحديد قواعد تنشيط وتحريك صفحات الموقع والاعتدال في منتديات النقاش، وإدارة المخططات والمواعيد النهائية ، وإدارة الوكالة في حالة عملها كوكالة اتصال أو ويب(ibid,page134)

2-1-3- مدير محتوى العلامة التجارية: Brand content manager

تعتبر إدارة محتوى العلامة التجارية فرعا من فروع التسويق بالمحتوى ، الذي يعتبر من استراتيجيات التسويق الحالية الأساسية ، ويقصد به العمليات والممارسات لإنشاء النصوص والفيديوهات والصور والرسومات والكتب الإلكترونية، وتوزيعها من خلال نظام إدارة المحتوى ، وشبكات التواصل الاجتماعي، فبناء العلامة يحتاج لجهد كبير، ولا يمكن للخبراء شراء الشهرة بسهولة، لكن عندما ظهرت الأنترنت والشبكات الاجتماعية أصبح ذلك ممكنا، ففي العلامة التجارية في الماضي كانت تتشكل في الذهن من خلال مكوناتها " الاسم والشعار واللون"، ولأن الشركات لا تستطيع أن تجعل هذه العناصر تمثلها في عالم الإنترنت، فكان محتوى العلامة التجارية هو الوسيلة الأفضل لتمثيلها في العصر الرقمي، وتكون المعادلة هي أن أول ما يتبادر لذهن المستهلك عن العلامة التجارية هو محتواها وليس خصائصها، فالمحتوى أصبح أداة قوية لوصف العلامة التجارية Brand content ،حيث بدأ هذا المفهوم مع العصر الرقمي وتحديدا عند ظهور قنوات التواصل الاجتماعي، وهو المحتوى الذي يهدف لتعزيز معنى العلامة التجارية في ذهن الجمهور، أي يكون تركيز المحتوى للعلامة التجارية فقط، وليس للبيع فهو يهدف لغرس قيم جيدة في المجتمع ، ويساعد على تطوير العلاقة بين الشركةوعملائها.(بخيت ،2018، http://www.tech-wd.com/wd/2016/07/29/d)

أما عن وظيفة مدير محتوى العلامة التجارية فهو الشخص المسؤول عن تنفيذ البرامج التسويقية الإعلامية التي تهدف إلى زيادة وعي وإدراك العملاء حول العلامة التجارية، وتعزيز هوية العلامة من خلال محتواها، إذ توجد عدة مسميات لهذه الوظيفة منها مدير محتوى العلامة التجارية، ووظيفة سفير العلامة التجارية Brand Ambassador job ، ويقوم بعدد من الوظائف:

-النشر الرقمي عن منتجات وخدمات الشركة عبر الإنترنت

-الإنشاء والمشاركة والاستجابة للمراجعات عبر الإنترنت

- المشاركة في المعارض التجارية كمتحدث باسم الشركة والحضور للمعارض التجارية والأحداث الخاصة بالشركة، والاستمتاع بالتواصل مع العملاء عبر الإنترنت، الاستخدام الممتاز لوسائط التواصل الاجتماعي، مع القدرة على الإعلان عن المنتجات والإجابة على استفسارات العميل عبر الإنترنت، والقدرة على زيادة الوعي بالعلامة التجارية.

نشر محتويات جذابة ومؤثرة عن منتجات / خدمات الشركة

- الإنشاء والمشاركة والاستجابة للمراجعات عبر الإنترنت ، وبناء علاقات الثقة مع العملاء المحتملين ، ومراقبة التعليقات والردود.

(https://resources.workable.com/brand-ambassador-job-descriptionworkable,2018)

أ- **متطلبات وظيفة مدير محتوى العلامة التجارية**

1- **متطلبات الوظيفة**: خبرة عمل مثبتة كسفير للعلامة التجارية أو مروج أو دور مماثل ، مع وجود وسائل إعلام اجتماعية قوية على منصات متعددة ، و تجربة إنشاء محتوى عبر الإنترنت ، و مهارات اتصال ممتازة ، بالإضافة لشخصية صارمة ، ودية ، والرغبة في التعرف على أشخاص جدد ، البكالوريوس في التسويق أو درجة ذات صلة به(workable,ibid)

من أهم الرهانات التي يعمل على تنفيذها مدير محتوى العلامة التجارية كيف يصنع السمعة الرقمية ، حيث إن السمعة الرقمية ، هي الصورة التي يشكلها الجمهور حول علامة معينة أو شخصية ما ، هذه الهوية الرقمية تستنبط لتشكل هوية العلامة التجارية وتميزها عن منافسيها ، وبالتالي فإن السمعة الرقمية هي نتاج مجموع المحتويات التي لها علاقة بالعلامة التجارية ، وهذا يعني جميع المدونات والمنتديات ، الفيديوهات ومواقع التواصل الاجتماعي...

إذ يمكن تشكيل هذه السمعة عن طريق القيام ببحث بسيط عبر محركات البحث ، ليظهر كل عنصر على صفحات نتائج محرك البحث ، ويسمح للمستخدم أن يرى ويسمع ويقرأ كل ما قيل حول العلامة التجارية ، تتجذر هذه الفكرة في أذهان مستخدمي الإنترنت ، فكلما زاد نشاط المؤسسة عبر الإنترنت زاد الحديث عنها من قبل المستخدمين الذين يحتفظون بصورة جيدة لتلك المؤسسة (بوسجرة ،2016، ص706).

2-1- 4 مدير تحسين محركات البحث: SEO Manager

هو ممارس متقدم لتحسين محركات البحث ولديه قدرة عالية على حل المشكلات على مستوى مستقل ، وهو مسؤول عن إدارة وقيادة فريقه وضمان أن يكون جميع العملاء تحت قيادته ، ويتم الاعتناء بهم جيدا ، وتشمل أهدافه الأساسية ضمان مساعدة فريقه لحل مشاكل العميل التي قد تنشأ ، والقيام بتدقيق العملاء وتعليم مستوى عال لتحسين محركات البحث للفريق ،وتحرير وتقديم التقارير لمدير العمليات ومدير محركات البحث ، وهو الشخص الذي يكون مسؤولا عن تخطيط وتنفيذ مستوى عال ومعقد من استراتيجيات تحسين محركات البحث لزبائنهم ، ومساعدة الفريق على تعلم وتطبيق الاستراتيجيات نفسها ، ويقوم دور مسير محركات البحث بتقديم المساعدة إلى مدير العمليات ومدير تحسين محركات البحث ، وأقسام المبيعات حسب الحاجة

(seo manager ,2016 https://www.socialseo.com/wp-content/uploads/2016/04/SEO-Manager-Job-Description-1.,pdf)

أ-**وظائف ومتطلبات وظيفة مدير تحسين محركات البحث**

إدارة SEO

- تطوير وتنفيذ استراتيجيات فعالة لمحركات البحث (SEO)
- تنسيق المحتوى والتصميم ووسائل التواصل الاجتماعي والتسويق بنظام الدفع بالنقرة وأنشطة أخرى.
- إدارة مشاريع التحسين في الموقع وخارج الموقع .
- تنسيق جهود تحسين محركات البحث ، بما في ذلك إجراء تحسين للموقع ، والبحث عن الكلمات الرئيسية في الموقع وخارج الموقع ، الإشراف على حملات البحث المدفوعة.
- المعرفة الحالية بممارسات SEO وتقنياتها ضرورية لهذا الدور.

(workable ,2018, ,https://resources.workable.com/seo-manager-job-description)

ب- متطلباته: إثبات خبرة كمدير SEO ، مدير SEM أو دور مماثل معرفة ممارسات SEO القياسية والحالية ، مع تقارير تحسين محركات البحث والتعرف على الأدوات ذات الصلة ،

-التمتع بمهارات اتصال ممتازة ومهارات تنظيمية وقيادية

ج-مسؤولياته: تطوير وتنفيذ استراتيجياتSEO ،

-مراجعة مشكلات تحسين محركات البحث والتوصية بالإصلاحات

- تحسين محتوى موقع الويب والصفحات المقصودة.

- مشاريع تحسين مباشرة خارج الصفحة (مثل بناء الروابط)

جمع البيانات وتقديم تقرير عن حركة المرور ، و العمل مع وسائل الإعلام الاجتماعية ، وفرق PPC لتحسين الحملات و مواكبة SEO واتجاهات التسويق المتكاملة. (workable,ibid)

2-2- مهن الإعلام في شبكات التواصل الإجتماعي

2-2-1-صحفي مسير لمواقع التواصل الإجتماعي

هو شخص يقترح مضامين أصلية ويتابع الحوارات والنقاشات والمقابلات مع المعجبين ، ويضمن اليقظة والاتصال عبر وسائل التواصل الاجتماعي ، من خلال الموقع الرسمي لمهن الأنترنت وضع من طرف وزارتي التعليم والصناعة ، مهنة المسير المجتمعي أو منشط المجتمع عبر الويب ، وهو مكلف بتأليف مجتمع من الأنترناتيين حول مصلحة عامة ، عبر تنشيط التغيرات حول هذا الموضوع ، الذي يجب أن يحترم القواعد الجيدة التي تقود مجتمعاتها ، هذه المهمة الأولى وهي تطوير وتسيير حضور منظمة علامة ، خدمة ، أو منتوج عبر الأنترنت

كما تعتبر وظيفة le responsable de communauté en ligne من الوظائف الواسعة الانتشار ، وهي وظيفة تشبه وظيفة صحفي مسير اجتماعي ، كما اتجهت الاتجاهات الحديثة في هيكلة وظائف الإنترنت في الإعلام الجديد لتجزئة الوظائف عبر شبكات التواصل الاجتماعي كمدير شبكة تواصل اجتماعي ، ومسير اجتماعي عبر شبكات التواصل الاجتماعي ، ومدير خدمات الاتصال في الإعلام الجديد ، ومخطط وسائل التواصل الاجتماعي واستراتيجية وسائل التواصل الإجتماعي (Mazier et autre,2012,pp18-19) .

جدول رقم 1: يوضح اختصارا لتجزئة وظائف شبكات التواصل الاجتماعي

Social madia manager	مسؤول الاتصال عبر الشبكات ينظم ويخطط وينسق الأنشطة
Social media planer	يثبت الإستراتيجية في الحضور والانشطة عبر شبكات التواصل الإجتماعي
Social media architect	يصمم المحاور الكبرى للاتصال ويحدد الرسائل التي تمر وينفذ البنى التكنولوجية الكافية

Didier Mazier et autre, communiquer sur les reseaux sociaux, edition1, imprime en France par laballery, septembre 2012, page20

جدول رقم 2: مناصب أخرى ترتبط بالإدارة المجتمعية

Content manager	مسير للمحتوى المجمع منتجات وخدمات ، يبث صور وفيديوهات وعروض ونصوص
Social media marketer	ينشط وينظم الانشطة التسويقية من أجل تنمية المبيعات عبر شبكات التواصل الإجتماعي
Social media developer	يصمم ويحقق ويطور التطبيقات عبر الشبكات

Sorce: Didier Mazier et autre, op, cit, page20

من خلال دراسة متواجدة على الموقع regiojobs.com سنة 2012 تحدد المهام المستندة للقائم بالإدارة المجتمعية من خلال ترتيب الأهمية المتنامية لهذه الوظيفة ، التي تتجسد من خلال ممارسة العديد من الوظائف منها تنشيط الصفحات عبر الفايسبوك ، كتابة الافتتاحية ، وتنشيط حساب التويتر وإنشاء ومتابعة المدونة المصاحبة ، وتحقيق وتنفيذ المشاريع ، وتوسيع العلاقات التشعبية مع المدونين ، وتنشيط فضاءات عبر الشبكات المهنية وتسيير الأحداث ، والتنفيذ والوضع التقني لفضاءات عبر الشبكات الاجتماعية ، نستنتج من هذه المهام أن فايسبوك وتويتر يؤسسان أساسيات وانشغالات community manager ، وتعتبر وظيفة التحرير والتحكم في المحتويات وإدارتها من قلب مهام هذه المهن..(ibid,page21)

2-2-2- مدير إعلام اجتماعي

هو شخص مختص في الإعلام والاتصال ، يقوم بإدارة الإعلام الاجتماعي للشركة أو المؤسسة التي هو تابع لها ، من مواقع تواصل اجتماعي ومدونات ، ومحتويات تشاركية ، ومختلف خدمات الإعلام الجديد ، هدفه هو إدارة الاتصال

باسم الشركة أو المنظمة التي ينشط في إطارها من جماهير المؤسسة ، ويساهم في تحسين علاقتها وبناء سمعة طيبة عنها ، والتفاعل مع جمهور المستخدمين للصفحات ومواقع التواصل ...

ويأتي دور مدير الاعلام الاجتماعي (Social Media Community Manager) فيما يلي:

1. بناء وإدارة الحسابات الخاصة بالجهة.
2. البقاء على اطلاع على كل ما هو جديد في الإعلام الجديد من أدوات والتكامل معها.
3. متابعة كل ما يتداول في الإعلام الجديد سواء كان يمس الجهة التي يعمل بها بشكل مباشر ، أو يمكن الاستفادة منه.
4. زيادة وتوسيع شبكة المهتمين والمتابعين لحسابات الجهة
5. بث المحتوى النصي والوسائط المتعددة عبر مواقع التواصل الاجتماعية والاشارة لكل منها للأخرى.
6. إدارة الحوارات والردود مع المتابعين.
7. قياس مدى تحقيق الأهداف والعائد على الاستثمار.(بدوي ،2018 ،

(https://www.badwi.com/blog/?p=1372

أ- متطلبات مدير الإعلام الاجتماعي الناجح

- تطوير مهارات استخدام مواقع التواصل عبر استخدام الأدوات والمشاركة والتحكم في التقنيات وإنشاء وإدارة صفحة أو مجموعة .
- البحث عن العملاء داخل منصة الأنترنت أو خارجها.
- إدارة الوقت بحكمة وعناية.
- إدارة الإعلانات التجارية والاجتماعية عبر مواقع التواصل.
- الاستفادة من خبرات تحسين محركات البحث عبر المحتوى.
- تطوير المهارات والخبرات من خلال التدريب المستمر عبر مواقع التواصل الاجتماعي.
- (عمار ،2018 ،

(https://www.youtube.com/watch?v:wxoy7wxoNv

- بشكل عام دور مدير الإعلام الاجتماعي لا يقتصر على وضع الاستراتيجيات وتنفيذها وقياس مدى نجاحها ، بل هو مطالب في العمل مع فريق الإبداع لإنتاج واعادة صياغة المحتوى النصي أو وسائط الميديا ، بشكل جديد وجذاب ، وإدارة الفريق التي تبدأ من اختيار أفراد الفريق وتحديد المهام المنوطة بهم.

2-2-3- استراتيجية الإعلام الإجتماعي: هو شخص مختص في التواصل الاجتماعي لمنظمة ما ، هدفه رسم وتنفيذ استراتيجيات اتصالية على المدى القصير والمتوسط والطويل الأجل ، يتميز بخبرة واسعة في مجال الاتصال والإدارة والتسويق ، ودوره استراتيجي في التنظيم الذي ينتمي إليه.

(social media strategie job ,2018, https://resources.workable.com/social-media-strategist-job-8)

أ-مهام الاستراتيجيين الاجتماعيين ومتطلبات توظيفهم

يقوم بتطوير وتنفيذ استراتيجية شاملة لوسائط التواصل الاجتماعي ، لزيادة حركة مرور الويب وخلق وعي بالعلامة التجارية.

كخبير استراتيجي في وسائل التواصل الاجتماعي ، والذي يجب أن تكون لديه مهارات تعدد المهام الممتازة للتعامل مع جميع حسابات وسائل الإعلام الاجتماعية الخاصة بالمؤسسة بطريقة متماسكة.

ب- المتطلبات الوظيفية

- إثبات خبرة العمل كاستراتيجيً لوسائل الإعلام الاجتماعية أو مدير الشبكات الاجتماعية ، والتدريب العملي على استخدام وسائل التواصل الاجتماعي لتحقيق الوعي بالعلامة التجارية .

- فهم SEO ومقاييس حركة مرور الويب -القدرة على تحديد تفضيلات الجمهور المستهدف وبناء المحتوى لمواجهتها ، و الإلمام بتصميم الويب والنشر.(social media strategie job,ibid)

ج- المسؤوليات

- تصميم استراتيجيات وسائل التواصل الاجتماعي لتحقيق أهداف التسويق على المنصات الاجتماعية

- إدارة وإنشاء ونشر محتوى وإدارة جميع حسابات وسائل الإعلام الاجتماعية للشركة

- التواصل مع الكتاب والمصممين لضمان محتوى مفيد وجذاب

- التعاون مع فريق تطوير التسويق والمنتجات لإنشاء "مشاركة" اجتماعية بشأن إطلاق المنتجات الجديدة - تسهيل اتصال العميل والشركة (الرد على الاستفسارات ، والحصول على المراجعات وتنظيم الدردشات وجلسات الأسئلة والأجوبة) .

- إعداد تقارير أسبوعية وشهرية عن حركة المرور على شبكة الإنترنت وعائدات الاستثمار. -مراقبة كبار المسؤولين الاقتصاديين والمشاركة مع المستخدمين واقتراح تحسين المحتوى.

- التواصل مع المتخصصين في هذا القطاع لإنشاء شبكة قوية - -البقاء على اطلاع على أحدث التقنيات الرقمية وأفضل الممارسات الاجتماعية.(social media strategie job,ibid)

2-2-4-وظيفة community manager: هو المسؤول عن تنشيط مجتمع ويب ، لديه مهمة توحيد مستخدمي الأنترنت عبر منصة شبكاتها ، حول قطب من أقطاب المصلحة العامة ، والاهتمام المشترك " العلامة ، المنتوج ، القيمة".

يقوم بتنشيط واحترام القواعد الأخلاقية للمجتمع المحلي ، ويأخذ المعلومات من أعضاء المجتمع ، ويقوم بإنتاج محتويات عبر مستخدمي الأنترنت لتطوير حضور علامة المؤسسة عبر الأنترنت يوظف لدى كبرى المؤسسات ، وكالات الاتصال والإشهار ، وكالات الويب ، ومحرري ألعاب الفيديو ، والمؤسسات التي ترغب في الحضور عبر الأنترنت. (Delattre et autre, op , cit, page 139).

أ-مهام مدير اجتماعي عبر الويب

1-تنمية الوعي بالعلامة عبر الويب وذلك من خلال تحديد المجتمعات على الويب ، ويمكن أن يؤثر على تموقع العلامة لدى المدونين ومنتديات النقاش.

- المساهمة في خلق قيم للمجتمع " رموز ثقافية واجتماعية ولغوية"

- تحديد أهداف المجتمع وفقا لموافقة لجنة التنفيذ واختبار المنتوج ومعلومات حول الزبائن أو المستعملين.

- تحديد المؤشرات التي تسمح بمتابعة حياة المجتمع.

- تعزيز تماسك المجتمع من خلال إطلاق مواضيع لتحفيز النقاش لتبادل الخبرات والممارسات بين مستخدمي الأنترنت

- ضمان جودة الردود بما في ذلك انتقادات للعلامة أو المنتوج من أجل أن تكون قادرة على قياسها وتشغيلها وإعادة بدء المناقشة.

- احترام القواعد الأخلاقية للمجتمع واستبعاد التعليقات والفيديوهات والصور التي تحمل مضامين إباحية أو إهانات أو تدعوا للكراهية

- تسيير تاريخ وأرشيف البيانات المتضمنة في الموقع " المواضيع المتضمنة ، المعلومات ، الوثائق المرسلة أو مستخدمي الأنترنت"

- البحث عن وسائل تواصل جديدة تسمح بتوسيع التأثير على المجتمع.

- ضمان ولاء مستخدمي الأنترنت للأحداث عبر الخط من أجل الاجتماع الفيزيائي للمجتمع وقادته " مدونين ، مؤثرين".

- تدعيم التطوير التقني لوظائف المنصة: من خلال ضمان شروط استخدام الموقع ، الأمن المعلوماتي ، ومراقبة المحتوى المحذور. (Delattre et autre, ibid, page 139)

3 -المهن الجديدة التي ستولد في المرحلة الانتقالية الهجينة للتحول الرقمي

- الفرصة الحقيقية اليوم هي أننا نعيش في مرحلة انتقالية تسمى المرحلة الهجينة بين عصر الإعلام الإلكتروني والتقليدي ، وبين عصر إعلام وإعلامي الذكاء الاصطناعي ، لماذا هذه المرحلة فرصة؟ الإجابة تكمن في أن يعرف العاملون في هذا الحقل أو المسؤولون عن مناهج الجامعات ، ما الذي ينتظرنا من مهن واعدة في مجال الإعلام لكي نستعد لها منذ الآن بلا تردد أو بطء ، ففي عام 2016 قدمت الخبيرة المستقبلية إيمي ويب والتي هي الرئيس التنفيذي لمعهد المستقبل اليوم في الولايات المتحدة الأمريكية بحثا ، طرحت

فيه عددا من المهن الإعلامية التي ستخرج من الخدمة في السنوات القليلة القادمة ، وفي المقابل طرحت عددا **من المهن الإعلامية الجديدة، والتي نوضحها كما يلي:**

- **جدول رقم 3: المهن التي ستخرج والمهن التي ستولد**

- المهن الإعلامية التي ستخرج	- المهن الإعلامية التي ستدخل
معد التقارير والتحقيقات	فريق التحقيقات للبيانات والخوارزميات
مدير التواصل الاجتماعي	- معد التقارير المحسن، أي معد التقارير الذي يستخدم الذكاء الاصطناعي
منتج محتوى إلكتروني	- منتج الواقع المعزز
مصمم ملتيميديا	- مدير بيئة العمل
مصمم غرافيك "مخرج فني"	- مدير منصة
مدقق نصوص ومدقق حقائق	- محرر شيفرات عامة
محرر مختص	- مختص بيانات ، مصمم تجربة الأتمتة

- المصدر: حمود المحمود، المهن الإعلامية التي بدأت تسيطر عليها الآلة، والمهن الجديدة التي ستولد، شركة هارفارد بيزنس ببليشينغ، بوسطن، 2020، تم تصفح المقال عبر موقع https://hbrarabic.com، بتاريخ 18-2-2020 في الساعة 10

ولأننا مازلنا في المرحلة الانتقالية الهجينة فإن سحب البساط من تحت وسائل الإعلام التقليدية بشكل هائل، عبر ذهاب عوائد الإعلانات إلى عمالقة الأنترنت مثل فايسبوك وجوجل، تسبب بإرباك معظم المؤسسات الإعلامية التي لم تطور نموذجا جديدا للأعمال، حيث وجدت نفسها بلا موارد كافية، وهو الأمر الذي اضطرها للقيام بحملات مذعورة لتسريح الألاف من العاملين في حقل الإعلام ، حيث قامت مؤسستا بازفيد وهافينغتون بوست بتسريح 1000 صحفي، وظهور موجة تسريح واسعة النطاق تضرب المؤسسات الإعلامية شرقا وغربا، هذه المؤسسات التي سرحت عمالها سابقا لكبريات الصحف العالمية والمواقع الإخبارية الإلكترونية، مثل ياهو التي بدأت تخسر ولم تجد نموذج العمل الربحي المناسب في ظل تراجع الأرباح، مع سيطرة فايسبوك وجوجل على سوق الإعلانات والأخبار، حيث يسيطر هذان العملاقان على 75 % من عوائد الإنفاق الإعلاني في العالم، .(المحمود، 2020، https://hbrarabic.com/%D8%A7)

- وبما أن الإعلان أساس بقاء المؤسسات الإعلامية بات من الضروري الاندماج في تحولات العالم الرقمي عبر المهن الجديدة للويب التي ستساهم في إدراج المؤسسات الإعلامية في عالم الويب.

4- نظرة لواقع مهن الويب في الجزائر

إن مهن الويب في الجزائر حسب ما تم تسجيله من ملاحظات وحسب الدراسات السابقة التي تم الاطلاع عليها، موجودة ولديها مستقبل نام في الدول المتقدمة حسب ما تم الاطلاع عليه في موقع مهن الويب الدولي، الذي بات يشهد نموا أكثر من 40 وظيفة جديدة من مهن الويب،" بالنسبة للمؤسسات في الدول المتقدمة تجاوزت التطورات فيها هذه المهن، وأصبحت تقليدية في ظل ميلاد مهن أخرى جديدة، في إطار الذكاء الاصطناعي، حيث تولى الذكاء الاصطناعي مهمة الكتابة بدل الإعلاميين، وظهور التحقيق الصحفي المدفوع بالبيانات آليا، وكمثال عن ذلك طبقت وكالة أسوشيتد برس، برمجية روبوتية ساعدتها بها إحدى شركات التكنولوجيا لإنتاج الأخبار المتكررة باستخدام منصة وورد سميث، التي ساعدتها على إنتاج حجم أخبار يفوق 14 مرة الحجم الذي كان ينتجه المحرر الصحفي البشري كل عام، وبذلك فمستقبل مهن الويب يشير لخلق مهن مستقبلا تعوض الإنسان"(المحمود، نفس المرجع، ص2)

أما واقع الدراسات السابقة العربية في هذا المجال فلم نلمح له أثرا أو وجودا غير أن ممارسات هذه المهن موجودة، ولكن بشكل غير كاف، يمكننا من القول إن توجه هذه المهن في الدول العربية منتشرة بشكل محدود، فنحن مجتمعات تستهلك هذه التكنولوجيات بدون إبداع؛ حيث لازالت تعاني الجزائر وغيرها من دول الوطن العربي من التأخر في هذا المجال، بالرغم من وجود بعض المؤسسات الإعلامية في الجزائر تتبنى استراتيجيات إعلامية رقمية في الغالب مثلما نجدها في الشركات الأجنبية أو المؤسسات الخاصة حسب الملاحظة الاستطلاعية التي قمنا بها، أما المؤسسات العمومية فقد لاحظت الباحثة من خلال الاطلاع على بعض مواقع المؤسسات العمومية والاحتكاك بموظفين إداريين

وزملاء في مجال الإعلام، أنها لازالت ضعيفة كما أنها لا تستعين بمختصين في مهن الويب المتنوعة، وإنما تعتمد على أليات بسيطة، ولا تخصص أهدافا ملموسة لقياس تأثيرها، حيث إن واقع مهن الويب ينحصر في بعض المبادرات كإنشاء مواقع إلكترونية غالبا لا يخصص لها موظف دائم، بل توكل كوظيفة ثانوية غير دائمة لبعض الموظفين، حيث ينعكس ذلك على أدائها، كضعف الإبداع والابتكار، وضعف أليات الترويج لخدمات المؤسسة الإعلامية، بالإضافة لتقادم المعلومات وعدم تحيينها، كما أن اعتماد المؤسسات الإعلامية على خدمات التواصل الاجتماعي هو اعتماد شكلي ولا يفعل، حيث تضع المؤسسات وتنشأ صفحات إعلامية غير تفاعلية وغير نشطة حسب ملاحظة الباحثتين، وطريقة الاعتماد على مواقع للتواصل لا تحمل بعدا استراتيجيا، فمهن مدير اجتماعي ومحلي ومدير مسير لمواقع التواصل الاجتماعي واستراتيجية الإعلام الاجتماعي غير موجودة كمهن مستقلة بهذا الاسم في المؤسسات الاقتصادية والإعلامية، وليس لها مكانة أو حضور أو وجود في ترتيب المهن، وتبقى ممارسات سطحية في إطار وظائف أخرى كوظائف الاتصال والتسويق والعلاقات العامة في الغالب.

5- الدراسة الاستطلاعية لعينة من الإعلانات الخاصة بالتوظيف بالجزائر

حيث إنه من خلال ملاحظة استكشافية قامت بها الباحثتان عن واقع توظيف مهن الويب ومهن الإعلام الرقمي في المؤسسات الجزائرية في ستة أشهر الأخيرة، قامت الباحثتان برصد إعلانات التوظيف بمواقع التوظيف بالجزائر للتعرف على واقع هذه المهن، وتم التوصل إلى ما يلي:

- بدأت الشركات الخاصة والوطنية العمومية بالتكيف مع العصر الرقمي، حيث ظهرت وظائف جديدة في الجزائر مثل المدير الرقمي ومسير الشبكات الاجتماعية، والمكلف بالتواصل الاجتماعي.

- تم نشر 9 إعلانات للبحث عن موظفين يشرفون على المجتمع الرقمي خلال ستة أشهر الأخيرة من شهر سبتمبر إلى غاية شهر فيفري 2020، من خلال ملاحظة إعلانات التوظيف بمدونة التوظيف بالجزائر، وموقع التوظيف الأول بالجزائر، وهو يدل على بداية إدراك قيمة الرقمنة ومزاياها لدى عدد قليل جدا من المؤسسات.

تحمل هذه الإعلانات أسماء الوظائف التالية كما هو موضح في الجدول التالي:

جدول رقم4: ملاحظة استطلاعية لإعلانات التوظيف بالجزائر من شهر سبتمبر إلى غاية شهر فيفري 2020

المؤسسة المعلنة	الوظيفة	تاريخ الإعلان
مؤسسة خاصة تنشط في مجال الإعلام	صحافي مواقع	5 فيفري 2020
واد كنيس	مطور موقع ويب Developper Rédacteur journalist web،	17 جانفي 2020
جريدة الهداف بالفرنسية	مدير لإدارة الموقع وصفحة الفايسبوك	19 جانفي 2020
المعهد الوطني لتكنولوجيات الإعلام والاتصال بالكاليتوس	مهندس دولة في تكنولوجيات الإعلام والاتصال	9 جانفي
مؤسسة السلطة الإقتصادية للتصديق الإلكتروني	مهندسي دولة في تخصص نظام المعلومات وتخصص أمن المعلومات	23 نوفمبر 2020
موقع الهداف الدولي	صحفي رقمي لمنصب رئيس قسم في موقع الهداف الدولي	25 نوفمبر 2020
مديرية البريد والمواصلات السلكية واللاسلكية والتكنولوجيات والرقمنة البليدة	مهندس دولة لتكنولوجيات الإعلام والاتصال، مهندس في أنظمة الاتصال الرقمي، المعالجة الرقمية، الوسائط المتعددة ،شبكات الاتصال	28 سبتمبر2020
الديوان الوطني للإحصاء	مهندس دولة في الاعلام الالي	29 ديسمبر
الوكالة الموضوعاتية للبحث في العلوم والتكنولوجيا	مهندس دولة في الاعلام الألي	16 سبتمبر

المصدر: مدونة التوظيف بالجزائر

- من خلال ملاحظة الإعلانات يظهر أنها لمؤسسات إعلامية ومؤسسات عمومية ومواقع إلكترونية، كموقع واد كنيس وموقع الهداف الدولي، ناشطة في مجال الإعلام والرقمنة وتكنولوجيات الإعلام والاتصال، تبحث عن مختصين في الرقمنة ومسيري مواقع وصفحات التواصل الاجتماعي.

- تركز الإعلانات على خصائص التقدم لهذه المهن من طرف تخصصات في الإعلام الرقمي ، والتسويق الرقمي ، وتكنولوجيات الإعلام والاتصال ، وأنظمة وأمن المعلومات ، وامتلاك مهارات في المعلوماتية والاتصال الرقمي والمعالجة الرقمية.

- بملاحظة مدونة التوظيف نلاحظ أن الطلب على هذه المهن منخفض مقارنة بالمهن الأخرى ، حيث تفوق الطلب على المهن الإدارية لتسيير المؤسسات على مهن الإعلام والاتصال الرقمي ، وهو يدل على حداثة التوجه لهذه المهن من قبل المؤسسات ، التي في غالب الإعلانات هي مؤسسات خاصة وكبرى المؤسسات العمومية والمواقع الإلكترونية.

6-تحديات مهن الويب في المؤسسات الإعلامية

تشهد المؤسسات الإعلامية في الجزائر جملة من التحديات في مجال الاستراتيجية الرقمية للمؤسسة ، مما يحد من فعالية نشاطها ، وفيما يلي تحليلات عن التحديات التي تواجه مهن الويب منها:

- ضعف الميزانية الموجهة لإدارة الموقع الإلكتروني للمؤسسة الإعلامية ، وغياب رؤية وأهداف استراتيجية واضحة نحو الإعلام الرقمي لدى أغلب المؤسسات الإعلامية الجزائرية ، فهي ممارسات شكلية لمواكبة تكنولوجيات الإعلام والاتصال دون استخدامها بشكل فعال ، كما أنها تستخدم في مجال تحسين جودة الأداء المهني بالموازاة مع الوسائل التقليدية ، لكنها لا يمكن أن تعوض إعلام الواقع ، فالمؤسسات الإعلامية الإلكترونية كممارسة وإنتاج رقمي بحت غير موجودة في الجزائر ، ويبقى الإعلام الرقمي مكملا للإعلام الواقعي وليس بديلا عنه لدى السواد الأعظم من المؤسسات الإعلامية ، وذلك حسب دراسات سابقة تم الاطلاع عليها.

- غياب التفاعلية نتيجة غياب الكوادر البشرية المؤهلة لإدارة مهن الويب ، فأغلب الموظفين في هذا المجال من المكونين في مجال المعلوماتية ، وغياب تكوينات إعلامية خاصة بالإعلام الرقمي واستراتيجيات إدارته وبنائه في كليات الإعلام بالجامعات الجزائرية ، عدا بعض المؤسسات الخاصة

- غياب تكوين وتدريب الصحفيين على التعامل مع تكنولوجيات الإعلام والاتصال والتكوين في مهن الويب ، وإن كان اعتمادها في السلم الوظيفي للموارد البشرية في المؤسسة الإعلامية التي لازال تصنيفها في إطار المهن التقليدية كمراسل أو صحفي بالقطعة أو صحفي معتمد دائم ، في حين يغيب الصحفي الإلكتروني أو المحرر الرقمي ، أو مسير الإعلام الاجتماعي أو استراتيجي الإعلام الاجتماعي ، أو مسؤول إدارة العلاقات العامة الرقمية ويب 2،0

- الاستراتيجية الرقمية للمنتجات الإعلامية في الجزائر هي امتداد للاستراتيجية التقليدية ، وكمثال عن ذلك الصحافة الإلكترونية في الجزائر فهي امتداد للورقية بدون تعديل أو تغيير ، وغياب مؤسسات إعلامية رقمية حقيقية ، حيث تتم مختلف عمليات إدارة المؤسسة الإعلامية بها من إنتاج ونشر وتوزيع وتفاعل.

- غياب ثقافة مهن الويب لدى السواد الأعظم من المؤسسات الإعلامية بالجزائر فمجال استخدام تكنولوجيات الإعلام لازال يشهد تأخرا حسب الدراسات السابقة التي تم الاطلاع ، فلا توجد مؤسسات إعلامية رقمية بحثه ، ماعدا استغلال هذه التكنولوجيات في تحسين الأداء المهني ، واختصار الوقت والجهد ، ناهيك عن إدراج موضوع مهن جديدة للويب في بيئة المؤسسات الإعلامية الذي يعتبر مجالا حديثا ، لذا يجب التوعية بأهمية وخصوصية هذه المهن وما تضيفه للمؤسسات الإعلامية من مزايا تنافسية واستراتيجية.

- إذن تعتبر تحديات ضعف التمويل والكوادر والموارد البشرية ، والبيئة والمناخ التنظيمي للعمل الإعلامي من أهم التحديات التي تواجه توظيف المهن الجديدة للويب في قطاع المؤسسات الإعلامية .**7-1 مقترحات استراتيجية لتعزيز توظيف مهن الويب لدى المؤسسات الإعلامية**

انطلاقا من توصل الدراسة لنتيجة أساسية مفادها أن واقع مهن الويب في المؤسسات الإعلامية الجزائرية يكاد لا يظهر في الاستراتيجيات العامة للمؤسسات الإعلامية ، حيث يغيب في ترتيب سلم المهن الإعلامية الجزائرية ، هذه التصنيفات من المهن ، وجب علينا كباحثين تسليط الضوء على هذا القطاع الحيوي والفعال والمؤثر ، والذي يعتبر استثمارا بعيد الأمد لصورة وهوية المؤسسة في المجال الرقمي ، فعالم الغد هو عالم التقنيات والمستقبل هو مستقبل مهن الويب في كل القطاعات بما فيها قطاع الإعلام الذي

اختزل الزمان والمكان وفعل الاتصال ، لذا نوصي بجملة من المقترحات الآتية:

- فتح مجال للتوظيف في مهن الإعلام الجديد بهدف تحريك الاستراتيجية الرقمية للمؤسسة ، وترويج العلامة والمنتوج والخدمة الإعلامية ، فالمنتجات الإعلامية لدى المؤسسات الإعلامية هي خدمات فكرية وثقافية وإعلانية تلبي الحاجات الأساسية للجمهور المستخدم للتكنولوجيات الحديثة ، حيث تمتاز مهن الويب بتوفير أدوات تفاعلية للجمهور المتلقي لرسالة المؤسسة وإمكانية كبيرة لبناء علاقات تفاعلية قوية ، فقطاع الإعلام بحاجة ماسة للتكيف مع متطلبات سوق العمل الرقمية والحاجات والاستخدامات في ظل ظاهرة التنوع والبيانات الضخمة والتزامنية واللاتزامنية التي يتيحها الإعلام عبر الخط .

لذا فإعادة الاعتبار لفتح مهن ويب حسب ما ورد في الموقع الدولي للمهن الجديدة للويب التي أصبحت ضرورة لتفعيل قطاع تكنولوجيات الإعلام والاتصال ، والاستفادة من مهن الأنترنت لتخفيض مستويات البطالة وتعزيز البقاء والاستمرار لدى المؤسسات ، فالاستراتيجية الإعلامية الرقمية تتساوى مع الاستراتيجية الإعلامية في العالم الواقعي ، فكل مؤسسة أمام رهانات تلبية مطالب وحاجات سوقين:

- ✓ سوق الإعلام الواقعي
- ✓ وسوق الإعلام عبر الخط والإعلام الافتراضي وهما سوقان يختلفان جذريا.

- إتاحة إمكانية قياس التفاعلية مع الرسائل الإعلامية من خلال وظائف حركة المرور وإحصاءات عن الزوار والمعجبين وإمكانية استقطاب أكبر عدد من الزبائن والمستهلكين في قطاع الخدمات الإعلامية ، فهذه الوسيلة هي استثمار لتجسيد بحوث الجمهور وتجزئته ، مما يساهم في تفعيل الأداء الإعلامي وتقويم الاستراتيجيات الإعلامية ، فالتفاعلية أداة لتطوير الأداء المؤسساتي الإعلامي بعكس الإعلام التقليدي.

- إدارة العلاقة مع الجمهور بشكل تفاعلي وقوي بالاستفادة من تطبيقات الويب 0.2، فإدارة العلاقة مع الجمهور تتاح بشكل قوي وسهل نظرا للأدوات التفاعلية التي يتيحها الويب.

- تحقيق التنسيق في وظائف فريق المؤسسة فمهن الويب ساهمت في تطوير وظيفة الإعلام التقليدية بالمؤسسة ، وساهمت في تحقيق التكامل معها لتحقيق أهداف المؤسسة ، اي أن الاستراتيجية الإعلامية التقليدية والإلكترونية تتكاملان ؛ فوظيفة فريق مهن الويب لا تقل أهمية عن وظيفة صحفي وإعلامي الواقع.

خاتمة

وفرت الأنترنت بمختلف خدماتها وتطبيقاتها مهنا جديدة في قطاع الإعلام والاتصال ، وفي مجالات تقنية المعلومات ساهمت هذه المهن في فتح آفاق جديدة لقطاعات التوظيف التي لم تبق محصورة فقط في التوظيف الكلاسيكي ، فعصر تكنولوجيات الويب بمختلف تطبيقاته أتاح فرصا أوسع للتوظيف والانتقال لمجال الخدمات الإعلامية والتسويقية الإلكترونية.

فالمؤسسات الإعلامية في الدول المتقدمة في توسع وتنامى انتشار هذه المهن بها بشكل لافت للانتباه ، حسب ما تم ملاحظته من بيانات بالموقع الدولي لمهن الويب ، عرضت الدراسة واقع وتحديات هذه المهن في الجزائر وتوصلت إلى أن الاهتمام ضعيف بهذه المهن التي تعتبر كممارسات سطحية وغير فعالة في وظائف المؤسسات الإعلامية ، وليست كمهن مستقلة ودائمة الحضور ، ويرجع ذلك لجملة من التحديات المالية والبيئية والتقنية والبشرية ، وعدم اعتماد استراتيجيات إعلامية رقمية لدى المؤسسات الإعلامية ، حتى وإن وجدت فهي لا تحمل رؤية وأبعادا استراتيجية ، حيث إن أهداف هذه المهن هي رسم وبناء صورة رقمية عن المؤسسات ، وتحسين علاقاتها مع جمهور الويب ، تتطلب هذه المهن خصوصيات معينة منها التحكم في تكنولوجيات الإعلام والاتصال وتحديدا الأنترنت وخدماتها وتطبيقاتها ، والتحكم في أدوات الإعلام والتسويق الرقمي ، ونظم المعلومات الرقمية وأساليب المعالجة الرقمية وحركة المرور.

المراجع والمصادر

أولا: كتب ومقالات باللغة العربية

1) أبو إصبع ، خليل.2015 ،" الإعلام الإلكتروني الرقمي ، خصائص واتجاهات الإعلام الجديد" ، مجلة الاتصال والتنمية ، العدد (14)

2) . بوسجرة ، ليليا.2016 ،" ترويج العلامة في الفضاء الرقمي ، صورة المؤسسة الاقتصادية عبر مواقع التواصل الاجتماعي" ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، بسكرة ، عدد (27).

3) الحمامي ، الصادق .2007 ، " المجال الإعلامي العربي – إرهاصات نموذج تواصلي جديد" ، مجلة المستقبل العربي ، العدد (325) ،

4) شرف ، عبد العزيز. 1987 ، فن التحرير الاعلامي ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة

5) شماس ، أمينة. مشرور ، مُحَمَّد الأمين. ثابتي ، الحبيب.2017 ،" تطور المهن وانعكاساتها على وظيفة الموارد البشرية" ، المجلة الجزائرية للموارد البشرية ، المجلد 2 ، العد 2 (2).

6) شميسي ، وداد.2015 ،"وسائل الإعلام الجديد ، أي تأثير؟ إلى أي مدى؟ مقاربة تحليلية متعددة الأبعاد" ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، بسكرة ، عدد (21).

7) كمال ، وسام .2014 ، الإعلام الإلكتروني والمحمول بين المهنية وتحديات التطور التكنولوجي ، دار الفجر ، القاهرة

8) ملوكي ، عبد الله .2015 ،" الاشهار عبر مواقع الشبكات الاجتماعية وأثره في التنمية المستدامة" ، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية ، الجامعة ، العدد (46).

ثانيا: مراجع إلكترونية باللغة العربية

1) المحمود ، حمود.2020 ، المهن الإعلامية التي بدأت تسيطر عليها الألة والمهن الجديدة التي ستولد ، https://hbrarabic.com/%D8%A7%D9%84%D9%886-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%AF%D9%8A% 84% 9%8A-

2) بخيت ، سامي.2018 ، محتوى العلامة التجارية الرقمية ، http://www.tech-wd.com/wd/2016/07/29/d.

3) بدوي ، مُحَمَّد . 2018 ، ماهي الأدوار والوظائف التي يقوم بها مدير الإعلام الإجتماعي ، https://www.badwi.com/blog/?p=1372.

4) عمار ، مُحَمَّد.2018 ، كيف تكون مدير إعلام اجتماعي ناجح ، https://www.youtube.com/watch?v:wxoy7wxoNwv

5) مجول ، عبد الرؤوف.2018 ، أساسيات التحرير الاعلامي في الوقت الراهن ، https://hrdiscussion.com/hr38168.html

6) رواتي ،عادل.2018 ، صحافة إلكترونية وإعلام رقمي ، http://adelraouti.net/blog/digital-journalism/

7) هيئة تحرير موقع CAZA 24. 2020 ، المهن الجديدة في الإعلام والاتصال التكوين الكفاءات والفرص ، http ://Caza24.ma /media/19252,html

ثالثا: مراجع أجنبية

1) J,Francisco.and Quesada , Ariella.2014 , " Web0.2, social networks and E – commerce as a marketing tools", journal of theoretical and applied electronic commerce research.vol9.no1.

2) Le FREM, 2013, Métiers d'avenir, états des lieux du secteur des technologies de l'information et de la communication « Tic », Recueil prospectif.

3) . Chantal,Jean . 2008, marketing stratigique et opérationnel, denod,paris .

4) Jones, Steve .2002, encyclopedia of new media - an essential reference to communication and technology, Sage publications.france.

5) Mazier , Didier . Et autre .2012, communiquer sur les reseaux sociaux, imprime en France par laballery

6) Xavier prud' homm, Nicolas .et autre .2011, genre et communication, les nouveaux métiers de la communication a partir d'une étude de 2007-a 2010, magazines stratégies, université de bordeaux.

7) Delattre, Sylvie. Et autre.2012, les Métiers de l'internet, les référentiels des Métiers cadres,Apec

رابعا: مواقع إلكترونية أجنبية

1) Social Media Stratégiste job.2018, https://resources.workable.com/social-media-strategist-job-description

2) job description.2016, seo manager/senior seo manager/director of seo, magazine social seoi , https://www.socialseo.com/wp-content/uploads/2016/04/SEO-Manager-Job-Description-1.pdf,

3) Workable's Boolean.2018 , description SEO Manager,https://resources.workable.com/seo-manager-job-description

4) workable.2018 ، Brand Ambassador job description , https://resources.workable.com/brand-ambassador-job-description[1] - د

أساليب تربية الطفل في الأسرة من منظور الإسلام

the family education methods in the Islam point of view

تاريخ الإرسال: 05-06-2018 تاريخ القبول: 11-11-2020

ياسمينة كتفي، جامعة محمد بوضياف- مسيلة، ketfiy@yahoo.fr

الملخص

التربية هي العلم الذي يهتم بإعداد النشء للحياة المستقبلية ، حيث يكون هذا الإعداد منذ اللحظات الأولى من عمر الفرد ، والأسرة كمؤسسة قاعدية تساهم بجزء كبير في بناء شخصية الفرد وتقويم سلوكه حيث تمثل الرقيب على كل ما يتلقاه الطفل من المؤسسات الاجتماعية الأخرى ، وقد تختلف أساليب التربية الأسرية من أسرة إلى أخرى ، حسب اتجاهات ومعتقدات وأفكار الوالدين على وجه الخصوص ، هذا ما دفعني لإثارة الموضوع ، وتسليط الضوء على أساليب تربية الطفل في الأسرة من المنظور الإسلامي ، إذ إن الأسرة تقوم بعملية التربية لأطفالها من خلال إكسابهم العادات ، والقيم ، والأخلاق الإسلامية ؛ مما يؤثر على سلوك الفرد في الحياة الاجتماعية.

الكلمات المفاتيح: الأسرة ، التربية ، الطفل ، أساليب التربية ، التنشئة

Résumé

L'éducation est cette science qui s'occupe de la préparation des enfants pour l'avenir. Elle commence dès le premier âge et la famille, en tant qu'institution de base, contribue largement à former la personnalité de l'individu et à transformer son comportement. Elle joue le rôle du contrôleur sur tout ce qu'il reçoit de la part des autres institutions sociales. Les méthodes d'éducation diffèrent d'une famille à une autre, selon les orientations, les croyances et les idées des parents en particulier. C'est ce qui m'a poussée à invoquer le sujet et à mettre en lumière les méthodes d'éducation pour l'enfant au sein de la famille du point de vue Islamique, puisque c'est la famille qui mène le processus de l'éducation de ses enfants, en leur faisant acquérir les coutumes, les valeurs et l'éthique islamiques. Cela affecte le comportement de l'individu dans la vie sociale.

Mots clés : la famille, l'éducation, l'enfant, les méthodes d'éducation, la socialisation

Abstract

The education is a science that interests in raising children for the future. This raising starts from the early age. The family, as a basic institution, participates in forming one's personality and in strenghtening their behaviors. The family always supervises what individual receives from the other social institutions. Education methods are different among families according to the parents' concepts, ideas and beliefs. Therefore, I raise this topic to highlight the children education methods in the family in the Islam point of view. In fact, it's the family who processes the children raising; it makes them acquire the Islamic costumes, values and morals so that it influences the individual in the society.

Keywords: family, education, child, education methods, socialization

مقدمة

الأسرة هي ذلك الوسط الاجتماعي التربوي الأول، الذي يولد، ويعيش ويقضي الطفل فيه أهم لحظات حياته، وتكون مسؤولة عن كل تصرفاته، فهي الخلية الأولى في المجتمع، ونواة الحياة الاجتماعية؛ فالأسرة إذًا هي مؤسسة تربوية اجتماعية أولية ومرجعية، وجدت لحفظ النوع والنسل الإنساني، ولا يمكن للإنسان أن يعيش خارج نطاقها مهما كان طور حياته، طفلًا، أو شابًا، أو مسنًا فالإنسان يحتاج إلى أن يعيش في جماعة ينتمي إليها.

تشترك الأسرة مع المدرسة والمجتمع في عملية التطبيع الاجتماعي للطفل، والأسرة هي الجماعة الإنسانية الأولى التي يتعامل معها الطفل، والتي يعيش معها السنوات التشكيلية الأولى من عمره، هذه السنوات التي يؤكد علماء النفس والتربية أن لها أكبر الأثر في تشكيل شخصيته تشكيلًا يبقى معه مدى الحياة، ويعود ذلك إلى الأساليب التربوية الفعالة التي تتبعها في تربية الطفل؛ حتى ينشأ شخصية سوية متكاملة الجوانب الاجتماعية، والنفسية، والعقلية، والروحية، متكيفة مع المجتمع محققة التوافق الاجتماعي والنفسي، هذا ما سنحاول إثراءه في هذه الورقة من خلال التعرف على أساليب التربية الأسرية في المنظور الإسلامي.

أولا- الإشكالية والإطار المفاهيمي

1- الإشكالية: إن الأساليب والطرق التي تتبعها الأسرة في تربية الطفل هي التي لها النصيب الأكبر في التأثير على شخصية الطفل بل هي العامل الرئيس في بناء شخصيته المستقبلية، فإذا كانت الأساليب المستخدمة هي أساليب سليمة وصالحة، فقد ينشأ الطفل ليصير رجلًا صالحا، وإذا لم يصاحب هذه الطرق المثال، والنموذج العملي، والقدوة الطيبة فقد ينشأ الطفل لا يفرق بين القول والعمل، ولا يكون جادًا في حياته، ولقد جاء الإسلام بمنظور خاص في تربية الطفل وتنشئته حتى يتشرب المبادئ والقيم الإسلامية السامية، وهذا ما حاولت مناقشته في هذه الورقة البحثية من خلال الإجابة على التساؤلات التالية: ما هي ميادين تربية الطفل؟ وما الأساليب الفعالة للتربية داخل الأسرة في المنظور الإسلامي؟

2- تحديد المفاهيم: لقد اشتمل البحث على عدة مفاهيم ومصطلحات، يجدر بنا أن نحدد المقصود من كل منها، قبل الخوض في مضمون البحث.

2-1- الطفل

2-1-1- المفهوم اللغوي: "الطفل والطفلة الصغيران والطفل الصغير هو كل شيء بين الطفل والطفلة والطفولة والطفيلية لا فعل له"(ابن منظور، (دت)، ص599).

وفي الصحاح يتحدث أبو نصر الجوهري مادة الطفل فيقول ما مفاده ومحصله ‹الطفل المولود، وولد كل وحشية أيضا طفل والجمع أطفال، وقد يكون الطفل واحد وجمعا، قال الله تعالى:﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ **ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ** ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾[النور :31]"(خليل جمعة، 2005، ص15).

2-1-2- المفهوم الاصطلاحي: هو "الصغير في كل شيء، أو هو كائن حي خبراته محدودة، مرتبطة بعمره الزمني ويعتمد على غيره في أشياء كثيرة، حتى ينمو عضوا ووظيفيا واجتماعيا (عبد الحميد العناني، 2001، ص12).

كما "عرفه ميثاق الطفل الإفريقي لحقوق الطفل ورفاهيته في المادة الثانية من الجزء الأول: أن الطفل هو كل إنسان يقل عمره عن ثماني عشر سنة"(مصطفى فهمي، (دت)، مصر، ص10).

والطفل عند علماء الاجتماع هو "الإنسان الكامل الخلق والتكوين لما يمتلكه من قدرات عقلية، وعاطفية وبدنية وجسمية؛ إلا أن هذه القدرات لا ينقصها سوى النضج والتفاعل بالسلوك البشري في المجتمع لينشطها ويدفعها للعمل فينمو الاتجاه السلوكي الإرادي لدى الطفل داخل المجتمع الذي يعيش فيه"(مصطفى فهمي، (دت)، ص13).

أما الطفل في الشريعة الإسلامية فهو كل طفل لم يستوف سن البلوغ والبلوغ يكون بالسن أو بالعلامة وعلامة الأنثى الحيض وعلامة الذكر الحلم، قال تعالى ﴿**وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ**ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ [النور:59].

يتضح مما سبق أن الطفل هو صغير الإنسان الذي لم يكتمل نضجه الجسمي الفسيولوجي والنفسي والاجتماعي والعقلي واللغوي، وله قدرات عقلية وبدنية وجسمية تحتاج إلى تربية وتنشئة وإرشاد في الأسرة والمؤسسات الاجتماعية الأخرى من أجل تكوينه ليكون فردا صالحا في المجتمع.

2-2- التربية

2-2-1- المفهوم اللغوي: يقال فلان رب البيت، ورب الدابة وهن ربات الحجال أي صاحبها، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة :02]، وكل من ملك شيئًا فهو ربه، وفي حديث أشراط الساعة (أن تلد الأمة ربتها) قال الرب يطلق في اللغة على المالك والسيد، والمدير والمربي، والقيم والمنعم ولا يطلق غير مضاف إلا على الله عز وجل"(ابن منظور: (دت)، ج01، ص399).

2-2-2- المفهوم الاصطلاحي: يعرفها مقداد يالجن بقوله: "إن التربية تنفيذ عملي لفلسفة التربية، بتنشئة الطفل وتكوينه جسميا وعقليا ونفسيا وروحيا وأخلاقيا، وذلك باستخدام جميع الطرق والوسائل والأساليب والحقائق العلمية التي تساعد على تنشئة الطفل وتكوينه على ذلك النحو في كل مرحلة من مراحل نموه، حتى نهاية نضجه وكماله الإنساني في ضوء الفلسفة التربوية التي تتبعها هذه التربية أو تلك، لتكوين الإنسان وتشكيله على النحو الذي ترى تشكيله عليه في المجتمع الذي تريد بناءه عن طريق تشكيل الأفراد وتكوينهم، أو هو علم إعداد الإنسان على حسب ما يريد دينه ومجتمعه وأمته"(يالجن ، (دت) ، ط1، ص59).

كما يعرفها عبد الواحد علواني بقوله: التربية تعني ما هو أوسع وأشمل من التعليم أو التدريب، إنها عملية شاملة تتناول الإنسان جسمه، ونفسه، وعقله، وعاطفته، سلوكه، وشخصيته، مواقعه، ومفاهيمه، مثله وطريقة حياته وطرائق تفكيره، وهي تعني أكثر ما تعني بأن تهيئ (الفرد) لحياته، وأن تعينه على أن يحيا حياة إنسانية كريمة بالمعني المادي والروحي الفردي والجماعي (علواني، 2001، ص30-31).

يعرفها دوركايم بقوله: التربية تكوين الطفل تكوينا اجتماعيا، كما يعرفها جون ديوي هي الحياة نفسها وليست إعداد للحياة، وبأنها عملية نمو وعملية تعلم وعملية بناء وتجديد مستمرين للخبرة وعملية اجتماعية (يالجن، 2003، ص12-13).

التربية تعني عملية توجيه وتعليم شاملة تقوم بها الأسرة المسلمة، وذلك بإتباع مجموعة من الأساليب التربوية وفق المنظور الإسلامي، بهدف تنشئة الطفل وإعداده للحياته الاجتماعية.

2-3- الأسرة

2-3-1- المفهوم الاصطلاحي "هي جماعة من الأشخاص يتحدون بروابط الزواج أو الدم أو التبني، أو هي على حد قول أجبرن رابطة اجتماعية من زوج وزوجة وأطفالهما أو بدون أطفال، أو من زوج بمفردة مع أطفاله، أو زوجة بمفردها مع أطفالها، ويضيف إلى هذا بأن الأسرة قد تكون أكبر من ذلك فتشمل أفرادا كالأجداد والأحفاد، وبعض الأقارب على أن يكونوا مشتركين في معيشة واحدة مع الزوج والزوجة والأطفال"(لطفي، (دت)، دس، ص20).

الأسرة هي ذلك الوسط الاجتماعي التربوي الأول الذي يولد ويعيش فيه الطفل ويقضي فيه أهم لحظات حياته، فالأسرة تقدم للطفل تكوينا جسميا، وعقليا، واجتماعيا، وخلقيا، ودينيا، وعاطفيا، ونفسيا، وتكون مسؤولة عن كل تصرفاته لأنها هي المهد الأول لنشأة أفكاره ومهاراته.

ثانيا- أهمية التربية الأسرية: "مع أن الأسرة وحدة اجتماعية اقتصادية هامة إلا أن دورها التربوي أكثر أهمية، إذ إنها تقوم بعملية التربية لأطفالها من خلال إكسابهم المهارات والعادات والقيم والأخلاق، والاتجاهات والسلوك العام؛ ومما لا شك فيه أن أهمية الأسرة في العملية التربوية تنعكس على سلوك الفرد في الحياة الاجتماعية"(ناصر، (دت)، ص63).

وقد أوضح بارسونز أهمية دور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية، إذ يرى أن على الوالدين تقع مسؤولية تشكيل شخصية الطفل في المراحل النمائية الأولى في حدود قدراته الوراثية، من خلال ما توفره الأسرة من فرص للنمو، وما يتعلمه

الطفل من بيئته المنزلية من القواعد والتوقعات والقيم والاتجاهات وأنماط السلوك الأساسية السائدة في مجتمعه ؛ مما يساعد على الضبط الاجتماعي ، ويقلل من فرص الانحراف الاجتماعي ، الذي اعتبره بارسونز نتيجة طبيعية لفشل عملية التنشئة الاجتماعية (أحمد السيد ، 1997 ، ص 31).

"يقول علماء النفس أن الرجل هو امتداد لطفولته ، فالطفولة السوية تؤدي إلى رجل سوي ، والأسرة هي التي تضع نواة وأسس شخصية الفرد في السنوات الخمس الأولى من حياته"-(عبد العزيز حسين ، 2002، ص93) ، حيث "يتعاظم دور الأسرة في تربية الطفل وتنشئته تنشئة اجتماعية سوية في مرحلة الطفولة المبكرة ، باعتبارها أول نواة وجماعة أولية ومؤسسة اجتماعية يعيش في ظلها الطفل ، ومن خلالها يكتسب العديد من الخبرات التي تشكل الأساس للعديد من المفاهيم عن نفسه ، وعن الآخرين ، والعالم من حوله ، إذ إنه يرى المجتمع الخارجي من خلال عيون الوالدين والأخوة الذين يشكلون الأسرة النووية الصغيرة وبما أن معظم ما يتعلمه الطفل في سنواته الأولى له صفة الثبات والاستمرارية ، فإن نظرة الطفل ومفهومه عما يجري من حوله في بيئته الاجتماعية القريبة والأبعد في السنوات اللاحقة ، تعتمد إلى حد كبير على ما تكون لديه من مفاهيم وقيم واتجاهات في الطفولة المبكرة ، أي في أسرته بشكل أساسي"(محمود الناشف ، 2006، ص22).

ثالثا- ميادين تربية الطفل في الأسرة: للتربية مجالات وميادين كثيرة ومتعددة ينبغي الإحاطة بها في تربية الطفل وإعطاء كل جانب حقه ومستحقه من التربية والتوجيه ؛ لبناء شخصية إنسانية متكاملة الجوانب المادية ، والروحية ، والمعنوية ، والصحية ، والعقلية والنفسية ؛ لأنه إذا اختل تكوين جانب من هذه الجوانب يؤثر على بقية الجوانب ، فتنشأ شخصية غير سوية منهكة القوة ، كثيرة العيوب ، ومن أهم الميادين التي ينبغي الإلمام بها في التربية والتي ندرجها كالتالي:

1- التربية الجسمية: "حين نتحدث عن الجسم فليس المقصود هو عضلاته وحواسه ووشائجه فحسب ؛ وإنما نقصد كذلك تلك الطاقة الحيوية المنبثقة من الجسم ، والمتمثلة في طاقة الدوافع الفطرية والنزعات والانفعالات ، طاقة الحياة الحسية على أوسع نطاقها"(الطحان ،2006، ص59) ، بحيث يتم إشغال الطفل في هذه المرحلة باللعب الهادف لتفريغ الفائض من طاقته ، وتنمية الجسم من خلال ممارسة الرياضة كالسباحة وركوب الخيل والرماية وتشجيع اللعب الجماعي ؛ مما يحفظ صحة الطفل ويقيه من الأمراض ولذا يفضل دائمًا شغل وقت وجهد الطفل أيضا بعمل تربوي مفيد ، كتنظيف حديقة المنزل ، رسم الأزهار وتلوينها وكتابة الحروف ، كما بإمكان ضم الطفل إلى بعض النوادي الرياضية حسب الجنس والرغبة ، كأن نضم الفتى إلى ناد رياضي وتضم الفتاة إلى بعض النوادي التي تعلم المهن والحرف النسائية مثلًا ، من أجل أن لا يضيع وقته في مشاهدة التلفاز أو اللعب في الشوارع ، ولا نقصد بذلك عدم ترك الفراغ للطفل في اللعب ، فاللعب ضروري ، لكن أيضًا يجب أن يكون اللعب هادفًا ، يقول أبو حامد الغزالي في تأكيد ضرورة اللعب للطفل: "(ينبغي لأن يؤذن للطفل بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبًا جميلًا يستريح فيه من تعب الكتب بحيث لا يتعب في اللعب ، فإن منع الصبي اللعب ، وإرهاقه إلى التعلم دائمًا يميت قلبه ، ويبطل ذكاءه ، وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه)"(الطحان ،2006، ص 62).

كما أن الطفل في سن الصغر يكون عرضة للأمراض أكثر من غيره ، وهو في الوقت نفسه -غالبًا- لا يدرك بصورة حسنة وضعه الصحي أو العناية به ، فعلى المربي أن يتفقده ويتحسسه ، كما يعتني بهيئته ومنظره ، فقد رأى الرسول (صل الله عليه وسلم) أجسام أبناء جعفر بن أبي طالب(ض) نحيفة ونحيلة فقال لأسماء بنت عميس (مالي أرى أجسام بني أخي ضارعة؟ تصيبهم الحاجة) فقالت: لا، ولكن العين تسرع إليهم ، فقال: (أرقهم) ، قالت فعرضت عليه ، فقال: (أرقهم). (أخرجه مسلم) (الضارع: النحيف الضاوي الجسم)، فقد استفسر الرسول (صل الله عليه وسلم) عن سبب نحافة جسم الطفل" (بن شاكر الشريف ، 2006، ص74).

وينبغي على الوالدين تقديم الوقاية الصحية للطفل قبل المرض ، وتعليمه كيف يقي نفسه من الأمراض ، من خلال إرشاده إلى طرق النظافة وطهارة الجسم من الخبث ، والطهارة من الحدث وترغيبه في الوضوء ونظافة لباسه وغذائه في كل الأحوال.

وتتحقق التربية الجسمية والصحية بمراعاة الأمور التالية (يالجن ، 2003، ص 73-74):

- تغذية الطفل حسب ما يحتاج إليه في كل مرحلة من مراحل النمو بالطريقة المناسبة.

- وقاية الطفل من أسباب الأمراض الجسمية والنفسية قبل الولادة وبعدها.

- تكوين بصيرة بمبادئ الصحة العامة وطريقة تجنب أسباب الأمراض وذلك عند ما يبلغ مرحلة مناسبة لتكوين هذه البصيرة.

- إتاحة الفرص لممارسة الرياضة في ضوء القيم الإسلامية.

- توجيه الناشئين إلى وجوه استخدام الصحة.

2- التربية العقلية: "التربية العقلية تؤدي إلى نمو العقول وزيادة القدرات العقلية أو الإدراكية ، فإن التربية العقلية تؤدي من هذه الناحية إلى زيادة أكبر ثروة وأكبر رأس مال في حياة الأمة" (يالجن ، (دت)، ص85):

"العقل في الإسلام هو قوة مدركة في الإنسان خلقها الله فيه ليكون مسؤولا عن أعماله على أساس قدرته للإدراك والتميز عن الحق والباطل والخير والشر والحسن والقبيح ، ثم تكليفه بناء على ذلك أن يتبع طريق الحق والخير والحسن ، وأن يتجنب طريق الباطل والقبح والضلال والانحراف قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠﴾{الملك:10} فالعقل قوة مدركة فطرية في الإنسان ، يستعمل لثلاث معان ، الإدراك ، العمل بمقتضى الإدراك وهو العقل العملي أو الحكمة والعقل القلبي ، والإنسان يحس بالفرق بين الإدراك العقلي ، وهو إدراك منطقي تسلسلي واستدلالي بينما إدراك القلب مباشر وفجائي وإلهامي قال تعالى:﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ١١﴾{النجم:11}" (الطحان ،2006، ص 66-67).

فالتربية الإسلامية تلح على ضرورة التفكير والتخيل في ملكوت الله وأعمال العقل حيث يعمل الوالدين على تشجيع الطفل على التفكير والتخيل والإبداع ، وتقديم التربية العقلية للطفل وعدم شغل ذهنه بتوافه الأمور ، وتعليمه كيف يفكر بطريقة ايجابية ذكية ، إرشاده إلى طرق تنمية تفكيره الإبداعي ، وتوسيع ذاكرته وإدراكه ووعيه بواقعه المحيط به.

وتتحقق التربية العقلية بمراعاة الأمور التالية(يالجن ، 2003، ص74-75):

- وقاية العقل من أسباب الأمراض العقلية وأسباب التخلف العقلي.
- تنمية القدرات العقلية في مراحل التربية للطفل.
- تدريب العقل على منهجية التفكير المنطقي الإسلامي للوصول إلى الحقائق المادية والمعنوية.
- تكوين عقلية علمية ابتكاريه.

والتربية العقلية هي توجيه لعقل الطفل وتبصيره بالعلوم والمعارف التي يجب معرفتها للتميز بين الحق والباطل الخير والشر ، في إطار ضوابط معينة ، كتعلم التأمل في المخلوقات مما يزيد إيمانه ويرسخ اعتقاده بوجود خالق للكون ومراقبة قدرته على التخيل والإدراك.

3- التربية الروحية: التربية الروحية هي تربية للروح وتزكية للنفس ، "أول ما تعني حمايتها مما يشوه جوهرها وأسباب مرضها ، وتعني ثانيًا تنميتها بتغذيتها ورياضتها بالعبارات المختلفة بأساليب خاصة ، وتعني كذلك تطهيرها وتخليتها من الرذائل ، ثم تحليتها بالفضائل المختلفة ، وترقيتها لتستطيع التقرب إلى خالقها ؛ ولتكون على صلة مستمرة به في السر والعلن ؛ ولتستمد منه العون والإشراق والطمأنينة ؛ لأن الحياة الروحية هي التي تضفي على حياة الإنسان القوة والإشراق والبهجة في الدنيا والأمل السعيد في الآخرة(يالجن ، (دت) ، ص 241).

فالتربية الروحية هي الأكثر تأثيرًا في بناء شخصية الطفل التي تبدأ ببناء العقيدة والعبادة حيث تربط الطفل من أول أمره بالله وتحفظه من الضياع والانحراف ، وللأسرة دور كبير في تعليم الطفل وتوجيهه نحو عقيدته وتعليمه العبادات المطلوبة للتقرب من الخالق ، كما تعلمه كيف يميز بين الخير والشر والمسموح والممنوع.

"يقول الإمام الغزالي (اعلم أن ما ذكرنا من أمور العقيدة ، ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوئه ، ليحفظه حفظًا ، ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئًا فشيئًا ، فابتدأوه الحفظ ، ثم الفهم ، ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق به ؛ وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان ، فمن فضل الله سبحانه وتعالى على قلب الإنسان أن يشرحه في أول نشوئه

للإيمان ، في غير حاجة إلى حجة أو برهان ، ثم يدلنا على الطريقة في ترسيخ العقيدة ، فيقول: والطريق إلى تقويته يكون بالانشغال بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بالعبادات ، فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخًا بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه وبما يرد عليه من الشواهد الأحاديث وفوائدها وبما يستطيع عليه من أنوار العبادات ووظائفها)(الطحان ،2006 ، ص324).

وتقوم التربية الروحية على ثلاث أمور هي العقيدة والعبادة والمعاملة ، فتبنى العقيدة على الأيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر بالقدر خيره وشره ، وهذا يغرس في الطفل بعض الصفات الإنسانية والاجتماعية ، كالإيثار والتضحية والمحبة والرحمة والشفقة والتعاون والتقوى.

أما العبادة فتتمثل في تربية الطفل وتعويده القيام بها كأداء الصلاة في وقتها ، تعويده على الصدقة من مصروفه الخاص ، وصيام بعض أيام رمضان.

أما المعاملات فتشمل التزامه ببعض الآداب الاجتماعية كزيارة الأقارب واحترام الجار ، وتعلم الطفل هذه الأمور دون تعنيف ولا عقاب حتى يحب أدائها ، "فالطفولة ليست مرحلة تكليف وإنما هي مرحلة إعداد وتدريب وتعويد للوصول إلى مرحلة التكليف ، وعبادة الله تفعل فعلًا عجيبًا في نفس الطفل ، تشعره بالاتصال بالله عز وجل وتهدئ من ثورات نفسه وتلجم انفعالاته ، جاء في كيفية تعليم الصلاة عن النبي (صل الله عليه وسلم) قال:(علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين ، واضربوه عليها ابن عشر) (أبو داود)" (الطحان ، 2006ص327).

وتتحقق التربية الروحية للطفل بما يلي(يالجن ، 2003 ، ص 76-77):

- تكوين الشعور لدى الناشئين بحاجتهم إلى الله باستمرار في السراء والضراء.
- تكوين الوعي الكامل بأهمية الحياة الروحية وضرورتها للحياة الإنسانية.
- تطهير النفس وتزكيتها من جميع الرذائل والنيات والغايات السيئة.
- تحليه النفس وتزكيتها بالفضائل ومكارم الأخلاق.
- تنشئة النفس على عبادة الله برغبة كاملة وإخلاص تام.
- تدريبهم على ذكر الله على كل نعمة بعد تبصرهم بها وإشعارهم بقيمتها.
- تدريبهم على الرياضة الروحية وعلى الحوار التعبدي بالأساليب التربوية.

ومن الأساليب التي تعين الأسرة على ربط الطفل بالله ؛ تعويده الصلاة في وقتها جماعة في المسجد وأداء بعض النوافل بطريقة جماعية ، من صلاة وصيام في البيت وأذكار الصباح والمساء ، وورد القرآن والحديث كل يوم ، وقراءة سورة الكهف يوم الجمعة ، كما لا ندعو الأسرة إلى التضييق على الطفل وإجباره على العبادة وتحميله ما لا يطيق ، بل تحبيبه فيها وتعويده عليها حتى يشب على أدائها فتصير جزء منه هو جزء منها أذا لم يؤديها أحس بالضيق ، فلا تطيب نفسه ولا يهنأ باله إلا بأدائها ولا يكون ذلك إلا إذا اتبعت الأسرة أسلوب المكافئة أول الأمر ، كما يقول مقداد يالجن:"ينبغي على الأسرة أن تبدأ هذه التربية بالتعليم والممارسة معًا ابتداء من المرحلة الابتدائية ، وذلك بتعليم الصلاة وأداء الصلاة بالترغيب والتشجيع دون استخدام القوة والقهر والضرب ولا يعاقب إذا ترك أداء بعض العبادات شيئًا فشيئًا حتى إذا ما اعتاد أداءها ونشأ عليها فلا يصعب عليه أداؤها عند البلوغ أو عندما يكلف بالواجبات(يالجن ، (دت) ، ص 242).

4- التربية الأخلاقية: إن الوصول إلى الخلق الحسن هو الغرض الحقيقي للتربية "وحسن الخلق زينة الإنسان ، وهي التي تجعله محبوبًا في المجتمع ، وهي من أسباب سعادة الإنسان في هذه الحياة ولدخوله الجنة في الآخرة وسوء الأخلاق من أسباب شقاوة الإنسان ودخوله النار في الآخرة"(يالجن ، 2003 ، ص 77).

وإن الأخلاق التي ينشأ عليها الطفل هي التي يرها كل يوم في سلوك الوالدين ، وتنطبع عليه بشكل تلقائي ، فالطفل كما هو معلوم يولد على الفطرة ، والوالدان هما المسؤولان عن توجيه هذه الفطرة إلى بر الأمان ، من النقش الحسن والبناء الأخلاقي القويم ، فيلقن الطفل الآداب الأخلاقية من تحية واحترام الوالدين وطاعتهما ، والأدب مع الأخوة ، وتوقير الكبير ، ورأفة بالجار والقريب ، وتطهير قلبه من الأخلاق الذميمة كالغيرة ، والحسد ، والحقد ، وزرع الأخلاق الحسنة ؛ من صدق ، وأمانة ، وحب الخير للناس ، والوفاء بالوعد وغيرها

من الآداب الأخلاقية ، التي تزكي النفس وترتقي بها إلى بناء شخصية سوية معتدلة خالية من الأمراض النفسية بعيدة عن لغو الكلام وفحشه ، لكي نرسخ في نفس الطفل الأخلاق الحسنة منذ الصغر ، لكي نرسخ في نفس الطفل الأخلاق الحسنة منذ الصغر ينبغي " أن يكرم على الخلق الجميل ويجازى عليه بما يفرح به ، ويمدح بين أظهر الناس" (الطحان ،2006 ،ص341) ، من أجل تعزيز السلوك الحسن في نفسه.

وتتحقق التربية الأخلاقية بالأمور التالية (يالجن ، 2003 ، ص78):

- تكوين الحب للفضائل وحسن الأخلاق ثم تكوين الكراهية ، والنفور ، والاشمئزاز من الرذائل ، والشرور والجرائم.
- تنشئة الصغار على ممارسة الفضائل الأخلاقية والآداب الاجتماعية الحسنة.
- تدريب الناشئين على تطهير النفوس من الرذائل والنيات السيئة.
- تحلية النفس بالفضائل ومكارم الأخلاق من حيث الظاهر والباطن ، من خلال القدوة الحسنة والسلوك الحسن.
- تبصيره بطريقة تحكيم العقل وتحكمه في النوازع البشرية ، وذلك أن التبصر بالحقائق الأخلاقية وقيمها المختلفة لا يكف ، يستطيع المرء تحكيم العقل وتحكمه في سلوكه إذ لا بد لتحقيق ذلك من تطبيق المبادئ التربوية.

5- التربية الاجتماعية: التربية الاجتماعية للطفل تعني " تنشئة الطفل تنشئة تكفل له الاندماج مع عادات وتقاليد وطبيعة مجتمعه ، وتضمن التكيف مع ظروفه وتهيئته ليكون من عوامل تقدم هذا المجتمع وتطوره نحو الأفضل (علواني ، 2001 ، ص155).

أو هي "ظاهرة سلوكية وجدانية التي تربي الطفل على أداء الحقوق ، والتزام الآداب ، والرقابة الاجتماعية ، والاتزان العقلي ، وحسن السياسة والتعامل مع الآخرين ، ومن الثابت تجربة وواقعا أن سلامة المجتمع وقوته وتباينه وتماسكه مرتبطان بسلامة أفراده وإعدادهم" (ناصح علوان ، (دت) ، ص 357).

والتربية الاجتماعية تبدأ من الأسرة من خلال سهر الوالدين على أن يسلك الطفل السلوك السليم بالتوجيه والضبط وتعلم الآداب الاجتماعية والأدوار الاجتماعية وتكوين الضمير الاجتماعي لديه ، وتظهر التربية الاجتماعية في أربعة أشكال هي كالتالي (علواني ، 2001 ، ص156):

- اكتساب السلوك المرغوب فيه مثل مهارات القراءة ، والحساب ، والاتزان الاجتماعي ، والتحدث بثقة دون قلق.
- اكتساب القيم المقبولة ثقافيا مثل الإخلاص ، الإيثار ، النظافة ، الأمانة ، الضمير الحي ، الثقة الطموح.
- الكف عن السلوك غير المرغوب فيه مثل الطبيعة العدوانية ، التواكلية ، البكاء ، الغضب ، التبول.
- الكف عن القيم المرفوضة مثل الكراهية ، الكسل ، النرجسية ، الكذب الغش ، والخداع."

كما ينبغي على الأسرة أن تعمل على غرس الانتماء القومي في نفس الطفل من حب الوطن والاعتزاز بقوميته العربية الإسلامية حتى لا ينشأ الطفل محبطا منهزما ، بل ينشأ معتزا بتراثه وماضيه ، ومن أساسيات تربية الطفل قوميا ؛ ربط المآثر القومية بالأعمال والإنجازات الحضارية بشكل إيجابي ، أي بشكل يدفع الأجيال إلى إنجازات أكبر ، التأكيد أن القومية لا شأن لها ما لم يكن الأفراد المنتمون إليها أصحاب شأن وتميز.

6- التربية النفسية: التربية النفسية هي " تربية الطفل منذ أن يعقل على الجرأة ، والصراحة ، والشجاعة ، والشعور بالكمال ، وحب الخير للآخرين ، والانضباط عند الغضب والتحلي بكل الفضائل النفسية والخلقية على الإطلاق ، وهدفها تكوين شخصية الطفل وتكاملها واتزانها ؛ حتى يستطيع إذا بلغ سن التكليف ، أن يقوم بالواجبات المكلف بها على أحسن وجه وأنبل معنى (ناصح علوان ، (دت) ، ص299).

ويعمل الوالدان على تربية الطفل منذ نعومة أظافره على الجرأة والإقدام والحياء من الله والناس ، ويحرارنه من الاضطرابات النفسية ، كالخجل ، والخوف ، والانطواء ، والشعور بالنقص ، وأمراض القلوب من ؛ حسد ، وبغض ، وحرص ، وكبر ؛ حتى تنشأ نفسه طاهرة عفيفة تقودها النفس المطمئنة بعيدة عن قيادة الهوى أو إغراء الشيطان أو النفس الأمارة بالسوء.

"فالنفس إذا سكنت تحت الأمر وزينها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة ، وإذا لم يتم سكونها صارت مدافعة للنفس الشهوانية سميت النفس

اللوامة ، فإذا تركت الاعتراض وأذعنت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الأمارة بالسوء.

وكل من استولت عليه النفس صار أسيرا في حب شهواتها محصور هواها ، مقهورا مغلولا زمامه في يدها ، تجره حيث شاءت فتمنع قلبه من الفوائد شعار هذه الفئة ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ **رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ** ۝﴾ {البقرة: 200} (الطحان ،2006 ، ص 72).

يتم ترويض نفس الطفل على قمع الشهوات ، وأول شهوة تظهر في الطفل هي شهوة حب الطعام والغيرة من أقرانه ، فيتعلم حب الآخرين والابتعاد عن الشبع حتى لا تنمو فيه غريزة إتباع الهوى دون قيد أو شرط ، كما يفضل شغله بأمور أخرى كقول الحق ونصر المظلوم ، فينشأ على الصراحة التامة والجرأة الكاملة ، ضمن حدود الأدب والاحترام ومراعاة شعور الآخرين ، وإنزال الناس منازلهم ، وإلا فإن الجرأة ستنقلب إلى وقاحة والصراحة إلى قلة أدب.

وعلينا أن نميز بين الحياء والخجل للفرق الواضح بينهما فالخجل هو ؛ انكماش الطفل وانطواؤه وتجافيه عن ملاقاة الآخرين ، أما الحياء فهو ؛ التزام الطفل مناهج الفضيلة وأدب الإسلام فليس من الخجل في شيء أن نعود الولد منذ نشأته على الاستحياء من اقتراف المنكر ، وارتكاب المعصية وليس من الخجل في شيء حين نعود الطفل على توقير الكبير وغض البصر عن المحرمات ، وكف الأذن أن تسترق سرا أو تكشف خبثا.

7- **التربية الجنسية**: التربية الجنسية هي تعليم الطفل الأمور المتعلقة بتناسل الجنس البشري وكيفية المحافظة عليه ، وأن ذلك يكون على مراحل ؛ لأن الطفل الصغير لا يستوعب هذه الأمور وهو صغير ، لكون "الطاقة الجنسية عنده في حالة كمون ، ولا يجب القلق عند اكتشاف الوليد لأعضائه التناسلية في مرحلة الرضاعة ، أما في الطفولة المبكرة فينبغي على الوالدين والمربين مراعاة العديد من الأمور منها تعريف الطفل بأسماء أجزاء الجسم وضمنيًا الأعضاء التناسلية بشكل طبيعي وصريح ، مع الإشارة إلى التحفظ الاجتماعي على هذه التسميات من باب قواعد الأدب الاجتماعي ، كذلك ينبغي الإجابة على أسئلة الطفل دون إفراط أو تفريط ، وتعريف الطفل بالفروق بين الجنسين دون ربط الشأن الفردي بجنس الفرد ، أي دون انتقاص من جنس عن آخر ، ويجب علاج مواقف العبث الجنسي بحكمة وصرف الطفل وتحويل نشاطه إلى نشاط بناء آخر ، كاللعب والجري وكذلك تدريب الطفل على ضبط النفس خلقيا(علواني ، 2001 ،ص 291-292).

إن أول ما يربى عليه الطفل في سن مبكرة تعريفه بأعضائه التناسلية وعدم المبالغة في ذلك ، وتوعيته بضرورة سترها أمام الناس ، وعدم النظر إلى عورتهم ، وتعليمه الاستئذان عند الدخول عليهم" وتعليم الطفل وتوعيته ومصارحته منذ أن يعقل القضايا التي تتعلق بالجنس وترتبط بالغرائز وتتصل بالزواج حتى إذا شب الطفل وترعرع وتفهم أمور الحياة عرف ما يحل وعرف ما يحرم ، وأصبح السلوك الإسلامي المتميز خلقًا وعادة فلا يجري وراء شهوة ولا يتخبط في طريق انحلال المجتمع"(ناصح علوان ، (دت) ، ص499).

"لاشك أن مجتمعاتنا تخلو من ثقافة جنسية صريحة ، وبالتالي فإنها تخلو من تربية جنسية صريحة ، وما تحفل به بعض مناهجنا الدينية أو العلمية أو الأدبية من دراسات ونصوص حول الجنس لا تشكل تربية بمعنى الكلمة ، إنما هي آليات الجنس والتناسل والوراثة في الجانب العلمي ، وتشريعات الزواج والبلوغ في الجانب الديني ، وبعض الجماليات المقننة في الجانب الأدبي ، أما الغرب فهو من بداية القرن العشرين يطور مناهج خاصة في هذا المجال ، ونحن هنا لا ندعو إلى تطبيق هذه المناهج إنما نود أن نبين ضرورة أن يكون قرارنا بهذا الصدد علميا وواقعيا ، فمع هذا الاهتمام المتخصص في الغرب ، فإن للأمر مثالبه الجمة التي نشأت بسبب تطبيق التربية الجنسية ، مثل: تفشي العلاقات الجنسية الحرة بين طلبة المدارس في أعمار مبكرة جدا ، لذلك فإن التربية الجنسية بقدر ما هي ضرورية بقدر ما هي دقيقة وخطيرة أيضا"(علواني ، 2001 ، ص 260).

التربية الجنسية في المجتمعات متباينة بين الإفراط والتفريط ، ففي الدول الغربية تم تناولها بإسهاب وإشاعتها بين الطلاب حتى صارت شيئًا متداولا وعاديا ، أما في الدول العربية مثلا فتم تناولها بتكتم وتخوف كبيرين ومنع الإفاضة فيها حتى بطريقة علمية ، رغم أن لدينا تراث إسلامي يحث على ضرورة

تعليم الطفل وتوعيته ومصارحته مبكرا بالبلوغ الجنسي والنضج ، والاستئذان عند الدخول على الآخرين وغيرها.

للتربية ميادين كثيرة ومتعددة تستطيع من خلالها الأسرة تنشئة الطفل تنشئة متكاملة تستجيب لحاجاته وتحد من مشكلاته وتكون فردًا صالحًا ذا شخصية متزنة وذلك من خلال التربية الجسمية ، والصحية ، والعقلية ، والاجتماعية ، والنفسية ، والأخلاقية والروحية ، والجنسية.

رابعا- أساليب تربية الطفل: من أهم أساليب تربية الطفل في الأسرة وفق المنظور الإسلامي ما يلي:

1- التربية بالقدوة: التربية بالقدوة الحسنة أفضل طرق وأساليب التربية وخاصة في المراحل الأولى من عمر الطفل ، "والقدوة في هذه المرحلة من الأم والأب أولًا وجميع أفراد الأسرة ثانيًا ، والواقع أن قدرة الطفل على الالتقاط أكبر مما نظن عادة ، ومن المعلوم أن تقليد اللغة يأتي بعد التقاطها ، والتقاط أنماط السلوك المتعارف بين أفراد الأسرة أسهل من التقاط مفردات اللغة ، وإن ترسيخ مبدأ الشورى والتعاون ومبدأ قوامة الرجل في الأسرة واحترام الصغير للكبير وعطف الكبير على الصغير أحسن الأنماط السلوكية التي يلتقطها الطفل في هذه المرحلة ، وينشأ وفقًا لها ، فالطفل الذي يعيش منذ نعومة أظفاره في أسرة القوامة فيها للرجل تترسخ في نفسه مكانة الأب الصحيحة في الأسرة والطفل الذي يرى والديه يتشاوران ويستشيران أولادهما يترعرع ويشب على مبدأ الشورى في الحياة الاجتماعية(أحمد الشنتوت ، 1999 ، ص 29-30).

وفي مرحلة الطفولة يكون الطفل "شديد التعلق بأمه وأبيه ، وهو أشد تعلقا بالشخص الذي يتخذ موقفا إيجابيا فعالا في حياته ، فلا يقتصر دوره على مجرد الاستجابة لحاجات الطفل ؛ وإنما يأخذ أيضا المبادرة في استثارته اجتماعيا وانفعاليا ومعرفيا ، وذلك بالبقاء دائما على اتصال به يحضنه ، ويعانقه ، ويتحدث معه ، ويلاعبه ويداعبه ، ويشترك معه في ألعابه ، وباختصار يكون معه عنصر اطمئنان وأمان"(الطحان ،2006 ص 308-309).

وفي هذه المرحلة كثيرًا ما يقلد الطفل والديه لحركاتهما دون وعي لما يفعله ، فمثلًا نجده يقلد أباه في الوضوء والصلاة ، وحتى في الأمور الضارة كالتدخين ، فيجب على الأب أن يحتاط عند إقدامه على فعل مشين أن يتجنبه على الأقل أمام طفله كما يجب على الأبوين فرض الاحترام المتبادل بينهما ، بحيث يعطيا ذلك النموذج والقدوة في التعامل مع الأبناء وتدعيم المحبة بينهما ، وإشاعة روح التقدير والاحترام لفرض الاحترام بينهم وأن يحرص الأبوان وبالأخص الأب على خلق جو يسوده الإيمان والأمان والحب ، بعيدًا عن المجون والفجور وفساد الأخلاق الذي يبعث على فساد الأبناء وانحرافهم ، فإذا كانت الأم مدرسة فينبغي أن يكون الأب ذلك الجدار المتين والحصن الأمين على الأسرة يجد كل فرد فيه الحماية ، والسند في حالة اضطراب الظروف الاجتماعية.

وتتحقق التربية بالقدوة بمراعاة الأمور التالية (مُحَمَّد خليل بيومي ، 999 ، ص199):

- إعطاء المثل والقدوة في الايجابية والتضامن الاجتماعي ، والمشاركة الوجدانية وإشراك أبنائهم تدرجيا في القيام ببعض هذه الممارسات الايجابية بما تسمح به قدراتهم ، ومستوياتهم العمرية.

- إتاحة الفرص لأبنائهم التي تتيح لهم الاستقلالية ، وتحمل المسؤوليات الاجتماعية.

- تنمية الغيرية والإيثار ، ومحاربة الأنانية والتمركز حول الذات.

- تدعيم العلاقات الاجتماعية من خلال التزاور مع الآخرين والتفاعل الاجتماعي واللعب الجمعي ، وإذكاء روح الفريق بينهم.

ولقد أكدت الدراسات على أن أسلوب القدوة من أهم الأساليب التربوية وأكثرها تأثيرا على سلوك الطفل في الوسط الأسري خاصة من الأبوين فهما أكثر أفراد الأسرة احتكاكًا بالطفل ، و تبقى بصماتهما راسخة فيه مدى الحياة ، يكتسب صفاتهما ؛ الخلقية ، والنفسية والعادات ؛ فالوالدين هما القدوة الأولى للطفل في كثير من الأحيان ، وعليهما أن يعدا نفسيهما مؤسسة تربوية ، والمدرسة الأولى التي يتكون فيها الطفل جسميًا ، وعقليًا ، وخلقيًا ، واجتماعيًا ، ودينيًا ، وعاطفيًا ، فلهما الدور التربوي الأكبر في تربيته إذا كانت الأسرة نووية ، فالطفل يأخذ التربية من أمه وأبيه فقط ، أو المربية أو الحاضنة ، إذا كانت الأم تعمل خارج المنزل ، أما إذا كانت الأسرة ممتدة فقد يتدخل في تربيته بعض المقربين كالجد والجدة ، والعم والعمة ، والذين بفضلهم يتعلم وعن طريقهم يكتسب بعض السلوكيات والعادات الأسرية.

2- التربية بالتعويد والممارسة: وهي أن يجتهد الأبوان في تعويد الطفل وتلقينه الآداب الاجتماعية من خلال التربية والمراقبة الدائمة له وتوجيهه إذا أخطأ؛ "لأن اعتياد فعل الشيء، أو قوله عن طريق التكرار، يحول إلى ما يقرب من الصفات الشخصية للإنسان بعد اعتياد الشيء ولو كان صعب المنال وقد قال الشاعر: تعود صالح الأخلاق إني رأيت المرء يألف ما استعادا

لذلك كان تحويل السلوك المطلوب إلى عادة من الوسائل المهمة في التربية، وهذا يحتاج إلى إصرار من المربى على تحويل السلوك المرغوب فيه إلى عادة، فيكرره كثيرًا، ويتابع ذلك متابعة شديدة، ثم بعد فترة يصير ذلك عادة لدى الطفل يفعله عند حدوث دواعيه، من غير أن يطلب ذلك منه، فالمسلم الذي تعود مثلًا على قول (الحمد لله) بعد العطس، لو جاءه العطاس وهو مستغرق التفكير في أمر سيطر عليه، فإنه يقول الحمد لله بعد العطاس-العطس-وإن كان غير منتبه، لأنه صار عادة له، وهكذا... ولذلك جاء في الحديث(الخير عادة، والشر لجاجة، من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين) (أخرجه ابن حيان في صحيح)" (بن شاكر الشريف، 2006، ص 51).

أن أسلوب التربية بالتعويد والممارسة من الأساليب التربوية الهامة وأكثرها تأثيرا على سلوك الطفل من خلال تعويده على ممارسة جملة من السلوكيات والتي تنطبع في حياته فيما بعد وتصير سلوكا تابعا له.

لقد أثار هذا الأسلوب اهتمام كثير من العلماء والمفكرين في عدد من الدراسات العلمية التي نادت إلى انتهاج الآباء له كأسلوب في التربية الصحيحة، حيث يتم تربية أبناء متوافقين نفسيا واجتماعيا؛ إلا أن تجسيده في الواقع يتطلب نوعا من الفن والمهارة والصبر، واستعمال مثل هذا الأسلوب ما هو إلا دليل على وعي الآباء ومستواهم الثقافي، وثمرة تحسن المستوي العلمي لدور الآباء في المجتمع.

2- التربية بالقصة والموعظة: "استخدم القرآن الكريم القصة استخدامًا واسعًا في تثبيت القيم الإيمانية وترسيخها، وتعميقها في نفوس المؤمنين، ونستطيع أن نبسط قصص القرآن كما نستطيع أن نؤلف للطفل قصصا مناسبة تؤكد على الفضائل، والمشاعر النظيفة، والمواقف الطيبة التي نريد تثبيتها وتوجيه الطفل إليها، ويروى عن أبي حنيفة-رحمه الله- قوله إن الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحب إلي من كثير من الفقه؛ لأنها آداب القوم والشاهد في ذلك قوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠ ﴾ [الأنعام 90]" (الطحان، 2006، ص 320)

"ومن الأمور المفيدة جدًا في هذا المجال أن يستفيد المربي من كتب التراجم، فإن فيها قدرًا هائلًا من القصص الحقيقية الغنية بكل ما نحتاج إليه في تربية الطفل وخاصة غزوات الرسول (صل الله عليه وسلم) وتراجم الصحابة (رضوان الله عليهم) والأبطال والقادة، وقد كان سلفنا الصالح (رضوان الله عليهم) يجعلون من غزوات الرسول (صل الله عليه وسلم) وسراياه مادة عظيمة لتربية أطفالهم، فعن إسماعيل ابن مُحَمَّد بن سعد قال: كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله (صل الله عليه وسلم) ويعدها علينا، وسراياه ويقول:(يا بني هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها)، وعن علي بن الحسين يقول:(كنا نعلم مغازي النبي (صل الله عليه وسلم) وسراياه كما نعلم السورة من القرآن)، أما افتعال القصص فليس له التأثير نفسه، لأن الأولى يسندها تحققها في الواقع وليس مجرد تخيلات"(بن شاكر الشريف، 2006، ، ص 46).

أما إذا كانت القصص خيالية فينبغي اختيار القصص الهادفة التي ترسخ الأخلاق والقيم الاجتماعية، كالصدق والأمانة والشجاعة والإقدام والعطف على الفقراء والمساكين، من أجل تنمية الضمير الخلقي لدى الطفل، الذي يتعلم المعايير الأخلاقية من أبطال القصص ويتأثر بهم ويحاول تجسيدها في الواقع، ويقرأ له الأب أو الأم بصوت عال حتى يعتاد على الإصغاء.

"وإن القراءة للطفل في سن مبكرة ستجعل الصغير ينتبه إلى ثلاثية: هو والقارئ، والكتاب، إلى أن يستطيع أن يعتمد على نفسه في قراءته، ويتوق لذلك ويتشوق إليه، وذلك يعنينا من دون شك على الإسراع في تعليمه القراءة، أي ما يحب ويتمنى أن يحققه في سن مبكرة؛ ولهذا ظهر لون من الكتب لأطفال ما قبل السنة الأولى من العمر والثانية والثالثة بجانب تلك التي يتداولونها في دار الحضانة والرياض، وقبل أن يتعلموا قراءة الكلمات والحروف"(يوسف. 2001، ص77-78).

كما يفضل أن يشجع الطفل على القراءة والمطالعة إذا كان يستطيع القراءة لوحده ويسمع الأب والأم قراءته ؛ مما يبث الثقة في نفسه ويقدم تلخيص العبر والعظات عن القصة التي قرأها ، ومن خلاله نكتشف مدى سعته وفهمه لما قرأ من وراء تلخيصه. ويفضل غرس حب القراءة في نفس الطفل كحب الحلوى واللباس الجديد ، فيولد في نفسه دافع ذاتي شغوف بالقراءة والإطلاع وحب العلم ، وينبغي تزويده بمكتبة صغيرة تحتوي كتب كثيرة مخصصة للأطفال حتى يتيسر له فهمها.

"القراءة ذات أهمية كبرى إذا استطاع الآباء والمربون أن يعودوا الأطفال عليها ، لأنها الوسيلة الكبرى لتلقى ألوان الثقافة في مرحلة التأسيس المعرفي ، ومن المتعارف عليه بأن القراءة عملية عقلية ، تشمل تفسير الحروف المكتوبة ، وربطها بالمعاني ، وتفسير تلك المعاني وفقا لخبرات القارئ الشخصية...وهذه الطريقة تربي في الأطفال القدرة على الاستقلال بالقراءة ، والاعتماد على النفس والاستمتاع بالأحداث والقصص ، وتساعدهم في كثير من الأحيان على حل المشكلات ، وتهذيب مقاييس التذوق الأدبي ، كما أنها تسهم في الإعداد العلمي للأطفال ، والتوافق الاجتماعي والشخصي والنفسي لهم"(خليل جمعة ، 2005 ، ص320-321).

لقد أكد كثير من التربويين والعلماء على فعالية أسلوب التربية بالقصة والموعظة وتأثيرها على سلوك الطفل ، حيث تترك القصة أثرا على أفعال الطفل وتصرفاته من حيث لا يدري ، كما يفضل بعض المفكرين تشجيع الطفل على الاستماع للقصص عند القراءة له وتعويده على المطالعة ، إذا كان يستطيع القراءة لوحده ، ويسمع الأب والأم قراءته ؛ مما يبث الثقة في نفسه ويقدم تلخيص العبر والعظات عن القصة التي قرأها أو سمعها ، حيث نكتشف مدى سعة فهمه لما قرأ ، وكما يفضل غرس حب القراءة في نفس الطفل ، كحب الحلوى واللباس الجديد ، فيولد في نفسه دافعًا ذاتيًا وشغوفًا بالقراءة والاطلاع وحب العلم.

4- التربية بالثواب والترغيب: إن الطفل يتأثر كثيرًا بالترغيب والثواب الذي يناله من الأسرة على فعل ما ، فهو يحب للثناء ، ويرغب فيه متى أنجز عملًا ولو كان بسيطًا ، فنراه " في حاجة إلى الثواب لحظة إقدامه على فعل أو قول ما يراد منه ، وذلك لضعف إرادته أمام المغريات ، ولضعف قوته عن الاحتمال ؛ لذلك هو في حاجة إلى ما يحمله على التمسك والتجلد والإقدام.

وتتعدد كيفية الإثابة ما بين معنوي وآخر مادي ، وكلاهما مطلوب ، ولا يغني أحدهما عن الآخر خاصة في هذه المرحلة ، وينبغي على المربي إذا وعد بثواب أو جائزة أن يوفي بما وعد من الثواب ، فإن إخلاف الوعد فيه ضرر كبير على الطفل ، من جهة أنه لا يثق في وعد المربي ، ومن جهة التأثير السيئ في الإقتداء به ، ومما يعين المربي على الوفاء ألّا يعد بما لا يمكن تحقيقه في الواقع ، أو يصعب تحقيقه كما لا يعد بأمر كبير لا يتناسب مع المطلوب كالوعد بمبلغ مالي ضخم ، أو القيام برحلة بالطائرة مثلًا ؛ مما يجعله يتقاعس عن الوفاء"(بن شاكر الشريف ، 2006 ، ، ص 57).

كما ينبغي أن لا نبالغ في الثواب والمكافئة حتى يتمرد الطفل ، ويصبح يؤدي أبسط الأمور بالمقابل دائما ؛ فيصبح نفعي لا يحب الخير للآخرين ، ويقوم بمعظم الأعمال من أجل الحصول على الثواب أو المكافأة ، "لأن الثواب أيضا من أخطر الأمور المؤثرة على بنية الفرد ، وإذ نشوه فكرته فيتحول إلى نوع من الإفساد وخلخلة البنية الإنسانية ، سواء من حيث التفكير أو السلوك ، إذ إنه عندما يقدم ويطبق بشكل غير مسئول وخارج اعتباراته ، يورث الفرد أخلاقا وطباعا تقلل من فاعليته كعنصر في المجتمع ، بل وتحد من إحساسه بالانتماء إلى المجتمع ، وتقضى على روح التعاون والمسؤولية لديه فعمل الخير هو خدمة شخصية من الفرد لشخصه بالدرجة الأولى ، وليس مجرد تفضل على الآخرين ، وما نشعر به من نكران للجميل عند الآخرين لا يدل على مساوئ الآخرين ، إنما يدل على الفهم الخاطئ والقناعة غير المكتملة ، إنه دلالة على أن ما نقوم به من أعمال (الخير) يدخل في إطار المقايضة ، وليس الفضل والإحسان ، حتى إذا كانت المكافأة ليست من جنس العمل أو مستواه لأن طلب التقدير أيضا فيه نوع من المقايضة.

أما الثواب في الآخرة فقد يصبح مادة للتجارة في الدنيا ، على نحو ما عرف بصكوك الغفران مثلا في أوربا ، فباسمه قد تجرى عمليات تحايل واستغلال وإفساد واسعة النطاق ، وذلك من خلال تأويلات وتفسيرات مغرضة لأناس مغرضين يعرفون كيف يستثمرون هذا الأمر بطريقة تدر عليهم الفوائد حتى لو أضرت بالمجتمع «(علواني ، 2001 ، ص134-135).

لقد أكد معظم المربين على أهمية أسلوب الثواب والترغيب في التأثير على سلوك الطفل ، ونبهوا إلى ضرورة عدم المبالغة في الترغيب والمكافأة حتى لا يصبح نفعيًا وأنانيا يحب نفسه دون الآخرين ، فعلى الأبوين حث الطفل وترغيبه في العمل مهما كان بسيطًا ، وربطه دائمًا بحب الإنجاز لذاته وقيمته ، وحب الخير للناس دون انتظار الجزاء منهم ، والتذكير بالجزاء على العمل الحسن عند الله تعالى.

5- التربية بالترهيب والعقاب: يعتمد أسلوب الترهيب والعقاب في تربية الطفل من خلال نهيه ودفعه عما لا ينبغي عليه فعله من السلوكيات السيئة ، وذلك من خلال تبصيره بالسلوكيات التي لا ينبغي القيام بها ، ومعاقبته إذا لم يلتزم بالأوامر ، ويجب أن لا نبالغ في استعمال القسوة والترهيب المفرط على الطفل ، حتى لا يعيش في حالة رعب وخوف من كل شيء ، ولكن لا إفراط ولا تفريط ،" فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي التغافل عنه ولا يهتك سره ولا يكاشف ولاسيما إذا ستره الطفل واجتهد في إخفائه ، فإن عاد ثانية فينبغي أن يعاقب سرا ويقال له: إياك أن تعود لمثل هذا فتفضح بين الناس ، ومع ذلك فلا تستخدم معه لغة التعنيف الشديد عند الخطأ ، وينبغي أن يمنع من كل ما يفعله خفية ، فهو لم يخفيه إلا وهو يعتقد أنه قبيح ، فإذا ترك تعود فعل القبيح ، كما يعود على المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل ، ويعلم آداب الجلوس وآداب الحديث ، وأن يحسن الاستماع ، توقير من هو أكبر منه سنا بالاستماع له ، وأن يوسع له المكان ويجلس بين يديه(بن شاكر الشريف ،2006ص 59).

"ولا ينبغي أن تتجه همة المربي أول شيء في العقاب ، إذا قرر معاقبة الطفل إلى العقاب البدني على أنه العقاب المفضل ، بل هو كما قالوا آخر الدواء الكي ، والعقاب البدني في هذه السن الصغيرة غير مرغوب فيه ، وله أضرار كثيرة ، كما أشار إلى ذلك ابن خلدون في مقدمته حيث يقول:(الشدة على المتعلمين مضرة بهم ، وذلك أن إرهاق الحد في التعليم مضر بالتعلم لاسيما في أصاغر الولد ؛ لأنه من سوء الملكة ، ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم ، سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمله على الكذب والخبث ، وهو التظاهر بغير ما في ضميره ، خوفًا من انبساط الأيدي بالقهر عليه وعلمه المكر والخديعة لذلك وصارت له في هذه عادة وخلقًا ، وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمدن...فينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده أن لا يستبد عليهم في التأديب وينبغي للمربي أن يتدرج في عقوبة الطفل فتكون لديه عقوبات متعددة ، ليست على منوال واحد في الشدة ، فيستخدم منها في كل موقف ما يناسبه) (الطحان ،2006 ، ص341).

كما يفضل التنوع في أنواع العقوبة ولا نجعلها في كل الأحوال عقوبة بدنية حسية كالضرب أو أساليب تحقير الولد وجرح كرامته بسوء اللفظ والفعل ، وهو لا يؤدي إلى النتيجة المرجوة من العقاب ؛ لأن الهدف من العقاب ليس القصاص ولكن الغرض التوجيه والتنبيه إلى الخلق الحسن ، وضمان عدم العودة إلى السلوك السلبي ، فنكتفي بأن تكون العقوبة لفظية باللوم والعتاب على السلوك وليس على صاحب السلوك ، أو كأن يلجأ الوالدان إلى أساليب أخرى كالإعراض عن الطفل ، وعدم الكلام معه لمدة من الزمن ، وعدم البشاشة في وجهه أو الضحك معه والإقبال على غيره من إخوته ، وجعل العقوبة البدنية آخر حل ، مع تجنب الضرب بالعصا أو السوط ، ونكتفي ببعض الضربات باليد على دبر الولد أو على أطراف يديه أو رجليه.

"تربية الطفل على الخشية والخوف من الله وغضبه ، وعدم الخوف من شيء أو على شيء أخر ، وتربيته على التعلق بالله ، وطلب العون منه وحده ، والتعلق بالآخرة ونعيمها ورضوان الله المؤدي إلى النعيم.

والخوف عند الطفل غريزة فطرية في حدود معينة ، هو لبناء شخصية الطفل ، ووقايته من الحوادث ، والخوف غير التخويف الذي هو خطأ بالغ خاصة عندما يُخوّف الطفل من الطبيب أو الشرطي أو الأب (الطحان ، 2006، ص316)، فيتعلم الخوف من الأشخاص بدل الخوف من الله ، وينشأ فردا خائفا خاضعا لمن يخاف منه تابعا له ، معقدا يعاني من رهاب الخوف ، لذلك ينصح معظم المربين التغاضي عن أساليب التربية الخاطئة مثل القسوة ، والتسلط ، والقهر ، والإهمال ، واستبدالها بأساليب التربية العلمية مثل: التربية بالقدوة ، والتعويد والقصة.

يرى علماء التربية أن أسلوب الترهيب والعقاب من الأساليب التي يلجأ إليها المربون في حالة فشل كل الأساليب التربوية الأخرى ، لذلك نبهوا إلى ضرورة الحذر من التذبذب في العقاب نتيجة عدم التفاهم بين الوالدين في إتباع طريقة محددة في التربية ، فتارة يعاقب الطفل ، و تارة أخرى يثاب على نفس السلوك ، أو أن تكون الأم متسامحة كثيرا على أخطاء الطفل ، والأب صارم يعاقبه على أتفه الأسباب ، و ينجم عن هذا الأسلوب التربوي عدة أعراض مثل عدم قدرة الطفل على التمييز بين الخطأ و الصواب ، و ينشأ على الخوف و التردد ، و لا يستطيع الحسم في الأمور التي تواجهه ولا يمكنه التعبير عن آرائه و مشاعره لتناقضها وعدم ثباتها .

تلعب أساليب التربية في الأسرة من منظور الإسلام دورا أساسيا في تحديد سلوك الأفراد ، من خلال النماذج القدوة التي تقدمها للصغار ، فأنماط السلوك التي تدور داخل الأسرة هي نماذج تؤثر سلبا وإيجابا في تربية الطفل ، إن أهم سمة تميز علاقة الآباء بالأبناء هي علاقة أبوية سلطوية ممزوجة بالحنان والعطف من طرف الآباء ، غرضها فرض الطاعة والاحترام ، إن هذا النمط من التربية الذي يركز على ؛ الاحترام والطاعة ، والخضوع لسلطة الوالد والكبار ، يتعمم ليشمل كل رموز السلطة كأن يكون ذلك معلما أو مديرا أو قائدا أو رئيسا أو غير ذلك ، كما أن الأساليب التربوية عموما تتراوح بين التربية بالموعظة ، التوجيه ، والمديح ، والترغيب والثواب إلى ؛ الترهيب والعقاب الذي قد يتعدى إلى التأديب البدني كطريقة لبناء وتقويم سلوك الطفل داخل الأسرة.

خاتمة

الطفل ليس سليل أبويه فقط بل هو سليل الأساليب التربوية الفعالة المتبعة في تنشئته داخل الأسرة ، وما اشتملت عليه من أفراد محيطين به ، وما اتبعته من أساليب ووسائل في تربيته ، وهي كثيرة ومتعددة حيث يتدرج الطفل في أساليب التربية بين اللين والشدة حسب المراحل العمرية ، بداية بالتربية بالقدوة الحسنة ، وذلك بان يكون أفراد الأسرة قدوة الطفل في السلوك الحسن وفعل الخيرات ، والصدق ، والأمانة ؛ لتفعيل أسلوب التربية بالقدوة ، والتربية بالتعويد والممارسة ، وذلك بتعويد الطفل على الآداب الاجتماعية والعادات الطيبة من خلال ممارستها أمامه ، الحرص على سلامة العلاقات الإنسانية و الاجتماعية داخل الأسرة ، وخاصة بين الوالدين وضرورة إخفاء حالات التوتر والصراع على الطفل ، والتربية بالقصة والموعظة ، من خلال رواية القصص الهادفة للطفل ووعظه وإرشاده من خلالها ، وترسيخ مبدأ الاحترام المتبادل بين أفراد الأسرة.

والتربية بالثواب والترغيب من خلال إثابة الطفل على الأفعال الحسنة وترغيبه في الأخلاق الفاضلة دون إفراط في حجم الثواب ، والتربية بالترهيب والعقاب وذلك بترهيب الطفل إذا أخطأ وإدانة السلوك الذي أقدم عليه دون المبالغة في حجم العقاب فليس الهدف القصاص ؛ بل الهدف أن يبتعد الطفل عن السلوك السلبي ويقتنع بأنه عمل غير لائق حتى لا يعود إلية مرة أخرى ، والابتعاد قدر الإمكان عن أسلوب التربية بالعقاب والترهيب ، وتجنب العقاب بكل أشكاله الجسدي واللفظي والمعنوي ، خاصة العقاب الجسدي وإن كان ولابد فيجب التنويع في العقاب من الإنذار والتوبيخ والإعراض عنه بالوجه ، ولا يكون العقاب الجسدي إلا في الأخير ، كما يقول المثل: أخر الدواء الكي ، كما يتم تقبيح السلوك وليس فاعل السلوك ، من أجل أن يترفع عنه الطفل ولا يعود إليه مرة ثانية ، ويقتنع بقبحه وضرورة الابتعاد عنه ، وعن طريق هذه الأساليب يكتسب الفرد العادات والتقاليد والاتجاهات والقيم السائدة في بيئته الاجتماعية التي يعيش فيها.

إنّ الأساليب التربوية الفعالة في تربية الطفل داخل الأسرة في المنظور الإسلامي كثيرة ومتعددة تتراوح بين الشدة واللين ، مع الأخذ بقاعدة الوسط الذهبي فلا إفراط ولا تفريط هو الأسلوب المثالي المعتدل في معاملة الطفل ، أي تفادي القسوة الزائدة التي تؤدي بالأبناء إلى الانغلاق على الذات وتضعف شخصيتهم ، وتفادي التدليل الزائد الذي يؤدي إلى ضعف شخصيتهم أيضا ، ويجعلها غير قادرة على مواجهة الواقع بمفردهم ، وبالتالي يمكن الاعتماد على هذه الأساليب في التربية السليمة للطفل.

قائمة المراجع

-1ابن منظور ، (دت)، **لسان العرب المحيط** ، دار لسان العرب ، بيروت ، لبنان.
2- ابن منظور. (دت)، لسان **العرب** ، ج01 ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة ، مصر.
3- أحمد السيد ، سميرة. 1997 ، **علم اجتماع التربية** ، ط3 ، دار الفكر العربي ، مصر.
4-أحمد الشنتوت ، خالد. 1999 ، **دور البيت في تنشئة الطفل المسلم** ، ط4 ، المطبعة العربية ، الجزائر ،
5- الطحان ، مصطفى مُحَمَّد.2006 ، **التربية ودورها في تشكيل السلوك** ، ط1 ، دار الوفاء ، الكويت.
6- بن شاكر الشريف ، مُحَمَّد. 2006 ، **نحو تربية إسلامية راشدة من الطفولة حتى البلوغ** ، ط1 ، دار عالم الكتب ، السعودية.
7- لطفي ، عبد الحميد. (دت)، علم **الاجتماع** ، دار النهضة العربية ، لبنان.
8- مُحَمَّد خليل بيومي ، مُحَمَّد. 1999 ، **سيكولوجية العلاقات الأسرية** ، دار قباء ، مصر.
9- محمود الناشف ، هدى. 2006 ، **الأسرة وتربية الطفل** ، ط1 ، دار المسير ، الأردن.
10- مصطفى فهمي ، خالد. (دت)، **حقوق الطفل ومعاملته الجنائية في ضوء الاتفاقيات الدولية** ، الإسكندرية ، مصر.
11- ناصر ، إبراهيم. (دت)، **علم الاجتماع التربوي** ، دار الجيل ، لبنان.
12- ناصح علوان ، عبد الله. (دت)، **تربية الأولاد في الإسلام** ، ج1 ، دار الشهاب ، الجزائر.
13- يالجن ، مقداد. (دت)، جوانب **التربية الإسلامية** ، ط1 ، دار عالم الكتب ، السعودية.
14- يالجن ، مقداد. 2003 ، **أهداف التربية الإسلامية وغاياتها** ، ط3 ، دار عالم الكتب ، السعودية.
15- يوسف ، عبد التواب. 2001 ، **تنمية ثقافة الطفل** ، دار الفكر ، سوريا ،
16- عبد الحميد العناني ، حنان. 2001 ، **تربية الطفل في الإسلام** ، دار صفاء ، عمان ، الأردن.
17- عبد العزيز حسين ، أسماء. 2002 ، **المدخل الميسر في الصحة النفسية** ، ط1 ، دار عالم الكتب ، السعودية.
18- علواني ، عبد الواحد. 2001 ، **تنشئة الطفل وثقافة التنشئة** ، دار الفكر ، لبنان.
19-خليل جمعة ، أحمد. 2005 ، **الأطفال والطفولة بين الأدب والثقافة** ، ط01 ، اليمامة ، لبنان.

تحليل العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية للتعليم الثانوي

Analysis of the educational process in *teaching the physical and sports activities Collectives of secondary school*

تاريخ الإرسال: 23-05-2019 تاريخ القبول: 27-12-2020

جمال بختاوي* – معهد التربية البدنية والرياضية مستغانم، djamal.bekhtaoui@univ-mosta.dz
جمال مقراني– معهد التربية البدنية والرياضية مستغانم، djamel.mokrani@univ-mosta.dz
مخبر تقويم برامج النشاطات البدنية والرياضية LABOPAPS

الملخص

نهدف من خلال بحثنا هذا إلى تحليل العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية للتعليم الثانوي ، حيث تم استخدام منهج تحليل المضمون ، وأجريت الدراسة على عينة مكونة من 50 أستاذ لمادة التربية البدنية والرياضية العاملين ببعض ثانويات الغرب الجزائري من طرف فريق بحث متدرب باستخدام شبكة ملاحظة مكونة من سبعة مجالات يضم كل مجال مجموعة من العبارات ، وتوصلنا إلى القول انه بتحليل العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية تصبح التربية البدنية والرياضية تلعب دور ريادي نتيجة تطوير أداء الأساتذة

الكلمات المفاتيح: تحليل ، العملية التعليمية ، التدريس ، التربية البدنية والرياضية.

Résumé

Dans cette étude, nous cherchons à analyser le processus éducatif dans l'enseignement des activités physiques et sportives collectives au secondaire. L'étude a été menée sur un échantillon de 50 professeurs d'éducation physique et sportive travaillant dans quelques écoles secondaires de l'ouest algérien par une équipe de chercheurs qualifiés utilisant un réseau d'observation de 07 éléments, chacun contenant un ensemble de d'expressions. L'analyse du processus éducatif dans l'enseignement des activités physiques et les résultats obtenus montrent que l'éducation physique et sportive a un rôle primordial en raison du développement des performances des enseignants.

Mots-clés : Analyse - processus éducatif – Enseignement- Education physique et sportive.

Abstract

In this research we aim to analyze educational process in teaching the physical and sports activities Collectives of secondary school ,The study was conducted on a sample of 50 professors of physical and sports education working in some of the secondary schools of the Algerian west by a trained research team using an observation network formed from seven- fields, which of them contains phrases, after analyzing the educational process in teaching physical activities, thé results show that the physical education becomes a leading role as a result of developing teachers 'performance

Keywords: analysis - educational process – Teaching - Physical and sports education.

* المؤلف المراسل

مقدمة

تعدّ المدرسة مؤسسة تربوية تساهم في تربية الفرد وتساعده على النمو في جميع جوانب شخصيته الجسمية والنفسية والعقلية والروحية والاجتماعية، كما تساهم في تنمية استعداد الأفراد وتوجيه ميولاتهم ورغباتهم توجيها صحيحا، وتعديل سلوكاتهم وإكسابهم خبرات ومهارات تساعدهم على التكيف مع المجتمع في جميع المجالات.

ولإعداد الفرد بطريقة جيدة يجب على المدرسة كمؤسسة تربوية أن تقوم بتقديم مجموعة مختلفة من المواد الدراسية والبرامج التربوية، ومن بين المواد الدراسية نجد مادة التربية البدنية والرياضية التي أدركت وزارة التربية الوطنية في الجزائر قيمتها وأهميتها، وتأثيرها على الفرد بصفة عامة والمراهق بصفة خاصة، الأمر الذي أدى بها إلى جعل هذه المادة ضمن البرامج الدراسية المقررة في المنظومة التربوية، لذلك أعطتها عناية فائقة، وذلك بإعادة النظر في كثير من التعليمات وإجبارية ممارسة التربية البدنية والرياضية في جميع المؤسسات التربوية، وإدراجها بصفة إجبارية ورسمية في امتحان التعليم المتوسط وامتحان شهادة البكالوريا، وبذلك أصبحت مادة التربية البدنية والرياضية تشكل أحد المواد الأكاديمية مثل: العلوم الطبيعية والكيمياء والفيزياء واللغة العربية والرياضيات، غير أنها تختلف عن هذه المواد لكونها تمد أيضا الكثير من المعارف والمعلومات التي تغطي الجوانب النفسية والصحية والاجتماعية والحركية، بالإضافة إلى المعلومات التي تغطي الجوانب المعرفية لتكوين جسم الإنسان، وبذلك استخدام الأنشطة البدنية مثل التمرينات والألعاب المختلفة: الجماعية والفردية التي تتم تحت الإشراف التربوي للأساتذة الذين أعدوا لهذا الغرض.

على أستاذ التربية البدنية والرياضية أن يفهم ويعرف حاجيات وخصائص نمو المراهق ويهتم ويساهم في إيجاد حلول للواقع المعيش ومساعدة المتعلم وتحضيره وتكوينه بصفة جيدة ومتزنة لأن أغلب تلاميذ المرحلة الثانوية هم في مرحلة مراهقة وهم بذلك يعانون من اضطرابات وصعوبات تجعلهم بحاجة إلى اهتمام أكبر.

وبهذا يعتبر يعدّ أستاذ التربية البدنية والرياضية الحجر الأساسي والعمود الفقري لما يمتاز به من احتكاك مباشر بالتلميذ، فعلى الأستاذ أن يسهر على تجسيد النوايا الحسنة الحقيقية والتربوية في إطار ممارسات تعليمية (وزارة التربية الوطنية، 2006، صفحة 03)

تتحقق أهداف التربية البدنية والرياضية بالمرحلة الثانوية بدرجات متفاوتة وذلك حسب المواقف المتاحة في الدرس وكيفية إعداد الخطط من طرف الأستاذ وكيفية تنفيذه للخطط في الدرس، وكيفية القيام بالتقويم باستخدام طرق وأساليب مختلفة، سواء كان ذلك في الأنشطة الفردية أو الجماعية (وزارة التربية الوطنية، 2006، صفحة 03)

تتنوع الأنشطة التي يمارسها المتعلمين داخل المؤسسات التربوية في إطار النشاط الداخلي المبرمج بين أنشطة فردية تتمثل في: نشاط ألعاب القوى ويضم هذا النشاط سباق السرعة والقفز الطويل والمداومة ودفع الجلة، وأنشطة جماعية تتمثل في نشاط كرة السلة ونشاط كرة اليد ونشاط الكرة الطائرة، وهذه الأنشطة هي المتعارف عليها غير أن لكل مؤسسة تربوية خصوصيات تتميز بها عن باقي المؤسسات التربوية، هذه الخصوصيات هي التي تفرض نوع الأنشطة التي يمارسها الأساتذة.

ورغبة في زيادة وعي الأساتذة في مجال تدريس الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية كان لابد على أهل الاختصاص القيام بعملية البحث عن طريقة، فكانت لابد من تحليل العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية ومن هنا انطلقنا في البحث عن الوسيلة الأصح التي تتم بها تحليل العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية للتعليم الثانوي، وبناء على دراسات كدراسة قام بها مركز تكوين المعلمين في جامعة فلوريدا 1985 والتي تعدّ من الدراسات الجادة في تحليل وتحديد الكفاءات التعليمية، محتواها أن مجموعة من الباحثين تنتمي إلى هذا المركز قامت بإعداد رزمة "Package" وقد صنفت هذه الدراسة الكفاءات في فهرس منظم على أساس مجالات مبنية من خلال تحديد المهام الصفية وغير الصفية للمعلم من خلال تقديرات كل الشركاء في عملية تقييم وتدريب المعلم (توفيق مرعي، 2003، الصفحات 132-134)

* ودراسة قام بها Jack Noel 1997 وعنوانها تحليل الممارسات التعليمية، إطارا أخلاقيا ورمزيا لتثقيف نظرة المعلم. حيث يرى أنه لا يمكن لممارسي مهنة التعليم أن يتجاهلوا هذه الرموز الاجتماعية التي قد تؤدي إلى ظهور

العنف في المدرسة، وأن هذه المسألة أصبحت أطروحة تناقش حول مسؤولية كل فرد من أفراد الأسرة التربوية، وفيما طرح التساؤل الختامي الآتي: هل عليك بالتدريس؟ هل عليك بالتربية؟ أم هل عليك بالتدريس والتربية؟ (Jack (Noel, 1997, pp. 49-69

* وفي دراسة قام بها Rochelle davis نظام تقويم المعلم "MCPS سنة 2000 حيث إن نظام تقويم المعلم في Montgomery الذي أعدته الباحثة((Rochelle davis (سنة 2000) ثم طورته لجنة Maryland ضمن البرامج المعروف ب "البحث عن تدريس أفضل" في سنة (2010) بالولايات المتحدة الأمريكية "MCPS" يعترف بأهمية وتعقد التدريس في المدارس عالية الأداء، وهو ذلك النظام الذي يكون التركيز فيه منصب على التحسن المستمر والمسؤولية المشتركة عن تحصيل التلاميذ، ويهدف إلى الرفع من مستوى الأداء التعليمي للمعلمين الجدد عبر التنمية المهنية المستمرة لهم، والذي تم تطويره في إطار برنامج عرف باسم"PAR" ومعناه الكامل " Peer Assistance and Review" أي التقويم عن طريق فريق الزملاء أو الشركاء من خلال إسناد المهمة إلى "المعلم المستشار" " consulting teacher" الذي يعمل على مواكبة المعلمين الجدد، مما يعني أن الهدف الأساسي لتقويم المعلم هو تحسين العملية التعليمية ويتم تقويم الأداء بواسطة مجموعة عمل مشتركة مكونة من المعلمين أنفسهم ،والمدربين والأقران والتلاميذ وذلك من خلال ملاحظة الأداء الكلي للمعلم وتطبيق المستويات والمعايير واستخدام البيانات لتحديد الأداء الجيد. (Rochelle Davis, 2000)

* دراسة قامت بها أكاديمية تطوير التربية"Academy for Educational Development" بالسينغال سنة 2005 في إطار مشروع تحسين أداء معلم التعليم المتوسط في جمهورية السنغال، والذي عرف بمشروع (CLASSE/ PAEM) والذي موله مكتب USAID في إفريقيا، وقد ارتكز هذا المشروع في تصميم إستراتيجية التدخل على إسهامات مجموعة من الاتجاهات النظرية المعروفة في ميدان علم النفس، خاصة تلك التي اهتمت بعملية التعلم من خلال بناء نماذج لتحليل الممارسة التدريسية للمعلم ودراسة نشاط المتعلم ومظاهر الاكتساب لديه حيث حددت بشكل عملي شروط حدوث عملية التعلم ويتعلق الأمر هنا بإسهامات بعض الأطر النظرية في جانب الدافعية للتعلم. (Academy for educational (Development, 2005

- وفي دراسة قامت بها CAROLA JOSEFINA BELLO OLIVARES بجامعة الشيلي سنة 2011، حيث هدفت الدراسة إلى توضيح الممارسات التربوية اللازمة لأستاذ التدريب العام من وجهة نظر الطلاب، التقنيين المحترفين وعلماء العلوم الإنسانية، وقد استخدمت الباحثة في الدراسة استبيان ""Lickret الذي خضع لإجراءات إحصائية تسمح بعزل المكونات الأكثر أهمية بأداة سليمة وصور واضحة، وقد توصلت الباحثة إلى القول بضرورة العمل بالملاحظة التي تكون داخل الفصول مع نظرة علمية متناولة بشكل نوعي من خلال المقابلات التي تبرز أصل الممارسة البيداغوجية المختلفة التي اتضحت من خلال الدراسة (Carola josefina Bello Olivares, 2011) وهذا يدفعنا بإلحاح إلى طرح التساؤل العام التالي:

على ماذا تتم العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية للتعليم الثانوي بالجزائر؟

وانطلاقا من هذا التساؤل نطرح العديد من التساؤلات الفرعية:

- ✓ 1- هل تتم العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية للتعليم الثانوي بالجزائر على جذب انتباه التلاميذ؟
- ✓ 2- هل تتم العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية للتعليم الثانوي بالجزائر على التعزيز والدافعية؟
- ✓ 3- هل تتم العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية للتعليم الثانوي بالجزائر على إدارة الصف؟
- ✓ 4- هل تتم العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية للتعليم الثانوي بالجزائر على تدبير الزمن وتنظيم الفضاء؟
- ✓ 5- هل تتم العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية للتعليم الثانوي بالجزائر على مسايرة أعمال المتعلم؟

✓ 6- هل تتم العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية للتعليم الثانوي بالجزائر على المحتوى والوسائل ؟

✓ 7- هل تتم العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية للتعليم الثانوي بالجزائر على الاستراتيجيات التدريسية ؟

2-الفرضيات

2-1 الفرضية العامة: تتم العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية للتعليم الثانوي بالجزائر على مجموعة من المعايير.

2-2 الفرضيات الجزئية

✓ 1- تتم العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية للتعليم الثانوي بالجزائر على جذب انتباه التلاميذ.

✓ 2- تتم العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية للتعليم الثانوي بالجزائر على التعزيز والدافعية.

✓ 3- تتم العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية للتعليم الثانوي بالجزائر على إدارة الصف.

✓ 4- تتم العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية للتعليم الثانوي بالجزائر على تدبير الزمن وتنظيم الفضاء.

✓ 5- تتم العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية للتعليم الثانوي بالجزائر على مسايرة أعمال المتعلم.

✓ 6- تتم العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية للتعليم الثانوي بالجزائر على المحتوى والوسائل.

✓ 7- تتم العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية للتعليم الثانوي بالجزائر على الاستراتيجيات التدريسية

3- أهداف البحث: نهدف من خلال هذا البحث إلى:

3-1 الهدف العام: تحديد المعايير التي يتم بها تحليل العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية للتعليم الثانوي بالجزائر.

3-2 الأهداف الجزئية

✓ 1- التعرف إذا ما كانت العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية للتعليم الثانوي بالجزائر تتم بناءا على جذب انتباه التلاميذ أو لا.

✓ 2- التعرف إذا ما كانت العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية للتعليم الثانوي بالجزائر تتم بناءا على التعزيز والدافعية أو لا.

✓ 3- التعرف إذا ما كانت العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية للتعليم الثانوي بالجزائر تتم بناءا على إدارة الصف أو لا.

✓ 4- التعرف إذا ما كانت العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية للتعليم الثانوي بالجزائر تتم بناءا على تدبير الزمن وتنظيم الفضاء أو لا.

✓ 5- التعرف إذا ما كانت العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية للتعليم الثانوي بالجزائر تتم بناءا على مسايرة أعمال المتعلم أو لا.

✓ 6- التعرف إذا ما كانت العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية للتعليم الثانوي بالجزائر تتم بناءا على المحتوى والوسائل أو لا.

✓ 7- التعرف إذا ما كانت العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية للتعليم الثانوي بالجزائر تتم بناءا على الاستراتيجيات التدريسية أو لا.

4- أهمية الدراسة: تكمن أهمية البحث في:

4-1 الجانب العلمي

✓ المساهمة في الارتقاء بجدلية النظري/ العملي وتفعيل نموذج عملي-نظري –عملي.

✓ المساهمة في دعم التكوين المهني الذاتي Autoformation

✓ زيادة وعي الأساتذة في مجال تدريس الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية عن طريق معرفة أدوات تحليل العملية التعليمية في الفصل الدراسي، والقيام بتحليل وظائفهم التدريسية في الأنشطة الجماعية.

4-2 الجانب العملي

✓ تسليط الضوء على العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية.

✓ تحليل العملية التعليمية في تدريس التربية البدنية والرياضية في الفصل الدراسي له دور في تطوير وظائف المدرس بصفة خاصة وتطوير الممارسات التعليمية وتعديلها لاسيما الأساتذة المبتدئين بصفة عامة.

5- مصطلحات الدراسة

5-1- التحليل: يختلف التحليل عن الملاحظة والتقويم فالملاحظة مجرد معاينة لأحداث ووقائع ، بينما التقويم هو إصدار أحكام قيمة ، في حين يعتمد التحليل على نماذج مرجعية تمكن من قراءة الوقائع قراءة معقلنة.

5-2 العملية التعليمية: وهي مجمل الأنشطة التي يقوم بها المعلم قبل وأثناء وبعد الموقف التدريسي من اختيار للطرائق والأساليب والمواقف وتشمل ثلاث عناصر وهي التخطيط للدرس ، تنفيذ الدرس ، التقويم.

5-3 التدريس: هو مجموعة العمليات التربوية التي تتضمن عملية التعليم والتعلم لتنفيذ الخطة وقد شبه "**شيث**" عملية التدريس بعملية الصيد باعتبارها تحتاج إلى تحديد الهدف جيدا وإعطاء الخطة وما تتطلبه من وسائل ثم تنفيذ العملية وتقويمها في النهاية.

وعليه التدريس نشاط مقصود يجب أن يتضمن عناصر وأبعادا محددة وطرقا وأساليب ونماذج ومداخل ومهارات ، يتم من خلالها إعطاء معلومات وطرح أسئلة وتقويم نتائج تعليمية مقصودة (السعيد مزروع ، 2016، صفحة 108)

5-4 التربية البدنية والرياضية: هي ذلك الجانب المتكامل من التربية الذي يعمل على تنمية الفرد وتكوينه جسميا وعقليا ووجدانيا عن طريق الأنشطة البدنية المختارة تمارس تحت إشراف قيادة صالحة قصد تحقيق أسمى القيم الإنسانية. (مُحَمَّد سعد زغلول ، 2002 ، صفحة 18)

أو هي: مجموعة من الأساليب والنظريات والقيم تعمل على إعداد الفرد من خلال تزويده مهارات حركية تؤدي إلى توجيه نمو البدني والنفسي والاجتماعي والخلقي للوجهة الايجابية لخدمة الفرد نفسه ، ومن خلال خدمة المجتمع (رامي عزالدين ، 2014، صفحة 16)

5-5 التعليم الثانوي: هو التعليم الذي يأتي بعد التعليم المتوسط هدفه إعداد الفرد للالتحاق بمؤسسات التعليم العالي ، بعد النجاح في امتحان البكالوريا ، مدته 03 سنوات.

5-6 الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية: وهي الألعاب التي يقدمها المعلم للمتعلم على شكل مواقف تعليمية في الطور الثانوي أثناء حصة التربية البدنية والرياضية والمتمثلة في: كرة السلة ، كرة اليد ، الكرة الطائرة.

أو هي نشاط رياضي ذو طابع جماعي يشترك فيه أكثر من شخص واحد في جو تنافسي لتحقيق هدف جماعي مشترك ، ويحصل فيها تفاعل كبير بين الرياضيين ، وهذا التفاعل ينتج عنه ما نسميه بالديناميكية الجماعية ، حيث يتحقق فيها تنظيم علاقة الفرد الواحد بالفريق الذي ينتمي إليه ، وتنظيم دقيق لعلاقة الفرد بالخصم.

وتتميز الرياضات الجماعية عن باقي النشاطات الرياضية بطابعها الجماعي ، والتنافسي الذي يكون في شكل مقابلة بين فريقين متجانسين يغلب عليها الجانب الترفيهي أو الترويحي ، وبقوانين تضبطها وتحدد صفة الاتصال المسموح به مع الزملاء ، والاحتكاك بالخصم.

وهي كوسيلة تربوية مهمة تساهم في التطوير الايجابي للعديد من الجوانب عند الفرد سواء كانت جسمية ، نفسية اجتماعية أو تربوية (بوجليدة حسان ، 2010، الصفحات 29-30)

6- صعوبات البحث

✓ صعوبة الحصول على تراخيص في كل من ولاية غليزان وسعيدة.

✓ بعد المسافة للتنقل بين الأساتذة.

✓ رفض بعض الأساتذة لحضور الملاحظ معهم وهذا راجع لنقص ثقافة البحث العلمي عند بعض الأساتذة.

✓ الوقت لم يكن كاف للقيام بالدراسة على أكبر عدد ممكن.

✓ قلة الدراسات في العربية في مجال ملاحظة فصول التدريس.

** **الدراسة التطبيقية:** وتضم الدراسة الاستطلاعية والدراسة الأساسية للبحث وكانت كما يلي:

***أولا: الدراسة الاستطلاعية**

إن اختيار أي منهج لأي دراسة لا يكون عشوائيا أو عن طريق الصدفة ، وإنما يكون مرتكزا على طبيعة الموضوع الذي هو بصدد معالجته ، فاختلاف المواضيع من حيث التحديد والوضوح يستوجب اختلافا في المنهج أو في طريقة معالجة هذا الموضوع.

يعد اختيار المنهج العلمي الملائم ممن الأمور المهمة والأساسية في إتمام أي بحث، كما يعدّ من المقاييس التي ينظر إليها حين يحكم على جودة العمل البحثي المقدم، وهذا لأنه لا يوجد عمل بحثي دون وجود منهج واضح يتم وفقا لقواعده، بدءا بدراسة المشكلة والتي هي محور البحث وتحليل أبعادها ومسبباتها، ومعرفة جوانبها وأوجه تأثيراتها وتأثرها بالظواهر المحيطة بها، هذا من جهة ومن جهة أخرى فالاختيار الجيد للمنهجية العلمية السليمة يساعد على وضع الحلول المناسبة لأي مشكلة وخاصة بعد تحديدها تحديدا علميا دقيقا.

1- **إجراءات بناء بطاقة الملاحظة:** يهدف الباحث من خلال هذه الدراسة إلى الوصول لمحك يمكن من خلاله تحليل العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية للتعليم الثانوي، حيث تم بناء شبكة ملاحظة بالاعتماد على بعض الأطر المرجعية في ميدان تكوين الأساتذة وكذلك بعض النماذج المرجعية التي اهتمت بتحليل الفعل التعليمي وتحليل النشاط التعليمي (بلقيدوم بلقاسم، 2013، صفحة 228)

وقد تم القيام بتعديل شبكة الملاحظة التي أعدها الدكتور بلقاسم بلقيدوم في أطروحة الدكتوراه تخصص علوم التربية بعنوان "الفعالية التربوية لأستاذ التعليم المتوسط العمليات والتفاعل كمعيار، بناء بطاقة ملاحظة وتقييم وشبكة تحليل الاحتياجات التدريبية أثناء الخدمة، مع الارتكاز على شبكات التقويم وقوائم ملاحظة الفصل الدراسي مثل شبكة دولاندشير وبايير لتحليل وظائف المدرس، ونظام روبرسون لتقويم التدريس، وشبكة فلاندرس لتحليل التفاعلات داخل الصف.

وقد توصل الباحث لشبكة أولية لملاحظة وظائف المدرس داخل الفصل الدراسي تضم تسعة مجالات وهي: جذب انتباه التلاميذ، الدافعية، إدارة الصف، تدبير الزمن، تنظيم الفضاء، مسايرة أعمال المتعلم، المحتوى، الوسائل، الاستراتيجيات التدريسية.

وبعد تحديد هذه المجالات، تم عرضها على مجموعة من المحكمين لإبداء الرأي في عناصر هذه الشبكة، والهدف من هذا هو:

- حذف العناصر غير المناسبة.
- تحديد عدد عبارات كل عنصر.
- تعديل أو إضافة أي عنصر.

وقد تمت هذه العملية عن طريق التواصل المباشر مع الأساتذة عن طريق اللقاءات أو عن طريق البريد الالكتروني، وبعد جمع النتائج وتحليلها، تم قبول كل المجالات بعدّ قيمة قبولها مقبول، مع الأخذ بعين الاعتبار التعديلات المطلوبة.

بعد مناقشة النتائج والاقتراحات المقدمة من طرف السادة المحكمين مع السيد المشرف للمرة الثانية تم تحديد شبكة ملاحظة تضم سبعة مجالات وظائف المدرس داخل الفصل الدراسي كما يأتي: جذب انتباه التلاميذ، التعزيز والدافعية، إدارة الصف، تدبير الزمن وتنظيم الفضاء، مسايرة أعمال المتعلم، المحتوى والوسائل، الاستراتيجيات التدريسية، ويضم كل مجال مجموعة من الأسئلة.

وبعد ذلك تم إعادة الأداة بمجالاتها وعباراتها إلى السادة المحكمين قصد إبداء الرأي حول هذه الأسئلة.

الجدول -1- : المجالات المقترحة لشبكة الملاحظة مع عدد عبارات كل مجال.

رقم المجال	عدد عبارات المجال
المجال الأول: جذب انتباه التلاميذ	13
المجال الثاني: التعزيز والدافعية	13
المجال الثالث: إدارة الصف	16
المجال الرابع: تدبير الزمن وتنظيم الفضاء	14
المجال الخامس: مسايرة أعمال المتعلم	14
المجال السادس: المحتوى والوسائل	15
المجال السابع: الاستراتيجيات التدريسية	04
إجمالي الشبكة	**89**

المصدر: من إعداد الباحث

1-1- التقدير الكمي لأداء الملاحظ: استخدام الباحث أسلوب التقدير الكمي بالدرجات حتى يتمكن تحديد مستويات الأداء في كل عنصر وقد تم التحديد كما يلي:

الجدول -2- : يوضح مستويات تقدير الأداء المعتمدة في سلم شبكة الملاحظة

الرقم	المستوى	الدرجة الممنوحة
01	لا يؤدي المهارة	0
02	يؤدي المهارة بدرجة ضعيفة	1
03	يؤدي المهارة بدرجة متوسطة	2
04	يؤدي المهارة بدرجة جيدة	3
05	يؤدي المهارة بدرجة جيدة جدا	4

المصدر: من إعداد الباحث

2-1- إجراءات التطبيق: تم تدريب فريق من الباحثين ذوي خبرة في مجال تدريس التربية البدنية والرياضية حول كيفية استخدام شبكة الملاحظة وكيفية التسجيل عليها مع إعطائهم تعليمات وترتيبات يجب الحرص عليها قبل وأثناء الملاحظة ومنها نذكر:

✓ تحديد مسبق لمجال الملاحظة بمعنى تحديد الجوانب التي ستركز عليها المشاهدة، وكلما كانت تلك الجوانب معروفة مسبقا ومحصورة في عامل واحد أو عاملين، كلما جنبت الملاحظ التشتت وعدم الحصول على صورة واضحة لما يجري.

✓ تحديد مسبق لوسيلة تسجيل الملاحظة بحيث يكون الملاحظ على معرفة تامة بوسيلة تسجيل الملاحظة والتي سيستعين بها (شبكة الملاحظة) وعلى علم بكيفية الاستعمال، أما إذا كانت الملاحظة عفوية والغرض منها تهيئ لملاحظات لاحقة مقصودة، والتهيئ لوضع وسائل جديدة لتسجيل الملاحظة ففي هذه الحالة تختلف التوجيهات ولا تحدد الوسيلة منذ البداية.

✓ عدم التصريح لأفراد العينة بأي شرح عن الجوانب قبل الملاحظة حتى لا يؤثر ذلك على أدائهم التدريسي.

✓ الانتباه إلى كل العوامل المعيقة والمتغيرات المشوشة والتي كثيرا ما تتدخل لتجعل الملاحظ لا يدرك السلوك كما هو في حقيقته، وأن يقوم الملاحظ بما يسمى "مسح الطاولة" بمعنى أن يتخلص من الأحكام الجاهزة والتي تحجب عنه الحقيقة كما يجب أن يتخلص من آرائه عن المدرس، وألا يترك أي مجال لتدخّل الذاتية ما أمكن.

✓ على الملاحظ أن يدخل إلى الفصل قبل بداية الحصة وبعد استئذان المدرس وأن يجلس في وضع يمكّنه من مشاهدة جميع الطلاب دون أن يلفت الأنظار ما أمكن.

✓ وعليه ألا يكون فضوليا وأن يتجنّب كل ما من شأنه أن يشتت انتباه المدرس والطلاب، وعليه ألا يقاطع المدرس وألا يتدخل إلا إذا طلب منه ذلك، وألا ينسحب من الفصل دون استئذان (الدريج مُحَمَّد، 2004، صفحة 22).

3-1 توزيع عينة الدراسة الاستطلاعية لشبكة الملاحظة: تم تطبيق شبكة الملاحظة على عينة من أساتذة التربية البدنية والرياضية للتعليم الثانوي لمادة التربية البدنية والرياضية، وقدر عددهم ب 09 أساتذة من بعض الولايات الغربية الجزائرية موزعين حسب ما يوضحه الجدول المرفق

الجدول -3- : يوضح توزيع عينة الدراسة الاستطلاعية لشبكة الملاحظة حسب الولايات.

الرقم	المديرية	عينة الدراسة الاستطلاعية
01	مديرية تلمسان	03
02	مديرية سيدي بلعباس	02
03	مديرية وهران	03
04	مديرية مستغانم	02
المجموع		**09**

المصدر: من إعداد الباحث

4-1- الخصائص السيكومترية للأداة

1-4-1- الصدق

أ- **الصدق الظاهري:** وهو المظهر العام للأداة، حيث تبدو الأداة مناسبة للغرض الذي وضعت لأجله.

ب- صدق المحتوى: لتقدير صدق الأداة لجأ الباحث إلى طرح التساؤلات التالية:

✓ ماهي مميزات وظائف السلوك الذي نلاحظه؟

✓ هل عبارات الأداة لها علاقة بعناصرها؟

✓ هل الأداة تخدم موضوع البحث؟

✓ هل محتوى الأداة ملائم لأهداف البحث؟.

الجدول-4- : يوضح الصدق لكل مجال من المجالات المكونة للشبكة والشبكة ككل.

المجال	عدد العبارات	الصدق
المجال الأول: جذب انتباه التلاميذ	11	0.972
المجال الثاني: التعزيز والدافعية	13	0.962
المجال الثالث: إدارة الصف	16	0.946
المجال الرابع: تدبير الزمن وتنظيم الفضاء	05	0.847
المجال الخامس: مسايرة أعمال المتعلم	06	0.926
المجال السادس: المحتوى والوسائل	09	0.978
المجال السابع: الاستراتيجيات التدريسية	04	0.913
إجمالي الشبكة	**63**	**0.934**

المصدر: من إعداد الباحث

5-1-2- الثبات: لقد تم الاعتماد على معامل Alpha للثبات الداخلي أو درجة الاتساق بين مجالات شبكة الملاحظة ، وبما أن معامل الثبات يقترب دوما من الواحد فإنه يمكن القول أن معامل الثبات مقبول جدا حيث بلغ 0.875

الجدول-5- : يوضح معامل الثبات ألفا كرومباخ لكل مجال من المجالات المكونة للشبكة والشبكة ككل.

المجال	عدد العبارات	معامل الثبات ألفا كرومباخ
المجال الأول: جذب انتباه التلاميذ	11	0.945
المجال الثاني: التعزيز والدافعية	13	0.926
المجال الثالث: إدارة الصف	16	0.895
المجال الرابع: تدبير الزمن وتنظيم الفضاء	05	0.717
المجال الخامس: مسايرة أعمال المتعلم	06	0.858
المجال السادس: المحتوى والوسائل	09	0.956
المجال السابع: الاستراتيجيات التدريسية	04	0.833
إجمالي الشبكة	**63**	**0.875**

***ثانيا: الدراسة الأساسية**

1 - المنهج المتبع

تتوقف الكثير من الإجراءات البحثية سواء في جمع البيانات وتحقيق الأهداف على نوع المنهج المستخدم ، ومن خلال المشكلة التي بين أيدينا المتمثلة في تحليل العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية للتعليم الثانوي بالجزائر فإن ذلك يدعونا إلى استخدام المنهج الملائم وهو تحليل المضمون حيث يناسب تحقيق أهداف البحث المتعلقة بالتعرف على الأداة التي يتم بها تحليل العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية للتعليم الثانوي بالجزائر ، حيث أن الباحث لا يتوقف هنا إلى وصف الظاهرة وجمع البيانات عليها فقط ، وإنما يقوم بتحليل الظاهرة وتفسيرها والوصول إلى استنتاجات تساهم في تطوير الواقع وتحسينه

2-مجتمع البحث

مجتمع الدراسة هو أساتذة التربية البدنية والرياضية في بعض ثانويات مدن الغرب الجزائري دون الأخذ في الحسبان السن والجنس.

ويعود اختيارنا لهذه المؤسسات التربوية إلى:

- تمثيل هذه العينة لمجتمع البحث.
- وجود مديريات سهلت من مهمتنا.
- وجود أساتذة زملاء سهلوا من مهمتنا.

3- عينة البحث

تتكون عينة بحثنا من 50 أستاذ لمادة التربية البدنية والرياضية العاملين بالطور الثانوي ، تم اختيارهم بطريقة عشوائية من بعض ثانويات الولايات الغربية من الجزائر حيث تم ملاحظتهم خلال قيامهم بتدريس الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية في مؤسساتهم التربوية مع تلاميذهم:

الجدول -6- : يوضح توزيع عينة الدراسة الأساسية لشبكة الملاحظة حسب الولايات.

الرقم	المديرية	عينة الدراسة الأساسية
01	مديرية تلمسان	11
02	مديرية سيدي بلعباس	13
03	مديرية وهران	14
04	مديرية مستغانم	12
مجموع العينة		**50**

المصدر: من إعداد الباحث

4- أدوات البحث

أ- تحليل الوثائق وجمع البيانات والمواد العلمية من الكتب ومختلف المراجع.

ب- شبكة ملاحظة الفصل الدراسي وعمل أساتذة التربية البدنية والرياضية للتعليم الثانوي ، حيث استعان الباحث ببطاقة ملاحظة أعدها الدكتور بلقيدوم بلقاسم خلال السنة الجامعية 2013/2012 بجامعة سطيف ، وعدلها الباحث بالارتكاز على شبكات سابقة مثل شبكة فلاندرس وبايير ، حيث تم إضافة عناصر لها ثم تم عرضها

على مجموعة من الأساتذة المحكمين من ذوي الاختصاص لجعلها ملائمة لدراسة ما أعدت له وفق البيئة المحلية.

ج-المعالجة الإحصائية لشبكات الملاحظة.

5- متغيرات البحث

5-1-المتغير المستقل: تحليل العملية التعليمية.

5-2-المتغير التابع: تدريس الأنشطة البدنية والرياضية الجماعية للتعليم الثانوي.

6- مجالات البحث

6-1: المجال البشري للدراسة: شمل البحث بعض أساتذة التربية البدنية والرياضية للطور الثانوي ، العاملين بالمدن الغربية من الجزائر.

6-2: المجال المكاني للدراسة: أنجز هذا البحث في ملاعب وقاعات الرياضة ببعض المؤسسات التربوية بالولايات الغربية من الجزائر

6-3: المجال الزماني للدراسة: أنجز هذا البحث بداية من بداية السنة الدراسية 2018/2017 بعد أن تلقينا موافقة من الهيئة المخولة بعد الحصول على رخص الدخول للمؤسسات التربوية وهذا بجمع المادة العلمية عن البحث والنظر في الدراسات السابقة التي تناولت مثل هذه الدراسة إلى غاية شهر أفريل من سنة 2019.

الدراسة الإحصائية: تم استخدام الأساليب الإحصائية التالية:

- ✓ النسب المئوية.
- ✓ التكرار.
- ✓ إختبار كاف تربيع($كا^2$)

$$كا^2 = مج \frac{(التكرار الملاحظ - التكرار المتوقع)^2}{التكرار المتوقع}$$

مثال توضيحي رقم 01: المجال الرابع للأساتذة ككل:

الجدول -07: يوضح الدرجة الكلية لأداء المدرسين للمجال الرابع

4- تدبير الزمن وتنظيم الفضاء										
المؤشرات	مستوى الأداء وفقا لنظام الدرجات									
	لايؤدي(0)		ضعيف(1)		متوسط(2)		جيد (3)		جيد جدا(4)	
	تك	%	تك	%	تك	%	تك	%	تك	%
1- احترام تنظيم زمن الانجاز وزمن التعلم	02	04	03	06	19	38	21	42	05	10
2- تنظيم العمل في شكل فردي	45	90	03	06	02	04	00	00	00	00
3- تنظيم العمل في شكل ثنائي	20	40	15	30	10	20	03	06	02	04
4- تنظيم العمل في شكل مجموعات	01	02	02	04	10	20	32	62	05	10
5- تموقع بكيفية تسمح بمشاركة فعالة	00	00	03	06	11	22	30	60	06	12

التعليق على الجدول: من خلال الجدول يتضح لنا أن العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية في مجال تدبير الزمن وتنظيم الفضاء نجد المؤشر الأول: احترام تنظيم زمن الانجاز وزمن التعلم نسبة كبيرة من الأساتذة تقدر ب 42% منهم يؤدون بدرجة جيدة ، ونسبة تقدر ب 38% منهم يؤدون بدرجة متوسطة ، ونسبة تقدر ب 10% منهم يؤدون بدرجة جيدة جدا ، في حين نجد نسبة لا تتجاوز 06% منهم يؤدون بدرجة ضعيفة ، ونسبة قليلة منهم تقارب 04% منهم لا يؤدون هذه المهارة.

في حين نجد المؤشر الثاني: تنظيم العمل في شكل فردي نسبة كبيرة من الأساتذة تقارب 90 % منهم لا يؤدون هذا العنصر ، ونسبة 06% منهم يؤدون هذا العنصر بدرجة ضعيفة ، ونسبة 04% منهم يؤدون هذا العنصر بدرجة متوسطة ، في حين لا نجد أي أستاذ يقوم بهذا العنصر بدرجة جيدة.

في حين نجد المؤشر الثالث: تنظيم العمل في شكل ثنائي نسبة كبيرة من الأساتذة تقارب 40 % منهم لا يؤدون هذا العنصر ، ونسبة 30% منهم يؤدون هذا العنصر بدرجة ضعيفة ، ونسبة 20% منهم يؤدون هذا العنصر بدرجة متوسطة ، ونسبة 06% منهم يؤدون هذا العنصر بدرجة جيدة ، ونسبة 04% منهم يؤدون هذا العنصر بدرجة جيدة جدا.

في حين نجد المؤشر الرابع: تنظيم العمل في شكل مجموعات نسبة كبيرة من الأساتذة تقارب 62 % منهم يؤدون هذا العنصر بدرجة جيدة ، ونسبة 30% منهم يؤدون هذا العنصر بدرجة ضعيفة ، ونسبة 20% منهم يؤدون هذا العنصر بدرجة متوسطة ، ونسبة 10% منهم يؤدون هذا العنصر بدرجة جيدة ، ونسبة 04% منهم يؤدون هذا العنصر بدرجة ضعيفة ، ونسبة 02% منهم لا يؤدون هذا العنصر.

في حين نجد المؤشر الخامس: تموقع المتعلمين بكيفية تسمح بمشاركة فعالة نسبة كبيرة من الأساتذة تقارب 60 % منهم يؤدون هذا العنصر بدرجة جيدة ، ونسبة 22% منهم يؤدون هذا العنصر بدرجة متوسطة ، ونسبة 12% منهم يؤدون هذا العنصر بدرجة جيدة جدا ، ونسبة 10% منهم يؤدون هذا العنصر بدرجة جيدة ، ونسبة 06% منهم يؤدون هذا العنصر بدرجة ضعيفة ، في حين لا نجد أي أستاذ يقوم بهذا العنصر.

مثال توضيحي رقم 02: المجال السابع للأساتذة ككل:

الجدول -08- : يوضح الدرجة الكلية لأداء المدرسين للمجال السابع

7- الاستراتيجيات التدريسية									
المؤشرات	مستوى الأداء وفقا لنظام الدرجات								
	لايؤدي(0)		ضعيف(1)		متوسط(2)		جيد (3)		جيد جدا(4)	
	تك	%	تك	%	تك	%	تك	%	تك	%
1- استخدام إستراتيجية حل المشكلات	01	02	05	10	14	28	22	44	08	16
2- استخدام إستراتيجية الاستقصاء	07	14	07	14	15	30	10	20	11	22
3- استخدام إستراتيجية التعلم التعاوني	06	12	08	16	15	30	11	22	10	20
4- استخدام إستراتيجية العصف الذهني	20	40	13	26	12	24	04	08	01	02

التعليق على الجدول: من خلال الجدول يتضح لنا أن العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية في مجال الاستراتيجيات التدريسية في المرتبة رقم واحد نجد: استخدام إستراتيجية حل المشكلات حيث أن 02% من الأساتذة لا يؤدون هذه الإستراتيجية ، و10 % منهم يؤدونها بدرجة ضعيفة ، و28% منهم يؤدونها بدرجة متوسطة ، و44 % منهم يؤدونها بدرجة جيدة ، و16% منهم يؤدونها بدرجة جيدة جدا.

في حين نجد إستراتيجية التعلم التعاوني في المرتبة رقم اثنان حيث أن 12%من الأساتذة لا يؤدون هذه الإستراتيجية ، و16 % منهم يؤدونها بدرجة ضعيفة ، و30% منهم يؤدونها بدرجة متوسطة ،و 22% منهم يؤدونها بدرجة جيدة ، و20% منهم يؤدونها بدرجة جيدة جدا.

في حين نجد إستراتيجية الاستقصاء في المرتبة رقم ثلاثة حيث أن 14% من الأساتذة لا يؤدون هذه الإستراتيجية ، و14 % منهم يؤدونها بدرجة ضعيفة ، و30% منهم يؤدونها بدرجة متوسطة ، و20% منهم يؤدونها بدرجة جيدة ، و22% منهم يؤدونها بدرجة جيدة جدا.

وفي الأخير نجد إستراتيجية العصف الذهني في المرتبة رقم أربعة حيث أن 40% من الأساتذة لا يؤدون هذه الإستراتيجية ، و26 % منهم يؤدونها بدرجة ضعيفة ، و24 % منهم يؤدونها بدرجة متوسطة ، و08% منهم يؤدونها بدرجة جيدة ، و02% منهم يؤدونها بدرجة جيدة جدا.

مقابلة النتائج بالفرضيات

1- بناءا على النتائج التي توصلنا إليها في مجال جذب انتباه التلاميذ يمكن القول أن العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية للتعليم الثانوي بالجزائر تتم بناءا على جذب انتباه التلاميذ حيث أن أغلب الأساتذة يستخدمون أساليب مختلفة لجذب انتباه التلاميذ، كما يقدمون عبارات للانتباه من خلال كلمات موجهة لغير المنتبهين ، ثم إن تقديم الدرس يكون عند انتباه التلاميذ جميعا ، كما أن أغلب الأساتذة يتنقلون بين التلاميذ لمساعدتهم قصد الأداء الجيد وتغيير وتعديل الموقف عند صعوبة تنفيذه ، كما أن البعض منهم يستخدم التلميحات غير اللفظية من إشارات وحركات بدنية.

2- بناءا على النتائج التي توصلنا إليها في مجال التعزيز والدافعية يمكن القول أن العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية للتعليم الثانوي بالجزائر تتم بناءا على التعزيز والدافعية حيث أن أغلب الأساتذة يستخدمون التعزيز عند الحاجة وفي الوقت المناسب ، كما أن البعض منهم يستخدم وينوع من أساليب التعزيز ، ثم إن أغلبهم يستخدمون عبارات الشكر والمدح بصوت مسموع

وطبيعي وبعبارات مفهومة (أحسنت، جيد، عمل ممتاز) والمدح عند أغلبهم يكون فرديا وباستخدام الاسم، وتجنب السخرية من التلاميذ ذوي المستوى المحدود (استخدام عبارات خاصة بالأداء الخاطئ مثل: عمل مقبول ولكن كان عليك العمل هكذا وبعدها يعطي الأستاذ الأداء الصحيح للمهارة الحركية).

3- بناءا على النتائج التي توصلنا إليها في مجال إدارة الصف يمكن القول أن العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية للتعليم الثانوي بالجزائر تتم بناءا على إدارة الصف حيث أن أغلب الأساتذة يقومون بتنظيم الفصل الدراسي ومحتوياته، والمحافظة على النظام والتركيز عند التلاميذ داخل الفوج، وتنظيم طريقة عمل المتعلمين والتحكم في العمل الجماعي.

4- بناءا على النتائج التي توصلنا إليها في مجال تدبير الزمن وتنظيم الفضاء يمكن القول أن العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية للتعليم الثانوي بالجزائر تتم بناءا على تدبير الزمن وتنظيم الفضاء حيث أن أغلب الأساتذة يقومون باحترام تنظيم زمن الانجاز وزمن التعلم، وتنظيم العمل في شكل جماعي وفي شكل مجموعات وبطريقة تسمح بمشاركة فعالة لجميع المتعلمين، غير أنه من خلال الملاحظة اكتشفنا أن جزء منهم لا يكاد يتحكم في الوقت وهذا الأمر يستدعي القيام بدورات تدريبية في هدا العنصر، كما أن معظمهم يبتعد عن العمل في شكل فردي.

5- بناءا على النتائج التي توصلنا إليها في مسايرة أعمال المتعلم يمكن القول أن العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية للتعليم الثانوي بالجزائر تتم بناءا على مسايرة أعمال المتعلم حيث أن أغلب الأساتذة يقومون بتتبع أعمال المتعلم خلال سير الحصة ومساعدته على استثمار تصوراته من أجل التعلم الجيد كما أن معظم المدرسين يقومون بالتصحيح الفردي والجماعي للمتعلمين ثم إن أغلب الأساتذة يستعينون بالمتعلم ذو الأداء الجيد لعرض المهارات الحركية، غير أنهم لا يقومون بعرض المهارات الحركية بأنفسهم، وهذا الأخير لابد منه لأن المدرس قادر على توضيح جميع الجوانب المختلفة للمهارة الحركية على عكس المتعلم.

6- بناءا على النتائج التي توصلنا إليها في مجال المحتوى والوسائل يمكن القول أن العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية للتعليم الثانوي بالجزائر تتم بناءا على المحتوى والوسائل وحيث أن أغلب الأساتذة يقدمون معلومات صحيحة حديثة ملائمة لمستوى المتعلمين، في حين أن جزء منهم يقدم معلومات صحيحة غير أنها قديمة خاصة في نشاط كرة السلة.

7- بناءا على النتائج التي توصلنا إليها في مجال الاستراتيجيات التدريسية يمكن القول أن العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية للتعليم الثانوي بالجزائر تتم بناءا على الاستراتيجيات التدريسية حيث أن أغلب الأساتذة يقومون باستخدام طريقة حل المشكلات، ثم إستراتيجية التعلم التعاوني، لتليها إستراتيجية الاستقصاء، وجزء قليل منهم يقوم باستخدام إستراتيجية العصف الذهني.

تحليل وتفسير النتائج

هذه النتائج جاءت موافقة لنتائج دراسة (Rochelle davis سنة 2000 (تحت عنوان " نظام تقويم المعلم "MCPS" إن نظام تقويم المعلم في Montgomery الذي أعدته الباحثة ثم طورته) لجنة Maryland(ضمن البرامج المعروف ب"البحث عن تدريس أفضل"سنة 2010 (بالولايات المتحدة الأمريكية "MCPS"، ودراسة)مُحَمَّد الدريج سنة 2004 (تحت عنوان "تحليل العملية التعليمية وتكوين المدرسين"، كما جاءت موافقة لنتائج دراسة) Academy for Educational Development " بالسينغال سنة 2005 (في إطار مشروع تحسين أداء معلم التعليم المتوسط في جمهورية السنغال، والذي عرف بمشروع (CLASSE/ PAEM) والذي موله مكتب USAID في إفريقيا، ودراسة)حليمة قادري سنة 2010 (تحت عنوان "التفاعل الصفي بين الأستاذ والتلميذ في المرحلة الثانوية"، ودراسة) CAROLA JOSEFINA BELLO OLIVARES بجامعة الشيلي سنة 2011 (، ودراسة) Perez-Roux بنانت الفرنسية سنة 2012 (تحت عنوان"تطوير التفكير في التدريب الأولي للمعلمين، تحديات أجهزة تحليل الممارسة وشروط التنفيذ في سياقتين تدريبيتين في فرنسا"، ودراسة) شلي نورة سنة 2014 (تحت عنوان "التواصل اللفظي وإشكالية تحليل مهام أستاذ داخل الوضعية البيداغوجية.

الاستنتاج العام

من خلال ما سبق يتضح لنا أن العملية التعليمية في تدريس الأنشطة البدنية والرياضية للتعليم الثانوي من طرف الأساتذة بالجزائر تتم بناءا على جذب انتباه التلاميذ مع استخدامهم للتعزيز والدافعية وقيامهم الجيد بإدارة الصف مع حسن تدبير الزمن المخصص لكل موقف وتنظيم فضاء

العمل مع حسن القيام بمسايرة أعمال المتعلمين باستخدام محتوى جيد ومناسب ووسائل مناسبة في ظل استخدامهم لاستراتيجيات مناسبة كإستراتيجية التعلم التعاوني بالدرجة الأولى وإستراتيجية حل المشكلات وإستراتيجية الاستقصاء.

اقتراحات وتوصيات

1- من خلال ما سبق يمكن الخروج بجملة من التوصيات التي نأمل أن تقوم بتطوير العملية التعليمية في تدريس التربية البدنية والرياضية ومنها:

2- على الوزارة الوصية التكثيف من الأيام التكوينية النظرية قصد توفير ومد الأساتذة بالمعلومات والقوانين الرياضية الحديثة.

3- إدراج حصص تطبيقية للأساتذة قصد الرفع من مردودهم الرياضي وقدرتهم على الأداء الصحيح للمهارات الرياضية.

4- القيام بالأيام التكوينية من طرف الأساتذة المكونين مع تسجيل أهم الملاحظات من طرف الأساتذة الملاحظين ، والعمل على تجنب الأخطاء.

5- عمل الأساتذة يكون حسب التخصص مثلا يوجد في مؤسسة تربوية ثلاثة أساتذة يقسمون في الأنشطة الجماعية على النحو التالي: أستاذ متخصص في كرة السلة ، أستاذ متخصص في كرة اليد ، أستاذ متخصص في الكرة الطائرة وبهذه الطريقة يستطيع الأستاذ أن يقدم الأفضل ويكون متمكن في النشاط الذي يدرسه على عكس الطريقة الحالية ، والعمل على تقسيم التلاميذ حسب رغباتهم وقدراتهم على الأساتذة.

6- رفع الوقت المخصص للمادة حتى يتمكن الأستاذ من تعليم المهارات الحركية بطريقة جيدة.

خاتمة

تتكون العملية التدريسية من مجموعة من المكونات أو العناصر الهامة هي المعلم ، والمتعلم ، والأهداف التعليمية (النتاجات) ، والمهارة أو محتوى الدرس ، والأدوات والأجهزة المستخدمة ، والطرائق والأساليب والاستراتيجيات ، والإجراءات والخطوات المتبعة في تنظيم الدرس ، وإدارة الصف ، والتقويم ، وجميع هذه المكونات تحتاج مدرسا على درجة كافية من الخبرة للتعامل معها وبالطريقة التي تحقق الأهداف المنشودة ، ويعتبر المكون الخاص بطرائق وأساليب وإستراتيجيات التدريس من أهم هذه المكونات وهو العنصر المفصلي الذي إذا أتقنه المدرس ساعده في تحقيق أكبر عدد من الأهداف والنتاجات الموضوعة الخاصة بالمادة والمتعلم ثم إن عملية التدريس الحديثة لا تقتصر على التركيز على نقل المعلومات من المقرر إلى عقول الطلبة بواسطة التعلم المعتمد على التلقين بهدف إلمام الطلبة بأكبر كم من المعارف والمعلومات ، بل تركز على بناء الشخصية المتزنة للمتعلم من جميع جوانبها العقلية والانفعالية والاجتماعية والبدنية والمهارية ، ولا يتم التعلم إلا من خلال تسليط الضوء وإلمام الأستاذ بجميع عناصر وظائفه التعليمية قبل وأثناء وبعد العملية التربوية.

وللتغذية الراجعة أهمية كبيرة في عملية التعلم إذ أنها ضرورية ومهمة في عمليات الرقابة والضبط والتحكم والتعديل التي ترافق عمليات التفاعل الصفي بين المعلم والمتعلم داخل الفصل الدراسي مما يساهم في دعم التكوين المهني الذاتي Autoformation ، وزيادة وعي الأساتذة في مجال تدريس الأنشطة البدنية والرياضية بصفة عامة ، والأنشطة البدنية والرياضية الجماعية بصفة خاصة وذلك من خلال تحليل وظائفهم في الفصل الدراسي.

يعد تحليل العملية التعليمية عن طريق ملاحظة الفصل الدراسي من أهم المحطات التي نالت اهتمام التربويين من أجل الرفع من الأداء التربوي للمدرسين من خلال تكوين المدرسين ضف إلى مجالات أخرى لابد الاهتمام بها ، التي تنتج عن طرح أسئلة لمن نقدم تعليمنا (مستوى المتعلمين)؟ ولماذا نعلم (الأهداف)؟ وما هي النتائج المنتظرة من التعلم ؟ وكل هذه الأسئلة تندرج ضمن ما يعرف بتحليل الممارسات التعليمية التي ترتكز على نماذج تحليل العملية التعليمية ، وبتحليل العملية التعليمية لأساتذة التربية البدنية والرياضية في تدريس الأنشطة البدنية تصبح التربية البدنية والرياضية تلعب دور ريادي نتيجة تطوير أداء الأساتذة ، وبالتالي يمكن اعتبار هذا التوجه بمثابة مدخل لإصلاح مختلف المنظومات التربوية من خلال تركيز اهتمامنا على الجانب البشري وفي مقدمته الأساتذة ووظائفهم التعليمية.

قائمة الهوامش

1- وزارة التربية الوطنية: **الوثيقة المرافقة لمناهج التربية البدنية والرياضية** ، السنة الثالثة من التعليم المتوسط ، الديوان الوطني للتعليم والتكوين عن بعد ، مارس 2006. ص03

2- المرجع نفسه ،2006 ، ص03

3- توفيق مرعي ، **شرح الكفايات التعليمية** ،عمان ، دار الفرقان. (2003).

4- Noel Jack .1997. L'analyse des pratiques éducatives. Un cadre éthique et symbolique pour éduquer le regard de l'enseignant.in Recherche&Formation ; n24 ; Conscience éthique et pratique professionnelles, p 49-69 disponible sur https://doi.org/10.3406/refor.1997.1394

5-Rochelle davis ;2000 ; Teacher Evaluation : Introduction ; MCPS USA. Disponible sur :

www.meps.k12.md.us/departments/personnel/TE Reçu le 12/06/2010.

6- Academy for educational Development PAEM/CLASSE.USAID.Motivation des eleves :Guide de formation des professeurs de college . senegal.2005, disponible sur : https.www.education-new.gouv.sn/root.../GUIDE6MOTIVATION-CE.pdf.Recu le 12/04/2008.

7- Carola Josefina Bello Olivares .2011, Practicas Pedagogicas Del profesor de Formacion General ; Mirada desde los estudiantes tecnico —profesionales y cientifico-humanistas.santiago , chile .

8- مزروع السعيد ، **تطبيقات في نظرية ومنهجية التربية البدنية والرياضية** ، دار الخلدونية ، الطبعة الأولى ، جامعة بسكرة ، 2016 ، الجزائر.

9- مُحَّد سعد زغلول ، **مدخل إلى التربية الرياضية** ، مركز الكتاب للنشر ، القاهرة ،2002. ص 18.

10- رامي عز الدين ، **بيداغوجية التدريس لأستاذ التربية البدنية والرياضية وعلاقتها بدافعية الانجاز لدى تلاميذ الطور الثانوي (15...18)** ، مذكرة دكتوراه معهد التربية البدنية والرياضية الجزائر 2014. ص 16.

11-بوجليدة حسان ، **ممارسة نشاطات الرياضات الجماعية وعلاقتها بعملية التوافق النفسي والاجتماعي لتلاميد مرحلة التعليم الثانوي بالمحيط المدرسي** ، مذكرة دكتوراه ، معهد التربية البدنية والرياضية الجزائر 2019 ، ص 29-30.

12- بلقيدوم بلقاسم ، الفعالية **التربوية لأستاذ التعليم المتوسط العمليات والتفاعل كمعيار** ، أطروحة دكتوراه ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية سطيف ، 2013. ص 228.

13- الدريج مُحَّد ، **تحليل العملية التعليمية وتكوين المدرسين** ،منشورات سلسلة المعرفة للجميع ، الطبعة 02 ، الرباط 2004 ،ص22.

أهمية الوعي الصحي وممارسة النشاط الرياضي لدى الراشد المصاب بالسمنة

The importance of health awareness and the exercise of sports activity in the adult who suffers from obesity

تاريخ الإرسال:09 -10-2019 تاريخ القبول: 03-02-2021

ليلى شيباني، جامعة لونيسي علي- البليدة 2، leilachibani05@gmail.com

الملخص

تعتبر صحة الفرد والمحافظة عليها من المطالب الأساسية التي اهتم بها العديد من الباحثين من خلال العديد من الدراسات التي كانت ولا تزال تركز على العوامل المسببة للمرض والوقاية منه ، ولذلك تضاعفت مسؤولية الباحثين في التركيز على نواحي الارتقاء بالصحة في ظل ارتفاع حصيلة الأمراض النفسية والجسدية وتبرز قضية الوعي الصحي واكتسابه ونشره كإحدى الأولويات والأهداف الرئيسية للحفاظ على الصحة في هذا العصر الذي توحي فيه الكثير من المؤشرات بتدني الصحة العامة وانتشار الأمراض والتي من بينها انتشار السمنة. وهذا ما جعلنا نركز على عوامل الوقاية من السمنة من خلال توجيه اهتمام الأفراد إلى تبني سلوك صحيّ يصبح عادات صحية من شأنها تدعيم الجانب الصحي وتطوره وأهم هذه الممارسات الصحية ممارسة النشاط الرياضي الذي يعدّ سلوكا صحيا وقائيا يساعد على تخفيف الأعراض المرضية الناجمة عن السمنة ، لذلك تأتي هذه المقاربة لمحاولة تسليط الضوء على ظاهرة السمنة لدى الراشد وأهمية متغير الوعي الصحي كمتغير وقائي وممارسة النشاط الرياضي كسلوك صحي فعّال للتخفيف من الآثار الناجمة عن السمنة لدى الراشد.

الكلمات المفاتيح: السمنة ، الوعي الصحي ، ممارسة النشاط الرياضي ، الراشد.

Résumé

La santé individuelle et la préservation sont l'une des exigences fondamentales de nombreux chercheurs dans le cadre de nombreuses études axées sur les causes de la maladie et de la prévention. Il incombe donc aux chercheurs de se concentrer sur les aspects de la promotion de la santé compte tenu des conséquences néfastes des maladies mentales et physiques et de sensibiliser à la santé, son acquisition et sa diffusion, en tant que l'une des principales priorités et objectifs de la préservation de la santé à cette époque, où de nombreux indicateurs montrent le déclin de la santé publique et la propagation des maladies, y compris la propagation de l'obésité. Cela nous conduit à nous concentrer sur les facteurs de prévention de l'obésité en attirant l'attention des individus sur l'adoption de comportements sains qui deviennent des habitudes saines qui favorisent la santé et son développement. Cette approche vise à mettre en évidence le phénomène de l'obésité chez les adultes et l'importance de la variable de sensibilisation à la santé en tant que variable préventive et du sport en tant que comportement sanitaire efficace pour atténuer les effets de l'obésité chez les adultes.

***Mots-clés** : Obésité - sensibilisation à la santé - sports physiques - adulte*

Abstract

Individual health and health preservation are among the basic demands that many researchers focus on. Due to the high rate of both physical and mental diseases, many studies shed light on the causative factors of the disease and the ways of prevention. Therefore, the researchers' responsibility stems in rising health promotion and highlighting the issue of health awareness, acquisition and dissemination as the main priorities and objectives for health preservation in this era, which is characterized by the decline of public health and the spread of diseases including obesity. This research focuses on the factors that prevent obesity by enhancing individuals' adoption of healthy behaviors as healthy habits. For instance, the practice of sports activity is one of the most important health practices, which is considered as a preventive behavior that helps alleviate the symptoms of obesity. Therefore, this study seeks to highlight the phenomenon of adults' obesity and the importance of health awareness variable as a preventive variable, and the practice of sports activity as an effective health behavior to reduce the effects of adults' obesity.

***Keywords:** Obesity, health awareness, exercise, Adult.*

مقدمة

تعدّ المحافظة على صحة الفرد واجبا أساسيا له ولمجتمعه ، إذ أن تمتع الأفراد بالمستوى المطلوب من الصحة يعد حقا من حقوقهم الأساسية ، وذلك بالعمل على حمايتهم ورعايتهم صحيا ونفسيا وتلبية حاجاتهم ومتطلباتهم المختلفة ومساعدتهم على النمو الشامل المتكامل.

والصحة هي هدف رئيسي من أولى الأهداف التي يسعى الجميع إلى تحقيقها ، ومن هذا المنطلق اهتم بها الكثير من الباحثين وأكدوا على تقديم المعلومات والمهارات والاتجاهات والسلوكيات التي تمس احتياجات واهتمامات الأفراد ، وتمكنهم من ممارسة السلوكيات الصحية السليمة التي تؤثر تأثيرا مباشرا وإيجابياً على سلوكهم واتجاهاتهم نحو القضايا والمشكلات الصحية ، التي من بينها السمنة حيث نلاحظ الانتشار المتزايد لهذه المشكلة الصحية في كل المجتمعات بما فيها المجتمع الجزائري ، حيث انتشرت كثيرا في الآونة الأخيرة مما يستدعي البحث خاصة من الناحية الوقائية والارتقاء بالصحة وذلك بتفعيل دور عواملها والتي من أهمها عامل الوعي الصحي وممارسة النشاط الرياضي. وهذا ما سنحاول التطرق اليه خلال هذه المقاربة النظرية وتسليط الضوء حول أهمية الوعي الوعي الصحي وممارسة النشاط الرياضي لدى الراشد المصاب بالسمنة.

الإشكالية

إزدادت الأبحاث الطبية والنفسية التي تحاول دراسة علاقة أنماط السلوك البشري بصحة الأفراد سواء كانت النفسية منها أو العضوية ، ولذلك فإن الاهتمام بصحة الفرد ورعايته تعدّ من أهم الركائز التي أقرت بها الهيئات الدولية ومنظمة الصحة العالمية وذلك من خلال نشر المعلومات الصحيحة من أجل مكافحة مشاكل سوء التغذية وتشجيع النظم السليمة وأنماط الحياة الصحية للوقاية من الأمراض المزمنة ، حيث تشير عزت (2004) في هذا الصدد إلى وجود ارتباط كبير بين سلوكياتنا الشخصية والحالة الصحية التي يتمتع بها الفرد ، وبهذا فإن الأمراض التي يعاني منها الأغلبية قد ترجع في جزئها الأكبر الى السلوكيات والعادات الصحية غير السليمة. وفي هذا الأساس نذكر أن السلوكيات الصحية تنقسم الى أنماط سلوكية إيجابية معززة للصحة ، وأنماط سلوكية سلبية ضارة بالصحة حيث يعبّر نمط السلوك الصحي الإيجابي عن تلك الأفعال أو النشاطات المقصودة أو غير المقصودة التي يمارسها الفرد الواحد لمساعدته في الوقاية من الإصابة بالمرض أو تمنعه من الأذى والضرر البدني والنفسي ، وتساعده على الاكتشاف المبكر للمرض والعجز أو تساعده في التخفيف من المعاناة والمرض ، من أجل تحسين الحالة البدنية والنفسية والحماية من المخاطر التي من شأنها أن تتسبب في حدوث ضرر أو أذى بدني أو نفسي أو كليهما ، ومن أنماط السلوك الصحي الإيجابي ممارسة النشاطات الرياضية والنوم الكافي المطمئن والعادات الغذائية الصحية السليمة(عزت ، 2004، ص474). إذ تشير الدراسات أن الشخص الواعي صحياً هو الشخص المثالي المتمتع بدرجات ومستويات عالية من الصحة المتمثلة بالتكامل البدني ، العقلي ، النفسي ، الاجتماعي والصحي ، وأن ممارسة الأنشطة الرياضية تعمل على الوقاية من الأمراض العصرية وهذا ما يوضح مدى أهمية الوعي الصحي في توجه الفرد للنشاط الرياضي كسلوك وقائي للتقليل من الأعراض المرضية خاصة للفئة التي تعاني من بعض الأمراض المزمنة وتحاول أن تحقق نوعا من الوقاية الصحية.

وتأتي أهمية الرياضة من أهمية صحة الانسان وخلو جسمه من الأمراض والضعف البدني الذي يعوقه عن الإنجاز بكفاءة وفاعلية ، حيث أن ممارسة النشاط الرياضي لا يشمل جنسا معينا وانما مختلف الأجناس(مرتضى ، عرفات ، 2011، ص14).وهو ما تؤكد عليه دراسة ياسمين(2017) إذ تشير الى أن الأنشطة الرياضية عامل مهم وبارز في حياة الفرد ، وذلك من خلال الارتقاء به من الناحية الجسمية والنفسية وحتى العقلية ، كما تعمل على تعديل وتصحيح وحتى تغيير الكثير من العادات السلبية في حياة الفرد في كلا الحالتين الصحية والمرضية ، ومن بين نتائج العادات السليمة على الصحة العامة للفرد يمكننا التركيز على السمنة كظاهرة مرضية تتميز بالارتفاع الزائد لكمية الدهون ، وزيادة الطاقة الحرارية للغذاء عن احتياجات الجسم فتتراكم على هيئة دهون وتختزن في الجسم وهنا يصبح النشاط الرياضي وسيلة ضرورية ومهمة في مسار العلاج المقدم للمصابين بالسمنة(ياسمين ، 2017، ص 20). كما يشير الخبراء إلى وجود علاقة بين السلوك الصحي والمستوى الصحي للفرد ، فكلما ارتفع المستوى الصحي للفرد ارتفع سلوكه الصحي والعكس ، حيث يمكن القول هنا أن الأشخاص الذين يتمتعون بمستويات أعلى من الوعي الصحي يعتمدون على سلوكيات تمتعهم بصحة أوفر ، حيث يتمكنوا

من الحصول على المعلومات والخدمات الصحية ويتصرفوا على أساسها بما فيها الأنشطة الرياضية الصحية والتغذية الصحية الشاملة وبهذه الطريقة يمكن للوعي الصحي للفرد من حماية نفسه(منظمة الصحة العالمية ، 2016، ص2-3) كما أن الأفراد الذين يعانون من السمنة ويتمتعون بمستويات أعلى من الوعي الصحي قادرون إلى حدّ بعيد على فهم المعلومات المتاحة عن التغذية ومتمكنون من اتخاذ خيارات تمتعهم بصحة أوفر، وتمكنهم من مكافحة سوء التغذية والإفراط فيها على حد سواء.

ومن خلال اطلاعنا على دراسات ذات علاقة بالوعي الصحي وعلاقتها بالسلوكيات الصحية عامة وبالممارسة الرياضية خاصة ارتأينا في مضمون عناصر هذه الورقة البحثية إلقاء الضوء على مدى مساهمة الوعي الصحي في مرحلة الرشد في التوجه نحو ممارسة النشاط الرياضي، ومن أجل ذلك عرضنا المؤشرات الرئيسية التي توضح ضرورة الوعي الصحي وأهمية الممارسة الرياضية لتخفيف أعراض السمنة والحفاظ على الصحة الجسدية والنفسية للراشد لكونها مرحلة مهمة لها جوانبها الخاصة وتأثيراتها في حياة الفرد، وعليه تم التركيز على أهمية الوعي الصحي وممارسة النشاط الرياضي لدى الراشد المصاب بالسمنة.

مفاهيم الدراسة

وردت لدى الباحثين تعريفات تتشابه فيما بينها برغم اختلاف المشارب الثقافيَّة لأصحابها وبرغم اختلافِ لغاتهم، إلا أننا نجدهم اتفقوا على نفس العناصر التعريفية للمفاهيم والتي جاءت كما يلي:

*** السمنة**

يذهب عبد الوهاب (1995) الى تعريف السمنة بأنها " الزيادة المفرطة في كميات الدهون التي تتراكم بالجسم فتزيد من وزن الشخص وتغير من شكل ومكونات جسمه بما يجعله مريضا بالسمنة (عبد الوهاب ، 1995 ، ص78)

هذا ما يعني أن السمنة تلك الحالة من تزايد الدهون في جسم الانسان مما تتسبب في اعاقة حركته واصابته ببعض الأمراض العضوية والنفسية.

*** الوعي الصحي**

تعرفه القص (2016) على أنه " إلمام الأفراد بالمعلومات والحقائق الصحية ، وأيضا إحساسهم بالمسؤولية نحو صحتهم وصحة غيرهم، وفي هذا الإطار يعتبر الوعي الصحي هو الممارسة الصحية عن قصد نتيجة الفهم والإقناع وتحول تلك الممارسات الصحية إلى عادات تمارس بلا شعور او تفكير"(القص ، 2016، ص52)

بناءً على ذلك يمكن القول بأن الوعي الصحي هو تلك العملية التي يكتسبها الفرد معرفيا ويطبقها سلوكيا وذلك من خلال المعلومات التي يتلقاها والتي تتعلق بكيفية الحفاظ على صحته.

*** ممارسة النشاط الرياضي**

يقصد بها ذلك النشاط الرياضي المنظم والمستمر والهادف في اطار النوادي والجمعيات الرياضية تحت إشراف إطارات رياضية مؤهلة (برقوق ، 2013، ص3) .

ذلك مايعني أن النشاط الرياضي يعبر عن الحركات البدنية والرياضية التي يقوم بها الفرد والتي تكون بهدف معين.

*** الراشد**

تعرف مرحلة الرشد على أنها مرحلة من مراحل النمو ويتدخل فيها الشباب مع الراشد ولها خصائصها المتميزة في جميع جوانب النمو، تبدأ مع بداية العقد الثالث من العمر (بعد الواحد والعشرين) وتنتهي مع بداية سن الشيخوخة وهي أطول مراحل النمو مع أنها تختلف باختلاف المجتمعات والثقافات والظروف المعيشية، إذ أن بداية وتهيئة مرحلة الراشد تعتمد على عدة عوامل إلا أن جوانب النمو الجسمي العقلي تكتمل مع نهاية المراهقة مما يؤهل الفرد الى دخول مرحلة الرشد (العابد ،2014، ص144).

أهداف الدراسة

من خلال هذا البحث الذي يتمحور حول ظاهرة السمنة كمشكلة صحية وأهمية الوعي الصحي وممارسة النشاط الرياضي لدى الراشد الذي يعاني منها، يمكننا التركيز على الأهداف التالية:

- تسليط الضوء على ظاهرة السمنة كمشكل صحي ملح في الوقت الراهن وأهم العوامل المسببة للسمنة.

– الوقوف على مدى أهمية الوعي الصحي عند الراشد ودوره في التخفيف من الأعراض المرضية الناجمة عنها.

– التوعية بأهمية ممارسة الرياضة عند الراشد من أجل المحافظة على الصحة عموماً والحد أو التخفيف من الانعكاسات المرضية للسمنة بشكل خاص.

موضوع الوعي الصحي والسمنة في ميدان علم النفس الصحي

توجه المختصون في علم النفس الصحي في الآونة الاخيرة الى تطوير واستعمال مجموعة متنوعة من الاستراتيجيات للعمل على تقليل المعاناة من وصمة الوزن الزائد أو ما يسمى بمرض السمنة ، إذ بدأ الخبراء بتشكيل فرق صحية تعدل من التحيزات الموجهة نحو السمنة وتطوير مشاعر التعاطف معهم ، والعمل على تلبية احتياجاتهم واهتماماتهم الشخصية والصحية ، ومن هذه الاستراتيجيات التي حددها المهنيين في مجال علم النفس الصحي هي:

– التعرف على المرضى الذين كانت لهم تجارب سلبية مع افراد المجتمع بشأن وزنهم الزائد ، ومحاولة تعديل نظرتهم تجاه أنفسهم والاهتمام بهم وحل مشكلاتهم.

– محاربة الصور النمطية اتجاه البدانة وتعديل هذه الصور لدى الأطباء والممرضين.

– استكشاف كل الأسباب المتعلقة بالسمنة ومحاولة مساعدة الافراد البدناء في التخلص من وزنهم الزائد بطرق إيجابية.

– التأكيد على تغيير السلوكيات المؤدية للإصابة بالسمنة وتعزيز السلوكيات الصحية.

– وضع برامج خاصة للتمارين الرياضية ، وتناول الطعام في المنزل ، بدلا من مجرد القول: "أني بحاجة لإنقاص وزني".

– خلق حالة الوعي الصحي لدى البدناء بأن خسارة بعض الوزن يمكن أن يؤدي إلى مكاسب صحية كبيرة.

– خلق بيئة صحية تهتم بالافراد ذوي السمنة الزائدة في ضوء تقديم الدعم الصحي والنفسي والاجتماعي لهم ، كتوفير المعدات الطبية والرياضية المناسبة لهم (العزوطي ، 2016 ، ص3).

أشارت دراسة (Neil Schneiderman, Michael H. Antoni, Patrice G. Saab, Gail Ironson,2001) الى أن ميدان علم نفس الصحة يرتبط بإدارة الأمراض المزمنة وذلك من خلال الاهتمام بالجوانب النفسية والاجتماعية والسلوكية للمرض المزمن ، كما يؤكد الباحثون أن العوامل النفسية والاجتماعية تؤثر على تطور الأمراض المزمنة مثل أمراض القلب التاجية والسرطان وفيروس نقص المناعة البشرية (الإيدز) فقد أثبتت التدخلات النفسية والاجتماعية ان لها القدرة على تحسين نوعية حياة المرضى الذين يعانون من مرض مزمن. كما أنها تدخلات مفيدة لإبلاغنا بالظروف التي يمكن في ظلها أن تكون التدخلات النفسية-الاجتماعية بمثابة مواد مساعدة (مثل التدريب على الالتزام) للعلاجات الطبية.

كما أكدت الدراسات على أهمية الوعي الصحي لدى النساء المصابات بالسمنة وذلك ما تؤكده دراسة(Ohofeitimi,Adeyeye,Fadiora and other,2007,p:502) على أنه من الرغم من أن المرض المزمن الذي تم ربطه بالسمنة ، فإن الدارسين الذين يركزون على معدل انتشار السمنة ومستوى الوعي المجتمعي والمخاطر الصحية واستراتيجيات الوقاية من السمنة ومكافحتها يختلفون حسب ثقافاتهم المجتمعية حيث هدفت الى تقييم مستوى الوعي بالمخاطر الصحية للسمنة وفقًا لدرجة السمنة باستخدام مؤشر كتلة الجسم ، وفي نفس السياق الذي يؤكد على أهمية الوعي للتصدي لمخاطر السمنة تؤكد دراسة (Kelly,2005,p8 ;) والتي تركز على تعزيز سلوك الغذاء الصحي وأهمية التوعية الغذائية في تفادي الاصابة بالسمنة ، بالاضافة الى دراسة (Mokdad,Ford,Bowman,Dietz,Vnicor and Other,2001) ودراسة (Ike S. Okosun and G.E. Alan Dever,2002) التي أكدت على ضرورة تنمية الوعي الصحي لتجنب الاصابة بالاعراض المرضية والاصابة بالسمنة ، كما نجد الدراسة التي أجرتها منظمة الصحة العالمية(2003) والتي تؤكد على الصحة والتنمية من خلال النشاط البدني والرياضي ، وتؤكد دراسة(Hesketh, Waters, Green, Salamon and Williams,2005) على أهمية الأكل الصحي وممارسة النشاط الرياضي للوقاية من السمنة.

الأبعاد الرئيسية للصحة العامة

توجد العديد من الأبعاد المتداخلة للصحة ، حيث حددها بسّام (2001) في أبعاد رئيسية وهي كالتالي:

– **الصحة البدنية والجسمية:** تتطلب الصحة البدنية تغذية جيدة ووزن مناسب للجسم وتمارين هادفة

وراحة كافية بما يضمن القدرة على القيام بالأعمال اليومية المختارة بكفاءة عالية ، الاحتفاظ بطاقة الجسم لاستخدامها في النشاطات المختلفة ، قيام الجسم بوظائفه الفيسيولوجية على أكمل وجه ، خلو الجسم من العيوب والتشوهات ، التمتع باللياقة البدنية والقوام السليم.

– **الصحة العقلية:** ويتم الوصول اليها عن طريق افراز مواد كيميائية تقضي على الضغط العصبي وتخلق إحساسا بالراحة النفسية تشمل: التغذية السليمة والمتوازنة ، الوقاية من الأمراض.

– **الصحة الاجتماعية:** وتشمل ما يلي: حسن التصرف في المواقف الصعبة ، القدرة على التعامل مع الآخرين (بسّام ، 2001 ، ص110).



شكل (01): يوضح الأبعاد الرئيسية للصحة العامة
(بسّام ، 2001 ، ص110)

يمكن القول إن علاقة السلوك بالصحة علاقة وثيقة ومتواصلة ، إذ تؤثر الواحدة في الأخرى تأثيراً كبيرا وهذا يعني أن انخفاض الوعي الصحي أساسه في الواقع أساس تربوي ، لأنه يرجع إلى اكتساب الفرد السلوك الصحي السليم وأن عملية تنمية الوعي الصحي تتطلب الإلمام بموضوعات التربية الصحية وأهمها ميدان الصحة العامة وإدراك عوامل الوقاية من الأمراض بالاضافة الى ضرورة اتباع التغذية الصحية فضلاً عن الاهتمام بالبيئة ونظافتها لكونها عوامل تتضمن سبل تعزيز الصحة النفسية والجسدية.

مكونات الوعي الصحي

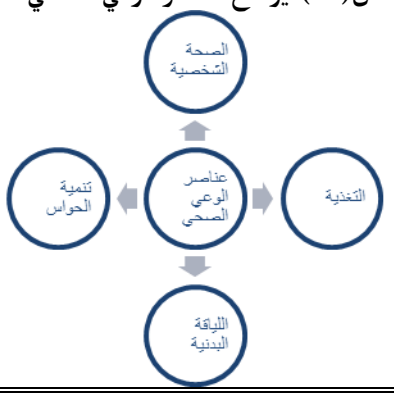
من أهم مكونات الوعي الصحي هي تلك المعارف والمعتقدات التي يكونها الفرد عن الأمور والقضايا والمشكلات الصحية والأمراض ، وكما في المشكلات الصحية المزمنة كالتدخين والادمان والاصابة بالامراض الجنسية والسمنة فإن مكافحة هذه المشكلات والتصدي لها تعتمد على تغيير أنماط حياة وعادات الأفراد السلوكية في مجالات محددة ، وحجر الأساس في هذا التغيير هو المعرفة والتي تعني المعرفة الأولية بالعوامل والمسببات التي تؤدي إلى هذه المشكلة الصحية ، والمعرفة الصحية التي نعنيها هنا تحدّد بمجموعة المعلومات والخبرات والمدركات التراكمية التي يحصل عليها الانسان من المصادر الموثوقة حول الحقائق والآراء الصحية والتي تشكل عاملاً مهما في الوقاية من المرض ورافدا من روافد تحسين الصحة وترقيتها(العربي ، 2007 ، ص645).

كما تعددت الآراء حول عناصر الوعي الصحي

حيث اعتمدت جميع الآراء في تحديدها لهذه العناصر على ما ينبغي أن يكتسبه الفرد وهو قدر من المفاهيم والمعلومات والمهارات والاتجاهات والسلوكيات التي يحتاجها الفرد التي تتعلق بالجوانب الجسمية والنفسية والجنسية بحيث تمكنه من ممارسة السلوك الصحي السليم ، وحددها جراد (2016) كما يلي:

الصحة الشخصية وأجهزة الجسم وتشمل (معرفة أجهزة مختلفة ، المظهر الشخصي ، كيفية المحافظة على أجهزة الجسم ، الموازنة بين أوقات النوم والنشاط والراحة)، التغذية وتشمل(العادات الغذائية الحسنة ، أمراض سوء التغذية ، مناسبة الغذاء للعمر)، الوقاية من المرض ، صحة الفم والأسنان وتشمل (المحافظة على الأسنان واللثة)، التدخين والعقاقير تشمل (الامراض التي يسببها التدخين ، آثار التدخين على المجتمع ، سوء استخدام العقاقير)، اللياقة البدنية تشمل (ممارسة التمرينات الرياضية)، التلوث وصحة الانسان تشمل (عوادم السيارات والحوادث والإشعاعات)، تنمية الحواس تشمل (المحافظة على الحواس الخمسة) (جراد ، 2016 ، ص33).

شكل(02): يوضح عناصر الوعي الصحي



(جرّاد ، 2016 ، ص33)

يمكن القول إن الوعي الصحي يعتبر متغيرا أساسيا للحفاظ على الصحة ، حيث دعا اليه الباحثون والاخصائيون في

مجال الصحة ويؤكدون على أنه من المطالب الأساسية للارتقاء بالصحة.

سمات الشخص الواعي صحيا

ترى عليان (2016) أن أهم صفات الشخص الواعي صحيّاً يمكن تحديدها من النقاط التالية:

يسعى دائما للتعرف على المشكلات الصحية وأسبابها وكيفية الوقاية منها، خصوصا بما يتعلق بالأمراض الحديثة، يبادر لحل المشكلات الصحية بنفسه ويحاول توصيلها للآخرين، يمارس العادات الصحية الصحيحة والسليمة باستمرار، يتميز بالقدرة على التكيف مع نفسه ومجتمعه، يستطيع الالمام بالمعارف المتعلقة بالأمراض المنتشرة في المجتمع وكيفية الوقاية منها، يتميز بحب الاستطلاع والبحث والاستكشاف المتواصل نحو الموضوعات التي تتعلق بصحته وكيفية المحافظة عليها والوقاية من الأمراض (عليان، 2016، ص72).

على العموم يمكن القول بأن الشخص الواعي صحيا هو الذي يدرك المعايير الرئيسية للحفاظ على صحته ويتجنب العوامل التي قد تتسبب في ظهور الأعراض المرضية، بالاضافة أننا نجده يتسم بالعادات الصحية السليمة والتي تلازمه في حياته اليومية.

جوانب الوعي الصحي

ينبغي أن تشمل عملية التوعية الصحية جميع مجالات الحياة، فلا تقتصر على جانب واحد دون غيره، فيتعين أن يوفرها المنزل، وهنا تقع على الأم بالذات مسؤولية كبرى في غرس القيم والآداب الصحية في أبنائها، وتعويدهم على السلوك الصحي وعلى الالتزام بالنظافة الشخصية والعامة، ويتعين أن تحرص المدرسة على أداء رسالتها في نشر الوعي الصحي بين طلابها بحيث ينشؤون على العادات الصحية الجيدة، وبالمثل فإن لكل من الجامعة والمؤسسات الإعلامية ومؤسسات العمل، والإنتاج دورا رئيسيا في بث الوعي الصحي وغرسه وترسيخه وتأصيله في نفوس أبناء المجتمع، بل أن المجتمع برمته مطالب بأن يسهم في نشر الوعي الصحي، وتدريب الناس على الالتزام بالقواعد الصحية السليمة، ومن هنا فإن رسالة الوعي الصحي لا يمكن إلقاء مسئوليتها كلية على المؤسسات الطبية في المجتمع وحدها، إذ لا بد من تضافر جميع القوى وتعاونها في هذه المهمة الخطيرة. وإذا كنّا نؤمن بتضافر القوى وتعاونها، فإن مؤدى ذلك أن وسائل التثقيف الصحي لابد أن تتسم بالعمق وبالشمول، ذلك لأننا إذا اقتصرنا على جانب واحد، فإن ما تقيمه المدرسة في هذا الصدد مثلا يهدمه البيت. ومن هنا فإن وسائل نشر الوعي الصحي، وتأصيله لا يمكن أن يقتصر على مجرد وسيلة بعينها كإصدار نشرة طبية أو وضع ملصقة، أو إذاعة برنامج، وإنما لابد وأن تشمل كذلك إلى جانب القدوة الحسنة، والمثال الطيب الذي يقتدى به والحقيقة أننا أبناء حضارة هي بحق أرقى الحضارات التي عرفتها الإنسانية قاطبة، فليس غريبا علينا، ونحن أبناء أمة الإسلام، أن نلتزم بالقواعد الصحيحة، وقد دعانا إسلامنا الحنيف لكل ما يحفظ على الإنسان صحته، ويجعله قويا نظيفا طاهرا عفيفا معتدلا ومن هنا فإن للوعي الصحي أصوله العميقة التي تنبع من تراثنا الإسلامي ، ذلك التراث الخالد الذي ينبغي علينا أن نعود إليه قولا وفعلا فنهتدي بهديه ونسير على نهجه، فلقد سبق الإسلام جميع المدارس الغربية سواء في الطب أو في الوعي الصحي(شعباني ،2006،ص223-224).

مجالات الوعي الصحي

لا يقتصر الوعي الصحي على جانب معين من الأمور المتصلة بالصحة، ولكن الوعي يتسع مجاله ليشمل كافة العناصر والتي هي ضرورية لكي يكون الإنسان متمتعا بصحة جيدة، وهذه العناصر متداخلة بشكل يصعب فصلها، لأنها متشابكة بطبيعتها ويؤثر بعضها في الآخر، ولكن ذكرها على شكل عناصر قد يكون أكثر توضيحا.

أولا: الصحة الشخصية: وتشمل البيئة المنزلية الصحية، والنظافة الشخصية، والتغذية الصحية. ويشمل هذا المجال النظافة والمشاكل الناتجة عن قلة النظافة، النظافة الشخصية، نظافة المنزل، نظافة الطعام والشراب ونظافة الشارع (الشافعي ،1997، ص2).

ثانيا: الأمان والإسعافات الأولية: ويهدف إلى توعية الأفراد للعناية بأمنهم وسلامتهم الشخصية حتى يستطيعوا تجنب المخاطر والحوادث الفجائية، واتخاذ القرارات الكفيلة بتقليل نسبة الإصابات في حال وقوع الحوادث سواء في المنزل، أو المدرسة أو الشارع ويشمل إسعافات النزف، الحروق، التسمم، اللدغات العضات، الحرائق، الكسور والجروح.

ثالثا: صحة البيئة: وتهتم بغرس المفاهيم البيئية بشأن المحافظة على صلاحية البيئة التي يعيش فيها الأفراد وباقي الكائنات الحية. وصحة البيئة هو العلم الذي يبحث في البيئة من الناحية الصحية ومدى صلاحيتها لمعيشة الفرد والكائنات الحية (فضة وفاء منذر ،2004، ص49)

رابعا: الصحة العقلية والنفسية: وتهدف إلى تحقيق الكفاءة النفسية والعقلية لدى الأفراد بغية التحكم في انفعالاتهم الداخلية والتقليل من المؤثرات الخارجية على وجدانهم ، وحمايتهم من الإصابة بالأمراض النفسية والعقلية.

خامسا: التبغ والكحوليات والعقاقير: ويتعلق هذا بإبراز الأضرار الفسيولوجية والنفسية والاجتماعية نتيجة تعاطي التبغ والكحوليات وسوء استخدام العقاقير. وتكمن أهمية هذا المجال في الأخطار التي يسببها التدخين ، وانتشار الظاهرة على مستوى العالم ، وتشير إحصائيات إلى أن هناك تزايدا مطردا في أعداد المدخنين سواء في الدول المتقدمة (مثل الولايات المتحدة) أو دول العالم الثالث (مثل مصر) ، كما يلاحظ أن الزيادة هي أكثر بالنسبة للمراهقين والفتيان الذين هم في مقتبل العمر أو دون العشرين عاما ، سواء كان هؤلاء الفتيان في دول نامية أو دول متقدمة ، والفارق بين العالمين ، هو تزايد نسبة المدخنات في العالم المتقدم بدرجة تقترب من نسبة المدخنين فيه أو بنسبة المدخنات في العالم المتقدم أو الغربي(شحاتة ،1991 ،ص20)

سادسا: الأمراض والوقاية منها: وتهدف إلى الوعي بالأمراض وكيفية انتقالها ، ومنع أو الحد من انتشارها ، والتعرف على الأمراض المعدية والأمراض غير المعدية. كان العلماء يظنون أن الميكروبات هي وحدها المسئولة عن حدوث المرض ، غير أنه تم التعرف على العوامل الأخرى المسببة أو المساعدة على المرض.

وقد عدد (محاسنة ،1991 ، ص82) مسببات المرض:

1- المسببات الحيوية: مثل الفيروسات ، البكتريا ، الطفيليات (الدقيقة والمرئية) والفطريات.

2- المسببات الغذائية: والتي تؤدي قلتها أو زيادتها إلى أمراض مثل :(الشاعر وآخرون ،2001 ، ص17)

- زيادة الدهون يؤدي إلى السمنة وتصلب الشرايين.
- نقص البروتينات يؤدي إلى الهزال عند الأطفال.
- نقص فيتامين يؤدي إلى الكساح ، ونقص فيتامين ب ١٢ يؤدي إلى الأنيميا الخبيثة
- نقص الماء يسبب الجفاف في حالات النزلات المعوية أو الكوليرا

3- المسببات البيوكيميائية والوظيفية: وهي التغيرات التركيبية للأنسجة أو الوظيفية (الإختلالات الهرمونية) التي تؤدي إلى ظهور اختلالات مرضية.

4- المسببات الطبيعية والميكانيكية: وتشمل التغيرات في العوامل الطبيعية (الحرارة ، الضوء ، والرطوبة ، والضوضاء ، والإشعاعات)، الميكانيكية (الحرائق ، وسقوط الأشياء والأشخاص ، البراكين ، الفيضانات)

5- المسببات النفسية والاجتماعية: مثل الضغط العاطفي ، وضغط الحياة الحديثة ، والإحساس بالمسؤولية ، وعدم الأمان في العمل ، والإدمان. :(الشاعر وآخرون ،2001 ، ص18).

6- مسببات كيميائية: وتكون خارجية من البيئة مثل التسمم بالرصاص في مصانع البطاريات ، أو الزرنيخ ، أو داخلية مثل التسمم البولي في حالات مرض الكلى ، أو التسمم الكبدي.

سابعا: صحة المستهلك: ويهدف إلى المحافظة على صحة المستهلك وحمايته سواء أكان عن طريق الالتزام بالحقائق عن الإعلان عن الأطعمة ، أو تقييم الحملات الدعائية ، والتأمين الصحي ، وتصويب المعتقدات غير الصحية ، وكذلك البدع والخرافات.

ثامنا: التربية الجنسية: والتي تهدف إلى توعية الأفراد بالتكوين التشريحي والوظيفي للجهاز التناسلي في الإنسان ، والزواج والأمومة ، والأبوة ، ومراحل تكوين الجنين ، والمشكلات الجنسية الصحية. وعند استخدام لفظ الجنس فإننا لا نكون قاصرين المفهوم على ذلك ، بل ينسحب المعنى الى نطاقات أخرى لا تتصل بالجوانب الجسمية مباشرة ، وذلك كالعواطف والأفكار والبواعث التي قد لا تبين عن الجنس أو الدافع الجنسي (ميخائيل ،1995 ، ص5).

أسلوب الحياة والسمنة

أ- النشاط الرياضي كسلوك صحي والسمنة

تعدّ الرياضة خطوة أساسية للراشدين ، حيث أن المفاهيم السائدة في مجتمعنا العربي كانت ولا تزال تطالب

الشباب بالإقلاع عن اللعب ومزاولة الرياضية لأنهم قد كبروا وأصبحوا رجالا أو اناثا ناضجين، وهكذا نجد قلة من شباب الجامعات والمصانع يمارسون الرياضة بينما الغالبية منهم قد أقلع حتى عن مزاولة الألعاب الترويحية التي كانوا ينعمون بمزاولتها قبل ذلك، والأخطر من ذلك أن شبابنا وخاصة الذكور منهم يلجئون في معظم الأحيان الى التدخين لكي يؤكدوا رجولتهم وهو عادة بداية مشجعة على ممارسة أمور أخرى أشد خطرا على الصحة العامة.

إن الشباب يعني القوة والرياضة هي أفضل الوسائل لإبراز هذه القوة والحيوية والمحافظة عليها ووضعها في الشكل الملائم لشباب اليوم، هذه هي المفاهيم التي يجب أن تسود بين شبابنا الذي هو نصف الحاضر وكل المستقبل.

ويؤكد عبد الوهاب(1995) أنه إذا كان الشباب ممارسا للرياضة في صباه فعليه الاستمرار في المزاولة حفاظا على صحته، ويجب أن تعرف كل شابة أن المحافظة على وزنها الذي يبدأ في الازدياد في هذه السن لا يأتي فقط عن طريق النظام الغذائي (الرجيم) وإنما بالرياضة والنظام الغذائي معا، فالشباب يعني الانتاج وكلما كان شبابنا في صحة وقوة أفضل كان ذلك مؤشرا على تحسن الانتاج والمظهر العام والقوام، فالشاب أو الشابة الذي يمارس الرياضة تكون صحته أفضل وأقل عرضة للمرض كما أن ثقته بنفسه تكون عالية ومظهره من حيث القوام والشعر والأسنان والوجه وغير ذلك أكثر حيوية(ص64) ويضيف أن الاهتمام بممارسة النشاط الرياضي لدى الأشخاص البالغين هدف قومي يجب أن تسعى اليه جميع المجتمعات حيث يكون الشخص البالغ في قمة مرحلة العطاء ويصبح مسؤولا عن أسرة يعولها ويرعاها لذا فإن إهماله مزاولة الرياضة قد يعرضه لمشاكل صحية، كما أثرت المدنية الحديثة في الشخص البالغ تأثيرا كبيرا فأصبح عرضة للإصابة بأمراض الراحة وأهمها أمراض القلب والجهاز الدوري التنفسي، وكلها أمراض إما أن تؤدي بحياته أو تطرحه عاجزا في سرير المرض لسنوات طويلة، لذا عنيت كل المجتمعات المتقدمة بتوفير الامكانيات اللازمة لممارسة النشاط الرياضي وفي ذلك يسعى البالغون في كل مؤسسة وكل مصلحة، كما وعت الشعوب الأوروبية الامريكية أهمية الرياضة لمن هم في مرحلة منتصف العمر حفاظا على الأيدي والعقول المدربة ، واذا كانت الرياضة في مرحلتي الطفولة والشباب أمرا مهما فإن ممارستها بعد ذلك للبالغين أمر أكثر أهمية(عبد الوهاب، 1995، ص67)

من خلال ما تم طرحه يمكن القول أن النشاط الرياضي له دور كبير في مجال الصحة النفسية، ذلك ما يستدعي تزايد الوعي بأهمية أسلوب الحياة في تطوير حياة الفرد إلى الأفضل وتطوير مجالات جديدة تستخدم التمرينات الرياضية كنوع من العلاج مثل مجالات الصحة النفسية والطب السلوكي.

ولقد أصبحت السمنة أمرا غير مرغوب فيه سواء للرجال أو النساء على حد سواء، وهي لا تحدث نتيجة الافراط في تناول الطعام فقط، بل ان الأبحاث قد أثبتت أنها تحدث نتيجة الافراط في الراحة والكسل وعدم بذل الجهد البدني، كما أن ممارسة النشاط البدني لمدة (30)دقيقة يوميا يؤدي إلى نقص في الوزن قدره (11) كيلو جرام سنويا، بشرط أن يظل معدل استهلاك الطعام ثابتا، إن أي قطعة خبز أو زجاجة مياه غازية اضافية تعطى(100)سعر حراري زيادة يوميا للجسم، كفيلة بأن تزيد الوزن بحوالي خمسة كيلو جرامات سنويا، إلا اذا زادت كمية النشاط البدني بنفس القدر الذي يخلص الجسم من هذه الزيادة.

ولقد أوضحت الدراسات أن الأشخاص المصابين بالسمنة لا يأكلون أكثر من غيرهم من الأشخاص ذوي الوزن العادي إلا أن نشاط هؤلاء الأشخاص كان دائما أقل وهذا السبب في زيادة وزنهم أساسا، كما أن الكثير من المصابين بالسمنة يصيبهم اليأس من محاولة ازالة هذه السمنة عن طريق ممارسة الرياضة خاصة عندما يعرفون أن الشخص يحتاج لأن يمشي لمسافة طويلة جدا ليتخلص من كيلوجرام واحد من الدهن، والخطأ هنا أن البعض يتصور أنه يجب أن يمشي هذه المسافة مرة واحدة لكي يتخلص من هذه الكمية من الدهن، وهو تصور خاطئ إذ يمكن للشخص أن يتخلص من هذا الوزن بالحركة والنشاط على فترات متقطعة، فهو يستطيع أن يتخلص من هذا الكيلوجرام لمجرد المشي كل يوم(5,2)كيلو متر لمدة شهرين وهو أمر سهل فإذا واظب على هذا النشاط يوميا فإنه يتخلص من(6)كيلوجرامات سنويا حتى لو حافظ على كمية الطعام التي يأكلها ثابتة، فإذا أضاف الى ذلك بعض التعديل في نظام غذائه بأن يقلل من الكميات، ويستبدل بعض الأنواع الغنية بالسعرات الحرارية لأمكنه أن يتخلص من ضعف هذا الوزن(12كيلوجرام) سنويا دون ارهاق، وعلى ذلك فإن المعادلة تقول للتخلص من الدهون المختزنة يجب الأكل أقل والتحرك أكثر(عبد الوهاب، 1995، ص80).

نستنتج أن هناك اتصالا وثيقا بين النفس والجسم، فالنفس تؤثر في الجسم وهو الآخر يؤثر في النفس ولا انفصال بين هذا وذاك، لذلك نجد أن النمو الجسمي يؤثر في جوانب النمو الأخرى العقلي والنفسي والاجتماعي وأن ممارسة النشاط الرياضي يؤثر على الحالة الصحية للفرد سواء من الناحية الفيزيولوجية والهرمونية أو من الناحية النفسية.

ب- السمنة والعادات الغذائية كسلوكيات صحية

تعد التغذية المتنوعة والمتوازنة والنشاط البدني، من أهم العوامل في تحقيق الصحة، إذ تسمح التغذية المتوازنة بالنمو الطبيعي للفرد، مع الحفاظ على الصحة انطلاقا من تغطية الاحتياجات اليومية، وإمداد الجسم بالعناصر الغذائية الضرورية التي يحتاجها. إن غذاءنا يساعدنا في البقاء على صحة جيدة من خلال الاختيار الأمثل للغذاء حيث يعمل على حمايتنا من عديد الأمراض، على غرار السكري والبدانة توجد معادلة دقيقة لمواد غذائية معينة لذلك وجب إتباع نظام غذائي ونمط حياة مناسب وآمن بالاعتماد على العناصر الغذائية الضرورية، في ظل احتياجات الفرد هذه من جهة، مع تجنب الوقوع في دائرة الخطر من جهة أخرى. وعلى هذا الأساس فان الحاجة إلى الغذاء تعتمد على احترام الإحساس بالجوع والإحساس بالشبع، وعلى مبدأ مهم يسمح بالاختيار الأنسب للأغذية المفيدة للصحة (Le guide Alimentaire pour tous, 2007,p.7)

أهمية الوعي في النظام الغذائي :ويهدف إلى الوعي الغذائي للأفراد على جميع المستويات الاجتماعية والاقتصادية بما يحقق عادات صحية سليمة ، ولا يشمل هذا المجال فقط الأغذية وأنواعها ، وإنما هو : علم يبحث في العلاقة بين الغذاء والجسم الحي ، ويشمل ذلك تناول الغذاء وهضمه وامتصاصه وتمثيله في الجسم وما ينتج عن ذلك من تحرير الطاقة وعمليات النمو والتكاثر وصيانة الأنسجة والإنتاج كفي العلاقة بين الغذاء والجسم الحي، ويشمل ذلك تناول الغذاء وهضمه وامتصاصه وتمثيله في الجسم وما ينتج عن ذلك من تحرير الطاقة وعمليات النمو والتكاثر وصيانة الأنسجة والإنتاج كإنتاج الحليب والبيض ، وكذلك التخلص من الفضلات(قطاش ،رشدي ،2004 ،ص13).

كما تعتبر السمنة من بين الظواهر التي ازدادت انتشارا في العالم هذه السنوات الأخيرة، ولم تقتصر على بلد أو دولة دون أخرى بل مست جميع دول العالم مع اختلاف نسبة انتشارها نظرا للعوامل والمسببات الفاعلة في حدوث السمنة. فبالنظر إلى هذه العوامل نجد أن كل إنسان عرضة للسمنة ولذلك فانه وبمعرفة أسباب الحدوث يمكن أن نتصدى لهذه الظاهرة (السمنة) في إطار ما يسمى بالوقاية أو اتخاذ التدابير اللازمة لمكافحتها في حالة حدوثها، بالتركيز على البعد الوقائي الصحي.

يعدّ الغذاء أبرز الشروط التي يعتمد عليها الانسان من أجل البقاء على قيد الحياة فالطعام يزود الانسان بالمواد والعناصر الغذائية التي يحتاجها الجسم من أجل أداء وظائفه كالبناء والهدم واصلاح الانسجة، ولكي ينظم عمل أجهزته وأعضائه، وعلى هذا الأساس فان الغذاء الذي يتناوله الانسان له علاقة مباشرة بصحته. فالغذاء الصحي يساعد في الحفاظ على الفرد من الإصابة ببعض الأمراض، كما أنه يساعده في الشفاء من أمراض أخرى. غير أنه وبالمقابل فإن أي وجبة غير صحية أو غير مناسبة تعرض الجسم إلى الخطر ولذلك فإن أفضل طريقة لضمان تلقي الجسم للعناصر الغذائية بشكل سليم هي تحقيق التوازن الغذائي والابتعاد عن الأضرار المختلفة ومن بينها السمنة. ولقد أشارت الإحصائيات الخاصة بمنظمة الصحة العالمية، والتي تعتبر السمنة كأحد عوامل الاختطار والإصابة بالعديد من الأمراض إلى وجود العديد من العوامل والأسباب التي تساهم في انتشار السمنة وعلى رأسها قلة الحركة والمنتجات الغذائية المصنعة. وفي نفس السياق أشارت دراسة لمعهد ماكينزي العالمي عام (2014) إلى أن أكثر من (2 .1) مليار شخص في جميع أنحاء العالم أو ما يقترب من (30 %)من سكان العالم يعانون من زيادة الوزن والسمنة، وتحذر الدراسة من أنه إذا لم يتم اتخاذ إجراءات لمكافحة السمنة، إذ أن عامل التغذية يلعب دورا هاما في تحديد الحالة الصحية ونوعية العيش بالنسبة للفرد، غير أن تدهور الحالة الغذائية حتما يقود إلى التعرض للمرض والاخلال بالصحة. فالتغذية يمكن أن تساعد الأفراد على العيش بحالة صحية جيدة فالإنسان في مرحلة الرشد معرض إلى الاصابة بالسمنة واكتساب أوزان هو في غنى عنها، تزيد من عبء هذه المرحلة فتعرض الراشد إلى أخذ وزن غير الوزن الضروري، ولعل من أهم العوامل المساهمة في تحديد إمكانية أخذ الوزن والتعرض إلى السمنة من عدمه والمعبر عنها من خلال مؤشر كتلة الجسم والصرف الطاقوي نجد

العادات الغذائية، كما قد يكون تطور الحياة المعاصرة والتقنيات الحديثة التي سهلت للفرد تلبية احتياجاته في الحياة اليومية سببا رئيسيا لحدوث الزيادة في الوزن حيث أنها سلبته الحرية في الحركة، فأصبح المصعد بديل عن الدرج والسيارة بديلة عن القدمين وغيرها من الظروف، ويجب علينا معرفة أن معظم أسباب السمنة هي غير مرضية كما هو معروف لدى عامة الناس، وتكون بسبب قلة الحركة وكثرة الأكل ويجب علينا أيضا أن ندرك أن السمنة هي نتيجة عن سلوك خاطئ انتهجه الفرد اليوم، وأن عمليات الأخذ الغذائي بكميات غير متزنة أو بكميات مبالغ فيها بعيدا عن حاجة الفرد(الجسم) حتما سيؤدي إلى خلق رصيد إيجابي من الطاقة، وبالتالي امتصاص السعرات الحرارية أعلى من الصرف الطاقوي، أما الفائض سوف يتم تخزينه دون التفريط فيه، ويخزن بشكل متكرر ليكون ذلك الوزن الزائد من الوزن الطبيعي، ومن أجل زيادة تفسير هذا العامل (النمط الغذائي) يتم الاعتماد على الميزان الطاقوي الذي يعطينا صورة واضحة على ما يتناوله الإنسان، من مواد غذائية ممثلة بالعناصر الغذائية المعبرة عن السعرات الحرارية، التي تدخل إلى جسم الإنسان في طرف من هذا الميزان، أما الطرف الآخر فيمثل الصرف الطاقوي المرتبط بالأيض القاعدي والتعديل الحراري للجسم والنشاط البدني فإن النمط الغذائي الذي يتناوله الإنسان يعد عاملا فعالا في إحداث خلل على مستوى وزن الفرد، إذ يظهر عمليات ارتفاع خزانات الدهون في حالة ميل الكفة باتجاه الأخذ الغذائي (Apport) وتنخفض هذه الخزانات عند ميل الكفة لصالح الصرف الطاقوي (Dépense) وتبقى في حالة اتزان عندما تتساوى الكفتان من ناحية الأخذ والصرف، والتي تمثل الاستمرار في الوزن الخاص بالفرد، وعلى الرغم من التعديل الفيسيولوجي الذي يقوم به الإنسان من أجل تسيير الوزن وخلق توازن طاقوي، فأخذ طاقوي زائد عن اللزوم يمكن أن يؤدي إلى أخذ وزن وبالتالي زيادة في وزن الجسم وأن أي خلل على مستوى التوازن الطاقوي يؤدي إلى أخذ الوزن، كما أن عملية أخذ الوزن تتم على مراحل، وقد أشارت منظمة الصحة العالمية إلى هذه الديناميكية وتمكن الخبراء والباحثون في مجال التغذية والصحة وظاهرة السمنة إلى تفسيرها، وذلك من خلال مراحل معينة متعلقة بالتوازن الطاقوي القائم على الأخذ الطاقوي والصرف الطاقوي في ظل احتياجات الفرد وتظهر من خلال مراحل، حيث تتضمن المرحلة ما قبل البدانة والتي يظهر على الفرد وفي مدة طويلة توازن طاقوي ووزن ثابت وتليها المرحلة الديناميكية التي يظهر على الشخص زيادة في الوزن نتيجة ارتفاع في الاخذ الطاقوي على الصرف خلال فترة طويلة وتنتهي بمرحلة السمنة وتشهد هذه المرحلة عودة التوازن الطاقوي لكن الوزن يتخذ الشكل الجديد بعد عدم التوازن السابق الناتج عن الأخذ الطاقوي المرتفع (العزوطي، 2016، ص2).

كما أشارت منظمة الصحة العالمية في التقرير الذي نشرته عام 2003 حول البدانة وأخذ الوزن إلى أن البدانة هي ناتج لعدم توازن طاقوي بمعنى ما يأخذه الفرد من مواد غذائية يتعدى عمليات الصرف خلال فترة طويلة، بمعنى أخر عدد كبير من السعرات الحرارية مقابل صرف طاقوي منخفض، ينتج عنه فائض من السعرات الحرارية يتم تخزينها في المناطق الخاصة بالتخزين على شكل دهون (شحوم) وهذا خلال فترة زمنية طويلة قد تكون لسنوات من الزمن.

هنا يتضح جليا أهمية الوعي الصحي الذي أضحى اليوم مفهوما ذا أهمية كبيرة للمجتمعات المعاصرة وكميزة أساسية للحضارة من جهة، ومن جهة أخرى عامل وقاية وتصدي لانتشار ظاهرة السمنة والتي جعلت الكثير من الباحثين للاهتمام بهذا الموضوع، فالوعي الصحي يتضمن مجموع الأفكار والمعلومات والمفاهيم ذات العلاقة بالصحة التي يكتسبها الفرد من بيئته الشخصية والعامة.

كما تؤكد الدراسات أن النشاط اليومي البدني له علاقة بنسبة الدهن ووزن الجسم من خلال بعض الدراسات

حيث يشير كل من أيمن الحسينى(1995) ورضوان محمد رضوان(2002) أن نوعية الحياة التى نعيشها والأعمال التى نمارسها تعتبر من أهم أسباب انتشار البدانة فى الوقت الراهن حيث أنها تساهم فى الإقلال من الجهد العضلى ومن أنواع الحركة المقصودة أو غير المقصودة ، فالكثير من الأفراد لا يستهلكون جميع السعرات التي يتناولونها خلال النشاطات اليومية (الحسينى، 1995، ص121)(رضوان، 2002، ص60).

ويضيف أسامة راتب وابراهيم خليفة (2004) أن زيادة السمنة في السنوات الأخيرة ترجع الى النقص الواضح لمستويات النشاط نتيجة للتقدم التكنولوجي والذي انعكس بدوره على زيادة الجلوس وعدم الحركة كأسلوب لحياة البشر، ولذلك فمن الأهمية ممارسة النشاط الرياضي كوسيلة هامة لتجنب حدوث السمنة أو علاجها (خليفة، 2004، ص259).

كما يشير كل من أبو العلا عبد الفتاح ومحمد صبحى حسانين(1997) أن ممارسة التمرينات الرياضية بصورة منتظمة تؤدى إلى حرق السعرات الحرارية الزائدة عن حاجة الجسم ، كما ينتج عن الطاقة الناتجة عن الاحتراق تطوير مجموعات العضلات المختلفة في الجسم وفى هذه الحالة قد يزداد الوزن فالفرد الرياضى أو الفرد من الفرد غير العضلى (السمين) ومن ثم فقد تؤدى التمرينات إلى زيادة الوزن فى العضلى أثقل وزنا الوقت الذى يحدث فيه التخلص من المواد الدهنية ، ولكن زيادة الوزن هذه تكون نتيجة زيادة حجم العضلات(عبد الفتاح ، 1998 ، ص47)(حسانين ، 1997 ، ص370).

ومن خلال ما تم عرضه يتضح جليا أهمية ممارسة النشاط اليومي البدني ودوره في التحكم بنسبة الدهن ووزن الجسم.

وقد تعدّت تأثير أضرار السمنة على الجانب الجسدي الى التأثير على الجانب النفسي ، حيث ترتبط السمنة لدى الكثيرين بتقدير منخفض للذات بسبب ما يعرف بوصمة الوزن الزائد كما يشير العزوطي(2016) الى أن أغلب الأبحاث وجدت أن الأفراد الذين يعانون من وصمة الوزن الزائد يعانون من الاكتئاب والقلق والعزلة الاجتماعية ، ونقص في التوافق النفسي اكثر من الناس العاديين ، كذلك يستجيب بعض الراشدين (البدناء) لوصمة الوزن الزائد أو للاتجاهات السلبية نحوهم بالموافقة والقبول مما يؤدي إلى زيادة تعرضهم لتدني تقدير الذات ، وبذلك يتحمل البدناء مسؤولية ما يتعرضون له من اتجاهات سلبية ، إذ ان موافقتهم وعدم تحديهم للصور النمطية عن السمنة المفرطة يديم ويعزز المعتقدات السلبية عن البدناء في المجتمع مقابل تفضيل الوزن المثالي والصحي. فضلا عن ذلك تكون لوصمة الوزن الزائد نتائج سلبية على سلوكيات الاكل ، وذلك من خلال محاولات التدخل القاسية في خسارة الوزن ، كما تكون له نتائج عكسية لدى بعض الراشدين في ضوء تناول المزيد من الطعام استجابة لوصمة الوزن الزائد ، إذ تنعكس المعاناة من هذه الوصمة على الصحة البدنية في سياق التهرب من خدمات الرعاية الصحية بسبب التحيز في البيئات الطبية(ص2) ورغم ذلك فإن من غير المعروف إذا ما كانت وصمة العار تؤدي الى تدني سلوكيات الرعاية الذاتية أو تساهم في ظهور تعقيدات إضافية في تزايد الحالة المرضية للسمنة.

بعض الاقتراحات والتوصيات

– محاولة إدخال مواضيع خاصة بالسلوكيات الصحية والأمراض في المناهج عبر كل الأطوار التعليمية مع تزويد المدارس بالنشرات والملصقات التي تنمي الوعي الصحي.

– ضرورة الاهتمام بموضوع الوعي الصحي كبعد من أبعاد الوقاية الأولية.

– فتح نوادي ذات اهداف تربوية ورياضية والتشجيع على الانخراط فيها والجمعيات الرياضية المعتمدة حسب رغبة الراشد في نوع الرياضة التي سيمارسها.

خاتمة

على ضوء ما تم تقديمه يتضح جليا أهمية الوعي الصحي كمتغير صحي يهدف الى ممارسة السلوكيات الصحية والتي تعتمد بالدرجة الأولى على تزويد الفرد بالمعلومات الصحية التي تدفعه نحو التوجه للنشاطات الصحية والرياضية ، لما لها من تأثير ايجابي في حمايته ووقايته من الأمراض المختلفة وتزويده بلياقة بدنية حسنة والتخفيف من الأعراض المرضية الناجمة عن السمنة ، كما أن التظافر من أجل تشكيل مجتمع يطمح الى تحقيق مستوى عال من الارتقاء بالصحة يتطلب وعيا صحيا لدى كل من الفرد والمجتمع معا بما ينعكس على المعارف والاتجاهات والسلوكيات والصحة النفسية والجسدية عموما.

الهوامش

* أبو العلا عبد الفتاح (1998): **بيولوجيا الرياضة وصحة الرياضي** ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربى ، القاهرة.
* ابراهيم كاظم فرعون. **التربية الصحية والبيئية** ، مطبعة الرائد ، العراق.
* أسامة راتب خليفة (1977): **علم النفس الرياضة** ، دار الفكر العربي ، القاهرة.
* أسامة كامل راتب (2004): **النشاط البدنى والاسترخاء مدخل لمواجهة الضغوط وتحسين نوعية الحياة** ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربى ، القاهرة.
* أسعد يوسف ميخائيل (1995): **أسس التربية الجنسية** ، دار النهضة للطبع والنشر ، القاهرة ، مصر.
* الشاعر عبد المجيد وقطاش ، رشدي (2004): **التغذية الصحية** ، اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن.
* الشاعر ، عبد المجيد وآخرون (2001): **الصحة والسلامة العامة** ، الطبعة الأولى ، اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن.
* أيمن الحسيني (1995): **التخسيس بالعصائر والأعشاب** ، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع ، القاهرة.
* بوجمعة ياسمين (2017)،" دور النشاط البدني الرياضي المكيف في التخفيف من السمنة لذوي الاحتياجات الخاصة ، دراسة ميدانية لفريق نور على الكراسي المتحركة لولاية المسيلة ، معهد علوم وتقنيات النشاطات البدينة والرياضية" ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة.
* حسين عبد الواحد الشاعر: **الطب الاجتماعي والأمراض المهنية** ، الدار القومية للطباعة والنشر ، مصر ، (د.ت).
* داليا عزت مؤمن (2004): **سيكولوجية الطفل والمراهق** ، الطبعة الأولى ، مكتبة مدبولي للنشر ، القاهرة.
* رابح دليلة (2011):"الاكتئاب لدى الراشدين المصابين بسرطان الرئة" ، رسالة ماجستير ، جامعة العقيد اكلي امحند اولحاج ، البويرة.
* رضوان محمد رضوان (2002):"**بيولوجيا الرياضة**" ، مذكرة ماجستير ، كلية التربية الرياضية للبنين ، جامعة الزقازيق.
* سلامة بهاء الدين (1984): **الجوانب الصحية في التربية الرياضية** ، الطبعة الأولى ، مكتبة المكرمة ، المكتبة الفيصلية ، الرياض.
* سلوى مرتضى ومحمد مروان عرفات (2011). التربية والتربية الرياضية ، ط2 ، جامعة دمشق ، كلية التربية ، دمشق.
* سليمة بلخيري ، نار سلاف (2014): "السلوك الصحي والتربية الصحية في المدرسة الجزائرية بين الواقع والمأمول" ، مقال في الملتقى الوطني الأول حول الصحة العامة والسلوك الصحي في المجتمع الجزائري ، أيام 21-22أفريل2014 ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية ، جامعة الطارف ، الجزائر.
* سمير أحمد أبو العيون ، **الثقافة الصحية** ، الطبعة الأولى ، دار المسرة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 2013.
* صليحة القص (2016):"فعالية برنامج تربية صحية في تغيير سلوكات الخطر وتنمية الوعي الصحي لدى المراهقين" ، رسالة دكتوراه ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، بسكرة.
* عبد العظيم قياز(1984): **المجلة العلمية للتربية البدنية والرياضية** ، العدد 07 ، كلية التربية البدنية والرياضية ، الإسكندرية.
* عبد القادر برقوق (2013):" الممارسة الرياضية للأبناء ودورها في تعزيز التواصل الأسري من وجهة نظر الاباء" ، مقال في الملتقى الوطني الثاني حول الاتصال وجودة الحياة في الأسرة ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، ورقلة.
* علاء الدين العزوطي(2019):"علاقة العادات الغذائية بالبدانة لدى المراهقين المتمدرسين(15-18سنة)"،دراسة ميدانية على تلاميذ المرحلة الثانوية لمقاطعة وادي الزماتي ولاية قالمة ، مقال في مجلة علوم وممارسات الأنشطة البدنية والفنية رقم09(1/2019)(مارس2016) ،معهد التربية البدنية والرياضية ، جامعة الجزائر3.
* علي بن حسن بن حسين الاحمدي ، مستوى الوعي الصحي لدى تلاميذ الصف الثاني الثانوي طبيعي وعلاقته باتجاهاتهم الصحية في المدينة المنورة ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، قسم المناهج وطرق التدريس ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، 2003.
* علي عبد الرحيم صالح ، **سيكولوجية التحيز ووصمة الوزن الزائد** ، دراسة في علم النفس الصحي ، شبكة العلوم النفسية العربية ، جامعة القدسية ، العراق.
* عليان حكمت عايش (2016):" برنامج لتنمية الوعي الصحي والمسئولية الاجتماعية باستخدام الفصول الافتراضية لتلاميذ المرحلة الاعدادية بغزة" ، رسالة دكتوراه ، غزة.
* فاروق عبد الوهاب (1995): **الرياضة صحة ولياقة بدنية** ، الطبعة الأولى ، دار الشروق ، القاهرة.
* فيصل محمد غرايبة (2008): **الخدمة الاجتماعية الطبية** ، الطبعة الأولى ، دار وائل للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن.
* كمال العجلوني: السمنة، **الصحة والسكري** ، المجلة الدورية عن المركز الوطني للسكري والغدد الصح والوراثة ، عمان ، الأردن.
* محاسنة إحسان علي (1991): **البيئة والصحة العامة** ، دار الشروق ، عمان ، الأردن.
* محمد أبو سمرة (2010): **الاعلام الطبي والصحي** ، الطبعة الأولى ، دار الراية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن.
* محمد أمين جراد (2016):"دراسة مقارنة لمستوى الوعي الصحي بين التلاميذ الممارسين وغير الممارسين لحصة التربية البدنية الرياضية في الثانوية" ، قسم تربية حركية ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة.
* محمد صبحي حسانين (1997): **فسيولوجيا ومورفولوجيا الرياضى وطرق القياس للتقويم** ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربى ، القاهرة.
* محمود عوض بسيوني ، فيصل ياسين الشاطر (1995): **نظريات وطرق التربية البدنية** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر.

* محمد عبد الله العابد أبو جعفر (2014): **علم النفس النمو. مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية** ، شعبة العلوم الاجتماعية ، ليبيا.
* منظمة الصحة العالمية (2016). **الصحة في أهداف التنمية المستدامة موجز السياسة 4**: الوعي الصحي ، برنامج الأمم المتحدة الانمائي.
* هارون بسام (2001): **الرياضة والصحة** ، الجامعة الأردنية ، عمان.

- Le guide Alimentaire pour tous. (2007). La sante vient en mangeant et en bougeant, Documentation de PNNS.

- Ike S. Okosun and G.E. Alan Dever:(2002), Abdominal Obesity and Ethnic Differences in Diabetes Awareness, Treatment, and Glycemic Control, OBESITY RESEARCH Vol. 10 No. 12 December 2002.

- K. HESKETH, E. WATERS, J. GREEN, L. SALMON and J. WILLIAMS, (2005): Healthy eating, activity and obesity prevention: a qualitative study of parent and child perceptions in Australia, Centre for Community Child Health, Murdoch Childrens Research Institute and University of Melbourne, Royal Children's Hospital, Parkville, Victoria, Australia, Health Promotion International, Vol. 20 No. 1 © The Author 2005. Published by Oxford University Press. All rights reserved. doi:10.1093/heapro/dah503 For Permissions, please email: journals.permissions@oupjournals.org Advance access publication 24 January 2005

- Kelly D. Brownell (2005): The Chronicling of Obesity: Growing Awareness of Its Social, Economic, and Political Contexts, Journal of Health Politics, Policy and Law, Vol. 30, No. 5, October 2005. Copyright © 2005 by Duke University Press.

- Mokdad Ali H, Ford M, D, Bowman A, Dietz M, D, Vnicor F and Other (2001): Prevalence of Obesity, Diabetes, and Obesity-Related Health Risk Factors,2001, JAMA, Janury 1,2003—Vol 289, No.1, American Medical Association.

- Neil Schneiderman, Michael H. Antoni, Patrice G. Saab, Gail Ironson(2001): Health Psychology: Psychosocial and Biobehavioral Aspects of Chronic Disease Management **Annual Review of Psychology** ,Vol. 52:555-580 (Volume publication date February 2001),https://doi.org/10.1146/annurev.psych.52.1.555

- Ojofeitimi E.O,Adeyeye A,O,Fadiora A,O and Other:Awareness of Obesity and its Health Hazard among Women in a University Community, Departement of Health, University of Delware, Newardm, USA.

- World Health Organization (2003): Health and Development Through Physical Activity and Sport, WORLD HEALTH ORGANIZATION, NONCOMMUNICABLE, DISEASES AND MENTAL HEALTH, NONCOMMUNICABLE DISEASE PREVENTION, AND HEALTH PROMOTION.

الجيش الروماني في إفريقيا البروقنصلية ونوميديا خلال زيارة الإمبراطور "هادريانوس" لبلاد المغرب سنة 128م

Roman army in Africa Proconsularis and Numidia during the visit of emperor Hadrian's to Maghreb in 128 AD

تاريخ الإرسال: 2019-02-05 تاريخ القبول: 2020-12-02

أسامة بقار، جامعة الجزائر 2 o.bagar@univ-biskra.dz

الملخص

دافع عن الاحتلال الروماني لمقاطعة إفريقيا البروقنصلية-نوميديا جيش مُشكّل من وحدة نظامية ودائمة عُرفت باسم "الفيلق الأوغسطي الثالث" والذي عاضدته مجموعة من الوحدات المساعدة. هذا الجيش بفضل الوثائق النقائشية تعرفنا على تركيبته، رجاله، أدوراه وإسهاماته، ومن بين أكثر تلك الوثائق أهمية وشهرة نجد نقيشة الخطاب المُوجّه من الإمبراطور "هادريانوس" لمختلف الوحدات خلال زيارته لبلاد المغرب في جويلية 128م. هذه النقيشة بقدر ما وضّحت لنا جوانب مختلفة حول هذا الجيش ؛ القيادة العليا والضباط، التدريبات والانضباط، فإنها حرمتنا من التعرف على جزئيات أخرى نظرا لتعرضها لكسور بالغة صعّب جمعها وتصويبها ومن أبرزها معرفة وحدات المساعدين المتواجدة أثناء الزيارة، هذا الجهل زال اليوم نتيجة اكتشاف شهادات عسكرية مؤرخة بسنة الزيارة والتي وضحّت لنا الوضعية العسكرية وزادت من حجم معرفتنا بجيش المقاطعة.

الكلمات المفاتيح: الجيش الروماني، إفريقيا البروقنصلية ونوميديا، زيارة الإمبراطور، 128م، الخطاب، الشهادات العسكرية، الفيلق، المساعدون.

Résumé :

L'occupation romaine de la province de l'Afrique proconsulaire-la Numidie, été défendue par une armée constituée d'une unité régulière et permanente connue sous le nom de «Legio III Augusta», qui a été soutenue par des unités auxiliaires. Grâce aux documents épigraphiques on a pu connaitre de quoi se composait cette armée « ses hommes, ses rôles et ses apports ». Parmi les documents les plus importants et les plus fameux « l'inscription du discours de l'empereur Hadrien adressée aux troupes de cette armée d'Afrique durant sa visite Africaine en juillet 128 ». Une inscription qui nous a tant éclairé sur nombreux aspects de l'armée : le commandement général et les officiers, les exercices militaires et la discipline. Cependant, nous a privé de connaitre les noms des unités auxiliaires durant la visite à cause d'une fâcheuse cassure qui a emporté avec elle toutes ces informations. Aujourd'hui avec les nouvelles découvertes telles que les diplômes militaires datés du temps de la visite, on a pu enrichir nos connaissances sur l'armée de la province.

Mots clés : l'armée romaine, l'Afrique proconsulaire et la Numidie, visite de l'empereur, 128 apr.J.-C, le discours, diplômes militaires, légion, les auxiliaires.

Abstract

The Roman occupation in the province of Africa proconsularis-Numidia was defended by an army consisting of a regular and permanent unit known as the "Legio III Augusta", which was supported by auxiliary units. Thanks to the epigraphic documents, we know what this army was composed of; his men, his roles and his contributions. Among the most important and famous documents is the inscription of the speech of the Emperor Hadrian addressed to the troops of the African army during his visit to the Maghreb in July 128. An inscription that enlightened us so much on many aspects of the army: general command and officers, trainings and disciplines. However we were deprived of knowing the names of the auxiliary units during the visit because of loss of significant parts of the speech. Today, with new discoveries such as military diplomas dated from the year of the visit we have been able to enrich our knowledge of the provincial army.

Key words: Roman army, Africa proconsularis and Numidia, visit of the emperor, 128 AD, speech, Military diploma, Legion, The auxiliary units.

مقدمة

تمثل زيارة الإمبراطور "هادريانوس" (P.A. Hadrianus Augustus) لبلاد المغرب سنة 128م حدثا تاريخيا هاما باعتبارها أول زيارة لإمبراطور روماني لأحد أهم وأغنى المقاطعات الرومانية. خلال هذه الزيارة التفتيشية وقف الإمبراطور على أوضاع البلاد عن قرب ولاسيما الوضعية العسكرية والدفاعية التي نالت حصة الأسد في برنامج الزيارة. لذلك ، راح الإمبراطور يتفقد مختلف حاميات الجيش ويقف على أساليب وأشكال التدريب العسكري لجيشه المُشكّل من الفيلق الأوغسطي الثالث ووحدات المساعدين (Auxilia). إن تعرفنا على هذه الزيارة مثلما يعود الفضل فيه إلى إشارات مؤلف تاريخ الأباطرة ، فإن نقيشة خطاب الإمبراطور المعروفة بتسمية نقيشة "خطابات هادريانوس" أو "خطابات لامبايزيس" والتي نُحتت على قاعدة تمثال "لهادريانوس" مُقام بمعسكر المساعدين بلامبايزيس (Lambaesis) هي مصدرنا الأهم. على أنه ، بقدر ما تعد هذه الوثيقة مصدرا هاما في معرفتنا لتركيبة جيش إفريقيا البروقنصلية سنة 128م ، فإن معرفة مضمونها لا يزال لليوم محط قراءات واجتهادات عديدة ومتجددة من قبل الباحثين نظرا للكسور التي تعرضت لها وهو ما خلق تباينا على صعيد فهم الخطاب وضبط مضمونه ، ومن أمثلة ذلك مسألة تحديد الوحدات التي زارها وخاطبها الإمبراطور. لكن ، منذ اكتشاف شهادات عسكرية في السنوات الأخيرة زال اللبس واتضحت هوية مختلف الوحدات المتواجدة بالمقاطعة أثناء الزيارة ، مع استمرار صعوبة تحديد مواقع انتشارها.

لقد حظيت زيارة الإمبراطور "هادريانوس" لبلاد المغرب ودراسة نقيشة الخطاب باهتمام بالغ من قبل عديد الباحثين الأوربيين الذين لا يسع المجال لذكرهم جميعا في هذا المقال. البداية كانت مع المؤرخ "كانيا" الذي تطرق للموضوع بإيجاز أين حاول ترجمة أجزاء هامة من الخطاب في عملية كانت محط انتقادات عديدة ، في مقابل تجاهله لأهداف الزيارة ومسارها (R. Cagnat, 1912, p-p 146-151). بعد انقطاع بحثي حول الموضوع مردّه تراجع الاهتمام بدراسة التاريخ العسكري لبلاد المغرب ، صدر للباحث "لوغلي" مقال حول خطابات الإمبراطور "هادريانوس" في "لامبايزيس" أين قدّم قراءة وتحليل للمضمون قادته نحو طرح رؤيته للترجمة الأنسب لهذا الخطاب مع تجنّبه لمناقشة دوافع الزيارة وإشكالية الوحدات المذكورة (M. Le Glay, 1978, p-p 545-558). بعد حوالي عقد نجد المؤرخ المختص في التاريخ العسكري الروماني "لوبوهاك" يناقش المسألة في مؤلفين له أين وقف على أهداف الزيارة بشكل مختصر مع إبراز تصوره لمختلف الوحدات العسكرية التي تواجدت سنة 128م ، وهو ما أوقعه في قراءات خاطئة لعديد الاختصارات النقائشية ، وبالتالي لم يوفق في ضبط الوحدات المساعدة للفيلق أثناء تلك الزيارة (Y. le Bohec, 1989-1, p-p 372-373, 1989-2, 220p). في سنة 2003 نجد أن الخطاب حظي بدراسة معمقة من قبل عديد الباحثين الأوربيين تحت إشراف الباحث "لوبوهاك" أين تمت دراسة كل الجوانب التي تستشف منه وعلى رأسها ترجمة الخطاب ، ضبط وحدات الجيش أثناء الزيارة ، العروض والتدريبات العسكرية مع إهمال قضية دوافع الزيارة ومسارها (Y. le Bohec, 2003, 173p). هذه الدراسة الأخيرة شجعت الباحث العسكري الأمريكي "سبيدل" لإنجاز مؤلف حول الخطاب قدم فيه قراءة مختلفة قليلا عن الدراسة السابقة معرجا لمختلف الوحدات المتواجدة والاستعراضات المقدمة (M. Speidel, 2006, 112p). في المقابل ، إذا كان الباحثون السابقون قد اهتموا بترجمة الخطاب وتحليل محتواه ، فإنّ الباحثة الفرنسية "غيدون" قد ناقشت الزيارة في مؤلفها "الرحلة في إفريقيا الرومانية" حيث ركزت على تاريخ الرحلة وتحديد مسارها مع تجنبها لتحليل مضمون الخطاب وأبعاده العسكرية (St. Guédon, 2006, p-p 689-699, 2010, 527p). هذه الدراسات مثلت لنا قاعدة هامة لإنجاز هذا العمل ومع استفادتنا من الشهادات العسكرية المكتشفة حديثا أمكننا الوصول إلى معرفة أعمق للزيارة ولهوية وحدات الجيش المتواجدة أثناء الزيارة.

بهذا ، فإنّ هذه الدراسة تهدف إلى محاولة الوقوف على خط زيارة "هادريانوس" لإفريقيا ، جدول أعمالها ، تقديم وتحليل خطابات الإمبراطور لمختلف وحدات الجيش ، واستنادا عليها وعلى الشهادات العسكرية سنحاول تحديد الوحدات التي كانت متواجدة أثناء الزيارة مع العمل على اقتراح مواقع تواجدها ، لنختم الدراسة باستنتاجات عامة. لمناقشة كل هذه المسائل تم اعتماد المحاور الآتية:

أولا: الزيارة ونقيشة الخطابات.

ثانيا: الفيلق الأوغسطي الثالث أثناء الزيارة.

ثالثا: وحدات المساعدين أثناء الزيارة.

رابعا: الاستنتاجات العامة (الخاتمة).

أولا: الزيارة ونقيشة الخطابات:

أولا-1-زيارة أو زيارات لبلاد المغرب ؟:

على الرغم من أن "أوكتافيوس" (G. Octavius Thurinus) قد برمج زيارة لإفريقيا سنة 36 ق.م ، إلا أن سلسلة من الشَوادن (عوامل جوية غير مألوفة أو غير عادية) منعته من ذلك ، فكانت بذلك إفريقيا وإسبانيا (وربما سردينيا أيضا) المقاطعتين الوحيدتين اللتين لم تحظيا بزيارة "أوكتافيوس-أغسطس". هذا الغياب لزيارات إمبراطورية لبلاد المغرب استمر لغاية فترة الإمبراطور "هادريانوس" (117-138م) الذي كان أول إمبراطور روماني يزور المنطقة (Suétone, 1893, XLVII, 3, St. Guédon, 2006, p 689). إن أي دارس لهذه الزيارة سيصطدم بإشكالية تحديد عدد زياراته لبلاد المغرب وتأريخها ، فعلى الرغم من إشارات "ديون كاسيوس" ، صاحب مؤلف "تاريخ الأباطرة" ، حيازتنا لعملات ولعديد النقوش المتعلقة برحلات الإمبراطور "هادريانوس" لمختلف المقاطعات الرومانية ، ومن ضمنها زياراته للمقاطعات المغاربية (إفريقيا البروقنصلية والموريطانيتين) خلال فترة ما بين 120-135م ، فإننا عاجزون عن الفصل في هذا الموضوع (Dion Cassius, 1845, LXIX, 9-10, Aelius Spartianus, 1844, I-XXV, R. Syme, 1988, p-p 159-170). في الواقع ، إذا كان من المؤكد أن "هادريانوس" قد زار بلاد المغرب سنة 128م (C, VIII, 2532, M. Le Glay, 1978, p-p 545-558)، فإن إشارات أخرى تدفع للاعتقاد بوجود زيارة (أو زيارات) أخرى للمنطقة خلال الجولة الكبرى التي أجراها "هادريانوس" ما بين 121-125م وهو ما نستشفه من مؤلف تاريخ الأباطرة الذي قدم لنا أول إشارة مُوردا فيها: "**قمع (الإمبراطور) انتفاضة (حركات) قام بها الموريون motus Maurorum compressit**" (Aelius Spartianus, 1844, XII, 7). فُهم من العبارة أن "هادريانوس" عبّر من إسبانيا إلى موريطانيا الطنجية أين أمضى بها فصل شتاء سنة 122م (أو 123م) بغية قيادة حملة عسكرية تستهدف إخماد انتفاضة للموريين (M. Bénabou, 1976, p127, Y. le Bohec, 2003, P 9)، على أنه نظرا لعدم امتلاكنا لأي إشارات أدبية أو وثائق نقائشية تؤكد هذه الزيارة فإنها لا تزال محط غموض كبير.

بعد هذه الإشارة الأولى ذات المؤلف ينقل لنا حدوث عبور آخر لهادريانوس من إيطاليا لإفريقيا أين كتب قائلا: "**بعدها عاد إلى روما، ثم عبر إلى إفريقيا التي أغدقها بالنعم. لا يوجد ربما أي أمير زار العديد من المناطق بهذا القدر من السرعة (الخفة)**" (Aelius Spartianus, XIII, 4). إن كان قد فُهم من العبارة أنه زار كل المقاطعات المغاربية وليس فقط مقاطعة إفريقيا البروقنصلية ، فإن الإشكال الذي تطرحه العبارة هو جهلنا بعديد المسائل: ما دوافع الزيارة ؟ ، هل هي زيارة عسكرية (حربية) تستهدف مثلا محاربة الموريين للمرة الثانية أو تفقد منشآت دفاعية ؟ (H. Mantel, 1968, p-p 226-227)، ما هو تاريخ هذه الزيارة ؟ وما المقصود بعبارة "أغدقها بالنعم"؟. تساؤلات يصعب الإجابة عنها لافتقادنا للشواهد الأثرية ، لكن هذا لم يمنع الباحثين من تفسير عبارة "أغدقها بالنعم" بأنه خلال هذه الزيارة منح عديد المدن في مختلف المقاطعات المغاربية (بالأخص في إفريقيا البروقنصلية) صفة المستوطنة والبلدية وربما كذلك منح حقوق بلدية أو لاتينية لمدن جديدة مع امتيازات أخرى: تخفيضات ضريبية ، إنشاءات متعلقة بالألعاب والمهرجات (édilitaire)، لكن ، من الممكن أيضا أن المؤرخ قصد حصول المدن الرومانية المغاربية على هذه المكاسب خلال فترة حكمه وليس بالضرورة أثناء هذه الزيارة الغير معروفة التاريخ (M. Bénabou, 1976, p 131, J. Gascou, 1972, p-p 115-137, 213-220).

آخر إشارة عن زيارة "هادريانوس" لإفريقيا وردت أيضا عند مؤلف تاريخ الأباطرة حيث جاء فيها: "**عند وصوله لإفريقيا سقطت الأمطار بعد خمس سنوات من الجفاف وهو حدث زاد من إعزازه للأفارقة**" (Aelius Spartianus, XXII, 14). على الرغم من أن العبارة بدورها لا تسمح لنا من التعرف على تاريخ الزيارة ولا أهدافها ولا المنطقة التي لم تسقط بها الأمطار لمدة 05 سنوات كاملة (124-128م)، فإننا نعتقد أن المقصود بها هو زيارة سنة 128م وأن المنطقة التي لم تسقط بها الأمطار لمدة 05 سنوات هي الأوراس وجنوبه ، وهو الطرح الذي ندعمه بنحت نقوش إهدائية مؤرخة بسنة 128م في "لامبايزيس" كتشكر لآلهة الرياح والإله "يوبيتر" وهو ما يعد مثالا هاما عن تطابق الرواية التاريخية مع الاكتشافات الأثرية (J.-P Laporte, 2016, p-p 130-135).

على ضوء هذه الإشارات الأدبية وبالعودة على الوثائق النقائشية طرح الباحثون عديد التصورات حول عدد زيارات "هادريانوس" لبلاد المغرب ، ومن أبرزهم الباحث "بيرلي" الذي مال لفرضية أنه زار إفريقيا ثلاث مرات: زيارة قاد فيها

حملة عسكرية ضد المور في 121-122م ، وأخرى سنة 123م زار فيها مدينة بروقنصلية هي "عين فورنة" (Furtina=Furnos Minus) وزيارة أخيرة سنة 128م (A. R Birley, 1997, p-p 150-152). في حين راح آخرون يستندون على الآثار للقول أنّ "هادريانوس" قام بزيارتين ؛ واحدة في حوالي 122-123م أجرى فيها الإمبراطور إعادة تنظيم للنظام الدفاعي لبلاد المغرب عبر تنصيب وحدات عسكرية جديدة ، إقامة معسكرات وإنجاز طرقات ، لتأتي بعدها زيارة 128م التي هدفت لتفقد ومعاينة حالة التنظيمات الدفاعية والعسكرية (M. Labrousse, 1948, p-p 125-147, L. Leschi, 1949, p-p 225-226). من جهتها استبعدت "غيدون" احتمالية حدوث سفرية 123م ورأت أنه لم يزر بلاد المغرب سوى مرتين ؛ مرة سنة 122م لإخماد انتفاضة الموريين وهي المذكورة عند مؤلف تاريخ الأباطرة ، والثانية سنة 128م وهي المقصودة في المقطعين الأخيرين لمؤلف تاريخ الأباطرة ونقوش لامبايزيس (Aelius Spartianus, XIII, 4, XXII, 14, St. Guédon, 2006, p-p 693-694). كل هذه الآراء تجعلنا نميل لفرضية وجود زيارتين ؛ زيارة قصيرة خاطفة سنة 122م أو 123م لموريطانيا الطنجية لقمع انتفاضة المور والتي يمكن أنه استغلها أيضا في التجوال بالنواحي المجاورة (الطنجية وربما القيصرية كذلك) ، أما الثانية فكانت بلا شك سنة 128م. ولعل غياب النقوش المخلدة يدعم أكثر في نظرنا هذا الطرح ، فمن غير المعقول أن يزور الإمبراطور بلاد المغرب ثلاث مرات ولا يتم تخليد هذه الزيارات بنقوش إهدائية أو معالم تذكارية تليق بالحدث (ينظر الصورة رقم 01).

أولا-2-خط سير زيارة 128م وخطابها التذكاري:

تركت زيارة الإمبراطور سنة 128م ذكراها التاريخية عبر كونها أول زيارة لإمبراطور روماني ، ومن غرائب الصدف أنها كانت فأل خير على المنطقة ، فبعد خمس سنوات من الجفاف نزلت الأمطار بشكل عجيب تزامنا مع هذه الزيارة. هذا الجفاف الذي ضرب بلا شك النواحي الحدودية لإفريقيا البروقنصلية أي الأوراس والصحراء النوميدية الجزائرية هو في نظرنا ليس جفافا بالمعنى الدقيق للكلمة ، بل معناه وجود قلة في سقوط الأمطار خلال الخمس سنوات الأخيرة (Y. le Bohec, 2003, p 10). لقد اتخذت الزيارة طابع دورية تفقدية تفتيشية لوحدات الجيش المتواجدة في مختلف حاميات إفريقيا البروقنصلية-نوميديا وبعد انتهاء الزيارة تم تخليدها بإقامة معلم تذكاري نُحتت عليه خطابات الإمبراطور على الفيلق ووحدات المساعدين. هذا المعلم المعروف اليوم بتسمية "عمود هادريانوس" أو "النصب التذكاري لهادريانوس" تم رفعه في معسكر المساعدين بلامبايزيس (M. Janon, 2005, p-p 60-65, M. le Glay, 1978, p-p 545-558, Y. le Bohec, 2002, p-p 158-163, St. Guédon, 2006, p 694). بالإضافة إلى مؤلف تاريخ الأباطرة وخطاب هادريانوس في "لامبايزيس" ، فإننا نمتلك نقيشة أخرى توثق لنا زيارة 128م حيث تتضمن العبارة: "**أتى الإمبراطور المُؤله "هادريانوس" من صقلية، إفريقيا وموريطانيا**" (A.E, 1957, 135) ، كما خُلد هذا العبور الإمبراطوري للأراضي المغاربية بمجموعة من العملات مؤرخة بالسنوات الأخيرة من فترة حكم "هادريانوس" حيث تعرض ثلاثة مواضيع أساسية: إفريقيا المُجسّدة (المُشخصة personnifiée) ، موضوع مراسم الاستقبال أو الاستقبال الرسمي (adventus) ، "الجيش الموريطاني exercitus "Mauretanicus (N. Méthy, 1992, p-p 279-284, R. Pera, 1990, p-p 504-507, St. Guédon, 2006, p 695). لهذا ، فإنه عبر جمع هذه الإشارات المصدرية تم استنتاج أن الإمبراطور خرج من روما وبعد أن عبر على صقلية ، رسا في إفريقيا ليتوجه منها لموريطانيا.

إن المسألة الأكثر صعوبة في دراسة هذه الزيارة هو محاولة تحديد خط سيرها وجدول أعمالها في بلاد المغرب ، وهي صعوبة فتحت شهية الباحثين للبحث وتقديم فرضيات عديدة. ركز هؤلاء الباحثون اهتمامهم في البداية على قراءة وتفكيك نقيشة خطابات الإمبراطور التي أدلى بها أمام مختلف وحدات الجيش الإفريقي في أعقاب المناورات والعروض المُقدمة له لمحاولة معرفة مسار زيارته وهو ما مكّن من التعرف على جزء من خط السير ؛ عرفنا أنه في 01 جويلية 128م كان "بلامبايزيس" أين التقى فيها بمشاة وفرسان الفيلق الأوغسطي الثالث (legio III Augusta) والكتيبة الثانية للإسبانيين (cohors II Hispanorum) ، ليعرج بعدها لمعسكر "القصبات" (Gemellae) أين زار "الكتيبة الأولى المختلطة للخلقيسيين" (cohors I Chalcidenorum equitata) ، في 07 جويلية توجه لزراية (Zarai) ببيضاء برج-سطيف-لتفقد كتيبة غير معروفة والتي قد تكون على الأرجح "الكتيبة الفلاويّة الأولى المُختلطة" (cohors I Flavia equitata) ، أما في 12 أو 13 جويلية فقد توجه للمعسكر

القاعدي للكتيبة السادسة للكوماجينيين في موقع غير معروف تُرجح "غيدون" أنه قد يكون "عين فوة" (Castellum Phuensium) بالقرب من "قيرطا" (Cirta) وغير بعيد عنه زار الإمبراطور حامية "الجناح الأول للبانونيين" (Ala I Pannoniorum) أين ألقى خطابا على فرسانه نحتفظ بأجزاء معتبرة منه، ليختم الزيارة بتفقد "الكتيبة الفلاويّة الثانية المُختلطة للأفارقة" (cohors II Flavia Afrorum equitata) في تاريخ ومكان غير مُحددين (نرجح أنه "شمتو" Simitthus) (P. Romanelli, 1959, p-p 338-339, St. Guédon, 2006, p-p 695-696).

باستثناء نقيشة الخطاب، فإننا لا نمتلك أي وثيقة أخرى تساعدنا على معرفة خط الزيارة وتواريخها، ما فتح الباب لاجتهادات وفرضيات الباحثين. البداية مع الباحث "دُور" الذي اقترح إعادة تشكيل خط سير الإمبراطور من خلال تتبع نقوش تشير لتحصل مُدن على مكاسب أو تظهر امتنان مواطنيها للإمبراطور عبر تشييد مباني على شرفه وهذا طبعا بالاستناد على عبارة مؤلف تاريخ الأباطرة الذي أورد أنه أغرقها بالنعم (المكاسب) عند زيارته، لذلك افترض أنه في زيارته لإفريقيا نزل في العاصمة "قرطاجة" ومنها توجه إلى المدينة الثانية غير البعيدة "أوتيكا" (Utica) (أو ربما العكس)، ليتجه من إحداهما جنوبا إلى أن وصل إلى "تلمين" (Turris Tamalleni)-05 كلم على مدينة قبلي في جنوب تونس-، ثم توجه إلى "لامبايزيس"، كما عبر إلى "زراية"، ليصل بوجهته لموريطانيا، ليعود على أعقابه لاستئناف رحلة ساحلية انتهت في "قرطاجة" التي منها أبحر عائدا إلى روما. هذه الجولة دامت حسب رأيه قرابة 06 أشهر من شهر مارس إلى نوفمبر (J. Dürr, 1881, 124p). بدوره "ويبر" يختلف مع "دور" في مدة السفرية التي استغرقت حسب رأيه أربعة أشهر ابتداء من شهر أفريل أو ماي ليعود الإمبراطور إلى روما في شهر أوت، مع تقديمه لخط سير مختلف عن سابقه: من قرطاجة توجه إلى "أوتيكا"، "طبرقة"، "سكيكدة" (Rusicade)، "قيرطا"، "زيامة" (Choba)، ثم وصل إلى "سيدي بلعطار" (Quiza)، كما زار شرق موريطانيا القيصرية الذي أصبح معروفا فيما بعد بموريطانيا السطايفية، أما العودة فبدأها من "سور الغزلان" (Auzia) إلى "لامبايزيس"، "زراية"، "عين فوة"، "تبسة" وفي الأخير "قرطاجة" التي عاد منها لإيطاليا (W. Weber, 1907, p-p 201-204).

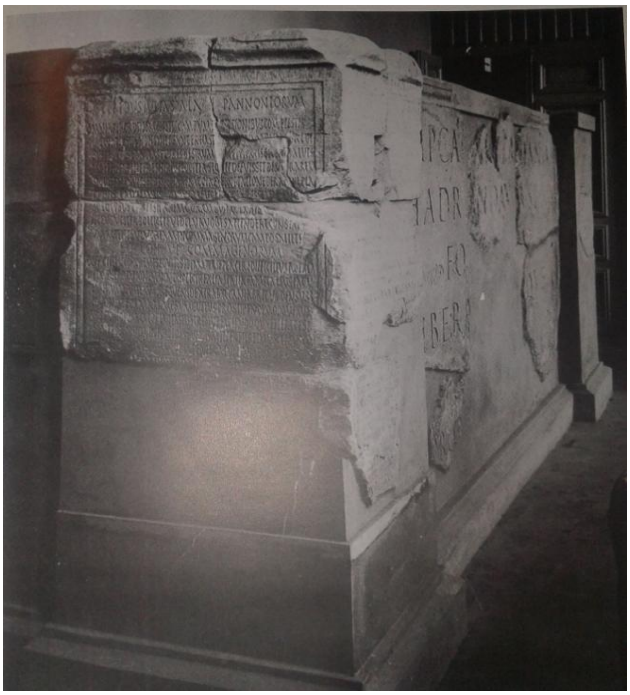
من جهته "رومانيلي" بعد أن قارن بين خطي السير المُقدمين من الباحثين المذكورين مال لأطروحة "ويبر" معتبرا أن الإمبراطور دخل لروما في أواخر شهر أوت ومنها توجه لليونان (أثينا) والشرق، فتصور أنه رسا في "قرطاجة" واستغل الفرصة لزيارة البلدية القريبة "أوتيكا" التي منحها صفة المستوطنة، ليميل إلى فرضية أنه بعدها توجه "لتبسة" (Theveste) الذي خلال سيره إليها زار عدة مدن تقع على طريق "قرطاجة-تبسة": هنشير قصبات (Thuburbo Maius)، هنشير الصوار (Abthugni)، "جاما" (Zama Regia)، "مدَيْنَة" (Althiburos) ومن "تبسة" واصل سفره نحو "قفصة" (Capsa) أين يوجد قوس إهدائي لهادريانوس على الأرجح يخلد عبوره عليها ومنها توجه للقصبات. هذه الجولة سمحت له بالوقوف على الخطوط الدفاعية للحدود الرومانية، ليتوجه بعدها إلى "لامبايزيس"، "زراية"، "عين فوة"، أي أن هنالك تركيز على المجال الممتد من العاصمة المدنية "قرطاجة" إلى العاصمة العسكرية "لامبايزيس" (C, VIII, 98, P. Romanelli, 1959, p-p 339-342, J. Gascou, 1972, p-p 115-137). بعد تفقده المجال الإفريقي-النوميدي تقدم الإمبراطور نحو "موريطانيا القيصرية" وربما وصل للطنجية (نستبعد ذلك ونتصور أنه تفقدها في زيارة 122م أو 123م)، أين قد يكون وصل على الأرجح حتى سيدي بلعطار الواقعة على الطريق المؤدي لبطيوة (Portus Magnus) وهذا استنادا على وجود قوس بها مُهدى على شرفه مؤرخ بسنة 128م وهو دليل أثري غير حاسم، ليعود حسب "رومانيلي" لقرطاجة ومنها لإيطاليا (C, VIII, 9697, P. Romanelli, 1959, p-p 339-342). أما "بيرلي" فافترض أنه وصل لغاية "بطيوة" ومن مينائها عاد لإيطاليا (Birly, 1997, p 213). في حين فسر "جاسكو" كلمة "المكاسب" (beneficia) المُشار إليها في مؤلف تاريخ الأباطرة بأنها ليست بالضرورة منح ترقيات قانونية للبلديات والمستوطنات أثناء زيارته بل قد تعني تشييد طرق، تخفيض ضريبي، إنجاز معالم للشعب على نفقته الخاصة. لكن هذا التصور لا يُمكن أن ينفي في الواقع فرضية أن عديد المدن استفادت خلال زيارته من ترقيات قانونية كأوتيكا و"مدَيْنَة" (J. Gascou, 1972, p-p 118-119). في حين "غيدون" خلصت إلى أن الإمبراطور سلك طريق "قرطاجة-تبسة" بشكل مُؤكد تقريبا، ليقوده هذا الطريق نحو خط سير حدودي دون تفاصيل أكثر (St. Guédon, 2006, p 699).

إن كل هذه الآراء تجعلنا نميل لفرضية أنه بعد أن نزل في العاصمة "قرطاجة" توجه لأوتيكا، ليعود ويسلك طريق "قرطاجة-تبسة" أين زار ورقى عديد المدن الواقعة على هذا

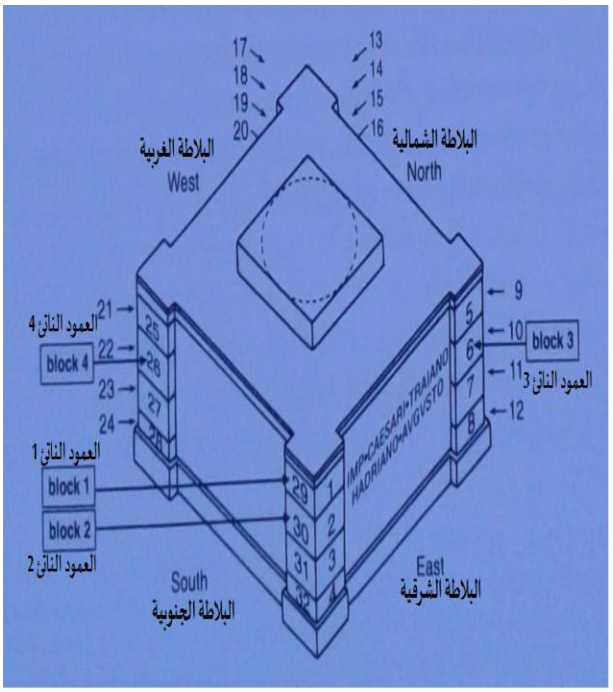
الطريق ، ولما وصل إلى تبسة راح يسلك ذلك الطريق الرابط بين "قابس-حيدرة" (عبورا بتبسة على الأرجح) المُقام سنة 14م ما أوصله لمدينة "قفصة" ومنها توجه لتلمين وحصن تيجنسيوم (Castellum Thingensium)، ثم قصد بسرياني (Ad Maiores) التي أقيمت بها معسكر سنة 105م ربط بطريق حدودي عرضي يربط شط الجريد ببسكرة (Vescera)، ما قاده للوصول بزيارته لمعسكر "القصبات" المشيد سنة 126م وربما كذلك لمعسكري "تهودة" (Thabudeos) وبسكرة المقامين ربما في عهد "ترايانوس"، ومنهما توجه شمالا صوب "لامبايزيس" (قد يكون زار "تيمقاد"). ثم بعد أن تفقد كتيبة "زراية" توجه للمجال القيرطي لزيارة "عين فوة" (وقيرطا) وبقدر ما هو وارد أنه واصل السير نحو موريطانيا القيصرية عبر "جميلة" (Cuicul) وسطيف (Sitifis) وصولا حتى "سيد بلعطار" وبطيوة ، فإنه من الوارد كذلك أنه من "قيرطا" توجه لسكيكدة أين أخذ مركبا لزيارة عدة مدن ساحلية إلى أن وصل لسيدي بلعطار وحتى "بطيوة"، ليعود منها مباشرة إلى روما دون العودة لقرطاجة ، وهذا في رحلة استغرقت زهاء 04-05 أشهر (من أفريل-ماي إلى أوت).

أولا-3-نقيشة خطاب الزيارة:

بالعودة إلى النقيشة المخلدة للخطابات المُلقاة من الإمبراطور "هادريانوس" على مختلف القوات والتي لا تزال محفوظة ليومنا بمتحف اللوفر ، فقد أقيمت على منصة حجرية هائلة نحتت مختلف جوانبها (ينظر الشكل 01 والصورة 01). تم العثور عليها في وسط ميدان تدريبات (campus) الفيلق الأوغسطي الثالث بلامبايزيس المعروف بتسمية معسكر المساعدين (أبعاده 200م×200م) والذي على الأرجح قدم به أفراد الفيلق عروضهم ومناوراتهم للإمبراطور. هذه المنصة يعلوها عمود ونقشت عليها نصوص احتفالية بزيارة الإمبراطور ومعها خطاباته ، ما يكشف لنا الذهنية الرومانية المحبة للتدوين حيث خلدت قيادة الجيش هذه الزيارة التاريخية بمعلم تاريخي يظل شاهدا على هذا الحدث الهام في تاريخ الفيلق ومعسكرات لامبايزيس. تكون هذا المعلم التذكاري من عمود رُفع على منصة=قاعدة تمثال (piédestal) من حجارة كبيرة مُرتبة. عند مستهل هذا المعلم التذكاري نجد أساسات مُؤلفة من درجين بأبعاد 10م من كل جانب وبارتفاع 0,60م والتي تحمل منصة التمثال التي يُقدر ارتفاعها بـ 3,80م. المنصة مُشكلة من قاعدة وكتلة حجرية مُكعبة يقدر عرضها بـ 4,50م أين تحتوي كل واجهة منها على بلاطة مستطيلة تلتصق بالأعمدة الجدارية الناتئة (pilastre) في الأركان ، على أن نصوص الخطابات لم تُنقش على البلاطات بل على الأعمدة الجدارية الناتئة نظرا لأن البلاطات الأربع نحتت عليها رأسية (عنوان) النقيشة. (ينظر الشكل 01 والصورة 01).



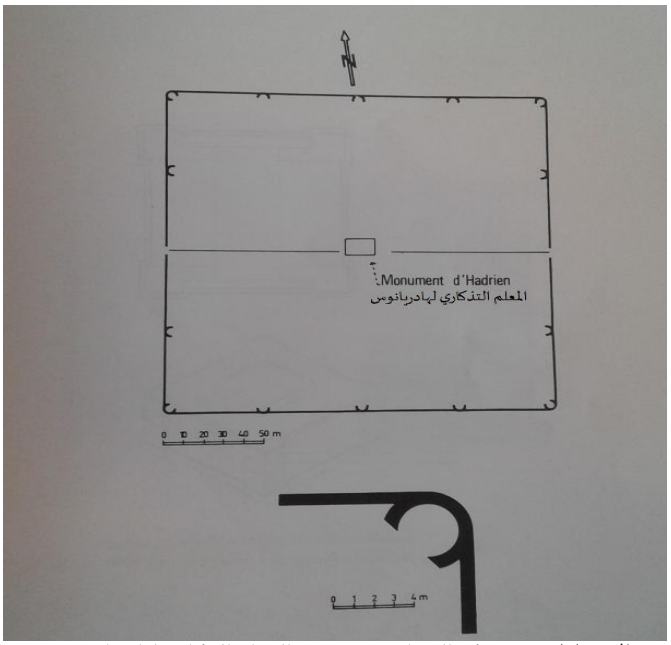
الشكل 01: قاعدة المعلم التذكاري لهادريانوس بأعمدتها الأربع وبها 32 حيز (حقل) يتضمن الخطاب.



الصورة 01: قاعدة المعلم التذكاري لهادريانوس محفوظة في متحف اللوفر.

المرجع: Michael P. Speidel, 2006, P 21

بخصوص العمود الذي نُصب على المنصة فهو يتكون من ثمانية مِدَفّات (tambour)، كل واحدة بارتفاع يتراوح ما بين 1,70-1,80م والتي وضعت على قاعدة من العقيد ارتفاعها 0,90م، كما نجد أن هنالك تاج عمود كورنيثي يعلو المدفات مع ملاحظة وجود تجاويف مثقوبة في مدفات العمود، تم تفسير أن دورها هو تثبيت الزخارف البرونزية، وفي أعلى قمة العمود تم تنصيب تمثال من البرونز للإمبراطور وهو ما يجعل ارتفاعه الاجمالي يصل إلى زهاء 26م وهو ما يجعله بلا شك معلم معتبر ومهيب (ينظر المخطط 01 والصورة 02). هذا المعلم التذكاري فتح الباب لتساؤلات الباحثين حول دواعي إقامته بمعسكر المساعدين وليس في المعسكر الكبير، وهو ما فسره "جانو" بكون معسكر المساعدين فضاء ذو هيبة، ساحة أسلحة، ميدان مناورة للفيلق أي أرضية مخصصة للتدريبات ولتجميع الجنود، وبالتالي فإن إقامته في هذا المكان سيكون له أثر نفسي ومعنوي دائم على الجنود أثناء تدريباتهم وتمارينهم (M. Janon, 2005, p-p 60-63, Y. le Bohec, 2002, p-p 158-163).



المخطط 01: معسكر المساعدين وموضع المعلم التذكاري لهادريانوس.
المرجع: Yann le Bohec : 2003, P 49

المرجع: Yann le Bohec, 2003, P 67

كما أشرنا، فقد تم نحت الخطاب على الأعمدة الجدارية الناتئة، على أن طول النص أدى إلى خلق عدم تناسب بين قاعدة التمثال العريضة والعمود. تضمنت تلك الأعمدة الناتئة 32 حيز منقوش، تعرفنا على محتوى بعضها وفقدنا الكثير. ففي الواقع، نحن لا نمتلك إلا قرابة ربع برنامج (خطاب) زيارة الإمبراطور. على البلاطات الأربع للمنصة نحتت العبارة الإهدائية الآتية: "**إلى الإمبراطور القيصر أغسطس (المهيب) ترايانوس هادريانوس، الباسل (الأكثر شجاعة) والأكثر سخاءً. تقدم الفيلق الأوغسطي الثالث بهذا المعلم التذكاري بعد أن تم تفقد الجيش**"، ليستهل الخطاب بعدها بالديباجة التي جاء فيها: "**الإمبراطور القيصر أغسطس ترايانوس هادريانوس، بعد أن شاهد المناورات (الاستعراضات) خاطب عزيزه الفيلق الأوغسطي الثالث بالكلمات المكتوبة (المنحوتة) في الأسفل وهذا خلال قنصلية "توركواتوس" (Torquatus) للمرة الثانية وزميله "ليبو" (Libo) في الفاتح من جويلية**" (C, VIII, 2532, Ca. Wolff, J. M. Berthet, 2003, p 115, B. Campbell, 1994, p 18, M. Speidel, 2006, p,p 7, 21).



الصورة 02: رسم تصوري للمعلم التذكاري لهادريانوس.
المرجع: Michel Janon : 2005, P 62

ثانيا-الفيلق الأوغسطي الثالث خلال الزيارة:

على الرغم من أن نوميديا لم تصبح مقاطعة مستقلة عن إفريقيا البروقنصلية إلا منذ عهد الإمبراطور "ل. سبتميوس سويروس" (L. Septimius Severus) وهذا على الأرجح في سنة 197م، إلا أنها امتلكت خصوصيات المقاطعة منذ حوالي 38-39م مع قيام الإمبراطور "كاليغولا" (Caligula) بسحب

الصلاحيات العسكرية (قيادة الجيش والحملات العسكرية) من البروقنصل ومنحها للمفوض الإمبراطوري ذو الصلاحيات البريتورية (legatus Augusti pro praetore)، ما خلق منطقة أو إقليما عسكريا يُمكن أن نطلق عليه تسمية نوميديا الجنوبية أو نوميديا العسكرية يُدير شؤونها هذا الضابط الحاكم (Y. le Bohec, 1989-1, p 348, M. Bénabou, 1972, p-p 129-136, A. Berthier, 1981, p-p 133-135).

تكوّن الجيش الروماني المُرابط في إفريقيا البروقنصلية ونوميديا خلال زيارة الإمبراطور "هادريانوس" سنة 128م من الفيلق الأوغسطي الثالث والمساعدين وقد ذكرته لنا النقوش بعدة تسميات هي:

التسمية اللاتينية	الترجمة للعربية
Exercitus Africae (C, V, 531)	جيش الإفريقية
Exercitus qui est in Africa (C, XI, 5211, I.R.T, 528)	الجيش الذي بإفريقيا
Exercitus provinciae Africae (C, VIII, 17891, A.E, 1908, 237)	جيش المقاطعة الإفريقية
Legio III Augusta et exercitus Africanus (C, XI, 3718)	الفيلق الأوغسطي الثالث والجيش الإفريقي
Legio III Augusta et auxilia eius (C, VIII, 2637)	الفيلق الأوغسطي الثالث ومساعديه.
Exercitus (Africae ? Numidiae) (C, VIII, 17621)	الجيش (الإفريقي؟ النوميدي)

وُضع على رأس هذا الجيش كما ذكرنا مفوض إمبراطوري ذو صلاحيات بريتورية والذي هو بمثابة القائد الأعلى للجيش. على أنه قبل تقلده لهذا المنصب عليه أن يشغل منصب "البرايتور" (praetor) من قبل وتقلده لمنصب المفوض الإمبراطوري يؤهله عادة لتقلد منصب "القنصل العادي" (consul ordinarius) أو "قنصل إكمال المدة" (consul suffect). شغل منصب القائد الأعلى للجيش خلال الزيارة المفوض الإمبراطوري "ك. فابيوس قاتولّينوس" (Q. Fabius Catullinus ما بين 127-129م، فمن يكون؟ (Y. le Bohec, 1989-1, p 120, B. E. Thomasson, 1996, p 145).

ثانيا-1-قيادة الفيلق (الجيش) أثناء الزيارة:

قبل أن تُسند قيادة الجيش الروماني (الفيلق الأوغسطي والثالث والمساعدين) إلى المفوض الإمبراطوري، كان للبروقنصل في البداية يجمع بين الصلاحيات المدنية والعسكرية خلال الفترة الممتدة من استحداث مقاطعة إفريقيا البروقنصلية سنة 27 ق.م لغاية حوالي 38-39م أين قرر الإمبراطور "كاليغولا" سحب الصلاحيات العسكرية منه ومنحها لمفوض إمبراطوري من لدنه (تعيينه) (Tacite, 1859, IV, 48, Dion Cassius, 1845, LIX, 20, A. Clément Pallu de Lessert, 1896, p-p 120-121). لكن، على الرغم من فقدان البروقناصلة للصلاحيات العسكرية فقد احتفظوا بوحدات عسكرية تحت تصرفهم سمحت لنا النقوش من التعرف على:

-كتيبة من الفيلق الأوغسطي الثالث تُرسل بالتناوب كل سنة إلى "قرطاجة" وهو ما تعرفنا عليه بفضل خطاب "هادريانوس" (C, VIII, 2532).

-عُوضت الكتيبة الحضرية الثالثة عشر (cohors XIII urbana) التي تواجدت بإفريقيا (قرطاجة) منذ عهد الأسرة الفلاويّة بالكتيبة الحضرية الأولى (cohors I urbana) في بدايات القرن الثاني وعلى الأرجح في عهد الإمبراطور "هادريانوس" (F. Bérard, 1991, p-p 39-51).

-قبل زيارة الإمبراطور "هادريانوس" لإفريقيا كان للبروقنصل وحدة فرسان تحت تصرفه هي "جناح سيليانا" (ala Siliana) التي استدعيت بعدها لمصر ومنها حُولت للمقاطعات الدّانوبية. ثم بعد أن ساد اعتقاد بأن "الكتيبة الفلاوية الأولى للأفارقة" (cohors I flavia Afrorum) كانت خاضعة لأوامر البروقنصل نجد أن اكتشاف الشهادات العسكرية الثلاث المؤرخة بحوالي 127-129م قد فنّد هذا الطرح وأكد تبعيتها للمفوض على الأقل خلال زمن الزيارة (A.E, 2002, 1751, 1752=A.E, 2005, 1722, A.E, 2005, 1715=2011, 1807, Y. le Bohec, 1989-2, p-p 22-23). بهذا، فإنه كان تحت تصرف والي مقاطعة إفريقيا البروقنصلية لسنة 128م (نجهل اسمه) ما يقرب 1000 جندي يُوظفون لأغراض مختلفة: حماية المدن الرئيسية بالمقاطعة وعلى رأسها العاصمة قرطاجة، مكافحة الجريمة (دور الشرطة)، حراسة الأملاك الإمبراطورية ويستغلون أحيانا لمهام حربية.

ما تبقى من القوات (الفيلق ووحدات المساعدين) المتواجدة في إفريقيا البروقنصلية-نوميديا وُضعت تحت تصرف المفوض الإمبراطوري ابتداءً من سنوات 38-39م. هذا الضابط السّامي كان يُعين ويُعزل من قبل الإمبراطور فقط وهو ينتمي للفئة السيناتورية ويمتلك نفس الصلاحيات التي يمتلكها البروقنصل باعتباره يدير شؤون مقاطعة (لم تُرسم إلا

في عهد الإمبراطور سبتميوس سويروس) يُمكن تسميتها "بنوميديا العسكرية" أو "نوميديا الجنوبية"، والتي شكلت الحزام الدفاعي لمقاطعة إفريقيا البروقنصلية المدنيّة من غارات قبائل الجنوب. تتمثل مهامه في الحرص والسهر على الاستعداد التام لجنوده على القتال بفعالية، لذلك عليه التأكد من التدرب الجيد للجنود عبر المراقبة الدائمة للتدريبات، السهر على فرض الانضباط وتطبيق العدالة، مُراقبة الشؤون المالية وكل ما يتعلق بالسير الحسن للفيلق وقد كانت سلطته تمتد كذلك على المدنيين القاطنين في المجال الذي يديره وتقدر مدة ولايته بسنتين إلى ثلاث سنوات وأحيانا لمدة أطول (Végèce, 1859, II, 59, Y. le Bohec, 1989-1, p 120, R. Cagnat, 1912, p-p 123-127, P. Southern, 2006, p 331).

تولى قيادة الجيش الإفريقي أثناء زيارة الإمبراطور "هادريانوس" لإفريقيا كما أشرنا المفوض الإمبراطوري "ك. فابيوس قاتولّينوس"، فنال بذلك شرف مقابلة الإمبراطور في إطار زيارة رسمية. ورد ذكره في نقيشة الخطاب على شكل: "**قاتولّينوس، مفوضي، اللامع (لقب شرفي للفئة السيناتورية)**" (Catullinus, legatus meus, clarissimus) و"**قاتولّيني، مفوضنا، الرجل اللامع**" (Catullini, leg(ati) v(ir mei, c(larissimu) (C, VIII, 2532). هذا اللقب (الرجل اللامع) كان "فابيوس" هو أول من ناله في التاريخ الروماني وقد سمّاه (هادريانوس) باسمه وبوظيفته في الخطاب بما لا يقل عن 06 مرات (C, VIII, 2532, J. L Voisin, 2003, p 28). ذُكر أيضا في نقيشة إهدائية على شرف الإمبراطور "هادريانوس" (C, VIII, 2533) وفي نقيشتين إهدائيتين نحتتا من قبله كتضرع للآلهة لتنتهي حالة الجفاف التي عاشتها نوميديا لمدة 05 سنوات أو بالأحرى احتفالا بمعجزة سقوط الأمطار السّاحيّة وغير المتوقعة تزامنا مع زيارة الإمبراطور؛ واحدة على شرف الإله "يوبيتر الأفضل والأعظم، سيّد العواصف الإلهية"، (C, VIII, 2609) والأخرى على شرف "آلهة الرياح "ونتي" (Vents) سيدة عواصف الخير" (C, VIII, 2610).

تقلّد "فابيوس" منصب المفوض الإمبراطوري في شهر جويلية من سنة 127م لغاية خريف سنة 129م على أبعد تقدير (J. L Voisin, 2003, p 27, B.E Thomasson, 1996, p 145)، وهو ما تُؤكده لنا الشهادات العسكرية ونقيشة إهدائية منحوتة على شرف "هادريانوس"،[1] لهذا نستبعد طرح "لوبوهاك" القائل بأنه تولى قيادة الجيش ما بين 128-129م (Y. le Bohec, 1989-1, p 125)، ولرأي الباحثة "وولف" التي افترضت أنه قد يكون تولى القيادة منذ سنة 126م (Ca. Wolff, 2003, p 54)، وهذا نظرا لتقلد مفوض إمبراطوري غير معروف يُدعى "(...)وريوس" (...)uarius) قيادة الجيش سنة 126 وهو ما كشفته لنا نقيشة خلفها في "تيمقاد" (C, VIII, 17845, A.E, 1954, 148). بهذا تولى "فابيوس" قيادة الجيش على الأقل قبل سنة من الزيارة الإمبراطورية ما سمح له بإنجاز أعمال استحقت ثناء ومدح الإمبراطور في عديد المناسبات. بعد المنصب الإفريقي وفي سنة 130م نجده قُلد منصب "القنصل العادي" في روما رفقة "فلاويوس آبر" (M. Flavius Aper) من شهر جانفي إلى أواخر فيفري أو بداية مارس، فكان أول مفوض للجيش الإفريقي يشغل منصب القنصل العادي عكس قادة الجيش الإفريقي السابقين الذين لم يشغلوا سوى منصب "قنصل إكمال المدة"، وجاء هذا بلا شك كمكافأة له على أعماله الهّامة على رأس الجيش الإفريقي (C, VI, 208, 219, 2083=32377, C, XV, 1436, Ca. Wolff, 2003, p-p 53-54, Alison E. Cooley, 2012, p 470).

إذا عدنا إلى البدايات فإننا نجد أنفسنا لا نعرف شيئا عن أصوله ومساره المهني قبل توليه قيادة الجيش، لكن هذا لم يمنع من اجتهاد الباحثين الذين راح بعضهم يقدم احتمال أنه ذو أصول إسبانية بالاستناد على تواتر عشيرة (gens) "الفابيين" (Fabii) في الفئة السيناتورية لتلك الفترة وهي فرضية تُوصف بالمقبولة لكنها لا تمتلك الشواهد الحاسمة (B. E Thomasson, 1996, p 145, J. L Voisin, 2003, p 27). في حين، قدم "فوسن" فرضية يعتبرها أقل مخاطرة مفادها أنه ابن "فابيوس باربارروس" (Q. Fabius Barbarus Valerius Magnus Iulianus) الذي شغل منصب المفوض الإمبراطوري للجيش الإفريقي لسنة 97م و"قنصل إكمال المدة" لسنة 99م وهو ما نستبعده تماما (J. L Voisin, 2003, p 27, B. E Thomasson, p 139, Alison E. Cooley, 2012, p 467). إن الشيء المحتمل بقوة هو أنه ذو أصول اسبانية وأنه قبل أن يُكلف بقيادة الجيش الإفريقي كمفوض شغل عدة مناصب (ليس بالضرورة كلها) ومهام ابتدائية: العضوية في هيئة العشرون قاضيا (vigintivirat) وبعدها "نقيب الشريط العريض" (tribunus laticlavius) ثم

مناصب قضائية: "المفتش المالي" (Quaestor)، "الموظف المُكلف بالإدارة الحضرية لروما" (Aedile) أو "مُدافع عن طبقة العامة" (tribunus plebis)، "برايتور" (praetor)، مناصب انتقاليّة "كقيم" (curator) على مصلحة ما في روما وهو ما مكنه من أن يتقلد منصب المفوض الإمبراطوري بإفريقيا والذي أهله بدوره لشغل منصب القنصل في روما، ليختم مساره بمهام مختلفة إحداها منصب كهنوتي (Y. le Bohec, 1994, p 41).

بعد مهمة "القنصل العادي" شغل "فابيوس" منصب "قيم المبّاني والأماكن العامة" (curator operum publicorum) في روما (C, VI, 31134)، ليتوارى بعدها عن الأنظار لغاية ذكره في البداية من قبل "ديون كاسيوس" حسب "وولف" وهذا في معرض إشارته لشخص تسميته تالفة عاش في عهد "هادريانوس" حيث ذُكر على أنه لم يكن مُدعما لطريقة معاملة ابنه الذي رُمي في النهر (Dion Cassius, 1845, LXIX, 23, Ca. Wolff, 2003, p 54). ثم ذُكر بعدها من قبل الإمبراطور الفيلسوف "ماركوس أوريليوس" في مؤلفه "تأملات" ضمن جماعة قال فيها: "**استحضر في ذاكرتك دائما أولئك الذين كانوا يُفرطون في الغضب والشكاة، أولئك الذين بلغوا ذُرى المجد أو النكبة أو العداوة أو أي صنف آخر من الحظ. ثم توقف وفكر: أين كل أولئك الآن؟ دخان ورماد، حكاية رُويت بل حكاية نُسيت. واستحضر في ذهنك أيضا طائفة بأسرها من الأمثلة "فابيوس قاتولينوس" في داره الريفية... وبصفة عامة كل سعي محموم تصحبه الخيلاء**" (ماركوس أوريليوس، 2008، الكتاب 12، 27). هذه الفقرة تجعلنا نستنتج أن "قاتولينوس" أمضى نهاية حياته في منزله الريفي ولا نعرف هل يعود هذا لتقاعد إرادي من الحياة السياسية أم بسبب فقدانه لمكانته وتعرضه لنكسة سياسية أوقفت مشواره السياسي ولم تسمح بوصوله لتقلد منصب الحاكم لمقاطعات أخرى (Ca. Wolff, 2003, p 54). في المقابل، إذا كانت قطع طابوق مختومة عثر عليها في أرياف روما تشير إلى الاختصار Q.F.Ca.VIII ما فُهم منه "فابيوس قاتولينوس" وبالتالي تأكيد مسألة حيازته لملكيات بالريف (قرب روما) مثلما أشار لهذا "ماركوس أوريليوس" (C, XV, 1132, Ca. Wolff, 2003, p 54)، فإن عائلة هذا المفوض كانت لها كذلك ممتلكات عديدة بنوميديا (A. Clément Pallu de Lessert, 1896, p 349).

البارز والملفت في مسيرة "فابيوس" أنه نال شرف زيارة الإمبراطور لمقاطعته وجيشه أين حظي بإشادة وثناء من الإمبراطور مبدئيا على الاستعراضات، المناورات والتمارين (exercitatio) المُقدمة له، وفعليا على العمل العسكري المبذول للتحكم في المجال الإفريقي-النوميدي عبر توزيع الوحدات على مختلف الحاميات وتحقيق توسعات تُرابية هامة وصلت خلالها لضفاف وادي "جدي". لقد أظهرت خطابات "هادريانوس" هذا المفوض في صورة قائد مُنضبط وصارم مع الجنود وحريص على التدرب الجيّد لقواته وهو ما تم استحسانه من الإمبراطور الذي عامله بنوع من الألفة من خلال استخدام ضمير الملكية "meus" الذي يعني "لي" أو "المنتمي لي" ومُكافأته بمنصب "القنصل العادي" (M. Le Glay, 1978, p 555).

ثانيا-2-ضباط وجنود الفيلق أثناء الزيارة:

تكون الفيلق الروماني من قُرابة 5000 جندي مُشاة و120 فارس (Flavius Josèphe, 1932, III, 6, 2, Y. le Bohec, 1994, p-p 24-25). هذا العدد الهائل يُشرف عليه مجموعة من الضباط السّامين يعملون تحت إمرة ولمساعدة المفوض الإمبراطوري: نقيب الشريط العريض المُنتمي للفئة السيناتورية، محافظ المعسكر (praefectus castrorum) وهو ضابط فرساني شغل من قبل رتبة قائد مائة ثم رماح أول (primus pilus) ومنها رُقي لهذا لمنصب، نُقباء الشريط الضيق الخمس (tribuni angusticlavii) المنتمين لفئة الفرسان (equester ordo)، وإلى جانبهم ضباط مأمورين هم: "الرّماح الأول" و59 قائد مائة (centuriones). تحتهم نجد ما تبقى من الجنود حيث مئات منهم هم ذوو رتب ومهام مختلفة يُمكن تقسيمهم إلى ثلاثة أصناف: "العاملون" (Munifices) وهم الخاضعون للأعمال المرهقة (السخرة)، المعفيون (immunes) وهم مُستثنون من أداء الأعمال المرهقة وكلاهما لا يتحصل إلا على راتب واحد، وأخيرا "الرئيسيون" (prinicipales) الذين بالإضافة لكونهم معفيون فإنهم يتحصلون على رواتب أكبر من زملائهم: بعضهم راتب ونصف (sesquiplicarii)، بعضهم "براتب مُضاعف" (duplicarii) وآخرون على قلتهم ذوو "راتب ثلاث أضعاف " (triplicarii) (Végèce, 1859, II, 7, A. von Domaszewski, 1967, p-p XI-XVI, E. Birley, 1953, 196p, B. Dobson, 1972,

p-p 193-207, D. J. Breeze, 1974, p-p 245-292, 1969, .p-p 1-11, Y. le Bohec, 1994, p-p 48-49)

عبر تفحص الخطاب فإننا نلاحظ أنه على الرغم من اعتقاد البعض بإمكانية إعادة تشكيل كلمة "النقباء" (tribunii) في نهاية الخطاب المُوجه لمشاة الفيلق (L. Cantarelli, 1898, 58p)، فإنها فرضية مستبعدة اليوم من قبل كل ناشري نص الخطاب. إن خلو الخطاب من ذكرهم يقابله كذلك ندرة النقوش التي تشير للضباط السّامين خلال الزيارة حيث لا نجد سوى ذكر لزهاء ثلاثة نقباء الشريط العريض خدموا قبيل أو بعد الزيارة مباشرة؛ "ماركوس أيميليوس بابوس" (M. Cutius Priscus Messius Rusticus Aemilius Papus Arrius Proculus Iulius Celsus) الذي خدم في نهاية حكم "ترايانوس" أو بداية حكم "هادريانوس" أي ما بين 115-120م (C, II, 1371, 1283,A.E, 183, 517, C, VI, 40528, M. Corbier, 1974, p-p 189-195, W. Eck, P. Holdr, A. Pangerl, 2010, p 194, Y. le Bohec, 1989-1, p 129)، "ب. قاسيوس ديكستر" (P. Cassius Dexter, T.f., Cl(audius) Dexter Augus(tanus Alpin)us Bellicius Sollers Metilius (Secund(?)us Rutilianus) الذي خدم بالفيلق في حوالي 121-123م أو ربما في 135-137م (C, III, 12116, R. Bernard, 1989, p 371, 1991, p 71, Y. le Bohec, 1989-1, p 129)، وكذلك "م. والريوس كوادراتوس" (M. Valerius, M.f., Quir., Quadratus) الذي خدم بالفيلق خلال العقد الرّابع من القرن الثاني (C, VIII, 11811, 27772, 27776, A. Beschaouch, 1969, p-p 202-203, Y. le Bohec, 1989-1, p 129). محافظو المعسكرات لم نتعرف سوى على واحد منهم هو "قلوديوس بترونيوس" (Ti. Claudius Petronius Lusitanicus) الذي خدم في عهد "هادريانوس" (A.E, 1942-43, 39). أما نُقباء الشريط الضيق فلم نتعرف كذلك إلا على ضابط واحد يُدعى "ق. قورنليوس مينيقيانوس" (C. Cornelius Minicianus) الذي خدم بالفيلق خلال عهد "هادريانوس" (Pline le Jeune, 1920, VII, 22, III, 9, IV, 11, C, V, 5126, Y. le Bohec, 1989-1, p 138, L. Cheesman, 1914, p 162). من جهة الضباط المأمورين فقد تعرفنا على ثلاثة رماحين أوائل ؛ "بُنتيوس سابينوس" (T. (Pontius, T.f., Pal., Sabinus C, X, 5829, B. Dobson, 1955, t°2, p-p 256-259, H. G Pflaum, 1960, t°1, p-p 286-288, Y. le Bohec, 1989-1, p-p 149-150)، "آريوس قلمنس" (C. Arrius, C.f., Cor., Clemens): C, XI, 5646, J. François, 1983, p-p 265-266)، وأخيرا "ممر" (...) s, (C.f., Camil., Memor) الذي خدم على الأرجح سنة 129م (C, VIII, 2533, B. Dobson, 1955, p 353).

إذا كانت النقوش لا تشير لأي قادة مائة خدموا في عهد "هادريانوس" بشكل حاسم، فإن الخطاب أشار لهذه الفئة الهامة من الضباط حيث جُمع كل من "قادة المائة الأوائل"[2] (primi ordines) وقادة المائة معا في مشهد يعبر عن تقدير الإمبراطور لهم أين خاطبهم قائلا: "**الأسلحة... يتراءى لي أني شاهدتكم بعناية. قادة المائة الأوائل وبقية قادة المائة كانوا سريعين ومتحمسين (رشيقين) كعادتهم**" (C, VIII, 2532). يمتاز هذا الصنف من الضباط على حد وصف "فيجيتيوس" بأنهم: "**نشطين، شديدي القدرة على احتمال الإرهاق، مُحنكين (خبرة 15-20 سنة قبل الوصول لهذه الرتبة)، ذو هندام حسن وأسلحة نظيفة، يتوجب عليهم معرفة الرماية بمهارة لكل من الرماح والنبال، إجادة المُسايفة، أن يكونوا يقظين، فوريين في تنفيذ الأوامر، صارمين في التدريبات اليومية مع حفاظهم على الانضباط، عليهم المشاركة في كل المناورات وبالأخص مُراقبة منشأة المعسكر، وصولا لمراقبة إنجاز الجدران (murum)**" (Végèce, 1859, I, 25, II, 14, M. Le Glay, 1978, p .547)

بعد قادة المائة خاطب "هادريانوس" فرسان الفيلق الذين يصل عددهم لـ 120 فارسا كما أشرنا حيث خاطبهم: "**إلى فرسان الفيلق (At equites legionis)؛ التدريبات العسكرية بطريقة ما لها قوانينها الخاصة، فإذا جئنا لعملية إضافة عنصر أو استبعاده يصبح التدريب سواء أقل إفادة (إثارة للاهتمام) أو أكثر صعوبة. والحال أنه إذا أضفنا-تدريبات-صعبّة فإننا ننزع الرشاقة. لقد قمتم بتنفيذ كل الحركات (العروض) الأكثر صعوبة (عُسرا)؛ أديتم رماية الرماح بالتمّام (بإحكام) على الرغم من أنكم كنتم تلبسون التجفاف ما أفقدكم الرشاقة...سواء كانت جيدة أو العكس فإني أثني على حيويتكم (حماسكم)**" (C, VIII, 2532, Ca. Wolff, J. F Berther, 2003, p-p 115-116, Michael P. Speidel, 2006, p 10). من خلال هذا الخطاب يظهر أن "هادريانوس" نظر إلى حركات الفرسان من شقين: الأول

مرتبط بحركات فرسان محنكين، بعضهم شغوف بفنون الفروسية وبعضهم قليل الخبرة في التعامل مع الأحصنة، والثاني لعسكريين سريعي التأثر بالقتال في ساحة المعركة. نلاحظ أن الرشاقة والقوة كانتا مسعيين أراد الإمبراطور أن يصل إليهما الفرسان في تدريباتهم وحركاتهم. يُظهر الخطاب أيضا مدى حرص الإمبراطور على التكوين والتدريب العسكري للفرسان من خلال الدعوة ليكون أكثر طولا وصعوبة بالمقارنة مع ما يناله المشاة، مع اشتراكهما (تدريبات الفرسان والمشاة) في المحصلة وهي الوصول إلى تطوير روح الجماعة، تحسين الأسلوب القتالي والقوة البدنية للعسكري (J. L Voisin, 2003, p 23).

بعدها وجه الإمبراطور أنظاره للمشاة الفيلقيين الذين كانوا ضمن محاور اهتمامات الخطاب الإمبراطوري أين أكد على ضرورة تحقيق النوعية (الجودة) العسكرية سواء الفردية أو الجماعية وظهر في كلامه كخبير عسكري حيث خاطبهم قائلا: "**إلى المشاة: العمل (أو الدفاعات) الذي يقوم الآخرون بتوزيعه (بإنجازه) على مدى عدة أيام أنجزتموه للنهاية في يوم واحد، لقد عليّتم (بنيتم) جدارا طويلا تم إنجازه بطريقة شبيهة لتلك المُشيدة خصيصا لمشاتي الجنود (المعسكرات الشتوية). في الواقع، إنه قلّما نأخذ وقتا أطول كما ينبغي لبناء جدار من مَدر التربة، هذا المدر يُقطع بأبعاد متساوية ليتم حمله ونقله بسهولة، ليُكدّس (يُطرح) بعدها بدون عناء باعتبار أنها (كتل المدر) طبيعيا ناعمة ومستوية (منبسطة). قمتم كذلك باستخدام (في البناء) حجارة كبيرة، ثقيلة وغير متساوية لا أحد بمقدوره لا حملها، لا رفعها، ولا وضعها في مكانها دون أن يَظهر تباينها (تفاوتها) واضحا. كذلك، قمتم بحفر خندق مستقيم في حصى صلبة وحرشة وأنتم من سويتموه (قشطتموه) ليصبح أملس. بعد إقرار (الموافقة على) عملكم عُدتم (دخلتم) بسرعة إلى المعسكر، أخذتم طعامكم وأسلحتكم لتلحقوا (تتبعوا) فريق الفرسان المُرسل في مهمة: ثم راح الإمبراطور مُرحبا بهم مع صيحة كبيرة عند عودتهم**" (C, VIII, 2532, Ca. Wolff, J. E Berther, 2003, p-p 115-116, Michael P. Speidel, 2006, p 10).

طالب الإمبراطور في هذا الخطاب من المشاة العمل على التكيف والحركيّة الدائمة، ووجّب عليهم المعرفة الجيدة لطرق بناء المعسكرات مع العمل على تجاوز مختلف الصعوبات التي تواجههم ومنها المتعلقة بنوعية التربة. كما ألح على أهمية الاعتناء ببناء جدار (vallum) المعسكر باعتباره حامي المنشأة الدفاعية وطالبهم بأن يكونوا سريعين، شرسين، مساعدين دائمين لزملائهم وهذا بغية تعزيز روح الجماعة، لنجده في آخر الخطاب يخاطبهم بحميمية وعفوية (J. L Voisin, 2003, p 23).

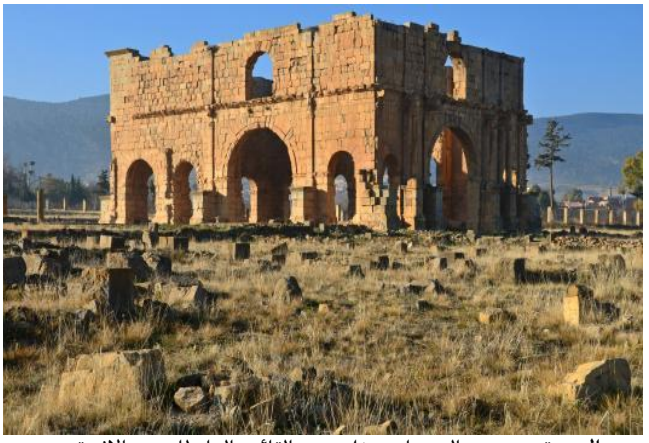
ثانيا-3-مواقع انتشار الفيلق أثناء الزيارة:

أثناء زيارة الإمبراطور مثلت "لامبايزيس" المقر العام لقيادة الفيلق والجيش الروماني بصفة عامة. هذا الموقع المعروف حاليا باسم "تازولت" يقع في المُنحدر الشمالي للأوراس على بعد 10 كلم شرق "باتنة"، على الطريق المؤدية لتيمقاد وخنشلة. بدأ التواجد العسكري بهذا الموقع سنة 81م مع إنشاء معسكر "تيتوس" (Titus) الواقع في المدينة العلوية للامبايزيس والمعروف كذلك بتسمية المعسكر الشرقي أو معسكر 81م (M. Janon, 2005, p-p 19-20, 32-33). بعده تم تشييد معسكرين آخرين في موقع "لامبايزيس" هما: معسكر المساعدين الواقع على بعد 02 كلم إلى الجنوب-الغربي من المعسكر الكبير والذي قد يكون اتخذ كإقامة للجنود قبل انتقالهم للمعسكر الكبير في حوالي 115-117م حسب "لوبوهاك" (Y. le Bohec, 1989-1, p 362, M. Janon, 1973, p-p 210-211, 2005, p-p 19-20)، على أن الأبحاث الأخيرة تؤرخ انتقال الفيلق من "تبسة" إلى "لامبايزيس" في بدايات حكم "ترايانوس" وليس في أواخر حكمه (X. Dupuis, 1992, p-p 93-98, M. Lenoir, 2011, p-p 193-194). مركز قيادة (principia) الجيش نجده بالمعسكر الكبير أين يوجد صرح ملحوظ بوضوح لا يزال يحافظ على معالمه والذي يُعرف بتسمية "الغروما" (Groma) أو "مبنى القائد" (praetorium) وهو في الواقع مدخل لمركز القيادة الذي شيد على الأرجح في 128-129م بالتزامن مع الزيارة الإمبراطورية (ينظر الصورة 03 و04). بهذا أصبح هنالك ثلاث معسكرات في "لامبايزيس" (M. Janon, 2005, p-p 51-60, 2008, p-p 4340-4346, M. Lenoir, 2011, p-p 187-193). بعد "لامبايزيس" نجد تواجد كتيبة للفيلق بقرطاجة تُرسل كل سنة حسب ما أشار إليه خطاب "هادريانوس" وبالتالي فإن قرابة 480 جندي كان يعمل بهذه المدينة وضواحيها تحت إمرة البروقنصل (N. Duval, S. Lancel, Y. le Bohec, 1984, p-p 33-89).



الصورة 03: صورة جوية للمعسكر الكبير بلامبايزيس.

المرجع: https://en.wikipedia.org/wiki/Lambaesis



الصورة 04: مبنى الغروما: مدخل مبنى القائد العام للجيش الإفريقي بلامبايزيس.

بالعودة إلى الخطاب، فإنه ينقل لنا قليل من الإفادات عن مواقع انتشار الفيلق حيث جاء على لسان "هادريانوس في هذا الصدد: "**قاتولينوس، مُفوضي، حريص (شديد الاهتمام) على دعمكم، بالفعل، فإن كل ما قد يضطر لقوله لي قد أخبرني به بنفسه لعذركم (على ؟). هنالك كتيبة غائبة (ناقصة) لأنه في كل سنة يتم إرسال واحدة بالتناوب لتكون في خدمة البروقنصل. في الواقع، منذ عامين قمتم بمنح كتيبة وأربعة رجال من كل وحدة مئوية (centuria) لإكمال تعداد (عدد) رفقائكم في الفيلق الثالث.[3] حقيقة، إن هنالك مخافر أمامية إضافة لكونها عديدة فإنها مُوزعة (منتشرة) على نحو واسع، ما يجعلها تبقيكم مبعثرين (متباعدين). وبالفعل، فإنه لغاية فترة حكمنا وفي ذاكرتنا، لم تكتفوا بتغيير معسكركم مرتين فحسب (يقصد نقل مقر القيادة من "حيدرة" إلى "تبسة" ثم من "تبسة" إلى "لامبايزيس")، بل إنكم قمتهم بتشييد واحد جديد لكم. لكل هذه العلل، فإني أعذرك (أغفر لك) في حالة توقف الفيلق عن إجراء تدريباته لفترة طويلة، لكن لا يبدو أن شيئا توقف، لذلك لا يوجد أي سبب يجعلك تحتاج إلى عفوي (مغفرتي)**" (C, VIII, 2532, Ca. Wolff, J. F Berther, 2003, p 115, Michael P. Speidel, 2006, p 8).

إذن الخطاب يؤكد تواجد أفراد الفيلق في حاميات عديدة ومتباعدة لا يكشفها الخطاب بل الآثار والنقوش، من بينها معسكر "القصبات" (Gemellae) الواقع في الجنوب-الغربي للأوراس بجوار "وادي جدي" (Nigris flumen). هذا الموقع كان في البداية معسكر مؤقتا منذ سنة 126م أين عسكر به جنود "الكتيبة الأولى للخلقيسيين" (Cohors I Chalcidenorum) بهدف مراقبة تحركات الرحل عبر الوادي المذكور. وبعد أن تأكدت القيادة من أهميته الدفاعية نتصور أنها عززته بقوات من الفيلق ثبت وجودها في سنة 132م أين قامت بعملية إنشاء مقر قيادة المعسكر حسب ما تشير إليه عديد النقوش، ما حوله لمعسكر دائم أقامت به كذلك وحدة فرسان هي "الجناح الأول للبانونيين". لذلك، من المرجح بقوة أن المعسكر وقواته كانت أحد محاور زيارة الإمبراطور (P.Trousset, 1988, p-p 3008-3013, L. Leschi, 1949, p-p 220-226, G. Camps, 1995, p-p 2422-2424). إذا كان من المُؤكد وجود مفارز للفيلق في كل من "لامبايزيس"، "قرطاجة" و"القصبات"، فإنه يُمكننا إضافة أربع مواقع من شبه المُؤكد وجود جنود الفيلق بها، قد تكون حظيت بدورها بزيارة الإمبراطور وهي:

1-معسكر "بسرياني" (Ad Maiores) الواقع في الجنوب-الشرقي للأوراس على بعد 05 كلم جنوب واحة "نقرين"-أقصى جنوب تبسة- وقد تم اختيار هذا الموقع نظرا لتحكمه في ممر طبيعي يربط إفريقيا النافعة بالصحراء. تم بناؤه سنة 104 أو 105م، في حين اختلف الباحثون في تقدير أبعاده: 130م×80م مع سمك 1م، 116م×76م مع سمك 0,80م، 170م×100م أو 110م وإلى جنب الفيلق تشير قطع آجر مختومة لوجود "الكتيبة الثانية للإسبانيين" به (P. Trousset, 1991, p-p 1478-1480, J. P Laporte, X. Dupuis, 2009, p-p 51-102, R. Cagant, 1912, p-p 570-571, M. Lenoir, 2011, p-p 181-182, Y. le Bohec, 1989-1, p-p 430-432).

2-في الأوراس كذلك، تواجد الفيلق في مخفر أو محطة (statio) "زوي" (Vazaivi) الواقعة على بعد 110 كلم شرق "لامبايزيس" وشرق "خنشلة" بـ 24 كلم. بُني بدوره على

سهل المُنحدر الشمالي للأوراس في عهد الإمبراطور "دوميتيانوس" بعد سنة 84م وتواجد به بالإضافة إلى الفيلق جنود وحدات المساعدين: "الجناح الفلاوي لنوميديا" (Ala Flavia Numidica) المعروف كذلك بتسمية "الجناح الفلاوي الأول" (Ala I Flavia) ومفرزة للكتيبة السابعة المختلطة للوزيتانيين (cohors VII Lusitanorum equitata): (R. Cagant, 1912, p-p 588-589, Y. le Bohec, 1989-1, p, p 419, 423).

3-غير بعيد عن "زوي" نجد تواجدا فيلقيا في "حمام الصالحين" (Aquae Flavianae) الواقعة على بعد 06-07 كلم من "خنشلة" (Mascula) وعلى بعد حوالي 80 كلم شرق "لامبايزيس". هذا الموقع مثل مركزا عسكريا للفيلق منذ سنة 76م وكذلك مزارا للعسكريين نظرا لتوفره على ينابيع المياه الحارة التي لجأ إليها الجنود للتعافي من عديد الأمراض وللاسترخاء البدني. كما مثلت "خنشلة" مركزا عسكريا خدم به جنود الفيلق في عهد "هادريانوس" وجنود عديد الوحدات المساعدة: "الكتيبة التوأمية التراقية الثانية" (cohors II Gemella Thracum) و"الكتيبة السابعة المختلطة للوزيتانيين" (S. Gsell, H. Graillot, 1894, p-p 30-48, S. Gsell, 1911, f° 28, n° 138, E. Masqueray, 1878, p-p 444-472, 1879, p-p 65-94, R. Cagnat, 1912, p-p 431-432, 589-590, M. le Glay, 1968, p 218).

4-إلى الجنوب-الغربي من الأوراس وإلى شمال شط الجريد نجد موقع "هنشير رقوبة سعيدة" الذي أقيمت به منشأة عسكرية عرفت بتسمية "حصن تيجنسيوم". هذا الحصن الواقع في نواحي "المتلوي" على بعد 40 كلم إلى الجنوب الغربي من "قفصة" برز في عهد "دوميتيانوس" حوالي سنة 83م في البداية كتجمع حضري (civitas) لجماعة محلية، ليتحول في عهد الإمبراطور "نيرفا" (Nerva) على الأرجح لقلعة (castellum) وهذا نظرا لموقعه الاستراتيجي الذي يسمح له بالتحكم في معبر يقع بين شط الغرسة والجريد، وله رؤية مجالية واسعة. بهذا الموضع نمتلك نقيشة تشير إلى المفوض الإمبراطوري لسنة 97م "ك. فابيوس باربروس" (Q. Fabius Barbarus). لذلك، فإنه من المرجح بقوة استمرار هذه المنشأة العسكرية في الخدمة لغاية زيارة "هادريانوس" وما بعدها (C, VIII, 23166, M. Euzennat, 1971, p-p 229-239, M. Brahmi, 2005, p-p 85-100, Y. le Bohec, 1989-1, p 430).

هذه المواقع المذكورة تجعلنا نُلاحظ أن الفيلق تواجد بدرجة أكبر في الأوراس والصحراء النوميدية وهذا في إطار نظام دفاعي جديد برز منذ عهد الإمبراطور "ترايانوس" يُمكن تسميته "بالنظام الدفاعي للأوراس والصحراء النوميدية" وهو يستهدف التحكم في مختلف الممرات والمعابر التي يسلكها الرحل وأنصاف الرحل في هذا المجال، ما يؤدي إلى إحكام السيطرة على إفريقيا النافعة وحماية الداخل البروقنصلي في تونس الحالية والمجال القيرطي (القسنطيني) الواسع. إذا كانت المواقع المذكورة تؤكد لنا تواجد أفراد الفيلق بها في عهد "هادريانوس"، فإننا نميل للاعتقاد بوجود مراكز أخرى: زراية، ربما كذلك في جبال بوطالب أين شيدت دفاعات خطية، طبنة (Thubanae) وأيضا قرب لوطاية في "مسرفلة" (Mesarfelta)، حمام الصالحين (Ad Piscinam) في/قرب بسكرة، تهودة (Thabudeos)، بادس (Badias) (E. Fentress, 1979, p 113).

ثالثا-وحدات المساعدين خلال الزيارة:

إلى جنب الفيلق كانت هنالك مجموعة من الوحدات المعاضدة له والتي تتنوع بين كونها أجنحة فرسان، كتائب مشاة وكتائب مُختلطة. كان يُعول بالأساس في معرفة هذه الوحدات على خطاب "هادريانوس" ما جعل معارفنا عنها غير مكتملة، لكن مع اكتشاف شهادات عسكرية مؤخرا اتضحت لنا هوية هذه الوحدات مع استمرار إشكالية تحديد مواقع تواجدها.

ثالثا-1-الوحدات من خلال الخطاب:

ألقى الإمبراطور خطابات على عديد الوحدات المساعدة، لهذا سنحاول في البداية استعراض ما جاء في الخطابات بالترتيب لمعرفة وحدات المساعدين. نجد أن الإمبراطور في البداية خاطب وحدة غير معروفة (الكسور لا تسمح لنا لا من معرفتها ولا من معرفة العديد من التفاصيل الأخرى) تضم في صفوفها فرسان قائلا: "**... هنالك قفز...أنا أفهم بأنكم...يُمكن أن يكون...لكن لا...الرمح رُمي بمهارة...بعض..**" (C, VIII, 2532, Michael P Speidel, 2006, p 11). هذا المقتطف لا يسمح بمعرفة هل الخطاب موجه لجناح فرسان أم لكتيبة مُختلطة. بعدها وفي المقطع الموالي نجده يخاطب فرسان مترجلين من على جيادهم حيث قال لهم: "**ترجلتم (نزلتم) من الأحصنة بشكل**

صحيح...أيضا، بسرعة...بالتدريب" (C, VIII, 2532, Michael P Speidel, 2006, p 11). من خلال المقطعين يظهر أن الإمبراطور كان يقدم ملاحظاته على استعراضات قدمها له فرسان وحدة مجهولة. ليخاطب بعدها وحدة معروفة عندنا عبر نقوش أخرى مؤرخة بما بعد زيارة "هادريانوس" هي "الكتيبة الثانية للحماتيين" (cohors II Hamiorum) حيث جاء في الخطاب: "**في بداية (calendes) جويلية (iulius)، إلى الكتيبة الثانية للحماتيين: بما أن القلعة تعمل (تشتغل) ضدك...على ميدان التدريب المناسب...تم التناجز...حتى أنه قُطع الماء"** (C, VIII, 2532, Ca. Wolff, J. F Berthet, 2003, p 116, Michael P Speidel, 2006, p 13). هذه الوحدة هي كتيبة مشاة مُجندة من سوريا وبالتحديد من مدينة "حماة"، على أنه قبل هذه الزيارة لم نكن نمتلك أي نقيشة تشير إليها ما يبعث للاعتقاد بأن تواجدها في إفريقيا بدأ في بدايات القرن الثاني (Y. le Bohec, 1989-2, p-p 82-84).

بعد ذلك يُشير الخطاب لوحدة بدورها مجهولة تتميز بوجود حملة الأقواس (sagittari) أي رماة السهام في صفوفها حيث خاطبهم قائلا: "**لقد فعلتم...وبأيدي ليست متراخية، وبالتالي فإنكم لا تطلقون (السهام) على إشارة (العدو يجري بالفعل إليك)، إنكم بارعون (مثاليون). لقد حاولتم الرماية بتكرار وبشدة بحيث أنه بين مقذوفاتكم العديدة لن يجرأ العدو على رفع رأسه فوق الدرع...على أنكم كنتم بطيئين في إغلاق الصفوف...لذلك يتحتم عليكم الانسحاب بسرعة إذا احتدم القتال...قاتولينوسي (Catullinus meus) (صيغة حميمية اتجاه المفوض) المفوض...المُترأس (praefectus)؟ (مترأس الوحدة المجهولة)"** (C, VIII, 2532, Michael P Speidel, 2006, p 12).

نجده بعد ذلك يوجه الخطاب إلى جناح فرسان مجهول لم نعرف من اسمه سوى الاختصار " Pa (…) Ala sin (……)(---)"، وبالتأكيد ليس هو "الجناح الأول للبانونيين" لأن هذا الأخير مذكور في خطاب آخر. قاد هذا الاختصار "لوبوهاك" للاعتقاد بأن هذا الجناح قد يكون وحدة أخرى للبانونيين تحمل تسمية "الجناح الفلاوي للبانونيين" (ala Flavia Pannoniorum) وهو رأي غير دقيق. جاء في الخطاب المُوجه لفرسان هذا الجناح المجهول كلمات مقتضبة بلا معنى واضح هي: "**دفع الرماح...المرامي...مُترأسكم، بتحمس ركب (الحصان) معكم في المناورة، إلى جناح "با" (..) سين (---) ...ركوبكم في الحركة الدورانية المزدوجة (cantabricus)-حركة استعراضية متميزة-التي أديتموها بخفة (بسرعة) وبتحمس، ولكي لا يستطيع الخصم مناوئتكم ولا دفعكم إلى...الرجل اللامع، "قاتولينوس"، المفوض"** (C, VIII, 2532, Michael P Speidel, 2006, p 12, Y. le Bohec, 1989-2, p 33).

بعد تفقده للوحدات غير المعروفة توجه الإمبراطور لتفقد وحدة متواجدة في "زراية" حيث خاطب جنودها قائلا: ""**أنا أثني على مقدرتكم على ترتيب هذا الاستعراض العسكري الذي اتخذ مظهر القتال الحقيقي. بالنسبة لتدريباتكم فإنها أفضل من (؟) ما يجعلني أستطيع تهنئتكم. قائدكم المُترأس "قورنليوس" (Cornelius) أدى عمله بشكل مُرض، على أن فرسان العَدو السريع لم يرضون، فهم يجرون في كل الاتجاهات وفي حالة من الفوضى ولن يرضوا حتى والدي "ترايانوس" المُؤله ومُلهمي. لقد عبر الفارس بسرعة مُغطى بدرعه...إذا كان لا يرى إلى أين هو متجه أو لم يستطع لجم (إيقاف) حصانه عندما يود ذلك فلن يكون إلا ضحية مصائد (فخاخ) خفية وخنادق لم يرها. إذا أردتم الهجوم يجب عليكم حشد الصفوف في وسط الميدان مثلما نواجه العدو، ولا يجب القيام بأي شيء بشكل متهور (متهاون).**

في اليوم السابع من جويلية (nonis Iulis) بزراية، إلى الكتيبة؟ (الفلاوية الأولى المختلطة (Cohors I Flavia equitata-حسب "وولف"- (C, VIII, 2532, Ca. Wolff, J.F Berthet, 2003, p 113, Michael P. Speidel, 2006, p 13).

أثير نقاش بين الباحثين حول هوية الكتيبة التي ألقى الإمبراطور "هادريانوس" خطابا على جنودها في "زراية" حيث دارت الفرضيات حول "الكتيبة الفلاوية الأولى المُختلطة" أو "الكتيبة السادسة للكوماجينيين" (cohors VI Commagenorum) وهذا بالاستناد على وجود نقوش وشواهد قبرية لجنود من هتين الكتيبتين بهذا الموقع. المعروف أن هذه الكتيبة المجهولة مكثت في زراية لغاية سنة 202م تاريخ مغادرتها لوجهة غير مُحددة وهو ما كشفته لنا نقيشة تعريفة زراية التي تُستهل بعبارة: "**تعريفة رسم العبور (المكس) وضعت بعد مغادرة الكتيبة**" (lex portus discessum

(C, VIII, 5408, J. France, 2014, (coh(ortis) instituta p 100). يمكننا أن نلخص الفرضيات التي قُدمت حول هوية الكتيبة المجهولة في الآراء التالية:

1-يرى "سيشُروس" أن "الكتيبة السادسة للكوماجينيين" عُوضت "بالكتيبة الفلاوية الأولى المُختلطة" خلال القرن الثاني، أي أن "هادريانوس" ألقى خطابه على هذه الأخيرة وأنها هي من ظلت "بزراية" لغاية سنة 202م (C, Cichorius, 1900, col 275).

2-أما "كاركبينو" فلم يحسم في المسألة، فرأى أن إحدى الكتيبتين تواجدت في حامية "زراية" (ربما منذ تأسيسها) لغاية سنة 202م (J. Carcopino, 1918, p 13).

3-مال "تروسي" لطرح أن الوحدة المقصودة هي "الكتيبة الفلاوية الأولى المختلطة" وليست "الكتيبة السادسة للكوماجينيين" (P. Trousset, 2002, p 356).

4-في ترجمتها لخطاب "هادريانوس" مالت "كاترين وولف" لكون الكتيبة المقصودة هي "الكتيبة الفلاوية الأولى المختلطة" (Ca. Wolff, J. F Berthet, 2003, p 116).

إن الشيء شبه المؤكد هو أن كلا الكتيبتين شُكلتا في عهد الأباطرة الفلاويين وأن تواجدهما بإفريقيا بدأ منذ عهد هذه الأسرة (M. Le Glay, 1968, p 220, n°3, R. Cagnat, 1912, p-p 202-203, S. Gsell, 1893, p 163)، وكلتاهما كانتا متواجدتين بإفريقيا أثناء زيارة الإمبراطور "هادريانوس" سنة 128م (C, VIII, 2532, A.E, 2002, 1751, 1752)، وأن كليهما خدمتا في حامية "زراية" في تواريخ غير محددة، وأنه على الرغم من صعوبة تحديد هوية الكتيبة المجهولة في خطاب "هادريانوس"، فإننا نميل لكونها الكتيبة الفلاوية الأولى المختلطة باعتبار أن هنالك مقطعا آخر في الخطاب يشير للكتيبة السادسة للكوماجينيين.

بعد خطابه في "زراية" توجه الإمبراطور لتفقد وحدة معروفة بالنسبة لنا بفضل نقوشها المعتبرة في عدة مواقع والتي وتواجدت بإفريقيا منذ عهد الإمبراطور "أغسطس" هي "الجناح الأول للبانونيين" حيث خاطبهم في معسكرهم غير المحدد قائلا-خطابه ذو تأويلات عديدة-: "**في يوم 3؟=ربما 13 جويلية؟، إلى الجناح الأول للبانونيين: إن كل شيء قمتم به كان بشكل مُنظم (وفق النظام)، فقد ملئتم ميدان التدريب بدورانكم (مناوراتكم أو هجماتكم)، لقد قمتم برماية الرماح بشكل لا يخلو من الخفة على الرغم من استخدامكم لرماح نوعا ما قصيرة وقاسية (صلبة). كما أن العديد منكم رموا عنوزهم (رماح صغيرة) بالتمام (ببراعة). في الحال قمتم بامتطاء أحصنتكم برشاقة وبالأمس فعلتم هذا بسرعة (أو "قفزكم هنا من على الأحصنة كان مليء بالحيوية وبالأمس فعلتم ذلك بسرعة"، أو "لقد أظهرتهم قيمتكم، خفتكم هنا، وسرعتكم بالأمس"). إذا كان هنالك شيء ناقص (مفقود) في أدائكم فإني سأخطركم به (أو سأتأسف عليه)، وإذا كان هنالك شيء سيء بوضوح، فإنه يتوجب عليّ الإشارة إليه. لكن طيلة المناورات المقدمة أرضيتموني (سررتموني بالتساوي) سويّة. قاتولّينوس مفوضي، الرجل اللامع، يمنح نفس الرعاية للجميع (أو" يظهر دائما في أشغاله بأنه يشرف على مُلكه (وحداته) بكل عناية وحرص" أو "يُظهر نفس الهم والاهتمام بكل الوحدات التي تحت قيادته"). مُترأسكم (قائد الجناح) يظهر بدوره أنه يعتني بكم بشكل واعي (باهتمام بالغ)، لذلك أعطيته (تحصل على) هبة عينية (congiarium) (كنفقة السفر؟). إن الحج=السفر (Viator) الآن يدعوكم للقيام بالقفز في ميادين تدريبات الكوماجينيين"** (C, VIII, 2532, Ca. Wolff, J F Berthet, 2003, p 113, Michael P. Speidel, 2006, p 14, B. Campbell, 1994, p 19).

المقطع الأخير للخطاب يُشير إلى الوحدة الموالية التي عزم الإمبراطور على تفقدها وهي "الكتيبة السادسة للكوماجينيين"، وهي وحدة مُجندة من شعب يقطن في الجنوب-الشرقي للأناضول، بالقرب من "أنطاكيّة" وبدورها تصنف على أنها وحدة مستقدمة من سوريا إلى إفريقيا في تاريخ غير محدد؛ إذا كان هنالك من يعتقد أنها تواجدت بإفريقيا منذ عهد "ترايانوس"، فإنه في الواقع مثلت هذه الإشارة أول ذكر لها حيث خاطب "هادريانوس" فرسانها (ما يعني أنها كتيبة مختلطة) قائلا: "**إلى فرسان الكتيبة السادسة للكوماجينيين: إنه من الصعوبة على فرسان مُلحقين بكتيبة مُشاة الحصول على الاستحسان حتى من قبل أنفسهم، وإنه من الأكثر صعوبة أيضا بالنسبة لهم ألا يتعرضوا للإغاظة (الانتقادات) بعد المناورة (العرض) المقدمة من قبل جناح للفرسان؛ فعلى الرغم من أن مدى (أبعاد) ميدان التدريب مختلف (يُغطون مساحة أكبر من السهل)، عدد رماة الرماح مختلف (أقل عند فرسان الكوماجينيين)، فإن استدارتهم=لفتهم (volte) إلى اليمين**

كانت كتشكيل متراص (وثيق)، كما نفذوا المناورة الكانتابرية (cantabrian) بتلاحم، جمال أحصنتهم وروعة (بريق) أسلحتهم تتماشى (تنسجم) مع مستوى رواتبهم. لكن أنتم على الرغم من الحرارة تمكنتم من تجنب أي ضجر (ملل) بفضل همتكم وعبر تنفيذ كل ما يلزم القيام به بنشاط واجتهاد. علاوة على ذلك، قمتم برمي الحجارة بالمقاليع وتبارزتم بالرماح الخفيفة (أسلحة الرماية)، وفي كل مناسبة كنتم تمتطون (الأحصنة) بسرعة وتقفزون بها في كل مكان برشاقة. الرعاية البارزة لمُفوضي "قاتولينوس"، الرجل اللامع، واضحة من خلال أنه لديه رجال مثلكم تحت قيادة؟ (ربما ذكر اسم مُترأس الوحدة)" (C, VIII, 2532, Ca. Wolff, J. F Berthet, 2003, p 116, Michael P. Speidel, 2006, p 15, B. Campbell, 1994, p-p 19-20, P. Midinger, 1933, p 233). في هذا المقطع تظهر الوحدة أنها مختلطة ، كما يحسن بعض أفرادها استخدام المقلاع ، وعلى الرغم من أن الإمبراطور لم يعجب بعروضها بقدر إعجابه بعرض جناح البانونيين ، فإنه في الأخير أثنى على عرض فرسانها وتنوع تخصصاتهم الحربية وعلى المفوض.

تشير بعدها شظايا الخطاب إلى وحدات أخرى بإشارات لا تتعدى التسمية: "الكتيبة الفلاويّة الثانية للأفارقة" (Cohors II Flavia Afrorum) وهي وحدة جُند أفرادها من قبيلة تقطن بمقاطعة إفريقيا البروقنصلية ، وعلى الرغم من أن اسمها يشير إلى أنها شكلت في عهد الأسرة الفلاوية (69-96م)، فإن نقيشة الخطاب هي أول وثيقة تشير إليها (C, VIII, 2532, Michael P. Speidel, 2006, p 15, M. Euzennat, 1977, p-p 131-135, M. Le Glay, 1968, p 220, n°3, H. de Villefosse, 1899, P CCXIV, n° 42). في شظية أخرى نجد ذكر لوحدة هي "الكتيبة الأولى المختلطة للخلقيسيين" (cohors I Chalcidenorum equitata) المجندة من سوريا وبالتحديد من مدينة "خاليقيس" المعروفة حاليا بقنسرين (40 كلم عن حلب)، وبقدر ما هو وارد وجودها بإفريقيا منذ عهد الإمبراطور "واسباسيانوس" ، فإن أول موقع شغله جنودها هو معسكر "القصبات" وهذا في تاريخ يتراوح ما بين 10 ديسمبر 125 و09 ديسمبر 126م ، ما يقودنا لافتراض أن الإمبراطور زارها في هذا الموقع وألقى خطابا على أفرادها (C, VIII, 2532, Michael P. Speidel, 2006, p 16, N. Pollard, 2003, p 123, J. Carcopino, 1925, p 119, M. Lenoir, 2011, p-p 214-215). بهذا ، فإن وحدات المساعدين التي تعرفنا عليها بوضوح من خلال نقيشة الخطاب هي ست وحدات: الكتيبة الثانية للحماتيين ، الكتيبة الفلاوية الأولى المُختلطة ، الجناح الأول للبانونيين ، الكتيبة السادسة للكوماجينيين ، الكتيبة الفلاويّة الثانية للأفارقة ، الكتيبة الأولى المختلطة للخلقيسيين.

بالعودة إلى الخطابات المُوجهة لهذه الوحدات فإننا نجدها تتضمن تركيز الإمبراطور على مسألة التدريب والتكوين العسكري للوصول إلى الجودة القتالية ، فظهر بمظهر الخبير العسكري القادر على تمييز الجيد من السيء والأفضل من الأسوأ ، وبقدر ما يوحي لنا الخطاب ضمنيا بحجم الانتشار الواسع لهذه الوحدات على عديد الحاميات ، فإنه يكشف لنا الأصول الجغرافية للعديد منها. غالبية العروض والمناورات المُقدمة يُلاحظ فيها تركيز الإمبراطور على تفاصيل وجزئيات صغيرة ، فهي تمتاز على حد وصفه بالسرعة (celer) والخفة (agiliter)، القوة البدنية والذهنية وبأنها أديت بكل عزم وحيوية ، وهو ما دفعه لاعتبار بعضها بالعروض المتصفة بالكمال (ينظر الصورة 05 والمخطط 02). في المقابل ، يُظهر الخطاب بوضوح منح الإمبراطور الأولوية والأفضلية للفرسان على حساب المشاة ، سواء من حيث القيمة والكفاءة أو من حيث مضمون التكوين والتدريب ، فنجده أعجب لدرجة كبيرة بالجناح الأول للبانونيين حيث مدح أفراده في جوانب عديدة ، عكس الكتيبة التي زراها في "زراية" والكتيبة السادسة للكوماجينيين اللتين لم تحظيا عروضهما بإعجاب كبير للإمبراطور حيث انتقد بعض مناوراتهم ، معتبرا أنها تفتقد للرشاقة ، السرعة والتحكم ويسهل على العدو استغلال أخطائها في هزمهم ، ما يجعلنا نعتبر أن فرسان الكتائب كانوا أقل براعة وكفاءة من فرسان الأجنحة.



الصورة 05: تمثال نصفي للإمبراطور "هادريانوس" محفوظ في متحف الكابيتول بروما



المخطط 02: نماذج من شكل العروض المُقدمة من قبل فرسان الجيش أمام الإمبراطور "هادريانوس".
المرجع: Y. le Bohec : discours, 2003, P 77.

نستنتج كذلك من هذا الخطاب وجود التخصصية داخل مختلف الوحدات. فكتيبة الكوماجينيين مثلا تضم في صفوفها جنودا بارعين في استخدام: السيف ، الرماح الخفيفة ، المقاليع وبها كذلك سلاح الفرسان، في حين الكتيبة المجهولة يستخدم أفرادها سلاح القوس بمهارة عالية وهذا يظهر اعتناء الدولة الرومانية بتكوين جيش يضم جنودا متحكمين وبارعين في مختلف الأسلحة المستخدمة آنذاك. على العموم لقد خرج الإمبراطور راضيا على عمل المفوض وعلى الأداء الاستعراضي لمختلف الوحدات ومدى انسجام أفرادها في تحركاتهم، وكذلك على اعتناءهم بأحصنتهم وأسلحتهم، ما ينقل لنا الاهتمام والعناية التي أولاها الرومان لجيوشهم وللحرص الذي أولاه المفوض لعملية التنظيم والتأهيل العسكري لطاقمه بغية خلق جيش قوي ومنظم يدافع عن مصالح روما بالمنطقة، وهو ما تحقق فعليا وما إشادة من الإمبراطور إلا دليل على ذلك (J. L Voisin, 2003, p-p 23-25).

ثالثا-2-الوحدات المساعدة أثناء الزيارة من خلال الشهادات العسكرية (diplomata militaria):

الشهادات العسكرية هي وثائق نقائشية تشهد بأن المستفيد منها قد تحصل على تسريح مشرف (honesta missio) من الجيش في نهاية خدمته العسكرية أو عند حصوله على المواطنة الرومانية بالنسبة للمساعدين كمكافأة نهاية الخدمة. عادة ما يتم نقشها (كتابتها) على لوحتين صغيرتين من البرونز مطويتين على نفسهما على شكل دبتيك (diptyque). هذه الشهادات التي هي نُسخ مُحررة عن النسخة الأصلية (مرسوم) الصادرة عن الإمبراطور تُمنح بالأخص للأجانب الأحرار (peregrini) الذين خدموا بالجيش الروماني لقرابة 25 سنة كوثيقة إثباتية لحصولهم على المواطنة الرومانية التي تخول لهم الاستفادة من امتيازات قضائية وضريبية (كالإعفاء من ضريبة الرأس tributum capitis)، كما تمنح المواطنة للأولاد الطبيعيين لقدماء الجنود المولودين بعد خروجه للتقاعد (طبق هذا منذ 140م).

بعيدا عن المزايا التي تقدمها لصاحبها، فإن الشهادات العسكرية ذات قيمة علمية كبيرة للباحثين حيث تقدم لنا تاريخ صدور مرسومها، تاريخ تسليم النسخة المُحررة (الموثقة) بالأشهر والسنوات مع الإشارة إلى قناصلة (العادين أو قناصلة إكمال المدة) روما خلالها، كما تشير إلى حاكم المقاطعة التي عمل بها والأكثر أهمية بالنسبة لنا تسجيلها لمختلف وحدات المساعدين التي عملت بالمقاطعة خلال أواخر فترة خدمة المستفيد، وهذا طبعا بالإضافة إلى معلومات مختلفة حول المستفيد: الوحدة التي خدم بها، اسم قائد الوحدة، الرتبة العسكرية للمستفيد، اسمه، اسم الوالد وأصول المستفيد (الوطن، القبيلة أو المدينة)، اسم زوجته ووالدها وأصولها وأسماء أبنائه المتحصلين على المواطنة. لغاية سنة 1989م تاريخ صدور دراسة "لوبوهاك" حول وحدات المساعدين لم نكن نمتلك أي شهادة عسكرية تشير إلى الوحدات المساعدة بالمقاطعتين، لكن مع بدايات الألفية الثالثة تم اكتشاف ثلاث شهادة عسكرية، فما فحواها؟، وهل أزالت لنا الغموض الذي تضمنه خطاب "هادريانوس" حول هوية وحدات المساعدين؟:

-**الشهادة الأولى:** مؤرخة بأكتوبر-ديسمبر من سنة 127م، تم اكتشافها في نواحي الدانوب السفلي وهي تشير إلى أن الإمبراطور تقلد سلطة مدافعي طبقة العامة للمرة الحادية عشر XI، وهو ما يتوافق مع سنة 127م. كما تشير إلى المفوض "فابيوس قاتولينوس"، ما يؤكد مسألة توليه لقيادة الجيش سنة 127م. المستفيد منها يُدعى "فلاويوس" (Flavius) ابن "ستريا(ساي؟) (Steri(ssae?)، أصوله "داقية" أو "تراقية" وهذا بالعودة إلى أسماء أبنائه: "سبراخرست" (Sprachreste)، "دوقيداوا" (Duccidava)، وبلا شك فإنه بعد انهاءه خدمته عاد لموطنه، لذلك نعتقد أنه خدم بالجناح الأول للبانونيين. هذه الشهادة تتضمن وحدات تلك السنة المُقدرة بجناح وتسعة كتائب (A.E, 2002, 1752=2005, 1722, P. Weiss, 2002, p-p 497-500).

-**الشهادة الثانية:** تم اكتشافها في آسيا الصغرى، مؤرخة مبدئيا ما بين 126-130م لكونها تشير إلى أن الإمبراطور تقلد سلطة مدافعي طبقة العامة للمرة (?XI)، أي من XI إلى XIII، في حين قائد الجيش المرابط في إفريقيا هو "فابيوس قاتولينوس" ما يجعلنا نؤرخها في النهاية بما بين 127-129م. وعلى الرغم من كونها للأسف شهادة مكسورة لقطع عديدة ما حرمنا من معرفة صاحبها، فإنها سمحت لنا من التعرف على وحدات تلك الفترة المُقدرة كذلك بجناح وتسع كتائب (A.E, 2002, 1751, W. Eck, A. Pangerl, 2005, p-p 243-248).

-**الشهادة الثالثة:** مؤرخة ما بين أكتوبر-ديسمبر 127م، بالإضافة إلى إشارتها بأن الإمبراطور تقلد سلطة مدافعي طبقة العامة للمرة الحادية عشرة وللمفوض "فابيوس قاتولينوس"، فإنها تذكر لنا اسم القنصلين لتلك السنة وهما: "ل. آيميليوس يونقوس" (L. Aemilius Iuncus) و"يوليوس سويروس" (Sex. Iulius Severus). المستفيد منها هو جندي يعمل بوحدة غير معروفة تبدأ بالبادئة "الكتيبة Cohors II (---)II) أين كان يتولى قيادتها آنذاك المُترأس "لوقيوس آيميليوس" (Lucius Aemilius)، وقد كان له ابن يُدعى "أنطونيوس" (Antonius). بعد أن كانت تقدم لنا هذه الشهادة في البداية مضمون مشابه للشهادتين السابقين تم اكتشاف شظايا جديدة لها أدت ليس فقط لتصحيحها بل لتصحيح الشهادتين السابقتين أين كشفت لنا عن وجود جناحين وليس جناح واحد وثمانية كتائب بدل تسعة، ما أدى لاستبعاد الكتيبة الأولى لرماة السهام السوريين (cohors I Syrorum sagittariorum) من قائمة وحدات المساعدين

(A.E, 2005, 1715=2011, 1807, W. Eck, لتلك السنة 2011, p-p 263-271).

-**التركيب:** من خلال الشهادات العسكرية تم تحديد الوحدات المساعدة المتواجدة بإفريقيا أثناء الزيارة وهي:

-**الأجنحة:** "الجناح الأول للبانونيين"، "الجناح الفلاوي الأول" والذي عرف في بعض النقوش بتسمية "الجناح الفلاوي الأول لنوميديا"، وهو جناح نمتلك إشارات عديدة له باعتباره أنه شكل بلا شك في عهد الأسرة الفلاويّة وبعد أن خدم في البداية بإسبانيا وربما في موريطانيا القيصرية انتقل للخدمة في إفريقيا. بهذا تعد هذه الشهادة العسكرية أول إشارة صريحة لتواجده بإفريقيا وهو الأمر الذي يجعلنا نعتقد أنها الوحدة المقصودة بالاختصار sin (.....) Pa (...) Ala (---) في خطاب "هادريانوس" (A.E, 2011, 1807, C, II, 5610, C, VIII, 9657, Y. le Bohec, 1989-2, p-p 28-33).

-**الكتائب:** يمكن تمييزها إلى كتائب مشاة خالصة وكتائب مُختلطة، فنجد؛ "الكتيبة الثانية للحماتيين"، "الكتيبة الثانية للإسبانيين"، "الكتيبة الفلاوية الثانية للأفارقة"، "الكتيبة الفلاويّة الأولى المُختلطة للأفارقة" التي لم نتعرف عليها إلا عبر نقيشة واحدة مُكتشفة في "شمتو" مؤرخة بأواخر القرن الثاني. لهذا، فإنه عبر هذه الشهادات اكتشفنا وجودها بإفريقيا خلال الزيارة الإمبراطورية ولعل الأهم في نظرنا هو أن الشهادات تفند أطروحة "لوبوهاك" القائلة بأنها وحدة كانت خاضعة لأوامر البروقنصل، فقائدها من خلال الشهادات هو المفوض الإمبراطوري "فابيوس قاتولينوس" على الأقل لغاية سنة 128م (N. Duval, S. Lancel, Y. le Bohec, 1984, p 53, J. M Lassère, 1987, p 180, Y. le Bohec, 1989-2, p-p 82-85). نجد أيضا الكتيبة الأولى المختلطة للخلقيسيين، الكتيبة السادسة المختلطة للكوماجينيين، الكتيبة الفلاوية الأولى المختلطة التي تُؤرخ أول إشارة لها بأواخر القرن الأول ميلادي، وبعد أن كانت إشارة الخطاب إليها مجرد فرضية للباحثين أصبح تفقدها من الإمبراطور حقيقة أين كانت تعسكر في "زراية" (C, VIII, 18042, Mémoires, 1982, p-p 73-74, 74-78, R. Cagnat, 1912, p 202, G. Wilmans, 1884, p-p 330-344, Y. le Bohec, 1989-2, 79-82)، لنجد في الأخير "الكتيبة السابعة المختلطة للوزيتانيين".

بالعودة إلى قضية "الكتيبة الأولى للسوريين رماة السهام" المستبعدة بالاعتماد على الشهادة العسكرية الثالثة، فإننا نسجل استغرابنا لذكرها في الشهادتين الأولى والثانية وإقصاءها في الثالثة، فهل هو خطأ وقع فيه المحرر أين ذكرها في الشهادتين الأولى والثانية ونسيّ تدوينها في الثالثة؟ أم أنه نسيّ الجناح فقط في الشهادتين الأولى والثانية؟. تساؤل من الصعوبة الإجابة عليه، لكن رغم ذلك نرى أنه من الوارد وجودها في إفريقيا أثناء الزيارة، فهذه الكتيبة التي تواجدت في "لوزيتانيا" في أواخر القرن الأول وردت أول إشارة لتواجدها في إفريقيا حوالي 209-211م في "عين العوينية" (Auru) بإقليم تريبوليتانيا (Tripolitania)، على أن هذا لم يمنع الباحث "ماتينغلي" من قبل لافتراض أنها قدمت لإفريقيا في أواسط القرن الثاني. كما أنه بالعودة إلى الخطاب نجد أن الإمبراطور خاطب كتيبة تضم في صفوفها رماة للسهام (حملة الأقواس). لذلك، فإنه بقدر ما هو وارد أن الكتائب الأخرى ذات الأصول السورية تضم رماة للسهام في صفوفها، فإنه وارد أيضا أن الإمبراطور خاطب كتيبة غالبية أفرادها مختصون في هذا السلاح وهي على الأقرب هذه الوحدة السورية (A.E, 1961, 358, 1962, 304, D. Mattingly, 2003, p 140, Y. le Bohec, 1989-2, p-p 88-90).

ثالثا-3-مواقع انتشار وحدات المساعدين:

تمتد مقاطعة إفريقيا البروقنصلية-نوميديا على منطقة واسعة جغرافيا تمتد من إقليم تريبوليتانيا شرقا إلى الوادي الكبير (Amapsaga) غربا. هذه المجال الواسع تواجد به بالإضافة إلى جنود الفيلق قوات وحدات المساعدين. إنه مثلما لا تقدم لنا النقوش معلومات وافية عن مواقع تواجد الفيلق أثناء الزيارة، فإن المسألة هي أصعب مع المساعدين، ما يجعلنا نعول على الاجتهاد. في النقاط التالية سنحاول تقديم مواقع تواجد كل وحدة من الوحدات المذكورة (أنظر الخريطة 01):

-"الجناح الأول للبانونيين": تواجد في المجال القيرطي: "عين فوة"، "عين الكرمة"، "وادي العثمانية"، وربما "تيديس" (Castellum Tidditanorum) وهي وحدة خمسمائية كل أفرادها فرسان (C, VIII, 6308, 6309, A.E, 1930, 132, 133, I.L.Alg, II, 3729, J, P Alquier, 1929, p 95, J. Spaul, 1995, p-p 63-73).

-"الجناح الفلاوي الأول": تواجد في الأوراس وعلى الأرجح في مخفر "زوي" (ولاية خنشلة) وهي وحدة خمسمائية كل

أفرادها فرسان (C, VIII, 17633, Y. le Bohec, 1989-2, p-p 28-33).

-"الكتيبة الثانية للحماتيين": تواجدت في الشمال الأوراسي بالقرب من "تبسة" (الماء الأبيض) و"لامبايزيس" وهي وحدة خمسمائية تضم في صفوها حملة الأقواس (C, VIII, 10654, Y. le Bohec, 1989-2, p-p 82-84).

-الكتيبة الثانية للإسبانيين: تواجدت في الأوراس: بلامبايزيس ونواحيها، معسكر "بسرياني" وهي كتيبة خمسمائية (C, VIII, 2787, J-P Laporte, X. Dupuis, 2009, p-p 56-57, 9, Y. le Bohec, 1989-2, p-p 84-85).

-الكتيبة الفلاويّة الأولى للأفارقة: يصعب افتراض مواقعها، لكن نميل لكونه في الجنوب التونسي (ربما حصن تيجنسيوم) أو في تريبوليتانيا وهي كتيبة خمسمائية (Y. le Bohec, 1989-2, p-p 22-23).

-الكتيبة الفلاوية الثانية المختلطة للأفارقة: يصعب التكهن، لكننا نميل لوجودها في الحصن الدفاعي (praesidium) لشمتو، حامية "تهودة" وربما أيضا الجنوب التونسي وتريبوليتانيا وهي كتيبة خمسمائية تضم في صفوفها الفرسان (A.E, 1992, 1821, Y. R. Hadji, 2015, p-p 294-296, M. Khanoussi, 1991, p-p 825-839, Y. le Bohec, 1989-2, p-p 67-70).

-"الكتيبة الأولى المُختلطة للخلقيسيين": تواجدت في جنوب الأوراس وبالأخص في معسكر "القصبات"، وهي كتيبة خمسمائية مختلطة تواجد بها رماة السهام (A.E, 1950, 58, M. Lenoir, 2011, p-p 214-215, L. Leschi, 1949, p-p 221-223, Y. le Bohec, 1989-2, p-p 70-73).

-"الكتيبة السادسة المُختلطة للكوماجينيين": الشمال الأوراسي: "عين فوة"، "زراية"، خربة أولاد عريف (Lambiridi)-وادي الشعبة، الصحراء النوميدية (ربما معسكر حمام الصالحين ببسكرة) وهي كتيبة مختلطة خمسمائية بها المقلاعيين والرماحين وربما كذلك رماة السهام (B.C.T.H, 1901, p 314, n°3, J. Carcopino, 1918, p 13, Y. le Bohec, 1989-2, p-p 73-76).

-الكتيبة الفلاويّة الأولى المُختلطة: بالشمال الأوراسي: زوي، "زراية" وهي كتيبة خمسمائية مختلطة (Mémoires, 1982, p-p 73-78, C.VIII, 2532, 4527, S. Guédon, 2006, p-p 365-696, Y. le Bohec, 1989-2, p-p 79-82).

-الكتيبة السابعة المُختلطة للوزيتانيين: بالشمال الأوراسي: زوي، خنشلة، لامبايزيس وهي كتيبة خمسمائية مختلطة (C. VIII, 10721, 10733, 2887, 3101, Y. le Bohec, 1989-2, p-p 85-88).

-الكتيبة الأولى للسوريين رماة السهام: نعتقد تواجدها بالحواف الجنوبية للمقاطعة؛ تريبوليتانيا والجنوب التونسي وصولا للجنوب النوميدي وهي وحدة خمسمائية تضم حملة الأقواس وربما الفرسان والهجانة في صفوفها (D. Mattingly, 1991, p-p 75-82, E. Demougeot, 1960, p-p 241-243).

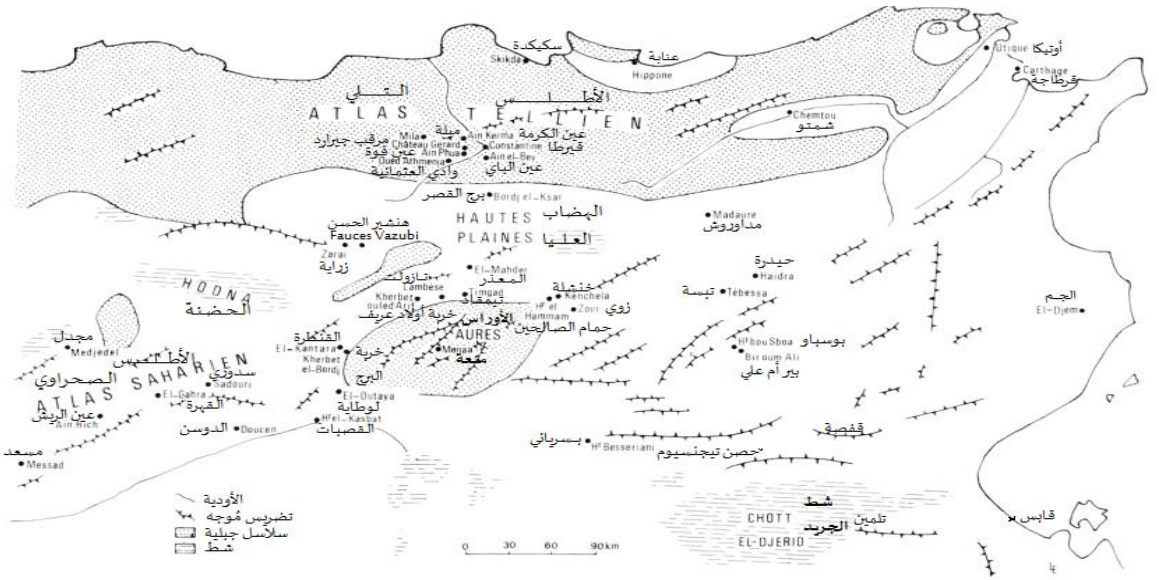
رابعا-الاستنتاجات العامة (الخاتمة):

-لن نبالغ إذا قلنا أنه من بين زيارات الإمبراطور "هادريانوس" لمختلف المقاطعات الرومانية، مثلت زيارته لبلاد المغرب حدثا فريدا ومتميزا لأنه جمع فيها بين زيارة مُدن حضرية وتفقد المنشآت العسكرية الدفاعية مع الوقوف على تدريبات الجنود في مدة تتراوح ما بين 04-06 أشهر. خُلدت هذه الزيارة بمعلم تذكاري لا تزال نقيشته ولليوم الوثيقة الوحيدة التي تبقت لنا من خطابات إمبراطورية مُوجهة للجنود، وهي وثيقة أظهرت الإمبراطور في صورة شخصية ذات معرفة عسكرية واسعة، مفكر عسكري حقيقي استفاد من قراءاته ومناقشته لكتاب عسكريين معاصرين له من أمثال "هيجينوس العضادي" (Hyginus Gromaticus) صاحب المؤلف الشهير "حول تحصينات المعسكر" (de munitionibus castrorum) ومستفيد مما كتبه "ماركوس فيتروويوس" (Marcus Vitruvius) صاحب مؤلف "حول العمارة" (de architectura). كما ظهر كمسؤول صريح وجريء يقدم ملاحظاته بشكل مباشر، متمتع باللباقة العالية التي تظهر من خلال عباراته الحميمية وطريقة تعامله مع طاقم الجيش من أعلى رتبة (المفوض) إلى أصغرها (المشاة والفرسان).

-تتضمن خطابات "هادريانوس" معلومات في غاية الأهمية للباحثين، فهي من كشفت لنا بوضوح أن الفيلق غيّر مقره الرئيسي مرتين: من حيدرة لتبسة ومن تبسة إلى لامبايزيس، ووجود كتيبة من الفيلق تحت إمرة البروقنصل تُرسل بالتناوب كل سنة، وأن الفيلق أرسل قبيل الزيارة مفرزة له نحو مقاطعات الشرق، وعبرها ذكرت لأول مرة عدة وحدات للمساعدين. في المقابل، تكشف لنا الخطابات تركيز الإمبراطور على عملية التكوين والتأهيل العسكري لجيشه عبر التدريب العسكري (exercitatio) العالي والنوعي، فنجده يكرر في عديد المناسبات كلمات: الرشاقة، الجمال، القوة،

روح الجماعة ، سرعة التحرك ، الانضباط. كما قدم ملاحظات مختلفة بغية تجنب أخطاء قد يقعون فيها أمام العدو. وعلى العموم فقد كان الإمبراطور راضيا على الجيش الإفريقي الذي استطاع فرض الأمن والاستقرار ، التحكم في مجال المقاطعة عبر نشر حاميات في مختلف الممرات والمواقع الحيوية ، وأثنى على كفاءة قادته وضباطه وفرسانه ، وهذه الأدوار كان لها بالتأكيد دور في ازدهار الحياة الحضرية والاقتصادية بالمقاطعة.

-من خلال تأمل خريطة التواجد العسكري أثناء الزيارة نلاحظ وجود مُكثف في السلسلة الأوراسية. في الواقع ، إذا كان الأباطرة الفلاويّون هم من دشنوا الطموح الروماني لضم الأوراس ، فإنهم لم يصلوا إلا إلى السهول الشمالية للأوراس ، ليتمكن الرومان في عهد الأباطرة الأنطونيون من إحكام السيطرة على الأوراس وتوغلوا في الصحراء النوميدية. لهذا ، نحن نعتبر أن ما وصل إليه الرومان في عهد "هادريانوس" هو أقصى التوسع الروماني في الجنوب الأوراسي باعتبارهم وصلوا لضفاف وادي جدي وما تحقق من توسعات في عهد الأسرة السويرية يمكن اعتباره غير مجدي بدليل أن الرومان منذ سنة 238م انسحبوا من عديد المواقع المسيطر عليها في أواخر القرن الثاني. هذه السلسلة من الاستحكامات الدفاعية جاءت لفرض السيطرة على الأوراس عبر تنصيبها على الممرات الجبلية والمصادر المائية لمراقبة تحركات الرحل وتنظيمها وهي عملية عسكرية لعبت دورا هاما في رومنة المجال الأوراسي وفي تحقيق السلم الروماني بالمقاطعتين.



الخريطة 01: مواقع تواجد وحدات جيش مقاطعتي إفريقيا البروقنصلية ونوميديا أثناء زيارة الإمبراطور.
المرجع: Y. le Bohec : les unités auxiliaires, P 194.

-عند تأمل أصول وحدات المساعدين نلاحظ أن أصولها الجغرافية متنوعة ، فهنالك وحدات مُجندة من أوروبا ؛ جناح فرسان مستقدم من "بانونيا" (منطقة جغرافية تشمل أجزاء من الدول الآتية: النمسا ، المجر ، سلوفاكيا ، سلوفينيا ، كرواتيا ، صربيا ، البوسنة والهرسك)، يمتاز فرسانه بكفاءتهم العسكرية وهو ما كشفه لنا الخطاب الإمبراطوري من جهة والاحتفاظ به بإفريقيا منذ عهد "أغسطس" إلى نهاية العهد الإمبراطوري الأعلى. نجد كذلك وحدتين مستقدمتين من ايبيريا هما الكتيبة الثانية للإسبانيين والكتيبة السابعة المُختلطة للوزيتانيين. بينما دعمت بلاد المغرب الفيلق خلال الزيارة بكتيبتين هما: الكتيبة الفلاوية الأولى للأفارقة والكتيبة الفلاوية الثانية المختلطة للأفارقة ، وكلاهما مُجندتين من قبيلة "الأفارقة" (Afri) وهي مجموعة بشرية تقطن بالداخل التونسي في المنطقة الواقعة بين حوض وادي التين شمالا ووادي مجردة جنوبا ، وهو أمر بلا شك يعبر عن نجاح الرومان في تجنيد جزء من السكان المحليين في جيشهم لإنجاح مشروعهم التوسعي وفق مبدأ: "أفضل من يساعدك على احتلال أرض ما هم شعبها". هذا النجاح يُضاف لتمكن الرومان من تجنيد وحدات للمساعدين من قبيلة الموزولامي القاطنة غير بعيدة عن الأفارقة وكذلك الجيتول.

على أن الشيء الملفت للانتباه هو الحضور السوري المعتبر حيث نجد ثلاث أو أربع وحدات هي: الكتيبة الثانية للحماتيين ، الكتيبة الأولى المُختلطة للخلقيسيين ، الكتيبة السادسة المُختلطة للكوماجينيين وربما أيضا الكتيبة الأولى للسوريين رماة السهام ، والتي يمتاز أفرادها بأنهم يستخدمون أسلحة مختلفة: مشاة ، فرسان (وقد يكون بعضهم هجانة)، يتقنون استعمال المقاليع والرماح الخفيفة ورماية السهام. إن اعتماد القيادة علي العنصر السوري يعود على الأقرب لعاملين رئيسيين: إتقانهم دون شعوب أخرى لعديد الأسلحة (رماية السهام ، المبارزة بالرماح ، استخدام المقاليع ، بعضهم هجانة)، وكذلك مقدرتهم على تحمل أو بالأحرى التأقلم مع مناخ بلاد المغرب الحار نسبيا ، لذلك نجد القيادة نشرتهم على حواف صحراء إفريقيا البروقنصلية ونوميديا.

-بعد أن سمحت لنا النقوش والشهادات من التعرف على كل وحدات الجيش المتواجدة خلال الزيارة ، فمن الهام محاولة تقدير عدد هذا الجيش. البروقنصل كانت تحت إمرته كتيبة حضرية وكتيبة من الفيلق وهو ما يعادل قرابة 1000 جندي (بالتدقيق 960 جندي). في حين ، كان تحت تصرف المفوض الإمبراطوري ما تبقى من الفيلق أي حوالي 4640 جندي (09 كتائب+120 فارس) وكل وحدات المساعدين التي إن افترضنا أنها تسع وحدات فهذا معناه قرابة 4320 جندي وإن كانت عشرة (إن صح وجود الكتيبة الأولى للسوريين رماة السهام) فنكون أمام زهاء 4800 جندي ، وبالتالي يكون مجموع الجنود الخاضعين لسلطة المفوض زهاء 8960 جنديا أو 9440 جندي (إذن المجموع الكلي هو 9920 أو 10900). هذا التعداد يُمكننا اعتباره أقصى ما وصل إليه القوات الرومانية بالمقاطعتين باعتباره أنه بعدها بدأ عددها يتناقص ، كما نعتبر أنه بقدر ما يظهر لنا أن عدد جنود الفيلق والوحدات المساعدة هو متقارب على العموم ، فإنه يعطي انطباع بأن العدد الإجمالي للقوات هو متواضع بالمقارنة مع المجال الواسع للمقاطعة. هذه القلة العددية عُوضت بالكفاءة القتالية العالية للجنود ، التخصصية العسكرية ، حسن اختيار مواقع الحاميات ، استغلال الجيش في إضعاف روح المقاومة عبر استخدام القوة الحربية ضد القبائل المحلية من جهة وتجنيد شباب السكان المحليين في الجيش ليكونوا مثالا للنجاح والارتقاء الاجتماعي في المجتمع عبر تحصلهم على المواطنة الرومانية دون اغفال أهمية الاستعانة بمفارز مقاطعات أخرى لتدعيم جيش المقاطعة الإفريقية ومن مثيل ذلك أنه في عهد "هادريانوس" قدمت لإفريقيا مفرزة من الفيلق التوأمي السابع (legio VII Gemina) المرابط في إسبانيا.

-تعبر هذه الزيارة عن العناية الخاصة التي حظيت بها إفريقيا البروقنصلية-نوميديا من قبل الإمبراطور وبالأخص الجيش الذي تم تفقده من 1 إلى غاية 12-13 جويلية 128م أين تمت معاينة مختلف وحداته ومعسكراته المنتشرة بالمقاطعة. إنه بقدر ما قُدمت تصورات عديدة للهدف من الزيارة ، فإن الهدف الرئيسي لها كان مراقبة مستوى تدريبات الجنود أين نستنتج أن التحضير والتكوين العسكري للقوات الرومانية تكون من شقين: تمارين فردية ، رياضية (السير ، القفز ، السباق والعدو) وعسكرية (المسايفة والرماية بأنواعها). أما البقية فهي تمارين جماعية (المناورات والاستعراضات)، وهذا دون إغفال أهمية تحكم الجنود في أعمال الهندسة العسكرية. هذه العملية المتكاملة هدف منها الرومان إلى ضمان التفوق التام للجندي الروماني على البرابرة (الأجانب الذين يعيشون خارج الليمس).

-الهوامش

1. تُشير النقيشة C.I.L, VIII, 2533=18043 إلى أن "هادريانوس" تقلد سلطة طبقة العامة (potestas tribunicia) للمرة الثالثة عشر وأنه في قنصليته الثالثة وهو ما يُؤرخ بسنة 129م.

2. قادة المائة الأوائل هم قادة المائة الذين يعملون في الكتيبة الأولى للفيلق المُكونة من خمسة وحدات مئوية (centuriae) (عكس بقية كتائب الفيلق التي تحتوي على ستة وحدات مئوية)، فيقودون بذلك وحدات بـ 160 جندي عكس بقية الوحدات المئوية للفيلق من الكتيبة II إلى الكتيبة X التي تضم في صفوفها 80 جندي. لهذا فعددهم 04 ضباط ، يُضاف لهم "الرماح الأول" الذي بالإضافة إلى قيادته للوحدة المئوية الأولى للفيلق فإنه يقود الكتيبة الأولى للفيلق التي تضم قرابة 800 جندي ، أنظر Yann le Bohec : l'armée, 1994, P-P 44-46.

3. يقصد الإمبراطور إما الفيلق الثالث القوريني (legio III Cyrenaica) أو الفيلق الثالث الغالي (legio III Gallica) اللذين يُعسكر كلاهما بالمقاطعات الشرقية. بهذا ، فإن الفيلق قدم لأحد هذين الفيلقين أكثر من 700 جندي في نواحي 125-126م وهذا لإخماد انتفاضة معينة ، لإنجاز أشغال ما أو ربما كتكملة عددية. ينظر R. Cagnat : l'armée, P 147.

-قائمة المصادر والمراجع

-المصادر

1. -ماركوس أوريليوس ، 2008 ، التأملات ، ترجمة عادل مصطفى ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة.
2. -Corpus Inscriptionum Latinarum (C.I.L).
3. -L' Année Epigraphique (A.E).
4. -Inscriptions of Roman Tripolitania (I.R.T).
5. -Suétone , 1893, Vie d'Auguste, Tra : M. Cabaret-Dupaty, Garnier Frères, Paris.
6. - Dion Cassius, 1845, Histoire romaine, Tra : Etienne Gros, éd F. Didot, Paris.
7. -Aelius Spartianus, 1844, Histoire Auguste : vie d'Adrien, Tra : Fi. Legeay, Panckoucke, Paris.
8. -Tacite, 1859, Histoires, Tra : J. L. Burnouf, Librairie de L. Hachette, Paris.
9. -Végèce, 1859, traité de l'art militaire, Tra, Victor Devalay, Librairie Militaire, Maritime et Polytechnique, Paris.
10. -Flavius Josèphe, 1932, Guerres des Juifs, Tra : René Harmand, Ernest Leroux, Paris.
11. -Pline le jeune, 1920, Epistulae, Tra : de Sacy et J. Pierrot, Garnier Frères, Paris.

-المراجع

1. -René Cagnat, 1912, l'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, Imperimerie nationale, Leroux.
2. -Marcel le Glay, 1968, Les Flaviens et l'Afrique, Mélange Histoire et Archéologie, t°80, n°1.
3. -Marcel Le Glay, 1978, Les discours d'Hadrien à Lambèse, XIe Congrès du limes, Szekesfejhervar (1976).
4. -Yann le Bohec, 1989-1, La Troisième Légion Auguste, Centre National de la Recherche Scientifique, Paris.
5. -Yann le Bohec, 1989-2-, les unités auxiliaires de l'armée romaine en Afrique Proconsulaire et Numidie sous le Haut-Empire, CNRS, Paris.
6. -Yann Le Bohec, 2003, Les discours d'Hadrien à l'armée d'Afrique. Exercitatio, De Boccard, Paris.
7. -Yann le Bohec, 2003, Hadrien et l'armée, les discours d'Hadrien à l'armée d'Afrique. Exercitatio, de Boccard, Paris.
8. -Yann Le Bohec, Les discours d'Hadrien en Afrique, Bulletin de la Société Nationale des Antiquaires de France, 2002 (1999).
9. -Yann le Bohec, 2005, Histoire de l'Afrique romaine 146 avant J.-C.-439 après J.-C, Picard, Paris.
10. - Yann le Bohec, 1994, l'armée romaine sous le Haut-Empire, Picard, Paris.
11. -Michael P. Speidel, 2006, emperor Hadrian's speeches to the African army, Verlag des Römisch-Germanischen Zentralmuseums.
12. -Stéphanie Guédon, 2010, Le voyage dans l'Afrique romaine, Ausonius, Bordeaux.
13. -Stéphanie Guédon, 2006, les voyages des empereurs romains en Afrique jusqu' au IIIe siècle, l'Africa romana, XVI (2004), Rabat.
14. -Ronald Syme, 1988, Journeys of Hadrian, Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphik, v° 73.
15. -Marcle Bénabou, 1976, La résistance africaine à la romanisation, F. Maspero, Paris.
16. -Hugo Mantel, 1968, The causes of the Bar Kokba revolt, The Jewish Quarterly Review, v° 58, n° 3.
17. -Jacques Gascou, 1972, La politique municipale de l'empire romain en Afrique proconsulaire de Trajan à Septime Sévère, École Française de Rome, Rome.
18. -Jean Pierre Laporte, 2006, Henchir el-Hammam (antique Aquae Flavianae), Aoures, Paris.

19. -Jean Pierre Laporte, 2006, Peuplement et catastrophes naturelles dans l'Afrique du Nord ancienne, dans le peuplement du Maghreb antique et médiéval, université de Sousse, Sousse.

20. -Jean Pierre Laporte, Xavier Dupuis, 2009, De Nigrenses Maiores à Négrine, Antiquité Africaine, v° 45

21. -Anthony. R. Birley, 1997, Hadrian. The Restless Emperor, Psychology Press, London - New York.

22. -Michel Labrousse, 1948, Note sur la chronologie du premier voyage d'Hadrien, Mélanges II, de la Société toulousaine d'Etudes classiques.

23. -Louis Leschi, 1949, Découvertes épigraphiques dans le camp de Gemellae (El-Kasbat, Algérie), Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, v° 93, n° 3.

24. -Michel Janono, 1973, Recherches à Lambèse : I. La ville et les camps. II. Aquae Lambaesitanae, Antiquité Africaine, v° 7.

25. -Michel Janon, 2005, Lambèse, capitale militaire de l'Afrique romaine, éd de la Nerthe, Olliules.

26. -Michel Janon, 2008, Lambèse, Encyclopédie berbère, 28-29 | Kirtēsii — Lutte, Aix-en-Provence.

27. -Nicole Méthy, 1992, La représentation des provinces dans le monnayage romain de l'époque impériale (70-235 après J.-C.), NAC, XXI.

28. -Rossella Pera, 1990, I riferimenti all'Africa nelle emissioni monetali della zecca di Roma, dans L'Africa romana, VIII, Cagliari).

29. -Pietro Romanelli, 1959, Storia delle province romane dell' Africa, L'Erma Bretschneider, Rome.

30. -Julius Dürr, 1881, Die Reisen des Kaisers Hadrian, C. Gerold's Sohn, Wien.

31. -Wilhelm Weber, 1907, Untersuchungen zur Geschichte des Kaisers Hadrian, Leipzig, B. G. Teubner, Leipzig.

32. -Catherine Wolff et Jean François, Berthet, 2003, traduction, dans les discours d'Hadrien à l'armée d'Afrique. Exercitatio, de Boccard, Paris.

33. -Brian Campbell, 1994, The roman army 31 B.C.-A.D. 337 a sourcebook, Routledge, London.

34. -Marcel Bénabou, 1972, proconsul et légat en Afrique. Le témoignage de Tacite, Antiquité Africaine, v° 6.

35. -André Berthier, 1981, La Numidie, Rome et le Maghreb, Picard, Paris, 1981.

36. -Bengt E. Thomasson, 1996, Fasti Africani. Senatorische und ritterliche Amtsträger in den römischen Provinzen Nordafrikas von Augustus bis Diokletian, P. Aström, Stockholm.

37. -A. Clément Pallu de Lessert, 1896, Fastes des provinces africaines (Proconsulaire, Numidie, Maurétanies) sous la domination romaine, E. Leroux, Paris.

38. -F. Bérard, 1991, Aux origines de la cohorte urbaine de Carthage, Antiquité Africaine, v° 27.

39. -C. Cichorius, 1894, 1900, 1901, dans R. E= Pauly-Wissowa, Real-Encyclopädie.

40. -Pat Southern, 2006, the roman army: A social and institutional history, ABC-CLIO, California.

41. -Jean-Louis Voisin, 2003, Au miroir des discours d'Hadrien : hommes et valeurs militaires, dans les discours d'Hadrien à l'armée d'Afrique. Exercitatiode Boccard, Paris.

42. -Catherine Wolff, 2003, Q. Fabius Catullinus, légat de la IIIe Auguste, dans les discours d'Hadrien à l'armée d'Afrique. Exercitatio, de Boccard, Paris.

43. -Alison E. Cooley, 2012, The Cambridge Manual of Latin epigraphy, Cambridge university press, Cambridge.

44. -A. von Domaszewski, 1967, Rangordnung des römischen Heeres, 2 édit, Böhlau, Köln.

45. - Brian Dobson, 1955, The primipilares of the roman army, Doctoral thesis, Durham university.

46. -Brian Dobson, 1972, Legionary centurion or equestrian officier ? A comparison of pay and prospects, Anc.soc, III.

47. -Eric Birley, 1953, Roman Britain and the roman army, collected papers, Kendal.

48. -David. J. Breeze, 1969, The immunes and principales of the roman army, doctoral thesis, Durham university.

49. -David. J. Breeze : The organisation of the career structure of the immunes and principales of the Roman army, Bonner Jahrbücher, v° 174.

50. -Luigi Cantarelli, 1898, Gli scritti latini di Adriano imperatore, Tipografia poliglotta, Roma.

51. -Corbier Mireille, 1974, L'aerarium saturni et l'aerarium militare : Administration et prosopographie sénatoriale, École Française de Rome, Rome.

52. -Werner Eck, Paul Holder and Andreas Pangerl, 2010, A Diploma for the Army of Britain in 132 and Hadrian's Return to Rome from the East, ZPE, v° 194.

53. -Rémy Bernard, 1989, L'activité des gouverneurs sénatoriaux dans la province de Cilicie au Haut-Empire, d'après les inscriptions, Mélanges Pierre Lévêque, t° 3: Anthropologie et société, Besançon: Université de Franche-Comté.

54. -Rémy Bernard, 1991, La place de la légion III Augusta dans la carrière des sénateurs affectés dans les provinces romaines d'Asie mineure au Haut-Empire, Antiquité Africaine, v° 27.

55. -Azedine Beschaouch, 1969, Uzappa et le proconsul d'Afrique Sex. Cocceius Anicius Faustus Paulinus, Mélange Ecole Française de Rome, t° 81, n°1

56. -George Leonard Cheesman, 1914, The Auxilia of the roman imperial army, Clarendon press, Oxford.

57. -Hang George Pflaum, 1960, les Carrières procuratoriennes équestres sous le Haut-Empire romain, Librairie orientaliste Paul Geuthner, Paris.

58. -J. François, 1983, les curateurs des cités dans l'occident romain : de Trajan à Gallien : études prospographiques, Nouvelles éditions latines, Paris.

59. -Xavier Dupuis, 1992, Provincia spelendidissima Numidia, les étapes de l'organisation d'une province de Caligula à Constantin, mémoire de l'Ecole Française de Rome.

60. -Maurice Lenoir, 2011, le camp romain : Proche orient et Afrique du Nord, école française de Rome, Rome.

61. -Noel Duval, Serge Lancel et Yann le Bohec, 1984, études sur la garnison de Carthage, B.C.T.H.

62. -Pol Trousset, 1991, Besseriani (Ad Majores), in Gabriel Camps (dir.), 10 | Beni Isguen— Bouzeis, Aix-en-Provence.

63. -Pol Trousset, 1998, Gemellae, in Gabriel Camps (dir.), 20 | Gauda — Girrei, Aix-en-Provence.

64. -Pol Trousset, 2002, Le tarif de Zaraï : essai sur les circuits commerciaux dans la zone présaharienne, Antiquité Africaine, v° 38- 39.

65. -Gabriel Camps, 1995, Djedi, Encyclopédie berbère, 16 | Djalut — Dougga, Aix-en-Provence.

66. -Stéphan Gsell, Henri Graillot, 1893, Exploration archéologique dans le département de Constantin (Algérie). Ruines romaines an nord des Monts de Batna (à suivre), Mélange archéologie et Histoire, t°14.

67. -Stéphane Gsell, 1893, essai sur le règne de l'empereur Domitien, thèse de doctorat, Université de Paris.

68. -Stéphane Gsell, 1911, Atlas archéologie de l'Algérie, Alger.

69. -Stéphane Gsell, notes d'Archéologie algérienne, B.C.T.H, v° 19.

70. -Emile Masqueray, 1878, Ruines anciennes de Khenchela (Mascula) à Besseriani (Ad Majores), Revue Africaine, v° XXII

71. -Emile Masqueray, 1879, Ruines anciennes de Khenchela (Mascula) à Besseriani (Ad Majores), Revue Africaine, v° XXIII.

72. -Maurice Euzennat, 1971, Le castellum Thigensium, B.C.T.H.

73. -Maurice Euzennat, 1977, Eqvites secvndae flaviae, Antiquité Africaine, t° 11.

74. -Mondher Brahmi, 2005, Thiges et Castellum Thigensium, géographie historique du Maghreb antique et médiéval : état des lieux et perspectives de recherches, actes du premier colloque international, Université de Sousse.

75. -Elizabeth Fentress, 1979, Numidia and roman army. Social, Military and economic, B.A.R, Oxford.

76. -Jérôme France, 2014, Normes douanières et réglementation des échanges. Trois questions simples sur le tarif de Zaraï (Numidie), Antiquité Africaine, v° 50.

77. -Jérôme Carcopino, 1918, les Castella de la plaine de Sétif, Revue Africaube, v° LIX.

78. -Jérôme Carcopino, 1925, La Limes de Numidie et sa garde syriennen Syria, VI, n°2.

79. -Paul Medinger, 1933, l'arc turquois et les archers Parthes à la Bataille de Carrhes, Revue Archéologique.

80. -Héron de Villefosse, 1899, B.C.T.H, v° 17.

81. -Nigel Pollard, 2000, Soldiers, Cities, and Civilians in Roman Syria, university of Michigan Press, Michigan.

82. -Werner Eck et Hartmut Wolff (Edd.), 1986, Heer und Integrationspolitik. Die römischen Militärdiplome als historische Quelle, Böhlau, Cologne et Vienne.

83. -Werner Eck, 2002, L'empereur romain chef de l'armée : Le témoignage des diplômes militaires, Cahiers du Centre Gustave Glotz, v° 13.

84. Peter Weiss, 2002, Ausgewählte neue Militärdiplome. Seltene Provinzen (Africa, Mauretania Caesariensis), späte Urkunden für Prätorianer (Caracalla, Philippus), Chiron, v° 32.

85. -Werner Eck et Andreas Pangerl, 2005, Neue Konsulndaten in neuen diplomen, ZPE, v° 152.

86. -Werner Eck, 2011, Neue Zeugnisse zu zwei bekannten kaiserlichen Bürgerrechtskonstitutionen, ZPE, v° 177.

87. -Jean Marie Lassère, 1987, les Afri et l'armée romaine, l'Africa romana, t° 5, Sassari.

88. -Centre Jean Palerne, 1982, Mémoires III, Médecins et médecine dans l'antiquité, G. Sabbah, Saint-Etienne.

89. -Gustav Wilmanns, 1884, étude sur le camp et la ville de Lambèse, Tra : H. Thédenat, E. Thorin, Paris.

90. -David Mattingly, 1991, The constructor of Gasr Duib, Numisius Maximus, Trib.(unus cohortis I Syrorum sagittariorum), Antiquité Africaine, v° 27.

91. -David Mattingly, 2003, Tripolitania, Routledge, Abingdon.

92. -Jeanne et Prosper Alquier, 1929, Le Chettaba et les grottes à inscriptions latines du Chettaba et du Taya, Constantine.

93. -John E. H. Spaul, 1995, Ala I Pannoniorum — One or Many? ZPE, 1995, v° 105.

94. -Yacine Rabah Hadji, 2015, l'épitaphe d'un soldat de la cohors II Flavia Afrorum in Badias (Limes de Numidia), ZPE, v° 194.

95. -Mustapha Khanoussi, 1991, Nouveaux documents sur la présence militaire dans la colonie julienne augustéenne de Simitthus (Chemtou, Tunisie), C.R.A.I, 135e année, n° 4.

96. -Emilienne Demougeot, 1960, Le chameau et l'Afrique du Nord romaine, Annales. Economies, sociétés, civilisations. 15e année, n° 2.

هيدغر: الحقيقة، الأشياء والكلمات -قراءة في دروس 1924-1925-

Heidegger: truth, things and Words-Review of 1924-25' courses-

تاريخ الإرسال: 11-01-2020 تاريخ القبول:22-12-2020

نعيمة حاج عبد الرحمان، جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2، naima.philo@yahoo.fr

الملخص

تُصرّح بعض نصوص هيدغر ، مفكّر الكينونة بامتياز ، أنّ أرسطو هو الفينومينولوجي الأوّل الذي عرفه تاريخ الفلسفة الغربيّة وهو ضروريٌّ في الإشكاليّة الهرمينوطيقيّة. إنّ سبب وقوف هيدغر عند لحظة أرسطو هو تأويل ماضي الفلسفة لتملّكه وفهم ما قاله أرسطو عن الكائن والكينونة ومحاولة فهم معنى الكينونة عنده. في **أفلاطون: السفسطائي** *Platon: le sophiste* ، فحص هيدغر الكيفيّات الخمس للكشف في الكتاب السادس من **الأخلاق إلى نيقوماخوس** واستنتج أنّ الحكمة هي أسمى إمكانية ينتزع من ورائها الدازاين العالم من تواريه لأنّها مجرّد نظر لما هو دائم وثابت أي لكينونة الكائن.

الكلمات المفاتيح: الكينونة ، الكائن ، الحكمة ، الكشف ، الدازاين.

Résumé

Certains textes de Heidegger, le penseur de l'être par excellence, incontournable dans la problématique herméneutique, considèrent Aristote comme le premier phénoménologue dans l'histoire de la philosophie occidentale. Heidegger s'était focalisé sur Aristote (Stagirite) afin d'interpréter le passé de la philosophie, pour se l'approprier et comprendre le sens de l'être. Dans Platon : Le Sophiste, Heidegger examine les cinq modes du dévoilement du livre VI (Éthique à Nicomaque) et conclut que la sagesse est la meilleure possibilité qui permette au Dasein d'arracher le monde à son occultation car elle est un pur voir de l'être de l'étant.

Mots clés : être, étant, sagesse, dévoilement, Dasein.

Abstract

Some texts of Heidegger, the ultimate thinker of Being, conceive Aristotle as the first phenomenologist in the history of Western philosophy, then ineludible in the hermeneutical problematic. Heidegger stands at the Stagirite' instant in order to interpret the past of philosophy, to appropriate it and understand the meaning of Being. In Plato' Sophist, Heidegger examines the five modes of revealing of the Book VI of Ethics to Nicomachus and concludes that wisdom is the preeminent possibility that allows Dasein (there-being) to remove the world from its occultation because it is a pure vision of the Being of beings.

keywords: Being, beings, wisdom, revealing, Dasein**.**

تمهيد

مارتن هيدغر (1889-1976) هو قارئ مميّز وغير عاديّ للفلاسفة القدماء عموما ولأفلاطون وأرسطو على وجه الخصوص. يُحكى أنّه لم يكن يملك في كوخه الصغير بالغابة السوداء سوى عشرة كتب من بينها **الجمهورية والميتافيزيقا**. هذا إن دلّ على شيء فإنّه يدلّ على المكانة التي خصّصها للإغريق.

يتناول هيدغر في درسه **أفلاطون: السفسطائي** *Platon: le sophiste*[1]، النظرية الأرسطية حول الفضائل العقلية المذكورة في الكتاب VI من **الأخلاق إلى نيقوماخوس**، وهي نظرية عالجها من قبل، تحديدا في عام 1922، في **تأويلات فينومينولوجية لأرسطو** [2]، الذي يعرض فيه وضع الهرمينوطيقا. وإذا كان موضوع الوضع الهرمينوطيقي هو النظرة (la vue) أي أنّه وضع محدد بـ"وجهة نظر" فذلك يدلّ على أنّ الهرمينوطيقا هي فينومينولوجيا، (Heidegger, 1992).

إنّ ربط هذه الإشكالية الهرمينوطيقية بشخصية ولحظة أرسطو بالذات له سببين اثنين: 1/ لفهم الذات ينبغي العودة إلى الماضي ليس لتعاطي البحث التاريخي ولكن لتأويل الماضي، ماضي الفلسفة، لتملُّكِه.[3] 2/ لفهم ما قاله أرسطو عن الكائن والكينونة ومحاولة فهم معنى الكينونة عنده خصوصا وعند أفلاطون واليونان عموما، (Heidegger, 2001).

ليست مدونة أرسطو، بالنسبة لهيدغر، كبقية المدونات. إن تأمل أرسطو هو الضامن الوحيد الذي يُمَكّن الإشكالية الهرمينوطيقية من تحقيق إجرائها الخاص. فالخاصية الفينومينولوجية لهذه الإشكالية هي التي تفرض على هيدغر تفحص وتقصي النصوص اليونانية، عموما، ونصوص أرسطو، بوجه خاص. إن في فقدان المفاهيم الأساسية الإغريقية وظيفتها التعبيرية الأصلية أساس إجراء الهرمينوطيقا الفينومينولوجية. فهذه الأخيرة تعمل على الكشف عن المنابع الموضوعية الأولى، وهي منابع قصديّة (intentionnelles)، التي زوّدت تلك المفاهيم معانيها. ولكن كيف يتمّ الكشف عن تلك المنابع الأولى؟ يتمّ الكشف عن هذه المنابع القصدية بالتفكيك والتقويض Destruktion، la déconstruction أي تفكيك التصورات الموروثة، (Taminaux, 2000). فكيف قرأ هيدغر النظريّة الأرسطيّة حول الفضائل العقليّة؟ وما هو الإجراء الذي قام به خلال هذه القراءة؟

1/سيعرِّف هيدغر أولا لفظة آليثيا (αλήθεια، alétheia). 2/ سيحدد الكيفيات المختلفة لد آليثويين (αλήθεύειν، alètheuein) أو وسائل النفس الخمسة للوصول إلى الحق والتي هي كالآتي: العلم، إبستيمي (épistémè)، الحكمة، سوفيا (σοφία)، الفن، تكني (τέχνη)، التعقل، فغونيسيس (φρόνησις)، العقل، نوس (νοῦς). 3/ سيعيد طرح إشكالية أرسطو الآتية: ما هو الماليستا آليثويين (μαλιστα αλήθεύειν، malista aletheuein) الذي من شأنه أن يخرج الكائن من انسحابه أكثر من الكيفيات الأخرى؟ بعبارة أوضح، ما هو الشكل الأكثر كشفا من بين هذه الأشكال الخمسة؟ وما هو البِلْتِستي إكسيس (βελτιστη ἕξις، beltisté exis)، أي ما هو الاستعداد أو الهيئة الأفضل للا- تحجب الكائن؟ 4/ سيحلّل الكيفيات المختلفة للآليثويين ومن ثمة سيتوصّل إلى أن الحكمة هي الحالة الفضلى بالنسبة للإنسان لأنها لا- تحجب محض وبسيط.[4] 5/ سيستنتج نوعين من اللوغوس، اللوغوس الدلالي، اللوغوس سيمانتيكوس (λογός σημαντικός) واللوغوس الرائي، اللوغوس أبوفانتيكوس (λογός αποφαντικός). 6/ وهنا، سينجح هيدغر في تبيان، من خلال أرسطو، بأن اللوغوس الرائي هو موضع الكذب أو الخطأ أي بسودس (ψευδος).

1- الآليثيا: القول وأشكال الكشف

أ- تعريف الآليثيا

لتعريف لفظة "الحقيقة"، سيطرق هيدغر باب الإيثيمولوجيا[5]، فيكشف عن أصلها اللغوي عند القدماء. يسمي اليونان الحقيقة آليثيا (ἀλήθεια) وهي كلمة تتكون من شقين: (آ – ليثيا). الـ (آ)، هي ما يعرف بالألف الحرمانية أو الألف المانعة. أمّا (ليثيا)، فتعني إخفاء، حجب. ومنه نصل إلى المعنى الاشتقاقي لكلمة آليثيا وهو "ألا يكون أبدا خفيا أو محجبا"[6]. إن الدور الذي تلعبه الألف الحرمانية في الكلمة اليونانية، (ἀ λήθεια) يشير إلى أن الحقيقة كما يفهمها اليونان ليست جاهزة أو معطاة وإنما ينبغي انتزاعها[7] والفوز بها بعد معاناة. على هذا الأساس، يقوم أرسطو بعمليّة مزدوجة: فهو يؤكد أن "الحق" بمعنى اللامحجوب (le dévoilé) هو خاصية الكائن وكينونة الكائن، من ناحية؛ ويربط بين حالة لا تحجب الكائن هذه وكينونة هذا الأخير وبين كيفية كون

الموجود الإنساني، أي هذا الكائن القادر على رفع الحجاب (dévoiler، alètheuein)، أي كشف الكائن الحي الوحيد الذي يتكلم، من ناحية أخرى، (Taminaux, 2000). ومنه، فليس الكائن ما هو ببساطة هنا وإنما ما ينبثق، ما يأتي إلى الظهور حين يخرج من الاحتجاب فيستقر في اللااحتجاب ويدوم فيه. الكائن، بالمعنى الأرسطي، هو المتجلّي، هو الذي يظهر. ولأن كلمة veritas التي ترجم بها الرومان كلمة آليثيا لا تحافظ على ميزة اللااحتجاب المذكورة أعلاه، قرر هيدغر عدم ترجمة آليثيا بـ vérité فاستبدلها بكلمة أخرى تحمل في ثناياها صفة الكشف والظهور فاقترح Unverborgenheit التي تعني اللا-حجب ليسمع ما كان يَرِنُّ في الكلمة اليونانية آليثيا، حتى وإن كان الأمر غير مفكَّرٌ فيه حتى من طرف اليونان أنفسهم، (Zarader, 1986).

ب- الآليثيا والليغين

إنّ التدقيق في معنى كلمة "آليثيا" يدفعنا إلى التساؤل عن الكيفيّة التي تتمّ بها المعرفة يونانيّا. فكيف يتعرّف اليونانيّ على الكائن وكيف يعرفه؟

إن العالم منغلق على نفسه وهو لا ينفتح إلا من خلال انفتاح الدازاين عليه عن طريق النظرة التي بموجبها نتوصّل إليه، أي أنّه في غياب الدازاين وعدم وقوع نظرته على الكائنات أي على الأشياء فلا انفتاح للعالم أي لا انفتاح للأشياء أي عدم انكشافها بل استمرار اختبائها. لا تحدث المعرفة إلا بعد قيام الألف الحرمانية بدورها أي بعد تجلّي الكائنات للدازاين. أرسطيّا، المعرفة هي عملية إخراج ما كنا نجهله من اختبائه إلى لا اختبائه عن طريق الخطاب أي الكلام (la parole). هكذا يتجلى الأليثويين أي فعل الكشف في الليغين أي في فعل الكلام. "لقد كان فعل الكلام هذا، بالنسبة للإغريق، ظاهرة جد ملحة ومألوفة إلى درجة أنهم استخلصوا منه تعريف الإنسان وتحديده بكونه الحيوان الذي يملك الكلام: (ζῷον λογον ἔχον, zoon logon echon). ومن خلال قراءته لـ *De Anima* يعيد هيدغر إبراز التعريف الأرسطي للكلام على أنه تصويت فموي يحمل هرمينيا، أي عبارة ذات معنى تقول شيئا ما مفهوما أي ذو دلالة حول العالم. فالكلام هو طريقة كون الإنسان وهو عند أرسطو فعل الكشف. هكذا، فالكلام هو طريقة تكون عليها النفس كشفا. ومنه يصل هيدغر إلى النتيجة الآتية: لقد أوَّل أرسطو، بناء على هذه القاعدة الأنطولوجية للكلام في (*De Anima*)، ولأول مرّة، الطرق المختلفة لفعل الكشف في الكتاب السادس VI من **الأخلاق إلى نيقوماخوس**، (Heidegger, 2000-2001 ; Aristote, 2004).

ج- أشكال الكشف

يرى أرسطو أنّ هناك "سبلا مختلفة تسمح للنفس (ψυχή) قول الحقيقة بطريقة الإثبات أو النفي، (Aristote, 2004). عدد هذه السبل خمسةٌ وهي ليست شيئا آخر سوى أشكالا للكشف: الفن، تَكْني (la τεχνη)، العلم، إبستيمة (ἐπιστημη)، التعقل، فغونيسيس (φρόνησις)، الحكمة، سوفيا (σοφία) والعقل، نوس (νοῦς). إنّ رؤية الشيء أي رؤية الكائن أي البراغما (πρᾶγμα) بلغة أرسطو، تجعل الدازاين يكشف عنه في الإثبات أو النفي أي في الخطاب من خلال هذه الكيفيات المرتبطة باللوغوس.[8]

ثلاث ملاحظات تفرض نفسها في هذا المقام: 1/ يستعمل هيدغر الفضائل العقلية في بعدها الأنطولوجي وليس في بعديها الأخلاقي أو الإبستمولوجي لأنّه ينظر إليها بما هي كيفيات لانكشاف الكائن كما هو. 2/ إذا كان يسند أرسطو كيفيات الكشف الخمس هذه إلى النفس، فإنّ هيدغر يسندها إلى الدازاين الإنساني. لذلك فهو يترجم عبارة أرسطو « alètheuei è psychè» بـ"الدازاين كاشف"، « le Dasein est dévoilant » أو بالعبارة التي يستعملها في **الكينونة والزمان** "الدازاين في الحقيقة"، « le Dasein est dans la vérité »، مؤكّدا أن اللاتحجب (le dévoilement) هو خاصية كينونة الدازاين. 3/ إذا كان هيدغر يستعمل كلمة "كائن" (étant) فإن أرسطو لا يستعملها صراحة، (Taminaux, 2000). من هنا يعرض هيدغر معنيين للحقيقة: 1/ الحقيقة كصفة للكائن الذي يتجلّى أمامنا ويجيء لملاقاتنا؛ 2/ الحقيقة كتحديد أنطولوجي للدازاين الذي يكشف الحجاب عن الكائن من خلال النظر إليه ثمّ الكلام عنه. أما فيما يخص اختفاء الكائن فله ثلاثة مظاهر: 1/ الجهل (l'ignorance)؛ 2/ الرأي الشائع (l'opinion dominante)؛ 3/ الضلال (l'erreur).[9] أمّا عن عبارة "الكينونة-الحقة" أو "الكينونة-في-الـحقيقة"، باعتبارها تحديدا للدازاين، فهي تعني أنّ الدازاين يضع الكائن اللامتحجب، الذي يتناوله عادة، تحت تصرفه أي تحت اليد، (Heidegger, 2001).

انطلاقا من فعل الكلام، والذي "يعد بالنسبة لليونان

التعريف الجوهري للإنسان"[10]، سميّز أرسطو الأشكال الخمسة للكشف استنادا إلى جزأين أساسين هما: الجزء العلمي[11] (la partie scientifique), (έπιστημονικον) ، وهو الجزء الذي "يسمح بإعداد العلم (le savoir)"[12] وبفضله نتأمل كائنا لا يمكن أن تكون مبادئه ، آركاي (άρχαι)، خلافا لما هو عليه"، وهو الكائن الذي يتصف بالدوام ، آيديون (αίδιον) أو الكينونة دائما (l'être-toujours)" ؛ والجزء المفكر أو الحاسب[13]، (la partie) (λογιστικον calculatrice) وهو الجزء الذي "يسمح بتهيئة البولوأسثاي (βουλεύεσθαι) (أي) الرؤية المتعقِّلة (la considération circonspect)، أو النظر العقلي (la reflexion)"[14]: "إنه هذا [...] الذي بفضله نفكر في الكائن الذي [...] يمكن أن يكون خلاف ما هو عليه"[15].

إنّ ما دفع أرسطو إلى فحص هذين النوعين الأساسين من الانفتاح أي الجزء العلمي والجزء الحاسب هو محاولة معرفة ما هو الكشف بامتياز: فمن بين هذين النوعين المذكورين ، ما هو النوع الذي يملك قدرة أكبر على إخراج الكائن وتحريره من اختفائه وتحجبه. بعبارة أخرى يجب تحديد النوع ، من بين هذين النوعين ، الذي يعدّ الهيئة أو الاستعداد الأفضل لإطلاق الكائن- في كل مرة- من الاختباء وإبقائه هكذا لا محجبا ، (Heidegger, 2001). وهذا ما سيجيبنا عنه بعد تحليل أشكال الكشف المختلفة.

بداية ، سيعمل أرسطو على تحليل الأشكال الأربعة للكشف والمتمثلة في: العلم ، الفن ، الحكمة والتعقل. لذلك ، سيطرح في كل مرة ، سؤالين رئيسيين: 1/ كيف يظهر الكائن الذي تكشفه مختلف أشكال الكشف هذه؟ (وهو سؤال خاص بالكائن)؛ 2/ هل يبرز الكشف الموافق- في كل مرة- أيضا ، مبدأ هذا الكائن؟ (وهو سؤال خاص بالمبدأ [16])، (Heidegger, 2001).

ج-1- العلم (*έπιστήμη*)

العلم هو كشف من النوع الأول أي الذي ينتمي إلى الجزء العلمي[17]. ولتحليل الإبستيمة ، سيتساءل أرسطو أولا عن "الكائن" الذي تكشفه الإبستيمة وثانيا عمّا إذا كان ، ما يشكل في كل مرة كشفا ، يبرز ويجلي أيضا مبدأ الكائن. بخصوص السؤال الأول ، يخبرنا أرسطو أن كائن الإبستيمة أي موضوعها هو كائن يكون دائما (un étant qui est toujours)[18]، هو الضروري (le nécessaire)، الأزلي (l'éternel)، الثابت الذي لا يخضع لقوانين التغير. وعليه ، فهو ليس العرضي أو المتغيّر لأن الكائن الخاضع للصيرورة لا يمكن التحكّم فيه وبالتالي لا يمكن معرفته. إن الذي يُعْرَفُ هو فقط الكائن الذي هو على ما هو عليه ، هو ، بعبارات أخرى ، كائن دائم الوجود ، أي الكائن الذي هو دائما كما هو أي الكائن بحق ، (Heidegger, 2001).

إنّ خصائص موضوع العلم التي ذكرناها توّا هي ما يفسّر اعتبار "الإبستيمة ديداكتي (διδακτη) قابلة لأن تُعَلَّم [و] مَتِتُون (μαθητόν))) يمكن تعلمها"[19]. ولهذا السبب ، يمكن نقل العلم إلى الآخرين بفضل طريقين حسب أرسطو هما الاستنتاج ، سيلوجسموس (συλλογισμος) والاستقراء ، إبَغوغي (έπαγωγή)، لأن الوصول إلى نتيجة انطلاقا مما عرف قبلا هو ، حسب أرسطو طريقة التواصل التي تنتمي للإبستيمة. وبناء على ذلك ، سيرفض أرسطو القول أنّ الإبستيمة هي الكشف بامتياز. لماذا؟ لأنّ اعتبار الاستقراء هو البداية أي هو الذي ينبثق من المبدأ يعني أنّه أكثر أصالة من الإبستيمة. إنه الذي يؤدي وبأصالة إلى العام ، الكاثولو (καθολου)، (Heidegger, 2001).

وعليه ، يخلص أرسطو إلى أن الإبستيمة لا توضح المبدأ بما أن كشفها للكائن-الدائم ، كما هو ، أمر مستحيل ، فهو يظل محجوبا بالنسبة لها. لذلك ، فليست الإبستيمة هي الإمكانية الفضلى لإطلاق الكائن من الحجب ونقله من الإختباء إلى اللاإختباء ، وإنما الحكمة هي التي من خلالها يتحرر الكائن من اختفائه في ظل الجزء العلمي ، (Heidegger, 2001). ولكن قبل فحص الحكمة سنتوقف أولا عند الفن:

ج-2- الفن: (*τήκνη*)

الفن هو كشف من النوع الثاني أي ينتمي إلى الجزء الحاسب. يقدم لنا أرسطو تعريفا للفن في الفصل الرابع من كتابه **الأخلاق إلى نيقوماخوس** قائلا: "إن ميزة كل فن هي خلقُ عمل. وهو يبحث في الوسائل التقنية والنظرية لخلق شيء ينتمي إلى صنف الممكنات والتي يقوم مبدأها في الإنسان الذي ينجز وليس في العمل المنجز"[20]. ويوضح قوميز-مولر Gomez-Muller هذه الفكرة قائلا: "الفن أو المعرفة التي تخص ما يُصنَع (poiétique) والتي يترجمها اللاتينيون إلى *Ars* هي شكل من المعرفة موجه نحو إنتاج عمل أو أثر أي آرغون (έργον)، أي موضوع ، وهو خلافا

لكائنات الطبيعة ، لا يحمل مبدأه في ذاته وإنما في الفاعل الذي ينتجه."[21] يتجه الفن نحو الأشياء التي ليست بعدُ ما ستصبح عليه ، نحو الأشياء التي يمكن أن تكون بوجه مختلف لأنها تستوجب ، أولا ، أن تُصنَع ، (Heidegger, 2001).

يُسَمَّى كائن (موضوع) الفن بويِئيتون (ποιητόν). ولكلمة بويِئيتوس (ποιητός, ή, όν) معنيين: الأول ، لنعت ما هو **مخلوق** في مقابل ما يوجد بذاته ، والثاني للتحدث عن الأعمال اليدوية المصنوعة.[22] ومنه فبويِئيتون (ποιητόν) هو ما لا يوجد بعد ولكنه يُصنع أي يُنتج. "عندما ينبغي إنتاج شيء ما ، فإن التفكير (أي العقل) مطلوب. فينبغي أخذ الـ لماذا (le pour-quoi) أي المنتوج ، بعين الاعتبار قبل كل إنجاز. [...] هكذا فإن الآيدوس (εἶδος) الخاص بما سينجز ، باعتباره خطة بناء هو محدد قبل الإنتاج. [...] يوجد إذن مبدأ الكائن المتعلق بالفن أي آيدوسه ، في النفس ، [...] أي في المُنتج نفسه"[23]. لنأخذ مثال الإسكافي: لمّا يصنع الإسكافي حذاء فهو يسلمه لشخص آخر بغرض استعماله لاحقا. وفور صنع الحذاء فهو بارا (παρα) أي خارج الفن. فالفن هو الملكة التي تنتج الأشياء في الخارج. وبما أن غاية الفن غير متوفرة بشكل دائم لأنها تتقيد بما نفكر في إنتاجه فإن الفن كشف غير محض. لأن ما يصنعه الفن هو موضوع الفن أي كائنه فقط باعتبار هذا الكائن الذي لم ينجز بعد. فحالما ينجز الكائن الفني فإنه يسقط خارج قبضة الفن فينفلت منه فيصبح برانيا. لذلك اعتبر أرسطو الفن كشفا غير حقيقي ، (Heidegger, 2001). وهكذا يلتحق مصير الفن بالإبستيمة لنستنتج مع أرسطو: ليست كيفيتا الكشف التي أتينا على دراستهما ، أي الإبستيمة والفن ، هما الأعلى. فماذا عن الكيفيتين الباقيتين ، التعقل والحكمة ؟

ج-3- التعقل: (*φρόνησις*)

التعقل هو كشف من النوع الثاني أي من الجزء الحاسب. "التعقل[24] ، فغونيسس[25] (φρόνησις) باليونانية ، هو حالة حقيقية ، مصحوبة بالعقل (raison) تحث على الفعل (l'action) عندما يتعلق الأمر بالأشياء الحسنة أو السيئة بالنسبة للإنسان"[26]. أما فيما يخص كائن-التعقل أو موضوعه فهو ما يمكن أن يكون خلافا لما ليس هو والذي له علاقة بالمتبصر أو الفطن ، الفغونموس (φρόνιμος) ، أي الممعن في النظر. وإذا كنا قد استنتجنا أن غاية ، تيلوس (τελος) ، الفن هي أمر خارجي (un à côté de) ، فإن الأمر ليس كذلك بالنسبة للتعقل. لأن غاية هذا الأخير هي الإنسان عينه ، (Heidegger, 2001). "إن الدازاين هو مبدأ التمعن في التعقل"[27].

إن ميدان التعقل هو الفعل (l'agir) وموضوعه هو العملي ، بغاكتون (πρακτόν). "وبما أن التعقل يرتبط بالمبدأ والغاية ويصونهما فهو يعتبر أفضل كيفية للكشف في ظل ذلك الكائن الذي يمكنه أن يكون مخالفا لما هو ليس عليه. [...] "ولكن التعقل ليس كيفية للكشف مستقلة في ذاتها ، تقصد اللا-اختفاء بلا قيد ولا شرط" ، إنها كيفيةٌ للكشف عمليةٌ ، بْغاكْتِكي (πρακτική)"[28]. ومع ذلك ، فإن هيدغر يستعمل ، صراحة ، كلمة آغِتي (*areté*) فقط في الصفحات الخاصة بالتعقل ما يجعل تامينو يستخلص ما يلي: هذا الاستعمال الصريح للكلمة يجعلنا نقترح أنه يسند ويعزو للتعقل شرف الفضيلة ، (Taminaux, 2000). أليس التعقل هو أساس إدراك الفرق الأنطولوجي؟ أليس التعقل هو الذي ينبهنا إلى أن الكينونة تختلف عن الكائن وأنه لا ينبغي أخذ الكائن على أنه الكينونة كما فعل ذلك فلاسفة الغرب طوال تاريخ الفلسفة حسب هيدغر؟

بناء على ما سبق ، يجب القول إن التعقل هو الكيفية الأكثر كشفا ، ولكن فقط في ظل الكائن الذي يمكن أن يكون مخالفا لما هو عليه. ولكنه ليس كيفية الكشف التي تقصد اللا-اختفاء بلا قيد ولا شرط.

لا نتردد هنا عن التنويه بالمجالين المختلفين اللذين يدور فيهما خطابا أرسطو وهيدغر. فإذا كان خطاب أرسطو تَحكُمه الأخلاق فإن خطاب هيدغر تحكمه الأنطولوجيا. فهيدغر ذاته يؤكد أن تأويله لأرسطو قائم على فينومينولوجيا الدازاين لذلك يرى تامينو أنه: "حيث يقول أرسطو إن التعقل هو هيئة" كاشفة (alèthéique) خاصة بالفعل (l'action) وتتعلق بالأشياء الحسنة بالنسبة للكائنات الإنسانية [...] لا يتردد هيدغر في ترجمة هذه العبارة إلى: هيئة الدازاين الإنساني والتي من خلالها أسيطر على شفافيتي الخاصة."[29] بناء على ما سبق ، ينبغي أن نعلم ، كما يبين ذلك تامينو جيدا ، أن فينومينولوجيا الدازاين هذه ، والتي ليست سوى أنطولوجيا ، تسجل لحسابها التعليم الأرسطي خصوصا عندما يتعلق الأمر بالتعقل وتفوّقه على الفن ، لأنه يجب فهم التعقل باعتباره نظرة الدازاين لكينونته الأخص أي باعتباره الضمير الأخلاقي الذي يجعل الإمكانية الأخص لأكون أنايا ، لأكون ذاتي بشفافية ، بينما الفن لا يكشف سوى كائنات والتي طريقة

كونها ليست أبدا طريقة كون الدازاين ، (Taminaux, 2000).

وبما أن التعقل هو أفضل كيفية للكشف في ظل الجزء المفكر والحاسب وأن في الجزء العلمي بقيت كيفية واحدة لم تُفحَص بعد ولم يُقرَّر مصيرها ، ألا وهي الحكمة ، فإن السؤال الذي يفرض نفسه الآن هو معرفة مَن مِن بين هاتين الكيفيتين (التعقل والحكمة)[30] تعد هي الإمكانية الأعلى للدازاين. لقد خصّص أرسطو الأبواب 6-13 من الكتاب VI من **الأخلاق إلى_نيقوماخوس** للإجابة على هذا السؤال. تحافظ الحكمة على "امتياز ، مقارنة بالتعقل ، بحيث أن هذا الكشف يشكل إمكانية خاصة أو قل إمكانية خاصة وبحصر المعنى للدازاين: وجود إنسان العلم"[31]. وللوصول إلى هذه الفكرة ، إنطلق أرسطو من "الفهم الطبيعي للدازاين اليوناني ذاته"[32]. أما بالنسبة لهيدغر ، فإن "أرسطو هو أول من رأى في الحكمة ، من ناحية ، الإمكانية الأنطولوجية الأعلى للدازاين بصفة عامة وللدازاين الإغريقي بصفة خاصة ، ومن ناحية أخرى ، أدق العلوم"[33]. لذلك ، سيسلك هيدغر نفس طريق أرسطو ليتساءل "كيف يوجد ميل للحكمة لدى الدازاين الإغريقي ذاته"[34].

ج-4- الحكمة (*σοφία*)

الحكمة هي كشف من النوع الأول أي الجزء العلمي. فما الحكمة ؟ وماذا يقصد بالحكيم ، السوفوس[35] (σοφός)؟ للإجابة على هذا السؤال سيوضح أرسطو أولا قب-مفهوم الحكيم ، أي مفهوم الحكيم كما يفهمه الدازاين الإغريقي اليومي ، أي الدازاين الإغريقي من عامّة الناس ، ليمدنا فيما بعد بمفهومه الخاص.

– الحكيم حسب الدازاين الإغريقي اليومي

هناك أربعة مطالب من خلالها يعبر الدازاين الإغريقي اليومي على ما يفهمه من "حكيم" و"حكمة" هي: 1/ **مطلب الكلية** (*l'exigence de totalisation*)[36]، أي أنّ الحكيم هو الذي يدرك الكل دون الوقوف عند الأجزاء. 2/ **مطلب التوضيح** (*l'exigence de clarification*) **:** "الحكيم هو من يملك إمكانية كشف ما هو صعب للكشف"[37]. 3/ **مطلب التعمق** (*l'exigence d'approfondissement*) **:** الحكيم هو الذي لا يبقى سجين السطحيات والعموميات والبديهيات. إنه ذلك الذي يتمتع بالقدرة على بلوغ جوهر الأشياء وأسسها.

4/ **مطلب الموضوعية** (*l'exigence d'objectivité*) الحكمة هي إبستيمة خالصة تسعى إلى بلوغ الحق دون قيد أو شرط ، (Heidegger, 2001)

وعليه ، فالحكيم ، حسب الدازاين الإغريقي

اليومي هو من يدرك الكل دون الوقوف عند جزئياته ، وهو من بإمكانه توضيح ما يستعصي على الآخرين ومن يستطيع بلوغ جوهر الأشياء ، وفوق كل ذلك ، هو من يطلب الحكمة خالصة لذاتها دون قيد أو شرط. فإذا كان هذا هو مفهوم الحكيم كما يراه الإنسان الإغريقي البسيط والعادي فما هو رأي أرسطو في ذلك ؟

– الحكيم بالمعنى الأرسطي

بداية ، فحص هيدغر هذه المطالب الأربعة التي تشكّل قب-مفهوم الحكمة وناقشها أرسطيا. بعدها ، استخلص وجود نوعين من الدازاين:

1/ الدازاين اليومي أو الدازاين المباشر (immédiat) وهو الذي "يتمسك بما هو مباشر"، بـ «ما يظهر للعيان مباشرة" ؛

2/ الدازاين الحكيم وهو الذي يتمسك بكل ما يظل محجوبا ومختفيا بالنسبة للدازاين المباشر. فالدازاين الحكيم هو من يتمسك بما هو أبعد مما يظهر للنظرة الأولى أي أنه لا يكتفي بما تقدمه له الحواس والواقع المباشر بل يتطلّع دائما إلى أبعد من ذلك أي ما يتجاوز الحواس. لذلك فالحكمة "تتشكل في حركة مضادة للإحساس ، آيِستيسس (αίσθησις). ومن هنا ، فإن الإحساس ليس ملغى ولكنه يؤخذ كنقطة إنطلاق. إنه يهيئ الأرضية[38]، ولكن بكيفية لا يتوقف النظر عندها. يعتبر الإحساس قدرة ، كيريون (κύριον) (cf, *Met*., A,1, 981 b11 ; *Eth Nic*.,VI, 2 1139a18) [أي] أمرا يملكه الدازاين على وجه الإطلاق ولكنه ليس أمرا بفضله يمكن رؤية الكائن باعتباره كائنا"[39]. وهكذا ، فإن الإحساس الذي يعد الذروة عند الدازاين اليومي ، ليس إلا النقطة التي ينطلق منها الدازاين الحكيم ليتهيأ في حركة-مضادة ، من أجل التوجه نحو هذا " الشيء الذي بفضله يمكن رؤية الكائن ذاته ككائن ، نحو هذا البعيد ، القصيّ (cet éloigné).

هكذا ، يتبين موقف أرسطو إزاء الفكرة السائدة والمسيطرة في عصره والقائلة بسلطة الإحساس. وهو نقد لاذع

للمدرسة الحسية بشكل خاص التي تقول إن "العلم هو الإحساس" والتي يتزعمها بروتاغوراس. فأرسطو لا ينفي كل دور للإحساس ولكنه يصفه بغير الكاف. فالإحساس ملكة لابد منها ولكنها غير كافية لأنها تتركنا سجناء لما هو مباشر فقط (الكائن) ولا تسمح لنا بولوج ما هو غير معطى وغير مباشر (الكينونة). الحكيم هو من "اتخذ كموضوع للبحث كل ما يتعلق، وبأعلى درجة، **بأسس** الكائن في كينونته"[40]. وليست هذه الأسس سوى تحديدات الكائن الأولى أي مبادئه.

تتمثل لحظة الحكمة الرابعة في استقلالية الكشف، فالحكمة في حد ذاتها مستقلة، فهي تقصد وتهدف الآغاثون (ἀγαθόν) ولكن من دون أن يعني ذلك أنها استعمال، كُفيسيس (χρῆσις) أو فعل، بُغاكسِيس (πρᾶξις) ولكنها نظر، ثِيوغاين (θεωρεῖν) محض. يقول أرسطو: "يعد الآغاثون آيتيون (αἴτιον)" أي علّة. يعلّق هيدغر قائلا: "لقد نجح [أرسطو]، للمرة الأولى، في تبيين أن الآغاثون ليس شيئا آخر سوى **تحديد أنطولوجي للكائن** كما هو معرف من خلال الغاية. إنه في حدود ما يجد كائن ما كماله وتمامه في غايته، فإنه يصبح مثلما ينبغي أن يكون عليه (εὖ)، فلا علاقة للآغاثون إطلاقا مع الفعل بل يتعلق الأمر بتحديد الكائن بقدر ما هو **مكتمل قائم في امتلائه**. بداية، لا حاجة للكائن الذي هو دائما لأن يُنتَج: فهو أولا، دائما هنا، مكتمل وثابت، (Heidegger, 2001).

ومن ثمة ينبغي تصحيح فهم الآغاثون. من هنا وصاعدا، ينبغي فهم الآغاثون كاسم للكينونة أو كخاصية أنطولوجية للكائن. بالنسبة لأرسطو، فإن هذه الخاصية تخص الكائن الذي يكون دائما والذي هكذا هو بالنسبة لذاته المبدأ والهدف.[41] وهكذا، سيَعْرِفُ الفكر مع أرسطو تحولا وتغييرا في معنى عبارة آغاثون. من الآغاثون كقيمة، مثلما نجده عند أفلاطون، إلى الآغاثون كتحديد أنطولوجي للكائن. وسيصل أرسطو وللمرة الأولى إلى "فهم أنطولوجي أساسي للآغاثون" والذي لا علاقة له إطلاقا مع الفعل وإنما هو "تحديد للكائن طالما هو مكتمل ". إننا نشهد مع أرسطو انتقالا في فهم الآغاثون من فهمه باعتباره "قيمة" إلى الآغاثون باعتباره "حدا فلسفيا"[42].

- سمو الحكمة

يلاحظ أرسطو "أن كل أشكال المعرفة بمعناها الواسع ضرورية للدازاين مثل الحكمة، فلا يمكن اعتبار شكل ما أفضل من الأشكال الأخرى". لكنّ الحكمة هي الشكل الأسمى"[43] ذلك أن الحكمة عند أرسطو، "هي الإمكانية الأعلى بالنسبة للإنسان (لأنها) Τῶν ἐξ ἀρχῆς αἰτίων (ἐπιστήμη (cf. *Met.* A,3, 983 a 24. sq)"[44]. فما الذي يعنيه هذا الكلام؟

إن لقرار أرسطو، فيما يخص تفوق وسمو الحكمة بما هي الإمكانية الأعلى للكشف، علاقةٌ بالكائن ذاته الذي تكشفه (dé-couvre)، الكائن الأعلى والمتمثل في الكينونة الدائمة (être-permanent) من ناحية، ومن ناحية أخرى علاقةٌ بامتياز النظر المحض الخاص بها، بالحكمة، لأنها مجرد نظر، (Heidegger, 2001).

لذلك كله ينبغي إدراك أن "الحكمة" الأرسطية تتعلق بكائنات توجد دائما وأبدا أي تتعلّق بزمانية لا متناهية. بينما زمانية دازاين هيدغر هي زمانية متناهية، (Taminaux, 2000). مع هيدغر، سيُعرَف ما يمكن أن نطلق عليه اسم تغيير وجهة الحكمة، من السماء وأبديتها إلى طريقة كون الدازاين ذاته وتناهيه أي زمانيته المنتهية (finie) والفانية (mortelle). ولأن الإنسان، حسب أرسطو، لا يمكنه المكوث دائما في التأمل المحض بالقرب من آياي (ἀεί) أي الكائن الدائم (l'étant en permanence) لأنه كائن فان فهو يحتاج دائما لأوقات الراحة والاسترخاء بعيدا عن هذا التأمل والتفكر، وهي الفكرة التي تقودنا مباشرة إلى الكيفية أو الهيئة الخامسة للكشف والمتمثلة في العقل، نوس (νοῦς)[45] فماذا عن هذه الإمكانية؟

ج-5- العقل (*νοῦς*)

"يعد العقل أعلى مقصد للإنسان. ينبغي إدراكه حقا على أنه إلهي. والحياة في ظل العقل هي نظر، (b 30) (θεῖον sq)"[46]. ولكن يجب التمييز، عند أرسطو، بين العقل الإلهي (le νοῦς divin) (العقل المحض= العقل الحقيقي) والعقل الإنساني (والذي لا يعتبر عقلا حقيقيا). ما يميز العقل الإنساني عن العقل الإلهي هو الكلام والمناقشة (la parole et la discussion).

2- اللوغوس الدلالي واللوغوس الرائي

"إن ميزة القول [...] هي [...] تناولُ "شيء ما" بما هو "شيء ما" تناولا خطابيا. في مقابل ذلك، فإن ما هو بسيط،

آبلون (ἁπλοῦν)، على الإطلاق، لا يمكن تناوله خطابيا بما هو شيء آخر"[47]. ينتج عن هذا النص إذن مفهومان جديدان: سينثِتُس (σύνθετος) المركب وآبلون (ἁπλοῦν) البسيط. الأول خاصية البشر والثاني خاصية غير البشر أي خاصية الإله أو الآلهة. العقل الإلهي هو العقل المدرك للبسيط بينما العقل البشري هو العقل الذي يمكنه إدراك المركب فقط أي إدراك شيء ما بما هو شيء ما أي بما هو آخر ومن ثم لا يمكن بلوغ حقيقته لأن لا قدرة له على بلوغ الشيء كما هو. وذلك ما يبين لنا كيف يمكن للقول أن يكون ربطا معا وتعانقا، (Maldiney, 1975).

انطلاقا من هذه الفكرة، يبدأ هيدغر في § 26، وذلك من خلال أرسطو، في استخلاص نتائج هامة وحاسمة، ليس فقط تجاه أرسطو وإنما تجاه كل تاريخ الفلسفة. "ليس باستطاعة القول، بما هو قول، من ذاته أن يكشف، أن يقوم بفعل الكشف، أن يكون حقيقيا. فليس للكلام أولا معنى الإظهار (αποφαινεσται)، أن يُري الكائن. ولكنها فقط مهمة قول جد محدد ألا وهو القول الرائي"، (Heidegger, 2001).

وعليه، فلا يوجد قول واحد. ذلك أنه بالإضافة للقول الرائي يوجد القول الدلالي، القول الذي لا يهتمّ بالرئاية والإظهار والذي لا يمكننا القول عنه إن كان حقا أو خطأ. بعبارة أخرى فإن القول الدلالي هو القول بصفة عامة بينما القول الرائي فهو جزء معين من القول والمتمثل في الحكم (le jugement). وإن هذا النوع من اللوغوس هو قلب ومركز القول حسب تعبير أرسطو. وهكذا، يتحول القول من دلالي إلى رائي إذا وفقط إذا كان الكشف (le dé-couvrir) فعل الكشف (ἀληθεύειν) والحجب (le dessimuler) فعل الحجب، بسودسثاي (ψεύδεσθαι) حاضرا فيه (أي في القول) بمعنى، يشكل جزءا من طبيعته. فلا يتواجد الكشف (ἀληθεύειν) ولا الإخفاء (ψεύδεσθαι) في كل قول. يقدم لنا هيدغر مثال الطلب، فهو ليس لا حق ولا خاطئ. يعني الطلب شيئا ولكنه مع ذلك لا يترك شيئا لرؤيته (يتناسب ذلك مع الخطابة والشعر)، (Heidegger, 2001).

يشرح هيدغر هذه المسألة قائلا: "يعلن أرسطو أن اللوغوس، الخطاب (le discours) هو رائي يعني أنه يترك-الرؤية" أو بالأحرى يسمح-بالرؤية (il laisse-voir)، بالطريقة التي فيها يكون الكشف حاضرا. ولما يستند المنطق التقليدي إلى هذا التحليل فهو يسمح لنفسه بالضياع والضلال لحساب خطأ جوهري يؤكّد أن أرسطو قد يكون أعلن أن الركيزة الحقيقية للحقيقة هي الحكم. ولكن، لما عثرنا، أثناء دراسة جد معمقة، على أبحاث تخص الكينونة-الحقة (l'être-vrai)، مستقلة عن الحكم، دُعّمَت حينها الفكرة القائلة إن أرسطو يتناقض مع تصوره الخاص عن الحقيقة. نحن ننوي [...] بلوغ فكرة أساسية عن علاقة اللوغوس بالآليثيا. يتبين هنا أولا، وبوضوح، أن أرسطو لا يتكلم أبدا في نهاية الأمر عن **الحكم**، بل عن **الكلام** (*la parole*) وأن الكلام لا يُظهر، لا يُصبح خطابيا (discursive)، ولا رائيا إلا حينما يكون الكشف أي الكينونة-الحقة، حاضرا فيه. ليس الكلام السند أو الركيزة الأولى والوحيدة للحق (ἀληθες) إنه كما يمكن للحق أن يكون فيه ولكنه ليس ضروريا، فاللوغوس **أيضا ليس الموضع الذي في ظلّه يكون الكشف في مسكنه، فيجد أرضه**"[48].

يتهم هيدغر، من خلال هذا النص، المنطق الأرسطي بأنه لم يفهم أرسطو، ويدعونا إلى الذهاب إلى عمق الأشياء: فقبل الحكم، يوجد الكلام (la parole) ومنه:

1/ إستحالة حبس تصور الحقيقة في الحكم ؛

2/ استرجاع بل تحرير هذا التصور كما رآه الإغريق بمعنى توسيعه إلى غاية أن يجد أساسه الأول والأصلي المتجذر في الإحساس وليس في القول لأنه فقط، عند هذا المستوى، يمكننا أن نأمل في بلوغ كنه "حقيقة" الكينونة والتي تنكشف لنا دون الوقوع في الوهم.

3- القول الرائي هو موضع الخطأ ψεῦδος

"نادرا ما يكون اللوغوس، عندما تكون له بنية الرئاية، (أي قول) "شيئا ما بما هو شيء ما، موضع الحقيقة بل بالعكس الشرط الخاص لإمكانية أن يكون هنالك شيء مثل الخطأ. لأن هذا اللوغوس، هو في الواقع، إظهار (un montrer) يترك رؤية ما يتكلم عنه **بما هو شيئ ما** (*en tant que quelque chose*)، فتظل إمكانية اختفاء ما يُتَكَلَّم عنه عن طريق الـ "بما هو" قائمة، بمعنى آخر أن يكون هناك وهم (*Täuschung*)"[49].

هذا النص الهيدغري هو بمثابة انقلاب على "حقيقة" سيطرت طيلة تاريخ الفلسفة الغربية (بعد أرسطو طبعا): سيتجاوز هيدغر المقولة الشهيرة التي تُعرّف الحقيقة على أنّها تطابق الفكر مع الواقع. فعوض القول أن اللوغوس هو الموضع الخاص بالحقيقة، سيبيّن هيدغر أن اللوغوس هو

موضع الخطأ: فطالما يُظهر لنا اللوغوس ما يتكلم عنه بما هو شيء ما، فإن هذا الـ "بما هو" أي هذا القول الرائي هو الذي يُعَدُّ موضع الاختفاء، الوهم، الخطأ (ψεῦδος)."فحيث لا يوجد مكان للقول، أي للقول الرائي، وحيث لا يوجد استدلال خطابي (discursif)، أي حيث لا نكتشف "شيئا ما" بما هو "شيء ما"، يوجد حقيقة. وإذا فالحقيقة توجد في الإحساس وفي الفكر (νοεῖν) (pensée). يقدم لنا هيدغر مثالا عن "اللوح" (le tableau) بما هو "أسود" (noir). فلما تقول: (le tableau est noir) فهنا نضع "اللوح" مع "أسود" بالكيفية التي سيشكلان بها واحدا (un). فحيثما يوجد تركيب (σύνθεσις)، يوجد خطأ (fausseté) كما يمكن أن توجد حقيقة. فهو يعتبر التركيب سبب الخطأ، لأننا نقول شيئا ما **عن** شيء ما، (Heidegger, 2001).

بناء على ما سبق، فإن أرسطو، بالنسبة لهيدغر، هو الذي أدرك، وللمرة الأولى، وجود علم يختلف عن كل العلوم الأخرى: فهذه الأخيرة "تتناول الكائن خطابيا (discursivement) باقتطاع جزء واحد منه"[50]. فهي تهتم بالأونطي أي بالكائن أما العلم الذي يتحدث عنه أرسطو فهو "علم يتأمل الكائن في كينونته"[51]. هذا العلم الذي هو أنطولوجيا ليس شيئا آخر سوى الحكمة، (Heidegger, 2001). وهنا يتوقف هيدغر قليلا ليقارن بين أرسطو ومعلمه أفلاطون (مثلما فعل ذلك طوال هذا الجزء من الكتاب ليذكر، في كل مرة، أن أرسطو هو الذي فعل هذا أو ذاك **للمرة الأولى**)[52]. بالنسبة لهيدغر فإن أرسطو كان يقيم الفرق الأنطولوجي بين الكينونة والكائن، علما أن هيدغر لم يستعمل صراحة عبارة الفرق الأنطولوجي في هذا النص، بينما أفلاطون لم يدرك ذلك.

خلاصة

لا وجود في عالم أرسطو ومن خلاله عالم هيدغر لعالمين: العالم الفوقي (l'au-delà) والعالم التحتي (l'ici-bas). بل يوجد عالم واحد فقط منغلق على نفسه ومختبئ ويوجد الدازاين الذي حينما ينظر، أي يرى العالم وما فيه من كائنات أي أشياء، يخرج هذا العالم من اختبائه فيكشفه. ومنه يمكننا إدراك معنى الكشف: انتزاع العالم من اختبائه. وإدراك معنى الآليثيا باعتبارها طريقة كون الدازاين أي طريقة كون الكينونة-هنا وليست طريقة كون كائن أسمى أو كائن مطلق.

يضع هيدغر، من خلال هذا النص، الحقيقة (آ-ليثيا) في فم الإنسان حين يفضح العالم من خلال الكلام. وهكذا، فإن الفضاء الذي تلتقي فيه الآليثيا والدازاين هو هذا الـ آ، أي الألف الحرمانية من آليثيا. وإن الكلام هو الذي يكشف الكائن ويحرره من الاختباء. فهو عند أرسطو تصويت فموي يحمل معنى ودلالة. إنه كشف يتجلى في أربعة أشكال هي: العلم والحكمة والفن والتعقل.

وبعد تمييزه لنوعين من الدازاين يصل هيدغر إلى أن الحكمة هي أسمى إمكانية ينتزع من خلالها الدازاين العالم من اختبائه وتواريه لأنها مجرد نظر لما هو دائم وثابت أي كينونة الكائن. وبما أن الدازاين كائن فان فليس باستطاعته أن يكون نظرا خالصا بالقرب من الثابت الدائم. ومنه، نصل إلى الشكل الخامس من الآليثويين والمتمثل في العقل.

فيما يخص علاقة اللوغوس بالآليثيا، فإن أرسطو لا يتحدث إطلاقا عن الحكم –أولا- بل عن القول. هكذا، يصل هيدغر إلى النتيجة الآتية: لم يفهم المنطق التقليدي أرسطو جيدا: فقبل الحكم، يوجد القول. ومن هنا، ضرورة تحرير مفهوم الحقيقة من تأويله وفهمه التقليدي واسترجاع ما رآه اليونان، ذلك أن الأساس الأول والأصلي للحقيقة يتواجد في الإحساس وليس في القول، أي يتواجد في الأشياء ذاتها.

لقد كان أرسطو، خلافا لمعلمه، يدرك الفرق الأنطولوجي بين الكائن والكينونة، وعلى هذا الأساس يمكن اعتباره الفينومينولوجي الأول في تاريخ الفلسفة الغربية. لقد كان أرسطو فينومينولوجيّا قبل الفينومينولوجيا.

قائمة المصادر والمراجع

1/ باللغة العربيّة

- أرسطو ، (ب-د-ت)، **الأخلاق إلى نيقوماخوس** ، ترجمة: لطفي السيد ، دار صادر ، بيروت.

2/ باللغة الفرنسية

- Heidegger, Martin, 1986, *Être et temps*, traduction : Vezin, François, Nrf, Gallimard, Paris.
- Heidegger, Martin, 1992, *Interprétations phénoménologiques d'Aristote*, Mauvezin, France.
- Heidegger, Martin, 2001, *Platon : Le Sophiste*, traduction : Courtine, Jean-François et d'autres, Nrf, Gallimard, Paris.
- Aristote, 2004, *Éthique à Nicomaque*, traduction : Bodéüs, Richard, GF Flammarion, Paris.
- Aristote, 2000, *Métaphysique*, traduction : Tricot, Jules, Vrin, Paris.
- Bailly, Anatole, 1987, *Abrégé du dictionnaire GREC FRANÇAIS*, Hachette, Paris.
- Romeyer-Dherbey, Gilbert, 1999, *La parole archaïque*, PUF, Paris.
- Gomez-Muller, Alfredo, 2005, *Chemins d'Aristote*, Félin, Paris.
- Greisch, Jean, 2000, *L'Arbre de vie et l'Arbre du savoir*, Cerf, Paris.
- Greisch, Jean, 2002, *Ontologie et Temporalité, Esquisse d'une interprétation intégrale de* Sein und Zeit, PUF, Paris.
- Maldiney, Henri, 1975, *Aîtres de la langue et demeures de la pensée*, L'âge d'homme, Lausanne.
- Taminaux, Jacques, 2000, "De l'héritage heideggérien, Phénoménologie française et phénoménologie allemande", *Cahiers de philosophie de Paris XII-Val de Marne*, N°4, Le Harmattan/ Dokumente Verlag, France/Deutschland.
- Zarader, Marlène, 1986, *Heidegger et les paroles de l'origine*, Vrin, Paris.

الهوامش

1. Heidegger, 2001.

2. **أفلاطون: السفسطائي** هو درس ألقاه هيدغر بماربورغ Marbourg بمعدل أربع ساعات في الأسبوع خلال سداسي شتاء 1924-1925. تعد سنة 1924 ذات أهمية بالغة في الأثر الهيدغري لأنها تتزامن مع بداية التحرير الفعلي لل**كينونة والزمان**. ولئن كان ظاهر موضوع العنوان هو أفلاطون، فإنه قد خصص ثلث هذا الدرس — والذي يمثل الجزء الأول من العمل - لأرسطو. ويمكن اعتبار هذا الجزء، مديحا من طرف هيدغر لأرسطو، الذي يعتبره الفينومينولوجي الأوّل الذي عرفه تاريخ الفلسفة الغربية. أنظر أيضا:

Greisch, 2000, p. 300.

Heidegger, 1992.

تأويلات فينومينولوجية لأرسطو، عرض حال لوضع الهرمينوطيقيا، هو تقرير حرّره هيدغر نهاية خريف عام 1922 للإجابة على طلب بول ناتورب Paul Natorp الذي وجهه له من ماربورغ Marbourg كي يحدد له وضعية الحالة الحاضرة لتأويلاته الفينومينولوجية حول أرسطو. وكان هذا التقرير أساس تعيين هيدغر بجامعة ماربورغ خلال صيف 1923.

3. Taminaux, 2000.

4. ستظلّ قراءة هيدغر لأرسطو، والتي تقول عن نفسها إنها تتأسس على فينومينولوجيا الدازاين، قراءة من بين القراءات. فحيث كان يركز هيدغر على الفضيلة الأسمى والمتمثلة في الحكمة فإن آرنت Hannah Arendt تركز على السياسة. وحين كان يقرأ هيدغر **الأخلاق إلى نيقوماخوس** في ظل أنطولوجيا دازاين وحيد، لم تكف آرنت عن أن تقف عند ما يشكل الحيوان السياسي (bios politikos) في هذا المؤلف في ظل التعددية (la pluralité). وحيث يعزو هيدغر للإنتاج (la poièsis) صفة الانحراف والخسارة، تؤكد آرنت أن الإنتاج يجعل إمكانية دوام سكن إنساني محض... (Taminaux, 2000).

5. تتميّز أعمال هيدغر خلال فترة العشرينيّات بلغة وأسلوب خاصّين. ما يميّزهما هو النهل من الإيثيمولوجيا، التسليم بأنّ اللفظ القديم والواضح هو الأغنى من حيث المعاني، اللجوء إلى كلام العامّة اللاتقني، حصر الكلمات البسيطة في مشكلات أوّلية وأصليّة... كلّ ذلك يؤدّي بالمفكّر إلى إجبار اللفظ على الإفصاح عن كميّة الإنارة والطاقة التي يحملها.

6. Heidegger, 2000, p.25.

7. عملية الانتزاع هذه هي التي جندت أفلاطون وحرّكته ضد السوفسطائيين والخطباء في عصره.

8. اللوغوس هنا، ليس بمعنى (la raison) ولكن بمعنى كلام (λέγειν).

9. نفضل ترجمة كلمة (erreur) إلى ضلال من ضل (errer) على ترجمتها إلى خطأ.

10. Heidegger, 2001, p.35.

11. أرسطو، (ب-د-ت)، ص. 115.

12. Heidegger, 2001, p.35.

13. أرسطو، (ب-د-ت)، ص. 115.

14. نفسه.

15. Heidegger, 2001, p. 36.

16. « L'αρχη est ce qui est déjà, ce à partir de quoi tout étant est véritablement ce qu'il est », Heidegger, 2001, p. 138.

17. يرى هيدغر أن (επιστημονικον) هنا يقصد بها حصرا "المعرفة العلمية".

Heidegger, 2001, p. 38.

18. Heidegger, 2001, p. 38.

19. Heidegger, 2001, p. 41.

20. Aristote, 2004, IV, 4.

21. Gomez-Muller, 2005, p. 35.

22. Bailly, 1987, p. 713.

23. Heidegger, 2001, p. 47.

24. يترجمها لطفي السيد إلى "التدبير". Aristote, 2004, VI, 5.

25. (φρόνησις) ما نسميه بالفرنسية (la circonspection) أو (le coup d'œil circonspect) أو (la prudence) بكل بساطة.

26. Aristote, 2004, VI, 1140b5.

27. Heidegger, 2001, p. 56.

28. Heidegger, 2001, p. 59-60.

29. Taminaux, 2000, p. 51.

30. يرى أرسطو أن أفضل هيئة في الجزء العلمي هي **الحكمة** وأفضل هيئة في الجزء الحاسب هي **التعقل**.

31. Heidegger, 2001, p. 65.

32. Heidegger, 2001, p. 67.

33. Heidegger, 2001, p. 66.
34. Heidegger, 2001, p. 67-68.
35. Aristote, 2000, A, 2.
36. « Παν, (le) tout, la réunion des parties au complet », Heidegger, 1986, p. 583.
37. Heidegger, 2001, p. 96.
38. يسمّي هوسرل هذه الأرضية بـ (*glaubensboden*)، ("un "sol de croyance").

Greisch, 2002, p. 105

39. Heidegger, 2001, p. 99.
40. Heidegger, 2001, p. 99.
41. Taminaux, 2000, p. 56.
42. Heidegger, 2001, p. 99-122.
43. Heidegger, 2001, p. 130.
44. Heidegger, 2001, p. 130.
45. يترجمها لطفي السيد إلى "العقل" و "الفهم".
46. Heidegger, 2001, p. 172.
47. Heidegger, 2001, p. 173.
48. Heidegger, 2001, p. 174.
49. Heidegger, 2001, 175.
50. Heidegger, 2001, p. 200.
51. Heidegger, 2001, p. 199.
52. لنرجع مثلا إلى الصفحات التالية: 69-72–123–200.

تراتبيّة العقل في الممارسة الإسلامية عند طه عبد الرحمان

The hierarchy of the mind in Islamic practice by Taha Abdel Rahman

تاريخ الإرسال: 15-10-2019 تاريخ القبول: 18-11-2020

سليمة جلال ، جامعة عباس لغرور خنشلة، salima.alg@gmail.com

الملخص

يهدف المقال إلى عرض تصور طه عبد الرحمن لمفهوم العقل ومراتبه في الممارسة الإسلامية ، ثم النظر في مدى التزامه بالشروط التي انبنى عليه هذا التصور وما أفضت إليه من نتائج ، والتحقق من مدى توافقها مع واقع هذه الممارسة ؛التي انطلق منها ليؤسس فكرا إسلاميا جديدا يستند إلى مرجعية فكرية تلتزم بشروط المناهج العقلية الحديثة ، وبالتنظير العلمي المحكم .لكنه لم يوفق في الوصول إلى مراده لأنه لم يكن موضوعيا في قراءته لواقع الممارسة الإسلامية ، بل كان أقرب إلى وصف ممارسته الخاصة مقارنة بممارسات غيره ،لذا فإن النتائج التي توصل إليها تحتاج إلى مراجعة ، وهذا ما سيوضحه المقال.

الكلمات المفاتيح: طه عبد الرحمن ، العقل ، الإسلامية ، تراتبية ، المناهج ، الحديثة.

Résumé

Le but de cet article est de présenter la conception de Taha Abdulrahman du concept de hiérarchie de l'esprit dans la pratique islamique. On y examinera le degré de sa conformité aux conditions qui fondent cette vision et sa compatibilité avec la réalité de cette pratique pour pouvoir évaluer résultats.On vérifiera si le présupposé et la perspective scientifique respectent, avec la rigueur requise, les termes du curriculum mental moderne. S'il n'avait pas réussi atteint l'objectif assigné, ce serait parce qu'il n'était pas objectif dans sa lecture de la réalité de la pratique islamique : il était plus proche de la description de sa propre pratique.

Mots-clés : Taha Abdel Rahman, esprit, islamique, pratique, hiérarchie, curriculum, moderne

Abstract

The purpose of the article is to present Taha Abdulrahman's conception of the concept of hierarchy of the mind in Islamic practice, and then to examine its commitment to the conditions on which this vision was based and its results, and to verify its compatibility with the reality of this practice; For an intellectual reference that respects the terms of the modern mental curriculum and the rigorous scientific perspective.But he did not succeed in reaching his goal because he was not objective in reading the reality of Islamic practice, but was closer to the description of his own practice compared to the practices of others, so the findings need to be reviewed, and this will explain the article.

Keywords: Taha Abdel Rahman, mind, Islamic, practice, Hierarchy, Curriculum, Modern.

مقدمة

إذا كان طه عبد الرحمن قد انطلق من واقع الممارسة الإسلامية لبناء نسقه المنطقي لتراتبيّة العقل فجعل من الممارسة الصوفية أعلى مراتب العقل وهي مرتبة العقل المؤيّد ،ثم العقل المسدد متمثلا في الممارسة الفقهية والسلفية ، وآخرها مرتبة العقل المجرد الذي تمثله الممارسة الإسلامية العملية والنظرية ، محاولا إثبات محدودية العقل المجرد والمسدد واتساع معرفة العقل المؤيّد لدرجة بلغت فيها الكمال العقلي. فإن واقع الممارسة الإسلامية ذاته يثبت دخول الآفات العظيمة على التصوف بالدليل الشرعي والمنطقي واقتصار دوره على تزكية النفس بطرق اتهمت في كثير من الأحيان بمخالفتها للشريعة الإسلامية بما يثبت قصور هذا العقل أيضا.

ومع ذلك ، يحاول الفيلسوف طه عبد الرحمن إعادة تأسيس مجد الصوفية على أسس منطقية عقلانية يحسبها سندا فكريا لليقظة الدينية من أجل أن يعيد للعمل الديني روحه المتوهجة التي يمكنها أن تسهم في تغيير أحوال الأمة والمجتمع. فكانت محاولته إعادة التصوف إلى المركز بعد أن أُحيل على الهامش لمجموعة تهم أصبح بسببها مجالا ضيقا ومحظورا ، وكل حديث في هذا الموضوع هو من باب التخلف الذي يلغي العقلانية أو من باب التطرف والرهبانية. وعليه نتساءل: إن كان ما قدمه طه عبد الرحمن في تصنيفه لتراتبية العقل في الممارسة الإسلامية تمثيلا صادقا لواقع هذه الممارسة؟ وهل اعتباره الممارسة الصوفية تجسيدا للعقل المؤيد حقيقة يثبتها واقع هذه الممارسة؟ وما مدى وفاء هذا العقل بشروط الكمال ضمن تراتبية العقل؟ وهل وُفّق طه عبد الرحمن فعلا في بلوغ مراده وهو تأسيس سند فكري لليقظة الدينية ، أم تراه أخفق من حيث لا يدري؟

يهدف البحث إلى قراءة نقدية في تصور طه عبد الرحمن لتراتبية العقل في الممارسة الإسلامية من أجل معرف مدى توافق ما يتصوره بمنطقه الفلسفي مع ما هو موجود حقيقة في الممارسة الإسلامية ، وذلك من خلال عرض آرائه وتحليلها ، وتتبع مقولاته ونقدها ، وقبل ذلك سنقف عند دوافع التصوف عند طه عبد الرحمن وأهميته في الفلسفة ليتضح لنا الأثر المباشر في تصنيفه لتراتبية العقل.

1-دواعي تصوّف طه عبد الرحمن وأهميته في الفلسفة

إن ما يستوجب الكتابة حول دواعي طه عبد الرحمن في خوضه تجربة التصوف هو الأثر الذي تركته هذه التجربة في تصنيف مراتب العقل في الممارسة الإسلامية لأنها تجربة عاشها بنفسه رأى فيها قصور العقل المجرد في إدراك الحقائق مما دفعه إلى البحث عن طريق آخر حتى لو كان ما وراء حدود العقل ، على حد قوله:" لما استكملت اختصاصي في المنطقيات والعقليات ،تبيّنتْ لي حدود هذه المنطقيات نفسها ، كما تبين لي أن العقل الذي هزم المسلمين عقل محدود ، وأن الأمة الإسلامية مؤهلة لعقل أوسع من هذا العقل الذي هزمنا ، ولكنها لم تقم بواجب هذه المسؤولية ؛فتولد لديّ الشعور بأنّ تكويني الفلسفي يُحتم عليّ أن اطلب الحقيقة ولو من وراء حدود العقل." (طه ، 2014؛ ص18) وقد طلبها بالفعل في تجربته مع التصوف التي باشرها بدافع الرغبة في التقرب إلى الله وتقوية الصلة به (أرحيلة ، 2013). وقد أشار إلى ذلك في مقدمة كتابه - العمل الديني وتجديد العقل- بأنه قد دخل في تجربة إيمانية عميقة بدلت أحواله وأوصافه ووسّعتْ آفاق مداركه ومشاعره مرسخة فيه أهمية العمل (طه ، 2009). وإن كان هنا لم يذكر أنها تجربة صوفيه فلا يعني هذا أنه يخفي ذلك لأنه صرح بذلك علنا بما هو معروف عنه من تفاصيل هذه التجربة التي بدأت رحلتها مع العارف بالله حمزة بن العباس شيخ الطريقة القادرية البودشيشية ."(طه ،2017، https://www.youtube.com/watch?v=0MF_mN7oQ3Q) ويؤكد ذلك في معرض حديثه عن الفرق بين تجربته الصوفية وتجربة أبي حامد الغزالي في قوله " خضت التجربة الصوفية على مقتضى أهل السنة كما خاضعا وتبين لي من سموها كما تبين له ." (طه ، 2011؛ ص131)غير أنه نفى أن يكون للرجل سبب في تصوفه.

وقد سُئل عن كتابه السالف الذكر ، والذي اعتبره السائل سيرة ذاتية لطه في علاقته بالتصوف ، فأجابه:"حقا لقد كان لكتابي(العمل الديني وتجديد العقل) علاقة وطيدة بالتجربة الصوفية ، لكنه ليس سيرة ذاتية كما يبدو لأول وهلة ...وإنما هو على الحقيقة الثمرة المعرفية التي جنيتها من هذه التجربة" (طه ، 2011؛ ص137) وحتى يثبت بالفعل أنه لم ينقل نسخة عن تجربته الخاصة في هذا الكتاب ، كان

ينبغي عليه أن يتعامل مع الممارسة الإسلامية التي انبنى عليها تصوره بالطريقة ذاتها دون أي تحيز ، ذلك أن الممارسة الصوفية تشترك مع الممارسة السلفية في كثير من الآفات بل تزيد عليها ، ومع ذلك لم يُعرْ للأمر اهتماما كما فعل مع العقل المسدد .

وقد بيّن غرضه من هذا الكتاب في ثلاثة نقاط : أولها :إثبات أنه لا يوجد تعارض بين التجربة الروحية والمعرفة العقلية بل هي سبب من أسباب ثرائها ، ثانيا: تبيان تكامل القوى الإدراكية للإنسان مهما اختلفت ، فليست هناك قوة حسية خالصة ولا قوة عقلية خالصة ولا قوة روحية خالصة ، بل يوجد في القوة الحسية بعض العقل كما في القوة العقلية بعض الروح والعكس صحيح ، ثالثا: تبيان أن العقل ليس مرتبة واحدة وإنما هي مراتب بعضها أعقل من بعض. (طه ، 2011)

أما فيما يتعلق بأهمية التصوف بالنسبة للفلسفة فنكتفي بما صرح به في الفلم الوثائقي الذي أعدته الجزيرة الوثائقية حول سيرته الذاتية قائلا بصريح العبارة :"ظلت الفلسفة الإسلامية فلسفة عقيمة ويرجع ذلك إلى أنها لم تستطع أن تُوجِد لها صلات مع التصوف ، وفي نظري أن الفلسفة الإسلامية لكي تنفتح لها أفاق التجديد والإبداع ولكي تستطيع أن تمد الفلسفة العالمية بآفاق ومفاهيم جديدة لابد لها إما أن تتأسس على التصوف وإما أن تستكمل به."(طه ، 2017، https://www.youtube.com/watch?v=0MF_mN7oQ3Q) فأهمية التصوف بالنسبة للفلسفة ضرورة حتمية إنْ كانت تريد التجديد والإبداع ،سواء تأسست عليه أو استكملت به ،فهذه قناعة طه عبد الرحمن الراسخة لأنها تجربة عاشها وليس تنظيرا عقلانيا يعتقد به ، لذا يشترط التصوف كشرط أساسي لا يُستغنى عنه في النهوض بالفلسفة الإسلامية لأن طريق العقل لوحده محدود. وهذا بالفعل ما سعى إلى تأسيسه من خلال كتاباته.

ومما تجدر الإشارة إليه أن طه عبد الرحمن لم يعترض على أحد ينسبه للتصوف بخاصة أن غالب النقد الذي وجه له قد انحصر في هذه الفكرة ، مثال ذلك ما نجده عند الباحث بلعقروز في قوله: "اختزال الإنسان وحصر التجديد في البعد الروحي نظرة تجزيئية أثبت لنا التاريخ كيف تحولت اتجاهاتها إلى كيانات معرفية وثقافية متنافرة ، تأبى الاندماج وتعمل على الدمج لغيرها ، في حين أن ميزة البناء الحضاري تكمن في التركيبة التكاملية أو البنائية المتوازنة." (بلعقروز ، 2010 ؛ ص179)

ومع ذلك ما رأينا طه يلتفت في كتاباته لهذا النوع من النقد ليتبرأ من تصوفه أو يُبين أن هناك فرق بين التجربة الخلقية أو الروحية أو العملية كما يسميها والتصوف فيثبت قصوره وآفاته التي غض الطرف عنها بل انبرى يدافع عن التصوف بعقلانية تتناقض مع واقع التصوف في حياة الناس. ولو فعل ذلك ، ربما كان بالفعل سيقدم نموذج العقل المؤيد كعقل وصل إليه انطلاقا من قراءته للممارسة الإسلامية بموضوعية لا تنحاز لطرف على حساب الآخر ، وحينها ربما يصبح العقل المؤيد هو العقل المهتدي إلى طريق الكمال في الوصول إلى الله ومعرفه حقائق الوجود ، لأنه قد استفاد من ايجابيات الممارسة الإسلامية بمختلف أطيافها وابتعد عن سلبياتها وفق ضوابط اختص بها.

لكن هذا لم يحدث بل الحقيقة التي يُقر بها طه عبد الرحمن بصريح العبارة هي قناعته التي عبر عنها في مقدمة تحديد العقل المؤيد ، ومفادها :" أن العقل المؤيد لا تظهر كمالاته في الممارسة العقلانية الإسلامية بقدر ما تظهر في الممارسة الصوفية." (طه ، 2009 ؛ ص146) فلو كان يريد إقامة تراتبية العقل انطلاقا من رؤية إسلامية قائمة على مبادئ الإسلام وقيمه فقط لأقامها مستشهدا من القرآن وما صح من السنة النبوية الشريفة ، لكنه سلك منحى آخر ، إنه يقيم تراتبية العقل انطلاقا من الممارسة الإسلامية من دون أن يحدد الفترة الزمنية لهذه الممارسة الإسلامية أو يعلل تقسيمه لاتجاهاتها العقلانية ، ذلك أنه أقصى منها ممارسة النبي ﷺ باعتباره الممثل الشرعي للعقلانية الإسلامية والممارس الأول لها ومن بعده جيل الصحابة والتابعين الأوائل ، لكنه قفز عن البدايات الأولى لتتمثل له الممارسة الإسلامية في اتجاهات ثلاثة كما سبق ذكره.

وهذا ما جعلنا نستنتج أن طه لا يستقرأ الممارسة الإسلامية بموضوعية بعيدة عن الذاتية التي تمليها تجربته الصوفية الخاصة والتي لم يكن ليعيشها بمفرده انطلاقا مما وصل إليه من علم ومعرفة ، بل لكونه استعان بشيخه حمزة بن العباس وطريقته في التصوف اعتقادا منه أن هذا هو طريق الوصول إلى توسيع آفاق العقل المجرد ، وما استطاع أن يجد طريقا آخر ، لقناعته بأن هذا الطريق تتوارثه الأجيال تَخلقا بدءا من المعلم الأول مُحَمَّد ﷺ ، متناسيا ما وقع في هذا

الاتجاه من آفات. وليس هو الطريق الوحيد في الوصول حتى لا يختزل طريق المحبة والوصول إلى الله في التصوف.

ولقد أتينا على ذكر رأي الجابري في التصوف (العرفان) في هذا المقام لنبيّن جانبا آخر من الأسباب التي دفعته إلى تأسيس تراتبيّة العقل على النحو الذي كان، ذلك أنه أراد الرد على الجابري ومن سار في ركبه على إقصائهم للعرفان واعتباره سببا في جمود العقل العربي، وقد أشار إلى ذلك في قوله:"وما زال الخطاب الداعي إلى العقلانية والمطالب بتقويم التراث الإسلامي العربي بمقتضى المنهج العقلي مسيطرا على توجهات الباحثين وعلى عموم المناضلين، حتى إن بعضهم يدعي القدرة على تنقية هذا التراث وإرسائه على مبادئ وقواعد عقلانية راسخة، يتساوى في ذلك من أخذته الغيرة الدينية على الحالة المتردية للأمة الإسلامية، ومن ساورته الحمية العربية المتطلعة إلى النهوض بالواقع المتخلف للعالم العربي" (طه، 2009؛ ص15) و الجابري واحد ممن يقصدهم طه عبد الرحمن في هذا القول وكان لطرحه القدر الأكبر من النقد الذي لم يرد عليه ولا حاول دحض حججه أو يتصدى لها ليناقش فيه طرح طه حول أهمية التصوف وعلاقته بالفلسفة، وهو الذي كان يرى أنه سببا في جمود العقل العربي وتخلفه وكان أكبر خصم للصوفية في العصر الحديث، حيث أوصلته دراسته للتراث إلى نتائج أهمها التي توصل إليها في نقد العقل العربي ،إذْ تأكد لديه أن سبب استقالته عن وظيفته الأساسية، هو تصادم وتداخل النظم المعرفية المتنافسة داخله وهي: البيان مع البرهان من جهة، والبرهان مع العرفان(التصوف) من جهة ثانية، ثم البيان مع العرفان من جهة ثالثة، ليتطور هذا التصادم والتداخل من تصادم ثنائي إلى تصادم عام بين تلك البنيات جميعها.(الجابري أ،2009) ولم يكن التأثير المتبادل بينها فاعلا بل زاد الهوة بين الأنظمة، وما كان ليسمح بتغيير البنية في أي من الأنظمة على حدة، بل لقد أكد ضرورة انفصالها عن بعضها وانغلاقها على ذاتها.(الجابري ب،2009) مما أدى إلى انتهاء معركة الصدام "بانتصار (العرفان) وتحول البيان إلى (عقل- عادة) والبرهان إلى(عادة عقلية)،تلك هي المظاهر الأساسية لاستقالة العقل في الثقافة العربية الإسلامية في عصر التراجع والانحطاط، هذه الاستقالة التي ما يزال مفعولها ساريا إلى اليوم في كثير من الأوساط المثقفة." (الجابري أ،328،2009) ولكي تستعيد الثقافة العربية الإسلامية عافيتها لابد أن تعيد بناء العقل العربي على أسس برهانية، لأن البيان حنطها بين جداريْ اللفظ والمعنى، والعرفان قد هام بها بين حجب الغيب والكشف، ووحده البرهان من يمكنه أن ينفع العقل العربي كما انتفع به العقل الغربي، هذا ما يعتقده الجابري.

انتقدت أطروحة الجابري ممن قد يتفقون معه في بعض توجهاته، فضلا على من يختلفون معه كطه عبد الرحمن، نذكر هنا نقد الباحث علي حرب حيث خالف الجابري في إقصائه وتهميشه للعرفان واعتبره منهجا تأويليا بامتياز في قوله: "العرفان، بما هو تأويل، يتقاطع البيان والبرهان، والحدس والاستدلال، والوحي والنظر. وبه يتصالح الرمزي والواقعي، ويطل الظاهر على الباطن، ويظهر الحق في الحقائق." (حرب، 2007؛ 18) ولأجل ذلك يعتبر أن العرفان حسب ما وجده عند ابن عربي خاصة، ليس استقالة العقل كما قد يُظن، وإنما هو في الحقيقة تأملات الفكر وفتوحات العقل. وليس المقياس فيمن يعتمد على النقل ومن يدعي أنه يأخذ بالبرهان، ذلك أنه، يوجد من أخذ بالنقل فاجتهد ليصل إلى معاني جليلة وجديدة والعكس، يوجد من يحسب نفسه عقلانيّا وهو يسير على طريق التقليد لما يتوصل إليه من نتائج.

ولكن الجابري حسب علي حرب يستبعد من مجال المعقول قارة معرفية بكاملها تمثلت في النتاج الصوفي العرفاني. وإن بدا في ظاهره غير معقول، لو نُظر إليه بعقل مفتوح سيكشف عن عقلانيته المحتجبة. (حرب، ب-د-ت) غير أن الجابري تغافل "عن حقيقة كشف عنها النقد الفلسفي المعاصر، وقوامها أن اللامعقول هو مدار العقل بل ما يدور في خلده. إنه نسيجه وحياته السرية. وهو طريقته اللاهوتية أو الأسطورية أو الدوغمائية في التعامل مع الأشياء، ولا يخلو عقل من لا معقول، بما في ذلك العقل الغربي الحديث بدءا من ديكارت وانتهاء بالمعاصرين." (حرب، ب-د-ت؛ ص128) يضيف على حرب، إذا كان للوحي عقلانيته، فلماذا ننفي على العرفان عقلانيته؟ وكينونتهما المعرفية واحدة، فكلاهما يبني علاقته مع الغيب ويحاول صياغة اللامعقول بوسائل عقلية وأدوات منطقية، فما يصدق عن الوحي يصدق عن العرفان وإنْ اختلفا من حيث المحتوى الفكري والاديولوجي. وبناءً على ما تقدم يرجع سبب إقصاء الجابري للعرفان إلى نزعته المركزية التي تحصر

العقلانية عند عرب المغرب وسنته، مبعدة بذلك الشيعة والمشرق.

لكن الإشكالية ليست في النزعة المركزية لأن الرد القوي والمضاد لأطروحة الجابري سيأتي من فيلسوف بلده طه عبد الرحمن الذي دافع عن التصوف وجعله أعقل العقلانيات، مما دعا بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن طه قد قلب ثلاثية الجابري إذْ جعل العقل المؤيد أعلى المراتب وأشرفها يليه العقل المسدد، وأدناها مرتبة العقل المجرد. (الحري، 2014) لكن هذه المقابلة لا تصح أولا: لأن البيان لا يقابل العقل المسدد الذي يسدد العقل المجرد بالعمل، ثانيا: إن تقسيم الجابري كما نبه إليه طه عبد الرحمن لم يتخذ معيارا واحد في تقسيم الأنظمة المعرفية الثلاثة مما أوقعه في الخطأ، وعليه لا تستقيم المقابلة على هذا النحو؛ لأنها ستخلق تباينا كبيرا بين التقسيمين، وثالثا: وهو الأهم أن مشكلة الجابري لم تكن في ترتيب العقول كما توهم الباحث حتى يدعي أن طه عبد الرحمن قد وقع في النظرة التّجزيئيّة بحكم تفضيله للعقل المؤيد، بل الإشكالية في كونه أقصى العرفان وأمات البيان وانتصر للبرهان. أما طه فهو يؤمن بتكامل العقول الثلاث لأن العقل المؤيد لا يتحقق حتى يكون قد تدرج في مرتبة العقل المجرد فأخذ العلم النظري ثم سدده بالعمل بالانتقال إلى مرتبة العقل المسدد لينال الكمال في العقل المؤيد باستغراقه في التجربة.

لقد كان منطلق طه عبد الرحمن في تأسيس مراتب العقل غير الذي ذهب إليه الباحث وأمثاله، لأنه صرح بذلك في مقدمة كتابه (العمل الديني وتجديد العقل) وهو شعوره بأن اليقظة الدينية في هذا الزمن بحاجة إلى سند فكري يلتزم بشروط المناهج العقلية، وبالتنظير العلمي المحكم وبالتبصر الفلسفي. لذا أخذ على عاتقه مهمة القيام بهذا العمل، غرضه الأساسي هو بيان الشروط التكاملية والتجديدية التي تجب في تيقّظ هذه اليقظة الدينيّة، إذْ ربط هذه الشروط بصفتين أساسيتين هما التجربة والتعقل ويقصد بالتجربة التخلّق لأنه يرى فيه السبيل الوحيد لليقظة الإسلامية، أما التعقل فهو إخراج هذه التجربة الإيمانية على مقتضى ما أنتجته أحدث المناهج العقلية وأقدرها على الإنتاج الفكري. (طه، 2009) وهذا بالفعل ما سعى لتحقيقه.

وإذ نقف عند دوافع التصوف عند طه عبد الرحمن وأهميته في فلسفته، فلنوضح بعض الأسباب التي أدت به إلى بناء تراتبية العقل على هذا النحو في كتابه السالف الذكر، حتى غدت الممارسة الصوفية مجسدة لخصائص العقل المؤيد، واستحق هذا الأخير أن يصل إلى مرتبة الكمال وفقا للشروط التي وضعها له، والتي يسعى هذا المقال لمناقشة مدى التزامه بها انطلاقا مما استدل به في كتابه.

وحتى يتسنى لنا فهم تصور طه عبد الرحمن لمراتب العقل لابد لنا أن نقتفي أثره في عرض هذه المراتب التي بدأها بالعقل المجرد فبيّن حدوده والآفات التي تدخل عليه، ثم العقل المسدِّد وهو الآخر ألحق به الآفات، فقط العقل المؤيد - الذي تمثله الممارسة الصوفية - بلغ رتبة الكمال بعد أن اجتهد في تنزيهه من كل آفة وانبرى يبطل الدعاوى التي تنتقص ممارسة أهل التصوف.

2 - مراتب العقل عند طه عبد الرحمن

تتفاوت مراتب العقل عند طه عبد الرحمن بقدر ما ترتقي في التقرب إلى الله، ولقد اتضح له وهو يشتغل بالفلسفة حدود العقل المجرد في الوصول إلى المعرفة، فاتجه إلى التصوف حيث أيقن بتعدد طرق المعرفة، وكانت محدودية العقل المجرد في إدراك كثير من الحقائق دليلا على أن هناك طريقا آخر هو طريق البصيرة كما سماه، لذا نجده ينتصر لطريق البصيرة في كتابه السالف الذكر، إذْ صنّف العقل إلى ثلاثة مراتب (العقل المجرد - العقل المسدد -العقل المؤيد) سنأتي على تفصيل القول فيها تباعا.

2 -1 -العقل المجرد

أسّس طه عبد الرحمن مقدمة العقل المجرد على صفة الفعلية، فهو "عبارة عن الفعل الذي يطلع به صاحبه على وجه من وجوه شيء ما، معتقدا في صدق هذا الفعل، ومستندا في هذا التصديق إلى دليل معين." (طه، 2009؛ ص17) ابتعد في تعريفه للعقل عن التعريف اليوناني الذي يعتبره جوهرا قائما بالذات الإنسانية مميزا لها عن الحيوان، ذلك أنه يريد أن يعرفه على مقتضى خصائص المجال التداولي الإسلامي العربي، لذا اعتبره فعلا أو سلوكا يمكّن الإنسان من إدراك الأشياء في ذاته وعالمه، لا يختلف في ذلك عن حاسة البصر في إبصارها للأشياء فهي ليست جوهرا مستقلا، وإنما فعل معلول للعين، كالعقل فعل معلول لذات حقيقية تميز الإنسان وهي القلب حسب ما تداولته الممارسة الفكرية الإسلامية، فالعقل للقلب كالبصر للعين.

فإن كانت العين وسيلة البصر، فالعقل وسيلة القلب في إدراك الأشياء ،وعليه نجد أن العقل بمعنى القلب قد اتخذ عدة صور عند العلماء الأوائل هي صورة الربط تمثلت في إدراك القلب للعلاقة بين معلومتين وصورة الكف ؛ وهو كف العقل صاحبه عن الشهوات والأهواء، وصورة الضبط ؛بمعنى أن العقل هو إمساك القلب لما يصل إليه حتى لا ينفلت منه . (طه ، 2009)

خلاصة القول أن العقل ليس جوهرا بالمعنى اليوناني وإنما هو فعل من الأفعال أو وصف من الأوصاف التي تقوم بالقلب ، وذلك كون العقل قد يحسن وقد يقبح كما في الأفعال والأوصاف ، وهو قائم على مبدأ التحويل بحيث يخرج من وصف عقلي لآخر ، لأن الوصف العقلي الذي تميزت به المعرفة العلمية النظرية ليس وصفا ذاتيا لازما للقلب ، وإنما وصف أنتجته أسباب عرضية يمكن أن تستبدل بأسباب أخرى تؤدي إلى وصف عقلي جديد للمعرفة علمية مغايرة . (طه ، 2009) وحين تبنى طه عبد الرحمن هذا المعنى لمفهوم العقل استطاع أن يبني على منواله عقولا أخر هي (العقل المسدد وفعله العمل، والعقل المؤيد وفعله التجربة) على اعتبار أن المنهج العقلي ما هو إلا مجموعة الوسائل وتقنيات إجرائية كانت أو قرارات يمكن توظيفها لتحصيل أقوالا معللة قائمة على الصدق ومنسقة فيما بينها ، مما يسمح بوجود نوع آخر من العقول يختلف بأوصافه عن العقل المجرد. (طه ، 2009)

وهذا بالفعل ما سعى إليه طه عبد الرحمن معتمدا على تبيان حدود العقل المجرد وقصوره في الإحاطة بالمعرفة مما يوجب البحث عن طريق آخر يكمل مسيرة العقل المجردة المتعثرة بالآفات التي تدخل عليه فتقيد عمله الذي لا يجد توسعه إلا مع مرتبة أعلى منه وهي مرتبة العقل المسدد.

2– 1 – 1 - حدود العقل المجرد

صنف طه عبد الرحمن حدود العقل المجرد إلى صنفين : حدود خاصة لأنها تختص بالمعرفة النظرية الإسلامية العربية ،إذْ يتضح عجز العقل المجرد في معالجة قضاياها اختار مثالين يستدل بهما على هذا العجز وهما: مسالة الألوهية وأسماء الله الحسنى حيث خلص إلى أن مقاربة العقل المجرد لهاتين المسألتين لا تتجاوز حدود النظر في الأوصاف ، لأن العقل المجرد عقل مجرد من العمل الشرعي لذا لا يمكنه إدراك الحقائق الإيمانية فضلا عن الحقائق الغيبية . (طه ، 2016)وحدود عامة لا تختص بمجال بعينه بل تشمل كل ما يستطيع العقل الإحاطة به ، لأن كل الأمم تتساوى في طبيعة الاشتغال والاستفادة النظرية من مختلف العلوم القائمة على العقل لذا فهي حدود عامة تقيد المعرفة النظرية .وهي بدورها أصناف مختلفة نكتفي بذكر الحدود الواقعية والحدود الفلسفية لأهميتها في تبيان قدرة العقل المسدد في تجاوزها والتحرر من بعض قيودها.

2–1– 1–1-الحدود الواقعية

تمثلت في النسبية والاسترقاقية والفوضوية؛ (طه ، 2009) فمرد النسبية إلى اختلاف النتائج التي يتوصل إليها العقل المجرد ،في مختلف العلوم، وتغيرها عبر الزمن بالشكل الذي قد يناقض بعضها بعضا كالاختلافات المشهورة في الفيزياء بين النظرية النسبية والميكانيكا الكمومية. مما يثبت أن أحكام العقل المجرد ليست قطعية ، ولا هي ثابتة. أما الاسترقاقية فيجسدها اغترار الإنسان بقدرته العقلية حتى ظن أنه قد سيطر على الكون بالشكل الذي يريد ، فإذ به يجد نفسه أسيرا لوسائله ولهذا التطور الهائل في العلوم لأنه لم يقيده بالقيم الأخلاقية ، فكانت النتيجة أن نموذج العقل في نتائجه وتطبيقاته يحمل بذور فنائه كأسلحة الدمار الشامل. وتظهر الفوضوية في عدم تواصل النظريات العلمية فيما بينها ، لدرجة يصل بعضها أن يكون نقيض بعض ، وينفصل بعضها عن بعض ، كنظرية نيوتن ونظرية آينشتاين النسبية ، إضافة إلى قصور النظريات في الإجابة عن بعض الأسئلة التي تبقى عالقة إلى المستقبل المجهول.

2–1– 1–2- الحدود الفلسفية

أولا :مادية العقلانية المجردة :تمثلت في حاجة العقل المجرد إلى عمليات ثلاث حتى يتمكن من دراسة موضوع ما ، وهي: التظهير ،التحيز والتوسط. (طه ، 2009)فبدون التظهير لا يستطيع العقل معالجة الموضوع إلا باعتباره جملة من الظواهر القابلة للتحليل والتجريب وهذا ما يسمح بالمماثلة بين الشيء وصرفه الظاهري كالمماثلة بين الأوراق النقدية والذهب. وهذا لا يصلح مع كل الأمور خاصة منها المعنوية كحقيقة القصد. ولأن الظهور لا يتحقق إلا في حيز مكاني وزماني ، كان لزاما على العقل المجرد أن يكون

محدودا بالتحيز حتى يتسنى أن تجري له وسائل التقسيم والتركيب المتواترة وهذا ما يؤثر في إخضاع ما لا يقبل القياس خاضعا له ، كقياس معنى الخشوع في الصلاة بالذبذبات الحاصلة في منطقة الدماغ. أمّا احتياج العقل للتوسط فيتطلب تعدد وتعقد الوسائط لإدراك الشيء اللطيف والدقيق وقلتها مع الشيء المجسم الكثيف ، وعليه فإن إدراك الغيبيات والروحانيات سيتطلب وسائط كثيرة لدقة لطافتها لا يمكن للعقل المجرد الإحاطة بها. وبناء على ما تقدم يخلص طه عبد الرحمن إلى أن "العقل المجرد بعملياته "التظهير" و"التحيز" ، "والتوسط" هو أقرب إلى صبغ الأشياء بصبغة مادية منها إلى طبيعة تجريدية ، مما يجعله عاجزا على معرفة الحقائق غير المادية.

ثانيا :ملازمة اللاعقلانية للعقل المجرد: تظهر أولا: في تجاوز النظريات العلمية بعضها بعض ، فما كان مسلما بصحته وعقلانيته في نظرية تأتي أخرى لتثبت عدم صحته وعقلانيته ، وثانيا: صعوبة استيفاء شروط العقلانية في بناء الأنساق المعرفية ،إذ يمكن بناء أنساق منطقية مخالفة لهذه الشروط ، فتكون أنساقا متناقضة أو شبه متناقضة ، من غير أن ينتشر التناقض فيها ، لأنها أثبتت صحة برهانها ، فهي مقبولة بالنسبة للمنطق مثلها مثل الأنساق التقليدية غير المتناقضة. (طه ، 2009)

ثالثا : عدم وجوب العقلانية المجردة لسببين أولا: كون أساليب التفكير العقلي المجردة خارجة عن ثقافتنا وخصوصيتنا ولا يوجد ما يمنع معارضتها لأننا لسنا ملزمين بها ،لذا يرى طه عبد الرحمن ضرورة اصطناع مناهج وأدوات تتسم بالعقلانية من دون أن تتعارض مع خصوصية ثقافتنا ، نستغني فيها عن المقولات المجردة . (طه ، 2009)وانطلاقا من هذا المبدأ يؤسس لعقلانية جديدة وهي عقلانية العقل المسدد التي تجمع بين القول والعمل ، وذلك بإقامة النظر المجرد على العمل حتى تنفتح أفاقه وتتوسع ، فالعقلانية عند طه عبد الرحمن قسمان كبيران: العقلانية المجردة من الأخلاق ، يشترك فيها الإنسان مع البهيمة ، والعقلانية المسددة بالأخلاق ، وهي التي يختص بها دون سواه. (طه ، 2013) وهذا ما نتعرف عليه مع العقل المسدد.

2 - 2 - العقل المسدد

بما أن طه عبد الرحمن قد أقام حجته على قصور العقل المجرد في إدراك كل الحقائق ومعالجة كل الظواهر يجد تدارك هذا القصور مع العقل المسدد ، الذي أسسه على مقدمتين الأولى لزومه الصفة العملية والمقدمة الثانية هي دخول الآفة عليه ، وعليه فالعقل المسدد هو الذي يسدده العمل بالشريعة الإسلامية ،إذْ عرفه بأنه: "عبارة عن الفعل الذي يبتغي به صاحبه جلب منفعة أو دفع مضرة ، متوسلا في ذلك بإقامة الأعمال التي فرضها الشرع." (طه ، 2009) فالفعل هنا خلاف ما وجدناه مع العقل المجرد فهو مجرد إدراك للأشياء وإقامة الدليل عليها ، أما فعل العقل المسدد فهو إقامة العمل الشرعي طلبا للمنفعة ودفعا للمضرة بشروط ثلاث هي: أولا: موافقة الشرع لكي تجنبه مساوئ التوجيه ، ثانيا: اجتلاب المنفعة المقيدة بالقيم المعنوية والأخلاقية ، ثالثا: الدخول في الاشتغال حيث يقترن العلم بالعمل فيصحح السلوك ويفتح المدارك. ذلك أن موافقة الشرع في تسديد العمل غايتها رضا الله وحفظ أحكام الشرع الإسلامي وليست العبرة في كثرة العمل بل فيما يترتب عنه.

وعليه لا يتحقق اجتلاب المنفعة إلا بالابتعاد عن نقائص ثلاث لا ينبغي أن يقع فيها العمل الشرعي ، ولا محالة واقع في غيره ، وهي:(الصفة المادية ، الصفة السطحية ، الصفة الذاتية) (طه ، 2009) **فالصفة المادية** محدودة بقيمة المصلحة لذلك لا يرقى العامل بغير شرع الله بقيمة مستوى العامل بها ، ذلك أن العمل الشرعي يوجه الانتفاع المادي ويُلبسه اللباس المعنوي ولا يتحقق ذلك في العمل غير الشرعي. أما **صفة السطحية** التي تطبع العمل غير الشرعي فتأتيه من محدودية وسائله وغايته العاجلة بينما العمل الشرعي يمد صاحبه بالسداد ويفتح له آفاقا اعتبارية بقدر عمله لذلك لا ينفع نفي **الصفة الذاتية** عن العمل غير شرعي لأنها غايته وإن بدا للآخرين خلاف ذلك. أما العمل الشرعي فيحض صاحبه على ترك أهوائه ورغباته فيما يطلبه من خاص المنافع وعامها لأن غايته مرضاة الله لا مرضاة نفسه ومصلحته.

إن كانت هذه الصفات التي لا يمكن أن يتصف بها العمل الشرعي ولا محالة واقع فيها العمل غير الشرعي فإن ممارسة العمل الشرعي أو الدخول في الاشتغال ينبغي أن يلتزم بأربعة وظائف وهي التشخيص ، التشريف ، التوسيع ،

التصحيح ؛ (طه ، 2009) يحاول طه من خلال وظيفة **التشخيص** أن يبين أن أهمية العمل الشرعي في كونه ملموسا ظاهرا نفعه ملحوظا أثره على الصالح العام ، لأن العبرة بالثمار العملية وليست بالأفكار. أما **التشريف** فلا يحصل إلا إذا اقترن العلم بالعمل ولا يمكن أن يحدث العكس كما هو الحال مع العقل المجرد ، لذا لا ينفك العلم الشرعي عن العمل فهو نموذج الاشتغال النافع الذي ينبغي الالتزام به لجلب المنفعة ودرء المضرة. وتأتي وظيفة **التوسيع** لتبيّن الأثر الذي يتركه الاشتغال بالعمل الشرعي على صاحبه إذْ أن العبادة توسع مداركه ، وتعمل على تهذيب سلوكه ، فيتحرر من سلطان العادة والاعتقادات الفاسدة ، فتستنير بصيرته. في الوقت الذي تعمل وظيفة **التصحيح** على تصحيح الانحراف الحاصل في عقله نتيجة النظر التجريدي مادام قائما بالاشتغال بالعمل الشرعي ، فيفتح له باب الفهم والتيقظ ، والزيادة في العمل.

خلاصة القول في العقل المسدد أنه مسدد بقيم العمل الشرعي وبقدر المواظبة على الاشتغال بها تُجنى ثمارها في اتساع أفق الفهم واستنارة البصيرة ، خلاف العقل المجرد المقيد بتنظيراته. ومع ذلك تدخل عليه على آفات مظهرة قصوره.

2-2 -1- آفات العقل المسدد

لا يختلف العقل المسدد عن العقل المجرد في محدوديته ،وإن كان يرتقي عنه مرتبة لأن التوسل بالعقل المسدد عن طريق الاشتغال بالعمل تدفع عنه آفات العقل المجرد المتمثلة في النسبية والاسترقاقية والفوضوضة ، وتحد من أثار التشيئية المتمثلة في التظهير ، والتحيز ، والتوسيط بفضل القيم والمعاني التي نالها من هذه الطاعات ، فتعينه على تحصيل معاني مدركة ظاهر أثرها ،وليست معاني حبيسة التصور المجرد وإنما هو الشعور المشخص ، كما يستغني العقل المسدد عن الوصف الظني باهتدائه إلى الاستدلال الصحيح على الأسماء الحسنى الدالة على الأفعال بدل الوصف التشبيهي لبلوغها مرتبة في تعظيم المولى عز وجل وتنزيهه ، وهذا هو ثمرة الامتثال بأوامره. (طه ، 2009).

2- 2- 1– 1 - آفة التظاهر: تصيب العقل المسدد آفة التظاهر حين يقع التفاوت في الأعمال المتقرب بها إلى الله بين واقع الاشتغال وبين المقاصد المتوخاة منها. وذلك بالمواظبة على العمل دون أن تتحقق المقاصد منه ، والتي حددها طه عبد الرحمن في ثلاثة مقاصد: مقصد التقرب إلى الله ومقصد التقرب إلى الناس ومقصد التوجه إلى النفس. فاختلال الموازنة بين هذه المقاصد يوقع المتقرب في آفة التظاهر حيث يبتعد مقصد العمل في التقرب إلى الله فقط إلى مقصد التقرب من الناس والتوجه إلى النفس ، ويظهر ذلك في ثلاثة مظاهر هي: التكلف ، التزلف ، التصرف.

يقع المتقرب في التكلف حين يتقرب إلى الله بأعمال قد تفوق طاقته وجهده ، لا يبتغي بها وجه الله بقدر ما يقصد بها الناس أو إشراكهم في هذا القصد ، ابتغاء مصلحة منهم ، فهو يدعي لنفسه ما لا يظهر أثره في تخلقه ، وبالتالي لا يستطيع أن يصلح غيره وهو على هذا الحال من التزيف. أما التزلف فيختلف عن التكلف في كون المتقرب لا يأتي من أعمال التقرب إلا ما يطيق ، ويتفق معه في إخراجها عن قصد التقرب إلى الله نحو قصد التقرب بها إلى الناس أو إشراكهم في ذلك على الأقل طلبا للمنفعة. وكذلك هو التصرف يشبه التزلف في إتيان المتقرب ما يطيقه من الأعمال لكنه يختلف عنه في اخرج قصد التقرب إلى الله نحو قصد التوجه إلى النفس أو إشراك النفس بالله في قصد التوجه بهذه الأعمال ، ويزداد الضرر حين يغتر بالطاعة ويعجب بها ويفترض قبولها ، فيمُنّ على الله وينتظر العوض ،ليصل إلى درجة يحتقر فيها عمل غيره وطاعته ،لينتهي به المطاف إلى تبديعه. (طه ، 2009) فآفة التظاهر تفسد على المتقرب إصلاح نفسه وبالتالي لا ينفع أن يصلح غيره على مقتضى أنه لم تُثمر أعماله التقرّبية في تزكية نفسه .

إن آفة التظاهر من الآفات التي لا يمكن لأحد أن يثبتها على غيره لأنها تتعلق بالمقاصد وهي نية داخلية في نفس العبد مصداقا لقول النبي ﷺ" إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّات ، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نَوَى" (الزبيدي ، 1986 ؛ ص35) ،فلا يعملها إلا الله ولا يقين في البحث عن بعض علاماتها بل هو قائم على الظن ،و﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ **إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ** وَ لَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾[سورة الحجرات ،12] وقد جاء الحديث عن الرياء وهو الشرك الخفي ليُحذر الناس منه لا ليتهموا به ، وليكون دافعا لتحري الإخلاص مصداقا لقوله

تعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[سورة الكهف ،110]

ولكن طه عبد الرحمن أدخل هذه الآفة على العقل المسدد ونزّه منها العقل المؤيد مع أنه إن صحت في حق الأول تصح في حق الثاني لأن شرط الاستغراق في العبادة وسلامة الزيادة لكمال العقل المؤيد -كما يزعم -لا تمنع أبدا من وقوع الصوفي في التكلف، لأنه أساسا يتكلف من العبادة ما لا يطيقه من صيام وقيام وذكر وانقطاع عن الناس وعقوبة نفسه على تقصيرها وغيرها. (ظهير، 2005) ومع ذلك فهذا لا يمنعه من خروج قصده من التقرب إلى الله إلى الناس طمعا في مصلحة خفية في نفسه كالجاه والنفوذ والخدمة بابتداع طريق آخر في التصوف غير طريقة شيخه، بل إنه قد يقصد بها التوجه إلى النفس فيفترض في عمله القبول ونيل المحبة لدرجة بل بلغت عند بعض الصوفية درجات من الكفر البواح كالاعتقاد بالحلول.(ابن تيمية ،1976) فضلا عن احتقار عبادة العامة ظنا أنهم قد بلغوا درجات في محبة الله لا يبلغها سواهم، غير أن طه تجاهل كل آفات الصوفية وانبرى يدافع عنها بمنطق عقلاني متعالي لا يعكس حقيقتها في أرض الواقع

ولو احتكم إلى حقيقة الممارسة الإسلامية لوجد أن خطر هذه الآفة على العقل المؤيد (التصوف) أشد منها على العقل المسدد لأن الأول قد اخرج بعضهم إلى الزندقة والكفر أما الثاني فدخلت عليه آفة الرياء وإصلاح الأخير أهون من إصلاح الأول.

2- 2-1- 2-آفة التقليد: وفيها يعمل المتقرب بقول الغير على سبيل الاتفاق والعادة أو بالاستناد إلى دليل نظري من دون التحقق في صحة دليله. وقد صنف طه عبد الرحمن التقليد إلى ثلاثة أصناف: التقليد الاتفاقي، والتقليد العادي، والتقليد النظري. (طه، 2009) فالتقليد الاتفاقي هو العمل بالقول دون الشعور بالحاجة إلى ضرورة إثبات صحته، فالمقلد في هذه الحالة لا يستوعب أحواله الحاصلة من عمله حتى يميز بين النافع فيستزيد منه والضار فيبتعد عنه، مما يجعله عرضة للوقوع في الشبهة، وهذا ما يحول بينه وبين إصلاح هذه الأعمال لأنه لا يطلب دليلا عليها وقد ينقطع العمل عن العلم. أما التقليد النظري فيختص به أهل الاجتهاد من (الفقهاء أو المتكلمين) ممن اشترطوا في مذهب الاستدلال تقيدهم بالعقل المجرد، وبالتالي فهم يطلبون الدليل النظري على قول غيرهم دون الحاجة إلى تصحيحه بالعمل.

يجمع التقليد العادي بين آفة التقليد الاتفاقي والتقليد النظري، إذْ أنه لا يهتم بتحصيل لا الدليل النظري ولا العملي لأنه قصر الدلالة العملية لهذا القول على الحركات الظاهرة وبهذا فإن المقلد لا ينفي الشبهات ولا يتبين العقبات، ولا يُحصّل وسائل إصلاح الطاعات وغيرها من الآفات. مما يؤدي به إلى الحرمان من التوفيق الإلهي.

إن آفة التقليد لا محالة واقع فيها العقل المؤيد (الصوفي) أيضا ،لأن علاقة الشيخ بالمريد تنبني أساسا على تقليده ، وحال المريد كما وصفه بعضهم كحال الميت بين يدي مغسله لأنه في حالة استسلام تام يأتمر بأمر وينتهي به حتى يمكن أن يترقى في أحواله غير مكترث بالشبهة التي يقع فيها، وأغلب المريدين لا يطلبون الدليل النظري بل بعضهم جهلة همهم التقليد من دون إعمال عقل، لكن طه عبد الرحمن حوّل هذا التقليد بمنطقه الفلسفي إلى اعتبار التجربة الصوفية تجربة تخليقية تمثل النموذج الذي تنزه عن كل آفة ليُبلغ رسالته بحاله ومقاله لا بمقاله فقط ، والمريد يقتدي بهذا النموذج ليصلح حاله مستبعدا تماما احتمال وقوعه في الشبهة كما فعل مع العقل المسدد ،لأنه يفترض أن تناقل النموذج التخلقي محصنا من كل آفة مع أن واقع الممارسة الصوفية يثبت خلاف ذلك ،لأن سنة الله في الابتلاءات والفتن وحكمته منها لا يعلمها إلا هو حتى لو ظهر بعضها للعيان جليا.

2-2-1-3 -آفة التجريد: لقد تأثرت الممارسة السلفية بالنموذج العقلاني النظري الأوربي لأنه كان مصدر تقدمهم وتطورهم ،مما جعلها تحتذي حذوه، وبهذا وقعت فيما سماه طه عبد الرحمن بالتسلف النظري لأنه قائم على التجريد غير منتفع بالعمل، وفي المقابل وقعت فئة أخرى في التسلف النقدي حيث يفقد فيه المتسلف قدرته على تحصيل معيار التفريق بين المقبول والمردود من المعارف والتجارب المتراكمة فيقع في التشنيع على من لا ينبغي تشنيعه والتبديع لمن لا ينبغي تبديعه. (طه، 2009)

وإذ يعمم طه هذه الآفة على الممارسة الإسلامية فإنه يقع في مغالطة التعميم، لأن أهل العقل المجرد ليسوا في هذا الأمر سواء وواقع الممارسة يثبت ذلك ، فلولا الفقهاء

والعلماء بمختلف أصنافهم لما وجد من يجدد الخطاب الديني حسب مستجدات العصر ، ولا كان هناك من يدافع عنه سواء بعقلانية العقل المجرد أو العقل المسدد ، في الوقت الذي لا يعدو عمل العقل المؤيد (التصوف)أن اختص بالتربية وتزكية النفس بطرق فيها الكثير من المخلفات الشرعية ،ولولا العلماء لانساق كل جاهل في جهله لذلك خصهم المولى عز وجل بالخشية فقال ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ **إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ** إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ٢٨﴾[سورةفاطر ،28]

2- 2-1-4- آفة التّسييس: يقع المتسلف في آفة التسييس نتيجة اعتقاده بضرورة ربط الإصلاح بالعمل السياسي وحده من دون الاهتمام بالجانب التأنيسي المتمثل في المعاني الروحية والقواعد الأخلاقية والاستقامة فنتج عن ذلك غلبة التجريد مما أضعف الممارسة العملية الدينية ، فأدى ذلك إلى فهم مبدأ الرجوع إلى السلف بمعنى التأمل في النصوص من دون الحاجة إلى الاهتمام للجمع بين التفكير المجرد والعمل ، هذا من جهة ومن جهة أخرى ظهر تهميش الجانب الروحي والأخلاقي في العمل السياسي وترك الاستقامة ، لذا يرفض طه عبد الرحمن السياسة بغير أخلاق لأنها غير مقبولة في شرع الله ولو أفادت في توسيع السلطان ، كما أن التجريد من دون العمل غير مقبول ولو جاء بتسخير الأكوان. (طه ، 2009) التسييس ليس آفة في ذاته وإنما في حالة فصله عن القيم الأخلاقية ، ذلك أن الممارسة الإسلامية قد شهدت أزهى عصور الحكم الراشد في زمن الخلفاء الراشدين ،وما كانت إدارتهم لشؤون أمتهم بالتي تفسد عليهم إيمانهم بل كانت قربة لله في إقامة شرعه .

فالعمل بالسياسة اضطرار لا اختيارا لأجل التمكين لدين الله ولا يوجد بديل يمكن أن يقترحه طه عبد الرحمن بهذا الصدد لأن التجربة التخليقية في العقل المؤيد ستحرر عنه كل الآفات السالفة الذكر بتركها والابتعاد عنها ، لا بمواجهة الواقع واثبات أهميتها في تغيير الفرد والمجتمع على حد سواء. وبذلك سيظل أمر السياسة بيد من لا يتهم بأمر الدين والعمل به ، وعليه كيف سيقام شرع الله ويصلح حال الناس كما دعت إليه رسالة مُحَمَّد ﷺ والتي غايتها التمكين لدين الله ؟

وبناء على ذلك ، فإن التجربة التخليقية لم تمتحن مقدرتها في الربط بين القول والعمل مادامت لا تعمل لا بالسياسة ولا بالنظر في شؤون الناس والأمة لا من جهة التنظير ولا من جهة العمل ، وإنما هي تجربة ذاتية متقوقعة على نفسها نالت الكمال في عالم مثالي لا واقعي لأنها ما استطاعت أن تقدم البديل في زمن كثرت فيه المؤامرات على هذا الدين من كل جهة.

2 -3 -العقل المؤيد

أسّس طه عبد الرحمن العقل المؤيد أيضا على مقدمتين الأولى تناولت تعريفه والثانية أسست لكماله ، وعليه ،فالعقل المؤيد" هو عبارة عن الفعل الذي يطلب به صاحبه معرفة أعيان الأشياء بطريق النزول في مراتب الاشتغال الشرعي ، مؤديا النوافل ، زيادة على إقامة الفرائض على الوجه الأكمل (طه ، 2009 ؛ ص121)" فمعرفة أعيان الأشياء هو ما جعله طه صفة للعقل المؤيد وهي: **العينية** ؛ (طه ، 2009) ويقصد بها أن موضوع العقل المؤيد هو أغنى وأشرف مواضيع المعرفة الممكنة متمثلة في الصفات والأفعال والذوات .فإذا كان العقل المجرد يتعرف على الصفات والعقل المسدد يتعرف على الأفعال ، فإن العقل المؤيد يقصد معرفة الذوات ، ولا سبيل لمعرفة الذات إلا بالجمع بين النظر والعمل والتجربة التي سماها طه عبد الرحمن بالملابسة أي إتباع طريق النظر العملي الحي ، والملابسة درجات هي: المزاولة التي تغلب فيها الأعمال الظاهرة للجوارح ،لتنعكس أثارها على الجوانح وحينها سيكون المؤيد قد ارتقى إلى المخالطة لما تركته هذه الأعمال من أثر في نفسه كالأنس والسكينة ، ثم تأتي درجة المباطنة ؛ وفيها يظهر آثار الأعمال الباطنة للجوانح فتنعكس على الأعمال الظاهرة للجوارح ، لأن علاقة التأثير متبادلة بين الأعمال الظاهرة والأعمال الباطنة .

وعليه فهو يرى أن الملابسة مباطنة تحقق" للمؤيد منفعتين هما الطمأنينة والمحبة ، فتمنحه الطمأنينة قوة التحمل والطاقة في السير ، وتزيده يقينا بمحصوله ، وأما المحبة فهي طريق للمعرفة العينية وهي الاشتغال بالمحبوب عمن سواه." (طه ، 2009 ؛ ص126) وبهذا يسلم العقل المؤيد من كل الآفات التي دخلت على العقل المسدد لأن اشتغاله غير مأمون العواقب ذلك أنه معرض للاغترار ، والاستدراج الغيبي وإن ادعى المحبة ، فهي محبة الاستدلال على الصفات أو محبة الانتفاع من الأفعال أما محبة العقل المؤيد فهي محبة الذات الإلهية ، وشتان بين المحبتين ،

حسب معتقد طه عبد الرحمن ، الذي يتغاضى عن شطحات الصوفي في ادعائه المحبة ؛ فتراه يصيح ،ويستغيث ، ويمزق ثيابه ؛ ويخرج عن حد الشرع بدعواه ومضمونها.(ابن الجوزي ،1997) مع أن مبدأ المحبة قائم على اتّباع النبي ﷺ قولا وعملا ،مصداقا لقول الله عز وجل: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[سورة آل عمران ،31]

والشرط الثاني في تحقيق العقل المؤيد بعد العينية هي صفة **العبدية** التي لا تتحقق إلا بالتحرر الكامل من كل تبعية ، فيكون التحرر من قصد الصفات (وهذا ما وقع فيه العقل المجرد) هو ترك التبعية للشيء أو ترك التبعية الشيئية ، وهو ما سماه طه بالتخلص. ويكون التحرر من قصد الأفعال (وهذا ما التزم به العقل المسدد) هو ترك التبعية للعمل أو ترك التبعية العلمية ، وسماه الإخلاص ، وإذا استوفت الملابسة شرط التخلص وشرط الإخلاص مهدت لتحقق شرط ثالث وهو بالذات التبعية المحققة للعبدية واصطلح عليه تسمية الخلاص.

فالتخلص هو التحرر من التبعية الشيئية التي تحجب الإنسان عن معرفة التبعية الأصلية لأنها حبيسة إدراك الصفات الخارجية والداخلية للأشياء بقوة العقل المجرد والتعلق بالأشياء في حد ذاتها. (طه ، 2009) أما الإخلاص فهو التحرر من التبعية العملية وهي صفة العقل المسدد ، (طه ، 2009) لأن قيمة العمل عنده بمقدار نفعه ، ونفعه بمقدار أثره في الصالح العام فيكون طلب الانتفاع شرطا للقيام بالعمل ، مما يولد شعور الامتنان على الغير واستحقاق العوض وهذا ما يتنافى مع صفة الإخلاص ، وعليه يجب الكف عن المنازعة في الاستحقاق والتسليم بسبق المنة الإلهية حتى يتحقق شرط الإخلاص .إضافة إلى ذلك فيجب التحرر من تعظيم العمل ، لأن تخليد الأعمال مظهر للتبعية وهو عند أهل التجريد غاية الغايات التي يجب الوصول إليها بحجة أن الإبداع هو العمل العظيم الذي يؤثر في غيره كما يؤثر الإله في خلقه ،وأما أهل التسديد فينظرون إلى التخليد كوسيلة لتكثير العمل والتفاني فيه باعتباره أسلوبا في الجزاء والثناء ،أما جماعة التأييد فلا ترى في التخليد إلا مانعا يقطع استئناف السير إلى المطلوب لأنه يكرس صفات الرضا والمنازعة في التبعية الأصلية التي تحقق معنى العبديّة حتى لا تكون هناك منازعة في الاستحقاق وفي التبعية العملية والتسليم بإسناد التسديد إلى العمل الشرعي وهذا كله فضل من الله ومنّته ، وبهذا يتحقق التحرر من إسناد الأعمال للمخلوقية لأنها تختص بالخالقية .

وحين يصل المتقرب إلى مرتبة الخلاص والتي تجمع مزايا المرتبتين (التخلص والإخلاص) يكون بالفعل قد تحقق بوصف العبدية الذي سيمنحه الحرية المكونية أو الحرية الربانية بحيث يتحرر المتقرب من كل أشكال التبعية الشيئية والتبعية العملية ويتصف بالتبعية الأصلية التي انبنت على الافتقار إلى الله والاضطرار في الأفعال ؛ أي ترك التصرف واستشعار منّة الخالق في كل شيء ، وبذلك يتحرر من رق الحرية الكونية ،فتكون العبدية هي الدخول في الامتنان الإلهي والوصفي والفعلي. (طه ، 2009)إذْ لا يرى العبد لنفسه وجودا إلا بمنة الله في كل حركاته وسكناته فيصير بين يديه متملكا بخالقيته ومتصرفا بفاعليته وهكذا يحصل له التأييد ويبلغ منتهى الكمال.

فالعقل المؤيد إذًا ، يتضمن العقلين المجرد والمسدد ، ليتجاوزهما نحو الكمال الذي يتحقق بدرجة العبدية التي تهبه الحرية الحقة ، لأنها بحق حرية محبة ، ذلك أنه قد تحرر من كل ما له علاقة بهذا العالم المادي ، لمعرفته بالطريق الصحيح إلى خالق هذا الكون ، الذي سخّره لأجله ، ليسخّر وجوده لأجل عبادة الله وحده. لقد بلغ العقل المؤيد الكمال لأن صاحبه نال حظه من العلوم النظرية بواسطة العقل المجرد ، ثم استزاد معرفة جديدة بواسطة العقل المسدد ، الذي أخضع المعرفة النظرية إلى ممارسة عملية ، والمداومة عليها بالتجربة الحية التي تميز العقل المؤيد.

2- 3 - 1 - دفاعا عن الممارسة الصوفية

ولكي يحفظ طه عبد الرحمن الكمال للعقل المؤيد(التصوف) كان لزاما عليه إبطال بعض الدعاوى التي ألصقت بالصوفية منها:

2- 3 - 1 -1- دعوى الذاتية: لقد أطلق على المتصوفة تسمية أهل الباطن لأنهم اهتموا بتزكية أنفسهم لكن هذه التسمية ألصقت بهم صفة الذاتية التي تعني أن حالهم هذا لا يمكن تعميمه أو اكتسابه ، وبذلك تنتفي عن تجربتهم صفة الموضوعية ، وهذا غير صحيح من منظور طه عبد الرحمن ، لأن العقل المؤيد (التصوف) لم يصل إلى هذه المرحلة إلا بعد تدرجه في مرتبة العقل المجرد والمسدد

بمعنى أن معايير الموضوعية في التجريد وقيمها في التسديد قد تحققت في التصوف بحكم احتوائه العقلين ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن للتجربة الصوفية معاييرها الخاصة في الموضوعية تجلت في المعنى الذي يصل إليه الصوفي نتيجة التأثر بقيم العمل والاستغراق فيه. "وإذا صح أن الموضوعية مشتقة بأساليب الاشتغال التجريدي من المعنى المدرك في التجربة الصوفية فأي الأمور أولى بالتقديم والاعتبار ، أ هو الموضوعية المجردة أم التجربة المؤيدة." (طه ، 2009 ؛ ص161) وبناء على ذلك ،فإن الوسيلة التي يبتغي بها المتصوف الوصول إلى الموضوعية حتما ستختلف عمّا هو في العقل المجرد ذلك أن هذا الأخير يبتغي إدراك صفات الأشياء بالنظر أما العقل المؤيد فيبتغي إدراك ذواتها وحقائقها .

ومع ذلك لا يمكن اعتبار معاني التجربة الصوفية موضوعية لنتائجها المختلفة بين الصوفية ، فبعض معانيها كفر بواح تدعي به إدراك حقيقة الذات الإلهية أدى إلى إباحة دم أصحابها كما حدث مع الحلاج. ومن الذي خول له الشرع ليتكلم عن حقيقة إدراك الذات الإلهية سوى نبي؟ أيخرّ موسى عليه السلام صعقا لما تجلى ربه للجبل ويهذي هؤلاء من دون ضابط شرعي كالقول بالحلول والاتحاد ، ثم يدعي لهم طه عبد الرحمن موضوعية خاصة بتجربتهم ويخصهم وحدهم بوظيفة التربية وتزكية النفوس.

2- 3-1 -2 - دعوى الغموض: يبطل طه عبد الرحمن ما يتهم به المتصوفة من غموض عبارتهم ، من جهتين اللغة والتجربة ، فمن جهة اللغة لا يمكن وصف كل كلام غير مباشر بالغموض ، وليس بالضرورة الغموض هو كلام غير مباشر ، كما أن لغة الصوفي لا تخرج عن حدود التخاطب العربي الطبيعي ، أما أساليب الاصطلاح فقد اتبعوا فيها طريق التماثل والتدرج والتقابل ، وهي أيضا لا تخرج عن طبيعة اللغة العربية في اشتقاقها وارتباطها بالوزن وتقيدها بخصائص التبليغ اللغوي ، لذلك يتهم طه عبد الرحمن أهل التجريد بأن طريقتهم في الاصطلاح والتعبير والتي تعتمد على الشمولية والبرهانية والموضوعية هي التي حجبت عنهم دلالة العبارة الصوفية. أما من جهة التجربة فناتج عن تعذر مشاركة الصوفي تجربته وتعذر حصول العلم بها ، ويصبح الأمر مع العقل المجرد أكثر غموضا لأنه لا يرى ضرورة اقتران القول بالعمل وبالتالي فهو يجد الغموض حتى في العبارة العلمية الشرعية. (طه ، 2009) لقد تجاهل طه عبد الرحمن كثيرا من المصطلحات المتداولة في ساحة الصوفية وبعضها مأخوذ من المسيحية بحروفها وألفاظها ومدلولاتها مثل :(ناموس ، لاهوت ، جبروت ، رهبانية ، ربوبية ،....). (ظهير ، 1986) كما اعتبر بعضها الآخر من الكفر البواح الذي استحلت به دماء أصحابها (الحلول ، ووحدة الوجود). وغموض المصطلح لا يأتي من الدلالة اللغوية للفظ في حد ذاته وإنما من الدلالة الاصطلاحية لأنها تحمل معنى جديدا مقصورا على واضعه كمصطلحات السكر والغيبة ،والقطب...وغيرها. (ظهير ، 2005) وعليه فإن حجة طه عبد الرحمن لا تصمد أمام حقيقة غموض العبارة عند المتصوف لأنه يختار الأمثلة التي تؤيد رأيه ويتغاضى عن أخرى لا يجد لها تبريرا لا منطقيا ولا شرعيا.

2- **3-1- 3 - دعوى نفي العقلانية :** يرد طه عبد الرحمن على من يعتبر أن الصوفية هم أهل ذوق لا أصحاب عقل بالمسلّمة التي مفادها أن العقل المسدد يحتوي العقل المجرد ويزيد عليه بالعمل ، العقل المؤيد (التصوف) يحتوي العقل المسدد مع إقامته له على التجربة الحية ، وعليه فهو مبني على العمل المستعين من جانبه بالتجربة الحية. (طه ، 2009)وبالتالي فهو يجمع فضائل العقلين ويزيد عنهما بثمار التجربة ،فهو أصوب وأسلم وأنفع ، كما أنه قد استوفى شروط المقاربة النظرية .

ومن يدعي أن الصوفي لا عقلاني كمن يدعي أن الناظر العامل الحي هو لا نظري لكونه يأخذ بالتجربة ويأخذ بالعمل المقرون بالتجربة ، وهذا ما لا يقبله العقل من وجهة نظر طه عبد الرحمن ، كما لا يقبل أن يكون الفصل بين النظر والعمل والتجربة أفضل من الجمع بينها ، عملا بمبدأ التكامل الإسلامي بين العلوم. فلئن اعتبر الصوفي لا عقلانيا لأنه لا يأخذ بالنظر المجرد ، فإن خصمه هو أيضا لا عقلاني لأنه لم يأخذ بالعمل والتجربة ،لأن الخروج عنهما تحرمه فوائدهما وتضر به. (طه ، 2009) فالعقل المجرد باستخدامه وسائل التحليل والاستدلال على أسماء الله الحسنى في معرفة معانيها قد لا يتحقق في غياب التجربة الحية وبالتالي لا ينطبع سلوكه بهذه الصفات مهما أمعن النظر بعقله المجرد ، في الوقت الذي يمكن أن يحدث العكس ، أي أن التجربة الحية ستؤدي إلى استنارة القلب والتحقق بالأسماء دون استخدام أساليب النظر المجرد.

وبما أن العكس قائم فهذا دليل على أن أهل الذوق أو أهل العقل المؤيد لم يأخذوا فضائل العقل المجرد لأن الكثير من الصوفية يُقبل على العمل وما حصّل العلمي الشرعي، فأي عقلانية تسلحوا بها وما بلغوه بعملهم دون علمهم من الزيغ والضلال لهو خير دليل على ذلك دون الحاجة لمزيد من الأمثلة فواقع الحال يكفي عن السؤال. ولو انبنت الصوفية على تدرجها في العقل المجرد ثم العقل المسدد لما احتاجت إلى عقلها المؤيد يبتدع من الدين ما ليس فيه.

2- **3-1 - 4 - دعوى ترك الكسب:** يفترض طه عبد الرحمن حتى لو أن الذاكر ترك الكسب فقد اشتغل بما هو أعظم وأهم كالقيام بالعلم والاختصاص في التربية، وهو بهذه الحال مثله مثل غيره ممن يتفرغون لعلم من العلوم، لأنه مقبل على تحمل أعباء التربية على المنهج الشرعي. وعليه فإن الاستغراق في العمل يجعل وصف المشتغل بالله تسديديا مما يجلب له التكفل الإلهي ومحبته ،فتزداد إنتاجيته وتكثر منفعته، فيزدادا تقربا إلى الله ، فكسب المتصوف يتصف بدوام الإنتاجية والتسديد والتأييد، لا بالبطالة كما يتصور بعضهم ،بل كسبه هو تصرف إنتاجي بقصد التقرب. (طه، 2009) وعليه فإن الصوفي على هذا النحو من التصور الافتراضي في كل أحواله في حالة كسب سواء طلبه أم تركه ،وهي حالة الاشتغال بالله والتقرب إليه لتزداد منفعته فينفع غيره.

لقد أسس طه عبد الرحمن حجته على افتراض لا على الحقيقة التي يؤكد واقعها ترك المتصوف للكسب لأنه يقطع الطريق عنه في الاشتغال بالله والتقرب إليه ،وهذا جزء من معتقده ،وليس لأنه سيتفرغ لتربية غيره وإصلاحه لأنه قد لا يفعل ذلك أساسا، أما ادعاء أنه يقوم بالتربية على المنهج الشرعي فهذا أيضا خلاف الحقيقة والواقع لأن سنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والسلف الصالح رضوان الله عنهم؛ هي الالتزام بالكسب لا تركه ومع ذلك عرفوا الله حق معرفته فاستطاعوا أن يوفقوا بين معاشهم وكسبهم وبين وظيفة الدعوة والإصلاح، وما ترك الكسب في الشرع فضيلة حتى يقبلوا عليه، والسير على نهج مُحَمَّد ﷺ أحق أن يُتبع .

2- **3 -1-5 - دعوى ترك الإصلاح:** يعتبر طه أن مفهوم الإصلاح كما سار عليه العقل المسدد مرتبط بالسياسة في إيجاد حلول للمشاكل الاجتماعية، فاعتبره آفة في حقه كما مر بنا، وعليه فإن مفهوم الإصلاح بهذا الشكل هو تصرف تغييري غرضه التسييس، وهذا لا يليق بالمتصوف لأنه لا يتناسب مع غايته التخليقية، لذلك اختار طريقه الخاص بحيث لا يرتبط بالتسييس وإنما بالتأنيس؛ ويقصد به الاعتماد على الجانب التخليقي للإصلاح لأنه مدار اهتمام الصوفي، وعليه فالإصلاح هو التصرف التغييري بغرض التأنيس. (طه، 2009) ذلك أن الإصلاح المقرون بالتسييس لا تؤمن عواقبه وإن بدا بعض نفعه، وعليه فالإصلاح التأنيسي يتميز بثلاث صفات هي:(الشمولية والواقعية والالتزامية). (طه، 2009) الشمولية بمعنى أنه لا يهتم بقطاع أو مجال بعينه، وإنما يهتم بما يصلح الإنسان ككل، فهو يشمل جميع أبناء مجتمعه وغير مجتمعه ،بل أفراد الإنسانية قاطبة ،ويتجه نحو الفرد لا نحو كيان مجرد مثالي هو المجتمع، فهذه هي الواقعية. أما صفة الالتزامية فهي التزام المتصوف بالإصلاح حسب شرائط الإصلاح التأنيسي الذي يخلّص الأفراد من الآفات لعلمه أن الإصلاح أمانة فلا يكون لنفسه فيها حظ، لأنه انشغل عن حاله بحال إصلاح غيره، لذا يتعجب طه ممن ينسب للمتصوف التقاعس والقعود عن الإصلاح وهو يتولى أجلّ وظيفة وهي التقرب إلى الله وسواء قام بوظيفة الإصلاح أم استغنى عنها فإن حاله في حد ذاتها دعوة للإصلاح، لأنه مصدر تأثير في بيئته أكثر من أي قول.

ما أهمية إصلاح منقطع عن حياة الناس؟ ولو أن المتصوف انخرط في حياة الناس لما استطاع أن يحفظ الصلاح لنفسه حتى يحفظه لغيره، لأن قيمة التجربة التخليقية أن تمتحن في واقع الحياة لتترك أثرها في كل المجالات (اجتماعية، سياسية، ثقافية، اقتصادية...)،أما أن يعتزل حياتهم ثم يأمل أن يربي أفرادا يمكنهم أن يثبتوا على قيمهم ويقيموا فيها شرع الله ،فهذا بلا شك غير ممكن فمثلما نفى طه عبد الرحمن عن أصحاب العقل المجرد والمسدد إدراك معاني التجربة عند العقل المؤيد لأنهم لم يمارسوها ، فكذلك المتصوف لا يستطيع أن يكون فاعلا بإصلاحه لأنه لم يعايش حياة الناس بل هو في عالمه الخاص. و "لو فهم معنى التعبد؛ لم يقتصر على الصلاة والصوم، فرب ماش في حاجة مسلم فضل تعبده ذلك على صوم سنة."(ابن الجوزي ،1997، ص380)

3 - شروط كمال العقل

انطلق طه عبد الرحمن من مقدمة كمال العقل المؤيد التي مفادها:" أن العقل المؤيد لا تظهر كمالاته في الممارسة العقلانية الإسلامية بقدر ما تظهر في الممارسة الصوفية." (طه ، 2009)بمعنى أن الممارسة الصوفية هي الوحيدة التي تمثل نموذج العقل المؤيد للأسباب السالفة الذكر.

يعمل العقل المؤيد على تكميل الحقيقة العقلية عند الإنسان التي يعتبرها طه عبد الرحمن غير مكتملة مع العقل المجرد والمسدد بسبب الآفات التي لحقتهما ، والعقل المؤيد هو القادر على اتقاء هذه الآفات الخُلقية: كالتظاهر والتقليد والآفات العلمية كالتجريد والتسييس عن طريق التوسل بالتجربة الحية التي تتحقق من خلالها صفات العينية والعبدية. فكمال العقل المؤيد لا يتحقق فقط لكونه استطاع أن يحمي نفسه من أفات العقلين ، بل لأنه تحقق بشروط كمال العقل ، والتي يظن طه عبد الرحمن أنها متحققة فقط في الممارسة الصوفية ، لأنها اتخذت التجربة الحية سبيلا لإقامة العمل ، وهذه الشروط وهي: اقتران العلم بالعمل - اقتران المعرفة العلمية بالمعرفة الغيبية- وسلامة الزيادات.

3-1- اقتران العلم بالعمل

لابد لكل معرفة عقلية أن تنتقل إلى مستوى التخلق السلوكي ، حتى لو كانت علما نظريا أو آليا كاللغة والمنطق والحساب ، لأن التخلق سبب في نفوذ المعاني والقيم إليها ،بحيث يقيها مساوئ التنظير المجرد. (طه ، 2009)ذلك أن العقل المجرد لا يؤمن أساسا بضرورة هذا الاقتران وهذا حال المعاصرين في تفكيرهم ودراستهم للتراث ونقده ،بآليات العقلانية النظرية المجردة في الوقت الذي بني أساسا بآليات العقلانية العملية ، مما أفضى إلى قطع الصلات بين أقسام هذا التراث والتعامل معه بانتقائية. (طه ، 2012) فكانت النتائج التي توصلوا إليها أبعد ما تكون عن الفائدة ، كما سبق وأن أشرنا إلى ذلك مع الجابري. أما العقل المسدد وإن كان يستوفي هذا الشرط فإنه لا يؤمن عليه دوام الاتصاف به.

ليثبت وفاء العقل المؤيد بهذا الشرط من خلال التجربة الصوفية التي التزمت بهذا المبدأ فيما يعرف با(اجتماع المقال والحال) ،إذ أن الصوفي في حال تتزايد في الترقي بتزايد العمل تسمح له بتصحيح فهمه والاستمرار على حمل عبارته بمعان متفاوتة تختلف باختلاف حاله ومعرفته ، يحسبها طه عبد الرحمن غير مضرة بالتواصل ولا هي مخلة بالتعاقل. (طه ، 2009) ولكن أي معرفة يختص بها العقل المؤيد (الصوفي) ومجال تخصصه تزكية النفس لا غير؟ فهل كان المتصوفة علماء نظر أو دين في أي تخصص كان؟ حتى ينظر إليهم بوفاء هذا الشرط. إضافة إلى هذا فإن ممارسة الفقهاء والسلفية التي يمثلها العقل المسدد أثبتت استفاءها لهذا الشرط وحكم طه عبد الرحمن عليها ليس قطعيا بدليل من واقع حالها بل ظنا بما يمكن حدوثه.

3- 2- اقتران المعرفة العلمية بالمعرفة الغيبية

وذلك بربط موضوع العلم والمعرفة بمعرفة المولى عز وجل لأن معرفة قوانين العلوم ما هو إلا تجلي لقدرة الله ومظهر صنعه ، وبالتالي وجب أن تكون سببا في التقرب منه. غير أن الذين اقتصروا على العقل المجرد في المعرفة لم يزدادوا إلا إعراضا عن الله ومنازعته في شرعه ، بحجة الموضوعية العلمية أو استقلالية المعرفة العلمية ، أو بدعوى تعذر المعرفة الغيبة ، فحُرموا من سبل الهداية والانتفاع بعلمهم. أما العقل المسدد فإنه يقصُر مبدأ ربط العلم بمعرفة الله على مجال العلوم النقلية دون العلوم العقلية ،إذْ يعتبر الأولى إما مُوصلة إلى الله أو معينة على أسباب السلوك الموصل إلى هذه المعرفة ،أما الثانية فلا يوجد إجماع على ضرورة التزامها بهذا المبدأ. (طه ، 2009) وهذا ما يعترض عليه طه عبد الرحمن لأنه يرى ضرورة أن تكون العلوم نقلية كانت أو عقلية خادمة للحقيقة الغيبية لأنها هي المقصود الأصلي ، وإلا فهي ليست من العلوم النافعة ، وعلى الباحث المسلم أن يخرج معارفه ونتائجه العلمية على مقتضى دلالة هذه الحقيقة العلمية حتى لا يحرم التسديد الإلهي بإسقاط جانب الوحي وجانب العمل الشرعي منه.

يتجلى تحقق العقل المؤيد بهذا الشرط في المبدأ الصوفي القائل ب(رؤية الله في كل شيء)لأن علم الصوفي بالموجودات ينقله إلى العلم بموجدها ، كما أن العلم بالموجد يفتح له الأفق على العلم بالموجودات ، فهو عمل متبادل لا ينفصل عن بعضه. (طه ، 2009) فالصوفي لا يصل بين المعرفتين(المعرفة العلمية ومعرفة الله) كأنهما أمرين مستقلين كما هو شأن العقل المجرد وإنما معرفته بالشيء لا تفارق معرفة ذاته المرتبطة أساسا بمعرفته بربه ، وهذه المعرفة هي تحقق كامل بالتبعية لله لأنها تدفعه لجعل كل مدركاته سبيلا لتحققه بالعبدية . (طه ، 2009) تحقق

هذا الشرط في الصوفية لأن معرفتهم أساسا لا تتجاوز حدود المعرفة الغيبية ، أما أهل العقل المسدد فأغلبهم يربطون المعرفة العلمية بالمعرفة الغيبية دليل ذلك إدراكهم للإعجاز العلمي في القرآن الكريم. وحتى وإن لم يحصل بينهم إجماع فيما يتعلق بالعلوم العقلية كما يزعم طه فلا يعني أن الشرط لم يتحقق في العقل المسدد لأن الإجماع ليس شرطا في تحققه.

3-3 – سلامة الزيادات : شرط في اتساع الممارسة العقلية لأن المعرفة العقلية الكاملة هي المعرفة التي لا يخشى عليها من الزيادة من دون أن تحيد عن جادة المقصود أو تسيء إلى المتقرب ، فكلما كانت الزيادة قائمة على الاجتهاد في العمل والتحقق به زادت العامل بها تقربا إلى الله ورسوخا في معرفته ، وبهذا يتحقق النفع للذات وللغير. (طه ، 2009) لكن أهل العقل المجرد وإن ادعوا لأنفسهم الاستزادة التي حققت لهم السعادة ولغيرهم النفع ،فإن واقع الحال يكذب ذلك لما تعانيه الإنسانية من الآثار السلبية كاستعمال أسلحة الدمار الشامل وتلويث البيئة وغيرها ، أما أهل العقل المسدد فالآفة تدخل عليهم ما بقيت أعمالهم قائمة بالجوارح وحدها من دون أن تترك أثرها على الجوانح .

والصوفية وحدها من تحققت باتساع المعرفة لسلامة الزيادة من خلال تحققها بمبدأ (التقرب بالنوافل) لأنه يفتح باب الوصول إلى الله والحصول على محبته فيتولى المولى عز وجل عبده في جميع أحواله حتى لا يرى شيئا إلا ويرى الحق فيه ولا يعرف شيئا إلا ويعرفه به. ومنه يتبين مدى حرمان من يترك النوافل بحجة أنها ليست شرطا في تحقيق الاستقامة أو من يستخف بها بدعوى الاشتغال بما هو أهم ، وكأن التقرب إلى الله ليس أعجل المتطلبات إلى الله . (طه ، 2009)

إن هذا الشرط في كمال العقل لا يمكن إثباته لأي عقل من العقول لأن سلامة الزيادة علمها عند الله لا عند خلقه ، وإن الحكم بسلامتها قائم ما لم تُخرج صاحبها عن شرع الله كما جاء في كتابه وسنة نبيه وكان على طه عبد الرحمن أن يقيده بهذا الشرط ، أو يجعل شرط موافقة العمل ونتائجه للشرع من شروط كمال العقل لأن تحقق شرط اتساع الممارسة العقلية بالاستزادة في العمل غير مضمون لأحد.

وواقع الممارسة الصوفية خير دليل على ذلك فمع كثرة التقرب بالنوافل لدرجة تكلف أصحابها أكثر مما يطيقون وابتدعوا طرقا من التقرب ما سنها نبي الهداية صلى الله عليه وسلم ولا أتى بها صحابته رضوان الله عنهم وهم أحسن الخلق عبادة لله ،لذا ما كانت لتزيد بعضهم معرفة بالله بل زادتهم جهلا ، إذْ أنها بلغت عند بعضهم أن أسقطها عن نفسه لأنه قد تحقق مراده.(ابن الجوزي ،2003) مستدلا بالآية الكريمة ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩ ﴾[سورة الحجر ،99] وبعضهم الآخر بلغ به الحال درجة التأله يبوح بعبارات استحل بها دمه كابن عربي وابن الفارض ،..وغيرهم. (ابن تيمية ،1976)

خلاصة القول في هذا الشرط أنه لا يتحقق إلا بموافقة ما جاء به الشرع ، لذا فإن العقل المؤيد هو أكثر العقول إخلالا بهذا الشرط لأن أصحابه عولوا على كثرة العمل لا على مدى موافقتها للشرع واعتمدوا الظن بادعائهم بلوغ مقامات أدركوا بها اليقين وحقيقة العبودية فأظهروا من أقوالهم وأفعالهم ما خالف الشرع بما ليس له تأويل إلا الخروج عنه.

بناء على ما تقدم فإن العقل المؤيد لم يستوف جميع شروط كمال العقل بل العقل المسدد هو الأحق باستفائها من غيره لأنه يجمع بين العلم والعمل ولا يقطع الصلة بين موضوع الحقيقة العلمية ومعرفة المولى عز وجل ،لأن القرآن أساسا يوجه العقل لتدبر في الكون حتى تتجلى له قدرة الله ويعرف عظمة ربه وهو أشد التزاما بشريعة الإسلام ، كما أنه أقرب العقول في سلامة الزيادات واتساع معرفته لأنه اتساعه في حدود الشرع ويقينه لا اتساع الظن بلا حدود كما هو الشأن مع العقل المؤيد (التصوف) وخير مثال في الممارسة الفقهية فقهاء الأمة الأربعة خاصة فقد تحقق حالهم بكل هذه الصفات ،فهم أحق بصفة كمال العقل وكان علمهم نافعا لا يستغنى عنه في إقامة الدين ، مع أن العقل لا كماله لقوله تعالى ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥ ﴾[سورة الاسراء ،85] لكن طه عبد الرحمن من خلال طرحه يبدو أنه لم يرجع إلى الممارسة الإسلامية بكل أطيافها ليبحث فيها عن حقيقة العقل الكامل وإنما اتخذ من صوفيته نموذجا ومن معاصريه التجريديين وأهل العقل المسدد ليبنى نموذج العقل الكامل فاستأثر به دون سواهم ، مع أن صوفيته تختلف عن الصوفية في حقيقة وجودها ،ولو أنه عاد حقيقة إلى الممارسة الإسلامية لكانت نتائجه خلاف ما وصل إليه .

4 - التصوف وتجديد العقل

ربما كان على طه عبد الرحمن أن لا يسمي كتابه (العمل الديني وتجديد العقل) بل كان عليه بكل بساطة أن يسميه (التصوف وتجديد العقل) لأن مدار كتابه قد تأسس للدفاع عن التصوف عن طريق منطق الفلسفة أو كما قال بعض الباحثين تقديم سند فلسفي حديث للتصوف ، جعل أعلى المراتب للتراتب الفكري هو النموذج الصوفي (العقل المؤيد)، ودونه في المنزلة النموذج الفقهي السلفي (العقل المسدد)، وأما أحط المنازل فهو النموذج العقلاني(العقل المجرد). (السكران ، 2014)

وقد يرجع السبب في هذا الدفاع المستميت عن الصوفية إلى تصوفه بالدرجة الأولى ، لذلك فهو لا يرى طريقا لكمال العقل إلا في التصوف ،لذلك يهب الكمال للعقل المؤيد (التصوف) لأنه شعر بكماله في نفسه فهو في الحقيقة يصف لنا تجربته الصوفية في نسختها المثالية فبنى نسق تراتبية العقل كما اعتقد هو أنه قد تحقق به ،أما واقع الممارسة الصوفية فيختلف كثيرا عما أورده في كتابه ، فلو كان بالفعل ينطلق من الممارسة الإسلامية بمختلف أطيافها النظرية والسلفية والصوفية لاهتدى إلى نسق آخر غير هذا الذي يدافع عنه أو على الأقل ما كان ليختار الصوفية نموذجا للعقل المؤيد. وبهذا يكون طه عبد الرحمن قد ابتعد كثيرا عن مراده من تأسيس سند فكري لليقظة الدينية وإنما انتصر لعقل لن يغير في واقع حالها شيئا ولو كان بمقدوره فعل ذلك لكان ظاهرا للعيان ولا يرتاب فيه الإنسان وأثبته الواقع بالبرهان.

أضاف منطق طه عبد الرحمن للتجربة الصوفية مفاهيم جديدة أسعفته في بناء نسقه حول مراتب العقل ، فأصبحت التجربة الصوفية عنده هي النموذج الذي يحقق التسلف العملي ويقوم بوظيفة التخليق ،لأن العودة إلى النصوص فقط للأخذ منها غير قادرة على تحقيق ذلك وعواقبه غير محمودة ، ما لم يوجد النموذج الذي يجسد معاني النص ،ويعود ذلك إلى حقائق ثلاث مانعة وهي: الحقيقة التاريخية متمثلة في بعد النص عن زمنه ، الحقيقة اللغوية التي تفتح باب التأويل نتيجة هذا البعد ، والحقيقة الدينية أن أعلى المراتب في التقرب إلى الله ما كان أكثر رسوخا في العمل. (طه ، 2009) وعليه لا يمكن تحصيل فهم حقيقي للنصوص في غياب النموذج الذي يطوي الحقائق السالفة الذكر في ممارسة حية يمكن الأخذ عنها ، متمثلة في التسلف العملي القائم على النظر العملي الحي الذي تمثله التجربة لأنها قد تضمنت طبقات التجربة والمعرفة عبر الزمن فهي أنسب وسيلة لتحصيل القدرة على استخراج مضامين النصوص الأصلية وبهذا يصبح المتصوف أقدر من غيره في فهم النصوص الشرعية حسب طه عبد الرحمن ، إذ يرى أن حقيقة التسلف ليس في رجوعنا إلى النصوص الإسلامية ، بل في رجوعها هي إلينا عن طريق النموذج الذي تمثله التجربة الصوفية .

مع أن الصوفية كل ما اهتمت به هو تزكية النفس أما الذين تولوا فهم النصوص الشرعية من أجل تحيينها حسب الواقع ومستجدات العصر هم الفقهاء ، والناس في أشد الحاجة إليهم من الصوفية ولا ينفع علم الصوفي وهو في عزلة عن واقعه. بل أن ابن عقيل يعتبر المتكلمين خير من الصوفية لأنهم قد يزيلون الشك والصوفية يوهمون التشبيه ، فإن ادعوا أن أصحاب الحديث قد أخذوا علمهم ميتًا عن ميت ، فقد طعنوا في النبوات وعولوا على الواقع. (ابن الجوزي ،2003) لأن النموذج الذي يدعي له طه عبد الرحمن الكمال في فهم الشرع ، فيخصه وحده بمهمة التخليق لا تأمن سلامة زيادته وإنما سلامتها متوقفة على موافقة الشرع ، والصوفية لا يخلو حالها من مخالفة للشرع ، ولقد بيّن العلماء أخطاءهم بالدليل والحجة الشرعية والعقلية والواقعية.

فالتسلف العملي (النموذج) هو نظر في سلوك الأوائل من الصحابة الذين هم بدورهم نظروا إلى سلوك النبي ﷺ ،وهكذا كل طبقة تأخذ عن الأخرى .لأن غياب النموذج الحي للاقتداء به والتعلم عنه سيجعل من الفرد نفسه نموذجا ولم يبلغ مبلغ النموذج بعد ، فيحصل الابتداع بسبب ترك التوجه إلى النموذج. (طه ، 2009) لكن ما ينبغي التساؤل عنه كيف تم تحريف النموذج ؟ فلئن كان الانحراف في فهم النص لابد كائن لأن النص لا يشرح كيفية العمل ، فكيف دخل الانحراف على العمل وهو متواتر عن النبي ﷺ حسب ما يعتقد طه عبد الرحمن؟ فنهج النبي صلاة ربي وسلامه عليه خلاف ما هو عند المتصوف ولشدة هذا التباين انتقدت الصوفية ، كما نجد ذلك في كتابات ابن الجوزي حيث يصفهم في قوله:" منهم من تصدر ، وصنف ، فاقتدى به الجاهلون في هذه الطريقة ، وكانوا كعمي اتبعوا أعمى ، ولو أنهم تلمحوا للأمر الأول الذي كان عليه الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم ؛ لما زلوا". (ابن الجوزي ،1997 ،

ص67). فالأحق بالاقتداء هو مُحَمَّد ﷺ، ولا ينبغي لعاقل أن يقلد، فالمقلد أعمى كما وصفه ابن الجوزي.

والنموذج في حقيقته قائم على تقليد المريد لشيخه يأتمر بأمره في كل أحواله لذلك بالفعل هو أعمى ينتظر من شيخه أن يسير به في طريق الهداية، لقد صاغ طه عبد الرحمن طريقة الصوفية في التزكية في قالب النموذج الذي أسسه بمنطق العقل المجرد لا بمنطق الشرع، وإلا فإن دين الله بيّنٌ في كتابه وسنة نبيه. وإذا لم يجد المسلم هذا النموذج فهل يعني أنه محروم من الوصول إلى الله على وجه الحقيقة ولن يصل إلى محبة الله ولن ينال محبته؟ وهل تحصيل المحبة مقيد بالنموذج في دين الله؟

لم يكتف طه عبد الرحمن أن صاغ التجربة الصوفية في صورة النموذج بل إنه يبرر لغة الصوفي في تبليغ تجربته بطريق الإشارة على أنها الأنسب لتبليغ النموذج، لأنها أوفى بغرض النموذج في التبليغ لما لها من الأوصاف التبليغية تقابل ما عند النموذج من الأوصاف التخليقية، فإذا كان النموذج حقيقة مشخصة ،فكذلك الإشارة تعبير مشخص، ولا يتحقق هذا عن طريق العبارة ، بسبب إدراك المعنى دون تحققه في القلب ،فضلا عن الجهل بكيفية العمل به ولا تنفع إلا المحاكاة. (طه، 2009) إضافة إلى ذلك فإن الإشارة تزيد القرب بين المتخاطبين لأنها تدل على تقاسمهم لتجربة مشتركة لها خصوصيتها في تبادل الفهم بينهم، مما يولد لديهم الرضا. (طه، 2009) يبدو حسب دفاع طه عن توظيف الإشارة عند الصوفي لدرجة تصبح منطق تواصل طبيعي أن النبي ﷺ وصحبه قد فاتهم علم عظيم هو علم الإشارة ، وأن النبي على اعتباره النموذج الأول لعبادة الله ومحبته لم يهتد لأهمية الإشارة في تبليغ نموذجه. وهنا يتبين أن منطق العقل المجرد هو الذي يعلل اتخاذ النموذج طريق الإشارة في التبليغ، وليس طبيعة الدين ولا خصوصية مهمة التخليق ولا أن الشرع يُقر بذلك، وما كان أسلوب القرآن كله إشارة حتى يقتدى به بل إنه بيان للناس.

ولأن العقل المؤيد وحده من تحققت فيه صفة النموذج حسب ظن طه عبد الرحمن فهو أحق بمهمة التخليق، وغيره مغتصب لهذه الوظيفة لذلك تدخل عليه الآفة إذ يمارس هذا الحق ولم يبلغ مبلغ النموذج ،وعليه فإن العقل المؤيد هو مناط التكليف التخليقي لأنه ملزم بعد بلوغه مرتبة النموذج أن يقبل على الغير حتى يعلمهم التقرب إلى الله . (طه، 2009) لينال الترقي في مراتب القرب والتأييد أما إذا ترك هذا الواجب سيتعرض للتدني والتراجع في هذه المرتبة .وعليه فقد خصّ العقل المؤيد بوظيفة التخليق قصرا لأنه يُسأل عنها سؤال المكلَّف، معتبرا تولي العقل المجرد والمسدد لهذه الوظيفة من باب الاغتصاب. لأن فعلهما تصرف بغير حق مع عدم تحصيل الاستعداد الخاص بهذه المهمة.

لذا كانت نتائج هذا الاغتصاب مختلفة باختلاف العقول أدت بالنسبة للعقل المجرد نتيجتين هما: التعالي الإلحادي بسبب غلو العقل المجرد في اعتماد وسائله البرهانية المستمدة من التجريد، وبالتالي يستغني كليه عن قيمة العمل الشرعي حتى لو كان مجرد اعتقاد من دون عمل، وعليه فلا يؤمن عليه أن يصرح بوجهه الإلحادي. والتأنيس الإلحادي فيدعي فيه صاحب العقل المجرد أن وسائله سلطانية تستمد مشروعيتها من سياسة الأحوال المادية للإنسان، مستغنيا عن المعاني الروحية المستمدة من العمل الشرعي، معتقدا أنها كافية للقيام بغرض التخليق، بحيث يُنسب إليها نوع من التأنيس يقطع صلته بهذه المعاني . (طه، 2009) إن صفة الإلحاد وما تحمله من معنى يعرفه العام والخاص قد يكون بعيدا عن واقع الممارسة الإسلامية جملة وتفصيلا لأن طه يؤسس لمراتب العقول في ظل هذه الممارسة التي يدين جميع أهلها بدين التوحيد الإسلام، وهي قائمة على الاحتمال والشك لا اليقين .فكيف للصوفي طه أن يصف غيره بصفة دالة على صفة التشدد التي جعلها آفة العقل المسدد حين يغتصب مهمة التخليق ، والمبدأ عنده أن الصوفية أبعد في تكفير الناس من السلفية .

أما النتائج السلبية لاغتصاب العقل المسدد لوظيفة التخليق فهي التشدد والتحجر؛ (طه، 2009) يحدث التشدد عندما ينزل بدرجة التأثير بواسطة المقال والحال معا إلى درجة المقال الذي لا يلبث أن ينطبع بالقسوة والتعنيف لأن وسائله الوعظية قائمة على تسديد العمل، وبالتالي فقد ينصرف عنها أثار التجربة العملية الحية. أما التحجر فيحدث نتيجة اعتقاده بأن وسائله الوعظية تتوقف عند حدود ظاهر النصوص دون الحاجة في الخوض في معانيها الدالة على أخلاق النفس وأسرار القلب، لأنه لا يمكن مراقبتها، وبالتالي فهو يقطع وجه الانتفاع بالمعاني الباطنية، وحينها يحرم ما يبعث على تجديد خطابه والاجتهاد في النصوص، فيتوقف عند حدود ظاهرها. إن وسائل العقل المسدد وإن بدا أنها تتوقف عند ظاهر النص فإنها لا تقطع الانتفاع بالمعاني

الباطنية بل إنها هي أيضا تخوض في معاني الدالة على أخلاق النفس وأسرار القلب مثال ذلك ابن الجوزي في وعظه وفي كتاباته ، أما تحويل خطابهم إلى الغلظة والقسوة فغير صحيح لأنهم أشد التزاما بمعاني القرآن الكريم الصريح في أوامره ﴿ **ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ** إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾[سورةالنحل ،125] كما أن وسائل الوعظ عندهم تتراوح بين الترغيب والترهيب وهو نهج القرآن الكريم ، فكيف لطه أن يعترض على هذا النحو ليصف العقل المسدد بالتشدد والتحجر .

في الوقت الذي لا يأمن على العقل المسدد ميله للتشدد والتعنيف في الوعظ ، لم يشكك في وسائل العقل المؤيد ، مع أنها أساسا قد بُنيت على التشدد وإنما يتحدث عنها بمفهوم شمولي يتغاضى فيه عن حقيقتها التي يحفظها التاريخ ولا يزال الواقع شاهدا عليها ، لأن ما يفرضه شيخ الطريقة الصوفية الذي أصبح نموذج التخليق في أتباعه حتى يرتقي بهم لمستوى ما وصل إليه هو عين التشدد والتنطع إذْ يلزمهم بأذكار وصيام وانقطاع عن الناس وخدمة له . (ظهير ، 2005)وليس كل الناس تقوى على هذا ،ولا كان طريق المشقة هو نهج النبوة ،ولا القرآن الكريم نص على ذلك بل كل يعمل على قدر طاقته ﴿ **فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ** وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦ ﴾[سورة التغابن ،16].

بناء على ما تقدم فإن ما وعد به طه عبد الرحمن في مقدمة كتابه لم يتحقق لأنه أخفق في بناء يقظة دينية تستند إلى فكر يلتزم بشروط المناهج العقلية ، وبالتنظير العلمي المحكم وبالتبصر الفلسفي ، ذلك أنه جانب الموضوعية بل والمنطق في مواضع كثيرة من طرحه نذكر بعضها:

لقد انطلق طه في بناء تراتبية العقول من مقدمتين لكل عقل ، سلّم بها ثم انطلق يثبت صحة اعتقاده ، تارة بأدلة منطقية وأخرى واقعية وقلما كان يرجع إلى القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والتي يختار لها مكان الهامش من كتابه ، لتدعم قوله لا لتكون المبدأ الأساسي في بناء استدلاله ، وعلى هذا ما أهمية بناء نسق منطقي لليقظة الدينية دون الرجوع إلى مبادئ هذا الدين؟ بل اتخذ الممارسة الإسلامية بمختلف اتجاهاتها ليبني منها نسقا يدافع به عن التصوف لا ليقيّم أو يقوم النتاج الفكري للعقول الثلاثة -المجرد(الممارسة الإسلامية العلمية والنظرية) والعقل المسدد(الممارسة الفقهية والسلفية)والمؤيد(التصوف)- بموضوعية بينت ايجابيات كل عقل في بناء هذه اليقظة وكيف يجب إصلاح بعض سلبياتها ، بل استعان بالحجج المنطقية والواقعية لإدخال الآفة على العقل المجرد والعقل المسدد ليتغاضى عن العقل المؤيد ويعمل على بناء كماله على ما تدخله من آفات الواقع أيضا يثبتها وأدبيات التصوف تحفل بها كما سبقت الإشارة له. ومع ذلك يتغاضى عن كل ذلك بمغالطة التعميم التي ألبست الصوفية ثوب العقل الكامل وسعى بكل ما أسعفه منطق ترتيب النسق الذي أراد أن يبنيه للعقل في الممارسة الإسلامية فراح يحجم عمل المنظرين من علماء الإسلام فاختار مسألة الألوهية وأسماء الله الحسنى ليثبت بها حدود العقل المجرد الذي تمثله هذه الممارسة ، وقصور العقل المسدد في الاتصاف بها ووحده العقل المؤيد من وصل إلى حقيقة الذات الإلهية.

ولكن السؤال المطروح ، إن كان بالفعل قد استطاع طه أن يجدد العقل بما افترضه من مراتب جعل أكملها العقل المؤيد (التصوف)، فهل بعمله هذا هو بالفعل يؤسس ليقظة دينية يمكن أن يستفيد منها العمل الديني ؟

لقد استطاع طه عبد الرحمن أن يدافع عن التصوف ويجعله عقلا سماه العقل المؤيد ولولا ذاتية طرحه كونه صوفيا لما كان سيختار غير العقل المسدد لأنه هو الذي نشر هذا الدين بأخلاقه ، وعدل بين الناس بقيمه ،فلا السياسة أفسدته ولا التجريد ضيعه لأن قيم العمل تحفظه وكل الآفات التي حاول طه أن يلحقها به قائمة على الظن فيقول(لا يؤمن عليه التعثر) ويثبت باليقين للعقل المؤيد سلامته لأنه تحقق بالتجربة مع أن الواقع يثبت خلاف ذلك وهي غير مانعة من دخول الآفة عليه ، لذا كان عليه أن يتبع الدليل ،لا أن يتبع طريقا ويتطلب دليلها(ابن الجوزي ،1997) .

وعليه فإن استفادة اليقظة الدينية مما قدمه في تراتبية العقل لن تكون بالشكل الذي طمح فيه إلا إذا اعتبرنا العقل المسدد هو أفضل العقول حتى لا نقول أكملها ، لأنه لا كمال للعقل إلا بمقارنته مع غيره أما على وجه الحقيقة كل العقول قاصرة في إدراك الحقيقة الإلهية ، لذا جاء قول الحق تبارك وتعالى:﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦ ﴾[سورة التغابن ،16] وهنا تصدق مقولة طه عبد الرحمن في حقيقة المناهج وبحثها عن الحقيقة: "إن الأجهزة النظرية التي نصطنعها للوصف أو التحليل أو

التفسير ليست إلا حيلا أو قل (ألعابا) نبتدعها لنلاحق ونقارب بها الظاهرة المدروسة ، حتى يقوى سلطاننا عليها ؛ ومهما بلغت من الكفاية الوصفية والتفسيرية ، فإن هذه الأجهزة تظل غير مشاركة في وجود الظاهرة ذاتها ، إذ يبقى دائما في الإمكان أن نستبدل مكانها أجهزة أخرى لا تقل عنها إنتاجية إن لم تفقها." (طه ، 2012 ؛ ص50) وعليه لم يوفق طه في مقاربة الممارسة الإسلامية بمختلف أطيافها بموضوعية تفضي إلى نتائج إن لم نقل عنها علمية فعلى الأقل غير متناقضة مع واقع هذه الممارسة .

خاتمة

- انطلق طه عبد الرحمن في تأسيس تراتبية العقل من الممارسة الإسلامية ، فكان العقل المجرد وسيلة الممارسة الإسلامية العلمية والنظرية ، والعقل المسدد وسيلة الممارسة الفقهية والسلفية والعقل المؤيد وسيلة الصوفية ، وهي أنجع الوسائل في القيام بمهمة التخليق ، لذا كان العقل المؤيد أعقل العقول لأنه اهتدى إلى حقيقة الوجود وهي محبة الله ، ولأجل ذلك استحق صفة الكمال.

- مقاربة طه عبد الرحمن للممارسة الإسلامية بمختلف أطيافها السالفة الذكر كان إلى الذاتية أقرب منه للموضوعية ، لأن وصفه للعقل المؤيد هو وصف لتجربته الصوفية لا للتجربة الصوفية كما هي في الممارسة الإسلامية لذا تغاضى عن كل الآفات التي وقعت فيها ،بل إنه وهو يبطل الدعاوى التي ألصقت بها ، تغافل عن أهم دعوى وهي مخالفة طريقتهم لشرع الله في جوانب منها ، مما نتج عنها بدعا وضلالا بلغ الكفر عند بعضهم ، وحتى حججه وأدلته في إبطال دخول الآفة على العقل المؤيد كانت مناقضة لواقع الممارسة الصوفية من جهة ، مستغنية عن الشريعة الإسلامية وأهم مصادرها الكتاب والسنة من جهة أخرى وهي الأحق بالاحتكام إليها إذا كان بالفعل يريد نفع هذه الأمة .

- إن محاولة طه عبد الرحمن في زحزحة التصوف من موقع الهامش في الممارسة الإسلامية إلى موقع المركز حيث يصبح أكمل العقول وأقدرها على الإصلاح وتغيير واقع الحال ، لم يتحقق إلا في نسقه الذي بنى عليه تراتبية العقل ، ولكنه في واقع الممارسة الإسلامية سيظل في موقعه لن يبرح عنه شبرا ، لأنه بعيد عن واقع الحياة ، وعليه ، فما أهمية السند الفكري والمنطقي لليقظة الدينية إن لم يكن قادرا على التغيير في حال الناس والأمة ؟

- لم يستوف العقل المؤيد جميع شروط كمال العقل ، بل العقل المسدد هو الأحق باستفائها منه ، لأنه يجمع بين العلم والعمل ولا يقطع الصلة بين موضوع الحقيقة العلمية ومعرفة المولى عز وجل ، ذلك أن القرآن أساسا يوجه العقل للتدبر في الكون حتى تتجلى له قدرة الله ويعرف عظمة ربه وهو أشد التزاما بشريعة الإسلام ، كما أنه أقرب العقول في سلامة الزيادات واتساع معرفته لأن اتساعه في حدود الشرع ويقينه لا اتساع الظن بلا حدود كما هو الشأن مع العقل المؤيد (التصوف).

- خلاصة القول في مقاربة الممارسة الإسلامية بأي منهج كان لابد من الرجوع فيها إلى كتاب الله وسنة رسوله ، فهي المرجعية الأساسية في أية مقاربة ، وإلا تصبح المقاربة مجرد تأويلات ذاتية مصبوغة بأدوات ووسائل تدعي العلمية ، وحينها حتما ستكون النتائج مناقضة لمقاصد الدين ، فهذا طه عبد الرحمن الذي جاء ليبني سندا فكريا بأحدث أدوات التنظير المنطقي والعقلي يصل لنتائج متناقضة لا يصدقها واقع الممارسة الإسلامية التي انطلق منها ، ولا يُنتظر منها أن تُحدث تغييرا لأنها لا تقف على متغيرات هذا العصر ومتطلباته ، وهذا نتيجة استعانته بالعقل المجرد في بناء تراتبية العقل مع علمه بقصوره ،فانْ سلم نسق ترابية العقل في بنائه المنطقي ،فانه لم يسلم من التناقض مع المنطلقات التي تأسس عليها ، وهي الممارسة الإسلامية التي لم يحدد زمنها ولا المقصود بها.

قائمة المراجع

القرآن الكريم برواية حفص.

1- ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن: 1997 ، صيد الخاطر ، تحقيق: عامر بن علي ياسمين ، دار ابن خزيمة ، الرياض ، ط 1.
2- ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن: 2003 ، تلبس إبليس ، تحقيق: السيد الجميلي ، دار الكتاب العربي ، لبنان.
3-ابن تيمية تقي الدين: 1976 ، مجموعة الرسائل الكبرى ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان ، ط 2.
4- الجابري مُحَمَّد عابد: 2009 ، بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية ، ط 2 ، مركز الوحدة العربية ، لبنان.
5- الجابري مُحَمَّد عابد: 2009 ، تكوين العقل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان ، ط 10.
6 - الحري عبد النبي: 2014 ، طه عبد الرحمن ومُحَمَّد عابد الجابري- صراع المشروعين على أرض الحكمة الرُّشديّة ، الشبكة العربية للأبحاث ، الدار البيضاء المغرب ، ط 1.
7- أرحيلة عباس: 2013 ، فيلسوف في المواجهة –قراءة في فكر طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط 1.
8- الزبيري زين الدين احمد بن عبد اللطيف: 1986 ، مختصر صحيح البخاري ، دار النفائس ، بيروت ، ط 2 ، ج 1.
9- السكران إبراهيم بن عمر: 2014 ، التأويل الحداثيّ للتراث -التقنيات والاستمدادات ، دار الحضارة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط 1.
10- بلعقروز عبد الرزاق: 2010 ، السؤال الفلسفي ومسارات الانفتاح- تأوّلات الفكر العربي للحداثة وما بعد الحداثة ، منشورات الاختلاف - الجزائر ، والدار العربية للعلوم ناشرون – لبنان ، ط 1.
11- حرب علي : ب د ت ،نقد النص ، المركز الثقافي العربي ، المغرب – لبنان ، ط 4.
12- حرب علي: 2007 ، الحقيقة والتأويل قراءات تأويلية في الثقافة العربية ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت.
13- طه عبد الرحمن: 2012 ، تجديد المنهج في قراءة التراث ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط 4.
14- طه عبد الرحمن: 2014 ، الحوار أُفقا للفكر ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت ، ط 2.
15-طه عبد الرحمن: 2011 ، حوارات من أجل المستقبل ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت لبنان ، ط 1.
16- طه عبد الرحمن: 2016 ، من الإنسان الأبتر إلى الإنسان الكوثر ، المؤسسة العربية للفكر والإبداع ، لبنان ، ط 2.
17- طه عبد الرحمن الفيلسوف المجدد ، فلم وثائقي ،https://www.youtube.com/watch?v=0MF_mN7oQ3Q .
18- طه عبد الرحمن: 2009 ، العمل الديني وتجديد العقل ، المركز الثقافي العربي ، المغرب – لبنان ، ط 4.
19- طه عبد الرحمن: 2013 ، سؤال الأخلاق-مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، لبنان ، ط 5.
20- ظهير إحسان إلهي: 1986 ، التصوف المنشأ والمصادر ، دار ترجمان السنة ، باكستان ، ط 1.
21- ظهير إحسان إلهي: 2005 ، دراسات في التصوف ، دار الإمام المجدد للتوزيع والنشر ، مصر ، ط 1.

دين الأزمة .... لاهوت الجمال عند جيل ليبوفتسكي

the religion of crisis .... Theology of beauty at Gilles lipovetsky

تاريخ الإرسال: 14-01-2019 تاريخ القبول: 11-11-2020

نسيمة ضيافات جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، daifatn22@gmail.com

الملخص

ليس من الشك أن الواقع الغربي المعاصر اليوم يشهد أزمة قيمية ، تعد مآل من جملة المآلات التي أعقبتها مقولة الانفصال عن الدين ، حيث ساد اعتقاد بأن العقل الغربي لن يصيب الرفعة وينتهي إلى الحضارة إلا بتخليه عن قداسة الدين ، ووضْع قداسة العقل محلها كمبدأ كوني تستند إليه التصورات والسلوكيات. في هذا الارتحال من أزمة الدين إلى دين الأزمة يحدد **جيل ليبوفتسكي** Gilles Lipovetsky دلالات الحداثة الفائقة ، التي تؤسس رؤيتها للعالم على مقولة الرغبة Le desir كمبدأ يصدر في صورة فردية ثم يتوسع نحو المجتمع ، فترتد من اختيار إلى عقيدة راسخة تكون الذات ماثلة ومطواعة لها ، ولهذا السبب تعد ثقافة الجمال اليوم استمرارية للدين وإحدى ملامح العبادة الدينية ، وفي هذه الدراسة سنحاول مُساءلة الانتقال الجوهري الذي فرضته الحداثة الفائقة من أفول المتعالي إلى تأليه الزائل ، مستندين في ذلك إلى رؤى الفيلسوف الفرنسي جيل ليبوفتسكي.

الكلمات المفاتيح: أزمة القيم ، أزمة الدين ، الحداثة الفائقة ، الرغبة ، ثقافة الجمال.

Résumé

La réalité occidentale contemporaine assiste aujourd'hui sans aucun doute à une crise de valeur, résultat des résultats qui ont suivi la reparation de la religion, où l'on pensait que l'esprit occidental ne se lèverait et ne finirait pas avec la civilisation uniquement pour abandonner la sainteté de la religion et faire du caractère sacré de la raison un principe global fondé sur des perceptions. Et les comportements : dans cette transition de la crise de religion à la religion de crise, Gilles Lipovetsky définit les signes de la modernité, qui fonde sa vision du monde en tant que principe de désir individuel, puis se développe dans la société, Pour cette raison La beauté de la culture d'aujourd'hui de la religion et la continuité est l'une des caractéristiques du culte religieux. Dans cette étude nous allons essayer de déplacer la responsabilité fondamentale imposée par la haute modernité, de la disparition du transcendantal à la déification obsolescente, en se fondant sur les visions du philosophe français Gilles Lipovetsky.

Mots-clés : Crise des valeurs, crise de la religion, l'hyper modernité, désir, culture de la beauté.

Abstract

There is no doubt that the contemporary Western reality today is witnessing a crisis of value which is a result of the results that followed the separation from religion, where it was believed that the Western mind will not rise and end to civilization only to abandon the holiness of religion and put the sanctity of reason as a global principle based on perceptions and behaviors. In this transition from the crisis of religion to the religion of crisis, Gilles Lipovetsky defines the signs of modernity, which establishes its vision of the world as a principle of individual desir, and then expands into society, For this reason The beauty today's culture of religion and the continuity of one of the features of religious worship, and in this study we will try to move the fundamental accountability imposed by high modernism from the demise of the transcendental to the deification obsolescent, relying on the visions of the French philosopher Gilles Lipovetsky .

Keywords: Crisis of values, crisis of religion, hypermodernity, desir, culture of beauty.

مقدمة

من المعلوم أن الأزمة الأخلاقية والروحية التي ألمت بالمجتمعات الغربية المعاصرة إنما اقترنت باستفحال الأزمة الدينية التي حملت العديد من المآلات ، وجعلت من إبانة أهمية الدين حتمية مفروضة لأنه منهاج البشر في تقويم سلوكياتهم الاجتماعية وإثبات فاعليتهم الحضارية ، فإذا ما رجعنا إلى الفراغ الروحي والطغيان النرجسي الذي يطال الذات الإنسانية والذي مرده أفول الدين ، تتجلى لنا رسوم الأزمة الدينية التي تتعدى مجرد تبجيل العقل والانسياق وراء التقدم الذي يحققه ، بالقدر الذي تعبر فيه عن ثورة ضد التقاليد الموروثة ، وإعادة الاعتبار للأبعاد الدنيوية التي تشترك في ترسيخ مقولة فصل الدين عن جميع مناحي الحياة.

يتكشف وجه الأزمة في الاحتدام العنيف بين الثابت (الدين) وبين المتحول ، بين المتجذر في أعماق النفس الإنسانية والزائل ، سيما و أن الغرب تمكن من تجاوز التصور اللاهوتي للعصور الوسطى ، وإنكار المتعالي الذي كان له الأثر في تنظيم الحياة الاجتماعية ، وارتد هذا المبدأ إلى العلم في العصر الحديث ، بيد أن الإنسان الغربي اليوم يفتقر إلى هذا المبدأ ، فالإيمان الأقصى بالعلم والانقياد وراء متطلبات العقل المادية أدخله في تيهان وسيطرة التقنية ، أين تتبدى أزمة الثقافة الغربية الراهنة في فقدان المبدأ الجوهري الذي يساهم في تكوين المجتمع وفهم العالم وتفسيره ، حينئذ يتبين التعارض الذي أقامته العلمانية التي انتهت بإنسان إلى الولوج في شراك العدمية.

غير أن الأمر لم يلبث عند هذه الحدود فسرعان ما مضى الغرب في البحث عن قوالب جديدة يعلن لها الطاعة وفعل العبودية ويمدها بصفة التأليه ، قوالب تؤكد تجذر مقولة الدين فيه واستحالة اجتثاثه من وجوده ، فسرعان ما أعيد صياغة مفهوم جديد للدين يعاد اختزاله وفقا لتصورات متباينة ، إلى مجموعة مركبة من الوسائل وأنماط الحياة ، لكن الأمر الجوهري الذي يشكل الدين لم تتكفل به هذه التصورات لأنها مؤسسة على الماديات المتجاوزة للروحانيات. لذلك تأتي إسهامات الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي **جيل ليبوفتسكي*** في استدلاله على عودة سؤال الدين من خلال طرحه لفكرة دين الأزمة الذي تحتضنه **أزمنة الحداثة الفائقة** والتي يرى أنها الوصف الدقيق لراهن الحضارة الغربية المعاصرة ، الحداثة الفائقة التي تعد في حد ذاتها أزمة انتهت لتوسيع معناها بخلق دين يثبت مبادئها ،ويرسخ عبادة الذات ، إن الدين الجديد الذي تدعمه الحداثة الفائقة حسب جيل ليبوفتسكي يقترن بالجنس الأنثوي ثم تطور وامتد حتى أوساط الرجال ، فالإنسان الغربي في حاجة لتنمية الثقة في مبدأ جديد وتأيده لوجود السعادة فيه ،وجد في الجمال ضالته فأضحى الجمال هو اللاهوت الجديد الذي يعتقد به ويعتنقه الكثير في المجتمعات الغربية الراهنة ، لذا نسعى من خلال هذه الدراسة إلى وضع لاهوت الجمال ضمن المساءلة المفاهيمية والوقوف على الأبعاد المضمرة القابعة في تثبيته ونشره ، أما إشكالية الدراسة فتتحدد بمايلي :

إلى أي مدى يمكن عدّ لاهوت الجمال المقدس الجديد الذي ناشدته مبادئ الحداثة وإنتهت إليه مقاصد مابعد الحداثة وقامت عليه الحداثة الفائقة ؟

ولأجل الإجابة عن الإشكالية أسسنا دراستنا على الفرضيات التالية:

-- لاهوت الجمال هو الدين الجديد الذي ارتضاه الإنسان الغربي اليوم لنفسه لأجل تجاوزه لأزمة الدين.

-- عودة سؤال الدين في أزمنة الحداثة الفائقة ، وابتداع لاهوت يتوافق مع التحول الثقافي الذي تعيشه المجتمعات الغربية المعاصرة.

وللإجابة عن التساؤل والتأكد من صحة الفرضيات انتهجنا في بحثنا **المنهج التحليلي** بالدرجة الأولى ، ذلك أن القاعدة المنهجية تلزم بأن طبيعة الموضوع هي التي تحدد طبيعة المنهج ، فهو الأنسب لبلوغ الهدف والإجابة عن تساؤلات الإشكالية ، غير أن التزامنا بهذا المنهج لم يمنع أحيانا من وجود تداخل واستخدام لبعض المناهج الأخرى لما نجد في ذلك ضروريا ، فنستعين بالمقارنة والنقد.

وتكمن أهمية الموضوع المعالج في البحث والتبصر بالمضامين التي يحملها لاهوت الجمال اليوم في الحضارة الغربية المعاصرة ، ذلك أن مسألة الجمال من المسائل الرئيسة ما مكنها من أن تصبح ثقافة تؤسس عليها عديد المعتقدات والرؤى ، أضف إلى ذلك يعد جيل ليبوفتسكي من الفلاسفة السباقين الذين تحدثوا عن هيمنة وسيطرة ثقافة الجمال والتوجه لنقدها لأنها اللاهوت الجديد الذي يرتكن ويسعد بعبادته.

أما عن الأهداف التي نسعى لبلوغها، والتي تثبت مشروعية بحثنا هي:

- الكشف عن أهم المبادئ التي يركز عليها لاهوت الجمال، وإبراز الدوافع التي جعلت ليبوفتسكي يوجه النقد لها.

- إيصال المعاني والدلالات التي يقف عندها ليبوفتسكي في الكشف عن لاهوت الجمال.

هذا وبرجوعنا إلى الدراسات السابقة التي تناولت أفكار وفلسفة جيل ليبوفتسكي تعد قليلة، وهذا راجع إلى اعتبار ثقافة الجمال والحداثة الفائقة من الموضوعات الجديدة والمعاصرة، إضافة إلا أن ليبوفتسكي من الفلاسفة المعاصرين الذين بدأت كتبهم بفضل الترجمة تعرف في الأوساط الفكر العربي، بيد أن هذا لا يمنع من وجود بعض من الدراسات التي وقفت عند المكانة التي يحتلها الاهتمام بالجمال والجسد اليوم، حيث نجد مقال:

الصادق رابح ،"**ضريبة السعادة: الإشهار وتوثين الجسد**" من أهم الدراسات التي أشارت إلى سيطرة الجمال، حيث حاول المؤلف فيه إبراز نمط الحياة الجديدة، والثقافة الراهنة التي تسيطر على الغرب وتجعلهم يوجهوا اهتمامهم وسعادتهم بالرضى عن الجسد والتركيز على الجمال.

1. أزمة الدين في النسق الحداثي

رغم المقاصد الآمنة التي سعت **الحداثة** La Modernité* لإدراكها جراء نقدها لسلطة اللاهوت ونبذها للدين كلية ،فإنها سارت إلى تقديس العقل والحرية والتعصب لإنسانية الإنسان كبديل ترتكن إليه وتعلن به عن التحول الجذري، الذي تصبو من خلاله إلى تحقيق التقدم والمضي بإنسان لتشيد حضارة خالية من أي قيود، ولعل هذا ما يجعلنا نعد الحداثة انتصارا جديدا لإرادة بروميثوس بواسطة قوة العقل ،فالأصل في العقل هو بيان قوة الإنسان التي ينفرد بها في سلم الوجود كما أن "الحداثة كفكرة هي الارتباط الوثيق بالعقلنة والتخلي عن احدهما يعني رفض الأخرى " [3] (تورين، 1998، صفحة 30)،بهذا المعنى يظهر كيف أن الحداثة أسست مبادئها على إبراز مكانة العقل وتحديد رؤيتها للعالم على أبعاد مادية تتحكم في راهن المجتمع الغربي، والأصل في هذا التأسيس هو إقامة حياة على روح العلم والنشاط العقلي وكرد فعل عنيف ضد الأضرار التي خلفتها أوهام الدين.

في محاولتها لتأسيس قطيعة مع الدين عمدت الحداثة على تثبيت دعائم **الفردانية*** L 'individualisme كآلية من آليات فعل العقلنة "**فأضحى الفرد الذي يقرر مصيره بنفسه، بل يضع حياته بيده جاعلا من وجوده في المجتمع وسيلة لتحقيق سعادته الخاصة وازدهار ذاته** "[4] (الرحمان، 2006، صفحة 62)، إذن غدت الفردانية مبدأ تتشكل وفقه العلاقات الاجتماعية، فلا يمكن تصور علاقات بروح دينية وإنما أساسها فردانية مؤطرة بالمتع الأنانية والمادية وفي هذا يقر جيل ليبوفتسكي أنه بفضل الفردانية استطاع الإنسان الغربي التحرر من سلطة الدين، والولوج إلى سلطة ذاته التي تنم عن أزمة واسعة الأبعاد "فالفردانية التي ساهمت في إلغاء الإيديولوجية والصراع الطبقي هي نفسها التي ابتدعت صراع الإنسان مع ذاته"[5] (Lipovetsky, 1983, p. 330) وبهكذا يظهر كيف أن الفردانية التي اقترنت بمبادئ الحداثة قد قامت على الفصل بين العقل والدين، كما أفضت إلى الطغيان النرجسي؛ ومثلما تتسم الحداثة بالفردانية فإنها أيضا تمثل الإطار الذي تنامت فيه العدمية[6] (روس، 2001)، التي ترسخّ مقولة أفول الدين، فبعدما كان الإنسان يحتكم إلى قيم عليا تُوقض فيه حماسة القلب وجُرأة المقصد، أضحى ذاتا منغلقة على المتع فاقدة لشغف الأهداف الكبرى.

نأخذ في مقاربتنا لأزمة الدين في الحداثة الوقوف عند مقولة الفصل التي ميزت هذه الحقبة والتي أشار إليها طه عبد الرحمان في قوله أن " عقل الحداثة اختص بكونه يفصل الأشياء عن بعضها البعض طالبا تحليل الكل إلى أجزائه الأخرى أو رد المجموع إلى عناصره "[7] (الرحمان، 2004، صفحة 28) ، ومن ثمة يتبين كيف أن الفصل خاصية أساسية وجهتها وركزت عليها الحداثة لأجل إتمام مبادئها بشكل عاجل، فكانت أول علامة على هذا الفصل، هو الانفصال عن الدين كطليعة لتأدية انفصال عن الأخلاق، فإذا كان العقل يمضي بضرورة فصل الدين عن العلم كذلك فهو يلزم بانفصال عن الأخلاق في الممارسات العلمية، وهي الأزمة التي تبعت أزمة الدين وتعرف بأبحاث **البيوإيطيقا *Bioéthique**، وعليه فإن الحداثة وجهت الإنسان المعاصر إلى نقد الدين وإحداث قطيعة معه وتقديس العقل، ومتى كان الأمر كذلك فقد أضحى العقل من ضمن الأصنام التي انتهى إليها الإنسان الغربي، بحيث يمنحها الاهتمام والهيمنة على كافة مناحي حياته فمن موت الإله إلى تأليه العقل الذي يحقق ويضمن التقدم ،لذا

كان " الغرض هو تشكيل إنسان يتمتع بالحرية في استعمال الحكم وكذلك بالانتقال من القصور الذي سجنته فيه السلطات الدينية إلى الرشد العقلي"[8] (الزين ، 2005 ، صفحة 55).

إن فكرة الحرية التي نصب عليها مشروع الحداثة هي القول بفرصة إدخال البشرية بكامل أعضائها إلى عالم الاستقلال الذاتي والتحرر من العبودية الروحية ، فالإنسان المثالي إنما هو الذي يُردي التعصب لتقاليد الماضي[9] (باومان ، 2016) مناشدا تأسيس العالم الاستقلالي الحر ، ومن خواص الذات المتحررة التي أورثتها صيغة نهاية اللاهوت وموت الإله وأفول الديني الاكتفاء بأخلاق العلمانية ومبادئ الدين الجديد ، فليس من الضروري العودة للدين لتكون الحياة في أحسنها ، وإنما العقل وحرية استخدامه هو الكفيل بالحياة السعيدة[10] (فيري ، 2002) ؛ إنه التجديد في بنيات القيم المتعالية وهي أنسنة حديثة بتَت في أمر قداسة الدين وتعالي الروحي ومدى أهميته في الحياة ، لذلك يقر ليبوفتسكي بأن الحداثة هي قطيعة تامة وواضحة مع الماضي[11] (Lipovetsky, 2003).

تأسيسا على ما سبق يكون تأليه الإنسان الذي نتج عن خطاب الحداثة قائما على حقيقتين هما:

- إنسانية حاملة لقيم تحل محل الإله المسيحي يسيطر فيها الإنسان على طبيعة فاقدة لطبيعتها، وطبيعة مجردة من كل ماهية إلهية.

- إفراغ الديني من مضامينه بواسطة قدرة العقل[12] (روس ، 2011) .

بناء على هذا فالحداثة تجلت في ثلاث أساطير كما يحددها **إدغار موران***: أسطورة التحكم في الكون ، أسطورة التقدم ، وأسطورة السعادة[13] (موران ، 2002)، ولعل الأسطورة الأخيرة هي التي لازمت مقاصد الحداثة الفائقة وكانت باعثة لوجود لاهوت الجمال ، فالتمسك بالسعادة دفع الإنسان نحو الدَرْك ، وسدده للمغالاة والإفراط في تحقيق الرغبات والمتع ، وإذ تقرر هذا فإن اختصاص الحداثة يكمن في نزع المكانة عن الدين إذ ترفع عنه القداسة بحكم أن العقل هو الذي لابد أن يقدس حينئذ لا غرابة أن يلج الإنسان في أزمة أقل شئ يقال عنها أزمة مست الجوهر الوجودي للإنسان.

إضافة إلى ما سبق سرعان ما حلت **ما بعد الحداثة Post- moderne** لتمثل صورة جديدة تختلف عن الحداثة ، فأصبح ينظر إلى الحداثة وفق منظور وزاوية ما بعد الحداثة ، فمثلت السحق النهائي لمشروع الحداثة ، وكانت معالم كل الأمور فيه متغيرة ، لا يوجد فيه لا هدف ولا غاية ، ما أدى إلى تعزيز حالة الاغتراب Aliénation ، هذا المفهوم الذي بات يصف حال الإنسان الغربي اليوم ، والذي مهد الطريق للولوج نحو لاهوت الجمال ، ذلك أن جوهر الاغتراب ومعناه الدقيق يكمن في صناعة الإنسان لأصنام يقوم بعبادتها ، فتسيطر عليه الأشياء التي أبدعها من ذاته ليحول ذاته إلى شئ ، فيكون في حالة تواصل مع ذاته وفقط[14] (عباس ، 2008)، ومن ثمة فالسيادة التي حصل عليها الإنسان لأجل السيطرة على الطبيعة اتجهت به شيئا فشيئا إلى الوقوع في حالة الاغتراب ، والتي تتجلى أكثر في الخضوع لشهوات الذات والجسد.

لقد ركز الفيلسوف الالماني" **فردريك نيتشه**"* على مسألة في بالغ الأهمية اشتهر شخصه بها وهي تحطيم القيم الأخلاقية وخاصة منها الدينية ففي "مقدمة كتابه {المسيح المكلل بالشكوك} وصف نيتشه الموقف الفلسفي بعبارات بينت بشكل كامل القطيعة مع الأنسية الحديثة ، التي لم تتوقف عن إعلان إيمانها بالتطور وعن اقتناعها بأن انتشار العلوم والتقنيات سيجلب أياما أفضل ، ويحقق الانقياد إلى الطوباوية تسمح بجعل الإنسانية أكثر احتراما لنفسها ، هذا هو نمط الإيمان والتدين بدون الإله الذي أراده الفكر الغربي ، أو بعبارة نيتشه نمط المعبودات التي آل على نفسه هدمها"[15] (فري ، 2011) .

وعليه جنى الإنسان الغربي من عصر ما بعد الحداثة أسوء ما طمح له ، فقام بتمجيد الفكر الناقد والعقل الثاقب فانقلبت هذه المكونات الأساسية لفلسفته الجديدة عليه ووقع في أزمة هي أزمة الحضارة المعاصرة الأزمة القيمية ودينية ، هذه الأزمة التي من تطويق وحصر الإنسان في فرض خيارات كان غير راض بها ، فقد توصل علماء الاجتماع إلى أن الافرد الذين يعتقدون أنهم مستقلين وأحرارهم في الحقيقة مسيرون كليا في خياراتهم الأخلاقية وحتى في ملبسهم ، ومن ثمة تماهى الإنسان في هذا الوهم وأصبح لا يستطيع الخروج منه.

إذا تأملنا مليا في الوضع الذي آلت إليه المجتمعات الغربية المعاصرة نجد أن هذه الحضارة إنما قد قامت على تصورات فاسدة عن علاقة الإله بالإنسان ، تنم عن ما يسمى

بالبؤس الفكري الفاحش ، فقد ساد عن الغرب أن علاقة الإله بالإنسان إنما هي علاقة ذات خارجية عليا بذات الإنسانية وأن هذه العلاقة لا يمكن أن يكون لها أي تفسير سوى أنها علاقة تسلط قاهر ، وأقل من هذا أنها علاقة تدخل سافر[16] (الرحمان ، 2004) ، هنا تكمن المشكلة كيف يمكن أن يكون الاتزان في وجود التدخل وطلب التحرر الذي جاءت به ما بعد الحداثة ، لذلك كان من اللائق أن يتنحى الإنسان على أحد مبادئه إما الإيمان بإله أو التخلي عن التحرر والعودة إلى فترة القرون الوسطى ، بيد أن الإنسان الغربي اختار أن يحقق استقلاليته عن كل ذات خارجية متسلطة كانت أو متخيلة ، كما أن الجرأة التي تحلى بها الإنسان الغربي لم تتوقف عند هذا الحد وإنما وصلت إلى أن القيم والمثل العليا مأخوذة من الكمالات التي يتصورها الإنسان ، إضافة إلى " اتقاءه لبعض القيم الأخلاقية من الكتب المنزلة ويطرحون ما جاء فيها ولكن بصفة الحقارة مكتفين بمقاصدها البعيدة لا غير ، أو حتى إلغاء هذه المقاصد تماما ، ومن هذا المنطلق جاء تبرير الغرب لفصلهم بين الدين والإيمان ، بحجة أن الإيمان هو وحده الجانب الذي لا يزال صالحا في هذه الكتب"[17] (الرحمان ، 2004 ، صفحة 75).

ومن ثمة فالدين لدى الغرب أضحى ذلك الموروث الذي يوقظ في الإنسان ذلك الجانب الضعيف فيه ، والذي لابد من تجاوزه ، لأن هذه الفترة تعكس القوة والتسلط فقط وإثبات الذات الإنسانية لقدرتها على القسوة ، إن الناظر والمحلل لأوضاع الحضارة الغربية يجد أنها تدعى ذلك التقدم العلمي ولكن لديها جرح روحي ، فالتراجع الأخلاقي حطم أملها في أن تكون الحضارة المثالية التي تسيطر على البشرية.

2. تقديس الجمال وسؤدُد الجسد

في تخيلاته لطفرة الجمال التي يشهدها الغرب اليوم يبين ليبوفتسكي كيف أن الفردانية أسست لمنطق الموضى الذي يغلب عليه فك القيود الاجتماعية ، ويطغى فيه تأكيد الأنا فكانت بذلك وسيلة لتعزيز الذوق الشخصي والاستقلالية الفردية[18] (ليبوفتسكي ، 2017) ولما كانت هذه المبادئ هي التي تحدد ماهية الموضى ، فإن ثقافة الجمال هي التي تحركها.إن موضوع الجمال بات أكثر من أي وقت مضى واقعا مفروضا ومعاشا في المجتمع الغربي ، ليس فقط بسبب هوس المظهر وطغيان الاناقة ، وإنما بسبب التنظيم الاجتماعي ذاته الذي خضع لجملة من التحولات مست جوهره وأطاحت بثوابته وماهيته ، "فالأشكال الاجتماعية الجديدة التي ستكون أساسا كأسلوب للحياة لن يكتب لها الميلاد إلا بتغطية الهوة القائمة بين الضروري والممكن "[19] (فروم ، 1978 ، صفحة 168)وعلى هذا لن تكون ثقافة الجمال إلا إبداعا قاصرا من ذات ولَّدتها الحداثة الغربية ، ذات تحط من قيمة الضروري وترسي دعائم الزائل.

بيد أننا إذا أمعنا النظر في طبيعة الاستعمالات المكثفة للجمال في التدليل على خاصية الإرادة الواعية ، ألفينا كيف أن تحرر البعد الجمالي في حد ذاته هو استطراد لانفصاليات وانتصار على مواجهة البعد الأخلاقي[20] (ليبوفتسكي ، 2012)، ففي أعقاب انفصال الإنسان المعاصر عن الدين والأخلاق تمكن الجمال من كسر قيود القيم التي كانت تكبله ، ذلك أن الصفوة الأخلاقية والارتقاء القيمي لا يتحقق إلا في عقاب كبح شهوات **الجسد***، لذلك عمدت الحداثة الفائقة على تأليه الجمال وتوجيه الإنسان لعبادته بما يقوي شعوره بأسباب السعادة ، واندفاعه لتحقيق أهوائه وانغماسه في الملذات حتى انبثق إلى الوجود ما يسمى **لاهوت الجمال La religion de la beauté**.

يتحصل من بيان سيطرة الجمال الذي يقوم عليه نظام الحداثة الفائقة في تغيره للهدف الحصري للوجود النسائي ، ذلك أن الهوية النسائية لم تعد تتشكل خلال وظيفتها في الأمومة ، وإنما في التثمين الاجتماعي للمرأة المستقلة ، المرأة التي تحمل رغبة التجديد والولع بالجمال وتحررها من مصيرها التقليدي [21] (ليبوفتسكي ، 2012) ومتى بلغت الاستقلالية والفاعلية والسيطرة على الذات والنجاح خرجت عن صفة العبودية القديمة إلى التسيير الذاتي self mangement "**فكل امرأة تخضع لشروط الجمال تعبر من خلال جسدها عن امتلاك الإرادة والسيطرة على الذات المنسوبة تقليديا إلى الرجل**"[22] (ليبوفتسكي ، 2012 ، صفحة 140).

إن هذا الركون المكثف للجمال في أزمنة الحداثة الفائقة لم يتبع بالمرأة لوحدها ، وإنما ساهم في المساواة بينها وبين الرجل حيث أضحى" **الرجال يهتمون بذواتهم وأصبحوا أكثر انفتاحا على كل جديد في الموضى ودخلوا إلى حلقة النرجسية narcissime Le التي كانت فيما مضى حكرا على النساء**"[23] (ليبوفتسكي ، 2017 ، صفحة 130) لقد تمكن عالم الموضى الراهن والتصوير والدعاية من خلق ثقافة

للجمال الحديث التي تميل إلى التثمين اللامحدود للجمال ونضارة الجسد[24] (رابح ، 2009)، فكثفت الحداثة الفائقة الإرشادات المتعلقة بالجسد والتي لا نجدها تخرج عن نطاق العالم الاستهلاكي ومقاصده ، فالمعايير المتشددة للجسد تتماشى مع إغراءات الاستهلاكية الواعدة بالعيش في المتع والرفاهية[25] (ليبوفتسكي ، 2012).

وقد ذهب ليبوفتسكي لتدليل على سعي الإنسان المعاصر لحياة الترف حيث يقول:

" **تفرض التصنيفات الاجتماعية فروق بين الصحة وبقاء الشباب فتكون دافعا لمقاصد أخرى يهيمن عليها مقصد السعادة لذلك حل الاستهلاك لأجل الذات محل الاستهلاك لأجل الآخر** " [26] (Lipovetsky, 2006, p. 44) ، وحينئذ يتبين كيف أن ثقافة الجمال تنم عن عصر يكرس العناية بالجسد وهوس المظهر للجنسين على حد سواء "**إنها ثورة الجسد التي تعكس التحوله الغير عادي ، وتؤكد على حالة بشرية جديدة تعد تعبيرا عن مشروع الغرب للحياة المريحة** " [27] (Lipovetsky, 2015, p. 81)، فهو عصر يمل إلى الرسوخ والتجذر في المندثر ، والالتفاف حول أبنية العدمية المنبعثة من وطأة دين الأزمة.

3. لاهوت الجمال بين الدلالة والمآل

قبل الولوج إلى تحديد وتعين **لاهوت*** الجمال كما يقدمه ليبوفتسكي ، يتعين علينا الوقوف عند تحديد مصطلح **الجمال** ، فيظهر أن مقولة الجمال من المفاهيم الفلسفية القلقة التي يصعب تحديدها ، على الرغم من أنها تبدو عند البعض بديهية ، ذلك لأنها مصطلح متداول بكثرة ، يستخدم في السياقات التي ننعت بها مشاعرنا اتجاه شئ ما ، في الحياة اليومية[28] (روجر ، 2014)، ويحدد لالاند مصطلح الجمال Le beau بأنه احد المفاهيم المعيارية التي تنطلق منها الفلسفة ، حيث يشير كانط إلى أن الجمال هو ما يبهج كل الناس بلا تجريد ، أي أنه شئ يحس به الإنسان واقعيا ، كما يمكن أخذه بمعنى إدخال السرور ، فيكون الشئ جميلا كل ما يكون بلا تجريد وإرضاء للعقل والروح[29] (لالاند ، 2001) .

إن تعلق الإنسان بالجمال قديم قدم الإنسانية ، ذلك انه أحس بجمال الزهرة قبل رؤيتها في لوحة فنية أو تشكيل فني ومن ثمة هناك نوعان من الجمال : **جمال طبيعي وجمال فني**[30] (زيادة ، 1986)، وتصف المدرسة الحسية الجمال بأنه ظاهرة محسوسة وأن الإنسان بالجمال عملية حسية بحتة لا تتجاوز رصد سمات الحية ، وعلى العكس من ذلك تؤكد المدرسة الاجتماعية بأن الجمال حصيلة للمجتمع وليس للأفراد وهو ما يعيشه الغرب اليوم من خلال الحتمية الجمالية التي يحاول المجتمع ان يفرضها من خلال تقديس الجسد[31] ، (زيادة ، 1986)، لذلك فإن المبدئ الذي ينطلق منه ليبوفتسكي في دمجه لشعائر المعاصرة للجمال بأصولية الجديدة التي يعتنقها الغرب اليوم هو تقديس الجسد الذي كان منبوذا عند علماء اللاهوت في القرون الوسطى.

فضلا عن ذلك هوس الجمال النسائي المعاصر الذي يعد إستمرارا للدين ولكن بوسائل أخرى. وبيان هذا أن لاهوت الجمال جمع بين هوس النحافة كإمتداد لقيم نسكية موروثة ، حيث وجد من أشكال الحمية التعسفية التي تفرضها المرأة على نفسها وحتى الرجل ديمومة لممارسات التقشف لدى القدسين في العصور الوسطى[32] (ليبوفتسكي ، 2012)، وبين التقشف الذي كان أولى خطوات الصفاء الروحي ، الذي يعتبر اليوم أولى خطوات السعادة الجسدية ، كما أضحت " **النحافة لا تعبر عن الحفاظ على الجسد والشباب بالقدر الذي تترجم فيه قوة الجمال الجديدة التي تتماشى مع المثل العليا للثورة الخفة**"[33] (Lipovetsky, 2015, p. 81)، علاوة على هذا أصبحت طرق التنحيف نصوصا مقدسة ينتصب عليها الإنجيل الجديد الذي أعاد ابتداع شعائر تالدة في قلب الحداثة الفائقة المتطورة[34] (ليبوفتسكي ، 2012)، كل هذه التمظهرات تؤكد على المكانة الجديدة التي استطاع الجمال أن يشيدها في المجتمعات الغربية المعاصرة.

وككل أشكال العبادة الدينية يقوم لاهوت الجمال على "**نظام مذهبي من الدعاية والإعلان لمستحضرات التجميل ومعتقداته في البعث ومخلصوه المتمثلة في العمليات التجميلية**"[35] (ليبوفتسكي ، 2012 ، صفحة 142)، التي تجعل من الإنسان يتماهى تدريجيا في أوهام بقاء الشباب والسعادة الازلية ، وأبلغ دليل على وجود تحديات لاهوت الجمال وسيعه الدؤوب لتوجيه اهتمام الإنسان الغربي نحوه ، هو الربط بين دوام الجمال والثقافة الفردانية من خلال " **الشعور بالتألق والمتعة النرجسية وكذا الشعور بإستفادة عن الذات لأجل الذات**"[36] (Lipovetsky, 2006, p. 51)، ولا ينتهي إلى ذلك إلا بإعتناقه للاهوت الجمال الذي كشف عن أساليبه "**فهوس النحافة والرغبة المتزايدة في التطابق الجمالي هي عملية شخصنة الأفراد التي جعلت من ثقافة**

الفرد تحل محل قواعد الدين والموروث"[37] (ليبوفتسكي، 2012، صفحة 144).

ودعما لهذا المنطق ومع طفرة الجمال لن يكون هناك بغض للجسد وإنما اتساع لمثل وقيم جديدة لأجل امتلاك الذات ومثل مؤسسة لثقافة الجمال. ومن جملة ما اهتدى إليه ليبوفتسكي أن تقديس الجمال لا يعرب عن عادات طفولية وتنويم مغناطيسي جماعي، بالقدر ما يُعرب فيه عن إرادة ملحة للإنسان المعاصر حتى يكون فاعلا في علاقته بجسده[38] (ليبوفتسكي، 2012)، فالممارسات الدينية القائمة على الزهد في العديد من الأديان تهدف في المقام الأول إلى كمال الروح، على خلاف ما يرمي إليه لاهوت الجمال في تشديده على الكمال الجسدي فهو يحاكي سيادة التقنية " التي لا تأخذ في الحسبان إلا الأدوات، مهملة الغايات، كما أنها تسخر لتحقيق هدف معين " [39] (فري، 2011، صفحة 223)، والهدف الحداثة الفائقة ولاهوت الجمال في التوسل بها واضح، هو هيمنة منطق تسيد الجسد فحلت فاعلية الجسد محل النفي الميتافزيقي له[40] (ليبوفتسكي، 2012).

يتأتى هذا الحكم عندما يحل الجسد المتشكل محل الجسد المستلم من الطبيعة، فبقاء الإنسان في أعلى مراتب الجمال يوحي بالفكر الرافض للمصير والمناهض للغلو في العقلنة الباعثة للتفاؤل اللانهائي في قدرات الذات، فكما أن العلم التقني يوظف لامتلاك الأرض، يُوجه لاهوت الجمال لامتلاك المظهر الجسدي "**فيميل الجسد إلى أن يصبح شيئا مستحقا وفقا للعمل الدءوب للذات على نفسها**"[41] (ليبوفتسكي، 2012، صفحة 143)، هي عبادة رافضة للقدرية، دافعة للمغالاة في قوة امتلاك العالم والذات. وعليه تمكن لاهوت الجمال من الساهمة في تثبيت نقص وزعزعة ثقة اللإنسان بنفسه وإثارة الخوف من رغبات جسده، فبدل أن يفضي إلى السعادة المنشودة، أفضى إلى الخوف والولوج في السعادة المتناقضة.

4. تهجين الفن والموضى

لئن كان ليبوفتسكي قد أقر بأن طغيان الجمال في أوساط الحداثة الفائقة، فإنه ارتأى بأن يورد ظاهرة **تهجين الفن** والموضى كمسلمة من المسلمات التي يستند عليها لاهوت الجمال في تثبيت ركائزه، ذلك أن الفن من وجهة نظره هو نسق لابد من وصله بالموضى ومتطلباتها الراهنة من دعاية وإعلام في الحداثة الفائقة ، وهذا ما أدى إلى ولادة نظام فني جديد يتزامن مع محو الاستثناءات القديمة، وإزالة المعالم والمثل الكلاسكية[42] (Lipovetsky, 2015)، إذن الفنون التي تتعدها الحداثة الفائقة اليوم والتي يعمل بها في المجتمعات الغربية الراهنة، هي ما يتم إبداعها مع النوايا الاستهلاكية، أين كان الفن هو إطلاق العنان لمشاعر الإنسان وجعلها محور اهتمامه "فأضحى الفن هو ذلك المشروع الذي يعلن من خلاله الفرد عن نفسه للعالم"[43] (روجر، 2014، صفحة 123).

كل هذا يبين ما مدى أهمية ومكانة الفن في حياة الإنسان، وهو ما يؤكده أيضا ليبوفتسكي الذي يقول بتداخل الفن ووجوده في مختلف مجالات الحياة، ذلك أنه ليس له وجود منفصل لأنه تحصيل للحياة كلها من دين وأعمال وعلاقات، فهو ضرورة لنجاح مختلف العمليات الفردية والاجتماعية[44] (Lipovtsky, 2013).

ولكن سرعان ما ارتدت التصورات والمعاني بقدوم الحداثة الفائقة فتحولت وظيفة الفن، وأضحت أكثر ارتباط بالموضة والإعلام والدعاية، فلا سبيل للإبداع والفن إلا في حدود متطلبات الموضة التي تعد وجه من أوجه الاستهلاك العام، ذلك أن الحداثة الفائقة عمدت على تثبيت مقولة الاستهلاك، حتى أضحى الإنسان المستهلك يعد نفسه في المرحلة القصوى من تطور الإنسان العاقل، فإذا استوفى هذا الشرط أصبح يحسب النموذج الأعلى للحرية، والكينونة العظمى لأن الاستهلاك هو كل شئ معطى من مصدر ذو إغراء [45](باسكال، 2006)، ويشير ليبوفتسكي في هذا الصدد، إلى أنه لا يمكن الفصل اليوم بين النجاح الفني وبين أي عمل من أعمال الترويج الإعلامي والتواصل مع الصورة، ذلك أن المهم في السوق المعولم والفائق، هو الحصول على الشهرة وجذب الانتباه عن طريق الأعمال المغرية التي تستهدف وعي العقل.

لمّا اشتدت هيمنة الموضة واتسع مجالها ونفذت إلى مالا يجب النفاذ إليه، اقتحمت عالم الفن وضاقت رقعة الإبداع الفني بتأثيرها الواسع " **فأصبح مصمم الأزياء فنانا حديثا يحكمه قانون الابتكار لا الإبداع**"[46]، (ليبوفتسكي، 2017، صفحة 93)، يلزم إذن أن الانفصال عن الماضي واضح وبارز، فإعلاء من شأن الموضة ونرجسية الذات والانسياق وراء المتع، جعل من الفن خادما للموضة لأجل إبداء نبلها وإضمار طيشها ورعونتها، وهو المقصد من وراء تهجين الفن والموضى.

مع الحداثة الفائقة برز الفن كعالم منفصل ومتعارض جذريا، عالم يرجع لأحكام الإعلام التجاري والإعلان والموضى، حيث تم بناءه مع حدود واضحة المعالم مع المجالات الاجتماعية، على العكس من الوضع الذي كان سائدا فيما مضى من الأزمنة حيث كان الفن يستبعد الدوافع المالية، ومن ثمة " **أضحى الفن والموضى كعوالم ذات جوهر متنافر مع أهداف غير متجانسة فيتم الانتهاء من صناعات الموضى من خلال أهداف البيع والربح بينما يتم التحكم في الفن بروح تجارية** " [46] (Lipovetsky, 2015, p. 219).

فيتبين إذن أن الموضى في المجتمعات المعاصرة تطلب الفن لأجل التنصل من السطحية التي تعتريها لأنها غير مجدية تمتاز بالإغراء على النقيض من ذلك، نجد الفن على جانب من الجدية من العمق في المعنى والسمو الروحي.

خاتمة

صفوة القول في هذا المقام، أن المقدس الجديد الذي تعمد وتتجه المجتمعات الغربية الراهنة على تبنيه والولوج فيه هو المآل من جملة المآلات التي اكتسبتها الحضارة الغربية نتيجة إعلان الحداثة عن موت الإله، كتعبير عن أفول الدين و إلغاء جل التصورات الميتافيزيقية، حيث وصلت إلى حقيقة أن الدين هو وعي زائف لابد من تجاوزه، والمضي في بناء مجتمع لا يخضع إلا لما يمليه عليه سلطة العقل، وهو ما تبعه من إحداث قطيعة تامة مع كافة الأفكار التي تتجاوز الفهم العقلي خلال فترة ما بعد الحداثة، وأضحت الذاتية هي المقولة الجوهرية التي تتأسس عليها روح ما بعد الحداثة، وصولا إلى تأسيس لاهوت الجمال القائم على تقديس الجسد وعبادة الملذات.

إن لاهوت الجمال الذي عمد جيل ليبوفتسكي على ضبط دلالاته وتحديد تمظهراته هو:

لاهوت تغيب فيه روح الدين، فلا ينتصب إلا بقطع الصلة مع المبدأ الروحي وتثبيت المبادئ المادية وهو توجه له ما يبرره إذا رجعنا للسياق التاريخي الذي تأسست على إثره المجتمعات الغربية الراهنة، إنه لاهوت لا يعبر إلاّ عن عملية التحول الجذري من الديني إلى الدنيوي، عملية التحول الثقافي الذي تشهده الحضارة الغربية المعاصرة، والتحرر الطاغي للجمال الأنثوي. وعلى هذا الأساس فإن لاهوت الجمال يقول بمبادئ الحداثة الفائقة، كما يقضي بأن يكون تأليه الجمال وطاعة الجسد مقصد وقيمة لابد على الإنسان تبنيها، وقد أحاطت بظهور هذا اللاهوت ظروف سبق وأن حددناها، فكانت الحداثة التي قامت على مبدأ التعارض بين العقل والدين مسوغًا رئيسيا في تثبيته اليوم.

إن لاهوت الجمال ينضوي ضمن سبل تنفيذ الإرادي للإنسان الحديث، الذي يتسم برفض الرضوخ لحقائق الطبيعة، ذلك أن الجمال الذي كان فيما مضى معطى طبيعي، يمنح لعدد من البشر أضحى اليوم معطى اصطناعي وامتلاكا ذاتي يتمكن الإنسان من الحصول عليه بكل سهولة، وعليه أصبحت مسألة إعادة خلق ذات جميلة وجسد أجمل مسألة متاحة تعبر عن نكران ورفض القدرية.

إن لاهوت الجمال يتعزز ويثبت دعائمه من خلال وسائل الإعلام التي تعد المصدر الرئيس لأفكار تغير المظهر والإعلاء من شأن الجسد وتنزيه الإغواء، ما جعل الإنسان في حالة من الهوس لتقليد كل ما تراه عينه .

وعليه يقر ليبوفتسكي بأن الحضارة الغربية الراهنة تشهد عملية مكثفة لترشيد الجسد، فتعمد على إلغاء الوعي والإرادة لصالح الإنقياد التام للجسد، ذلك أن مرامي الجسد تتأكد بتأليه الجمال كآلية وإلزامية للتحكم الذاتي فتُسير الإرادة والوعي الفردي. إن الجمال الذي ذهب الغرب إلى تأليهه هو سلطة زائلة لأن مآلها الحتمي هو الفناء، وسلطة بلا جدارة لأنه هبة من الطبيعة.

أخيرا يؤكد ليبوفتسكي بأن بروميثيوس ونرسيس لم يعدا رمزان لمصائر فردية بالقدر الذي أصبحا يعبران فيه عن روح عصر بأكمله، عصر الحداثة الفائقة الأزمة التي كانت **حتمية ونتيجة للدغة الأنوار**.

الهوامش

* **جيل ليبوفتسكي:** فيلسوف فرنسي معاصر ، ولد في مدينة مايوه عام 1944 ، درس الفلسفة في جامعة السوربون ويقوم حاليا بتدريس الفلسفة في جامعة غرونوبل في فرنسا ، إرتبط إسمه بدراسات وأبحاث عدة كما إشتهر بمصطلحات مابعد الحداثة والفردانية المفرطة تأكدت شهرته مفكرا وفيلسوفا مع ظهور كتابه الأول زمن العدم عام 1983 ويناقش هوس الإستهلاك في المجتمعات الحديثة. (ليبوفتسكي ، جيل. 2017 ، **مملكة الموضة زوال متجدد: الموضة ومصيرها في المجتمعات الغربية** ، ترجمة: مندور ، دينا ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة.)

***الحداثة:** جملة التغيرات التي تستهدف الأسس للذهاب نحو الجديد ، وهي النهوض بأسباب العقل والتقدم والتحرر التي شملت التغيرات الحاصلة خلال القرن 20 حملت معها وجهة نظر الإنسان الجديد الذي يرتكن إلى حياة التقنية ومزايا الآلة تولد رؤية جديدة للعالم ، يبدو فيها متكاملا والإنسان المسيطر عليه.

***الفردانية: وتعني** الجزء الذي لايتجزأ وهي نزعة أو سلوك يؤكد على الخصائص الذاتية للفرد وعلى سماته ومميزاته الخاصة وذلك بما يتعارض مع ماهو جمعي ، كما ترمز إلى العالم الذي يمتلك فيه الإنسان نفسه ويسيطر على وجوده بحرية مؤكدة وعلى نحو لم يعهد في المجتمعات التقليدية القديمة. كما تشير الفردانية إلى النظرة التي تؤكد على القيمة المعنوية للفرد ، وتعبر عن الدفاع عن مصالحه فوق أي إعتبار وهي نوع من المركزية الذاتية ، وتتطور الفردانية لتتحول إلى نرجسية ، لذلك يصح القول بوجود فردانية نرجسية.

***البيوتيقا La bioéthique: هي** أخلاقيات علم الأحياء أخلاق الطب الحيوي وهي متعددة التخصصات فرغم كل ما قام به الباحثون إلا أنه يشمل دائما مجلات متعددة مثل الصحة وعلوم البشرية وهو ما تناوله المؤتمر العام لليونسكو حيث تحدث عن المسائل الأخلاقية المتعلقة بالطب والعلوم الحياة ونطاق التقنيات المرتبطة بها على البشر.

***إدغار موران:** فيلسوف وعالم إجتماع فرنسي ولد عام 1924 ، لمع إسمه عام 1951 عندما نشر كتاب الإنسان والموت الذي كان ثمرة لقاء الماركسية والفينومينولوجيا ، أخضع موران العلم للمساءلة المنهجية فأصدر تحت عنوان المنهج أربع مجلدات متتالية: طبيعة الطبيعة ، حياة الحياة ، معرفة المعرفة ، الأفكار. (ينظر: طرابيشي ، جورج. 2006 ، **معجم الفلاسفة** ، دار الطليعة ، بيروت ص 645 ،646).

***فردريك نيتشه:** فيلسوف ألماني يعتبر أول من درس الأخلاق دراسة تارخية مفصلة ، ولد في عام 1844 م ، إشتهر بنزعة النقدية المحطمة للأسس الكبرى ، ألف العديد من الكتب من أشهرها ماوراء الخير والشر ، أفول الأصنام ، هكذا تكلم زرادشت ... توفي في عام 1900 م.

***الجسد Le corps**: هو جوهر ممتد فهو ليس جسم مادى أو بيولوجى فقط بل هو جزء من الشخصية والإنية.

***اللاهوت Théologie**: هو علم دراسة الإلهيات دراسة منطقية ، وقد اعتمد علماء اللاهوت المسيحين على التحليل العقلاني لفهم الدين المسيحي ، لكي يقارنوا بينه وبين الاديان الأخرى ، وللدفاع عنها في مواجهة النقد ، ولتسهيل الإصلاح المسيحي.

مراجع المقال

1. **Gille, Lipovetsky**, et **Jean, Serroy**, L'esthétisation du monde : vivre à l'age du capitalisme artiste, Gallimard, 2013.
2. **Gilles, lipovetsky**, Le bonheur paradoal, Essai sur la société d'hyperconsommation, éditions Gallimard, paris, 2006.
3. **Gilles, Lipovetsky**, Le luxe éternel, De l'age du sacré au temps des marques, éditions Gallimard, paris, 2003.
4. **Gilles lipovetsky**, L'ère du vide, Essai sur l'individualisme contemporain, éditions Gallimard, paris, 1983.
5. **Gilles, Lipovetsky**, De la légèreté, vers une civilisation de léger, éditions Grsset et Fasquelle, permière édition, France, 2015.
6. باسكال ، بروكنر. 2006 ، **بؤس الرفاهية: ديانة السوق وأعداؤها** ، ترجمة: ولد أباه ، السيد ، العيبكان ، الرياض.
7. باومان ، زيغمونت. 2016 ، **الاخلاق في عصر الحداثة السائلة** ، ترجمة: البازغي ، سعد ، وبثينة ، إبراهيم ، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة ، أبو ظبي.
8. تورين ، آلان. 1998 ، نقد **الحدثة** ، ترجمة: مغيث ، أنور ، المشروع القومي للترجمة ، لبنان.
9. رابح ، الصادق. 2009 ،"ضريبة السعادة: الإشهار وتوثين الجسد". **مجلة عالم الفكر** ، المجلد 37 ، العدد 4 (ص169 ، 207).
10. روجر ، سكروتون. 2014 ، **الجمال** ، ترجمة: مصطفى ، بدر الدين ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة.
11. روس ، جاكلين. 2011 ، **مغامرة العقل الأوروبي: قصة الأفكار الغربية** ، ترجمة: ديوي ، أمل ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة) ، أبو ظبي.
12. روس ، جاكلين. 2001 ، **الفكر الأخلاقي المعاصر** ، ترجمة: العوا ، عادل ، عويدات للنشر والطباعة ، بيروت.
13. زيادة ، معن. 1986 ، **الموسوعة الفلسفية العربية** ، معهد الإنماء العربي ، بيروت.
14. شوقي الزين ، مُحَمَّد. 2005 ، **الثقاف في الأزمنة العجاف: فلسفة الثقافة في الغرب وعند العرب، منشورات** الضفاف ، بيروت.
15. عباس ، فيصل. 2008 ، **الإغتراب: الإنسان المعاصر وشقاء الوعي** ، المنهل ، بيروت.
16. عبد الرحمان ، طه. 2004 ، **بؤس الدهرانية: النقد الإئتماني لفصل الأخلاق عن الدين** ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت.
17. عبد الرحمان ، طه. 2006 ، **روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية** ، المركز الثقافي العربي ، المغرب.
18. فري ، لوك .2011 ، **تعلم الحياة: سأروي لك تاريخ الفلسفة** ، ترجمة: الولي ، سعيد ، كلمة ، ابوظبي.
19. فيري ، لوك.. 2002 ، **الإنسان المؤله أومعنى الحياة**، ترجمة: هشام ، مُحَمَّد ، إفريقيا الشرق المغرب.
20. لالاند ، أندري. 2001 ، **موسوعة لالاند الفلسفية** ، ترجمة: خليل ، أحمد خليل ، منشورات عويدت ، بيروت.
21. موران ، إدغار. 2002 ، **هل نسير إلى الهاوية** ، ترجمة: حزل ، عبد الرحيم ، إفريقيا الشرق ، المغرب.

دور النخبة السياسة في إدارة المرحلة الانتقالية -دول ما بعد الحراك العربي-

The role of The Political Elite in The Period of transition management's states in the post Arab spring.

تاريخ الإرسال: 2019/06/13 تاريخ القبول: 2021/02/03

عائشة سالمي ، باحثة دكتوراه علوم ، جامعة وهران 2 ، selmi.aicha@univ-oran2.dz

الملخص:

إن النخب السياسية وما تملكه من سلطة اتخاذ القرارات في دولها يجعلها الفاعل الرئيس في إدارة المرحلة الانتقالية لعملية التحول الديمقراطي ، لاسيما بعد التحولات السياسية التي عرفتها بعض دول المنطقة العربية في السنوات الأخيرة ، والتي يؤكد واقعها باستمرار على محورية النخب السياسية والأدوار المهمة التي تضطلع بها. حيث أدى حراك الشعوب فيها إلى إسقاط الأنظمة السياسية الحاكمة ودخول هذه الدول في مراحل انتقالية ، والتي تعبر عن وضع مؤقت يلي وضعا غير مرغوب فيه استمر لفترة طويلة ويُسعى لتغييره عبر عمليات تغيير وتحول. فنجاح المرحلة الانتقالية مرهون بالأدوار الايجابية التي تؤديها النخب السياسية ، ذلك من خلال فتح حوار شامل مع جميع الفاعلين السياسيين والاجتماعيين والاتفاق على خارطة طريق تنقل الدولة من المرحلة الانتقالية إلى مرحلة الترسيخ الديمقراطي.

الكلمات المفاتيح: النخبة السياسية ؛ المرحلة الانتقالية ؛ التحول الديمقراطي.

Résumé

Les Élites Politiques, de part et à la mesure des pouvoirs de décisions qu'elles possèderaient, devraient être les principaux acteurs dans la direction de la transition démocratique dans ses pays. C'est surtout, ces dernières années, le cas des élites politiques des pays dits arabes. La réussite de la transition démocratique dépend de la capacité de ces élites d'ouvrir et de gérer un dialogue regroupant tous les acteurs politiques et sociaux sur la base d'une feuille de route en mesure de consolider l'état démocratique au terme de la phase transitoire.

Mots clés : les élites politiques ; la phase transitoire ; la transition démocratique

Abstract

The political elites and their decision-making power in their states, makes them the main actor in managing the transition process towards democratization, particularly after the political changes that some countries in the Arabic area went through in the recent years. This confirms that the central political elites play important part in their designated roles and led to people protesting in order to overthrow the ruling political systems. These countries were going through a transition phase which reflects the unwanted temporary situation that follows a long period of undesirable phase and seeks to change it through changing and transformation process. The success of the transition phase depends on the positive roles played by political elites, through an inclusive dialogue with all political and social actors and the agreement on a road map of the countries from the transitional phase to the democratic stabilization.

Key words: political elites; transitional period; democratic transition.

.

مقدمة

ترتبط النّخبة كظاهرة بالاجتماع البشري بما يحتويه من تفاوت واختلاف في توزيع مصادر القوّة والنفوذ ، وهو من شأنه أن ينعكس على تراتبيّة الأفراد ضمنه ، مما يمنح الأفضلية للبعض ممن يحتكرون هذه المصادر من امتيازات تفوق من يفتقدون إليها. هذه الفئة ذات الامتيازات التي تشكّل النخب (Elites) مقابل الجمهور (Mass) يجعل من المنظور النخبوي مدخلا أكثر صلاحية لتحليل وفهم النظم السياسية خصوصا تلك التي يؤكد واقعها باستمرار على محورية النخب السياسية والأدوار المهمة التي تلعبها خصوصا خلال عملية الانتقال الديمقراطي والمراحل الانتقالية ضمنه. وتتمثل أهمية المرحلة الانتقالية في أنها تشكل مسار الحركة ما بين القديم والجديد ، فهي تشهد عملية متزامنة ومتوازية من الهدم والبناء وعليه فإن عملية إدارتها تتعلق بوضع النخبة السياسية لبرامج محددة ومشروع متكامل يتمحور حول إنجاح المسار الانتقالي والخروج بالدولة من الوضع الحرج للمرحلة الانتقالية والمضي نحو تحقيق الديمقراطية.

فإذا كانت الشعوب هي التي تنتفض لأجل تغيير الواقع غير المرغوب فيه ، فإن النخب السياسية هي التي تصنع التاريخ بإدارتها الصحيحة للمرحلة الانتقالية وتعمل بذلك على تحقيق المبتغى وتجاوز مراحل الانتقال نحو النظام السياسي الديمقراطي. وفي ضوء ما تقدّم يمكن صياغة **الإشكالية محور الدراسة كالآتي: ما الدور الذي تلعبه النخب السياسية في إدارة المرحلة الانتقالية لعملية التحول الديمقراطي على غرار تلك التي شهدتها بعض الدول العربية بعد حراك 2010؟**

وللإجابة عن هذه الإشكالية نطرح مجموعة من الفرضيات:

ترتهن الإدارة الناجحة للمرحلة الانتقالية لعملية الانتقال الديمقراطي بتبني مشروع واضح وعقلاني من طرف نخبة سياسية تعي خطورة المرحلة وتعمل على فتح الحوار مع جميع الأطراف.

- الدور الذي تلعبه النخبة السياسية أثناء المرحلة الانتقالية يتأثر بظروف البيئة المحلية والدولية للمنطقة.

- المشروع الانتقالي المبني على أساس الديمقراطية التوافقية وتفعيل آليات العدالة الانتقالية والإصلاح المؤسسي ، يكفل إنجاح إدارة المسار الانتقالي.

ومن البديهي أن تحدد الظاهرة المدروسة المناهج والمقاربات المناسبة لمعالجتها ، فلكي نستطيع الإجابة على الإشكالية المطروحة ، تم الاعتماد على **المنهج التحليلي** ، بغرض تفكيك المرحلة الانتقالية ومتطلباتها وتحليل الدور الذي تمثله النخب السياسية خلالها ، من أجل الوصول إلى حقيقة عملية إدارة النخب السياسية للمراحل الانتقالية. من ناحية أخرى تم الاعتماد في انجاز هذه الدراسة على مجموعة من المقاربات ، أهمها ، **المقاربة النخبوية** لكونه اقتراب يصلُح للتعميم على كافة التنظيمات والمجتمعات البشرية مهما اختلفت درجة تقدمها أو تخلفها. و**المقاربة الانتقالية** التي تركز بدرجة أولى على دور النخب في المراحل الانتقالية قصيرة المدى ، ولا تنظر إلى السّيرورات التاريخية المركبّة ذات الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية العميقة.

ولأجل الإحاطة بهذا الموضوع قمنا بتقسيم دراستنا إلى محورين ، محور مفاهيمي نحاول فيه بيان العلاقة بين النخبة السياسية والمرحلة الانتقالية ، ومحور يشمل الدور الذي يجب أن تضطلع به النخب السياسية لأجل إدارة المرحلة الانتقالية.

المحور الأول: المرجعية المفاهيمية للنخبة السياسية والمرحلة الانتقالية لعملية التحول الديمقراطي

من الطبيعي أنه لا تخلو أية دراسة من إطار مفاهيمي يوضح المصطلحات المركبّة والملتبسة ، لذا كان حريٌّ بنا أن نتطرق بداية إلى المفاهيم المتعددة التي قدمت لمصطلح النخب ، والتي تتعدد باختلاف وجهات النظر وتصورات المدارس الفكرية لهاته الظاهرة السوسيو سياسيّة ، وكذا المقصود من المرحلة الانتقالية وضبطها ضمن الأطر المفاهيمية للانتقال الديمقراطي.

أولا: مفهوم النخبة السياسية

من خلال تتبعنا للخلفية التاريخية لتطور مفهوم النخبة نجد أنه قد ظهرت بعض ملامح المفهوم تاريخيا في فكر "أفلاطون" الذي جعل النخبة الحاكمة من الفلاسفة وأهل المعرفة ، إذ يعدّ "افلاطون plato " المنظّر لنموذج الحكومة مطلقة السلطات ذات الشكل الارستقراطي ، وقد طرح بشأن ذلك الأسئلة التالية: من يجب أن يحكم؟ من الذي يدبّر شؤون الدولة؟ الكثرة: الجماهير والغوغاء ، أم القلة: النخبة والمنتخبين(karl popper, : http://bit.ly/2p00XM7) وان

كان من الصعب أن يتوافر هذا الفيلسوف الذي يحكم أو كان من الصعب أن يتقبله الناس فانه من الضروري توفر الحاكم السياسي المتخصص كبديل له (مصطفى النشار،1999، 86).

فقد جاء مفهوم النخبة ليسدّ الفراغ في لغة العلوم والسياسة ، إذ وُجدت عديد المصطلحات التي لها معانٍ تقترب من ذلك على غرار مصطلح (القائد Leader) أو الزعيم ، والتي تعني الشخص البارز والنشيط في المجموعة تشكل القيادة (Leadership.) (Daniel, Lerner,2010 Harold, D Lasswell إلا أن المفهوم عرف تطورا من حيث مدلوله وطريقة طرحه ، حيث مثلت "النخبة السياسية" المقصد الأول للمنظرين بمصطلح "النخبة" والتي هي محور اهتمامنا في هذه الدراسة ، إذ نجد أن اغلب المفكرين قد ربطوا مفهوم النخبة أساسا بممارسة الحكم والسلطة وتقسيم المجتمع إلى أقلية حاكمة وأكثرية محكومة. فنجد "بوتومور Thomas Bottomor" قد قام بمحاولة لوضع تعريف للنخبة السياسية بعد دراسته التحليلية والنقدية لمساهمات منظري النخبة السابقين له ، فيقول:" إذا استعملنا الاصطلاح العام (النخبة) لتلك الفئات ذات الوظائف ، فإننا عندها نحتاج مصطلحا نطلقه على تلك الأقلية التي تحكم المجتمع ، وهي ليست فئة وظائفية بالمعنى الذي تستعمل فيه هذه الكلمة ، ولكنها في أية حال من الأحوال ذات أهمية اجتماعية عظيمة مما يجعلها جديرة بأن يكون لها اسم خاص مميز. سأستعمل هنا مصطلح موسكا Giovanni Mosca (الطبقة السياسية) للإشارة إلى كل تلك الفئات التي تمارس السلطة السياسية أو التأثير السياسي والتي تدخل في صراعات مباشرة في سبيل القيادة السياسية وسأميّز فئة صغرى ضمن الطبقة السياسية ، وهي النخبة السياسية الشاملة للأفراد الذين يمارسون السلطة السياسية في مجتمع ما في وقت من الأوقات". وقد أدى ظهور الحركة السلوكية في العلوم الاجتماعية والنقلة التي شهدها حقل العلوم السياسية المقارنة ، إلى التركيز على البعد السلوكي القابل للملاحظة والتحديد في النخب السياسية ، حيث تعددت الإسهامات في ذلك من قبل "سوزان كيلر S.Killer" ، " بوتومور Thomas Bottomor" "ويليام كورنهاوزر W. Kornhauser" و"سيمور مارتن ليبست Seymour Martin Lipset" وغيرهم (مُحَمَّد نصر عارف ،2002، 230).

في مقابل هذا الرأي الذي يركز على النخبة السياسية ، نجد اتجاها أكدّ فيه دُعاته على وجود أشكال متعددة من النخب ؛ تعمل بشكل مشترك (نخبة عسكرية ، نخبة اقتصادية وسياسية..) فالمجتمع - بحسب هذا الرأي - ينتج بالإضافة إلى نخب سياسية نخبا أخرى ، غير أن هذه الأخيرة لا تحظى بممارسة أدوار سياسية كبرى بل يظل تأثيرها في قضايا ومواقف هذا المجال محدودا. فنظرا لهذا التطور في مدلول مصطلح "النخبة" توسع هذا الأخير ليتجاوز نطاق العمل السياسي المباشر أو ممارسة السلطة والحكم ، حيث صار يشير حسب "انطوني غيدنز A.Giddens " إلى الفئات التي تتصدّر أي نوع من أنواع النشاط الاجتماعي". (لكريني ادريس ،2014، http://bit.ly/2p2pZti)

ثانيا: مفهوم المرحلة الانتقالية (Transitional Phase) والعوامل التي تحكم إدارتها

تحدث عملية الانتقال إلى الديمقراطية لعدّة أسباب داخلية وخارجية ، والتي يتفاوت تأثيرها من نظام إلى آخر كما أن طبيعة الفاعلين وميزان القوة النسبي بينهم يلعب دورا كبيرا في تحديد الآلية أو الأسلوب الذي يتم به الانتقال ، وقد وجدت عديد الخبرات والتجارب للدول التي شهدت انتقالا ديمقراطيا في تاريخها السياسي كما اختلفت المراحل التي مرت بها نظرا لخصوصية كل تجربة ، وفي هذا الصدد يشير الدكتور "عبد الغفار رشاد القصبي" إلى ثلاثة مراحل أساسية للانتقال الديمقراطي:

المرحلة الأولى وتتمثل فيما قبل التحوّل ، إذ تحاول النخبة السياسية البقاء في السلطة مقابل تهديد مكانتها من المعارضة التي تلعب دورا في التأثير على النظام بما يمثله من امتيازات ومصالح. وقد يحدث أن تبرُز انشقاقات داخل القوى المساندة للنظام ، فاتجاه إصلاحي وآخر متشدّد وقد تتصاعد الضغوط من الجانبين داخليّا وخارجيّا ويُقدِّم النظام تنازلات وتتوقّف عملية انهياره على درجة تماسكه وقوة المعارضة وشدة تماسكها ، وكذا مقدار الضغوط الداخلية والخارجية وحدّة الاستقطاب والصراع بين المعتدلين والمتشددين من النظام القائم. ويُتوقع أن تؤدي التنازلات من قبل النظام إلى إصلاحات ولكنها قد تكون شكلية أو لتهدئة الأوضاع فقط ، وقد تبرز على شكل إصلاحات حقيقية والتي يمكن أن تتعرض للارتداد مرة أخرى بفعل سيولة الموقف أو استماتة النخب صاحبة الامتيازات والمصالح للبقاء في السلطة لمدة أطول ،

ومن ناحية أخرى قد تقوى قبضة الأمن ويستخدم النظام قدرته القمعية ضد المطالبين بالإصلاحات ليشتد الصراع إلى أن يتمّ إقرار التحول.

المرحلة الثانية: " المرحلة الانتقالية" وتعتبر دعامة الانتقال الديمقراطي ، كونها مرحلة حساسة وتتسم بحالة من الشك والترقّب وعدم اليقين إذ يتواجد آنذاك خليط غير متجانس من المؤسسات والأفراد والجماعات التي ترتبط بالنظام القديم وأخرى ترتبط بالنمط الجديد من مؤسسات وجماعات تسعى لتطبيق الديمقراطية هؤلاء يتقاسمون السلطة وتبرز ثنائية الصراع والوفاق بين الأطراف وبالتالي قد يرتفع سقف المطالب للديمقراطيين وتتّسع حركة الاحتجاجات من المواطنين الذين ينتظرون إصلاحات وسياسات تخدم مطالبهم وتتزايد الرغبة والمطالبة بالديمقراطية الحقّة في الدولة عن طريق مثلا إصلاح الانتخابات ، الأحزاب أو المؤسسات الحيوية في النظام وضمان المحاسبة والمساءلة لشخصيات النظام السابق المتهمة بقضايا الفساد. في حين انه قد لا يستسلم فلول النظام السابق للأمر ويسعَون لاستعادة السيطرة والتسلط ، مما يفرض تكلفة غالية على المجتمع قد تدخله في دوامة حرب أهلية (عبد الغفار رشاد القصبي ، 2006 ، 81-82)، أو الانقلاب على الشرعية الانتخابية والعودة لنقطة الصفر.

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة" الترسيخ الديمقراطي" (Consolidation of Democracy) والذي يشير مفهومه من الجانب الواسع إلى عملية تطوير وتعزيز النظام الديمقراطي حتى يتحول إلى نظام مؤسسي مستقر ، يكون قادرا على الاستمرار ويجسّد بشكل حقيقي وفعال قيم الديمقراطية وعناصرها وآلياتها. بمعنى أن الترسيخ يتضمن معاني تعميق الديمقراطية واستكمالها ومأسستها على النحو الذي يجعل من الصّعب انهيار النظام الديمقراطي أو الانقلاب عليه. وقد استخدم "أودونيل O'Donnell " مفهوم الانتقال الثاني Transition (Second) للتعبير عن عملية ترسيخ الديمقراطية وهو حسب رأيه يشير إلى الانتقال من حكومة منتخبة ديمقراطيا تنتهي عندها فترة الانتقال إلى نظام ديمقراطي مؤسسي راسخ. (Gerardo L. Munck, april 1994,362)

فإذا بحثنا عن مدلول مفهوم **الانتقالية** في معناه السوسيولوجي ، نجده يشير إلى المرحلة التي تسبق مرحلة التحول في المجتمع ؛ وهي معروف عنها كمرحلة في تاريخ المجتمعات لا تطول زمنيا مقارنة مع مرحلة التحوّل أو التغيير. لكن ما يميزها في الشكل أنها مرحلة وسيطة يستمر فيها الشكل التقليدي بالرغم من دخول مرحلة الحداثة. وعند السوسيولوجيين الكلاسيك نجد أن الانتقالية قد تمّ التطرق إليها بشكل ضمني وغير صريح خاصة من طرف " كارل ماركس karl marx " و" إميل دوركايم David Émile Durkheim"وغيرهم وبزوايا نظر مختلفة في التحليل. (مُحَمَّد صفار ، 2011 ، 184).

وخلال محاضرته التي ألقاها ضمن فعاليات المؤتمر السنوي للأبحاث الاجتماعية ، حول: "نوعان من المراحل الانتقالية وما من نظرية" ، أشار المفكر "عزمي بشارة azmi bechara" (عزمي بشارة ، 2014 ، 02) إلى أنه يصعب الحديث عن نظرية تاريخية خاصة بالمراحل الانتقالية عموما ، في هذه الحالة تُحدَّدُ المراحل الانتقالية كمراحل لا تضبطُها قوانين إعادة إنتاج الذات بل إنتاج الآخر ، إذ ليس لها منطق داخلي ومنطقها مستمَدٌّ من أفول ما انطلقت منه وبزوغ ما يليها وتقود إليه. وهي لذلك غالبا ما تكون عاصفة تتَّسم بالسّيولة وعدم الاستقرار وانعدام اليقين ومعه الشعور بالأمن والثقة بما هو قائم ؛ لأنّ ما كان يتلاشى وما سوف يكون لم يتَّضح بعد.. غير أن المفكر "عزمي بشارة" لا يشير هنا إلى المرحلة الانتقاليّة بين نظامين أو بين حقبتين تاريخيتين بل عن مرحلة انتقاليّة من وضع قائم نتَّفق في تشخيصه أو نختلف إلى وضع مرجو أو مأمول يفترض أن مؤيديه على الأقل متّفقون على تعريفِه أو قادرون على التحاور حولَه بعقلانيّة. فلا معنى لعبارة مرحلة الانتقال إلى الديمقراطية إلّا بوجود فاعلين متَّفقين على هدف بناء الديمقراطية وفعل تاريخي ثوري وإصلاحي يقودُ إليها. (مُحَمَّد صفار ، 2011 ، 09)

إذن ، وكما هو متعارف عليه أن التحول الديمقراطي يشير إلى التحول والانتقال من نظام سلطوي إلى نظام ديمقراطي ، وهو بدوره عملية معقدة تشمل تحوّلا في الأبنية ، الأهداف والعمليات التي تؤثر على توزيع وممارسة السلطة السياسية. فيقال أن النظام السياسي الذي يشهد تحولا ديمقراطيا من نظام غير ديمقراطي نحو نظام ديمقراطي انه يمر بمرحلة انتقالية. حيث تعدّ "المرحلة الانتقالية" بمثابة مرحلة وسيطة بين مرحلتين ، الأولى هي مرحلة سقوط النظام ، والثانية مرحلة استكمال الإطار الدستوري للدولة وترسيخ الديمقراطية (Consolidation Democracy) أو قد لا يتم ذلك وتظهر حالة شبه فوضوية أو العودة إلى التسلطية (نيفين مُحَمَّد توفيق ، 2014 ، http://bit.ly/2oVLfkW)،أما

سيف الدين عبد الفتاح فيعرفها على أنها ، "وضع مؤقت بعد وضع غير مرغوب استمرّ فترة طويلة من الزمن نسبيا يُرجي تغييره في سياق استشراف عمليات تغيير وتحول"(سيف الدين عبد الفتاح ،2014، http://bit.ly/2FEcR7S) .

ثالثا: مظاهر المرحلة الانتقالية والعوامل التي تحكم إدارتها

انطلاقا مما لوحظ ضمن مختلف الأحداث التي سهدتها بعض الدول العربية بعد سنة 2010 على غرار كل من تونس ومصر ، فإنه يمكن القول أن من سمات هذه المرحلة اختلال توازن القوى والتحالفات القائمة ، ما يقود إلى صراع على النفوذ بين مختلف القوى والأطراف ، قد يؤدي إلى اضطرابات تهدف الأطراف من خلال إثارتها إلى التحكم بقواعد اللعبة ، ويمكن أن تأخذ هذه الاضطرابات أشكالاً مختلفة ، سياسية أو أمنية أو عسكرية أو فكرية ، كما تتّسم هذه المرحلة بظهور العنف بدرجات متفاوتة لاسيما بوجود الصدامات ببن التيارات الاسلامية والعلمانية . أما على الصعيد الاقتصادي فيمكن ملاحظة أن القوى الاقتصادية والمالية والتي كانت مستفيدة من الوضع السابق تسعى إلى دخول اللعبة في هذه المرحلة في محاولة للتأثير في رسم شكل الحكم القادم بما يحقق لها أكبر قدر من المصلحة ونلاحظ هدا الأمر جليا في مصر نظرا للوزن السياسي لرجال الأعمال وكدا الامتيازات الاقتصادية التي تحظى بها القوات العسكرية. (نوفل احمد سعيد وآخرون ، 2012، 39-42)

فيمكن القول أن المراحل الانتقالية تعرف عديد **المظاهر المقلقة** ، التي يمكن إيجازها فيما يلي:

-استغراق المراحل الانتقالية فترات طويلة ، بفعل بطء أو ارتباك الخطوات المتّخذة ، أو سيطرة الصراعات على أجنحة الحراك ، وفي هذا الصدد ينبغي الإشارة إلى أن الحركات الاحتجاجية تعرف على أنها عبارة عن" أشكال متنوعة من الاعتراض تستخدم أدوات يبتكرها المحتجون للتعبير عن رفض أو لمقاومة الضغوط الواقعة عليهم أو الالتفاف حولها ...وقد تتخذ أشكالا هادئة أو هبّات غير منظمة. وبالتالي يؤكد البعض أن الفعل المستمر هو الذي يؤهل الممارسة الاحتجاجية للانتماء مفهوميا إلى الحراك الاجتماعي وإذا غاب الفعل المستمر فانه يحول دون ضمها إلى المفهوم. (اشتي فارس ، 169، 2014)

- القضية في المراحل الانتقالية تتجاوز إقامة نظام ديمقراطي جديد محل النظام الاستبدادي السابق إلى صراعات على السلطة من ناحية ، وصراعات على الدولة من ناحية أخرى ، إذ تصبح هذه الصراعات أعمق وأعنف بين مختلف الأطراف. إذ قد يكون من الصعب تطبيق ما اسماه المفكر الهولندي (آرنت ليبهارت Arend Lijphart) بالديمقراطية التوافقية (ارنت ليبهارت ،2006، 08)، والتي تركز على حماية الأقليات والتمثيل الكامل لكافة فئات الشعب .

- تثار خلال المرحلة الانتقالية احتياجات ومطالب فئوية وعامة لا نهائية ، وفي الوقت نفسه تواجه الدول حالة من تقلص الموارد ، فالهدم والتفكيك أسهل وأيسر من البناء والتركيب بالإضافة كذلك إلى ما أسمته أدبيات الثورات بالFrustrated Expectations بتعبير (دانييل لينر D.Liner (حيث تصبح نسبة المراد الحصول عليه مقلقة ، مما يولد ثورة "الآمال المحبطة"(ايمان احمد رجب ، 2011، 09) والناتجة عن البطء والتأخر في تحقيق الأهداف المرجوة من الانتقال إلى واقع آخر. ، وهدا ينعكس بسدة على الفئات التي كانت أصلا محرومة من حقوقها في ظل النظام السابق حيث تسعى لأن تلمس أثار التغيير بشكل سريع ، وإن لم يتحقق دلك نظرا لتعقيد المرحلة الانتقالية فإنه قد تكون هناك ثورة مضادة مدعومة من أفول النظام السابق مثل ما حدث في مصر في جويلية 2013 بعد انتخاب الرئيس السابق "محمد مرسي" .

- تؤدي التعارضات الخاصة ببناء النظام الجديد بكل مؤسساته التشريعية ، التنفيذية ، القضائية والأمنية في الحالات التي تنهار فيها تلك المؤسسات بشكل شبه كامل إلى الحاجة لوقت طويل ، فيحدث نوع من الاستقطاب الشديد في المجتمع والارتباك من جانب الإدارة الانتقالية التي قد تفتقد الإمكانات والرؤية في اختيار السياسات المناسبة والقادة المؤهلين لقيادة المرحلة الانتقالية وهذا ما يضاعف من حجم الأعباء الملقاة على عاتقهم.

وتحكم إدارة المرحلة الانتقالية عدّة عوامل أساسية ، يتمثّل أهمها في الفكر أو التصور الذي تقوم عليه إدارتها والأهداف المراد تحقيقها والبرنامج الزمني المحدد لها وكذلك التركيبات السياسية والاجتماعية وسياسة التعامل مع رموز النظام السابق والتحديات الاقتصادية والموروث الثقافي للمجتمع ، بالإضافة إلى حجم العنف الذي تشهده الدولة على إثر هذا التغيير وكذا التدخل الأجنبي في هذه الأمر وشكله. من ناحية أخرى يلزم إثبات حسن النية للمجتمع الدولي ؛ لأجل

اكتساب الشرعية محليّا ودوليّا بالإضافة إلى احترام الالتزامات الدولية للنظام السابق والعمل على تهيئة المجتمع الدولي للاعتراف بترتيبات ما بعد المرحلة الانتقالية.

المحور الثاني: دور النخبة السياسية في إدارة المرحلة الانتقالية

يمكن القول أن دور النخبة يظهر جليا في عملية الانتقال الديمقراطي ككل ، وليس عقب الحراك والمظاهرات والانتفاضات فحسب. حيث تلعب النخب حتما دورا في العلاقة بين السلطة والمجتمع. إذ أنه خلال عملية الانتقال الديمقراطي ، ينتقل دور المؤسسات للأفراد — أي النخبة- لأن المؤسسات تقابل بالرفض من الشعب ، وهنا تقوم النخبة بحلقة وصل بينهما ، فالصلات بين النخب والجماهير غالبا ما تكون حاسمة في الفترات الانتقالية (Scott, Mainwaring , novembre 1989,10) وفي هذا السياق يشير الدكتور صفار إلى ماهية المرحلة الانتقالية في سياق تجواله المعرفي في المدارس الفكرية الماركسية ونظرية لينين ونظرية هنتغتون للتحول الديمقراطي بأنها المرحلة التالية التي استطاعت بها النخبة الاستيلاء على الحكم وهي ليست بمرحلة صراع للوصول إلى السلطة (دعاء الجهيني ،2014، http://bit.ly/2FFjUNO) فعقب انهيار النظام السياسي تحدث حالة الفراغ السياسي والقانوني إلى أن تستطيع النخبة السياسية الجديدة السيطرة على المؤسسات القمعية لضمان إحكام سيطرتها على الدولة.(امل حمادة ، 2008، 46)

أولا: التحديات التي تواجه النخبة السياسية خلال المرحلة الانتقالية

تعاني المجتمعات في المراحل الانتقالية ضمن مسار الانتقال إلى الديمقراطية ، جملة من التحديات قد تؤثر سلبا على سيرورتها وتحقيق المبتغى.

أ -تحديات داخلية

إذ تعدّ مسألة سيولة التنظيم السياسي والتحالفات المتغيرة داخله وخارجه من أبرز التحدّيات التي تشهدها المجتمعات في هذه المراحل ؛ مما يستوجب تحديد خارطة طريق تتمتع بالقبول الواسع خلال فترة اللااستقرار ، ثم بناء حكومة تتمتع بقدر كاف من الثقة والدعم الشعبي (مُحَمَّد محي الدين ، 2011) فصعوبة التوافق العام على المسائل السياسية الكبرى المتعلقة بمسار الدولة وهويتها في ظل تنامي حالة السيولة وغياب الأطر القانونية الصارمة حيث أن السعي لبناء النظام السياسي الجديد بأطر ديمقراطية يتطلب بالضرورة تجديدا قانونيا ملائما ، ذلك أن ممارسة الديمقراطية لا تتم إلا وفق قواعد محددة تنظم عملية الصراع والتنافس.(فؤاد الصلاحي ،2009، 211)

-بروز **الثنائيات المتصارعة** ، فحسب تعبير الدكتورة هناء عبيد أن بعد سقوط النظام القديم وبالخصوص عن طريق آلية الانتقال من الأسفل ، فانه تبرز قضايا تشكل تحديا للمرحلة الانتقالية وتؤدي إلى انقسام الرأي العام حولها ، منها:

- ثنائية **الاستقرار -الفوضى**: فالثورة وبعدّها فعلا فجائيا يهدف إلى التغيير الجذري ويتعرض لمنظومة من المصالح والقيم والترتيبات ويهدمها ، تؤدي إلى تفجر تلك الثنائية بين القديم والحديث والاستمرار والانقطاع والاستقرار والفوضى ، غير أن هذا الموضوع اعتبر كمبرر تستخدمه بقايا النظام القديم لتخويف المنادين بالتغيير من مآلاته ، فالنظم السلطوية معروف عنها تتسم بمبادلة تقليدية بين الأمن أو التغيير.

- ثنائية **الفئوي- السياسي**: إذ نجد أن التحليل الماركسي للثورات يركز على الأساس الاجتماعي-الاقتصادي ، في حين نجد مفكرين آخرين يحذرون من المزج بين المطالب السياسية والاجتماعية أو ما يطلق عليها بالمطالب الفئوية ، على غرار " حنة ارندت" التي عدّت أن الخلط بين المجال الثوري السياسي والذي هدفه الأساسي هو ممارسة الحرية ، وبين المطالب الاجتماعية والاقتصادية ، من شأنه الأضرار بالثورة والانتقال الديمقراطي. (حنة ارندت ، 2008، 23) في حين نجد انه في العديد من النماذج التي عرفت مرحلة انتقالية في تاريخها السياسي دورا كبيرا للمطالب الفئوية والتي ساهمت بشكل كبير في نجاح العملية.

- ثنائية **المدنية –الدينية**: يمكن ملاحظة هذه الثنائية بشكل واضح في تجارب الانتقال للدول الإسلامية والتي قد وجدت القوى الانتقالية صعوبة في صياغة خطابات وطنية تندمج فيها كل الفصائل ذات المرجعية الدينية والتوجهات الليبيرالية للثوريين ، هذا الأمر يستعصي حله لأنه يشكل إعادة طرح للعلاقة بين الدين والدولة ولا يتسع المجال هنا لإيفائه حقه. (هناء عبيد ، 2011، 48-49)

فالمتعارف عليه أن أهم ما تواجهه المرحلة الانتقالية من تحديات هو إنهاء المرحلة الانتقالية والوصول لمرحلة الاستقرار، وذلك عن طريق إنجاز الوئام الداخلي وإنهاء حالة أزمة الثقة بين مختلف القوى السياسية المشاركة في التغيير، والتواصل الجيد مع مكونات الشعب المتعددة بما في ذلك بقايا النظام السابق، إضافة إلى محاكمة المسؤولين المتورطين في ارتكاب جرائم ضد المنادين بالتغيير ومحاكمتهم ضمن ما يحددّه القانون بمعنى تحقيق **العدالة الانتقالية** وإنشاء الهياكل أو اللجان المتخصصة في ذلك. (مُحَّد صفار، مرجع سابق، 25)

تواجه كذلك المرحلة الانتقالية ضرورة تحريك الاقتصاد وتفعيل سياسات العدالة الاجتماعية وتعزيز مشروعات تنموية محركة لعجلة الإنتاج وضرورة تحسين آليات توزيع الدخل، بحيث لا يكون هناك تهميش لأية شريحة اجتماعية وبالخصوص الفئات التي لا تجد من يمثّلها في دوائر صنع القرار، كون أن أحد الدوافع التي ساهمت في الرغبة بالإطاحة بالنظام القديم هي غياب العدالة الاجتماعية وتدني مستوى المعيشة واحتكار الفئات المسيطرة للموارد. من ناحية أخرى تواجه المرحلة إشكالات أمنية تتطلب الحذر من حالة الانفلات الأمني التي قد تثيرها بعض الجهات. (سيف الدين عبد الفتاح، مرجع سبق ذكره)

ب -تحديات خارجية

أما على الصعيد الخارجي، فإنّه يجب الحذر من التدخل الخارجي في هذه المرحلة لأنّ الدولة تكون منكشفة وغير مستقرة تماما وحتما ستحاول أطراف أجنبية فرض رؤاها وسياساتها على النخب الانتقالية – النخب التي تسير المرحلة- ، إذ أن الإطاحة بالنظام القديم قد يكون مهددا لمصالح الدول الأجنبية في الدولة. كما أن بعض القوى الدولية ليست من مصلحتها أن تقام ديمقراطية في الدول الأخرى حتى تحافظ على قوتها وسيطرتها على مواردها وتتحكم في المواقع الإستراتيجية التي تشغلها هذه الدول، فبعض الأيادي قد تسعى لتغذية الصراعات الداخلية عن طريق دعمها السرّي بالسلاح مثلا، أو عن طريق الدعم والتمويل لمؤسسات المجتمع المدني، وكذا محاولتها فرض نخبة سياسية تخدم مصالحها في المنطقة.

غير أن هذا الأمر لا يعني التهرب من التفاعل مع القوى الخارجية وإنما لأجل اكتساب الشرعية الدولية عن طريق احترام القوانين والأعراف الدولية خاصة ما يتعلق منها بحقوق الإنسان، وكذلك احترام المعاهدات الإقليمية والدولية التي وقعها النظام السابق بما لا يتناقض ومصالح الشعب، والتوجه لإلغاء ما يريد الشعب إلغاءه بالوسائل القانونية بعد وصول السلطة المنتخبة شعبياً إلى سدة الحكم. (متروك بن هايس الفالح، 1999، 25)

ثانيا: استراتيجيات إدارة المرحلة الانتقالية

تتعلق إدارة المرحلة الانتقالية بوضع النخبة السياسية الانتقالية لبرامج محددة لتحقيق الانجاز في ثلاثة ملفات ملحّة تشكل البنية الأساسية لعملية الانتقال:

- تعزيز مشروعات تنموية قاطرة ومحركة لعجلة الإنتاج من خلال وضع برنامج وطني اقتصادي واجتماعي للنهوض بالمشاريع التنموية في الولايات المهمّشة والفقيرة. (عبد الله تركماني، 2013)

- عودة الأمن والاستقرار المجتمعي؛ بمعنى القدرة على المبادرة بسياسات عامة تؤمّن الضمانات لإنشاء قاعدة عريضة للمواطنة قائمة على المساواة والاستيعاب الاجتماعي وتكفل للأقليات الحماية من أية ممارسة دكتاتورية من الأغلبية (رحال بوبريك، 2014، http://bit.ly/2HlijcW). ومحاولة خلق جوّ من الوفاق والذي يتطلب القطع مع المنهجية القديمة المبنية على الانغلاق والتعصب ورفض الآخر. ولعل أحد مداخل هذا الوفاق التاريخي يكمن فيما يعرف بـ "الديمقراطية التوافقية" كما أشرنا آنفا، والتي تتيح للنخب السياسية التعاون فيما بينها، وعن طريق هذا التعاون يتم صيانة استقرار النظام في المرحلة الانتقالية المتوافق عليه كما يفضي هذا التوافق إلى سمة أخرى هي الفعالية، إذ بدون فعالية لا يمكن لأي نظام أو أي مشروع أن ينجح.

- إعلان جدول زمني للانتقال السياسي وتسليم السلطة للمدنيين: وذلك للدور الذي تلعبه المؤسسة العسكرية في أنظمة الدول النامية وفي عملية صنع القرار السياسي وسعي المؤسسة لتمييع الحدود بين الدور العسكري للمؤسسة ودورها السياسي الذي تضطلع به في أثناء هذه المرحلة الاستثنائية، لذلك يعد حياد الجيش أو عزله وعدم تدخله في العملية السياسية ركنا أصيلا لضمان تحول ديمقراطي ناجح، وفي هذا الصدد أكد " لاري دايمون Larry Jay Diamond" أن من أهم شروط تعزيز الديمقراطية خضوع الجيش خضوعا كاملا للسيطرة المدنية والالتزام التام

بالقواعد الدستورية القائمة ذلك أن المؤسسة العسكرية كثيرا مافرضت تحديات على تجارب التحول الديمقراطي في كثير من دول العالم ، حيث أدى تمسك العسكر بالعمل السياسي إلى عرقلة بل وانتكاس الكثير من تجارب التحول الديمقراطي. (شيماء حطب ،2012 ، 476)

-من جانب أخر يجب تبني دستور جديد ، بحيث يكون الإجماع واضحا على الحاجة إلى دستور جديد متسق النصوص ومؤسس لنظام ديموقراطي قادر على تحقيق التنمية الاقتصادية والعدالة الاجتماعية. وفي هذا الإطار يتم النظر إلى التعديلات الدستورية بعدّها انتقالية وكمقدمة لهذا الدستور ، مع الاتفاق على تكوين لجنة أو هيئة تأسيسية لكتابته قبل عرضه للاستفتاء. بالإضافة إلى توقيت وجدولة وترتيب إجراء الانتخابات (البرلمانية والرئاسية) مسألة لابد من تحديدها بدقة وبعد حساب كافة التداعيات.

ولربما من أهم ما استخلصه الأكاديميون الدارسون لتجارب بلدان أوروبا الشرقية التي أسسّت لعملية الانتقال نحو نظم ديمقراطية حلت مكان النظم المتسلطة ، والتي بذلك أسست لنظم ساعدت في بناء مؤسسات قادرة على إدارة البلاد وتحولها نحو الديمقراطية هو قيام هذه الدول خلال المراحل الانتقالية التي شهدتها نحو الديمقراطية ؛ بالمرور بثلاث مراحل أساسية يمكن أن نحددها كالتالي: الأولى الديمقراطية التوافقية والتي تعدّ مرحلة تحضيرية من خلال تشكيل مجالس وتحالفات لقيادة الحراك. الثانية ؛ تمثلت في العدالة الانتقالية ، والتي تتضمن تعزيز وتحضير البيئة التشريعية والقانونية وضخ الممارسات الديمقراطية إلى الحياة اليومية. وثالثا ؛ نجد أن النخب يستلزم أن تتبع القواعد والإصلاحات الديمقراطية القادرة على إدارة البلاد في المرحلة الانتقالية ، ضمن إطار الإصلاح المؤسسي لمختلف الهياكل المسيرة لشؤون الدولة ولا سيّما الرسمية منها. (نادية حسن عبد الله ، 2011 ،

https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=27 (.3747

أ - الديمقراطية التوافقية

تعدّ الديمقراطية التوافقية أو كما يطلق عليها البعض بالديمقراطية التكاملية أحد وأبرز نماذج الديمقراطية الحديثة والتي ظهرت كنموذج لمعالجة بعض المشكلات والأزمات التي تعاني منها عديد دول العالم. وقد برزت فكرة الديمقراطية التوافقية كما أشرنا سابقا بعد مساهمات المفكر الهولندي (آرنت ليبهارت Arend Lijphart) والذي يعدّ من أوائل المنظرين لها وعدّها نظرية للحكم الديمقراطي في **مجتمع متعدّد**، فالنخب في هذا المجتمع تتعاون بالرغم من الاختلافات القطاعية الفاصلة بينهم ، لان التصرف خلاف ذلك يعني استنزال العواقب المتنبأ بأنها من سمات المجتمع التعددي. (شاكر الانباري ، 2007 ، 37)

لذا فإن المطّلع على مختلف التجارب ، يلاحظ أنه قد اعتمدت غالبية الدول التي شهدت مراحل انتقالية في تاريخها السياسي ، آلية الديمقراطية التوافقية ، وذلك نظرا لعدم توفر البنية الذاتية والموضوعية لتحقيق ديمقراطية شاملة ، كناتج طبيعي عن غياب القوانين والتشريعات والآليات والمؤسسات المناسبة لانتخابات حرة ديمقراطية ، وعدم التمكن من التأسيس لها بشكل قانوني في المرحلة الانتقالية. وفي هذا السياق يمكننا عدّها في هذه المرحلة كديمقراطية انتقالية ؛ تمثل الأداة الأساسية للتحول نحو الديمقراطية وذلك من خلال تأسيس مجلس أو تحالف انتقالي مؤقت يقوم بقيادة المسار الانتقالي وتمثيل الشعب في المفاوضات والحوار الوطني للإجماع على أهداف الحراك واستراتيجياته.

حيث أن كافة مؤسسات النظام لن تكون قادرة على الاستمرار في إدارة البلاد ، مما قد يعرّضها إلى فراغ تشريعي وقانوني ومؤسسي ، وعليه سيكون من الضروري في المرحلة الانتقالية العمل على بناء المؤسسات القادرة على إدارة البلاد في المرحلة الانتقالية ، المؤسسات القادرة على احترام حقوق الإنسان وتوفر العدالة الاجتماعية لكافة مواطنيها ، وهذا يحتاج في هذه المرحلة إلى تهيئة البيئة التشريعية والقانونية والمؤسسية المناسبة للانتخابات الحرة الديمقراطية ، وتعديل ، على الأقل مؤقت للدستور ، وتشكيل الأحزاب السياسية ، وبناء المؤسسات الديمقراطية لتعبيد الطريق نحو الديمقراطية الحقّة. (نادية حسن عبد الله ، 2011 ، http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=273 (747

ورغم ذلك ، لا يجوز عدّ "الديمقراطية التوافقية" كشكل نهائي للديمقراطية ، وإنما هي في نظر عديد المفكرين ، قد تمثل أفضل شكل تاريخي لإدارة الصراع السياسي في لحظة من اللحظات ، لكنها تصبح في لحظات أخرى أسوأ آلية لإدارة مؤسسات الدولة التشريعية والدستورية ، لأنها تتضمن

بكل تأكيد مآزق التي تحمل من داخلها القدرة التعطيلية الدائمة لصالح أحد أصحاب الفيتوات الكثيرين والعديدين، ما ينتهي بالدولة إلى الشلل الدائم وعدم قدرتها على الاستجابة لطموحات مواطنيها، وعندما لا يحمل النظام صفة القدرة على المرونة والتغير من داخله وبالوسائل السلمية فإنه سيتفجر من داخله بكل تأكيد استجابة للحراك الدينامي الاجتماعي والسياسي المستمر وعندها يدخل النظام من جديد في دوامة من البحث عن "ميثاق تعاقدي" جديد يستجيب للتوازنات السياسية المستجدة والمتغيرة.

ومنه يمكن القول أن مبدأ "الديمقراطية تصحح نفسها بمزيد من الديمقراطية" يكاد يكون قاعدة ذهبية في انطباقه على "الديمقراطية التوافقية" التي لا بد من عدّها كمرحلة انتقالية وليس كحل نهائي (رضوان زيادة،2006، 65). ولتحقيق انتقاليتها لابد وخلال عملية بنائها من توازيها مع عملية تاريخية تتمثل فيما يسمى "العدالة الانتقالية" التي تتيح للدولة إمكانية إعادة تأسيس شرعيتها على أسس جديدة قائمة على أساس العدالة واحترام القانون وبناء المساواة بين جميع المواطنين في الواجبات والمسؤوليات والحقوق، وهذا ما سنتطرق له فيما يلي:

ب- العدالة الانتقالية

فالقناعة الراسخة لدى النخب السياسية العربية أن موضوع العدالة الانتقالية من أهمّ التحديات التّي يتعيّن على المجتمعات العربية رفعها، لكونها من أفضل المقاربات التي ابتدعتها تجارب شعوب العالم إلى حدّ الآن، لإنجاح مرحلة الانتقال من أنظمة الاستبداد إلى الأنظمة الديمقراطية بما توفره من آليات ومفاهيم ومناهج لكشف الحقيقة ومحاسبة المذنبين وضمان عدم الإفلات من العقاب وردّ الاعتبار للضحايا وجبر أضرارهم.

غير انه ورغم تعدد هذه الحالات واختلافها، فان إيجاد مبادئ مشتركة خاصة بالمنطقة العربية من شأنه أن يساعد البلدان التي تشهد مراحل انتقالية في تاريخها السياسي، إذ انه لا يمكن اختزال التحول الديمقراطي في مشاريع دساتير جديدة أو إجراء الانتخابات، بل الأجدر إتباع نهج أوسع نطاقا في المحاسبة على الماضي والملاحقة الجنائية والانتصاف للضحايا، وإصلاح المؤسسات الرئيسية.

فالعدالة الانتقالية ترتبط بمرحلة هامة من تاريخ الحياة السياسية للدول، بحيث تعدّ وسيلة لتجاوز الجمود السياسي داخل الدول السائرة نحو الديمقراطية، إذ تهدف إلى معالجة ارث القمع السياسي والملاحقات الأمنية للنشطاء السياسيين، كما أن المسألة الأكثر حساسية في موضوع العدالة الانتقالية، تتعلق بالمساءلة ومايترتب عليها؛ والتي تتخذ طرقا مختلفة للوصول إلى الحقيقة وتعويض الضحايا.. من ناحية أخرى ينبغي تعزيز دور المجتمع المدني الذي يمكن أن يكون شريكا فاعلا ومكملا للدولة في مشروعها العدالي.

وتحقيق العدالة في هذا السياق ثوريا لا يعني الانتقال من سلالة من الحكام إلى سلالة أخرى، وإنما نعني به الانتقال من آليات في ممارسة الحكم إلى آليات أخرى أفضل. والعدالة بهذا الشكل لا تتحقق إلا بقيام دولة القانون، تلك التي تجمع في الآن ذاته بين الحقوق والواجبات، وتضمن التوازن بينها، لأن الواجب الذي لا يقابله حقّ يتحول إلى قهر، والحق الذي لا يقابله واجب يتحول إلى فوضى وانحلال. ودولة القانون وحدها هي التي تنجح في تجنب القهر والفوضى معا وهي "المدينة الفاضلة" للعصر الحديث، وينبغي أن تكون الهدف الأسمى في الإصلاحات التي يجب أن تتضمنها المراحل الانتقالية. (فؤاد صلاحي، 2014، 112)

هذا وبالإضافة إلى العديد من التساؤلات المهمة التي تحتاج الأنظمة السياسية العربية أن تتفق حولها، فهي بحاجة لتعريف النمو الاقتصادي العادل، تحديد مرتكزاته، وإنشاء آلية لقياس درجة تحقيق العدالة الاجتماعية في العالم العربي بشكل دقيق، بمعنى أدق؛ قياس درجة مطابقة السياسات الاقتصادية والاجتماعية للعدالة الاجتماعية. كما يجب أن يهتم المتخصصون بكيفية إدماج فكرة العدالة الاجتماعية بشكل فعّال في السياسات العامة وتطبيقها بشكل عملي، وكيف يمكن الضغط والمتابعة لتطبيق ما نصّت عليه الدساتير من مبادئ على الأرض بشكل عملي.

ج- الإصلاح المؤسسي أثناء المراحل الانتقالية

من الضروري أن تتبنى الدول التي تشهد مرحلة انتقالية نحو الديمقراطية، إصلاحات تشمل مؤسساتها الرسمية وغير الرسمية، بهدف تمكين البلاد من تحقيق الأهداف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بعيدة المدى. ويجب التركيز خلال ذلك على كيفية إعادة بناء الثقة بين هذه المؤسسات والشعب، بحيث يتوجب إعادة هيكلة مؤسسات الدولة لاسيما تلك التي كانت متواطئة في أعمال العنف

والانتهاكات ضد المواطنين وما يتطلبه أيضا من تفعيل لآليات المحاسبة.

علاوة على ذلك يمكن أن تكون الإصلاحات الدستورية والقانونية وإصلاحات أجهزة الشرطة، التي تهدف إلى تعزيز الديمقراطية وحقوق الإنسان وسيادة القانون، ذات أهمية واضحة في عديد المجالات ، مثل ملكية الأراضي، ضرائب الدخل، الإنصاف في الأجور، وتعيين القضاة وتولي المناصب، الترقية والانضباط، إجراءات الانتخابات استقلال وسائل الإعلام، حرية الحصول على المعلومات، تمويل الأحزاب السياسية والقانون الجنائي والإجراءات الجنائية... مما يعني أن محاولة إصلاح البنى المؤسساتية لهيئة ما سينعكس على العديد من الهيئات الأخرى.(رضوان زيادة، 2011، 169)

مما يوضح لنا أهمية تفعيل الإصلاح المؤسسي أثناء المرحلة الانتقالية، إذ يعد بمثابة المكون الخاص بضمان عدم تكرار تجاوزات النظام السابق مستقبلا، ومكافحة الفساد والحيلولة دون تكرار التجاوزات الحقوقية والمالية والسياسية التي حدثت سابقا، ولاسيما في ظل تزايد الضغوط الدولية على الدول التي تمر بمراحل انتقالية، بل وأصبحت حتى المؤسسات المالية الدولية والمنظمات والجمعيات غير الحكومية والرأي العام العالمي تشكل مصادر ضغط قوية على الأنظمة السياسية من اجل دفعها نحو الإصلاح المؤسسي.

الخاتمة

نخلص إلى أنه توجد في كل مجتمع من المجتمعات نخبة أتيحت لها إمكانية الاضطلاع بأدوار رئيسية ومهمة في مختلف المجالات ونظرا لتعدد الرؤى والمقاربات في هذا الشأن؛ يطرح موضوع النخبة صعوبات مفاهيمية جمة. فيرتبط مفهوم النخبة Elite بتوزيع السلطة والقوة والنفوذ داخل المجتمع، وهي صاحبة الدور الكبير في قيام الدولة وتشكيل نظامها السياسي بل وفي تقرير مصير بقية النخب الأخرى، وهي القادرة على تشكيل الأحداث العامة في البلاد.

والمعروف في نظريات العلوم السياسية أن الشعوب تنتفض وتصنع الثورات، أما النخب فهي التي تصنع التاريخ بإدارتها الصحيحة للمرحلة الانتقالية عقب هذه الثورات، و يجدر الإشارة إلى أن دور النخبة السياسية في الحراكات التي شهدتها بعض الدول العربية بعد 2010 لا يتوقف عند تعبئة جماهير الشعب لممارسة الضغط على السلطة القائمة، ولا ينتهي بقبول الأخيرة للتعددية وإجراء تحولات مؤسساتية فيما يخص الانتخابات ومجالس التمثيل، فتحقيق الانتقال الديمقراطي يتطلب نضالا سياسيا مستمرا منها ذا طابع فكري أيديولوجي بالأساس يستهدف استنفار الطاقات المجتمعية لدعم المشروع الديمقراطي، وحتى يكون هناك نوع من الحيلولة دون انتكاسة هده التجارب .

كما يجب التأكيد على دور العامل الخارجي ومواقف القوى الإقليمية من الانتقال الديمقراطي ودورها في حيثيات المراحل الانتقالية في الدول العربية، فهي نقطة أخرى لا يجب إغفالها من خلال التأكيد على التأثير البالغ لبلدان الخليج والولايات المتحدة في ذلك وسعيها إلى التأثير في الظروف الداخلية بما يحقق مصالحها الإستراتيجية. حيث اعتمد تدخل الفاعلين الإقليميين في دلك على موارد مادية واسعة، وجهود داعمين محليين يعملون على تنفيذ الأجندات الإقليمية.

إذ يجب التأكيد مرة أخرى على أن مفهوم الانتقال الديمقراطي ليس خطوة مرحلية ولكنه عملية مستمرة ممتدة، ومن المهم خلال المراحل الانتقالية بناء أرضية مشترك، والبحث عن عوامل الوحدة وبخاصة مع القوى الرافضة للديمقراطية، فالتحول الناجح للديمقراطية يجب أن يكون مشروعا قوميا وهدفا مشتركا لكافة طوائف الشعب حتى توفر له الدعم وتمنحه الرسوخ، ومن ناحية أخرى إحداث تغيير ثوري للعادات والسلوكيات السياسية في المجتمع وإرساء ثقافة ديمقراطية تتسم بالإيجابية والمشاركة وقبول التعدد والاختلاف. كل ذلك لا يتم إلا إذا ركزت النخب السياسية التي تدير المرحلة الانتقالية على ثلاثة مواضيع أساسية، التوافق والحوار الوطني، الإصلاح المؤسسي وتحقيق العدالة الانتقالية.

قائمة المراجع

ببليوغرافيا

-ارنت ليبهارت. (2006). الديمقراطية التوافقية في مجتمع متعدد. بغداد: دار الفرات.

-اشتي فارس وآخرون. (2014). الحركات الاحتجاجية في الوطن العربي :مصر ،المغرب ،لبنان ،الجزائر ،البحرين ،سورية ،الاردن (الإصدار 2). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

-امل حمادة. (2008). الخبرة الايرانية: الانتقال من الثورة الى الدولة. بيروت: الشبكة العربية للابحاث والنشر.

-ايمان احمد رجب. (2011). المفاهيم الخاصة بتحليل انهيار النظم السياسية. مجلة السياسة الدولية ، 184.

-حنة ارندت. (2008). في الثورة. المنظمة العربية للترجمة: بيروت.

-دعاء الجهني. (2014). تحديات مرحلية: مؤتمر اشكاليات العلاقة بين الداخل والخارج في المرحلة الانتقالية المصرية. تم الاسترداد من السياسة الدولية : http://bit.ly/2FFjUNO

-رحال بوبريك. (ابريل ، 2014). الاقليات الاثنية في زمن الانتقال الديمقراطي . تم الاسترداد من مركز الجزيرة للدراسات : http://bit.ly/2HlijcW

-رضوان زيادة. (2006). الديمقراطية التوافقية كمرحلة اولية في عملية التحول الديمقراطي في الوطن العربي. المستقبل العربي .

-رضوان زيادة. (2011). كيف يمكن بناء تونس ديمقراطية ،العدالة الانتقالية للماضي وبناء المؤسسات للمستقبل. المجلة العربية للعلوم السياسية ، 30.

-سيف الدين مُحَمَّد عبد الفتاح. (2014). مرحلة الانتقال بعد الثورة: بين حسابات الادارة والارادة. تم الاسترداد من http://bit.ly/2FEcR7S

-شاكر الانباري. (2007). الدمقراطية التوافقية مفهومها ونماذجها. بغداد: معهد الدراسات الاستراتيجية.

-شيماء حطب وآخرون. (2012). الثورة المصرية الدوافع والاتجاهات والتحديات. بيروت: المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات.

-عبد الغفار رشاد القصبي. (2006). التطور السياسي والتحول الديمقراطي: الكتاب الثاني:الحراك السياسي وادارة الصراع. القاهرة.

-عبد الله ،حسن نادية. (سبتمبر ، 2011). هل نحن في حاجة الى الديمقراطية التوافقية في المرحلة الانتقالية للتحول نحو الديمقراطية والدولة المدنية. تم الاسترداد من الحوار المتمدن: https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=273747

-عبد الله التركماني. (2013). اقوم المسالك لنجاح الانتقال الديمقراطي في تونس . المستقبل اللبنانية .

-عزمي بشارة. (2014). نوعان من المراحل الانتقالية وما من نظرية. بيروت: المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات.

-فؤاد الصلاحي وآخرون. (2009). لماذا انتقل الاخرون الى الديمقراطية وتأخر العرب ؟ بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

-لكريني ادريس. (2014). النخبة السياسية وازمة الاصلاح في الوطن العربي. تم الاسترداد من الحوار المتمدن: http://bit.ly/2p2pZti

-متروك بن هايس الفالح. (القاهرة). نظريات العنف والثورة. 1999: مركز البحوث والدراسات السياسية.

-مُحَمَّد صفار. (2011). ادارة مرحلة مابعد الثورة ، حالة مصر. مجلة السياسة الدولية ، 184.

-مُحَمَّد محي الدين. (2011). تقرير موجز حول التجارب الدولية والدروس المستفادة والطريق قدما . برنامج الامم المتحدة الانمائي.

-مُحَمَّد نصر عارف. (2002). ابستمولوجيا السياسة المقارنة (النموذج المعرفي-النظرية-المنهج) . بيروت.

-مصطفى النشار. (1999).تطور الفكر السياسي من صولون حتى ابن خلدون.القاهر: دار قباء.

-نوفل احمد سعيد وآخرون. (2012). ادارة المرحلة الانتقالية بعد الثورات العربية. الاردن: مركز دراسات الشرق الاوسط.

-نيفين مُحَمَّد توفيق. (2014). المرحلة الانتقالية بين مطالب الثورة واداء النظام . تم الاسترداد من المعهد المصري الديمقراطي: http://bit.ly/2oVLfkW

-هناء عبيد. (2011). عنف الثنائيات في مرحلة مابعد الثورات. مجلة السياسة الدولية ، 184.

-وائل جمال وآخرون. (2014). العدالة الاجتماعية: المفهوم والسياسات بعد الثورات العربية. القاهرة: منتدى البدائل العربي للدراسات.

باللغة الأجنبية

-D Lasswell , daniel, lerner Harold .(2010) .political elite in a democracy . transaction publishers.

-karl popper : تم الاسترداد من http://bit.ly/2p00XM7. (بلا تاريخ).

-L, Munck Gerardo) .april 1994 .(Democratic, transition in comparative prespective .comparative politics.362 ،

-scott mainwaring .(1989) .transition to democracy and democratic consolidation, theoretical and comparative issue . kellogg institute.

الجهود الدولية لمواجهة الغازات الدفيئة: «بين المسؤولية عن غازات الرفاه والحق في غازات النجاة»

International Efforts to Confront Greenhouse Gases: (Between The Responsibilty On Luxury Emissions and The Right to Survival Emissions)

تاريخ الإرسال: 2019-06-13 تاريخ القبول: 2020-12-09

فارس عليوي، جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، aliouifaris@yahoo.com

الملخص

تثير مسألة المسؤولية حول الغازات الدفيئة في القانون الدولي للبيئة العديد من الإشكاليات نظرا لارتباطها بالمصالح الاقتصادية للدول. فإرساء قواعد الإنصاف في العلاقات الدولية أصبح ضروريا لتمتع الدول بنفس الظروف لتحقيق تنميتها ، ولتحمل كل دولة مسؤوليتها بحسب مساهمتها في التلوث وبحسب إمكانياتها المادية والتكنولوجية. فمن غير الممكن المساواة بين الغازات المنبعثة حاليا من الدول المتقدمة وتلك الغازات المنبعثة من الدول النامية ، فظروفها الاقتصادية والاجتماعية تجعل مستقبلها يتوقف على الزيادة في هذه الانبعاثات. وقد بذلت العديد من الجهود الدولية لتحديد مسؤولية الدول حول الغازات الدفيئة ، وتقوم كل هذه الجهود على مبدأ أساسي وهو مبدأ المسؤولية المشتركة والمتباينة.

الكلمات المفاتيح: المسؤولية المتباينة ، المسؤولية المشتركة ، العدالة ، حماية البيئة ، الغازات الدفيئة ، التنمية ، التغير المناخي.

Résumé

La question de la responsabilité sur les gaz à effet de serre dans le droit international de l'environnement soulève de nombreux problèmes car elle est liée aux intérêts économiques des états. L'établissement de l'équité dans les relations internationales est essentiel pour que les états jouissent des mêmes conditions pour leur développement. Chaque pays est responsable en fonction de sa contribution à la pollution et de ses capacités financières et technologiques. Il n'est pas possible d'égaliser les gaz émis par les pays développés et ceux émis par les pays en développement, leur conditions économiques et sociales rendent leur avenir dépendant de l'augmentation de ces émissions. De nombreux efforts internationaux ont été déployés pour déterminer la responsabilité des états en matière de gaz à effet de serre, tous ces efforts sont fondés sur un principe fondamental, le principe de responsabilité commune mais différenciée.

Mots-clés : responsabilité différenciée, responsabilité commun, equité, la protection de l'environnement, gaz à effet de serre, développement, changement climatique.

Abstract

the issue of liability for greenhouse gases in international environmental law raises many problems because it is linked to the economic interests of states. The establishment of justice and morals in international relations is essential for states to enjoy the same conditions to achieve the development. Each country is responsible according to its contribution to pollution and its financial and technological capabilities. It is not possible to equate the gases emitted from developed countries and those emitted from the developing countries, their economic and social conditions make their future dependent on the increasing in these emissions. Many international efforts have been made to determine the responsibility of states for the greenhouse gases. All these efforts are based on a fundamental principle; common but differentiated responsibility.

KeyWords: differentiated responsibility, common responsibility, equity, environment protection, greenhouse gases, development, climate change.

مقدمة

إن أبرز تحدي يواجهه العالم حاليا إشكالية التغير المناخي وتبعاته الخطيرة على استمرار الحياة على هذا الكوكب. وقد نوقش هذا الموضوع في العديد من المؤتمرات العالمية التي ما فتئت توصي بضرورة خفض الانبعاثات الغازية التي تشهدها الدول حاليا ، والتضحية بجزء من الوتيرة التنموية الصناعية الحالية في سبيل ضمان مستقبل آمن. ودعت إلى ضرورة الانتقال إلى التنمية النظيفة والمستدامة بالاعتماد على مصادر طاقة أقل تلويثا على البيئة العالمية. إلا أن تعاطي الدول وخاصة المتقدمة منها مع هذه المسألة يختلف تبعا لمصالحها ومصادر ثروتها ، نظرا للتكلفة الاقتصادية الباهظة التي يمكن أن تدفعها الدول في سبيل تجسيد التعهدات لحماية الأرض من مخاطر التغير المناخي.

فالولايات المتحدة الأمريكية رفعت شعار "أمريكا أولا" ، وانسحبت من اتفاق باريس حول المناخ. فاشترطت ضرورة مشاركة الدول بما فيها النامية خاصة تلك الدول الناشئة في الجهود العالمية لمواجهة التغير المناخي. في حين فإن هذه الدول تعاني من أوضاع اقتصادية واجتماعية صعبة ، وهو ما يجعلها تولي الأهمية القصوى لتحقيق التنمية. فهي تعاني من الفقر فكيف لها أن تقنع من ليس له منزل ولا مسكن ولا أكل بضرورة المحافظة على البيئة ، وكيف لها أن تجعل مسألة التغير المناخي والتي كان سببها الرئيسي الدول المتقدمة من أولوياتها القصوى؟ فالفقر كما تم التعبير عنه يمثل أسوأ أشكال التلوث.

حققت الدول المتقدمة التنمية على حساب الدول النامية ونفثت مختلف الغازات المنبعثة من منشآتها في الجو على مر العقود الماضية بدون أي قيود وضوابط. فاليوم أصبحت الدول المتقدمة تطالب بوضع قيود على التنمية لحماية البيئة ، كما أنها دعت إلى انتهاج التنمية المستدامة والتي بحسب العديد من الكتاب فهي تعني الحد من التنمية. فالدول النامية إلى وقت قريب في فترة ما قبل انعقاد مؤتمر ريو دي جانيرو 1992 كانت تنظر بعين الريبة إلى تركيز الدول المتقدمة على مسألة حماية البيئة ، بل العديد من الدراسات وصفته بأنه نوع من الاستعمار الجديد الذي يستهدف إستبقاء التبعية الإقتصادية.

فمطالبة الدول المتقدمة بمشاركة الدول النامية بنفس المسؤولية التي تتحملها هو إجحاف في حقها ، نظرا لتباين مسؤوليتها وظروف كل دولة. وهو أيضا هدم لأهم المبادئ التي قامت عليها الجهود الدولية لمواجهة التغير المناخي القائمة أساسا على مبدأ العدالة بين الدول ومبدأ المسؤولية المشتركة والمتباينة. فالدول المصدرة للبترول على سبيل المثال التي كانت بمثابة الوقود الذي زود الدول المتقدمة بالطاقة اللازمة والتي حقق من خلالها التطور ، تحتاج اليوم إلى مساعدات من هذه الدول للاندماج مع التوجه العالمي لمواجهة التغير المناخي بمنحها مزيدا من الوقت. وقد عبر على ذلك المندوب الصيني في قمة طوكيو حول التغير المناخي عام 1997 بقوله أنه يتوجب التفرقة بين الغازات المنبعثة من الدول النامية والتي تعتبر بمثابة طوق النجاة بالنسبة إليها ، في حين فإنه اعتبر الغازات المنطلقة من الدول المتقدمة تعتبر بمثابة غازات البذخ والرفاه. فالدول النامية يتحتم عليها إطلاق هذه الغازات ولا بديل لها ، في حين فإن الدول المتقدمة يمكنها الإنقاص من هذه الغازات وإيجاد البديل مادامت تمتلك الإمكانيات المادية والتكنولوجية.

تصطدم الجهود المبذولة لمواجهة التغير المناخي بتحديد العلاقة بين التنمية والبيئة وأيهما أولى ، وهو ما يفتح الصراع بين الشمال والجنوب خاصة مع ظهور الدول الناشئة بوتيرة تنموية صناعية سريعة. إلا أن الملاحظ أن هذا الصراع لم يعد يقتصر على الشمال والجنوب إنما ظهرت تحالفات جديدة بين الدول تبعا للمصالح التي تربطها. فالهيئة الحكومية المعنية بتغير المناخ التي أنشأت عام 1992 تبقى أهم إطار أين يلتقي فيه كل الشركاء الدوليين لمناقشة الحلول الممكنة لمسألة التغير المناخي ، والوصول إلى توافقات دولية.

فالبحث عن كيفية الوصول إلى التحكم في الغازات الدفيئة المسببة للاحترار العالمي ، دون المساس على قدرة الدول في مواصلة تنميتها أصبح من المسائل الشائكة التي تستدعي البحث فيها للوصول إلى الآليات الممكنة التي تجعل كل الدول المتقدمة والنامية منها تنخرط في هذا المسعى الدولي. ففي ظل التجاذبات بين دول الشمال والجنوب نتساءل ماهي الإلتزامات التي تقع على الدول للتخفيف من

الغازات الدفيئة المنبعثة منذ عقود في الجو؟ وعلى أي أساس تتحمل هذه الالتزامات؟

سنحاول معالجة موضوع بحثنا من خلال النقاط التالية:

أولا: المبادئ المؤسسة لمسؤولية الدول حول الغازات الدفيئة

1- مبدأ المسؤولية المشتركة والمتباينة

2- مبدأ العدالة

ثانيا: إلتزامات الدول في ظل الاتفاقيات الدولية المتعلقة بالتغير المناخي

1-اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن التغير المناخي

2-بروتوكول كيوتو لعام 1997

3-اتفاق باريس لعام 2015

أولا: المبادئ المؤسسة لمسؤولية الدول حول الغازات الدفيئة إن الأنشطة البشرية أدت إلى تزايد كبير في

إن تحقيق الأهداف المبتغاة من طرف مختلف الفواعل الدولية لمواجهة التغيرات المناخية يتطلب التعاون الكامل ، وهو ما جاء في المبدأ 24 من إعلان استوكهولم حول البيئة البشرية الذي نص:" **على جميع الدول كبيرة وصغيرة أن تتولى بروح من التعاون وعلى أساس المساواة، معالجة المسائل الدولية المتعلقة بحماية البيئة والنهوض بها...**" (إعلان استوكهولم حول البيئة الإنسانية ، 1972). إلا أن تحقيق هذا التعاون يصطدم بالعديد من الصعوبات نظرا لاختلاف أهداف ومصالح الدول. فالنامية منها مازالت إلى يومنا الحالي تبحث عن الزيادة في غازاتها للتخلص من أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية المتردية. فكيف يمكن أن نلزم هذه الدول على الحد من إنبعاثاتها الغازية التي هي بالنسبة إليها خلاص وقطيعة مع الفقر ومختلف أوجه التخلف. في حين كيف يمكن أن نقنع دول متقدمة في ظل التنافس الإقتصادي العالمي الشديد بتخفيض إنبعاثاتها الغازية في سبيل إنقاذ مستقبل البشرية ، فبالنسبة إليها يعني الدخول في ركود اقتصادي. هذا ما يترجم إلى حد الساعة مخاوف وعزوف الدول الكبرى كالولايات المتحدة الأمريكية على المصادقة على أهم الاتفاقيات الدولية المتعلقة بالمناخ تلوث الجو ، وأصبح النظام البيئي العالمي مهدد أكثر من أي وقت مضى. فبالرغم من عدم وجود يقين علمي بشأن التغيرات المناخية التي ستحصل في المستقبل من خلال تزايد درجات الحرارة على سطح كوكب الأرض ، إلا أن هذا لا يمكن أن يكون مبرر لعدم اتخاذ الإجراءات اللازمة. فالعديد من الغازات الدفيئة المتواجدة في الغلاف الجوي كثاني أكسيد الكربون ، الميثان ، أكسيد النيتروجين تحافظ على حرارة الأرض ، فعدم وجودها يعني انخفاض درجة حرارة الأرض إلى أقل من 30 درجة مئوية عما هي حاليا. ولكن الإفرازات المكثفة لهذه الغازات في فترة ما بعد الثورة الصناعية من مختلف الأنشطة الصناعية ، جعلت هذه الغازات مؤثرة على المناخ العالمي بحيث يتوقع العلماء ازدياد درجة حرارة الأرض من 2 درجة مئوية إلى 5 درجات مئوية خلال القرن الحادي والعشرين. و من المتوقع في نهاية القرن الحالي أن يصاحب ارتفاع درجة الحرارة الزيادة في منسوب البحار بنسبة تتراوح بين 30 إلى 65 سم (جويلي ، 2002، ص ، ص 02، 06).

العالمي. فالولايات المتحدة الأمريكية لم تصادق على بروتوكول كيوتو بحجة أنه سيضر باقتصادها ، كما أنه يخدم مصالح الدول النامية فقط. والتساؤل هنا ألا يعتبر تقدم الدول الصناعية بمثابة إثراء غير مشروع على حساب الدول النامية؟ من هذا المنطلق ينبغي أن يتم التعامل مع هذه الإشكالية على أساس العدالة ، وهو ما جاء في المبدأ السابع من إعلان ريو دي جانيرو لعام 1992 حول البيئة والتنمية الذي كرس أحد أهم مبادئ القانون الدولي للبيئة المتعلق بضرورة إدماج العدالة والأخلاق في العلاقات الدولية وهو مبدأ المسؤولية المشتركة والمتباينة.

1- مبدأ المسؤولية المشتركة والمتباينة

نص المبدأ السابع من إعلان ريو دي جانيرو لعام 1992 حول البيئة والتنمية على ما يلي: "**تتعاون الدول بروح من المشاركة العالمية، في حفظ وحماية واستعادة صحة وسلامة النظام الإيكولوجي للأرض. وبالنظر إلى المساهمات المختلفة في التدهور العالمي للبيئة، يقع على عاتق الدول مسؤوليات مشتركة وإن كانت متباينة. وتسلم البلدان المتقدمة النمو بالمسؤولية التي تتحملها في السعي على الصعيد الدولي، إلى تحقيق التنمية المستدامة بالنظر إلى**

الضغوط التي تلقيها على مجتمعاتها على كاهل البيئة العالمية، وإلى التكنولوجيات والموارد المالية التي تستأثر بها " (إعلان ريو دي جانيرو حول البيئة والتنمية ، 1992).

إن هذا المبدأ أشار فقط إلى الدول إلا أن هذا لا يعني عدم إشراك الفواعل الدولية الأخرى ، كما أنه تضمن على مفهوم المشاركة العالمية والتي تعتبر صياغة جديدة لمفهوم التعاون. فهذا المبدأ يهدف إلى تعزيز روح المشاركة بين الدول النامية والمتقدمة مع تحمل كل دولة لمسؤوليتها تبعا لمدى مساهمتها في التلوث العالمي ، وقدرتها المادية والتكنولوجية على مواجهة هذه الأخطار البيئية. هذا ما جاء أيضا في المادة الثالثة من اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية حول التغير المناخي لعام 1992. فالاختلاف في المسؤولية يستتبع بالضرورة الاختلاف في الإلتزامات القانونية لمختلف الأطراف ، وهذا لمراعاة ظروف بعض الدول ولتشجيع الدول على الانضمام لهذه الجهود (إعلان ريو بشأن البيئة والتنمية: التطبيق والتنفيذ ،1997 ، ص ، ص 13 ، 14).

ونصت ديباجة اتفاقية التنوع البيولوجي لعام 1992 على " **حماية التنوع البيولوجي يعتبر اهتمام مشترك للبشرية"** (Convention on Biological Diversity, 1992). [9]استعمال هذا المصطلح لا يعني بالضرورة خلق إلتزامات جديدة اتجاه الدول ، إنما يختلف عن المفاهيم الأخرى في كونه أعم وأشمل ، فهو مرتبط بكافة المصالح التي تعم البشرية جمعاء. والبيئة تعتبر من المصالح العامة للجماعة الدولية نظرا لارتباطها بمختلف حقوق البشرية (Brunnée, 2007, 564) . يثير استعمال هذا المصطلح مخاوف العديد من الدول النامية خشية من استعماله لأغراض أخرى. فالغابات التي تمثل مستودع لامتصاص مختلف الغازات الدفيئة تمثل إشكالية كبيرة في كيفية تنظيمها ، نظرا لأنها من جهة تمثل ثروة خاصة بدولة معينة ومن جهة أخرى فإنها تعتبر كمصلحة عامة للبشرية يستوجب على المجتمع الدولي حمايتها لكونها أيضا هي الحاضنة لمختلف الأنواع الحيوانية والنباتية. فهل الدول ستسمح بالتدخل في كيفية تنظيم ثرواتها من أجل مستقبل الحياة على هذا الكوكب ؟

تمتد المسؤولية المشتركة للدول إلى التراث المشترك للإنسانية والتي يقصد بها كل المناطق والثروات التي تقع

1-1-المسؤولية المشتركة

يعود استخدام مصطلح المسؤولية المشتركة إلى عام 1949 أين اعتبرت العديد من الدول أن سمك التونة وأنواع أخرى من السمك من الاهتمام المشترك (common concern) لها نظرا للاستغلال المستمر لهذه الثروة. فالدول تقع عليها مسؤولية مشتركة للتعاون في حماية مختلف الأوساط والثروات الطبيعية ، وتطبق هذه المسؤولية عند اعتبار الثروة الطبيعية لا تقع ضمن الاختصاص الإقليمي لدولة معينة بمعنى لا تعتبر ملكية دولة واحدة (Sands, 2003, p 286). فالدول في الآونة الأخيرة أصبحت تستعمل مصطلح "الاهتمام المشترك" ، وهو ما يتضح من خلال الاتفاقيات البيئية المبرمة. فديباجة اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية للتغير المناخي لعام 1992 نصت على " **أن التغير في مناخ الأرض والآثار السلبية الناتجة عنه يعتبر محل اهتمام مشترك للبشرية"** (United Nations Framawork Convention on Climate Change, 1992).

خارج ولاية وسيادة الدول (Bilderbeek, 1992, p 82). فاعتبار منطقة أو ثروة طبيعية كتراث مشترك للإنسانية تصبح مفتوحة لكافة الدول لإستغلالها. فتم اعتبار القمر والأجرام السماوية بموجب الفقرة الأولى من المادة 11 من الاتفاق المنظم لأنشطة الدول على سطح القمر والأجرام السماوية الأخرى لعام 1979 كتراث مشترك للإنسانية جمعاء. كما نصت المادة 136 من اتفاقية الأمم المتحدة للبحار لعام 1982 على اعتبار المنطقة من التراث المشترك للإنسانية ، وأوردت ذات الاتفاقية تعريف المنطقة بنصها: **"تعني "المنطقة" قاع البحار والمحيطات وباطن أرضها خارج حدود الولاية الوطنية..."**. كما يعتبر المحيط المتجمد الجنوبي (الأنتاركتيك) بموجب اتفاق عام 1959 من التراث المشترك للإنسانية.

تتقاسم الدول العديد من الثروات المشتركة كالمياه ، النفط والمعادن ...إلخ وهو ما يستوجب عليها التعاون لتنظيم استغلالها ولحمايتها من مختلف الأضرار التي يمكن أن تلحق بها. فالمجاري المائية الدولية كانت محل نقاش للعديد من المؤتمرات نظرا لأهميتها وكذا تناقصها في المستقبل ، فهي بموجب اتفاقية المجاري المائية الدولية لعام 1997 تعتبر

"كثروة مشتركة". فلا يمكن لأي دولة تتشارك في نفس المورد المائي أن تستأثر به ، إنما ينبغي عليها أن تقوم بمراعاة مصالح الدول الأخرى المتقاسمة لنفس الثروة الطبيعية طبقا لمبدأ الاستغلال العادل والمتوازن (Fitzmaurice, 2005, p- p 08-12).

1-2-المسؤولية المتباينة

تتحمل الدول مسؤوليات متباينة حول أسباب التدهور البيئي ، وهذا تبعا لمسؤوليتها حول وقوع هذه الأضرار ومدى قدراتها المالية والتكنولوجية للتصدي لها. فالدول المتقدمة تتحمل النصيب الأكبر من المسؤولية نظرا لأنها هي المتسبب الرئيسي في غازات الإحترار العالمي ، بحيث أنها شهدت طفرة اقتصادية وصناعية منذ مدة. وعلى هذا الأساس جاءت الفقرة الأولى من المادة الثالثة من اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية للتغير المناخي تدعو الدول المتقدمة لكي تكون المبادرة لمواجهة هذه الظاهرة ومختلف الآثار المترتبة عنها. وأضافت الفقرة الثانية من ذات المادة على أنه يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار ظروف والحاجات الخاصة للدول النامية في إطار هذه الاتفاقية (اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية للتغير المناخي ، 1992). فالمسؤولية المتباينة يمكن أن تأخذ العديد من الأشكال كتمديد الآجال لبعض الدول لتحمل إلتزاماتها ، أو النص على إلتزامات مختلفة بين الدول بالنظر لقدراتها ومساهماتها ، أو تكريس آليات المرونة والمساعدة للدول النامية (Michelot, 2010, p 190).

إن الدول الصناعية التقليدية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية مازالت تتهرب من الإلتزامات البيئية الدولية ، بحجة تأثر اقتصادها واستفادة اقتصاديات أخرى. كما أنها تطالب بضرورة مشاركة الدول الناشئة في تحمل نسبة من الإلتزامات المفروضة على أعضاء المجتمع الدولي. فبحسبها فإنه لا يمكن استثناء هذه الدول إلى ما لا نهاية وتبقى هي المستفيد من الإمتيازات الممنوحة للدول النامية ، متناسية بذلك مختلف الإنبعاثات المتراكمة التي تسببت فيها الدول المتقدمة على مدى العقود السابقة. فهذه الدول الناشئة حتى وإن كانت تشهد وتيرة صناعية سريعة ، فإن هذا لا يخفي أنها لا تزال تعاني من العديد من الآفات خاصة الفقر ، فما مدى مسؤولية هذه الدول ؟

1-2-1- المسؤولية التاريخية للدول الصناعية

أثارت هذه المسألة صراع بين الدول المتقدمة والنامية ، بحيث طالبت هذه الأخيرة بتحمل الدول الصناعية مسؤوليتها بما أحدثته من تلوث وزيادة في الغازات المسببة للإحتباس الحراري. فأثناء المفاوضات حول صياغة اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية للتغير المناخي لعام 1992 تم إثارة هذه الإشكالية ، حيث اتضح أن أغلب الدول المتقدمة من دول الاتحاد الأوروبي ، اليابان لها قابلية لتحمل إلتزامات أكثر من الدول النامية لاعتبارات عملية. فهذه الدول حققت التنمية وفي مقابل هذا تسببت في تلوث كبير ، كما أن اعتبارات تحقيق العدالة بين الدول بمراعاة ظروف الدول وأوضاعها يفرض أن تتحمل الدول نسب مختلفة من الإلتزامات ((Katrine, 2006, 385 . في حين فإن الولايات المتحدة الأمريكية رفضت مختلف الإلتزامات في إطار الجهود الدولية لمواجهة التغيرات المناخية ، واعتبرتها تصب في خدمة الدول النامية فقط ولا تخدم اقتصادها الذي سيتأثر بالإلتزامات البيئية.

تشير الإحصائيات إلى أن ارتفاع نسبة غاز ثاني أكسيد الكربون في الغلاف الجوي في الفترة الممتدة بين عام 1970 إلى 2004 بما مقداره 80%. ويفسر هذا بالأنشطة البشرية المتسارعة خلال هذه الفترة من مختلف الصناعات والطاقة خاصة منها الطاقات الأحفورية ، النقل إضافة إلى النمو السكاني السريع وما يستتبعه من ازدياد الاستهلاك العالمي (الهيئة الحكومية المعنية بتغير المناخ ، (التقرير التقييمي الرابع) تغير المناخ ، 2007 ، ص 36). ففي الوقت الحالي نجد أن الدول النامية يمثل سكانها ما نسبته 76.5% من سكان العالم وهي مسؤولة عن 39.9% من الغازات الحالية ، في حين فإن الدول الصناعية التي يمثل سكانها ما مقداره 17.7% من سكان العالم وهي مسؤولة عن 51% من هذه الغازات. ويضاف لها تلك الغازات المتراكمة على مدى العقود السابقة والتي كان سببها الأساسي الدول الصناعية. فأنشطة هذه الدول أدت إلى تدهور البيئة في وقت لا يوجد فيه معرفة علمية بمخاطر هذه الأنشطة ، وفي غياب قواعد دولية تمنع الأنشطة التي تؤدي إلى تلويث البيئة. إلا أن أحد الأسئلة التي تثار حاليا كيف للجيل الحالي أن يكون مسؤول عن أفعال

الأجيال السابقة؟ (Rajamani, 2006, p 139) إن الأجيال الحالية استفادت من التلوث الذي أحدثته الأجيال الماضية، وعلى هذا الأساس فكما استفادوا فتقع عليهم مسؤولية تحمل النتائج لهذه الأنشطة. فالأجيال السابقة، الحالية والمستقبلية لهم مستقبل مشترك، فالحياة في هذا الكوكب عبارة عن حلقات يتعاون فيها مختلف الأجيال. فلم يقوموا بدفع أي تكاليف وعليه فإن المسؤولية المتباينة جاءت لتصحح الفوارق الموجودة بين الأجيال الحالية للدول النامية ونظيرتها في الدول المتقدمة. وتبرز من جهة أخرى احتجاج العديد بعدم وجود أي إلتزام صريح في تلك الحقبة التي شهدت الدول الصناعية ذروتها في النمو يمنع صراحة الزيادة في الغازات المسببة للاحتباس الحراري. ولكن فإن عدم وجود نص صريح لا يمنح الحق لهذه الدول في التلويث. هذا الأمر يتضح من الرأي المعارض Shahbudeen في قضية التجارب النووية أين أرسى قيود لحرية الدولة. بحيث أنه يرى حتى في حالة غياب أي منع صريح فإن بعض الأنشطة التي تقوم بها الدول على أساس أنها حقوق لها، فإنها لا تعتبر كذلك نظرا لكونها يمكن أن تهدم حياة البشر والحضارات، ولكونها تشكل تهديد للأساس الذي قامت عليه الدول (Rajamani, 2006, p 141).

إن الغازات التي تسببت فيها الدول الصناعية تحمل انتهاك لسيادة الدول الأخرى، باعتبار أنها يمكن انتقالها دون إمكانية منع ذلك. فالعديد من الدول ستتأثر بصفة كبيرة منها خاصة تلك الدول الجزرية الصغيرة المهددة حاليا بزيادة منسوب المياه وبالتالي غمر العديد من الأقاليم. فالدول الصناعية مدعوة لتدارك الأخطاء التي وقعت فيها والعمل على بناء مستقبل آمن للكوكب.

1-2-2-مسؤولية الدول الناشئة

إن النظرة التقليدية القائمة على اعتبار الدول الصناعية المتقدمة هي الملوثة، في حين تعتبر الدول النامية ضحية لهذا التلويث الذي أحدثته لم تعد كذلك ببروز دول ناشئة ذات وتيرة صناعية سريعة كالصين، الهند، المكسيك، إندونيسيا والبرازيل. فأصبحت هذه الدول بمثابة الذريعة والحجة بالنسبة للدول المتقدمة للتملص من إلتزاماتها (Gemenne, 2010, p 223)، فالولايات المتحدة الأمريكية انسحبت من اتفاق باريس 2015 بنفس الحجة التي تهربت من إلتزاماتها في بروتوكول كيوتو لعام 1997.وهي أن هذه الاتفاقات تخدم طرف واحد فقط وهي الدول النامية خاصة الناشئة منها. فهل من العدالة مطالبة هذه الدول بتحمل إلتزامات بيئية مشددة في ظل الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي تعانيها؟

إن كافة الدول الناشئة هي دول ذات كثافة سكانية عالية، فالصين بكثافة سكانية تقدر 1.3مليار نسمة وكذلك الهند بأكثر من مليار نسمة، فعلى هذا الأساس ليس من الغرابة زيادة انبعاثاتها الغازية في الآونة الأخيرة مقارنة بدول أخرى. بل إن الهند ودول نامية أخرى بقصد تحقيق عدالة أكثر تقدمت بمقترح توزيع حقوق التلويث بحسب عدد السكان في كل دولة. فالهند اليوم بالرغم مما تملكه من تكنولوجيا إلا أن شعبها يعتبر من أفقر الشعوب على وجه الأرض. فالدخل الفردي في هذه الدول مازال أقل من مستوى الدخل الفردي في الدول المتقدمة (Gemenne, 2010, p- p 218-219). وقد عبر رئيس الوزراء الهندي إنديرا غاندي في مؤتمر الأمم المتحدة حول البيئة الإنسانية لعام 1972 حول مشكلة الفقر في ظل التوجه العالمي لحماية البيئة، أنه لا يمكن حماية البيئة في ظل الفقر المنتشر ولا يمكن إقناع أي كان بحماية البيئة في ظل أوضاعه الاقتصادية والاجتماعية الهشة (Galizi, Herklotz, 2010, p 69).

إن التحجج بالدول الناشئة لا ينفي مسؤولية الدول الصناعية عن تلك الغازات المتراكمة منذ عقود، فهي تريد بذلك ربح الوقت من خلال تزايد انبعاثات الدول الناشئة وبالتالي المطالبة بالمساواة في تحمل المسؤولية عن ذلك. فهذا يعكس تهرب الدول الصناعية من المسؤولية فقط، ويخالف مبدأ الملوث الدافع والذي بمقتضاه تتحمل هذه الدول مسؤوليتها عن الغازات الحالية والمتراكمة والتي هي بذلك أكبر بكثير من غازات الدول الناشئة. فهذه الأخيرة تحتاج لمهلة لتحقيق تطلعاتها الاقتصادية والاجتماعية بالزيادة في انبعاثاتها الغازية، ثم تقوم بعد ذلك بتخفيضها إلى المستويات المطلوبة للحفاظ على الحياة على هذا الكوكب وبما يعادل الغازات التي تطرحها الدول الصناعية (Gemenne, 2010, 216).

1-2-3- مسؤولية الدول النامية

إن التكلفة البيئية في يومنا الحالي مرتفعة مقارنة بإمكانيات الدول النامية وظروفها. فالدول المتقدمة قامت بإنشاء قاعدة صناعية كبيرة في وقت لم تكن فيه أي تكلفة بيئية ، بل إن مسألة البيئة لم تكن تطرح بالشكل وبالقيود الحالية. وعلى ذلك فإن الدول النامية لها الحق في أن تتمتع بنفس الحقوق التي كانت تتمتع بها الدول الصناعية لتحقيق العدالة. فكيف يمكن تفسير التنمية التي حققتها هذه الدول على حساب الدول النامية منها إلا أنه بمثابة إثراء غير مشروع. فهي مطالبة بتحمل التكاليف التي يمكن أن تترتب على أي إلتزامات لمواجهة التغيرات المناخية ، ومساعدة الدول النامية في الوصول إلى أهدافها التنموية. فليس من العدل مطالبة هذه الدول بتحمل جزء من المسؤولية في أوضاع لم تكن هي المتسبب الرئيسي فيه (Kiss, 2007, 107).

تتحجج الدول المتقدمة بأن صناعاتها حاليا تراعي الإجراءات البيئية المعمول بها وأنها تستعمل التكنولوجيا مما يؤدي إلى تخفيف التلوث ، وهي بذلك تحاول أن تبرهن أن الدول النامية هي المتسبب الرئيسي للتلوث وهو ما يخالف المنطق. فكيف حققت هذه الدول الثروة الكبيرة التي تحوزها حاليا؟ ألم يكن ذلك بتكلفة بيئية باهضة من خلال غازاتها التي نفثتها على مدى العقود السابقة. بل إن السؤال الأبرز لماذا مازالت تحتكر التكنولوجيا ولم تقم بنقلها للدول النامية كما تعهدت به في مختلف المواثيق الدولية. كما أن الإلتزامات المالية التي تعهدت بها الدول المتقدمة تبقى ضئيلة وغير كافية بالنسبة للدول النامية (Hamrouni, 2015, p-p 34-35).

إن اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية للتغير المناخي تضمنت مبادئ عامة للتخفيف من الغازات المسببة للتغير المناخي ، كمبدأ العدالة ومبدأ المسؤولية المشتركة والمتباينة فلم تتضمن نسب محددة للتخفيض. وقد قام بروتوكول كيوتو لعام 1997 بتحديد نسب التخفيض الخاصة بالدول الصناعية الأكثر تلويثا. إلا أن انسحاب الولايات المتحدة الأمريكية أفشل هذه الجهود. وبالرجوع إلى المبدأ السابع من إعلان ريو دي جانيرو لعام 1992 حول البيئة والتنمية ، فإنه نص على التباين في المسؤولية مما خلق تعدد في التفسيرات. إلا أنه يتضح أن الدول النامية غير معفية من المسؤولية حول الغازات الدفيئة المتزايدة ، إنما تتحمل مسؤولية أقل من الدول الصناعية. فمبدأ الملوث الدافع يقتضي تحمل كل ملوث تبعات تلويثه ، وعلى هذا الأساس لا يمكن حصر المسؤولية في تلك الدول الواردة فقط في الملحق الأول من اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية للتغير المناخي.

وباستقراء الفقرة السابعة من المادة الرابعة من اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية حول التغير المناخي نجد أن مشاركة الدول النامية في الجهود الدولية لمواجهة التغيرات المناخية مشروطة بضرورة تقديم مساعدات مالية لها ونقل التكنولوجيا ، بما يفهم منه أن عدم وفاء الدول المتقدمة بإلتزاماتها التطوعية يعطي الحق للدول النامية بالانسحاب من هذه الجهود الدولية ((Cullet, 2010, p 161 . فالدول النامية متخوفة من التدخل في سياساتها الاقتصادية بحجج بيئية ، وهو ما تحتم على المجتمع الدولي تقديم بدائل أخرى من خلال مختلف الاتفاقيات والمواثيق الدولية. (هذا ما سيتم توضيحه من خلال النقطة الثانية المتمثلة في إلتزامات الدول في ظل الاتفاقيات الدولية المتعلقة بالتغير المناخي).

2-مبدأ العدالة

تستخدم الدول المتقدمة في صناعاتها في بداية القرن الحادي والعشرين ما مقداره 80% من الطاقة العالمية والموارد المعدنية ، وهي مسؤولة بذلك عن 80% من التلوث العالمي بمختلف أشكاله. في حين فإن الدول النامية تعاني من فقر كبير ، بل إن هذا الفقر أصبح أحد الأسباب الأساسية للتدهور البيئي. ومع هذا الاستحواذ للثروات الطبيعية واحتكار التكنولوجيا وتكريس الإلتزامات البيئية من شأنه أن يجعل هذه الدول أكثر فقرا. فمبدأ العدالة في القانون الدولي للبيئة زادت أهميته بدرجة كبيرة ، نظرا لأن استغلال مختلف الثروات الطبيعية أصبح مقيد بالعديد من القيود البيئية. فمصائد الأسماك العالمية على سبيل المثال تم تحديد نسب لا يمكن تجاوزها. من جهة أخرى فإن القانون الدولي للبيئة يفرض إلتزامات على مختلف الدول لتخفيض انبعاثاتها الغازية ، تبعا لمساهمتها في التلوث وإمكانياتها (Shelton, 2007, p 652).

فمطالبة الدول النامية بتحقيق التنمية أولا يأتي من منطلق تحقيق العدالة بين الدول ، فمن المشروع لهذه الدول أن تطالب بالمساواة في نسب الغازات المنبعثة مع الدول المتقدمة. وعلى هذه الأخيرة أن توفي بإلتزاماتها التي تعهدت بها اتجاه الدول النامية من مساعدات مالية ونقل التكنولوجيا.

2-1-الحق في التنمية

ظهر القانون الدولي للتنمية في بداية الستينات من القرن الماضي ، بحيث تشكل قواعده مجموعة الاحتياجات للدول الحديثة. وهي بذلك تحاول دعم النظام الاقتصادي الدولي الجديد الذي كان آنذاك على مشارف التبلور. فالقانون الدولي للتنمية في أحد تعريفاته يعني:" **مجموعة المبادئ والمؤسسات القانونية التي تستهدف تأمين احترام حقوق الانسان، وبشكل خاص الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وفقا لمبادئ الأمم المتحدة وإعلان حقوق الانسان والميثاق الدولي المتعلق بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية**". فالحق في التنمية يعتبر من حقوق الانسان الذي ينبغي على كافة الدول أن تحققه لمختلف أفرادها ، كما أنه عملا بمبدأ تكافؤ الفرص فإن الدول هي الأخرى لها الحق في تحقيق التنمية (سعد الله ، 1990 ، ص ، ص 15 ، 16). فقد سادت للعديد من العقود اللامساواة في التنمية بين الدول وهو ما جعل الدول النامية تثور في وجه هذا الظلم والاستغلال الاقتصادي (سعد الله ، 1990 ، ص 35).

إن التنمية يختلف مفهومها تبعا للزاوية والإيديولوجية التي نعرفها منها ، فالاقتصاديون الرأسماليون والاشتراكيون يرون أن التنمية تعني الزيادة في الدخل الفردي والناتج القومي. في حين فإن الإجتماعيون يرون أن التنمية هي تحقيق أكبر قدر من الرفاه من الناحية الخدماتية ، الصحية ، الإجتماعية والتعليمية. فاليوم فالتنمية لم يعد مفهومها يقتصر على الجانب الاقتصادي فقط ، إنما يتجاوز ذلك إلى مختلف حاجات الإنسان من سكن ، غذاء ، عمل وتعليم ...إلخ (العسل ، 1996 ، ص ، ص 61 ، 62).

إن الدول النامية إلى اليوم لا زالت تعاني من العديد من المعوقات التي تحول دون تحقيق التنمية. فالاستعمار الذي عانت منه أغلب هذه الدول جعلت منها تابعة للمستعمر ومجرد منجم للموارد الخام التي تتزود بها الدول الاستعمارية وبمقابل زهيد. وعلى ذلك فإن العديد من الدول تطالب هذه الدول بمساعدتها في تحقيق التنمية كحق لها نظير الاستغلال الذي تعرضت له الدول النامية لعقود طويلة ولحرمان شعوبها من ثرواتها وتحقيق رفاهيتها. فهي تعاني من الفقر وأزمات اقتصادية واجتماعية ، بل إن بعض الدول التي لها القدرة على إنشاء مصانع من الحجم الكبير تعاني من كيفية تسويق منتجاتها نظرا لهيمنة الدول الصناعية وعدم قدرتها على المنافسة العالمية (طاهر ، 1998 ، ص ، ص 52 ، 53).

إن المساواة بين الأمم في تحقيق التنمية أكدته الجمعية العامة للأمم المتحدة في لائحتها رقم 34-46 عام 1979. فحق الدول في التنمية تم تكريسه على الصعيد الدولي ، ويقع على الدول المتقدمة تقديم المساعدات اللازمة للجهود التي تبذلها الدول النامية في سبيل سعيها لتحقيق التنمية وبما يتوافق مع متطلبات حماية البيئة. فهذا الحق ينبغي تطبيقه بما يتوافق مع حقوق الإنسان بصفة عامة (Michelot, 2010, p 210). فبدأت الدول النامية بالمطالبة بهذا الحق منذ الستينيات من القرن الماضي ، إلا أن الملاحظ أنه خلال قمة ريو دي جانيرو لعام 1992 حول البيئة والتنمية في ظل التجاذبات حول مسألة حماية البيئة والأوضاع الاقتصادية للدول النامية ظهرت مطالب لهذه الدول. بحيث أنها طالبت بدفع تعويضات لها والتي هي بالأساس عبارة عن ديون لها أو أن تلتزم بنقل التكنولوجيا إليها لتلتحق بركب الدول المتقدمة (Michelot, 2010, p 208).

تطالب الدول النامية وبشدة خلال مختلف المفاوضات الدولية حول التغير المناخي أن تقوم بتحقيق تنميتها دون أي قيود تمارس عليها. فمن حقها التمتع بنفس الظروف التي حققت خلالها الدول الصناعية تنميتها. فالعدالة تقتضي عدم فرض إلتزامات متساوية على دول تتواجد في ظروف ووضعيات مختلفة ((Michelot, 2010, p 208 .

2-2-حق المساواة بين الدول في بعث الغازات بالجو

إن اتفاقية فيينا حول قانون المعاهدات لعام 1969 ومختلف الأعراف الدولية تعتبر كل الأطراف في أي اتفاقية متساوية من حيث السيادة. إلا أنه بالرجوع إلى الواقع نجد أن

الدول ليست متساوية إطلاقا من حيث الإمكانيات التي يمكنها تسخيرها لتفعيل آليات تطبيق أي اتفاقية خاصة في المجال البيئي. كما أن قوة الدول في المفاوضات ليست متساوية كذلك ، فالمفاوضات حول التغير المناخي أبرزت هذه الإشكالات وتباين الأولويات بالنسبة للدول. هذا الأمر أجبر المجتمع الدولي على البحث عن كيفية جذب الدول خاصة النامية لهذه الجهود ، فكانت مسألة إعادة الاعتبار للعدالة في العلاقات الدولية أحد المفاتيح للوصول إلى أرضية تفاهم (Paavola, 2005, p 318).

إن تزايد تراكم الغازات من شأنه أن يهدد حياة مستقبل البشرية ، ويؤدي إلى تغير المناخ في الأرض. هذا الأخير يمكنه أن يسبب كوارث طبيعية كالفيضانات ، العواصف ، الجفاف وموجات حرارة شديدة. فالدول النامية هي أشد الدول تأثرا بهذه الغازات نظرا للكوارث الطبيعية التي أحصتها ودون أن يكون لها أي دخل فيها ، فسببها الرئيسي كان من الدول الصناعية. فالموزمبيق عام 2000 وبنغلاديش عام 2004 شهدت فيضانات كبيرة ، وعواصف في الهندوراس عام 1998 ، هاييتي في 2004 على سبيل المثال. وفي ظل التنافس الاقتصادي الحالي من شأنه أن يفاقم من المشكلة وهو ما يجعل من الدول المتقدمة أمام حقيقة مفادها ضرورة تخفيض انبعاثاتها الغازية إلى المستويات المطلوبة للحفاظ على المناخ العالمي. وتتحمل في ذلك مسؤوليتها عن الغازات الحالية والمتراكمة منذ عقود (Paavola, 2005, p 316).

فمجموع ما نفثته الدول الصناعية يتجاوز بكثير الدول النامية. وفي ظل البحث عن التكريس العالمي لحق الإنسان في بيئة نظيفة وصحية ، وفي ظل بحث الدول النامية عن حقها في التنمية ظهرت مطالبات الدول النامية بحقها في لمساواة في الغازات. وبالرغم من الرفض العام لحق المساواة في انبعاث الكربون ، فإنه يعتبر تكريس للعدالة بين الدول في مسألة المناخ. فالمساواة في الكربون يعني حاليا إمكانية الاختلاف في المسؤوليات حول هذه الغازات لسبب رئيسي وهو تحقيق العدالة المناخية. فهو يعني إعطاء نفس الحقوق في التلويث المسموح به لكافة الدول. وعلى ذلك ظهرت بعض الآليات التي تخدم هذا المسعى كآلية الإتجار في وحدات خفض الانبعاثات الغازية فتقوم الدول ببيع حصصها من التلويث لدول أخرى تجاوزت نسبها المحددة وهي ما يسمى بسوق الكربون (Bell, 2008, p, p 247, 248).

فالخبراء يتوقعون أنه في نهاية القرن الحالي يمكن للغازات الحالية أن تحدث زيادة في درجة الحرارة تصل ل 5° درجات وهو ما يمثل خطر كبير. خاصة إذا علمنا أن الزيادة في درجة الحرارة بلغت 5° درجات منذ العصر الجليدي فكيف يمكن أن يكون الحال بزيادة 5° درجات أخرى؟ ويتوقع الخبراء أيضا أنه إلى غاية 2035 ستزيد درجة الحرارة بدرجتين مئويتين ، مما يعني موت الملايين من البشر وانقراض العديد من الأنواع الحيوانية والنباتية (Bell, 2008, p, p 243, 244).

فينبغي على الدول الصناعية تخفيض غازاتها للمستويات المسموح بها ، وبالمقابل فإن الدول النامية لها الحق في الزيادة في غازات الكربون تحقيقا لمبدأ المساواة في غازات الكربون. ومن الحجج التي تم الدفاع بها عن هذا الحق أن الغلاف الجوي للأرض هو واحد ، وكل البشرية تحتاج لهواء نظيف. وعلى هذا الأساس الكل له نفس الحق في التلويث. كما أن دول الجنوب لن تقبل بأي إلتزامات غير قائمة على أساس المساواة. فهذا المبدأ من شأنه أن يساهم في مشاركة كافة الدول وتحقيق السلم والأمن العالمي. وبهذا فإنه سيتم إنهاء اللاعدالة بين الدول وتحمل الكافة لمسؤولياته اتجاه البيئة البشرية (Bell, 2008, p, p 251, 253).

2-3-تقديم المساعدات للدول النامية

نص المبدأ 12 من إعلان استوكهولم حول البيئة البشرية لعام 1972 على تقديم المساعدات التقنية للدول النامية. ودعى المبدأ 20 منه إلى نقل التكنولوجيا إليها لكيلا تصبح الإلتزامات البيئية عبارة عن عبئ اقتصادي بالنسبة لها. فبروتوكول مونتريال حول المواد المستنفذة لطبقة الأوزون لعام 1987 دعى إلى التعاون بين الدول في مجال تبادل المعلومات وتعزيز المساعدات التقنية ونقل التكنولوجيا والمعرفة للدول النامية لتسهيل تطبيق ما ورد في البروتوكول. وباستقراء مختلف مواد البروتوكول يتضح أنه يمنع نقل التكنولوجيا التي تضر بالبيئة للدول النامية ، فلم يتم النص صراحة على هذا الإلتزام. ويقع على الدول أيضا توفير كافة

المصادر المالية لتحمل التكاليف الإضافية التي تقع على الدول النامية (Sands, 2003, p 1041).

تم استحداث العديد من الآليات لتقديم المساعدات المالية للدول النامية من بينها الصندوق العالمي للبيئة (Global Environmental Facility)، وتعود جذور هذا الصندوق إلى اقتراح تم تقديمه من طرف لجنة برونتلاند حول مستقبلنا المشترك. بحيث اقترحت نظام بنكي عالمي مرتبط مع البنك العالمي يتولى تمويل الاستثمارات. وتم تطوير هذا الاقتراح لاحقا من مؤسسات أخرى (Freestone, 2007, p 1078). فهذا الصندوق منذ إنشائه عام 1991 استطاع توفير 6.2 مليار دولار و20 مليار دولار أخرى بالتعاون مع مصادر تمويل أخرى ، وهذا من أجل دعم أكثر من 1800 مشروع في الدول ذات الاقتصاديات في مرحلة انتقال وفي الدول النامية من أجل تحقيق فوائد بيئية عالمية (Freestone, 2007, p 1077).

تعهدت مجموعة الدول الثماني الكبرى هي الأخرى أنه ابتداء من 2010 ستقوم بتوفير 50 مليار دولار في كل سنة بالمقارنة مع كان موجود في عام 2004. ومع وجود مانحين أكثر توجب إيجاد آليات تمويل جديدة. فاقترحت المملكة المتحدة البريطانية إنشاء صندوق عالمي للتمويل (International Finance Facility) وهو ما تم إنشاؤه في عام 2003. وبحسب الحكومة البريطانية فإن هذا الصندوق سيعمل على توفير أموال إضافية ، وستكون قائمة على إلتزامات للمانحين على المدى الطويل (De Chazournes, 2007, p 951).

تلعب الفواعل الدولية الأخرى دورا مهما في عملية التمويل ، بحيث تكشف الإحصائيات على أن المنظمات غير الحكومية ومختلف أطراف القطاع الخاص والمجتمع المدني تساهم حاليا بما يقدر 85% من إجمالي المساعدات التي تقدمها الأمم المتحدة للدول النامية. وتساهم الدول بما مجموعه 15%فقط من هذه المساعدات. فهذه الأرقام تدل على الدور الكبير والفعال الذي أصبحت هذه الفواعل تلعبه في مجال حماية البيئة العالمية. ففي عام 1970 كانت الدول هي التي تساهم بالقدر الكبير بحيث أن ما يقدر ب 70% من إجمالي المساعدات التي تقدمها الأمم المتحدة ذات مصدر حكومي. وتم إنشاء شراكات بين القطاعات الثلاث (الحكومة ، القطاع الخاص ومنظمات المجتمع المدني) لتمويل مختلف المشاريع في الدول النامية. فدور الفواعل من غير الدول أصبح جد هام في تحقيق التنمية المستدامة في مختلف الدول (De Chazournes, 2007, p 953).

ثانيا: إلتزامات الدول في ظل الاتفاقيات الدولية المتعلقة بالتغير المناخي

إن الغلاف الجوي للأرض يحتوي على العديد من الغازات الدفيئة التي تحافظ على درجة حرارة الأرض. وبالرغم من أن هذه الغازات لا تمثل سوى أقل من واحد على عشرة من إجمالي الغازات الموجودة غي الغلاف الجوي ، إلا أن لها دور مهم في الحياة على الكوكب (جويلي ، 2002، ص 06). وبالتزايد الكثيف لهذه الغازات نتيجة الأنشطة البشرية المتسارعة أصبحت لها مخاطر على المناخ العالمي.

إن التغيرات التي حدثت على المناخ العالمي من شأنه أن يؤدي إلى ارتفاع درجة الحرارة ، والتي تحمل مخاطر كبيرة على مستقبل الحياة على الأرض. خاصة وأن الغطاء النباتي في تقلص مستمر ، فالغابات التي تعتبر مستودع لامتصاص غاز ثاني أكسيد الكربون في تدهور مستمر وهو ما يحتم على دول العالم إيجاد آليات لتخفيض نسب الغازات الدفيئة التي تنفثها في الغلاف الجوي. فهذه الغازات أصبحت متواجدة بنسب تفوق قدرة الأرض على إعادة امتصاصها. وهنا تدخل المجتمع الدولي لتحديد مسؤوليات الدول بشأن هذه الظاهرة وهو ما سيتم التركيز عليه في مختلف الجهود الدولية لمواجهة التغير المناخي. بحيث تم طرح تساؤل أثناء المشاورات حول الاتفاقية الإطارية للأمم المتحدة حول التغير المناخي لعام 1992 وبروتوكول كيوتو لعام 1997حول من يتحمل مسؤولية التغير المناخي. وأعيد طرح ذات التساؤل في اتفاق باريس الأخير نظرا لتغير المعطيات الاقتصادية وبروز دول أخرى صناعية ، بحيث حاولت الدول البحث عن آليات لاستمرار الجهود في مواجهة هذه الظاهرة العالمية.

وجدير بالذكر أن تخصيصنا لتناول الالتزامات المنبثقة عن الاتفاقية الإطارية بشأن التغير المناخي لعام 1992 ، بروتوكول كيوتو لعام 1997 وأخيرا لاتفاق باريس لعام 2015 لا يعني أنها الجهود الدولية الوحيدة التي تم بذلها ، وإنما تعتبر أهم المحطات في مواجهة التغير المناخي.

فالأمم المتحدة قامت بجهود منذ الخمسينيات من القرن الماضي ببداية اهتمامها بمشكلة تلوث البيئة. وقد تم عقد أول مؤتمر دولي حول المناخ من طرف المنظمة العالمية للأرصاد الجوية عام 1979 واتبعته بمؤتمرات أخرى في نهاية الثمانينات من القرن الماضي. ومن أهم المحطات أيضا مؤتمر تورنتو عام 1988 الذي عقد لدراسة ما تم التوصل إليه من طرف الهيئة الحكومية لخبراء المناخ بعد إنشائها من طرف خبراء في القانون الدولي، وتبعته مؤتمرات وجهود دولية أخرى (ميهوبي، 2011، ص، ص 95، 96).

1-اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن التغير المناخي

تعدّ هذه الاتفاقية من النتائج التي تم التوصل إليها في قمة الأرض بريو دي جانيرو عام 1992، وتمت صياغة هذه الاتفاقية بعد مشاورات ومفاوضات انطلقت في إطار لجنة التفاوض الحكومية الدولية لصياغة اتفاقية إطارية بشأن التغير المناخي والتي تم إنشاؤها من طرف الجمعية العامة للأمم المتحدة. وتم اعتماد مشروع الاتفاقية بمقر الأمم المتحدة في 9 ماي 1992، وتم فتح التوقيع عليها بداية من قمة الأرض عام 1992. ودخلت حيز التنفيذ بموجب المصادقة 50 عام 1994 (بريشي، 2018، ص 39)، والجزائر بدورها قامت بالتصديق على هذه الاتفاقية بموجب المرسوم الرئاسي رقم 93-99 المؤرخ في 10 أبريل 1993.

تقوم هذه الاتفاقية أساسا على مبادئ العدالة والإنصاف، مبدأ المسؤولية المشتركة والمتباينة ومبدأ التنمية المستدامة والحيطة. وقد حددت هدف لها وهو ما نصت عليه في المادة 2 منها بنصها على أن الهدف من الاتفاقية هو تثبيت نسبة الغازات الدفيئة عند مستوى محدد بحيث يحول دون تفاقم الظاهرة وتأثيراتها. وما يلاحظ على هذه المادة أنها لم تحدد جدول زمني لتحقيق هذا الهدف، كما أنها لم تحدد نسب محددة للإلتزام بالنسبة للدول النامية أو المتقدمة نظرا لظروف الدول النامية والتي هي بحاجة ماسة للتنمية، ونظرا لأن الدول المتقدمة تحتاج إلى فترة للدخول إلى التنمية النظيفة.

تنص الفقرة الأولى من المادة الثالثة من الاتفاقية الإطارية للتغير المناخي على أن الدول المتقدمة هي التي تتولى الصدارة في قيادة مختلف الجهود الدولية لمواجهة التغير المناخي، وأن كل الأطراف يجب عليها أن تقوم بحفظ المناخ لفائدة الأجيال الحالية والمستقبلية للبشرية، وعلى أساس العدالة ومبدأ المسؤولية المشتركة والمتباينة. وتضيف الفقرة الثانية من ذات المادة على أن ظروف واحتياجات الدول النامية التي يمكن أن تتأثر بما جاء في الاتفاقية، وتلك الدول النامية التي هي متأثرة بمختلف الآثار للتغير المناخي يجب أن تأخذ بعين الاعتبار. ونصت الفقرة الثالثة والرابعة على ضرورة انتهاج مبدأ الحيطة والتنمية المستدامة (اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية للتغير المناخي، 1992).

واعترفت ديباجة الاتفاقية أن الغازات المتراكمة والحالية تتحمل مسؤوليتها الأكبر الدول المتقدمة. وأن غازات الدول النامية لا تزال ضئيلة مقارنة بالدول المتقدمة، وستزداد غازاتها في المستقبل لتحقيق طموحاتها التنموية. كما تولي أهمية قصوى لأوضاع الدول التي تعتمد على الوقود الأحفوري، الجزر الصغيرة المهددة، الدول المنخفضة الساحلية، الدول التي تقع في المناخ الجاف وشبه الجاف وتلك المهددة بالفيضانات والتصحر، الدول النامية التي تتعرض أنظمتها الإيكولوجية لتهديدات من آثار التغير المناخي. فهي تعتبر أن أولوية الدول النامية هو تحقيق النمو الاقتصادي والقضاء على الفقر (ديباجة اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية للتغير المناخي، 1992).

إن الدول المتقدمة لم تتقبل إعفاء بعض الدول النامية كالصين من تخفيض انبعاثاتها الغازية إلا أن العديد من المعطيات جعلت مسألة تكريس مبدأ المسؤولية المشتركة والمتباينة أمر واقع. فغازات الدول النامية هي ناتجة أساسا لتحقيق حاجياتها الأساسية كالأنشطة الزراعية، استخدام الوقود الأحفوري بغرض التدفئة والطهي أو حتى أنشطة الدول التي تعتمد اقتصادياتها على الطاقات الأحفورية. في حين فإن الدول المتقدمة تنبعث نسبة كبيرة من غازاتها نتيجة سلع كمالية وأدخنة السيارات، علاوة على أن هذه الدول تمتلك من الإمكانيات ما يخولها للتحول إلى الطاقات النظيفة على عكس الدول النامية. وعلى هذا الأساس سيكون من الإجحاف المساواة بين دول تحاول الخروج من أوضاعها المتردية ودول تريد الزيادة في الرفاهية والترف (بريشي، 2018، ص، ص 51، 52). فتركيا لم تتقبل تصنيفها مبدئيا

في الاتفاقية الإطارية للأمم المتحدة في الملحق الأول والثاني نظرا لعضويتها في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية. وقد استندت تركيا في ذلك إلى أنها تعتبر من الدول النامية بحسب تقرير برنامج الأمم المتحدة للتنمية وتقرير البنك الدولي وحتى التصنيف المعتمد في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية. فهي لا تمتلك القدرات المالية اللازمة ولا إمكانية نقلها للتكنولوجيا للدول الأخرى. وتقدمت بطلب رسمي عام 2000 لحذفها من قائمة الدول في الملحق الأول والثاني من الاتفاقية، وتمت الموافقة على الطلب في عام 2001. وعبرت تركيا عن موافقتها التواجد في الملحق الأول في حالة تم إيلاؤها اعتبار خاص لكونها في مرحلة مبكرة من التصنيع. فالاتفاقيات البيئية لم تقم بتعريف الدول النامية ولا بوضع معايير لتصنيف الدول (Rajamani, 2012, p 369).

أوردت الاتفاقية ملحقين الأول والثاني محددة فيهما الدول المعنية بمختلف الواجبات التي تضمنتها. في حين فإن الدول وفي معظمها النامية منها غير معنية بالإلتزامات التي جاء النص عليها. فنصت المادة الرابعة من الاتفاقية على مجموعة من الإلتزامات التي تقع على دول الملحق الأول التي تضم 41 دولة وهي: أستراليا، النمسا، بيلاروسيا، بلجيكا، بلغاريا[أ]، كندا، كرواتيا[أ]، جمهورية التشيك[أ]، الدنمارك، الجماعة الاقتصادية الأوروبية، استونيا[أ]، فنلندا، فرنسا، ألمانيا، اليونان، هنغاريا[أ]، إيسلندا، إيرلندا، إيطاليا، اليابان، لاتفيا[أ]، ليشتنشتاين، ليتوانيا[أ]، لوكسمبورغ، موناكو، هولندا، نيوزيلندا، النرويج، بولندا[أ]، البرتغال، رومانيا[أ]، الاتحاد الروسي[أ]، سلوفاكيا[أ]، إسبانيا، سلوفينيا[أ]، السويد، سويسرا، تركيا، أوكرانيا[أ]، المملكة المتحدة البريطانية وإيرلندا الشمالية، الولايات المتحدة الأمريكية (الملحق الأول من اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية للتغير المناخي، 1992).

تتمثل إلتزامات هذه الدول في ماورد في الفقرة الثانية من المادة الرابعة من الاتفاقية وهي كما يلي:

-تبني سياسات وطنية للحد من انبعاثات الغازات الدفيئة وحماية مصارفها وخزاناتها.

-يتوجب على كل الأطراف إبلاغ مؤتمر الأطراف بعد 6 أشهر من دخول الاتفاقية حيز التنفيذ حول كافة التدابير والسياسات المتخذة، والهدف هو الرجوع بهذه الغازات إلى ما كانت عليه قبل عام 1990.

-تقديم حسابات للانبعاثات وعمليات الإزالة بواسطة المصارف للغازات الدفيئة ويجب استغلال القدرات العلمية لمواجهة التغير المناخي.

وفتحت الفقرة الفرعية ج من الفقرة الثانية من المادة الرابعة لكل الدول الغير مدرجة في الملحق الأول عند تصديقها، موافقتها، قبولها أو انضمامها للاتفاقية أن تعرب عن إلتزامها بما تم النص عليه في الفقرتين الفرعيتين أ وب من الفقرة الثانية من المادة الرابعة، واللتان مقتضاهما الإلتزام بتخفيض نسبة الانبعاثات وتقديم المعلومات للرجوع بالغازات إلى ما كانت عليه قبل عام 1990 (المادة الرابعة من اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية للتغير المناخي، 1992).

أما الملحق الثاني الذي يضم الدول الصناعية الغنية وعددها 24 دولة وهي: أستراليا، النمسا، بلجيكا، كندا، الدانمارك، الجماعة الاقتصادية الأوروبية، فنلندا، فرنسا، ألمانيا، اليونان، إيسلندا، إيرلندا، إيطاليا، اليابان، لوكسمبورغ، هولندا، نيوزيلندا، النرويج، البرتغال، إسبانيا، السويد، سويسرا، المملكة المتحدة البريطانية وإيرلندا الشمالية، الولايات المتحدة الأمريكية (الملحق الثاني من اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية للتغير المناخي، 1992). تتمثل إلتزامات هذه الدول فيما أوردته الفقرة الثالثة من المادة الرابعة من الاتفاقية وهي الإلتزام بتوفير موارد مالية إضافية وجديدة لتغطية تكاليف الدول النامية وبما يتوافق مع أهداف الاتفاقية. وكذا تلتزم بنقل التكنولوجيا للدول النامية لمساعدتها لتجسيد سياسات تساهم في الحد من الغازات الدفيئة (اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية للتغير المناخي، 1992).

2- بروتوكول كيوتو لعام 1997

إن بروتوكول كيوتو كان ثمرة مؤتمر الأطراف الثالث المنعقد في كيوتو باليابان في 11 ديسمبر عام 1997، وبحضور ممثلي 160 دولة. ويعتبر من أهم الوثائق الدولية لمواجهة التغير المناخي نظرا لأنه حاول النص على إلتزامات محددة وأهداف يرمي لتحقيقها في فترة زمنية محددة. ودخل حيز التنفيذ رسميا في 16 نوفمبر 2005 بتصديق روسيا عليه،

بحيث يدخل حيز النفاذ بعد 90 يوم من تاريخ تصديق الدولة 55 على أن تكون من بينها الدول المتقدمة التي تمثل انبعاثاتها الغازية ما مقداره 55% من إجمالي الانبعاثات الغازية المنبعثة في العالم (هماش ، 2018، ص 58). فنص على إلتزامات عامة لكافة الأطراف في البروتوكول تتمثل أساسا في المحافظة على مختلف بواليع ومستودعات الغازات الدفيئة كالغابات لامتصاصها ، إقامة سياسات ومناهج تساعد على تقدير الغازات المنبعثة والعمل على توعية الرأي العالم بمخاطر الاحتباس الحراري وتنمية برامج التدريب والتعليم. وقد طرح التساؤل مرة أخرى من يتحمل مسؤولية هذه الانبعاثات الغازية وعلى ذلك فقد أرسى بروتوكول كيوتو المسؤولية على أساس مبدأ المسؤولية المشتركة والمتباينة بحيث أنه حدد نسب محددة لإلتزامات الدول المتقدمة والدول التي تشهد اقتصادياتها بمرحلة انتقالية ، كما أرسى آليات مرونة لمساعدة الدول النامية ولتخفيض التبعات الاقتصادية على الدول وتتمثل هذه الآليات فيما يلي يأتي: آلية التنمية النظيفة ، آلية التنفيذ المشترك ، آلية الاتجار في وحدات خفض الانبعاثات الغازية (هماش ، 2018، ص ، ص54 ، 55).

حدد بروتوكول كيوتو إلتزامات تقع على الدول المتقدمة التي لها حصة أكبر في الغازات الدفيئة ، حيث تعمل هذه الدول على خفض هذه الغازات التي تراكمت طول فترة مائة وخمسين سنة وبنسبة 5% على الأقل مقارنة بالمستويات التي كانت سائدة عام 1990. ويدخل هذا التخفيض فعليا في الفترة مابين 2008-2012 بنسب مختلفة بين هذه الدول تبعا لمساهمتها في التلوث الجوي الذي أحدثته وتتمثل نسب هذه الدول فيما يلي: - تلتزم الولايات المتحدة الأمريكية بالتخفيض بنسبة 7%من الانبعاثات الغازية.

-دول الاتحاد الأوروبي ، سويسرا ودول وسط أوروبا تخفض انبعاثاتها الغازية بنسبة 8%.

-تخفض كل من المجر ، كندا ، اليابان ، بولندا بنسبة 6%.

-النرويج تقوم بتخفيض غازاتها بنسبة 1%.

-تقوم أستراليا بتخفيض غازاتها بنسبة 8%.

-تخفض إيسلندا غازاتها بنسبة 10%.

في حين يتوجب على كل من روسيا ، أوكرانيا ونيوزيلندا بالمحافظة على نسبها من الغازات المنبعثة.

كما تلتزم هذا الدول أيضا بنقل التكنولوجيا النظيفة للدول النامية ، ومساعدة هذه الأخيرة على مواجهة آثار التغيرات المناخية ، مساعدة مشاريع البحث والتطوير للوصول إلى تكنولوجيات أقل تلويث ومصادر طاقة نظيفة (جويلي ، 2002، ص ، ص 33 ، 34).

لقد تم توجيه انتقادات لتحديد مسؤولية الدول عن الغازات الدفيئة انطلاقا فقط من عام 1990. فالتساؤل الذي يطرح لماذا هذا العام بالذات تحديدا ومن يتحمل تلك الغازات التي انبعثت في الغلاف الجوي طوال العقود السابقة ؟ أم أن نسبة هذه الغازات عرفت ارتفاعا ملحوظا بداية من هذه السنة ؟ والتساؤل الأبرز كيف يمكن للجيل الحالي أن يتحمل تكاليف باهضة لأخطاء الأجيال السابقة ؟ (Soltau, 2009, p 247)

لم يسمح بروتوكول بإبداء أي تحفظات عليه بالنسبة للدول المنضمة إليه. ومن جانب آخر فقد سمح بروتوكول كيوتو لأي دولة الإنسحاب منه بعد ثلاث سنوات من سريانه ، على أن يكون سريان الإنسحاب بعد سنة من ذلك. ورغم أن بروتوكول كيوتو تضمن العديد من النقاط الإيجابية كتحديد مسؤوليات الدول المتسببة بشكل أساسي في التلوث الهوائي. إلا أنه يلاحظ عليه لم يقترن هذه الإلتزامات بجزاءات معينة ، بمعنى تفي الدول بها طواعية وهو ما يشكل عقبة أمام الطموحات العالمية لمواجهة ظاهرة التغير المناخي. فهذا الأمر حتى إن كان فيه تشجيع لانضمام الدول بإرادتها الحرة للوفاء بإلتزاماتها ، إلا أنه من الناحية العملية نجد أن الدول تفضل مصالحها الاقتصادية الخاصة على مصلحة الدول. وهو ما يفسر إنسحاب الولايات المتحدة الأمريكية عام 2001 من بروتوكول كيوتو وأعربت عن عدم استعدادها للإلتزام به نظرا لأنه يخدم مصالح الدول النامية. إضافة إلى هذا فإن العديد من الدول كألمانيا وبريطانيا لا تزالان تستخدمان الفحم الحجري في إنتاج الطاقة الكهربائية. كما أن العديد من الدول كإيطاليا ، إسبانيا وبلجيكا لم تحترم النسب الواجبة التخفيض المحددة في البروتوكول (جواد ، 2014، ص ، ص 123 ، 124). إن عدم تحميل الصين والهند باعتبارهما أكثر دولتين من حيث الكثافة السكانية ، وما تشهده الدولتان من وتيرة اقتصادية

سريعة جعل العديد من الدول تحتج على ذلك. بالرغم من المعطيات السابقة فإن غازاتهما لا يمكن أن تتساوى مع الدول الصناعية الكبرى. كما أن التكلفة الاقتصادية والمالية العالية التي يفرضها تطبيق بنود بروتوكول كيوتو صعبت من تنفيذ إلتزامات الدول خاصة في ظل التنافس الاقتصادي العالمي.

بدأت الدول في التفكير في مرحلة ما بعد بروتوكول كيوتو الذي بدأ سريانه في 16 فيفري 2005، وأثير النقاش حول ما إذا يتوجب تشديد الإلتزامات بعد انقضاء فترة بروتوكول كيوتو أي بعد عام 2012. من بين المؤتمرات التي انعقدت لبحث مستقبل بروتوكول كيوتو مؤتمر ميلانو بإيطاليا في الفترة من 01 إلى 12 ديسمبر عام 2003. انعقاد مؤتمر بيونيس آيرس عام 2004 للإستعداد لمرحلة ما بعد انتهاء فترة بروتوكول كيوتو (هماش، 2018، ص 57). كما تم عقد مؤتمر الأطراف الخامس عشر في كوبنهاغن والذي لم يصل إلى نتائج تعالج أزمة المناخ العالمي في المستقبل نتيجة الاختلافات الكبيرة حول تحمل المسؤولية بين الدول النامية والمتقدمة خاصة بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية. وقد تمت دعوة الدول المتقدمة لتوفير ما يقارب 30 مليار دولار للفترة بين 2010-2012، على أن يتضاعف المبلغ إلى 100 مليار دولار كل سنة بداية من 2020 (Brunnée, 2012, p 57). فالنقاشات حول مرحلة ما بعد 2012 تجمع على ضرورة إشراك الدول النامية، بحيث لا يمكن أن تقتصر المسؤولية فقط على تلك الدول الواردة في الملحق الأول من الاتفاقية الإطارية للتغير المناخي (Sindico, 2012, p 246). واتفقت الدول في مؤتمر الأطراف السابع عشر في جنوب إفريقيا بمدينة دوربان على الإلتزام بفترة ثانية لبروتوكول كيوتو بدءا من 2013، ولكن مع ضرورة دخول الدول في مفاوضات للتوصل إلى اتفاق حول التغيرات المناخية لفترة ما بعد 2020. وتم اعتماد هذا الاتفاق رسميا في مؤتمر الدوحة عام 2012 بتمديده وتعديله لفترة إلتزام ثانية تبدأ من عام 2013 إلى 2020 وهذا لتجنب الفراغ القانوني الذي يمكن أن ينشأ بعد انتهاء فترة بروتوكول كيوتو الأولى. ولكي تدخل تعديلات بروتوكول كيوتو الثاني حيز النفاذ يتوجب مصادقة ثلاثة أرباع الدول الأطراف في البروتوكول استنادا للفقرة الخامسة من المادة 20 منه. وإلى حد الساعة فإن بروتوكول كيوتو الثاني لم يدخل حيز النفاذ، خاصة بعد دخول اتفاق باريس 2015 حيز النفاذ بتاريخ 04 نوفمبر 2016 بعد أن صادقت 55 دولة من إجمالي الدول التي تمثل انبعاثاتها 55% من إجمالي الغازات العالمية المنبعثة (بريشي، 2018، ص، ص 128، 131). وقامت الجزائر هي الأخرى بالمصادقة على اتفاق باريس حول التغيرات المناخية بموجب المرسوم الرئاسي رقم 16-262 المؤرخ في 13 أكتوبر 2016.

3-اتفاق باريس لعام 2015

في الدورة الواحد والعشرين (21) لمؤتمر الأطراف في اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية للتغير المناخي التي انعقدت بباريس في الفترة ما بين 30 نوفمبر 2015 إلى 12 ديسمبر 2015، وحضر هذا المؤتمر ما يزيد عن 36000 مشارك. وانعقد هذا المؤتمر في ظل عدم دخول بروتوكول كيوتو الثاني حيز النفاذ، وهو ما جعل الهدف الأساسي له هو البحث عن اتفاق جديد يخلف بروتوكول كيوتو. وهو ما تم في الأخير بالوصول إلى اتفاق باريس، كما يهدف كذلك إلى التوصل لتخفيض درجات الحرارة بدرجتين مئويتين دون تلك الدرجات التي كانت سائدة في الفترة ما قبل الثورة الصناعية (بريشي، 2018، ص، ص 134، 141).

تبنى اتفاق باريس مبدأ المسؤولية المشتركة والمتباينة والقدرات المتاحة على ضوء الظروف الوطنية المختلفة، بحيث ترك الحرية للدول لتقديم تعهدات للمساهمة في تخفيض انبعاثاتها الغازية وهو ما تم تسميته "بالتباين الذاتي". وميز بين الدول النامية والمتقدمة، بحيث أقر بأن مسؤولية الدول تختلف باختلاف قدرات الدول وظروفها. ويتعين على الدول الصناعية تقديم المساعدات المالية ونقل التكنولوجيا للدول النامية. وقد طالبت الدول الصناعية أثناء المفاوضات بضرورة إشراك الدول السائرة في طريق النمو الغنية مثل دول الخليج كالسعودية في عمليات التمويل. وفي هذا الصدد نصت الفقرة الأولى من المادة 9 من اتفاق باريس على ما يلي: " تلتزم الدول المتقدمة بتقديم الموارد المالية لمساعدة الأطراف من الدول النامية فيما يتعلق بالتخفيف والتكيف لاستكمال إلتزاماتها القائمة بموجب الاتفاقية الإطارية". ونصت الفقرة الثانية من نفس المادة على ما يلي:"يتم تشجيع الدول الأخرى على التقديم والاستمرار في تقديم الدعم بصورة طوعية" (اتفاق باريس حول التغيرات

المناخية ، 2015). فاتفاق باريس ألزم الدول الصناعية بتوفير الموارد المالية اللازمة في حين فضل أن يبقى هذا الإلتزام بصفة طوعية بالنسبة للدول الأخرى.

إن اتفاق باريس يعتبر ذو طبيعة سياسية بامتياز نظرا لطريقة المفاوضات التي تم تبنيها في المؤتمر ، وأهم ما تم التوصل إليه هو قبول الدول النامية خاصة الناشئة منها تخفيض غازاتها. فانخراط هذه الدول يعتبر خطوة مهمة في الجهود الدولية ، فلم يعد من المقبول استثناؤها إلى ما لانهاية. كما أنه يهدف إلى بناء الثقة بين الدول بانخراطها جميعا كل بحسب قدرته وبحسب انبعاثاته ، لكيلا تبقى بعض الدول تتحجج بعدم مشاركة دول ملوثة في هذه الجهود (Treyer, 2015, p, p 329, 330). فالهدف الأساسي العمل على مشروع طويل المدى وهو الواضح من هذا الاتفاق الهادف إلى العمل على احتواء ارتفاع درجات الحرارة إلى أقل من درجتين في الفترة ما بين 2030 إلى 2050 ، مع مواصلة الإجراءات المتخذة للعمل على الحد من ارتفاع درجات الحرارة إلى 1.5 من المستويات التي كانت عليها قبل الثورة الصناعية (Gesbert, 2016, p 211).

انعقد اتفاق باريس في ظروف لم تعد الدول المتقدمة هي الملوثة الوحيدة في العالم. ففي دراسة تم التوصل فيها إلى أن نسبة كبيرة من الانبعاثات الغازية في حدود عام 2000 صادرة من الدول التي تعتبر أعضاء في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية وذلك على النحو التالي 14% صادرة من دول شرق أوروبا ودول الاتحاد السوفياتي سابقا ، 6% للدول الإفريقية ، 16% بالنسبة لدول أمريكا اللاتينية و24%من الدول الآسيوية (Soltau, 2009, p 249). فالصين حاليا تحتل المرتبة الأولى عالميا بنسبة 28% من الغازات ثم تليها الولايات المتحدة الأمريكية بمسبة 26% ثم الاتحاد الأوروبي بنسبة 11% ثم الهند بنسبة 6%. على هذا الأساس فقد شجع الاتفاق الدول النامية على تبني سياسات وطنية ترمي إلى تخفيض الغازات في المستقبل. وعلى ذلك فقد تمت إضافة آلية جديدة للاتفاقية تتمثل في المراجعة الدورية لمختلف التعهدات الوطنية التي تقوم بها الدول طواعية كل 5 سنوات ، على أن تكون المراجعة الإجبارية الأولى للتحقق من هذه التعهدات عام 2025 (آيت إدير ، 2017 ، ص ، ص 96 ، 97).

وتعهدت مختلف الدول في إطار إستراتيجية طويلة الأمد على تخفيض انبعاثاتها الغازية ، فالصين تعهدت أنها في حدود عام 2030 ستقوم بتخفيض غازاتها بنسبة 60% من مستويات عام 2005. وتعهد الاتحاد الأوروبي بتخفيض غازاته بما يعادل بنسبة 40% من إجمالي غازاته التي كانت في حدود عام 1990 وذلك بحلول عام 2030. وتعهدت الولايات المتحدة الأمريكية بتخفيض انبعاثاتها ابتداءا من عام 2025 بما مقداره بنسبة 28% وفي حدود عام 2050 بما مقداره 80% إجمالي غازاته (آيت إدير ، 2017 ، ص 98). إلا انه بقدوم الرئيس الأمريكي الجديد دونالد ترامب نقض تعهدات الرئيس السابق باراك أوباما ، وأعلن انسحابه من اتفاق باريس رافعا شعار "أمريكا أولا". فالولايات المتحدة الأمريكية تواصل سياساتها الخارجية بمبدأ التفاوض ثم عدم الإلتزام وهو ما قامت به في بروتوكول كيوتو عام 1997 وأعادت نفس العمل في اتفاق باريس عام 2015. فهي تسير بمنطق العالم يحتاج لنا في حين نحن لا نحتاج إلى العالم. وهي بذلك ترهن مختلف الجهود العالمية نظرا لأن نجاحها يتوقف على الإرادة السياسية للدول والملوثة الكبرى وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية والصين. هذه الأخيرة ومجموعة من الدول النامية الأخرى لا تزال تحتج على تقديم التمويل اللازم ونقل التكنولوجيا لضمان تغيير الأنماط الاقتصادية التي تتبعها والانتقال إلى وسائل إنتاج نظيفة. كما أنه يجب العمل على التخلص من ارتباط العالم بالوقود الأحفوري.

لم يتضمن اتفاق باريس شأنه شأن الاتفاقيات السابقة المتعلقة بالتغير المناخي لآليات إنفاذ القواعد ، فالإلتزام بها يتوقف فقط على الإرادة الطوعية للدول. بمعنى أن مخالفة أحكامها لا يستتبع جزاءات قانونية وهذا تماشيا مع مبدأ مرونة القانون الدولي للبيئة ، بغرض ضمان مشاركة كافة الدول لحماية مستقبل الأرض. فترك أمر الفصل في كيفية الامتثال للاتفاق لمؤتمرات الأطراف اللاحقة.

خاتمة

إن مسألة مسؤولية الدول عن الغازات الدفيئة من المسائل الشائكة في القانون الدولي للبيئة ، نظرا لارتباطها بالمصالح الحيوية للدول. فلا يمكن للدول خاصة تلك التي تعاني من أوضاع اقتصادية واجتماعية صعبة الإلتزام بأولوية

مواجهة الغازات الدفيئة على حساب تنميتها المحلية، خاصة في ظل استفادة الدول الصناعية المتقدمة من أوضاع وظروف مغايرة تماما للظروف السائدة حاليا. فلم تكن عليها أي إلتزامات بيئية تقيد تنميتها، وعلى هذا الأساس من خلال ما تم تناوله في بحثنا نخلص إلى ما يلي:

- إن الدول النامية لها الحق في الاستفادة من نفس الظروف التي استفادت منها الدول المتقدمة لتحقيق طموحات شعوبها، ومن حقها أن تطالب بأولوية التنمية على مسألة حماية البيئة نظرا لأن الفقر مازال منتشرا بشكل واسع في هذه الدول.

- كرس القانون الدولي للبيئة مبدأ المسؤولية المشتركة والمتباينة لتحقيق العدالة بين الدول ولحث الدول على تحمل مسؤولياتها على حسب مساهمتها في التلوث العالمي، وبحسب قدراتها المالية والتكنولوجية. فإشكالية الغازات الدفيئة ليست وليدة اللحظة إنما تعود لعقود سابقة، على هذا الأساس فإنه يقع على الدول الصناعية تحمل مسؤولياتها التاريخية على تلك الغازات المتراكمة في الغلاف الجوي.

- يقع على الدول المتقدمة مساعدة الدول النامية من الناحية المالية وبنقل التكنولوجيا إليها، ومساعدة مختلف البرامج والمنظمات لتجسيد مشاريع تنموية صديقة للبيئة في الدول النامية. كما من شأن هذه المساعدات تشجيع الدول النامية على المشاركة الفعلية في تجسيد أهداف منظمة الأمم المتحدة في مواجهة الغازات الدفيئة.

- إن ظهور الدول الناشئة بوتيرة اقتصادية سريعة، جعل بعض الدول كالولايات المتحدة الأمريكية تشترط إنخراط هذه الدول لكي تساهم هي الأخرى في هذه الجهود وهو ما أدى إلى إفشال العديد من القمم المتعلقة بالمناخ العالمي. وعليه فإن هذه الدول لا يمكن بقاؤها بدون تحمل أي مسؤولية وإنما ينبغي عليها تحمل جزء من المسؤولية في المستقبل بحسب قدراتها ومساهماتها في التلوث وهو ما يهدف إليه اتفاق باريس 2015، أين كان الهدف الأساسي منه هو خلق الثقة بين الأطراف. وقد أبدت بعض الدول الناشئة رغبتها في المساهمة في تحمل جزء من المسؤولية في المستقبل.

- إن إصرار الولايات المتحدة الأمريكية على عدم الإلتزام بالاتفاقيات الدولية المتعلقة بالتغير المناخي أدت إلى إفشال الجهود الدولية لمواجهة الغازات الدفيئة وذلك بانسحابها من بروتوكول كيوتو لعام 1997 وهذا سنة 2001 وانسحابها من اتفاق باريس. فهي بذلك تتهرب من مسؤوليتها وتزيد من تعميق إشكالية الغازات الدفيئة.

- تواجه الجهود الدولية إشكالية تمويل العمليات التي تقوم بها مختلف البرامج والهيئات التابعة للأمم المتحدة، فالتحدي يتطلب أموال ضخمة وهو ما يستوجب إرساء آليات لتجسيد العمليات التمويلية. وكثيرا ما احتجت الدول المتقدمة على اقتصار التمويل عليها فقط واستثناء الدول النامية الغنية منها، إلا أنه تم تفضيل التمويل التطوعي بالنسبة لهذه الأخيرة.

قائمة المراجع

باللغة العربية

1-الكتب

- العسل إبراهيم ، 1996 ، التنمية في الإسلام مفاهيم – مناهج وتطبيقات ، الطبعة الأولى ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان.

-سعد الله عمر اسماعيل ، 1990 ، القانون الدولي للتنمية دراسة في النظرية والتطبيق ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر.

-طاهر فريد بشير ، 1998 ، التخطيط الإقتصادي ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان.

2-المقالات والدراسات

- آيت إدير نسيم ، 2017 ، منظمة الأمم المتحدة في مواجهة تحدي التغيرات المناخية: قمة باريس 2015 ، السياسة العالمية ، العدد 01.

-جويلي سعيد سالم ، 2002 ، التنظيم الدولي لتغير المناخ وارتفاع درجة الحرارة ، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي للتنمية والبيئة في الوطن العربي الذي ينظمه مركز الدراسات والبحوث البيئية ، جامعة أسيوط.

-ميهوبي عبد الحكيم ، 2011 ، التغيرات المناخية الأسباب والمخاطر ومستقبل البيئة العالمي ، دار الخلدونية ، الجزائر.

3-الأطروحات

-بريشي بلقاسم ، 2017-2018 ، الحماية الدولية لمواجهة ظاهرة الاحتباس الحراري ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم ، جامعة جيلالي ليابس ، سيدي بلعباس الجزائر ، كلية الحقوق والعلوم السياسية.

-جواد عبد اللاوي ، 2013-2014 ، الحماية الجنائية للهواء من التلوث –دراسة مقارنة-، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم ، جامعة أبوبكر بلقايد تلمسان ، الجزائر ، كلية الحقوق والعلوم السياسية.

-هماش لمين ، 2017-2018 ، إستراتيجية الأمم المتحدة لحماية البيئة-دراسة حالة الجزائر-، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، الجزائر ، كلية الحقوق والعلوم السياسية ، قسم العلوم السياسية.

4-التقارير والإعلانات

-إعلان استوكهولم حول البيئة الإنسانية لعام 1972.

-إعلان ريو دي جانيرو حول البيئة والتنمية لعام 1992.

-تقرير الأمين العام للأمم المتحدة ، إعلان ريو بشأن البيئة والتنمية: التطبيق والتنفيذ ، المجلس الاقتصادي والاجتماعي لجنة التنمية المستدامة ، الدورة الخامسة ،7-25 نيسان / أبريل 1997 ، E/CN. 17/1997/8.

- الهيئة الحكومية المعنية بتغير المناخ ، (التقرير التقييمي الرابع) تغير المناخ 2007 ، الطبعة الأولى ، جنيف ، 2008.

5-الاتفاقيات

-اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية حول التغير المناخي المبرمة في 09 ماي 1992 ، والتي صادقت عليها الجزائر بموجب المرسوم الرئاسي 93-99 المؤرخ في 10 أفريل 1993 ، الجريدة الرسمية ، العدد 24 ، الصادر في 21 أفريل 1993.

-اتفاق باريس حول التغيرات المناخية المعتمد في باريس في 12 ديسمبر 2015 ، الذي صادقت عليه الجزائر بموجب المرسوم الرئاسي رقم 16-262 المؤرخ في 13 أكتوبر 2016 المتضمن التصديق على اتفاق باريس حول التغيرات المناخية ، الجريدة الرسمية ، العدد 60 ، الصادر في 13 أكتوبر 2016.

باللغة الأجنبية

1- الكتب

-Kiss Alexandre, Shelton Dinah, 2007, Guide to International Environmental Law, Martinus Nijhoff Publishers, Leiden/ Boston.

-Rajamani Lavanya, 2006, Differential Treatment in International Environmental Law, Oxford university press.

-Sands Philippe, 2003, Principles of International Environmental Law, Second edition, Cambridge university press.

-Soltau Friedrich, 2009, Fairness in international climate change law and policy, Cambridge University Press, New York.

2-المقالات والدراسات

-Baumet Katrine, 2006, participation of developing countries in the international climate change regime: Lessons for the future, The George Washington international law review, Vol 38.

-Bell Derek R, 2008, Carbon Justice? the case against a universal right to equal carbone mission, In, Sarah Wilks, Seeking environmental justice, Editions Rodopi B.V Amsterdam – New york. NY.

-Bilderbeek Simone et al, 1992, biodiversity and international law, the effectiveness of international environmental law, IOS press, Netherland.

-Brunnée Jutta, Common areas, 2007, common heritage and common concern, In, Daniel Bodansky et al, The Oxford Handbook of International Environmental Law, first published, Oxford University press.

-Brunnée Jutta et al, 2012, Policy considerations, In, Richard Lord et al, Climate change liability Transnational law and practice, first published, Cambridge University Press, New York.

-Cullet Philippe, 2010, common but differentiated responsibilities, In, Malgosia Fitzmaurice et al, Research Handbook on International Environmental Law, Edward Elgar Publishing Limited.

-De Chazournes Laurence Boisson, 2007, Technical and financial assistance, In, Daniel Bodansky et al, The Oxford Handbook of International Environmental Law, first published, Oxford University press.

-FitzMaurice Malgosia, 2005, General principle Governing the cooperation between states in relation to non-navigational uses of International Water Courses,in, Geir Ulfstein, Jacob Werksman, Yearbook of International Environmental Law, volume 14, 2003, first published, Oxford University Press.

-Freestone David, 2007, The establishment, role and evolution of the Global Environmental Facility: Operationalising common but differentiated responsibility? In, Tafsir Malick Ndiaye et al, Law of the sea Environmental law and settlement of disputes, Martinus Nijhoff Publishers, Leiden/ Boston.

-Galizzi paolo and Herklotz Alena, 2010, Environment and development: friends or foes in the 21st century? in, Malgosia Fitzmaurice et al, Research Handbook on international environmental law, Edward Elgar publishing Limited.

-Gemenne François, 2010, De l'èquitè dans l'adaptation aux impacts du changement climatique, In, Christel Cournil, Catherine Colard-Fabregoule, Changements climatiques et défis du droit, Actes de la journée d'études du 24 mars 2009, université Paris Nord 13, Centre d'étude et recherches administratives et politiques CERAP, Editions Bruylant, Bruxelles.

-Gesbert Eric Naim, 2016, Accord de paris sur le climat : commencement d'une mutation de notre temps ? , Revue juridique de l'environnement, 2016/ 2, volume 41.

-Hamrouni MAIA-Oumeima, 2015, La participation des pays en developpement aux accords environnementaux, In, Démocratie et diplomatie environnementales, Acteurs et processus en droit international, Eric Canal-Forgues, Editions A. Pedone.

-Michelot Agnés, 2010, A la recherche de la justice climatique perspectives à partir du principe de responsabilités communes mais différenciées, In, Christel Cournil, Catherine Colard-Fabregoule, Changements climatiques et défis du droit, Actes de la journée d'études du 24 mars 2009, université Paris Nord 13, Centre d'étude et recherches administratives et politiques CERAP, Editions Bruylant Bruxelles.

-Paavola Jouni, 2005, Seeking justice: International Environmental Governance and Climate Change, Globalizations, Vol .2, N° .3.

-Rajamani Lavanya, 2012, Developing countries and compliance in the climate regime, In, Jutta Brunnée et al, promoting compliance in an evolving climate regime, first published, Cambridge University Press, New York.

-Shelton Dinah, 2007, Equity, In, Daniel Bodansky et al, The Oxford Handbook of International Environmental Law, first published, Oxford University press.

-Sindico Francesco, 2012, Post-2012 compliance and carbon markets, In, Jutta Brunnée et al, promoting compliance in an evolving climate regime, first published, Cambridge University Press, New York.

-Treyer Sébastien, 2015, Après 2015 : tout reste à construire, enfin ! Natures Sciences Sociétés, 2015/ 4, Vol. 23.

الجهود الدولية والجزائرية لحماية الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي

Les efforts internationaux et algériens visant à protéger l'enfant travailleur de l'exploitation économique

تاريخ الإرسال: 19-05-2019 تاريخ القبول: 22-12-2020

عبد العالي بلعيفة، جامعة محمد لمين دباغين. سطيف2، belaifa.abdelali@gmail.com

الملخص

يهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على الجهود الدولية والجزائرية لحماية الأطفال العاملين من الاستغلال الاقتصادي ، وتوضيح الفرق بين " عمالة الأطفال" والحالة الاستثنائية التي يسمح فيها المشرع لهؤلاء بالولوج إلى عالم الشغل ، مع الإشارة إلى الإطار القانوني الإقليمي والدولي الذي وضع لدعم جهود الدول في هذا الصدد. وقد اعتمد المشرّع في قبول تشغيل الطفل على مرافقة المنظمات الدولية والإقليمية المهتمة بحقوق الطفل المشغل بما تصدره في مواثيقها وتطرحه في اتفاقياتها ؛ لتوجيه جهود الدول الوطنية لضمان حقوق الطفل من استغلال مشغليه. ورغم ذلك فالواقع يبين مدى الضعف في ضمان هذه الحقوق ؛ لأسباب ذكرت في المقال. والهدف من المقال هو رفع الغموض عن مفهومي "شغل الطفل" و"استغلال الطفل اقتصاديا" ونشر الوعي بخطورة الاستغلال الاقتصادي للأطفال ؛ لتوجيه أنظار الأوصياء على الأطفال بمشكلة الاستغلال ، وتبيان مدى الضمانات القانونية الموفرة لحماية حقوق الأطفال ؛ بالمرافقة الدولية والإقليمية والوطنية لهم. والمنهج المتبع هو: المنهج الوصفي. يستهلّ هذا البحث بتقديم صورة عن واقع " الطفل العامل" وذلك عبر ابراز اهم الأسباب التي دفعت به إلى الإلتحاق بالعمل وكذا تأثيره عليه ، ثم ينتقل إلى تقديم المنظمات الاقليمية والدولية العاملة في الميدان ، وكذا الآليات المستخدمة من قبل هذه المنظمات لحماية الأطفال العاملين من الاستغلال الاقتصادي. أخيرا تمت الإشارة إلى الجهود الدولية والجزائرية في الميدان مع الإشارة إلى الإطار التشريعي الجزائري والدولي المتعلق بحماية الأطفال العاملين من الاستغلال الاقتصادي.

الكلمات المفاتيح: الطفل. الاستغلال الاقتصادي. الحماية. القاصر.

Résumé

Cet article tente de mettre en lumière les efforts algériens et internationaux qui visent à protéger les enfants travailleurs de l'exploitation économique. Nous essayons de souligner la différence entre " le travail des enfants " interdit par la loi et le cas exceptionnel où la loi permet aux enfants d'accéder au marché du travail. Pour faire cette étude, nous nous reposerons sur la méthode descriptive car elle sensibilise les gens sur l'exploitation de l'enfant et les informe sur les mesures législatives mises en place pour faire face à toutes les formes d'exploitation économique des enfants travailleurs. Dans cette recherche, nous commençons par décrire la réalité de l'enfant travailleur à travers les raisons qui le poussent à faire ce choix et aussi les effets de ce dernier sur sa vie. Puis nous étudions les mécanismes utilisés par les organisations régionales et internationales pour protéger les enfants contre l'exploitation économique. Finalement, nous révélons les efforts algériens et aussi internationaux dans le domaine juridique en étudiant les lois algériennes et les conventions internationales en relation avec la protection des enfants dans le monde du travail

Mots-clés : L'enfant, L'exploitation économique, La protection. Mineur

Abstract

The present article aims at shedding light at the Algerian as well as the international efforts to protect the working children from economical exploitation, and providing a clear distinction between "child labor "and the exceptional case in which children are legally allowed to join the workforce with a reference to the regional and international framework that was put in place to support the efforts of the national states. Thereby, the reliance on the descriptive method is justified by the need to raise awareness about "child labor "and "economical exploitation "and about the existing ad hoc legislative arsenal that was put in place to protect the working children from any form of economical exploitation. This research begins with depicting the reality of the working child through tackling the reasons that led him to work and it's impact on his life, then it moves to the presentation of the regional and the international organizations working in the field, and the mechanisms used by these organizations to protect children from economical exploitation, and finally, revealing the international as well as the Algerian efforts in the area with a reference to the national and international ad hoc acts and conventions

Keywords: *the* child, economic exploitation, protection, minority

مقدمة

يرجع اهتمام المجتمع الدولي بالطفل الشغيل إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، لمّا بان للعالم حجم المجاعة والبطالة الكبيرتين اللتين مستا الطبقة العاملة، فانتقل المشكل من مشكل داخلي، أو وطني صرفا، إلى مشكل يتقاسمه العالم أجمع؛ مما دعا عصبة الأمم – في ذلك الوقت- ومنظماتها المهتمة بحقوق الانسان إلى مناصرة الدول الوطنية؛ بمرافقة ذوي الأوضاع الهشة فيها لحمايتهم، مثل: الطفل المضطر إلى الشغل.

الطفل الشغيل، هو محور هذا المقال الذي يتناول الجهود الدولية والإقليمية والجزائرية المبذولة؛ للتوفيق بين حاجة الطفل إلى الشغل؛ لسد حاجاته وحاجة أسرته الملحة إلى المال، والحفاظ على سلامة كل مكونات طفولته.

ولتحقيق هذا التوافق، أصدرت المنظمات الدولية والإقليمية المهتمة بحقوق الطفل، مجموعة من المواثيق والاتفاقيات والبروتوكولات المحددة للمعايير الضامنة لحقوق الطفل من الاستغلال الاقتصادي، مستلهمة إياها من "الإعلان العالمي لحقوق الانسان" لسنة 1948(م2/25).

والإشكال حسب طرحها، لا يكمن في الشغل في حد ذاته، بقدر ما يكمن في السن الأدنى للطفل الذي يسمح له فيه بالاشتغال، وعلاقته بطبيعة الظروف والشروط التي يشتغل فيها.

وهو الاشكال نفسه المطروح على الدول الوطنية المصادقة على هذه المواثيق والاتفاقيات والإعلانات المحددة للمعايير الضامنة لحقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي. ولذلك طرح المقال التساؤل التالي: إلى أي مدى استطاعت الدول الوطنية، والمنظمات الدولية والإقليمية المرافِقة لها، أن تجعل من المعايير المقترحة الضامنة لحقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي؛ أساسا لضمان حقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي؟

ومفترضا، أنه: **كلما عملت الدول الوطنية على الالتزام بالمعايير الدولية والإقليمية الضامنة لحقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي، كلما زادت ضمانات حقوق طفلها الشغيل تكريسا.**

وتتجلى **أهمية الموضوع** في: أن حقوق الانسان، ومنها حقوق الطفل؛ أصبحت تعالج دوليا ووطنيا؛ وتقاس عظمة الدول والشعوب بمدى الالتزام بها. والطفل من أهم الذين يجب الالتزام بحقوقه؛ لأنه من ذوي الأوضاع الهشة؛ بإبقائه متمدرسا أولا، أو الحفاظ على طفولته إن صار مشتغلا. فالاهتمام به، اهتماما بمستقبل المجتمع.

ويهدف المقال إلى: التأكيد على حماية الأطفال من الأخطار التي قد يتعرضون لها عند تشغيلهم؛ ومناصرة المنظمات الدولية والإقليمية والوطنية. والترويج للمعايير الضامنة لحقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي، والتأكيد على أهمية وعي الأسر وأوصياء الأطفال، والمجتمع الوطني، بمسألة الأطفال المشغلين في بيئة أقل ما يقال عليها أنها ضارة بطفولتهم.

ومن الدول المرافَقة من المنظمات الدولية والإقليمية؛ الجزائر، التي صادقت على جميع المواثيق والاتفاقيات المحددة للمعايير الضامنة لحقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي، وعملت على تنفيذها؛ بإدراج مضمونها في دساتيرها وفي منظومتها التشريعية. وتجريم استغلال الطفل اقتصاديا(م.69ق01/16)، وأصدرت منذ استرجاع سيادتها إلى اليوم 36 تشريعا يتناول الطفولة والمراهقة (وزارة التضامن).

أما خلاصة الآليات التي رصدتها الجزائر لضمان حقوق طفلها من الاستغلال الاقتصادي، فتتمثل في كل ما يحافظ على بقاء طفلها في المدرسة حتى نهاية سن التعليم الالزامي، أو السماح له بالاشتغال ولكن بشروط ضامنة لحقوق طفولته ومستقبله بكرامة.

وخلص المقال: إلى أن قدرة الدول الوطنية على التوفيق بين حاجة الطفل الملحة إلى المال، وحاجة أصحاب العمل إلى التربح، تكمن في: مدى استطاعة الدول الوطنية على تخليص شعبها من الفقر.

والموضوع متناول في خمسة مباحث. المبحث الأول: تناول الإطار المنهجي والمفاهيمي. المبحث الثاني: بين واقع الطفل المشغل في العالم، المبحث الثالث: أبرز الجهود الدولية والإقليمية الضامنة لحقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي. المبحث الرابع: عرض جهود الجزائر الضامنة لحقوق طفلها الشغيل من الاستغلال الاقتصادي.

المبحث الخامس. بين مدى تنفيذ المواثيق والاتفاقيات الدولية والإقليمية المحددة للمعايير الضامنة لحقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي.

المبحث الأول

الإطار المنهجي والمفاهيمي

تناول الإطار المنهجي والمفاهيمي: الاشكالية ، وأهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، وأهدافه.

أولا. الاشكالية

إذا نظرنا إلى الطفل خارج دائرة اللعب. نجده على وضعيتين: الأولى ، وضعية "تمدرس" ، والثانية ، وضعية ما اصطلح على تسميته في الجزائر بـ "الحياة العملية". والحياة العملية أيضا على وضعيتين: الأولى ، "تمهين(م2ق07/81). " والثانية ، "تشغيل".

وتشغيل الأطفال تلجأ إليه عادة الأسر الفقيرة بسبب حاجتها الشديدة إلى المال ، وهو ما جعل أصحاب العمل يستغلون أطفالها ، للتربح منهم بأكبر قدر ممكن ؛ بإعطائهم أجر غير منصف ، وساعات عمل أطول ، وأشغال لا تتناسب وطفولتهم ، وقد تكون على حساب تمدرسهم وأخلاقهم وحاجاتهم النفسية والاجتماعية.

وهو ما نبه المنظمات الدولية والإقليمية والوطنية إلى ضرورة التدخل لحماية الأطفال من هذا الاستغلال ، بالتعاون فيما بينها من جهة ، واتخاذ مبادرات توجيهية وتشريعية من جهة ثانية.

والجزائر صادقت والتزمت بكل الاتفاقيات والمواثيق والبروتوكولات الدولية والإقليمية المحددة للمعايير الضامنة لحقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي ، واتخذت كافة الإجراءات التشريعية والإدارية اللازمة ؛ لضمان حماية حقوق طفلها من أي استغلال ، بالدسترة والتقنين وإنشاء الهياكل الخاصة بضمان حقوق الطفل.

وقد رافق المشرع الدولي والإقليمي لحقوق الإنسان ، الدول الوطنية (الجزائر نموذجا) بعد أن التزمت بما صادقت عليه ، لضمان حقوق طفلها من الاستغلال الاقتصادي. وبهذا تطرح الفرضية على الصيغة التالية:

كلما عملت الدول الوطنية على الالتزام بالمعايير الدولية والإقليمية الضامنة لحقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي، كلما زادت ضمانات حقوق طفلها الشغيل تكريسا.

وبذلك يكون التساؤل الرئيسي المنبثق من هذه الفرضية ، هو: ماهي المعايير الضامنة لحقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي ، المقترحة على الدول الوطنية ، ومدرجة في منظومة التشريع الجزائري ؟

ويترتب عليه (5) تساؤلات فرعية ، هي:

1. ما هو واقع الطفل المشغل في العالم ؟
2. ماهي الجهود الدولية والإقليمية المبذولة الضامنة لحقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي ؟
3. ما هي الجهود الجزائرية المبذولة الضامنة لحقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي ؟
4. ما هي الآليات المفعلة ؛ دوليا وجزائريا ، الضامنة لحقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي ؟
5. ما مدى تنفيذ المواثيق والاتفاقيات الدولية والإقليمية المحددة للمعايير الضامنة لحقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي ؟

أما **محددات الموضوع** ، فهي أربعة محددات:

1. "**الطفل الشغيل**" المقصود به: الأنثى والذكر المشغلين ، اللذين يتراوح عمرهما بين (16 و18) سنة.
2. **المرجعية الأساسية المعتمدة** في هذا المقال ، هي: الشِّرعة الدولية ، أو المواثيق والاتفاقيات والبروتوكولات الدولية والإقليمية ، المحددة للمعايير الضامنة لحقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي ، الصادرة عن المنظمات الدولية والإقليمية ، المهتمة بحقوق الطفل الشغيل ، والتي صادقت عليها الدولة الجزائرية. والتشريع الجزائري المكرس للمعايير الضامنة لحقوق الطفل الشغيل من الاستغلال.
3. الموضوع متناول من شقه (السوسيو-قانوني).
4. المنهج المتبع: هو المنهج الوصفي والتحليلي ، لوصف واقع ما تقوم به المنظمات المرجعية المرافِقة ، وتحليل واقع الظروف التي يعيشها الطفل المشغل ، وواقع الدول الوطنية المرافَقة ، فيما تبذله من جهود ؛ لتنفيذ ما صادقت عليه ؛ وتحويله إلى قوانين رادعة.

ثانيا: أهمية الموضوع: تتمثل أهمية الموضوع في أن:

1. **الطفل**: وهو أضعف المخلوقات البشرية ، وأهم فئات المجتمع الجديرة بالاهتمام ومستقبل الأمة وعمادها ، والاهتمام بالطفل ؛ اهتمام بالمجتمع ؛ لأنه ديمومته وبانيه.

2. **كون شغل الطفل الايجابي**: حق وواجب وشرف (أمر57/76).

أ. **حق**: حق الطفل على مجتمعه ، التدرب ؛ لاكتساب مهارة العمل بما يتوافق وسنه ، ولا يعوق نموه الجسدي والفكري وتمدرسه.

ب. **واجب**: على أوصياء الطفل أن ينشئوا طفلهم على الرغبة في العمل ؛ لأنه شرف له ولهم. وواجب عليه ؛ فهو حق الوطن على المواطن.

ج. **شرف**: للأسرة وطفلها ؛ وذلك بأن تزرع فيه ثقافة " ما أكل أحد طعاما قط ، خير من أن يأكل من عمل يده" ؛ فهي بهذا تؤهله ليحفظ كرامته ويشارك في بناء مجتمعه وتطوّره.

3. الحقوق حاليا لم تعد كما كانت في الماضي مسألة وطنية تعالج في نطاق القوانين والأنظمة الوطنية ، بل صارت اليوم قضية عالمية وإنسانية ، تهم كل فرد وكلّ إنسان. وتقاس رفعة الأمم وعظمتها بمدى احترامها لحقوق رعاياها ، والالتزام بما وُفّر لهم دوليا من ضمانات قانونية وعملية ، تمكنهم من كسب عيشهم ، وحمايتهم من كل استغلال(فقرة4إ.جنيف).

4. **الوعي بأهمية الحد من** استغلال الانسان لأخيه الانسان ، صار مطلب وحق انساني ووطني.

ثالثا. أسباب اختيار الموضوع: اخترت موضوع " الجهود الدولية والجزائرية لحماية الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي" ، بسبب:

1. إنسانية وعالمية حقوق ذوي الأوضاع الهشة في المجتمع ومنهم الطفل.

2. تأكيد حق الطفل في الشغل القانوني لكسب عيشه ، وواجب على دولته حمايته من الاستغلال.

3. الاهتمام الدولي المتنامي بالطفل.

4. تزايد الاهتمام الدولي والإقليمي بتشجيع التكامل والتعاون بين الأجهزة الحكومية والمجتمع المدني ، بالمرافقة للتصدي للمشاكل ، أو الظواهر الاجتماعية التي منها ظاهر الاستغلال الاقتصادي للأطفال.

5. تزايد اهتمام الجزائر بالطفل: بإنشاء وزارة خاصة بالأم والطفل ، وإصدار تشريعات لضمان حمايته من الخطر.

6. تعاظم الدور الذي يلعبه علم الاجتماع في التصدي للظواهر الاجتماعية. خاصة التي تحتاج إلى التخطيط لها ، وتضافر جهود أطراف متعددة.

رابعا. أهداف المقال: يهدف المقال إلى تحقيق ثمانية (8) أهداف أساسية ، هي:

1. رفع الغموض عن مفهومي "شغل الطفل" و" استغلال الطفل اقتصاديا". بمحاولة تطوير وتعزيز قاعدة المعارف الخاصة لكل من المفهومين.

2. مناصرة ذوي الأوضاع الهشة في المجتمع ، ومنهم الطفل الشغيل ، الذي هو في أمس الحاجة إلى المساعدة والمناصرة ، هو وأسرته.

3. المساهمة في توجيه الأنظار وتعزيز الوعي لدى" أوصياء الأطفال" ، بمشكلة الأطفال المشتغلين في ظروف خطرة. وتعبئة الرأي العام الوطني ؛ لاتخاذ الاجراءات اللازمة للحيلولة دون انخراط الأطفال في أسوإ أشكال الشغل ، أو انتشالهم منه ، وإعادة تأهيلهم ودمجهم في المجتمع.

4. المساهمة في الترويج للاتفاقيات الدولية والإقليمية المحددة للمعايير الضامنة لحقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي.

5. المساهمة في الترويج للقانون الدولي لحقوق الانسان ، والأحكام القانونية المتعلقة بتشغيل الأطفال الجزائريين.

6. تبيان مدى الحماية التي كرّسها القانون الدولي لحقوق الانسان ، الضامن لحقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي.

7. تبيان مدى تكريس الضمانات القانونية الموفرة من المشرع الجزائري للطفل الشغيل لضمان حقوقه من الاستغلال الاقتصادي.

8. تقييم مدى تنفيذ المواثيق والاتفاقيات الدولية والإقليمية المحددة للمعايير الضامنة لحقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي.

خامسا: تحديد المفاهيم: يتمحور المقال في ثلاثة مفاهيم أساسية، هي: الطفل، الطفل الشغيل، استغلال الطفل اقتصاديا.

1. **الطفل:** فقد أجمعت الشِّرعة الدولية والمشرع الجزائري على تعريف الطفل بأنه: كل شخص لم يكمل ثماني عشرة (18) سنة من عمره. سواء أكان ذكراً أم أنثى. إلا أنها اختلفت في مدة طفولته الممنوع فيها من الشغل تماما، فعمر الطفولة تطول أو تقصر بحسب تخلف أو تحضر المجتمع الذي تعيش فيه: المجتمع المتخلف، الطفل فيه لا يُطلب منه مهارة كبيرة ليدمج في زمرة المشتغلين، بل كل ما يطلب منه، تعلم بعض الحرف البسيطة فقط، لذلك تَقْصر مدة الطفولة فيها إلى 14 سنة، بينما تطول مدتها في المجتمعات المتحضرة لطول مدة تعليمها الإلزامي، وارتفاع مستواها الاقتصادي، لتصل إلى حد 16 سنة كاملة، في مثل: الجزائر.

2. **الطفل الشغيل** ؛ سمي بهذا الاسم ؛ لأنه خرج من دائرة التعليم الإلزامي، لكنه لم يرشد، أو لم يكمل 18 سنة من العمر. فقد سمح له المشرع أن يشتغل رغم "قصوره" بشرط موافقة أوصيائه ؛ فهو لا يُحمل المسؤولية، ولا يمكن تحميله نتائج شغله.

استعمل المشرع الجزائري لمفهوم "الطفل المشغل" الذي عمره بين (16 و18) سنة. أربع مسميات: (العامل (م1ق31/75)، العامل القاصر، والعامل الصغير، الشاب (م44ق12/78) الحدث. (1/2ق15/15).

التعريف الإجرائي: الطفل الشغيل، هو: كل شخص لم يتمم 18 سنة من العمر، ويبذل جهدا فكريا، أو جسديا لقاء أجر أو بدونه، يشتغل لدى أوصيائه، أو غيرهم، سواء كان الشغل دائما أو عرضيا، أو موقتا، أو موسميا، وسواء أكان الشغل إيجابيا أم سلبيا.

3. **استغلال الطفل الشغيل اقتصاديا:** هو: كل تشغيل للطفل بغير إشراف والديه، أو أوصيائه، ويكون هدف مشغله ؛ دفعه إلى الشغل للتربح من شغله، دون مراعاة لطفولته، أو ما يعوق نموه البدني، أو العقلي، أو الروحي، أو المعنوي، أو الاجتماعي. وقد اعتبر القانون رقم 12/15 المتعلق بحماية الطفل، أن "الاستغلال الاقتصادي للطفل" من الحالات التي يكون الطفل فيها في خطر، لاسيما بتشغيله، أو تكليفه بأشغال غير قانونيةم13/2ق12/15).

المبحث الثاني
واقع الطفل المشغل في العالم

قبل تناول الجهود الدولية والإقليمية والجزائرية الضامنة لحقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي، أُذَكِّر أولا بجذور الاهتمام بالطفل، ومعاناته في الشغل، وأسباب انخراطه فيه، والمنظمات الدولية والإقليمية المهتمة بضمان حقوقه من الاستغلال الاقتصادي.

أولا. جذور الاهتمام بالطفل الشغيل: ترجع جذور الاهتمام بالطفل الشغيل إلى عهد عصبة الأمم التي بلورت معالم اهتمام المجتمع الدولي بظاهرة تشغيل الأطفال، وتعهدت بتنظيم ظروف شغل عادلة وإنسانية لكل الباحثين عنه.

هذا التعهد مهد لتبني قضايا الطفولة في مواثيق دولية أكثر أهمية وفعالية كـ "الإعلان العالمي لحقوق الإنسان" لسنة 1948 الذي نظر إلى الأم والطفل باعتبارهما من أهم مكونات المجتمع ؛ يستحقان المساعدة والرعاية الخاصتين، وهي الحقوق التي أعيد بلورتها في العهدين الدوليين لسنة 1966، إلى جانب إعلان حقوق الطفل الذي أصدرته هيئة الأمم المتحدة في 20 نوفمبر 1959 ، والذي يعد أول تشريع دولي تم فيه تعداد حقوق الطفل. إلا أن المبادرات الدولية والإقليمية لم تقف عند هذا الحد في الاهتمام بالطفل المشغل، وإنما وصلت إلى ذروتها سنة 1989 عندما صدرت "اتفاقية حقوق الطفل". باعتبارها جزءا لا يتجزأ من المنظومة الحقوقية العالمية. واستكملت الجمعية العامة للأمم المتحدة عملها تجاه الطفل بإصدار البروتوكولين الاختياريين الملحقين بحقوق الطفل، الأول يخص بيع الأطفال واستغلالهم في البغاء والمواد الإباحية، والثاني يخص إشراك الأطفال في المنازعات المسلحة، المعتمدين في نيويورك يوم 25 مايو سنة 2000.

هذا استعراض سريع لبداية التشريع للمعايير الضامنة لحقوق الطفل. ولكن الطفل المشتغل مازال يعاني العديد من المشاكل في أنحاء العالم.

ثانيا. معاناة الطفل الشغيل في العالم: أتناول في الأسطر الموالية أوضاع الطفل المشتغل حسب المناطق، أو في مجموعات لتشابه الوضعية في كل منطقة، باختصار شديد، وهي:

1. **وضع يعاني الطفل فيه من أسوأ أشكال الاستغلال: تشير** تقارير منظمة العمل الدولية إلى أن بعض المناطق تكاد تخلو من ظاهرة استغلال الطفل اقتصاديا، مثل: أوروبا وأمريكا الشمالية واستراليا. بحيث يعتبر الطفل فيها في أرقى الأوضاع - ظاهريا- مقارنة بباقي المجموعات الدولية الأخرى. لكن هذه المجموعة يعاني طفلها بشكل خطير من أسوأ أشكال الاستغلال الجنسي والأشغال الإباحية، لطبيعة نظامها الليبيرالي.

2. **وضع يعاني الطفل فيه من تجاوزات على حقوقه مع وجود جهود تشريعية غير مفعلة:** وهو طفل الدول الاشتراكية سابقا، مثل: دول شرق أوروبا وكوبا.

3. **وضع يكابد الطفل فيه من جميع أنواع الاستغلال:** وهو طفل شرق وجنوب شرق آسيا وشبه القارة الهندية وأمريكا الجنوبية والوسطى، باستثناء كوريا، والدول الإفريقية والعربية، وعلى رأسهم موريتانيا والصومال واليمن، التي يعاني الطفل فيهم من عبودية القرون الوسطى، باستثناء الجزائر.

ثالثا. أسباب انخراط الطفل في الشغل: لا ترجع أسباب اشتغال الطفل إلى سبب واحد بل إلى عدة أسباب متداخلة، **ومن** أوضح أسباب انخراط الطفل في الشغل: الفقر، تباطؤ وتيرة النمو الاقتصادي، ملء فراغ الطفل، ضعف مسؤولية أصحاب العمل وأوصياء الأطفال، غياب الاجراءات والعقوبات القانونية الرادعة لمكافحة استغلال الأطفال، تفشي المشاكل الاجتماعية، التسرب المدرسي.

وتفصيل ما سبق، هو:

1. **الفقر:** يعتبر الفقر من أقوى عوامل ظاهرة تشغيل الأطفال التي تنتشر في كل أنحاء العالم، ونرى الفقر منتشرا بمستويات كبرى في دول العالم الثالث؛ إذ يضطر معه الوالدان إلى تشغيل أطفالهم؛ من أجل معاونة العائلة، في الحصول على قوت يَومِها، وشفاء مرضاها، والتكفل بحاجيات تمدرس أبنائها، وخاصة؛ لما يكون الوالد متوفَى، وتتحمل الأم وحدها عبء البيت؛ فلا تقدر على توفير كل الحاجيات؛ لذلك تلجأ إلى تشغيل طفلها عند حرفي، أو داخل مصنع، و/أو توجه ابنتها إلى الخدمة في بيوت ميسوري الحال.

2. **تباطؤ وتيرة النمو الاقتصادي:** مما أدى إلى ارتفاع معدل البطالة، وتدني مستوى دخل الفرد؛ فالعديد من الأطفال يتوجهون إلى ميدان الشغل رغبة في زيادة دخل أسرهم، أو بسبب عجز الأولياء على الإنفاق على أطفالهم، لما يكون الاقتصاد الوطني ضعيفا.

3. **ملء فراغ الطفل:** أثناء العطل المدرسية، بدفع الطفل إلى ميدان الشغل دون مراعاة قدراته وسنه وطبيعة وظروف الشغل، وقد يسهم تشغيل الطفل في العطل المدرسية إلى تعوده على جمع المال، وبالتالي تسربه من المدرسة.

4. **ضعف مسؤولية أصحاب العمل وأوصياء الأطفال:** الذين يسارعون إلى تشغيل الأطفال، لقبول الطفل الشغل بصمت، وجهله لحقوقه، في مثل: تخلي أصحاب العمل عن الشروط والالتزامات المتعلقة بالتأمين الصحي والاجتماعي، وتوفير ظروف وشروط شغل ملائمة.

5. **غياب الإجراءات والعقوبات القانونية الرادعة لمكافحة استغلال الأطفال**، أو لعدم تفعيلها وفق روح الاتفاقيات الدولية والإقليمية المحددة للمعايير الضامنة لحقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي، أو وجود ثغرات قانونية في التشريع الوطني.

6. **تفشي المشاكل الاجتماعية**، ومن أهمها التفكك الأسري، كانفصال الوالدين بالطلاق، أو وفاة معيل الأسرة خاصة الأب.

7. **التسرب المدرسي:** التسرب المدرسي، يؤدي إن وجدت أسباب أخرى، منها: الاقتصادية، وضعف قدرة مسؤول الأسرة على تحمل تكاليف تمدرس الأبناء، وقد يشغل الآباء أبناءهم لجهلهم بنتائج أمية أبنائهم.

رابعا. المنظمات الدولية المهتمة بضمان حقوق الطفل.

من أهم وأشهر المنظمات الدولية والإقليمية المهتمة بضمان حقوق الطفل بصفة عامة والطفل الشغيل بصفة خاصة: منظمتا العمل الدولية والعربية، ومنظمة اليونسكو، والمفوضية السامية لحقوق الإنسان، ولجنة حقوق الطفل.

المبحث الثالث

الجهود الدولية الإقليمية الضامنة لحقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي

تتمثل هذه الجهود في مرافقة المنظمات الدولية والإقليمية المهتمة بحقوق الطفل الشغيل، للدول الوطنية؛ بمدها بالمعايير الضامنة لحقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي، وحثها على التصديق عليها، وتحويلها إلى آليات وطنية قابلة للتطبيق.

وأبدأ بتبيان المواثيق والاتفاقيات والبروتوكولات، ثم المعايير التي تضمنتها. وأخيرا آليات تنفيذها.

أولا. المواثيق والاتفاقيات والبروتوكولات الدولية والإقليمية المحددة للمعايير الضامنة لحقوق الطفل من الاستغلال الاقتصادي.

المواثيق والاتفاقيات والبروتوكولات الدولية والإقليمية المحددة للمعايير الضامنة لحقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي، هي المرجع الأساسي في هذا المقال، وهي:

1. الاتفاقيتان المرقمتان بـ (29) و(105) المعنيتان بالقضاء على **السخرة والشغل الإجباري** المعتمدتين في (سنتي 1930، 1957 على التوالي). صادقت الجزائر عليهما بتاريخ 1962/10/19 و1969/06/12 على التوالي.

2. الإعلان العالمي **لحقوق الانسان**، المعتمد من الجمعية العامة للأمم المتحدة، في 1948/12/10. والمصادق عليه من الجزائر بالمادة 11 من دستور 1963.

3. الإعلان العالمي لحقوق الطفل، المعتمد من الجمعية العامة للأمم المتحدة، في 20 نوفمبر سنة 1959.

4. العهد الدولي الخاص **بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية**، المعتمد من الجمعية العامة للأمم المتحدة في1966/11/16، والمصادق عليه من الجزائر في 1989/05/61.

5. الاتفاقية رقم: 138 المتعلقة **بالحد الأدنى لسن الشغل** المعتمدة سنة 1973 من منظمة العمل الدولية، صادقت عليها الجزائر بتاريخ 30 أفريل 1984.

6. ميثاق حقوق الطفل العربي الصادر عن وزراء الشؤون الاجتماعية العرب سنة 1984.

7. اتفاقية **حقوق الطفل** المعتمدة من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة، في 20 نوفمبر سنة 1989، صادقت عليها الجزائر في 19 ديسمبر 1992.

8. والميثاق الإفريقي **لحقوق الطفل ورفاهيته**، المعتمد بأديس أبابا سنة 1990، والمصادق عليه من الجزائر في 8 جويلية سنة 2003.

9. الاتفاقية العربية رقم 18 المتعلقة بشغل الأحداث، صدرت عن منظمة العمل العربية سنة 1996.

10. اتفاقية العمل الدولية رقم 182، المتعلقة **بأسوأ أشكال عمل الطفل**، المعتمدة من منظمة العمل الدولية سنة 1999، صادقت عليها الجزائر بتاريخ 2001/03/09.

11. البروتوكول الاختياري الملحق باتفاقية حقوق الطفل بشأن بيع الأطفال واستغلال الأطفال في البغاء وفي المواد الإباحية، المعتمد في نيويورك في 25 مايو سنة 2000، والمصادق عليه من الجزائر في 2 سبتمبر سنة 2006.

12. البروتوكول الاختياري الملحق باتفاقية حقوق الطفل بشأن اشتراك الأطفال في المنازعات المسلحة المعتمد بنيويورك في 25 مايو سنة 2000، والمصادق عليه من الجزائر في 2 سبتمبر سنة 2006.

13. اتفاقية **حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة** المعتمدة من طرف الجمعية العامة للأمم المتحدة في 12/13 سنة 2006، والمصادق عليها من الجزائر في 12 مايو سنة 2009.

هذه الاتفاقيات والبروتوكولات نجد ها جميعا متفقة على المعايير التالية الضامنة لحقوق الطفل من الاستغلال الاقتصادي، **لم أشر إليها في متن المقال باعتبارها منذ البداية المرجع الأساسي له.**

ثانيا. المعايير التي تضمنتها الاتفاقيات الدولية والإقليمية المحددة للمعايير الضامنة لحقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي.

نستنتج من الاتفاقيات الدولية والإقليمية السابقة ؛ المحددة للمعايير الضامنة لحقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصاد ، المعايير التالية ، وهي:

السن الأدنى المسموح به لتشغيل الطفل ، وشروط تطبيق السن الأدنى لتشغيل الطفل ، والاستثناءات التي يمكن العمل بها في تحديد السن الأدنى لتشغيل الطفل ، وأخيرا السن الأعلى المحرر للطفل من صفة الطفولة.

1. **الحد الأدنى لسن تشغيل الطفل:** عموما يمكن تشغيل الطفل ابتداءً من سن انتهاء الدراسة الإلزامية في أي شغل ، ويمكن أن ينزل إلى سن 15 سنة ، في إطار التمهين (م15ق11/90)، وهو المعمول به في الجزائر. أما في غيرها فينظر لتحديد السن الأدنى لتشغيل الطفل ، إلى اقتصاد الدولة وتسهيلات التعليم والإدارة فيها ؛ إن لم يبلغوا درجة كافية من التطور ، أجاز المشرع الدولي تخفيض سن بداية تشغيل الطفل إلى 14 سنة من العمر. ومهما كانت حالات السن ؛ لا بد من توفر الشروط التي حددها المشرع الدولي ، لقبول تشغيل الطفل.

2. **شروط تشغيل الطفل**: لقبول تشغيل الطفل في الحد الأدنى للسن السابق ذكره. يجب توفر الشروط التالية ، وإلا ؛ يمنع تشغيله حتى إكماله (18) سنة من العمر ، وهي:

أ. أن يكون الشغل الذي يؤديه الطفل غير ضار بصحته جسديا ، أو نفسيا ، أو أخلاقيا ، أو بعلاقاته الاجتماعية ، أو غير حاط من كرامته ، أو نموه ، أو لا يعرض صحته ، أو سلامته للخطر ؛ بسبب طبيعة الشغل ، أو الظروف التي يؤدى فيها الشغل.

ب. ألا يعطل الشغل المواظبة الدراسية ، أو الاشتراك في برامج التوجيه ، أو التدريب المهنيين التي تقرها السلطة الوطنية المختصة ، أو لا يضعف قدرة الطفل على الاستفادة من التعليم الذي يتلقاه.

ج. أن يكون الطفل الشغيل مُقدما في الحصول على الإغاثة ، وخاصة الطفل المعوق (فقرة.ب.ميثاق.ح.ط. عربي)

د. أن تكون الأنشطة المسموح بها وعدد ساعات الشغل محددة وشروط الشغل مقررة.

هـ. أن تكون القوانين الوطنية محددة للأشغال التي تشكل خطرا على الطفل.

و. أن يكون الطفل المشغل قد تلقى تعليما محددا ، أو تدريبا مهنيا كافيين يخص النشاط الذي يمارسه.

ز. ألا يعتبر الشغل المؤدى استرقاقا للطفل ، مثل: الشغل المجبر عليه ، أو كان يدخل في صراعات مسلحة ، أو كان تشغيله يمثل استعراضا لأغراض الدعارة ، أو لإنتاج أشغال إباحية ، أو لمزاولة أنشطة غير مشروعة من طرف الدول الوطنية ، خصوصا إنتاج المخدرات ، أو الاتجار بها ، (م3إ.م.عمل.182)، أو كان فيه تواطؤ على حقوق الطفل ، كوسيط بالحفز على ماهو ممنوع.

3. **استثناءات من الشغل الممنوع**: استثني المشرع الدولي والإقليمي والوطني من الأشغال المحدد فيها السن الأدنى لتشغيل الطفل: الأشغال التي يؤديها الأطفال والأحداث في المدارس لأغراض التعليم العام ، أو المهني ، أو التقني ، أو في مؤسسات التدريب الأخرى ، أو كان الشغل بإشراف أوصياء الطفل خاصة والديه ، أو في إطار التمهين ، كما يمكن أن تُمنح إعفاءات من السن المحدد في كل حالة على حدة ؛ لأغراض خاصة منها ، مثلا: المشاركة في حفلات فنية(م.م 8/4.إ.م.عمل 138)، إذ يمكن للسلطات الوطنية استثناءً ، ألا يطبق سن تشغيل الأطفال البالغين 16 سنة من العمر في أشغال محددة ، إن ظهرت بشأنها مشاكل تطبيقية خاصة ، كما يمكن للقوانين الوطنية أن تجيز أشغال خفيفة لأطفال تتراوح أعمارهم بين 13 و15 سنة. لملاءمتها طفولتهم.

4. **تحديد السن الأعلى** : يرفع قيد السن على المشغَّل ، إن أكمل ثماني عشرة سنة (م3إ. م.عمل.د138) من العمر ، فيمكنه أن يشتغل أي شغل ولو كان فيه ما يحتمل أن يشكل خطرا على صحته ، أو سلامته ، أو أخلاقه ، أو بدنه ، أو قد يكون له أثر على نموه العقلي ، أو الروحي ، أو المعنوي ، أو الاجتماعي(م1/32حقوق.إ)؛ لتحمل العامل مسؤوليته شخصيا.

بعد استعراض هذه المعايير الدولية والإقليمية الضامنة لحقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي.

ألخص فيما يلي، الشغل الممنوع على الطفل من أدائه، والذي يمكن أن يؤديه.

انطلاقا من المواثيق الدولية والإقليمية المشار إليها سابقا، نستنج أنها لم تمنع الشغل في حد ذاته على الطفل، بل حددت سن تشغيله، والأشغال الأسوأ الممنوعة على الطفل من المشاركة فيها. وطالبت الحكومات بتحديد السن الأدنى المسموح به لاشتغال الطفل؛ حسبما يتوافق وطبيعة اقتصادها، ومدة التعليم الإلزامي فيها، والتسهيلات التعليمة الموفرة، وطبيعة الشغل وظروفه، المتوافق مع درجة تطور اقتصاد البلد،(م7،إ.م.عمل.د138)، ووافقت على شغل الطفل الذي يسهم في نمو شخصيته ومواهبه وقدراته، وكل ما يجعله يستمتع بظروف بيئة شغله، ولا يعوقه من تحصيل حقوقه كإنسان، كالتعلّم.

بعد توضيح الشغل المقبول والممنوع، من حقنا أن نتساءل، ما هي الآليات الدولية والإقليمية التي رصدت لضمان حقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي؟

ثالثا. الآليات الدولية والإقليمية الضامنة لحقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي:

استخلاصا من المعايير الواردة في الاتفاقيات والمواثيق السابقة، يمكن تحديد الآليات الدولية والإقليمية التالية؛ المقترحة من المنظمات الدولية والإقليمية على الدول الوطنية:

1. الالتزام بما ورد في المواثيق والاتفاقيات والإعلانات الدولية والإقليمية والبروتوكولات المحددة للمعايير الضامنة لحقوق الطفل من الاستغلال، التي صادقت عليها، ولو أخلاقيا؛ لكونها عضوا في هيئة الأمم المتحدة.
2. الامتناع عن تشغيل الطفل قبل بلوغه السن المقررة دوليا وإقليميا ووطنيا.
3. اتخاذ كافة الإجراءات التشريعية والإدارية الملائمتين؛ لضمان التنفيذ الكامل لحقوق الطفل من كافة أشكال الاستغلال الاقتصادي في القطاعين الرسمي وغير الرسمي.
4. العمل على أن يكون الطفل في وضع يمكِّنه من كسب عيشه، وأن تحميه دولته من كل استغلال (م4 إ.جنيف).
5. **أن تتشاور** الدول الوطنية الضعيف اقتصادها ونظامها التربوي مع العمال وأصحاب العمل المعنيين، قبل تخفيض سن الشغل إلى 14 سنة من عمر الطفل.
6. **وجوب عودة** الدول الوطنية التي خفض سن الشغل فيها؛ إلى السن الإلزامية للتعليم؛ إن زالت الأسباب الاقتصادية والتعليمية الملزمة لتخفيض سن بداية تشغيل الطفل.
7. **وجوب سنّ قوانين وطنية** تحدد الأشغال التي تشكل خطرا على الطفل الشغيل.
8. **مطالبة الدول** المصادقة على الاتفاقيات المحددة للمعايير الضامنة لحقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي، بإدراج عقوبات رادعة، في قوانينها الوطنية تتناسب مع الجرم المحدد في المواثيق والاتفاقيات التي صادقت عليها.
9. **تجريم الاتجار** بالأطفال في البغاء، أو استخدامهم في المواد والعروض الإباحية، أو استغلالهم اقتصاديا بتجنيدهم في النزاعات الحربية، وكل الانتهاكات التي تحرمهم من حقوقهم.
10. **تزويد الطفل** الشغيل بتعليم، أو تدريب مهني معينين كافيين قبل تشغيله.
11. **أن تحدد** الدول الوطنية الحد الأدنى لأجر أي شغل، وعدد ساعاته وظروفه.

المبحث الرابع

جهود الجزائر الضامنة لحقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي

توجد العديد من المشاكل الخاصة بالطفل فى الجزائر منها: مشكل استغلال الاطفال اقتصاديا، الذي هو أحد المشاكل التى تسعى التشريعات الجزائرية إلى الحد منه، وفقا للتشريعات الدولية والإقليمية، ومن ذلك مشكل الطفل الذي يكون عمره بين (16 و18 سنة) ومضطرا إلى الشغل بسبب الفقر. ومن الجهود المبذولة من الدولة الجزائرية للحد من استغلاله؛ العمل بآلية المصادقة على الاتفاقيات والمواثيق الدولية والإقليمية، وتحويلها إلى نصوص قانونية، وإنشاء أجهزة وطنية تشرف على رعاية الطفل.

وقبل الحديث عن الآليات الجزائرية الضامنة لحقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي، أبدأ أولا بتعداد المواثيق التي صادقت عليها الجزائر، ثم كيفية تنفيذها لتعهداتها الدولية والإقليمية.

أولا. **المواثيق التي صادقت عليها الجزائر**: صادقت الجزائر على الاتفاقيات والمواثيق والبروتوكولات (الثلاثة عشر) المحددة للمعايير الضامنة لحقوق الطفل من الاستغلال الاقتصادي، (مذكورة سابقا) (تجنبا للتكرار). والتزمت بما فيها، وبالعمل على تنفيذها،

ثانيا. كيفية تنفيذ الجزائر لتعهداتها الدولية والإقليمية: نفذت الجزائر المعايير الواردة في المواثيق والاتفاقيات الدولية والإقليمية المحددة للمعايير الضامنة لحقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي المصادقة عليها؛ بدسترتها، وتقنينها، وإنشاء أجهزة للإشراف على تنفيذها.

1. **الدسترة**: فقد دسترت الجزائر أن "الاتفاقيات التي يصادق عليها رئيس الجمهورية تسمو على القوانين الوطنية (م150ق01/16). ودسترت أيضا جريمة استغلال الطفل اقتصاديا (م69ق01/16).

2. **التقنين**: فقد أصدرت باسم الشعب من سنة 1972 إلى اليوم: 36 تشريعا يتناول الطفولة والمراهقة (وزارة التضامن). من بينهم: القانون رقم 11/90، المتعلق بعلاقات العمل، (مرجع سابق). والقانون رقم 12/15، المتعلق بحماية الطفل، (مرجع سابق)، الذي عرف الطفل في الخطر، بأنه: "الطفل الذي تكون صحته، أو أخلاقه، أو تربيته، أو أمنه في خطر، أو عرضة له، أو تكون ظروفه المعيشية، أو سلوكه، من شأنهما أن يعرضاه للخطر المحتمل، أو المضر بمستقبله، أو يكون في بيئة تعرض سلامته البدنية، أو النفسية، أو التربوية للخطر" (م 2/2ق 12/15) وحددت الحالات التي يكون فيها الطفل في خطر. وهي: (أكتفي بالتي لها علاقة مباشرة مع الاستغلال الاقتصادي)، وهي.

أ. المساس بحق الطفل في التعليم.

ب. التسول بالطفل، أو تعريضه للتسول.

ج. سوء معاملة الطفل، وخصوصا تكليف الطفل بأي شغل ينطوي على القسوة التي من شأنها التأثير على توازنه العاطفي، أو النفسي.

د. الاستغلال الجنسي للطفل بمختلف أشكاله في المواد الإباحية، وفي البغاء، أو إشراكه في عروض جنسية.

هـ. وقوع الطفل ضحية نزاعات مسلحة وغيرها من حالات الاضطراب وعدم الاستقرار (م 2/ق 12/15).

وسأفصل في كيفية تطبيق القانونين الأخيرين في الآليات التي حددها المشرع الجزائري، لاحقا.

3. **إنشاء هياكل خاصة بضمان حقوق الطفل:** من الهياكل الضامنة لحقوق الطفل، التي أقامتها الدولة الجزائرية، لمتابعة تطبيق تعهداتها الدولية والإقليمية، ما يلي:

أ. إنشاء وزارة التضامن الوطني والأسرة وقضايا المرأة.

ب. إنشاء 48 مديرية ولائية موزعة على مستوى التراب الوطن، متفرعة عن وزارة التضامن الوطني والأسرة وقضايا المرأة.

ج. فتح مركز وطني للدراسات والإعلام والتوثيق حول الأسرة والمرأة والطفولة.

د. إقامة 32 مركزا متخصصا في إعادة التربية (CSR) يستقبل الأحداث الجانحين الذين تتراوح أعمارهم بين 14 و18 سنة.

هـ. فتح 09 مراكز متخصصة في الحماية (CSP) تستقبل الأحداث، ممن هم في خطر معنوي؛ تتراوح أعمارهم بين 06 و14 سنة.

و. إنشاء 5 مراكز متعددة الخدمات لوقاية الشبيبة (CPSJ). (وزارة التضامن)

ز. إنشاء على مستوى كل ولاية من ولايات الوطن الثماني والأبعون، مصلحة للتوجيه والملاحظة في الوسط المفتوح (SOEMO)، مكلفة بالسهر على متابعة الأحداث، الذين هم في خطر معنوي، وفي حرية محروسة، بأمر من قبل قاضي الأحداث.

ثالثا. آليات ضمان حقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي في التشريع الجزائري:

المصادقة على الاتفاقيات والمواثيق الدولية والإقليمية كآلية وحدها لا يكفي لتطبيقها على أرض الواقع ؛ بل لا بد من تحويل كل اتفاقية إلى مواد قانونية يسترشد بها القضاة ، وتلتزم بها الأجهزة الضبطية ، وكل من له شأن بضمان حقوق الطفل الشغيل على الخصوص.

ولذلك سن المشرع الجزائري مجموعة القوانين الضامنة لحقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي ، منها القانونين الساريين ، القانون رقم 11/90 ، المتعلق بعلاقات العمل ، والقانون رقم 12/15 ، المتعلق بحماية الطفل. ومن هذين القانون نستنتج أن:

1. **المشرع رتب على القانون** رقم 11/90. المتعلق بعلاقات العمل (مرجع سابق). عند عدم إلتزام صاحب العمل بالشروط المحددة فيه. (طبقا للمواد 15 و135 و139 و140 و141 و143) ما يلي: (أكتفي بذكر المواد التي لم يسبق ذكرها ، أو لن تذكر لاحقا في القانون رقم 12/15 ، المتعلق بحماية الطفل. تفاديا للتكرار).

أ. عند تشغيل صاحب العمل لطفل لم يبلغ السن القانونية - إلا في حالة التمهين - أبطل المشرع عقد الشغل ، وقرر غرامة مالية تقدر بين (1000 و2000 د.ج) على صاحب العمل ، مع استحقاق الطفل المشتغل أجر شغله الذي أداه فعلا ، وعند العود إلى المخالفة خلال اثني عشر شهرا الموالية ، يحكم على صاحب العمل بالحبس لمدة تتراوح من 15 يوما إلى شهرين ، مع غرامة مالية يمكن أن ترفع إلى ضعف الغرامة المنصوص عليها في العقوبة الأولى.

ب. عند تشغيل صاحب العمل أطفالا في ظروف غير لائقة: يعاقب بغرامة تقدر بين (2000 و4000) د.ج. مع امكانية مضاعفة الغرامة في حالة العود.

ج. إن شغل صاحب العمل طفلا ليلا: عوقب بغرامة مالية تقدر بين (1000/500) د.ج. وتضاعف في حالة العود. وتطبق العقوبة عند كل مخالفة معايَنة وتكرر بحسب عدد المشغلين المعنيين.

2. **بين بالقانون** رقم 12/15 ، المتعلق بحماية الطفل ، (مرجع سابق)، بالمواد (2 و6 و11 و13 و139 و140 و143) ، (أكتفي بما لم يذكر سابقا).

أ. متى يكون الطفل في خطر ، وحدد الجهة الكفيلة بحماية الطفل.

ب. العقوبات المسلطة على المخالفين.

ج. أن الاستغلال الاقتصادي يجعل من الطفل في خطر ، إذا كان شغله يحرمه من متابعة دراسته ، أو كان ضارا بصحته ، أَو بسلامته البدنية و/أَو المعنوية أو إن استغل جنسيا.

د. أن كفالة الطفل حق على الدولة: بالحماية من كافة أشكال الضرر ، أو الإهمال ، أو العنف ، أو سوء المعاملة ، أو الاستغلال ، أو الإساءة البدنية ، أو المعنوية ، أو الجنسية.

هـ. أن الدولة لها أن تتخذ من أجل ضمان حقوق الطفل ، كافة التدابير المناسبة لوقايته وتوفير الشروط اللازمة لنموه ورعايته والحفاظ على حياته وتنشئته تنشئة سليمة وآمنة في بيئة صحية.

و. ضرورة إحداث هيئة وطنية لضمان حقوق وترقية الطفولة يرأسها المفوض الوطني لحماية الطفولة ، تكلف بالسهر على حماية وترقية حقوق الطفل ، وتتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي.

ز. ضرورة وضع برامج وطنية لضمان حقوق الطفولة ، وتشجيع البحث في مجال حقوق الطفل ؛ لفهم الأسباب الاقتصادية والاجتماعية و/أو الثقافية ؛ لإساءة معاملة الطفل واستغلاله ، وطالب بتطوير سياسة مناسبة لضمان حقوقه.

ج. أن كل من يستغل الطفل اقتصاديا ، يعاقب بالحبس من سنة واحدة (1) إلى ثلاث (3) سنوات ، وبغرامة من 50.000 دج إلى 100.000 دج.

ط. أن كل من ينال ، أو يحاول النيل من الحياة الخاصة للطفل ؛ بنشر ، أو ببث نصوص و/أو صور بأية وسيلة يكون من شأنها الإضرار بالطفل ، يعاقب بالحبس من سنة (1) واحدة إلى ثلاث (3) سنوات وبغرامة من 150.000 إلى 300.000 دج.

ي. أن تشدد العقوبة، الواردة في التشريع الساري المفعول، ولاسيما في قانون العقوبات، على كل جرائم الاستغلال الجنسي للطفل.

ك. **أن مفهوم الحماية**، هو: وجوب حماية الطفل من الاستغلال في الأشغال التي يحتمل فيها الخطر عليه، أو تؤثر على تربيته، أو صحته، أو نموه البدني، أو الذهني، أو الروحي، أو الأخلاقي، أ والاجتماعي.

ل. أن يحدد سن شغل الطفل بنهاية تعليمه الإلزامي. واستثنى الحالات المتعلقة بالتمهين (م182،ق31/75)، أو الشغل داخل المدارس بغرض التدريب، أو داخل ورش عائلة الطفل، أو بإشراف أوصيائه وخاصة والديه.

م. أن يكون العمر الاستثنائي لتشغيل الطفل بين (16و18) سنة، ولا يمكن أن يقل عن 14 سنة استثناء. ولو بموافقة وصيه أو وليه الشرعيين.

ن. أن حرية أوصياء الطفل في قبول شغل طفلهم مقيدة بألا تكون طبيعة الشغل وظروفه التي يؤدى فيها؛ ما يمس بصحته، أو نموه، أو أخلاقه، أو كرامته، أو كان الشغل فوق طاقته، أو فيه ما يحتمل أن يشكل خطرا عليه، أو كان ليلا، أو تحت الأرض (ق 07/88).

س. أن الطفل الشغيل مستثنى من العقوبة: إن ضبط الطفل يشتغل بطريقة غير قانونية، عاقب المشرع صاحب العمل، واكتفى بتقديم النصح للطفل المشغل.

ع. أن الطفل المسموح له بالشغل؛ له نفس الحقوق التي أعطيت للراشد، وأوجب عليه نفس الواجبات، إذا كانا يشتغلان نفس المنصب، مثل: الأجر المستحق (م 81،ق31/75) وأبطل الاتفاقات والاتفاقيات المبرمة بين العمال وأصحاب العلم، وعقود التشغيل التي تميز بين المشغلين على أساس السن(م17 .ق 11/90)

ف. **أن الدولة الجزائرية وفرت**: كل التسهيلات الممكنة التي تحول دون التسرب المدرسي، مثل: مجانية التعليم، النقل المدرسي، مجانية الكتب للمعوزين، و"اللمجة" لجميع تلاميذ الطور الابتدائي، وطعام الغداء لتلاميذ الطورين الثاني والثالث؛ لمن يصعب عليهم الالتحاق ببيوتهم في منتصف النهار. (أما الجامعي، الحديث فيه ليس مجال موضوعنا؛ لأن الطفل فيه قد تجاوز عمره 18 سنة).

المبحث الخامس

تقييم مدى تنفيذ المعايير الدولية والإقليمية التي صادقت عليها الزائر

بالرغم مما تتمتع به الاتفاقيات والمواثيق الدولية والإقليمية، من جوانب إيجابية ملزمة - ولو التزاما اخلاقيا- للدول المصادقة عليها، حمايةً للطفل من الاستغلال، إلا أنه يجب الاعتراف، بوجود عدد من المآخذ على الاتفاقيات والمواثيق الدولية والإقليمية، بما يجعلها في حاجة إلى إعادة النظر، لتلافى السلبيات المسجلة عليها، والتي يمكن الاشارة إليها في النقاط التالية:

1. ما تصدره المنظمات الدولية والإقليمية من مواثيق، وإعلانات، واتفاقيات لا تحصل دائما على التصديق والنفاذ من الدول ذات العلاقة.

2. كل المواثيق والإعلانات والاتفاقيات ليست ملزمة بالضرورة، بل الالتزام بها؛ التزاما أخلاقيا فقط، ولهذا، يمكن لأي دولة ألاّ تصادق على اتفاقية ما، أو تتحفظ على بعض بنودها.

3. كل ما تصدره هذه المنظمات، عبارة عن حلول لوقائع، أو سلوكات عامة ومجردة، وتركت تحديد العقوبات على من يخالفها إلى الدول الوطنية، لتحددها حسب ثقافتها وأساليب الحياة فيها وقدراتها الاقتصادية على تنفيذها، وهو ما أدى إلى:

أ. تقاعس الكثير من الدول خاصة منها الديكتاتورية، عن تحويل الجهود الضامنة للحقوق إلى قواعد قانونية ملزمة.

ب. رغم دسترة جريمة استغلال الأطفال اقتصاديا؛ مثل: الجزائر؛ إلا أن القضاة لا يستطيعون تسليط العقوبات الرادعة على المخالفين، إن لم تكن هناك نصوصا تحدد الجزاءات، بسبب المبدأ القضائي القائل: "لا عقوبة ولا جزاء إلا بنص"

ج. يعيب على منظمة العمل الدولية: أنها لم تستطع فرض عقوبات على المخالفات التي بُلغت بها كشكاوى من المتضررين، رغم التثبت من صحتها.

د. في الأخير، لا يمكننا أن نتغافل عن الوصمة التي وصمت بها منظمة العمل الدولية: بسبب تناسيها خادمات البيوت، ومن هن البنات المشتغلات فيها، فهي إلى حد الآن

لم تصدر أي اتفاقية، بشأن وضعية الاستعباد التي تحياها خادمات البيوت، إلا توصية واحدة فقط.

وفي النهاية، لم يبق إلا أن أختم وأستخلص النتائج وأقترح التوصيات، التي أرى أنها قد تساعد على التخفيف من استغلال الطفل الشغيل.

خاتمة

بعد مضي عشرة عقود على انتهاء الحرب العالمية الثانية، وتأسيس منظمة العمل الدولية، وسبعة عقود من الزمن على صدور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لسنة 1948، تجاوزت مسألة التكفل بحقوق الطفل الأوطان؛ لتصبح قضية عالمية. بتأسيس منظمات عالمية وإقليمية تهتم بحقوق الانسان بصفة عامة والطفل بصفة خاصة؛ وجعلت من مرافقتها لجهود الدول الوطنية، آلية لضمان حقوق الطرف الضعيف في المجتمع، مثل: الطفل الشغيل؛ فأصدرت المنظمات المهتمة بحقوق الطفل إلى حد الآن مجموعة من المواثيق، من بينها منظمة العمل الدولية، التي أصدرت (188 اتفاقية و199 توصية).

وقد صدر إلى حد الآن: ثلاث عشرة وثيقة بين اتفاقية وإعلان وبروتوكول تهتم بضمان حقوق الطفل الشغيل، وتعتبر المصادقة على هذه الوثائق آلية، أو تعهد من الدول الوطنية بالعمل بما جاء فيها، ويرافق هذه الدول المصادقة، منظمات مختصصة، من أهمها: منظمتي العمل الدولية والعربية، ومنظمة اليونسكو، والمفوضية السامية لحقوق الإنسان، ولجنة حقوق الطفل.

والجزائر من بين الدول المرافَقة التي عملت على حماية حقوق طفلها من الاستغلال الاقتصادي، بآلية المصادقة على الوثائق الخاصة بضمان حقوق الطفل الشغيل من الاستغلال الاقتصادي، بدءا من استرجاع سيادتها سنة 1962 حتى الآن، وعملت على تنفيذها؛ بدسترتها وتقنينها. وشرعت 36 قانونا يتناول الطفولة والمراهقة، منها القانونين: القانون رقم 11/90، المتعلق بعلاقات العمل (مرجع سابق). والقانون رقم 12/15، المتعلق بحماية الطفل (مرجع سابق). واستطاعت بمرافقة المنظمات الدولية والإقليمية، ان تعمل فى إطار قانونى محدد؛ مكنها من تنفيذ مهامها بصورة واضحة؛ ضمانا لحقوق طفلها الشغيل من الاستغلال الاقتصادي خاصة، وتحقيق مصالحه العليا بصفة عامة.

وقد ازدادت آليات ضمان حقوق الطفل الجزائري فعالية؛ بإنشاء وزارة خاصة بالأم والطفل، وإبقاء الطفل في المدرسة إلى غاية بلوغه ستة عشر (16) عاما من العمر، ومنعت تشغيله قبل نهاية سن التمدرس، ووافقت على تشغيله بين عامي (16 و18) بشرط: موافقة أوصيائه، وقيدت موافقتهم بأن لا يكون الشغل يحرمه من المواظبة على الدراسة، و/أو ليس فيه ضررا بدنيا، أو نفسيا عليه، أو حاطا من كرامته، أو لا يعتبر استرقاقا له، أو تجارة جنسية، أو بيعا له، أو يوجد في التجارة المشغل فيها ما منعه المشرع الجزائري. إلا أنها سمحت له بالشغل الذي ينمي طفولته ولو قبل السن القانوني، مثل: الأشغال التي تكون في المدرسة، أو التكوين المهني، أو كل ما هو مرخص به؛ كلٌ على حدة، من الدولة الجزائرية، كالأشغال المسرحية، أو الاستعراضات الاحتفالية.

وعلى كلٍ، القرائن والملاحظات، ترجع السبب الأساسي لاشتغال الطفل إلى الفقر المنتشر في محيطه، الذي سببه الفشل الدولي والإقليمي والوطني في القضاء عليه نهائيا.

ورغم ذلك فالفقر في القرن الواحد والعشرين أقل حدة عما كما كان عليه منذ مائة سنة خلت، قبل تضافر الجهود الدولية والإقليمية والوطنية على مقاومته؛ بضمان حقوق الفئات الهشة في المجتمع؛ وعلى رأسها الطفل الشغيل بصفة خاصة. والجزائر بفضل تبنيها مخططات التنمية المتعاقبة؛ قل فيها الفقر أيضا، ولم يعد كما كان عليه أثناء الفترة الاستدمارية على الأقل.

النتائج

من أهم الأسباب التي يرجع إليها فشل الجهود الدولية والإقليمية والدول الوطنية؛ في الوصول بالمعايير الضامنة لحقوق الطفل من الاستغلال الاقتصادي لجميع أهدافها: تعارض حاجة طرفي علاقة العمل إلى المال، تفشي الفقر، التفكك الأسري، طبيعة النظام التعليمي، الجهل الأسري، تطبيق القوانين على اساس تمييزي.

1. **تعارض حاجة طرفي علاقة العمل إلى المال**: تتعارض حاجة الطفل الملحة إلى المال، مع شهية أصحاب العمل المفرطة في التربح، والتربح السريع على الخصوص؛

باستغلالهم الطبقة العاملة بصفة عامة والطفل الشغيل بصفة خاصة.

2. **تفشي الفقر**: بسبب بطء وتيرة النمو الاقتصادي، أو شح الثروات الطبيعية الوطنية، أو وفرتها ولكنها مستغلة من جهات احتكارية أجنبية، أو لفساد من بيدهم السلطة من أبناء الوطن، أو أن النظام الحاكم ديكتاتوري.

3. **التفكك الأسري**: بسبب انفصال الوالدين، أو وفاة معيل الأسرة، أو بطالته، أو عجزه عن العمل، أو انتشار أمراض مزمنة بالأسرة، أو غياب الولي عن الأسرة لمدة طويلة، أو تملص الأولياء عن مسؤولياتهم تجاه أبنائهم.

4. **طبيعة النظام التعليمي**: قصر مدة التعليم الإلزامي المجاني في بعض الدول، أو بعد المدارس عن المؤهَلين للدراسة، أو تسربهم منها، أو فشلهم الدراسي المبكر.

5. **الجهل الأسري**: بنتائج التشغيل المبكر لأطفالهم، الذي له نتائج وخيمة سببها تشغيل الأطفال قبل السن القانوني، وخاصة في ظروف لا تحفظ كرامتهم وصحتهم وأخلاقهم.

6. **تفعيل القوانين على أساس تمييزي**: حسب مركز الوالدين، أو الأوصياء على الطفل، أو الانتماء السياسي، أو الطبقي، أو الطائفي، أو المذهبي، إلخ.

هذه أهم النتائج المتوصل إليها، ولهذا بقي أن أقدم توصيات، او اقتراحات، أرى أنها قد تساعد على ضمان حقوق الطفل الشغيل؛ أكثر مما هي عليه الآن.

التوصيات

فيما يلي مجموعة التوصيات مبنية على النتائج المتوصل إليها:

1. العمل على تضييق فجوة التعارض في علاقة العمل بين الطبقتين: العاملة، وأصحاب العمل؛ بحماية الدولة للطرف الضعيف وهو المشتغَّل من جهة، والحفاظ على حاجة المشغِّل إلى الربح من جهة ثانية؛ وبالقضاء على أسباب الفقر، أو التخفيف منه على الأقل، حتى لا تتحول علاقة العمل إلى مصدر لصراع بين الطبقتين.

2. العمل على تقديم قروض من الدولة إلى الشباب المبادر في النشاط الخاص بدون فوائدة، لإنشاء مشاريع صغيرة تعود بالفائدة على الاسر ذات الأوضاع الهشة.

3. تعزيز حماية الاطفال المشغلين بقوانين رادعة؛ لضمان التزام أصحاب العمل بحقوق الأطفال المشغلين على الخصوص: بضمان دفع اشتراكات الضمان الاجتماعي، وتحديد ساعات العمل، والإجازات، والعطل.

4. نشر التوعية الاجتماعية؛ لإقناع الأسر بخطورة تشغيل الأطفال في بيئة مضرة بهم.

5. محاولة إيجاد حل جذري للتسرب المدرسي، بابتكار آليات عملية وواضحة كفيلة بالحد منه.

6. رفع مقدار الغرامات، وتشديد العقوبات - المنصوص عليها في القانون رقم 12/15 المتعلق بحماية الطفل، والقانون رقم 11/90 المتعلق بعلاقات العمل- على كل مخالفة لقوانين تشغيل الأطفال، والتهرب من اشتراكات الضمان الاجتماعي؛ وخاصة عند العود إلى نفس المخالفة.

7. العمل على تطوير التشريعات العمالية الوطنية، "لأن تخلف أي أمة عن توفير ظروف شغل إنسانية، تكون عقبة تعطل جهود غيرها من الأمم الراغبة في تحسين أحوال العمال داخل بلدانها" (دستور م،عمل.د)

8. تطوير وتوسيع مؤسسات التكوين المهني، لتشمل فروع تكوين جديدة مطلوبة أكثر من أصحاب العمل، بهدف زيادة فرص تعلم "مهنة"، أو أكثر لكل متسرب من المدرسة، أو محال على الحياة العملية.

9. تفعيل أكثر لدور الاعلام؛ لزيادة توعية الأولياء، بمخاطر استغلال الأطفال إقتصاديا.

10. تعزيز دور السلطات الولائية والبلدية، في مراقبة تشغيل الاطفال، وخاصة في قطاع الخاص.

11. تحميل النقابات، أو الشركاء الاجتماعيون، مسؤولية حماية الأطفال المشغلين من الاستغلال الاقتصادي.

بيبليوغرافية المراجع

أولا. الدساتير

1. القانون رقم 01/16 ، المؤرخ في 06 مارس 2016 ، المتضمن التعديل الدستوري ، جريدة رسمية العدد 14 ، بتاريخ 7 مارس 2016.
2. دستور منظمة العمل الدولية ، سنة 1919.

ثانيا. المواثيق

1. الأمر رقم 57/76 ، المؤرخ في5 يوليو سنة 1976 ، المتضمن الميثاق الوطني ، جريدة رسمية العدد 61 ، بتاريخ 30 يونيو 1976. ص 901. رجعت إليه باعتباره من أدبيات السياسة الجزائرية.
2. ميثاق حقوق الطفل العربي ، أقره مؤتمر وزراء الشؤون الاجتماعية العرب في ديسمبر 1984.
3. الميثاق الإفريقي لحقوق الطفل ورفاهيته سنة ، 1990 ، بدأ نفاذه في 29 نوفمبر 1999.

ثالثا. الإعلانات والاتفاقيات والبروتوكولات والعهود الدولية

1. إعلان جنيف لحقوق الطفل ، المصادق عليه بتاريخ 17 مايو 1924.
2. اتفاقية منظمة العمل الدولية ، رقم 29 ، المعنية بالقضاء على **السخرة والشغل الإجباري** المعتمدة سنة 1930
3. الاعلان العالمي لحقوق الانسان ، اعتمدته الجمعية العامة للأمم المتحدة في 10 ديسمبر 1948.
4. اتفاقية منظمة العمل الدولية رقم 105 ، المعنية بإلغاء العمل الجبري ، المعتمدة في 1957.
5. الاعلان العالمي لحقوق الطفل ، المعتمد من الجمعية العامة للأمم المتحدة ، في 20 نوفمبر سنة 1959.
6. العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، المعتمد من الجمعية العامة للأمم المتحدة في1966/11/16.
7. اتفاقية منظمة العمل الدولية ، رقم 138 ، بشأن الحد الأدنى لسن العمل ، المصادق عليها بتاريخ 6 جوان 1973.
8. اتفاقية حقوق الطفل المعتمدة من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة ، في 20 نوفمبر سنة 1989.
9. الإتفاقية العربية رقم 18 المتعلقة بعمل الأحداث ، صدرت عن منظمة العمل العربية ، سنة 1996.
10. اتفاقية منظمة العمل الدولية ، رقم 182 ، بشأن أسوأ أشكال عمل الطفل ، المعتمدة من منظمة العمل الدولية ، سنة 1999.
11. البروتوكول الاختياري الملحق باتفاقية حقوق الطفل ، بشأن بيع الأطفال واستغلال الأطفال في البغاء وفي المواد الإباحية ، المعتمد في نيويورك في 25 مايو سنة 2000.
12. البروتوكول الاختياري الملحق باتفاقية حقوق الطفل ، بشأن اشتراك الأطفال في المنازعات المسلحة المعتمد بنيويورك ، في 25 مايو سنة 2000.
13. اتفاقية **حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة**، المعتمدة من طرف الجمعية العامة للأمم المتحدة ، في 13/12 سنة 2006.

رابعا. القوانين

1. الأمر رقم 31/75 ، المؤرخ في 29 أفريل 1975 ، المتضمن الشروط العامة لعلاقات العمل في القطاع الخاص ، جريدة رسمية العدد 39 ، بتاريخ 26 مايو 1975.
2. القانون رقم 12/78 ، المؤرخ في 05 أوت 1978 ، المتضمن القانون الأساسي العام للعامل ، جريدة رسمية العدد 32 ، بتاريخ 08 أوت 1978.
3. القانون رقم 07/81 المؤرخ في 27 يونيو 1981 ، المتعلق بالتمهين ، جريدة رسمية العدد 26 ، بتاريخ 30 يونيو 1981.
4. القانون رقم 06/82 ، المؤرخ 27 فبراير 1982 ، المتعلق بعلاقات العمل الفردية ، جريدة رسمية العدد 8 ، بتاريخ 2 مارس 1982.
5. القانون رقم 88 /07 ، المؤرخ في 26 يناير 1988 ، المتعلق بالوقاية الصحية والأمن وطب العمل ، جريدة رسمية العدد 4 ، بتاريخ 27 يناير 1988.
6. القانون رقم 11/90 ، المؤرخ في 21 أفريل 1990 ، المتعلق بعلاقات العمل ، المعدل والمتمم ، جريدة الرسمية العدد 17 ، بتاريخ 25 أبريل 1990.
7. القانون رقم 12/15 ، المؤرخ في 15 يوليو 2015 ، المتعلق بحماية الطفل ، جريدة رسمية العدد 39 ، بتاريخ 19 يوليو 2015.

خامسا. المواقع الإلكترونية

8. الموقع الرسمي لوزارة التضامن الوطني والأسرة وقضايا المرأة. (الجزائرية) https: /www.msnfcf.gov.dz
9. تمت زيارة الموقع بتاريخ 17/01/ 2019 على الساعة 11.00.

آلية التنازل عن العقار غير المبني الموجه لإنجاز السكن الجماعي في القانون الجزائري

The mechanism of assignment of unbuilt real estate intended for the realization of collective housing in the Algerian law

تاريخ الإرسال:05-06-2018 تاريخ القبول: 11-11-2020

فتيحة شامم–جامعة يحي فارس، المدية، amani.fatiha1@gmail.com،

الملخص

من بين ما يشتمل عليه نشاط الترقية العقارية حسب أحكام القانون رقم 04/11 المؤرخ في المؤرخ في 17 فيفري 2011 الذي يحدد القواعد التي تنظم نشاط الترقية العقارية ، اقتناء المرقي العقاري للأراضي التي سينجز فوقها مشروعه العقاري بموجب عقود يتم إعدادها في الشكل الرسمي وطبقا للأحكام التشريعية السارية المفعول. خروجا عن القاعدة العامة المتعلقة بآلية البيع بالمزاد العلني للأملاك العقارية التابعة للأملاك الخاصة للدولة. أقر المشرع الجزائري آلية التنازل عن القطع الأرضية التابعة للأملاك الخاصة للدولة والموجهة لإنشاء برامج السكنات المدعمة ، بهدف تذليل الصعوبات التي تعترض المرقين العقاريين عند البحث عن أرضية مناسبة ، بسند ملكية ثابت لإنجاز المشاريع السكنية الجماعية المدعمة من طرف الدولة والتي ستخضع لقواعد الملكية العقارية المشتركة عند شغلها من طرف الملاك الشركاء.

الكلمات المفاتيح: الترقية العقارية المدعمة ، إقتناء الأرضية ، السكن الجماعي ، المرقي العقاري ، آلية التنازل.

Résumé

Selon les dispositions de la loi 11/04 du 17 février 2011 fixant les règles régissant l'activité de promotion immobilière, qui comprend, entre autres, l'acquisition des terrains par le promoteur immobilier destinés à la réalisation de son projet, se fait sur la base de contrats officiels et conformément aux dispositions législatives en vigueur. En s'écartant de la règle générale relative au mécanisme de la vente aux enchères des biens immobiliers relevant du domaine privé de l'état, le législateur algérien a approuvé le mécanisme de cession de terrains relevant du domaine privé de l'état et destinés à l'implantation de programmes de logements، aidés par l'état afin de surmonter les difficultés rencontrées par les promoteurs immobiliers à la recherche d'un terrain approprié avec titre de propriété approuvé pour la réalisation des projets de logements collectifs aidés par l'état, lesquels seront soumis aux règles de copropriété immobilière une fois occupés par les copropriétaires .

Mots-clés : *Promotion immobilière aidée, acquisition du terrain, logement collectif, promoteur immobilier, mécanisme de cession.*

Abstract

According to the provisions of the law 11/04 of 17 February 2011 that defines the rules governing the real estate development activity, the developer acquires lands for the realization of his real estate project through formal contracts in accordance with the current legislative provisions. In contravention to the general rule of public auction sale of real estate belonging to the state private property, the Algerian legislator approved a mechanism for assigning these land plots, which are directed to the establishment of housing programs, to the real estate developer in order to overcome the difficulties encountered by the latter while searching for a suitable land with approved title of property for the realization of collective housing projects; that are supported by the state and subjected to real estate co-ownership rules, once occupied by the co-owners.

Keywords: *helped real estate development, land acquisition, collective housing, real estate developer, land transfer mechanism.*

مقدمة

يتوقف نشاط الترقية العقارية في مجال البناء بشكل رئيسي على الأرضية ذات المواصفات المتناسبة ومقتضيات أحكام القوانين المنظمة لمجال التهيئة والتعمير،هذه الأرضية التي يزمع إقامة مشروع عقاري عليها وتفاديا لنشوب نزاعات عقارية مستقبلا بشأنها، ينبغي على المرقي العقاري حيازته لسند ملكيتها بوصفه مالكا لها تماشيا ومقتضيات أحكام القانون رقم 04/11 المؤرخ في 17 فيفري 2011 الذي يحدد القواعد التي تنظم نشاط الترقية العقارية، الأمر الذي يمكنه من نقل ملكية الأرض والبنايات التي ينجزها إلى ملاكها الجدد بدون أي إشكال قانوني.

في الواقع، إنه وقبل صدور القانون رقم 04/11 الذي يحدد القواعد التي تنظم نشاط الترقية العقارية (الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد 14، المؤرخة في 06 مارس 2011)،والذي ألغى أحكام المرسوم التشريعي رقم93/03 المؤرخ في 01 مارس 1993المتعلق بالنشاط العقاري، فقد سبق للمشرع الجزائري وأن أقر عدة نصوص قانونية للدفع بنشاط الترقية العقارية لاسيما المدعمة من طرف الدولة، بغرض تحقيق رهان مطلب السكن للمواطن البسيط الدخل، وذلك من حيث تدخل الدولة لتوفير الوعاء العقاري لصالح المرقي العقاري من مجموع أملاكها العقارية الخاصة، عن طريق آلية البيع الخاضع لقواعد قانونية خاصة، حسبما أقرت به مقتضيات المادة 89 من القانون رقم 30/90 المؤرخ في01 ديسمبر 1990 المتضمن قانون الأملاك الوطنية (الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد 52، المؤرخة في 02 ديسمبر 1990)،المعدل والمتمم بالقانون رقم 14/08 المؤرخ في 20 جويلية 2008 (المادة 26 من القانون رقم 14/08 المؤرخ في 20 جويلية 2008 المعدلة والمتممة للمادة 89 من القانون رقم 30/90 المتضمن قانون الأملاك الوطنية، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية،العدد 44،المؤرخة في 03 أوت 2008).

في هذا السياق تم الإفراج عن آلية التنازل بصدور أحكام القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 05 أفريل 2003 الذي يحدد شروط التنازل عن العقارات المبنية أو غير المبنية التابعة للأملاك الخاصة للدولة والمخصصة لإنجاز عمليات تعمير أو بناء، غير أن هذا الأخير تم إلغاؤه بموجب القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011 الذي يحدد شروط وكيفيات التنازل عن قطع أرضية تابعة للأملاك الخاصة للدولة وموجهة لإنشاء برامج السكنات المدعمة من طرف الدولة(الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد 51،المؤرخة في 14 سبتمبر 2011)،المعدل والمتمم على التوالي بموجب القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 25 أوت2015(الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، العدد 70، المؤرخة في29 ديسمبر 2015)، وكذلك القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 25 أفريل2018 (الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، العدد58، المؤرخة في 03 أكتوبر 2018). من بين ما تشترطه مقتضيات المادة 40 من القانون رقم 04/11 الذي يحدد القواعد التي تنظم نشاط الترقية العقارية، أن يكون بيع الأرضيات الواجب بناؤها من طرف مرقي الأوعية العقارية، والمخصصة للبناء موضوع عقد، يتم اعداده قانونا في الشكل الرسمي طبقا للأحكام التشريعية السارية المفعول، بتعبير أكثر دقة، ينبغي على المرقي العقاري أن يكون مالكا للأوعية العقارية التي سينجز فوقها المشاريع السكنية، ولتجسيد ذلك أقر المشرع الجزائري آلية التنازل عن القطع الأرضية التابعة للأملاك الخاصة للدولة والموجهة لإنشاء برامج السكنات المدعمة من الدولة، بهدف تذليل الصعوبات التي تعترض المرقين العقاريين عند البحث عن أرضية مناسبة بسند ملكية ثابت، ومنه نطرح الإشكالية البحثية الآتية:**هل يمكن لآلية التنازل عن القطع الأرضية التابعة للأملاك الخاصة للدولة والموجهة لإنشاء برامج السكنات الجماعية المدعمة من طرف الدولة تفعيل مقتضيات المادة 40 من القانون رقم 04/11 الذي يحدد القواعد التي تنظم نشاط الترقية العقارية؟**

على أساس هذه الإشكالية، سيتناول هذا المقال آلية التنازل عن العقارات غير المبنية التابعة للأملاك الخاصة للدولة بغرض إنجاز برامج السكنات الجماعية النمط المدعمة من طرف الدولة، للكشف عن دور هذه الآلية في تفعيل اشتراطات أحكام المادة 40 من القانون رقم 04/11 المحدد للقواعد التي تنظم نشاط الترقية العقارية، للمساهمة في ضمان تحقيق الائتمان العقاري بثبوت حق ملكية الأرضية والبناية المنجزة لفائدة الملاك المقتنين للسكنات بعد تسديد

سعرها لفائدة المرقي العقاري البائع، معتمدين أساسا على المنهج الوصفي التحليلي، وتقسيم هذا البحث الذي يمتاز بقلة الدراسات بشأنه إلى مبحثين، حيث يتعلق المبحث الأول بتحديد المقصود بآلية التنازل عن العقار غير المبني الموجه لإنجاز السكن الجماعي المدعم، في حين يتعلق المبحث الثاني بكيفيات التنازل عن الأرضية في مجال إنجاز السكن الجماعي المدعم والصيغ السكنية المعنية به.

المبحث الأول: مفهوم آلية التنازل عن العقار غير المبني الموجه لانجاز السكن الجماعي المدعم

إذا كانت القاعدة العامة التي تحكم معاملات البيوع الواقعة على الممتلكات العقارية التابعة للأملاك الخاصة للدولة غير المخصصة أو التي ألغي تخصيصها ولم تعد صالحة للمصالح والمؤسسات العمومية هو البيع عن طريق المزاد العلني، فإنه وفي إطار التأسيس لتحفيزات خاصة بنشاط الترقية العقارية المدعمة، فإن العقارات غير المبنية والتابعة للأملاك الخاصة للدولة تكون موضوع شكل من أشكال التصرف لفائدة متعاملين عموميين وخواص، على أساس دفتر شروط طبقا للأحكام التشريعية والتنظيمية التي تحكم نشاط الترقية العقارية (المادتين 90 فقرة 01 و 92 فقرة 01 من المرسوم التنفيذي رقم 427/12 المؤرخ في 16 ديسمبر 2012 والذي يحدد شروط وكيفيات إدارة وتسيير الأملاك العمومية والخاصة التابعة للدولة، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد 69، المؤرخة في 19 ديسمبر 2012). تطبيقا لذلك تم اقرار آلية التنازل بموجب أحكام القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011 الذي يحدد شروط وكيفيات التنازل عن قطع أرضية تابعة للأملاك الخاصة للدولة وموجهة لإنشاء برامج السكنات المدعمة من طرف الدولة، المعدل والمتمم على التوالي، بموجب القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 25 أوت2015، والقرار الوزاري المشترك المؤرخ في 25 أفريل 2018. من خلال هذا المبحث سيتم التعريف بهذه الآلية (المطلب الأول) ثم تبيان مختلف الشروط المطلوبة لتفعيله (المطلب الثاني).

المطلب الأول: التعريف بآلية التنازل عن العقار غير المبني الموجه لإنجاز السكن الجماعي المدعم

يعتبر الوعاء العقاري جزءا لا يتجزأ من البناية المشيّدة، لذلك أوجب المشرع الجزائري على المرقي العقاري الخضوع للمقتضيات القانونية المتعلقة بقواعد التهيئة والتعمير، فلا يمكن انجاز إلا المشاريع العقارية السكنية التي تتطابق مع مخططات التعمير، وتتوفر على العقود والرّخص المسبقة والمطلوبة بموجب التشريع والتنظيم المعمول بهما، من هنا تظهر أهمية الوعاء العقاري، الذي يمثل الرّكيزة التي ينطلق منها مشروع البناء، مع الأخذ بعين الاعتبار الناحية القانونية، أي ملكية المرقي العقاري للأرض التي يقام عليها المشروع العقاري(موسى، 2015، صفحة 66). بصدور القانون رقم 04/11 المحدد للقواعد التي تنظم نشاط الترقية العقارية، أصبح من الضروري ملكية المرقي العقاري للأرضية التي سيقام عليها المشروع العقاري لتفادي نشوب المنازعات العقارية مستقبلا بشأن ملكية الأرضية التي تحوي السكنات، والتي يمكن أن تمسّ بحقوق الأطراف المتعاقدة، كالمرقي العقاري والمكتتبين ملاك العقارات السكنية المنجزة، وأن تكون خالية من الرهون، لاسيما الرهن الرسمي، فمقتضيات المادة 40 من القانون رقم 04/11 المحدد للقواعد التي تنظم نشاط الترقية العقارية، التي فرضت على المرقي العقاري، الحصول على الأرضيات الموجهة للبناء بموجب عقود بيع، مفرغة في قالب رسمي، تشهر على مستوى المحافظات العقارية المختصة إقليميا، ويجب أن يتم إعداد هذه العقود بالرجوع إلى عقود التعمير، مع ذكر حقوق البناء على الأرضيات العقارية موضوع الصفقة(موسى، 2015، صفحة 64 و 65).

في الواقع، يمكن للمرقي العقاري اقتناء وشراء الأوعية العقارية غير المبنية لانجاز المشاريع السكنية، من الخواص أو الوكالات العقارية، غير أن سعر الأوعية العقارية في هذه الحالة سيكون مرتفعا، نتيجة المضاربة في أسعارها، مما يجعل تكلفة بناء السكنات باهظا، ولتفادي هذه المعوقات تدخل المشرع الجزائري بموجب آلية التنازل عن الأوعية العقارية غير المبنية، وذلك من خلال القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011 الذي يحدد شروط وكيفيات التنازل عن قطع أرضية تابعة للأملاك الخاصة للدولة وموجهة لإنشاء برامج السكنات المدعمة من طرف الدولة، المعدل والمتمم.

يقصد بالتنازل من الناحية اللغوية التخلي عن شيء معين، في حين ينصرف مدلوله من الناحية الاصطلاحية إلى اعتباره، عملية تستهدف تحويل ملكية ممتلكات عقارية تابعة للأملاك الخاصة للدولة إلى المستفيد المتنازل له بثمن لا يقل عن قيمتها التجارية(مغداد، 2016، صفحة 01 و 02).

يعتبر التنازل عن الوعاء العقاري غير المبني، من الناحية القانونية، عقد بيع عقاري، ينقل الملكية من الدولة المالكة للوعاء العقاري لفائدة المرقي العقاري المشتري بمجرد شهر هذا العقد بقوة القانون، وذلك على مستوى المحافظة العقارية المختصة إقليميا، يبرم طبقا للقواعد العامة المقررة في عقد البيع، وقد يتضمن هذا العقد بعض الشروط الاستثنائية غير المألوفة في القانون العام، كالتنازل تحت شرط فاسخ بواسطة دفتر الشروط، غير أن هذا الشرط قد ألغي نتيجة المشاكل القانونية التي ترتبت لكل من مصالح إدارة أملاك الدولة والمرقين العقاريين، وذلك بموجب التعليمة الوزارية رقم 04382 المؤرخة في 15 أوت 2008 المتضمنة إلغاء الشرط الفاسخ (مسكر، 2016/2015).

بالاطلاع على أحكام القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011 المحدد لشروط وكيفيات التنازل عن قطع أرضية تابعة للأملاك الخاصة للدولة وموجهة لانشاء برامج السكنات المدعمة من الدولة، المعدل والمتمم، فإننا لا نجد بأن المشرع الجزائري قد أعطى تعريفا محددا للتنازل، لكن وبالنظر إلى تدابير ومقتضيات هذا القرار الوزاري المشترك يمكن تعريف التنازل بأنه أسلوب قانوني إستثنائي تلجأ إليه الدولة موضوعه نقل أو تحويل ملكية أملاك عقارية غير مبنية تملكها ملكية خاصة بها لفائدة المرقي العقاري المستفيد من التنازل، يترتب عن إتباعه نقل ملكية الوعاء العقاري غير المبني من الدولة المالكة لفائدة المرقي العقاري المستفيد وذلك بمناسبة إنجاز المرقي العقاري لمشروع سكني جماعي مستفيد من دعم الدولة، بناء على دفتر شروط وبمقابل محدد قانونا. وتجدر الإشارة إلى أن المشرع الجزائري قد أورد عبارة "البيع بالتراضي" ولم يستعمل عبارة "التنازل" عند تحديده لموضوع دفتر الشروط النموذجي المرفق بأحكام القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011، وتكرر الأمر في مواضع كثيرة ضمن أحكام وبنود دفتر الشروط النموذجي، وبالتالي نخلص إلى القول بأن المشرع الجزائري يعتبر التنازل عن القطع الأرضية التابعة للأملاك الخاصة للدولة الموجهة لإنشاء برامج السكنات المدعمة من طرف الدولة، كقاعدة ومن حيث المبدأ، تنازلا بمقابل، لذلك استعمل عبارة "البيع بالتراضي"، وهو بيع، محله قطعة أرضية، معلق على شرط الإنجاز واثبات هذا الإنجاز، يتميز بميزة هامة وهي تخفيض سعر الأراضي المباعة في مناطق الترقية العقارية وفق الكيفيات التي يحددها القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011، المعدل والمتمم، وفي المناطق الأخرى حسب النسب المئوية المحددة بموجب قرار مشترك بين الوزيرين المكلفين بالمالية والبناء (المادة 93 فقرة 02 من المرسوم التنفيذي رقم 427/12 الذي يحدد شروط وكيفيات إدارة وتسيير الأملاك العمومية والخاصة التابعة للدولة).

لقد حرص المشرع الجزائري على ضمان تحقيق آلية التنازل عن العقارات غير المبنية التابعة للأملاك الخاصة للدولة والموجهة لإنجاز المشاريع العقارية السكنية الجماعية المدعمة، للأهداف التي سن من أجلها، من بينها ضمان انجاز هذه السكنات ذات الطابع الاقتصادي والاجتماعي، وتوزيعها على مستحقيها للخروج من أزمة السكن، وتسهيل عملية حصول المرقين العقاريين على الأوعية العقارية للبناء عليها بأسعار اقتصادية، وذلك من خلال، تضمين دفتر الشروط النموذجي المرفق بأحكام القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011، المعدل والمتمم، بمقتضيات قانونية هامة، أكد بموجبها على أن القطعة الأرضية موضوع عملية البيع، مخصصة لإنجاز محلات تستعمل أساسا للسكن طبقا لبرنامج السكن المدعم من طرف الدولة لفائدة المرقي العقاري صاحب المشروع العقاري، وذلك على أساس دفتر الشروط، وكل تغيير لوجهة القطعة الأرضية موضوع التنازل، أو استعمالها سواء جزئيا أو كليا لأغراض غير الأغراض المحددة في دفتر الشروط، ينجر عنه فسخ البيع، لذا ينبغي على المرقي العقاري المشتري:

- أن يكون عارفا تمام المعرفة بالوعاء العقاري الذي اشتراه، فيتسلمه في الحالة التي يكون عليها يوم نقل ملكيته، ولا يمكنه أن يمارس أي طعن ضد الدولة مهما يكن السبب، لاسيما بسبب سوء حالة التربة أو باطن الأرض، وأن يتحمل كافة الارتفاقات التي تثقل الوعاء العقاري، المكتسب ملكيته، على اختلاف أنواعها سلبية كانت أم إيجابية.

- تحتفظ الدولة بناء على مقتضيات القانون رقم 30/90 المتعلق بالأملاك الوطنية، المعدل والمتمم، بملكية الكنوز والآثار، التي قد ينطوي عليها الوعاء العقاري غير المبني، أو التي يمكن اكتشافها فيه.

- ليس له الحق في أن يتنازل عن القطعة الأرضية غير المبنية، المتنازل عنها من مجموع الأملاك العقارية المملوكة ملكية خاصة من طرف الدولة، لفائدة الغير، ولا القيام

بتأجيرها أو هبتها لأغراض أخرى أو في إطار آخر غير الذي نص عليه مضمون المشروع السكني تحت طائلة سقوط حقه فيها.

- يترتب على عدم احترام بنود دفتر الشروط واعذار المرقي العقاري المعني اللجوء إلى القضاء الإداري، للمطالبة بإسقاط الحقوق العينية العقارية، وتعويضه حسب النسب المحددة في دفتر الشروط.

- في حالة ما إذا لم تنجز السكنات بانتظام، يُحرم المرقي العقاري المشتري من حقوق التعويض، ويترتب عليه ارجاع الأرضية العقارية موضوع التنازل في الحالة التي كانت عليها سابقا.

المطلب الثاني: الشروط المطلوبة لتفعيل آلية التنازل عن العقار غير المبني الموجه لإنجاز السكن الجماعي المدعم

لم يحدد المشرع الجزائري الشروط المطلوبة لتفعيل آلية التنازل ضمن بند واحد دفعة واحدة، غير أنه يمكن ومن خلال مقتضيات القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011، المعدل والمتمم، إستخراج مجموعة الشروط المطلوبة بغرض تفعيل آلية التنازل عن العقارات غير المبنية في مجال الترقية العقارية المدعمة، بحيث تتوزع هذه الشروط بين تلك المتعلقة بالمستفيد من التنازل (الفرع الأول)، وشروط متعلقة بالأرضية محل التنازل (الفرع الثاني)، وأخرى تتعلق بصنف نشاط الترقية العقارية المعنية بآلية التنازل (الفرع الثالث).

الفرع الأول: الشروط المتعلقة بالمستفيد من التنازل عن الأرضية الموجهة لإنجاز السكن الجماعي المدعم

يعتبر المرقي العقاري من المشاركين الأساسيين في نشاط الترقية العقارية، فهو المتدخل الأساسي الذي تقوم عليه الترقية العقارية (أومُحَمَّد، 2015/2014، صفحة 31)، وتبعا لذلك فإن فئة المرقين العقاريين هي المعنية بتطبيق أحكام القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011، المعدل والمتمم.

أولا-تعريف المرقي العقاري: يتطلب ممارسة نشاط الترقية العقارية، وجود أشخاص محترفين، يمتلكون مهارات كبيرة في هذا المجال، للقيام بمهامهم، يطلق عليهم إسم المرقي العقاري، الذي قد يكون من القطاع العام أومن القطاع الخاص. ظهرت هذه التسمية في النصف الثاني من القرن العشرين للدلالة على الشخص الذي يقوم ببناء وتمويل بناء العمارات (سعيداني-لوناسي، 2012، صفحة 232). للتعريف بالمرقي العقاري ينبغي التطرق إلى مختلف التعريفات التي أعطيت له سواء من الناحية اللغوية، الاصطلاحية، القانونية، القضائية وكذلك من الناحية الفقهية.

أ- **التعريف اللغوي للمرقي العقاري:** مصطلح المرقي العقاري مشتق من عبارة "الترقية العقارية"، التي تعني الترويج والتصعيد في العمل، فمصطلح "المرقي" يقصد به الباعث، الرائد، المتعهد بالبناء، المروج، كذلك يقصد به، الشخص المطور القائم بالتشييد، ومصطلح "عقاري" نسبة إلى العقار، وهو كل من له أصل في حيزه لا يمكن نقله دون تلف مثل الأرض والمنزل. يلاحظ بأن هذا التعريف اللغوي، يتوافق مع مجال نشاط الترقية العقارية، التي تسمح للمرقي العقاري بترقية وتهيئة العقار الحضري (مسكر، 2016/2015، صفحة 14 و 15).

ب- التعريف الاصطلاحي للمرقي العقاري: يعتبر المرقي العقاري من الناحية الاصطلاحية بأنه بائع المساحات الأرضية المبنية، أو في إطار البناء، أو مهيء لوعاء عقاري بغرض البناء، أو هو كل شخص طبيعي أو معنوي، الذي في إطار مهنته، أو بصفة عرضية، يقوم بإبرام عقود ترقية عقارية لحساب رب العمل، وقد يكون هذا الشخص مقاولا أو مشيدا، أو مهيئا للوعاء العقاري (مسكر، 2016/2015، صفحة 15).

ج- التعريف القانوني للمرقي العقاري: انطلاقا من مضمون أحكام القانون رقم 04/11المحدد للقواعد التي تنظم نشاط الترقية العقارية، يلاحظ بأن المشرع الجزائري قد تطرق للمقصود بالمرقي العقاري في أكثر من مادة من هذا القانون، فبموجب الفقرة الرابعة عشر من المادة 03**"يعد مرقيا عقاريا كل شخص طبيعي أو معنوي يبادر بعمليات بناء مشاريع جديدة أو ترميم أو إعادة تأهيل أو تجديد أو إعادة هيكلة، أو تدعيم بنايات تتطلب أحد هذه التدخلات، أو تهيئة وتأهيل الشبكات قصد بيعها أو تأجيرها"**، وبمقتضى نص المادة 18 من نفس القانون، **"يعد مرقيا عقاريا، في مجموع الحقوق والواجبات، مرقي الأوعية العقارية المخصصة حصرا للبناء و/أو التجديد العمراني قصد بيعها"**.

أما فيما يخص المرسوم التنفيذي رقم 84/12 المؤرخ في 20 فيفري 2012 المحدد لكيفيات منح الإعتماد لممارسة مهنة المرقي العقاري وكذا كيفيات مسك الجدول الوطني للمرقين العقاريين (الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد 11، المؤرخة في 26 فيفري 2012)،المعدل والمتمم، بموجب المرسوم التنفيذي رقم 96/13 المؤرخ في 26 فيفري 2013(الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد 13، المؤرخة في 06 مارس 2013)،وبالمرسوم التنفيذي رقم 243/19 المؤرخ في 08 سبتمبر2019(الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد 55، المؤرخة في 15 سبتمبر 2019)، فقد قام المشرع الجزائري بالتعريف بالمرقي العقاري من خلال نص المادة 02 على أنه: **"يعتبر مرقيا عقاريا كل شخص طبيعي أو معنوي يحوز إعتمادا ويمارس نشاط الترقية العقارية كما هو محدد في القانون رقم 04/11المؤرخ في 17 فيفري 2011 الذي يحدد القواعد التي تنظم نشاط الترقية العقارية"**.

من خلال النصوص القانونية السابقة الذكر يتضح لنا بأن المشرع الجزائري قد اعتمد ضمن نص الفقرة 14 من المادة 03 من القانون رقم 04/11 المحدد للقواعد التي تنظم نشاط الترقية العقارية، على معيار النشاط لتعريف المرقي العقاري، فهو كل من يمارس عمليات البناء قصد البيع أو الإيجار أو التدخل في الأنسجة العمرانية الموجودة والتي بها مشاكل مادية ،بالمقابل أشار المشرع ضمن نص المادة02 من المرسوم التنفيذي رقم 84/12 المحدد لكيفيات منح الاعتماد لممارسة مهنة المرقي العقاري وكذا كيفيات مسك الجدول الوطني للمرقين العقاريين، المعدل والمتمم، إلى أنه ينبغي على المرقي العقاري أن يكون حائزا على اعتماد لممارسة أي نشاط يدخل ضمن موضوع الترقية العقارية، لذلك أقر الفقه بأن المشرع الجزائري قد توسع ضمن هذه المادة في تعريفه للمرقي العقاري (زروق، 2017، صفحة 776) مقارنة بنص الفقرة 14 من المادة 03 من القانون رقم 04/11، وكذلك نص المادة 18 من نفس القانون التي جاء فيها مفهوم المرقي العقاري ضيقا ومحصورا في كل من يمارس عملية البناء والتجديد العمراني قصد البيع دون الإيجار (كتو، 2014/2013، صفحة 61).

د- التعريف القضائي للمرقي العقاري: لا يوجد تعريف قضائي خاص بالمرقي العقاري في الجزائر، بينما الأمر مختلف على مستوى القضاء الفرنسي، حيث ظهر التعريف القضائي للمرقي العقاري، في وقت كانت فيه القواعد القانونية التجارية في القانون الفرنسي بالكاد تحمي المشتري. كانت هذه هي الحال على وجه الخصوص عندما تملك المرقي العقاري أسهما في شركة يحكمها القانون الصادر بتاريخ 28 جوان 1938 المتعلق بتنظيم الملكية العقارية المشتركة في العقارات المقسمة إلى شقق (Malinvaud & Jestaz, 1995, p. 39).

لقد تضمن هذا القانون بابين، الأول تعلق بشركات البناء، والذي ألغي لاحقا بموجب القانون رقم 71-579 المتعلق بالعمليات المختلفة للبناء المعدل بالقانون 72-649 الصادر بتاريخ 11 جويلية 1972، أما الباب الثاني فنظم بموجبه المشرع الفرنسي النظام القانوني للملكية المشتركة في العقارات المقسمة إلى شقق. هذه الشركات طابعها مدني وليس تجاري، لا تهدف إلى تحقيق الربح ،ظهرت بعد نهاية الحرب العالمية الأولى(1914-1918)، نتيجة إستفحال أزمة السكن بسبب هذه الحرب، حيث عمدت جماعات من الأفراد الراغبين في الحصول على ملكية شقق إلى انشائها، فكان يقوم كل شريك بدفع حصته بنسبة قيمة الشقة التي يختارها لنفسه بحسب التصميم الذي يرسم للعقار الجماعي المجزأ إلى شقق والمزمع إقامته، فتشتري الشركة الأرض لتبدأ في البناء وإذا إقتضى الحال تعقد القروض اللازمة لإتمام انجاز العقار مع ضمانها برهن رسمي وتتعهد أن تعطي كل شريك خلال مدة وجودها وهي في العادة خمسة عشر سنة حق إستعمال الشقة التي إختارها بصفة مستأجر على أن يصبح مالكا لها عند إنحلال الشركة وفي نفس الوقت يدفع الشركاء للشركة على أقساط مبالغ تكفي لدفع الفوائد ولسداد المبالغ المقترضة، علاوة على ما يلزم من نفقات صيانة العقار، ثم تنحل الشركة بعد أن تكون قد أوفت بكل ما عليها من التزامات مالية، ويتحقق عندها ما يسمى "بالقسمة التمليكية"، وبمقتضى قانون 28 جوان 1938، اعترف المشرع الفرنسي بصحة هذا النوع من الشركات (المغازي، 1949، صفحة 14 و 16).

غير أن هذه الشركات فقدت جزءا كبيرا من هدفها الأصلي، وهو بناء مساكن للشركاء فيها وأصبحت أداة في يد

المرقين العقاريين ، الذين كان عددهم قليلا أنذاك بغرض بناء العقارات وبيعها (عياشي ، 2012/2011، صفحة 09)،لأنه ثمة من الشركاء في هذه الشركات التمليكية ممن قام بحوالة حقه من الأسهم في الشركة مع عدم ضمان العيوب التي توجد في الشقة وقت الحوالة لفائدة المرقي العقاري ، فالشريك المتنازل عن أسهمه كان لا يضمن سوى وجود الشركة. وعندما اتضح بأن الشقة المقابلة لهذه الأسهم بها عيوب أو أنها غير مطابقة لمواصفات البناء عند بيعها من طرف المرقي العقاري لفائدة المشترين ، وفي ظل غياب إطار قانوني يؤطر مهنة المرقي العقاري ، انخرطت المحاكم الفرنسية في نهج يتمثل في البحث عن صاحب المعاملة العقارية ، بشأن النزاعات المطروحة عليها ، بغض النظر عن أي عقد قد تم إبرامه أو لم يبرم بين المرقي العقاري البائع وبين المشتري ، وبذلك نشأت فكرة مسؤولية المرقي العقاري على أساس هذه الصفة (Malinvaud & Jestaz, 1995, p. 40)جزائيا ثم لاحقا مدنيا(نوي ، 2018/2017، صفحة 25)،وكان هذا في الأساس تطبيقا لنظرية مخاطر الربح (Malinvaud & Jestaz, 1995, p. 40).

بموجب القرار الصادر عن محكمة استئناف باريس بتاريخ 12 جوان 1963 ، تم إعتبار المرقي العقاري بأنه الشخص الذي يتولى المبادرة والعناية الرئيسية في عملية إنجاز البناء ، ثم تم تداول هذه العبارات في مضمون قرارات قضائية أخرى ، صدرت عن محكمة النقض الفرنسية (نوي ، 2018/2017، صفحة 25)،كنظام الحماية لفائدة المشتري ، الذي وضعته هذه المحكمة القائم أساسا على تعريف المرقي العقاري بأنه الشخص الذي كان لديه "المبادرة والرعاية الرئيسية لعملية البناء"، كما هو الحال عليه وعلى سبيل المثال ، في القرارين القضائيين الصادرين عن الغرفة المدنية الثالثة بمحكمة النقض الفرنسية بتاريخ 17 جوان 1992 و14 أكتوبر1992(Malinvaud & Jestaz, 1995, p. 40).تطور الاجتهاد القضائي الفرنسي بخصوص هذه المسألة ، وأصبح المرقي العقاري هو الشخص الطبيعي أو المعنوي ، الذي يأخذ المبادرة يبيع أو يورد عقارا مطابقا لقواعد الفن ، وخاليا من العيوب. كما عملت محكمة النقض الفرنسية على تطوير بعض الوسائل القانونية التي تساعد على تكييف النشاط على أنه نشاط الترقية العقارية ، من أجل اخضاع المرقي العقاري إلى نظام مسؤولية خاص ، وحماية رب العمل أو المقتني ، فأصبح المرقي العقاري ملزما بتحقيق نتيجة ، يتعرض في حال عدم تحققها إلى عقوبات مدنية وأخرى جزائية ، وهو التزام يقتصر على المرقي العقاري الفعلي ، الذي يتولى إما بنفسه ، أو بواسطة الغير ، القيام بكافة الإجراءات القانونية والإدارية والمالية المرتبطة بعملية البناء ، ويكون مستقلا في هذه المهام والمبادر إليها ، دون المرقي العقاري الإتفاقي ، الذي يتعاقد مع رب العمل ، بموجب عقد الترقية العقارية ، حيث يلتزم المرقي العقاري الوكيل ، بتجديد البناء أو بتشييد بناية أو عدة بنايات وأن يباشر بنفسه ، أو بواسطة الغير ، مقابل أجر محدد ، القيام بكل أو بعض العمليات القانونية والإدارية والمالية المتعلقة بالمشروع مقابل ثمن متفق عليه مع رب العمل الموكل. من بين المعايير التي أخذ بها القضاء الفرنسي في تكييفه للشخص على أنه مرقي عقاري ، معيار القيام ببعض الأعمال لاسيما منها التعريف بمضمون المشروع العقاري ، البحث عن التمويل المالي ، تأمين العملية العقارية لدى المؤسسات المالية المختصة بالتأمين ، اختيار مهندسي الأبنية ، التنسيق ومراقبة الأعمال وتسويق العقارات ، ونتيجة لذلك ، لم يتردد القضاء الفرنسي في اعطاء صفة المرقي العقاري ، لمتدخلين غير مباشرين في عملية البناء ، فأقرت محكمة النقض الفرنسية من خلال القرار الصادر عن الغرفة المدنية الثالثة بتاريخ 10 فيفري 1993 ،أن المقاولة التي تولت بعض الخدمات ، كإعداد التصاميم ومراقبة الأعمال المرتبطة بالبناء ، تعتبر أنها قد قامت بأعمال أساسية ، وتولت المبادرة والعناية الرئيسية بالعملية الترقوية ، وبالتالي تعتبر مرقيا عقاريا ، تقع عليها المسؤولية المتعلقة بالنقائص الموجودة في البناء (نوي ، 2018/2017، صفحة 26 و 29).

هـ-التعريف الفقهي للمرقي العقاري: تعددت التعريفات الفقهية المقدمة بشأن المرقي العقاري ، ومن أبرزها نجد التعريف الفقهي القائل بأن "المرقي العقاري هو الذي يتعهد قبل رب العمل ، بمقتضى عقد الترقية العقارية ، في مقابل أجر محدد ، أن يقوم بتشييد المباني إما بنفسه ، أو بواسطة الغير ، مع القيام بجميع الأعمال المادية والتصرفات القانونية ، والإجراءات الإدارية والعمليات المالية ، التي من شأنها أن تؤدي إلى إنجاز البناء" (كتو ، 2014/2013، صفحة 60)،وفي تعريف فقهي آخر هو ذلك:"الشخص الذي يتولى مقابل أجر متفق عليه ، تحقيق العملية المعمارية ، التي يتعهد

بها إليه رب العمل ، بمقتضى عقد التمويل العقاري ، وذلك بالقيام بكل ما يتطلبه هذا التحقيق ، من تمويل وإدارة ، وابرام كافة التصرفات القانونية اللازمة ، باسم رب العمل ، حتى يسلم العقار المبني كاملا وتاما ، خاليا من العيوب" (بن عيسى ، 2017/2016 ، صفحة 08).

ثانيا- شروط اكتساب صفة المرقي العقاري: استنادا إلى مواد القانون رقم 04/11 المحدد للقواعد التي تنظم نشاط الترقية العقارية ، فإنه لا يمكن لأي شخص طبيعي أو معنوي ، اكتساب صفة المرقي العقاري ، إلا بعد الحصول المسبق على الاعتماد ، فالقيد في السجل التجاري ، ثم التسجيل في الجدول الوطني للمرقين.تطبيقا لذلك أصدر المشرع الجزائري المرسوم التنفيذي رقم 84/12 المؤرخ في 20 فيفري 2012 والذي يحدد كيفيات منح الاعتماد لممارسة مهنة المرقي العقاري وكذا كيفيات مسك الجدول الوطني للمرقين العقاريين ،المعدل والمتمم ، بموجب المرسوم التنفيذي رقم 96/13 المؤرخ في 26 فيفري 2013 ، وكذلك بالمرسوم التنفيذي رقم 243/19 المؤرخ في 08 سبتمبر 2019.

أ- **الحصول على الاعتماد:**يشترط المشرع في الشخص الطبيعي أو المعنوي ، حيازة اعتماد لممارسة نشاط الترقية العقارية ، ويعتبر الاعتماد عبارة عن قرار إداري ، صادر عن جهة إدارية تتمثل في الوالي ، بعد موافقة اللجنة الولائية لاعتماد المرقين العقاريين ، بناء على الملف الذي قدمه المعني (المادة 02 من المرسوم التنفيذي رقم 243/19 المعدلة للمادة 05 من المرسوم التنفيذي رقم 84/12 الذي يحدد كيفيات منح الاعتماد لممارسة مهنة المرقي العقاري وكذا كيفيات مسك الجدول الوطني للمرقين العقاريين).يتميز هذا الاعتماد بأنه شخصي وقابل للإلغاء لا يمكن التنازل عنه أو أن يكون موضوع إيجار أيا كان شكله (المادة 13 من المرسوم التنفيذي رقم 84/12 الذي يحدد كيفيات منح الاعتماد لممارسة مهنة المرقي العقاري وكذا كيفيات مسك الجدول الوطني للمرقين العقاريين ، المعدل والمتمم).

01- الشروط المطلوبة بمقتضى القانون للحصول على الاعتماد: ميز المشرع الجزائري بين حالة الشخص الطبيعي وحالة الشخص المعنوي فيما يخص الشروط التي يتطلبها الحصول على اعتماد ممارسة نشاط الترقية العقارية ، وتفاديا للتكرار سنعمد إلى إبداء الشروط التي ينفرد بها كل من الشخص الطبيعي والشخص المعنوي على حدى ثم ندرج الشروط المشتركة بينهما.

1-1-بالنسبة للشخص الطبيعي: يشترط المشرع في الشخص الطبيعي طالب الإعتماد بغرض ممارسة مهنة المرقي العقاري عدة شروط تتمحور أساسا حول ما يلي:

- **الجنسية:** طالب الاعتماد لممارسة مهنة المرقي العقاري ينبغي أن يكون من جنسية جزائرية وذلك حسب ما هو منصوص عليه ضمن مقتضيات نص المادة 06 من المرسوم التنفيذي رقم 84/12 المحدد لكيفيات منح الاعتماد لممارسة مهنة المرقي العقاري وكذا كيفيات مسك الجدول الوطني للمرقين العقاريين ، المعدل والمتمم ، ودون تحديد ما إذا كانت أصلية أو مكتسبة ، مما يعني بشكل ضمني بأن المشرع الجزائري قد استثنى الأجانب من نطاق الترشح لممارسة مهنة المرقي العقاري ، وهو ما يعد تراجعا عن الاشتراطات ، التي سبق إقرارها بموجب المادة 03 من المرسوم التشريعي رقم 03/93 المتعلق بالنشاط العقاري والملغى بموجب القانون رقم 04/11 المحدد للقواعد التي تنظم نشاط الترقية العقارية ، حيث كان نشاط الترقية العقارية في ظل سريان المرسوم التشريعي رقم 03/93، غير محظور على المستثمرين الأجانب (بوعتبة ، 2015 ، صفحة 118).

-**السن:** استنادا إلى مقتضيات نص المادة 06 من المرسوم التنفيذي رقم 84/12 المحدد لكيفيات منح الاعتماد لممارسة مهنة المرقي العقاري وكذا كيفيات مسك الجدول الوطني للمرقين العقاريين ، المعدل والمتمم ، يشترط المشرع الجزائري في طالب الاعتماد لممارسة مهنة المرقي العقاري أن لا يقل سنه عن خمس وعشرين سنة ، حيث يعد هذا الشرط تقييدا واضحا لما ورد ضمن المادة 19 من القانون رقم 04/11المحدد للقواعد التي تنظم نشاط الترقية العقارية ، والتي أقرت بإمكانية ممارسة نشاط الترقية العقارية من طرف كل شخص طبيعي أو معنوي مؤهل للقيام بأعمال التجارة ، دون أن تحدد سنا معينا لذلك (كتو ، 2014/2013 ، صفحة 64).

- **التمتع بالحقوق المدنية:** يشترط المشرع في طالب الاعتماد بغرض ممارسة نشاط الترقية العقارية ، أن يكون متمتعا بحقوقه المدنية ، والتي يقصد بها تلك الحقوق المقررة

لحماية الشخص وتمكينه من القيام بأعمال يستفيد منها في حياته ونشاطه. تنقسم هذه الحقوق إلى حقوق عامة وحقوق خاصة ، فالحقوق العامة التي تضمن للشخص حريته في مختلف مظاهرها تقررها فروع القانون العام ، أما الحقوق الخاصة فتقررها فروع القانون الخاص وتشمل الحقوق المالية وحقوق الأسرة (بوعتبة ، 2015 ، صفحة 118).

- **إكتتاب التأمينات اللازمة:** يشترط المشرع الجزائري في طالب الاعتماد بمقتضى نص المادة 06 من المرسوم التنفيذي رقم 84/12المحدد لكيفيات منح الاعتماد لممارسة مهنة المرقي العقاري وكذا كيفيات مسك الجدول الوطني للمرقين العقاريين ، المعدل والمتمم ،أن يكتتب عقد تأمين ضد العواقب المالية والمسؤولية المدنية والمهنية لنشاطاته ، ويؤكد على هذا الشرط كذلك ضمن مقتضيات أحكام المرسوم التنفيذي رقم 85/12 المؤرخ في20 فيفري 2012 المتضمن دفتر الشروط النموذجي الذي يحدد الالتزامات والمسؤوليات المهنية للمرقي العقاري (المادة 30 فقرة 01 من المرسوم التنفيذي رقم 85/12 المؤرخ في20 فيفري 2012 المتضمن دفتر الشروط النموذجي الذي يحدد الالتزامات والمسؤوليات المهنية للمرقي العقاري ، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية ،العدد 11 ، المؤرخة في 26 فيفري 2012). يقصد بالتأمين عن المسؤولية المدنية والمهنية لنشاطات المرقي العقاري ، التأمين عن الأضرار التي قد تنجم جراء نشاطات الترقية العقارية ، أما عن إكتتاب تأمين ضد العواقب المالية فعلى ما يبدو ، المشرع الجزائري قصد بها إكتتاب تأمين لدى صندوق الضمان والكفالة المتبادلة في الترقية العقارية والذي يختص بضمان نشاطات الترقية العقارية ، والثابت هو أن الإنتساب إلى هذا الصندوق مقصور على المرقين العقاريين المعتمدين بعد الحصول على الاعتماد والقيد في السجل التجاري والتسجيل في الجدول الوطني للمرقين العقاريين. يثور تساؤل مفاده كيف يعقل أن يشترط القانون على طالب الحصول على اعتماد لممارسة نشاط الترقية العقارية إكتتاب عقد تأمين ضد العواقب المالية عبر هذا الصندوق وهو لم يحصل بعد على اعتماد ممارسة نشاط الترقية العقارية (بوعتبة ، 2015 ، صفحة 118)؟

1-2- بالنسبة للشخص المعنوي: يمكن للشخص المعنوي أن يلتمس طلب الحصول على الاعتماد بغرض ممارسة أنشطة الترقية العقارية ، وفق ما يقره القانون الجزائري في مجال الشركات التجارية ، وتبعا لذلك يشترط المشرع في الشخص المعنوي طالب الاعتماد أن يكون خاضعا للقانون الجزائري ، من حيث إنشائه وممارسة نشاطه للتشريع المتعلق بالشركات التجارية طالما أنه يأخذ شكل من أشكالها ، كأن يكون في شكل شركة ذات الشخص الوحيد أو شركة مساهمة أو في شكل شركة توصية بالأسهم أو في شكل شركة أشخاص متعددة ذات مسؤولية محدودة.

1-3-الشروط المشتركة بين الشخص الطبيعي والشخص المعنوي: انطلاقا من مضمون أحكام المرسوم التنفيذي رقم 84/12الذي يحدد كيفيات منح الاعتماد لممارسة مهنة المرقي العقاري وكذا كيفيات مسك الجدول الوطني للمرقين العقاريين ، المعدل والمتمم ، ثمة شروط مشتركة بين كل من الشخص الطبيعي والمالك أو الملاك الممثلين للشخص المعنوي للحصول على الاعتماد ، بغرض ممارسة مهنة الترقية العقارية ، وتجدر الإشارة إلى أنه قد تم انتقاد المشرع الجزائري من حيث أنه استعمل مصطلح المالك أو الملاك بالنسبة للشخص المعنوي ، ضمن أحكام المرسوم التنفيذي رقم 84/12 ، فالأصح هو لفظ الشريك أو الشركاء ، أو المسير تماشيا وأحكام القانون التجاري في مجال الشركات التجارية (بوعتبة ، 2015 ، صفحة 118 و 119) ، وتتمحور هذه الشروط أساسا حول ما يلي :

-**اثبات وجود الموارد المالية الكافية:** يشترط المشرع في طالب الاعتماد بغرض ممارسة نشاط الترقية العقارية ، سواء كان شخصا طبيعيا أو معنويا أن يمتلك القدرات المالية الكافية ، وقد نص المشرع على هذا الشرط انطلاقا من نص المادة 06 من المرسوم التنفيذي رقم 84/12 الذي يحدد كيفيات منح الاعتماد لممارسة مهنة المرقي العقاري وكذا كيفيات مسك الجدول الوطني للمرقين العقاريين ، المعدل والمتمم ، والتي أحالت على التنظيم كيفيات تأطير هذا الشرط. تبعا لذلك تم الإفراج بتاريخ 06 ديسمبر2013 عن قرار وزاري مشترك بين وزارة السكن والعمران ووزارة المالية يتعلق بإثبات الموارد الكافية لاكتساب صفة المرقي العقاري ، إذ بمقتضاه تتشكل هذه الموارد المالية من الموارد الخاصة بالمرقي العقاري ، القروض البنكية التي يكتتبها المرقي العقاري والدفعات التي يقدمها الطالبون لإقتناء الأملاك

العقارية في إطار عقد البيع على التصاميم(المادة 02 من القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 06 ديسمبر 2013 المتعلق بإثبات الموارد الكافية لاكتساب صفة المرقي العقاري، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد 02، المؤرخة في 13 جانفي 2013). يتم اثبات وجود الموارد المالية الكافية بلجوء طالب الاعتماد إلى اكتتاب تصريح شرفي يثبت إمكانياته في تعبئة الموارد المالية الكافية لإنجاز مشاريعه العقارية قبل الانطلاق في إنجازها، بالموازاة تم تحديد مضمون نموذج التصريح الشرفي في ملحق خاص بالقرار الوزاري المشترك المؤرخ في 2013/12/6 المتعلق بإثبات الموارد الكافية لإكتساب صفة المرقي العقاري.

- **تقديم ضمانات حسن السلوك والكفاءة وعدم الوقوع في أحد موانع الممارسة:** ينبغي على طالب الحصول على الاعتماد، سواء كان شخصا طبيعيا، والمالك أو الملاك بالنسبة للشخص المعنوي، تقديم ضمانات حسن السيرة والسلوك وعدم الوقوع في أحد موانع الممارسة، بالمقابل لم يبين المشرع الجزائري المقصود بضمانات حسن السيرة والسلوك لكنه قام بتعداد موانع ممارسة نشاط الترقية العقارية ضمن أحكام نص المادة 20 من القانون رقم 04/11 المحدد للقواعد التي تنظم نشاط الترقية العقارية، والمتمثلة في تعرض الشخص لعقوبات قضائية جزائية بشأن أفعال مجرمة قانونا، كالتزوير واستعمال المزور في المحررات الخاصة والتجارية أو البنكية، السرقة، اخفاء المسروقات، خيانة الأمانة والتفليس وابتزاز الأموال أو القيم أو التوقيعات، النصب، اصدار شيك بدون رصيد، رشوة موظفين عموميين، الإدلاء بشهادة الزور واليمين الكاذبة، الغش الضريبي، ارتكاب الجنح المتعلقة بالشركات التجارية، إضافة إلى الأعضاء المشطوبين تأديبيا وبصفة نهائية بسبب الإخلال بنزاهة المهن المشكلة في نقابات، وبالتالي يمكن للشخص الطبيعي طالب الاعتماد أو الشريك بالنسبة للشخص المعنوي إثبات حسن السلوك بتقديم مستخرج من صحيفة السوابق العدلية لا يزيد تاريخ صدورها على ثلاثة أشهر وفيما يخص ضمان الكفاءة فيثبت عن طريق شهادات حسن الإنجاز.

- **إثبات وجود محلات ذات إستعمال تجاري ملائمة:** ينبغي على طالب الاعتماد أن يثبت وجود محلات ذات استعمال تجاري ملائمة ومجهزة بوسائل الاتصال لتسمح بممارسة لائقة ومعقولة للمهنة، ويقدم هذا الإثبات عند التسجيل في الجدول الوطني للمرقين العقاريين. غير أنه قد تم وصف هذا الشرط بأنه غير واضح وعلى المشرع توضيحه أكثر وذلك بتبيان المواصفات الواجب توفرها في المحلات حتى تكون ملائمة لممارسة مهنة المرقي العقاري مثلما هو الحال مثلا في القوانين المنظمة لمهنة التوثيق والتي تحدد المقاييس والشروط الواجب توفرها في المكاتب حتى تكون ملائمة لممارسة مثل هذه المهنة (بوعتبة، 2015، صفحة 119 و 120).

- **إثبات الكفاءة المهنية:** ينبغي على طالب الاعتماد سواء كان شخصا طبيعيا أو مسيرا بالنسبة للشخص المعنوي أن يتوفر على كفاءات مهنية مرتبطة بالنشاط الذي يمارسه، ويقصد بالكفاءة المهنية حيازة طالب الاعتماد لشهادة عليا في مجالات الهندسة المعمارية أو البناء أو القانون أو الاقتصاد أو المالية أو التجارة أو أي مجال تقني آخر يسمح بالقيام بنشاط المرقي العقاري. وبإمكان للشخص الذي لا يستوفي شرط الكفاءة المهنية أن يثبت الإستعانة بصفة دائمة وفعلية بمسير يتوفر فيه شرط الكفاءة المهنية.

غير أنه ضمن أحكام المرسوم التنفيذي رقم 96/13 المؤرخ في 26 فيفري 2013 المعدل للمرسوم التنفيذي رقم 84/12 المحدد لكيفيات منح الاعتماد لممارسة مهنة المرقي العقاري وكذا كيفيات مسك الجدول الوطني للمرقين العقاريين، يلاحظ بأن المشرع لم يشترط في طالب الاعتماد حيازة شهادة جامعية بل تحدث عن قيام طالب الاعتماد بتبرير الكفاءات المهنية المتوفرة لديه والمرتبطة بالنشاط (المادة 02 من المرسوم التنفيذي رقم 96/13 المؤرخ في 26 فيفري 2013 المعدل للمرسوم التنفيذي رقم 84/12 الذي يحدد كيفيات منح الاعتماد لممارسة مهنة المرقي العقاري وكذا كيفيات مسك الجدول الوطني للمرقين العقاريين). وعليه يثور تساؤل جوهري والحال هذه يتمحور حول كيفية إثبات الكفاءة المهنية لاسيما في حالة ما إذا كان طالب الاعتماد لا يحوز شهادة جامعية؟ (بوعتبة، 2015، صفحة 120).

2- الإجراءات القانونية للحصول على الاعتماد: يمر الحصول على الاعتماد بغرض ممارسة نشاط الترقية العقارية بمجموعة من الإجراءات القانونية، بدءا بإيداع الملف المطلوب قانونا لدى المديرية الولائية المكلفة بالسكن، ثم

قيام اللجنة الولائية لاعتماد المرقين العقاريين بدراسة الطلب ، لتصدر في نهاية المطاف قرار منح الاعتماد أو ترفض الطلب.

2-1- ايداع ملف الحصول على الاعتماد: يتم إيداع ملف الحصول على اعتماد ممارسة نشاط الترقية العقارية لدى المديرية الولائية المكلفة بالسكن ، سواء تعلق الأمر بشخص طبيعي أو ممثل عن الشخص المعنوي. يشترط أن يحتوي هذا الملف على طلب مرفق بالوثائق المنصوص عليها ضمن أحكام المادة 02 من المرسوم التنفيذي رقم 243/19 المعدلة والمتممة للمادة 08من المرسوم التنفيذي رقم 84/12 المحدد لكيفيات منح الاعتماد لممارسة مهنة المرقي العقاري وكذا كيفيات مسك الجدول الوطني للمرقين العقاريين ، مقابل وصل إستلام يمنح لطالب الاعتماد.

2-2-دراسة الطلب من طرف اللجنة الولائية لاعتماد المرقين العقاريين: استنادا لمقتضيات نص المادة 02 من المرسوم التنفيذي رقم 243/19 المؤرخ في 08 سبتمبر 2019 المعدلة للمادة 14 من المرسوم التنفيذي رقم 84/12 المحدد لكيفيات منح الاعتماد لممارسة مهنة المرقي العقاري وكذا كيفيات مسك الجدول الوطني للمرقين العقاريين ، تنشأ لدى الوالي لجنة ولائية لاعتماد المرقين العقاريين ويرأسها ممثل عنه ، تقوم بدراسة طلبات الحصول على الاعتماد ، إذ يعتبر رأيها إلزامي لأن منح قرار الاعتماد مرتبط بموافقتها. إضافة إلى ذلك طلبات الحصول على الاعتماد تخضع إلى التحقيق الإداري من طرف مصالح الأمن المختصة خلال أجل أقصاه شهر إبتداء من تاريخ مراسلتها من طرف الوالي (المادة 02 من المرسوم التنفيذي رقم 243/19 المعدلة للمادة 05 من المرسوم التنفيذي رقم 84/12 الذي يحدد كيفيات منح الاعتماد لممارسة مهنة المرقي العقاري وكذا كيفيات مسك الجدول الوطني للمرقين العقاريين).

2- 3- صدور قرار منح الاعتماد: يترتب على دراسة الملف من طرف اللجنة الولائية لاعتماد المرقين العقاريين ورود احتمالين ، أولهما يتمحور حول قبول الطلب وبالتالي منح قرار الاعتمادمن طرف الوالي في أجل ثلاثة أشهر إبتداء من تاريخ إستلام الطلب ، أما ثانيهما فيتمحور حول حالة رفض منح قرار الاعتمادوذلك في حالة ما إذا لم يستوف طالب الاعتماد الشروط القانونية المطلوبة ، على أن يكون قرار رفض منحالاعتماد مبررا ويبلغ إلى صاحب الطلب برسالة موصى عليها مع وصل استلام ، وفي هذه الحالة يمكن للمعني رفع طعن كتابي إلى الوالي خلال ثلاثين يوما من تاريخ تبليغه الرفض لتقديم معلومات جديدة أو إثباتات لدعم طلبه أو الحصول على دراسة مكملة ، وعلى الوالي الفصل في ذلك في غضون الشهرين الذين يليان استلام الطعن (المادة 02 من المرسوم التنفيذي رقم 243/19 المعدلة للمادة 05 من المرسوم التنفيذي رقم 84/12 الذي يحدد كيفيات منح الاعتماد لممارسة مهنة المرقي العقاري وكذا كيفيات مسك الجدول الوطني للمرقين العقاريين).

ب-القيد في السجل التجاري: استنادا لنص المادة 02 من المرسوم التنفيذي رقم 243/19 المؤرخ في 08 سبتمبر 2019 المعدلة للمادة 23 من المرسوم التنفيذي رقم 84/12 الذي يحدد كيفيات منح الاعتماد لممارسة مهنة المرقي العقاري وكذا كيفيات مسك الجدول الوطني للمرقين العقاريين ،ينبغي على المرقي العقاري الحاصل على قرار اعتماد ممارسة نشاط الترقية العقارية من طرف الوالي المختص إقليميا ، أن يقوم بجميع الشكليات الضرورية بغرض القيد في السجل التجاري وعلى إثر عملية القيد يقوم بموافاة الوالي بمجموعة من الوثائق من بينها نسخة من مستخرج السجل التجاري وذلك للسماح له بالتسجيل في الجدول الوطني للمرقين العقاريين.

ج-التسجيل في الجدول الوطني للمرقين العقاريين: يلي إجراء الحصول على الاعتماد والقيد في السجل التجاري ، القيام بالتسجيل في الجدول الوطني للمرقين العقاريين ، والذي يتم بشكل آلي ، بما أن المرقي العقاري قد قام بموافاة الوالي بنسخة من مستخرج من السجل التجاري ، ويترتب عن هذا الإجراء تسليم المرقي العقاري شهادة تسجيل كترخيص للمرقي العقاري من أجل ممارسة نشاط الترقية العقارية وفق ما هو مقرر بموجب نص المادة 23 فقرة 01من القانون رقم 04/11 المحدد للقواعد التي تنظم نشاط الترقية العقارية ، كمايترتب عنه إنتساب المرقي العقاري بشكل آلي إلى صندوق الضمان والكفالة المتبادلة للترقية العقارية وفق نص المادة 25 من المرسوم التنفيذي رقم 84/12 الذي يحدد كيفيات منح الاعتماد لممارسة مهنة المرقي العقاري وكذا

كيفيات مسك الجدول الوطني للمرقين العقاريين ، المعدل والمتمم.وتجدر الإشارة إلى أن هذا الصندوق قد أنشيء بموجب المرسوم التنفيذي رقم406/97 المؤرخ في 03نوفمبر1997 ، (الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية ، العدد 73 ، المؤرخة في 05 نوفمبر 1997)،المعدل والمتمم ، بموجب المرسوم التنفيذي رقم 180/14 المؤرخ في 05 جوان2014(الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية ، العدد 37 ، المؤرخة في 19 جوان 2014)، بمناسبة استحداث المشرع الجزائري سنة 1997 لعدة مؤسسات مالية بغرض جعل نشاط الترقية العقارية أقل خطورة وأكثر أمانا لكل من المرقين العقاريين والمقتنين المستفيدين من السكنات. يعد هذا الصندوق هيئة تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي ، له طابع تعاوني ، موضوع تحت وصاية وزارة السكن والعمران ، يتمحور دوره في ضمان الدفعات المالية المقدمة من طرف المكتتبين في شكل تسبيقات في إطار عقود البيع بناء على التصاميم ، وكذلك ضمان إتمام الأشغال ، مع تحقيق تغطية أوسع للالتزامات المهنية والتقنية في مجال الترقية العقارية (طيب ، 2011 ، صفحة 466 و 467).

الفرع الثاني: الشروط المتعلقة بالأرضية محل التنازل الموجهة لإنجاز السكن الجماعي المدعم

لقد تم إستبعاد الأملاك العقارية العمومية التابعة لملكية الدولة من نطاق تطبيق أحكام القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011المحدد لشروط وكيفيات التنازل عن قطع أرضية تابعة للأملاك الخاصة للدولة وموجهة لإنشاء برامج السكنات المدعمة من طرف الدولة ، المعدل والمتمم ، وذلك لأن هذه الأملاك تدخل ضمن مشتملات الأملاك الوطنية العامة التي لا تتحمل تملك الخواص لها بسبب طبيعتها أو الغرض المسطر لها كونها موجهة للنفع العام لا غير (المادة 25 من القانون رقم 25/90 المؤرخ في 18 نوفمبر 1990 المعدل والمتمم بالأمر رقم 26/95 المؤرخ في 26 سبتمبر 1995 المتضمن قانون التوجيه العقاري ، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية ، العدد 49 ، المؤرخة في 18 نوفمبر 1990).

وبالتالي فإن المشرع الجزائري يشترط في الأراضي التي تكون موجهة للترقية العقارية المدعمة أن تكون تابعة للأملاك العقارية الخاصة للدولة ، حيث تعتبر أملاكا عقارية خاصة مملوكة للدولة جميع الأملاك العقارية غير المصنفة ضمن الأملاك العقارية العمومية والتي يمكن أن تكون محل ملكية خاصة على خلاف الملكية العامة(المادة 03 من القانون رقم 14/08 المؤرخ في 20 جويلية 2008 المعدل والمتمم للقانون رقم 30/90 المتضمن قانون الأملاك الوطنية ، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية ، العدد 44 ، المؤرخة في 03 أوت 2008)، بتعبير آخر ، الأملاك الخاصة التابعة ملكيتها للدولة هي كل الأموال التي تملكها الدولة ملكية خاصة وغير مخصصة للنفع العام ويكون التصرف فيها كتصرف الأفراد في أموالهم الخاصة (السنهوري ، 1998 ، صفحة 154)،لذلك ينبغي أن تعين مسبقا الأراضي غير المبنية التي يُلتمس شراؤها في إطار تطبيق القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011،المعدل والمتمم ، من طرف مصالح أملاك الدولة ، وإبلاغها لفائدة المرقين العقاريين(المادتين 01 و 03 من القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011 الذي يحدد شروط وكيفيات التنازل عن قطع أرضية تابعة للأملاك الخاصة للدولة وموجهة لإنشاء برامج السكنات المدعمة من طرف الدولة ، المعدل والمتمم)،والتي ينبغي ألا تكون مثقلة بأي قيد كالارتفاق أو وجود نزاع قضائي بشأنها ، والتي تسمح قواعد التعمير المطبقة عليها بإنجاز البنايات المبرمجة (المذكرة رقم 4647 الصادرة عن المديرية العامة للأملاك الوطنية في 12 ماي 2013 والمتعلقة بالتنازل عن الأراضي التابعة للأملاك الخاصة للدولة الموجهة لإنجاز مشاريع الترقية العقارية ذات الطابع الاجتماعي والدفع بالتقسيط).

في الواقع ، إن وكالات مسح الأراضي هي من تزود مديريات أملاك الدولة على مستوى التراب الوطني بالطبيعة القانونية للأراضي التي ستستوعب مشاريع الترقية العقارية اعتمادا على المخططات المترتبة عن تطبيق قانون أعيان أملاك الدولة الصادر في 22 أفريل 1863 المتضمن تحديد ملكيات الأعراش الفردية والمشاعة في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي ، علما أن هذا المرسوم تم التمهيد له بموجب القانون الصادر في 16 جوان 1851 المتعلق بتأسيس الملكية العقارية في الجزائر. هذه المخططات لم تعد تعكس الوضعية القانونية الحقيقية لهذه الأراضي وهو ما ينعكس سلبا على مسألة تحديد الطبيعة القانونية للأراضي غير المبنية

المستوعبة لمشاريع الترقية العقارية، كما أن تأخر اعداد المسح العام للأراضي وعدم تحيين سجلات أملاك الدولة جعل مديريات أملاك الدولة تستمر في الاعتماد على هذه المخططات (بن مُحَمَّد، 2012، صفحة 15). وتجدر الإشارة إلى أن بنود القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011،المعدل والمتمم، لم تشر إلى شرط أن تكون الأرضية المعنية بالتنازل غير مخصصة أوفي طور التخصيص لفائدة مصالح معينة، علما أن التخصيص في مجال استعمال وتسيير الأملاك الوطنية الخاصة يعد أسلوبا غير ناقل للملكية العقارية الهدف منه تسيير الأملاك الوطنية الخاصة، وهو عبارة عن قرار إداري (سلطاني، 2010، صفحة 192)،يوضع بموجبه ملك وطني خاص تملكه الدولة أو جماعة إقليمية تحت تصرف دائرة وزارية أو مصلحة عمومية أو مؤسسة عمومية تابعة لأحدهما قصد تمكينها من أداء المهمة المسندة إليها (المادة 82 من القانون رقم 30/90 المؤرخ في 01 ديسمبر 1990 المعدل والمتمم بالقانون رقم 14/08 المؤرخ في 20 جويلية 2008 المتضمن قانون الأملاك الوطنية)، وفي هذا السياق فإن عدم ذكر هذا الشرط هو أمر منطقي لأن المشرع الجزائري ضمن أحكام المادة 90 فقرة 01 من المرسوم التنفيذي رقم 427/12الذي يحدد شروط وكيفيات إدارة وتسيير الأملاك العمومية والخاصة التابعة للدولة، أقر بيع الممتلكات العقارية التابعة للأملاك الخاصة للدولة، التي ألغي تخصيصها وفيما إذا لم تعد صالحة للمصالح والمؤسسات العمومية عن طريق المزاد العلني، أي تلك التي خرجت من دائرة الأملاك العقارية العمومية، إلا إذا كانت هناك قوانين خاصة تنص على غير ذلك، وبما أن القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011 المحدد لشروط وكيفيات التنازل عن قطع أرضية تابعة للأملاك الخاصة للدولة وموجهة لإنشاء برامج السكنات المدعمة من طرف الدولة، المعدل والمتمم، قد شكل الاستثناء عن القاعدة المقررة وهو أسلوب البيع بالمزاد العلني للممتلكات العقارية التابعة للأملاك الخاصة للدولة، الملغى تخصيصها وفيما إذا لم تعد صالحة للمصالح والمؤسسات العمومية، لذلك فإنه كان لا داعي من إثارة هذا الشرط والحال هذه.

الفرع الثالث: ارتباط آلية التنازل عن العقار غير المبني بنشاط الترقية العقارية المدعمة

استنادا لنص المادة 03 فقرة 11 من القانون رقم 04/11 والذي يحدد القواعد التي تنظم نشاط الترقية العقارية، يقصد بالترقية العقارية، مجموعة عمليات تعبئة الموارد العقارية والمالية، وكذا إدارة المشاريع العقارية، وعليه يشمل هذا النشاط العمليات المتعلقة باقتناء وتهيئة الأرضيات بغرض البناء، انجاز البرامج السكنية، المكاتب والتجهيزات ذات الطابع الجماعي الضرورية لتسيير هذه المجمعات، إضافة إلى التدخل في الأنسجة العمرانية الموجودة لتجديدها، اعادة تأهيلها، اعادة هيكلتها أو ترميمها أو تدعيمها. إذن من خلال هذا التعريف نستنتج بأن المشرع الجزائري قد ربط مفهوم الترقية العقارية بثلاث محاور: الوعاء العقاري، الموارد المالية والمشاريع العقارية، وعليه تعتبر الترقية العقارية نشاطا عقاريا يتعلق أساسا بالقيام بإنجاز عقارات جديدة في المناطق الحضرية، مخصصة أساسا للسكن بمختلف الصيغ المقررة قانونا، ودون الإخلال بالقواعد القانونية المتعلقة بالتهيئة والتعمير، مما يؤدي إلى تطوير العقار الحضري نتيجة استغلاله من ناحية، لتلبية الاحتياجات السكنية للأفراد، ومن ناحية أخرى، تفادي التوسع العمراني على الأراضي الفلاحية، بالموازاة لكل نشاط عقاري قواعد تنظم مختلف العلاقات التي يحتاجها لنجاحه على جميع الأصعدة. والأكيد أن أهم هذه العلاقات هي تلك المتعلقة بالمتدخلين في مجال ترقية العقار، منهم المرقي العقاري، المقاول، المهندس المعماري، مكاتب الدراسات المتخصصة وكافة المتدخلين في هذا النشاط، مع فسح المجال لتمويل المشاريع العقارية المتعلقة بهذا النشاط، وذلك من خلال تنظيم عمل وسير المؤسسات المالية الفاعلة في تمويل الترقية العقارية (بخوش، 2017، صفحة 284 و 285)

لقد خص القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011المعدل والمتمم، صنف الترقية العقارية المدعمة للإستفادة من التنازل على ملكية الأوعية العقارية لصالح المرقي العقاري، بينما الترقية العقارية ذات الطابع التجاري فتخضع فيما يتعلق بالحصول على الوعاء العقاري من طرف المرقي العقاري لإنجاز المشروع العقاري لأحكام المرسوم التنفيذي رقم 281/15 المؤرخ في 26 أكتوبر 2015 الذي يحدد شروط وكيفيات منح الامتياز القابل للتحويل إلى تنازل

على الأراضي التابعة للأملاك الخاصة للدولة والموجهة لإنجاز مشاريع الترقية العقارية ذات الطابع التجاري (الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية ، العدد 58 ، المؤرخة في 04 نوفمبر 2015).

لا يوجد تعريف محدد وخاص بشأن الترقية العقارية المدعمة ، الفيصل في تحديدها هو عامل تدخل الدولة فيها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، وارتباطها بشكل كبير بفئة المرقين العقاريين العموميين ، وذلك بغرض المساهمة في رفع عدد السكنات الجماعية الطابع لتحقيق مطلب السكن للمستفيدين محدودي الدخل ، فهي تستفيد من تدخل الدولة بطريقة مباشرة ، وذلك من خلال منح مساعدة مالية لاقتناء سكن جماعي لصالح المواطنين الذين لا تتجاوز مداخيلهم مبلغا محددا قانونا بالرجوع إلى عدد معين من المرات من الأجر الوطني الأدنى المضمون ، ومثال ذلك اشتراط المشرع الجزائري في الشخص الذي يريد طلب الحصول على سكن في إطار صيغة البيع بالإيجار أن تكون مداخيله لا تتجاوز خمس مرات الأجر الوطني الأدنى المضمون ، وفي مثال آخر يتعلق بصيغة السكن الترقوي العمومي فيشترط المشرع في الشخص أن يفوق دخله ست مرات ويقل أو يساوي اثني عشر مرة الدخل الوطني الأدنى المضمون ،كما تمتاز الترقية العقارية المدعمة بتدخل الدولة بطريقة غير مباشرة ، وذلك من خلال فرض إعفاءات ضريبية من شأنها تخفيف العبء على المرقين العقاريين وطالبي السكن ، وتخفيض سعر الأراضي التي تم التنازل عنها لفائدة المرقي العقاري والتي جسد فوقها المشروع السكني وفق التنظيم الساري المفعول (بوستة ، 2013، صفحة 462)، بتعبير آخر ، كل عمليات الترقية العقارية التي هي محل دعم من قبل الدولة تعتبر عمليات تكتسي طابعا اجتماعيا ، ومن ثم تستفيد من التخفيض في سعر التنازل عن الأوعية العقارية المخصصة لإنجاز المشاريع السكنية ذات الطابع الاجتماعي (المذكرة رقم 962 الصادرة عن المديرية العامة للأملاك الوطنية بتاريخ 20 فيفري 2001 والمتعلقة بالترقية العقارية ذات الطابع الاجتماعي فيما يخص التخفيضات المطبقة على سعر التنازل).

المبحث الثاني: كيفيات التنازل عن العقار غير المبني الموجه لإنجاز السكن الجماعي المدعم والصيغ السكنية المعنية به

يقصد بالسكن في مفهومه الضيق ، ذلك البناء المادي الملموس ، الذي يتألف من الحيطان والسقف الذي تقع عليه عين الإنسان ، أما السكن في مفهومه الواسع ، فهو لا يقتصر على مجموعة الجدران الأربعة وما يعلوها من السقف ، بل يمتد لما يشتمل عليه من التسهيلات التي يقدمها له المجتمع ، لكي يقبل الإنسان على العيش في هذا المبنى بكل راحة واستقرار (نقاز ، 2012، صفحة 02). ولأن بناء مسكن هو استثمار مكلف بالنسبة للفرد فقد عمد المشرع الجزائري إلى التنويع من الصيغ السكنية خاصة الجماعية النمط ذات الطابع الاجتماعي ، بغرض توفير السكن لأكبر شريحة من المواطنين ، زيادة على ذلك تم إقرار آلية التنازل عن الأرضية غير المبنية التابعة للأملاك الخاصة للدولة لفائدة المرقي العقاري ، والتي أنجز فوقها مشروعه السكني الجماعي المدعم من طرف الدولة ، حيث أن هذا التنازل عن الأرضية ، لا يتم إلا بناء على مجموعة من الإجراءات النظامية القانونية ، نظم أحكامها ومقتضياتها القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011، المعدل والمتمم. من خلال هذا المبحث سيتم التطرق إلى كيفيات التنازل عن الوعاء العقاري غير المبني في مجال إنجاز السكنات الجماعية المدعمة من طرف الدولة (المطلب الأول) ثم الحديث عن مختلف الصيغ السكنية المعنية به (المطلب الثاني).

المطلب الأول: كيفيات التنازل عن العقار غير المبني الموجه لإنجاز السكن الجماعي المدعم

تضمن القرار الوزاري المؤرخ في 14 ماي 2011، المعدل والمتمم ، مجموعة الإجراءات النظامية التي ينبغي اتباعها بغرض التنازل عن العقار غير المبني محل إنجاز سكنات جماعية مستفيدة من دعم الدولة ، حيث أن هذا التنازل يقوم على أساس تحديد القيمة التجارية لهذه العقارات بناء على التقييم الذي تنجزه إدارة أملاك الدولة المختصة (بن مُحَمَّد ، 2012، صفحة 10)،لذلك ومن خلال هذا المطلب سيتم إدراج مختلف هذه الإجراءات والتي يمر بها العقار غير المبني المتنازل عنه لفائدة المرقي صاحب البرنامج السكني المستفيد من دعم الدولة.

الفرع الأول: دراسة طلبات المرقين العقاريين الخاصة بإقتناء الوعاء العقاري

على خلاف المادة 05 من القرار الوزاري المؤرخ في 14 ماي 2011 التي كانت تقر بأن المدير الولائي المكلف بالسكن يقوم بإطلاق دعوة مشاركة لفائدة المرقين العقاريين المهتمين بالحصول على الأوعية العقارية غير المبنية لإنجاز برامج سكنية مدعمة من طرف الدولة على أساس بطاقة تعيين القطعة الأرضية التابعة للأملاك الخاصة للدولة وكذا نموذج دفتر الشروط النموذجي للمشروع الملحق بأحكام القرار الوزاري المؤرخ في 14 ماي 2011 ،فإنه وبعد الغاء نص هذه المادة(المادة 05 من القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011 ألغيت بموجب المادة 09 من القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 25 أفريل 2018 الذي يعدل ويتمم القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011 ، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ،العدد 58،المؤرخة في 03 أكتوبر 2018)،أقر المشرع الجزائري من خلال التعديل الذي مس أحكام القرار الوزاري المؤرخ في 14 ماي 2011، بموجب القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 25 أفريل 2018 ،بأن كل مرقي عقاري مهتم بالحصول على المشروع السكني المزمع إنجازه ، مطالب بالترشح لهذه العملية ، وذلك من خلال قيامه بإرسال طلب اقتناء القطعة الأرضية التابعة لأملاك الدولة المعنية إلى الوالي المختص إقليميا ، مصحوبا بملف معد في ستة نسخ متكون من: (المادة 02 من القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 25 أفريل 2018 ، التي تعدل وتتمم المادة 06 من القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011 المحدد لشروط وكيفيات التنازل عن قطع أرضية تابعة للأملاك الخاصة للدولة وموجهة لإنشاء برامج السكنات المدعمة من طرف الدولة)

- دفتر شروط المشروع الموقع عليه قانونا والمتضمن تعهد المرقي العقاري بالتكفل بالخصائص التقنية الخاصة ، وفي حال تعلق الأمر بصيغة السكن الترقوي المدعم ، فيطالب المرقي العقاري المترشح بوضع وتقديم شروط تنفيذ مشروع السكن الترقوي المدعم ، المنصوص عليه في القرار المؤرخ في 30 جانفي 2018 والذي يحدد الخصائص التقنية المطبقة على إنجاز السكن الترقوي المدعم.

- بطاقة تقنية لمشروع السكن الترقوي المدعم المحدد في الملحق الثاني بهذا القرار.

- اعتماد ممارسة مهنة المرقي العقاري إضافة إلى شهادة التسجيل في الجدول الوطني للمرقين العقاريين ونسخة من الانتساب مسلمة من طرف صندوق الضمان والكفالة المتبادلة للترقية العقارية سارية المفعول.

- شهادة صادرة عن صندوق الضمان والكفالة المتبادلة للترقية العقارية تبين التعهدات الجارية للمرقي العقاري فيما يتعلق بالبيع على التصاميم.

-السجل التجاري وكذلك الأنظمة الأساسية للمرقي العقاري عند الاقتضاء.

- تصريح يبين مؤهلات المرقي العقاري المترشح في مجال إنجاز المشاريع العقارية.

- شهادة صادرة عن المديرية الولائية للسكن ، عند الاقتضاء تبين العمليات المتممة.

بعد إيداع طلب الاقتناء رفقة الملف المطلوب قانونا يتم اخضاع طلب الاقتناء للدراسة من قبل اللجنة التقنية الولائية ، هذه اللجنة التي يمسك أمانتها المدير الولائي المكلف بالسكن تتكون من الرئيس ويتولى هذا المنصب الوالي أو ممثله ، إلى جانب الأعضاء ، حيث تشمل القائمة ممثلا عن المجلس الشعبي الولائي ، مدير أملاك الدولة ، مدير السكن ، مدير التعمير والهندسة المعمارية والبناء ، ممثل عن الصندوق الوطني للسكن ، مدراء كل من: التخطيط وتهيئة الإقليم ، التنظيم والشؤون العامة ، الأشغال العمومية ، الري ، المناجم والصناعة ، رئيس المجلس الشعبي البلدي المعني (المادة 04 من القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 25 أفريل 2018، التي تعدل وتتمم المادة 08 من القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011 المحدد لشروط وكيفيات التنازل عن قطع أرضية تابعة للأملاك الخاصة للدولة وموجهة لإنشاء برامج السكنات المدعمة من طرف الدولة).

عملية إختيار المرقي العقاري للحصول على المشروع تختص بها اللجنة التقنية الولائية الموضوعة تحت سلطة الوالي ، حيث يقع هذا الاختيار على المرقين العقاريين الذين بإمكانهم إثبات ضمانات كافية لإنجاز المشاريع العقارية في أحسن الظروف فيما يتعلق بالنوعية والأجل ، كما ينبغي أن تتلاءم قدرة المرقي العقاري مع حجم المشروع (المادة 03 من القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 25 أفريل 2018، التي تعدل وتتمم المادة 07 من القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011 المحدد لشروط وكيفيات التنازل عن قطع أرضية تابعة للأملاك الخاصة للدولة وموجهة لإنشاء برامج السكنات المدعمة من طرف الدولة)،وتجدر الإشارة إلى أن

المشرع لم يحدد المهلة الزمنية الممنوحة لهذه اللجنة من أجل إختيار المرقي العقاري، على إثر تعديله لأحكام نص المادة 06 من القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011 الذي يحدد شروط وكيفيات التنازل عن قطع أرضية تابعة للأملاك الخاصة للدولة وموجهة لإنشاء برامج السكنات المدعمة من طرف الدولة، بموجب المادة 02 من القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 25 أفريل2018،حيث كانت مدة إخضاع طلب الاقتناء للدراسة، لا تتجاوز خمسة عشر يوما من تاريخ إيداع الطلب.

إذن بناء على المحددات السابقة الذكر تقوم اللجنة التقنية الولائية باقتراح المرقي العقاري أو المرقين العقاريين المعنيين على الوالي المختص إقليميا، هذا الأخير ينبغي عليه موافاة المرقين العقاريين المترشحين في أجل لا يتعدى ثلاثين يوما على الأكثر، إبتداء من تاريخ إيداع الملف كاملا برد، يوضح فيه حسب الحالة بأن طلبه قد تم قبوله حسب الشروط المنصوص عليها في دفتر شروط المشروع، أو أنه قد تم قبوله على أساس ملاحظات تقنية ويتوجب رفعها في أجل تحدده اللجنة، نظرا لطبيعتها وأهميتها أو أن طلبه مرفوض مع تسبيبه، ليقوم الوالي خلال خمسة عشر يوما الموالية، بتبليغ قرار التصريح بالتنازل للمرقي العقاري المتحصل على صفقة إنجاز المشروع السكني (المادة 09 من القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011 ، وكذلك المادة 05 من القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 25 أفريل 2018 التي تعدل وتتمم المادة 10 من القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011). غير أنه ثمة ملاحظة حول مدى إمكانية سريان هذا الإجراء في حالة احتفاظ وزارة السكن والعمران بحصص من البرامج الترقوية الجماعية النمط المدعمة من طرف الدولة لفائدة المرقين العقاريين العموميين، كديوان الترقية والتسيير العقاري المشرف على إنجاز صيغة العمومي الإيجاري، المؤسسة الوطنية للترقية العامة المكلفة بالإشراف على إنجاز صيغة الترقوي العمومي والوكالة الوطنية لتحسين السكن وتطويره المكلفة بالإشراف على إنجاز صيغة البيع بالإيجار؟

بمقتضى المذكرة رقم 4647 الصادرة في 12 ماي 2013عن المديرية العامة للأملاك الوطنية والمتعلقة بالتنازل عن الأراضي التابعة للأملاك الخاصة للدولة الموجهة لإنجاز مشاريع الترقية العقارية ذات الطابع الاجتماعي والدفع بالتقسيط، تم الإقرار بأن مصالح أملاك الدولة المختصة إقليميا مطالبة باستكمال إجراءات التنازل عن الأراضي التابعة للدولة دون اللجوء إلى إجراء إختيار مرقي عقاري ينجز البرنامج السكني الاجتماعي المدعم من طرف الدولة متى احتفظت وزارة السكن والعمران بحصص من البرامج الترقوية الجماعية النمط المدعمة من طرف الدولة لفائدة المرقين العقاريين العموميين، شريطة أن يكون التنازل مرخصا قانونا بموجب قرار ولائي.

الفرع الثاني: اعداد العقد الإداري المتضمن قرار التنازل عن الوعاء العقاري

استنادا لنص المادة 11 من القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011 الذي يحدد شروط وكيفيات التنازل عن قطع أرضية تابعة للأملاك الخاصة للدولة وموجهة لإنشاء برامج السكنات المدعمة من طرف الدولة، المعدل والمتمم، ينبغي على المرقي العقاري المتحصل على قرار التصريح بالتنازل أن يقدم إلى المدير الولائي المكلف بالسكن ملف تنفيذ هذا المشروع مصحوبا بالرأي التقني للمصالح الولائية المكلفة بالعمران وكذلك تأشيرة هيئة المراقبة التقنية للبناء وذلك خلال أجل يتناسب وأهمية المشروع تحدده اللجنة التقنية شريطة ألا يتجاوز مدة خمسة أشهر، علما أنه إذا تقرر إنجاز محلات تستعمل حصريا كمواقف سيارات في الطوابق تحت الأرضية بغرض إيجارها أو بيعها من طرف المرقي العقاري، فإنه ينبغي أن تظهر هذه المحلات في الجدول الوصفي للتقسيم، كحصة وحيدة غير قابلة للتقسيم لكل طابق تحت أرضي، وتجدر الإشارة إلى أن الجدول الوصفي للتقسيم، عبارة عن وثيقة تقنية تمكن من تحديد تقسيم العقار الخاضع لقواعد الملكية المشتركة انطلاقا من التنظيم الذي يضعه نظام الملكية المشتركة، بحيث يتم تعيين حدود ومضمون كل جزء من أجزاء العقار المبني موضوع الملكية المشتركة في هذه الوثيقة (الوكاري، 2008، صفحة 176)، أما الحصة في إطار الملكية العقارية المشتركة فتشتمل على جزء خاص ونصيب خالص في الأجزاء المشتركة والتي تخضع لشيوع إجباري تبعي (المادة 743 من الأمر رقم 58/75 المؤرخ في 26 سبتمبر 1975 المتضمن القانون

المدني ،المعدل والمتمم ، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية ،العدد 78 ،المؤرخة في 30 سبتمبر 1975).

وبعد تسديد المرقي العقاري لسعر التنازل والمصاريف المرتبطة بمعاملة تحرير العقد تعد مصالح أملاك الدولة المختصة إقليميا بصفتها موثقة الدولة وقبل أن تسلم هذا العقد الإداري الذي يكرس عملية التنازل في أجل ثلاثين يوما مرفقا بدفتر الشروط لصالح المرقي العقاري المعني(المادة 06 من القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 25 أفريل 2018 التي تتمم المادة 12 من القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011 الذي يحدد شروط وكيفيات التنازل عن قطع أرضية تابعة للأملاك الخاصة للدولة وموجهة لإنشاء برامج السكنات المدعمة من طرف الدولة)، يجب أن يخضع هذا العقد الناقل لملكية الأرضية من الدولة إلى المرقي العقاري المستفيد من التنازل إلى عملية الشهر العقاري ، لكون أن هذا العقد الإداري لا يكون له أثر بين أطرافه إلا من تاريخ إشهاره في مجموعة البطاقات العقارية على مستوى المحافظة العقارية المختصة إقليميا(المادة 16 من الأمر رقم 74/75 المؤرخ في 12 نوفمبر 1975 المتضمن إعداد مسح الأراضي العام وتأسيس السجل العقاري ، المعدل والمتمم ، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية ، العدد 92 ، المؤرخة في 18 نوفمبر 1975)، الأكثر من ذلك هذا العقد الإداري لا وجود له بالنسبة للغير إلا من تاريخ إشهاره في مجموعة البطاقات العقارية على مستوى المحافظة العقارية المختصة إقليميا (المادة 92 من القانون رقم 11/17 المؤرخ في 27 ديسمبر 2017 المتضمن قانون المالية لسنة 2017 التي عدلت المادة 15 من الأمر رقم 74/75 المؤرخ في 12 نوفمبر 1975 المتضمن اعداد مسح الأراضي العام وتأسيس السجل العقاري ، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية ، العدد 76 ، المؤرخة في 28 ديسمبر 2017). وفي حال ما إذا كان هذا العقد يتضمن إقتناء أرضية موجهة لإنجاز برنامج سكني مستفيد من دعم الدولة لاسيما السكن الاجتماعي التساهمي الذي تحول إلى صيغة السكن الترقوي المدعم خلال سنة 2010، وكذلك السكن في إطار البيع بالإيجار ، فهو عقد معفى من رسم الإشهار العقاري(المادة 22 من القانون رقم 21/04 المؤرخ في 29 ديسمبر 2004 والذي يتضمن قانون المالية لسنة 2005 ، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية ، العدد 85، المؤرخة في 30 ديسمبر 2004).

بالموازاة فقد رخص المشرع الجزائري ضمن أحكام القانون رقم 16/11 المؤرخ في 2011/12/28 المتضمن قانون الماليةلسنة2012، لقابضي أملاك الدولة منح جدول زمني لتسديد بالتقسيط سعر التنازل عن الأراضي التابعة لأملاك الدولة والموجهة لإقامة برامج سكنات مدعمة من الدولة والممنوحة لمرقيين عموميين أو خواص يعبرون عن حاجتهم ، وفي كل الأحوال ينبغي تسديد سعر التنازل كليا قبل تسليم السكنات المنجزة للمستفيدين منها (المادة 59 من القانون رقم 16/11 المؤرخ في 2011/12/28 المتضمن قانون المالية لسنة 2012، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية ، العدد 72 ، المؤرخة في 29 ديسمبر 2011). تجسيدا لهذه التدابير التحفيزية وضعت المديرية العامة للأملاك الوطنية جدولا وطنيا يتعلق بالدفع بالتقسيط لفائدة المرقين العقاريين العموميين ، أو الخواص ، الذين ينجزون برامج سكنية مدعمة متى عبروا عن رغبتهم في الإستفادة من هذه التدابير ، بحيث يتعين على المرقي العقاري المستفيد وقبل اعداد عقد الملكية دفع 10%من سعر التنازل بعد تطبيق التخفيض في سعر الأرضية ثم دفع المبلغ المتبقي على خمسة أقساط ، الأول بعد انتهاء مدة التأجيل المحددة باثنتي عشر شهرا من تاريخ دفع الحصة الأولية في حين الأقساط الأخرى تدفع كل ستة أشهر ، ومتى أبدى المرقي العقاري رغبته في الدفع الكلي للرصيد المتبقي فإن مصالح أملاك الدولة المختصة إقليميا ملزمة بإنهاء حالة الدفع بالتقسيط وقبول دفع باقي السعر مع تسليم المرقي العقاري المعني ابراء الدفع (المذكرة رقم 4647 الصادرة عن المديرية العامة للأملاك الوطنية بتاريخ 12 ماي 2013 والمتعلقة بالتنازل عن الأراضي التابعة للأملاك الخاصة للدولة الموجهة لإنجاز مشاريع الترقية العقارية ذات الطابع الإجتماعي والدفع بالتقسيط). أما في حال عدم إحترام المرقي العقاري المشتري المتحصل على قرار التصريح بالتنازل والصادر عن الوالي المختص إقليميا لبنود دفتر الشروط ، فإنه وبعد توجيه إعذارين له برسالة موصى بها مع إشعار بالإستلام من طرف المدير الولائي المكلف بالسكن ، وبقاء الوضع على حاله ، يقوم مدير أملاك الدولة للولاية المختص إقليميا برفع دعوى قضائية بطلب من مدير الولاية المكلف بالسكن ، تهدف هذه

الدعوى القضائية إلى اسقاط الحقوق العينية العقارية عن المرقي العقاري المخل بالتزاماته(المادة 08 من القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 25 أفريل 2018 المعدل والمتمم للقرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011 الذي يحدد شروط وكيفيات التنازل عن قطع أرضية تابعة للأملاك الخاصة للدولة وموجهة لإنشاء برامج السكنات المدعمة من طرف الدولة)،وحلول صندوق الضمان والكفالة المتبادلة في الترقية العقارية محل المرقي المخل بالتزاماته ، طبقا لأحكام المرسوم التنفيذي رقم 181/14 المؤرخ في 05 جوان 2014 الذي يحدد شروط حلول صندوق الضمان والكفالة المتبادلة في الترقية العقارية محل مقتني الأملاك العقارية المغطاة بضمان الترقية العقارية ، وكيفيات ذلك (الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية ، العدد 37 ، المؤرخة في 19 جوان 2014)،وللمرقي العقاري الحق في أن يطلب بالمقابل تعويضا عن الفسخ يحدد كما يأتي:

01- في حال ما إذا تم الفسخ قبل انطلاق الأشغال ، فيكون التعويض مساويا لثمن البيع ، مع اقتطاع نسبة 10% ، كأضرار وفوائد جزافية.

02- إذا تم الفسخ بعد البدء في الأشغال ، فإن التعويض المذكور أعلاه ، يضاف إليه مبلغ يساوي القيمة المضافة للعقار ، المحددة من طرف مصالح إدارة أملاك الدولة ، والناتجة عن الأشغال المنجزة بانتظام ، دون أن يفوق هذا المبلغ قيمة مواد البناء وسعر اليد العاملة المستخدمة.

إن آلية التنازل المقررة بمقتضى أحكام القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011 الذي يحدد شروط وكيفيات التنازل عن قطع أرضية تابعة للأملاك الخاصة للدولة وموجهة لإنشاء برامج السكنات المدعمة من طرف الدولة ، المعدل والمتمم ، تتم على أساس تحديد القيمة التجارية لهذه العقارات ، بناء على عملية التقييم الذي تنجزه إدارة أملاك الدولة المختصة من خلال استخراج معاملات ونسب حسابية ، غير أنه بسبب وجود نقص في التكوين والتأهيل لدى الأعوان المكلفين بإجراء التقييم العقاري فإنهم يعتمدون تلقائيا على المعاملات والنسب الواردة كأمثلة في ملحقات التعليمات التوضيحية الصادرة عن المديرية العامة للأملاك الوطنية مما يترتب عنه تقديم نتائج غير صحيحة وغير واقعية. كما أن تطبيق آلية التنازل في مجال نشاط الترقية العقارية المدعمة يصطدم بمشكل ندرة العقار المملوك ملكية خاصة للدولة في بعض الولايات الكبرى من الوطن إضافة إلى بطء عملية توفير السندات المثبتة لملكية الدولة للعقارات الموجهة لنشاط الترقية العقارية على العموم بسبب عدم جرد الذمة العقارية للدولة بشكل تام (بن مُحَمَّد ، 2012 ، صفحة 16).

زيادة على ذلك ، فقد اعترض جمع كبير من المرقين العقاريين حول طريقة تقييم القطع الأرضية موضوع التنازل ، وذلك بطلبهم استبعاد من عملية التنازل ما تتضمنه القطع من مساحات خضراء ومداخل ، مواقف السيارات وخاصة الطرق ، وبموجب التعليمة رقم 3411 الصادرة عن المديرية العامة للأملاك الوطنية المؤرخة في 16 أفريل 2008 ، فقد تم التصريح بأن الاستثناء ينحصر فقط على محطات توليد الكهرباء ، خزانات المياه ، المدارس ، الحدائق العامة ، أما الأجزاء الأخرى ، حتى وإن كانت غير قابلة للتعمير كالمساحات الخضراء ، فلا يمكن أن تكون مستثناة لأنها ستشكل مستقبلا الأجزاء المشتركة من الصنف الثاني والمعبر عنها بنسبة1000 ضمن الجدول الوصفي للتقسيم ، أما الطرق العمومية فإذا كانت الأرضية محل التنازل تندرج ضمن مخطط شغل الأراضي ، فيجب تحديد مساحة التنازل ، وفي حالة وجود مخطط شغل الأراضي مصادق عليه فهنا تستثنى مباشرة كونها محددة ضمن المخطط ، وهذا الإشكال لا يمكن إثارته في حالة السكنات الريفية كون أن الحصص المجزأة يتم التنازل عنها حصة بحصة. كما كشفت المديرية العامة للأملاك الوطنية بموجب التعليمة رقم 1611 المؤرخة في 18 فيفري 2013 ، عن عدم احتساب أثناء التقييم الأقبية غير المهيأة والتي لا تتوفر على مداخل مستقلة ، والتي تستلزم عملية بيعها أن تكون مرافقة للمحلات ، لأن إنشاءها كان لأسباب تقنية تتعلق بطبيعة التربة وتضاريس الأرضية (عمور ، 2017 ، صفحة 171 و 172)، وبموجب المذكرة رقم 4647 الصادرة في 12 ماي 2013 المتعلقة بالتنازل عن الأراضي التابعة للأملاك الخاصة للدولة الموجهة لإنجاز مشاريع الترقية العقارية ذات الطابع الاجتماعي والدفع بالتقسيط ، تم الإقرار بأنه إذا تضمن المشروع السكني المدعم محلات أخرى ذات طابع تجاري ، مهني أو حرفي فإن مساحة الأرض التي تعود نسبيا لهذه المحلات يجب أن تستبعد من التخفيض المقرر على سعر الأرضية محل التنازل لفائدة المرقي العقاري.

المطلب الثاني: الصيغ السكنية المدعمة ذات الطابع الجماعي المعنية بآلية التنازل في منح الوعاء العقاري غير المبني

تعنى الصيغ السكنية المدعمة ذات الطابع الجماعي بآلية التنازل في منح الوعاء العقاري غير المبني بغرض إنجازها من طرف المرقي العقاري، والمقرر بموجب مقتضيات القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011،المعدل والمتمم، ووفق اشتراطات معينة،علما أن هذا التنازل يتم بعد إتمام إنجاز السكنات المعنية به واثبات ذلك الإنجاز، حيث تمتاز هذه السكنات الجماعية، أو بالأحرى البنايات ذات الطابع الجماعي (سعيدي و آخرون، 2012) بأنها على العموم عبارة عن عمارات تضم عدة شقق كأجزاء خاصة إلى جانب الأجزاء المشتركة كالسلالم والحيطان الأساسية للبناء وغيرها (سعيدي و آخرون، 2012).يخضع المستفيدون من السكن المدعم ذو الطابع الجماعي المعني بآلية التنازل في منح الوعاء العقاري غير المبني عند شغلها إما لقواعد الملكية المشتركة المنظمة بموجب أحكام المرسوم التنفيذي رقم 99/14 المؤرخ في 04 مارس 2014 الذي يحدد نموذج الملكية المشتركة المطبق في مجال الترقية العقارية (الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد 14، المؤرخة في 16 مارس 2014)،أو إلى عقد الإيجار المنظم بمقتضى أحكام المرسوم التنفيذي رقم 142/08 المؤرخ في 11 ماي 2008 الذي يحدد قواعد منح السكن العمومي الإيجاري (الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد 24، المؤرخة في 11 ماي 2008). من خلال هذا المطلب سنتناول مختلف الصيغ السكنية المدعمة ذات الطابع الجماعي والمعنية بآلية التنازل في منح الوعاء العقاري غير المبني لفائدة المرقي العقاري.

الفرع الأول: صيغة السكن الترقوي المستفيدة من دعم الدولة

تعنى صيغة السكن الترقوي المستفيدة من دعم الدولة بآلية التنازل عن الوعاء العقاري غير المبني لفائدة المرقي العقاري، حيث تشتمل هذه الصيغة على صنفين اثنين، الأول يطلق عليه تسمية صيغة الترقوي العمومي، أما الثاني فيتمثل في صيغة السكن الترقوي المدعم.

أولا - صيغة السكن الترقوي العمومي: استنادا لأحكام المادة 13 من القانون رقم 04/11المحدد للقواعد التي تنظم نشاط الترقية العقارية، تم إصدار المرسوم التنفيذي رقم 203/14 المؤرخ في 15 جويلية 2014 الذي يحدد شروط وكيفيات شراء السكن الترقوي العمومي، المعدل والمتمم (الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد 44، المؤرخة في 27 جويلية 2014)، حيث يعتبر هذا السكن مشروعا عقاريا ذو صالح عام يستفيد من إعانة الدولة ويندرج ضمن طائفة السكن الجماعي، مخصص لكل من لا يملك أو لم يسبق له أن ملك هو أو زوجه ملكية تامة، عقارا ذا استعمال سكني أو قطعة أرض صالحة للبناء إضافة إلى أنه لم يستفد هو أو زوجه من مساعدة مالية مقدمة من طرف الدولة لبناء سكن أو شرائه(المادة 08 من المرسوم التنفيذي رقم 203/14 المؤرخ في 15 جويلية 2014 الذي يحدد شروط وكيفيات شراء السكن الترقوي العمومي)، ويفوق دخله ست مرات ويقل عن ثلاثين مرة الدخل الوطني الأدنى المضمون أو يساويه، كما يمكن كذلك للمواطنين الجزائريين المقيمين بالخارج، المسجلين بصفة قانونية لدى الممثليات الدبلوماسية والقنصلية الجزائرية، الذين تفوق مداخيلهم ثلاثين مرة الدخل الوطني الأدنى المضمون طلب الحصول على سكن في إطار هذه الصيغة، وحتى الذين تقل مداخيلهم عن ست مرات الدخل الوطني الأدنى المضمون، بشرط أن يكفلهم ماليا شخص له صفة قرابة من الدرجة الأولى، وإن تعذر ذلك، فمن الدرجة الثانية أو الثالثة طبقا للأحكام التشريعية المعمول بها (المادتين 02 و 03 من المرسوم التنفيذي رقم 311/18 المؤرخ في 15 ديسمبر 2018 المعدل والمتمم للمرسوم التنفيذي رقم 203/14المؤرخ في 15 جويلية 2003 الذي يحدد شروط وكيفيات شراء السكن الترقوي العمومي، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد 74، المؤرخة في 12 ديسمبر 2018)، وتجدر الإشارة إلى أن المستفيدين من هذا السكن مطالبون بالخضوع لقواعد الملكية العقارية المشتركة تبعا لأحكام المرسوم التنفيذي رقم 99/14 الذي يحدد نموذج الملكية المشتركة المطبق في مجال الترقية العقارية.

استنادا لنص المادة 02الفقرتين 01و03 ،وكذلك نص المادة 09 من المرسوم التنفيذي رقم 203/14 الذي يحدد

شروط وكيفيات شراء السكن الترقوي العمومي، وبغرض حماية المقتنين طالبي هذه الصيغة فقد ألزم المشرع الجزائري المرقي العقاري صاحب المشروع الترقوي العمومي انتهاج تقنية البيع بعد إتمام الإنجاز لفائدة المقتنين المكتتبين في هذه الصيغة، وذلك من خلال عقد رسمي، محرر من طرف موثق يحول بموجبه المرقي العقاري الملكية التامة والكاملة للعقار المبني موضوع الصفقة لفائدة المقتني مقابل تسديده السعر المتفق عليه، ودون سواها من تقنيات البيع المنصوص عليها ضمن أحكام القانون رقم 04/11المحدد للقواعد التي تنظم نشاط الترقية العقارية، كعقد حفظ الحق أو عقد البيع على التصاميم، مما يعني حرص المشرع على ضمان إتمام إنجاز هذه السكنات وإثبات ذلك الإنجاز من طرف المرقي العقاري، وبالتالي تسوية وضعية الأرضية التي تم إنجاز المشروع فوقها، ليتمكن المرقي عند البيع من نقل ملكية البناية والأرضية في آن واحد لفائدة الملاك المقتنين. تعنى هذه الصيغة بإعانة غير مباشرة من طرف الدولة من حيث التخفيض في قيمة أو سعر الأراضي التابعة للأملاك الخاصة للدولة والموجهة لإنجاز السكنات المتعلقة بهذه الصيغة إلى جانب المحلات المخصصة حصريا للإستعمال كمواقف للسيارات والمنجزة تحت الأرضية ،حيث أن نسب التخفيض تم تحديدها وفق مقتضيات أحكام المادة 13 من القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011 الذي يحدد شروط وكيفيات التنازل عن قطع أرضية تابعة للأملاك الخاصة للدولة وموجهة لإنشاء برامج السكنات المدعمة من طرف الدولة، المعدلة والمتممة، بموجب كل من مقتضيات المادة 03 من القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 25 أوت 2015، وكذلك بمقتضى أحكام المادة 07 من القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 25 أفريل 2018، وذلك وفق ما يلي:

*ولايات الجزائر، وهران، عنابة وقسنطينة60%.

*مقرات دوائر الولايات الشمالية 70%، أما فيما يخص البلديات الأخرى في الولايات الشمالية فنسبة التخفيض تصل إلى 75%.

*مقرات دوائر ولايات الهضاب العليا 80 % أما فيما يخص البلديات الأخرى في ولايات الهضاب العليا فنسبة التخفيض تصل إلى 85%.

*مقرات دوائر الولايات الجنوبية: 90 % وفيما يخص البلديات الأخرى في الولايات الجنوبية، تبلغ نسبة التخفيض 95%.

ثانيا-صيغة السكن الترقوي المدعم: يعتبر السكن الترقوي المدعم كل سكن جديد جماعي أو فردي في شكل مجمع، ينجزه المرقي العقاري المعتمد، وهو سكن موجه للطالبين المؤهلين للحصول على المساعدة المباشرة التي تمنحها الدولة لطالبي هذا السكن (المادة2 من المرسوم التنفيذي رقم 06/18المؤرخ في 20 جانفي 2018، يحدد مستويات المساعدة الممنوحة من الدولة لاقتناء سكن جماعي أو بناء سكن ريفي أو سكن فردي منجز في شكل مجمع في مناطق محددة في الجنوب والهضاب العليا ومستويات دخل طالبي هذه السكنات وكذا كيفيات منحها، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، العدد 02، المؤرخة في 21 جانفي 2018)، ويتم بيعه عن طريق تقنية عقد البيع على التصاميم دون سواها من تقنيات البيع الأخرى المعترف بها ضمن أحكام القانون رقم 04/11الذي يحدد القواعد التي تنظم نشاط الترقية العقارية. يلزم المشرع الجزائري المرقي العقاري بإنجاز السكن الترقوي المدعم طبقا لخصائص تقنية وشروط مالية تحدد بموجب قرار مشترك بين الوزيرين المكلفين بالسكن والمالية، وتطبيقا لذلك تم إصدار القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011 المحدد للخصائص التقنية والشروط المالية المطبقة على إنجاز السكن الترقوي المدعم، والذي ألغي بموجب القرار المؤرخ في 30جانفي 2018المحدد للخصائص التقنية المطبقة على إنجاز السكن الترقوي المدعم (الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد 13، المؤرخة في 28 فيفري 2018).

وبشأن آلية التنازل المنتهجة في هذه الصيغة فإنه قد تم الإقرار وبموجبتعليمة وزارية مشتركة رقم 01 بين وزير الداخلية والجماعات المحلية والتهيئة العمرانية ووزير السكن والعمران والمدينة مؤرخة في 05 فيفري 2018 متعلقة بكيفيات تجسيد برنامج السكنات الترقوية المدعمة بأن التخفيض يتراوح من 80% إلى 95 % حسب المنطقة من سعر التنازل عن الأراضي التابعة للأملاك الخاصة للدولة (تعليمة وزارية مشتركة رقم 01 مؤرخة في 05 فيفري 2018

صادرة عن وزارة الداخلية والجماعات المحلية والتهيئة العمرانية ووزارة السكن والعمران والمدينة متعلقة بكيفيات تجسيد برنامج السكنات الترقوية المدعمة). وهو ما يعني بأن هذه التعليمة في تحديدها لنسب تخفيض سعر التنازل عن الأرضيات التابعة للأملاك الخاصة للدولة التي ينجز فوقها مشروع صيغة السكن الترقوي المدعم تستند لأحكام المادة 03 من القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 25 أوت 2015 ،التي تتمم القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011 في المادة 13 منه والتي بدورها عدلت وتممت بموجب أحكام المادة 07 من القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 18 أفريل 2018 ، وبالتالي فإن التخفيض على القيمة التجارية للأراضي المعنية بهذه الصيغة بالنسبة لولايات الجزائر ، وهران ، عنابة وقسنطينة هو 80 % ، وبالنسبة للبلديات التابعة لولايات الهضاب العليا والجنوب فتبلغ نسبة 95 % أما بالنسبة للولايات الأخرى فتصل 90%.

الفرع الثاني: صيغة البيع بالإيجار

يعتبر البيع بالإيجار صيغة سكنية تسمح بالحصول على مسكن بعد إقرار شرائه بملكية تامة بعد انقضاء مدة الإيجار المحددة في إطار عقد مكتوب ، ويستفيد من هذه الصيغة كل مواطن لا يملك أو لم يسبق له أن تملك عقارا ذا استعمال سكني ملكية تامة ، ولم يستفد كذلك من مساعدة مالية مقدمة من طرف الدولة لبناء مسكن أو لشرائه وألا يتجاوز مستوى مداخيله خمس مرات الأجر الوطني الأدنى المضمون (المرسوم التنفيذي رقم 105/01 المؤرخ في 23 أفريل 2001 الذي يحدد شروط شراء المساكن المنجزة بأموال عمومية في إطار البيع بالإيجار و كيفيات ذلك ، المعدل والمتمم بموجب المرسوم التنفيذي رقم 35/03 المؤرخ في 13 جانفي 2003 ، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية ، العدد 25 ، المؤرخة في 29 أفريل 2001). يتم ابرام عقد البيع بالإيجار من الناحية العملية بموجب اتفاق طرفين أحدهما هو المستفيد من المسكن ، والطرف الآخر هو الوكالة الوطنية لتحسين السكن وتطويره بوصفها مرقيا عقاريا عاما (المرسوم التنفيذي رقم 148/91 المؤرخ في 12 ماي 1991المتضمن احداث وكالة وطنية للسكن وتطويره ، المعدل والمتمم بالمرسوم التنفيذي رقم 298/14 المؤرخ في 21 أكتوبر 2014 ، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية ، العدد25 ، المؤرخة في 29 ماي 1991)، على أن يستأجر المستفيد المسكن مقابل أجرة محددة ولمدة زمنية محددة ، ويتملك المستفيد المستأجر العين المؤجرة بعد دفعه لجميع أقساط الإيجار المقابلة لثمن المسكن خلال المدة المتفق عليها (زايدي ، 2016 ، صفحة 93).تحظى المساكن الجماعية المنجزة في إطار هذه الصيغة بدعم مالي إما من ميزانية الدولة أو الجماعات المحلية أو بواسطة تمويل بنكي أو تمويلات أخرى وفقا لمعايير يتم اعتمادها تتعلق بالمساحة والرفاهية ، حيث يقوم وزير السكن بتحديد موقعها وعددها انطلاقا مما تم تخصيصه من أراضي بغية إنجاز المشاريع العقارية وبالتشاور مع الهيئة الحائزة على الأموال فيما يخص البرامج المنجزة بمصادر بنكية أو بتمويلات أخرى ، ويتم تحديد ثمن المسكن في إطار هذه الصيغة على أساس الكلفة النهائية لانجازه ، بما تتضمنه من نفقات شراء الأرض ، وكذلك مصاريف التسيير التقني والإداري المتعلق بالملكية المشتركة التي تحتسب على المدة التي تسبق نقل الملكية.

وفي سياق الحديث عن نفقات شراء الأرضية التي أنجز فوق أرضيتها السكنات المتعلقة بهذه الصيغة ، فإن المشرع الجزائري أقر بأنه يمنح تخفيض على القيمة التجارية على الأرضية كما هي محددة من طرف مصالح أملاك الدولة ، بالنسبة لمساحة الأرض المخصصة نسبيا لمثل هذه السكنات والمحلات المخصصة حصريا كمواقف للسيارات تنجز في الطوابق تحت الأرضية ،ونسب التخفيض بالنسبة لبرنامج 65000 مسكن موجه للبيع بالإيجار الذي بادر به الصندوق الوطني للتوفير والاحتياط وكذلك برامج السكنات الموجهة للبيع بالإيجار فنسبة التخفيض تصل إلى 100% (المادة 03 من القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 25 أوت 2015 المتممة للمادة 13 من القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011 الذي يحدد شروط وكيفيات التنازل عن قطع أرضية تابعة للأملاك الخاصة للدولة وموجهة لإنشاء برامج السكنات المدعمة من طرف الدولة).

الفرع الثالث: صيغة السكن العمومي الإيجاري

يعد السكن العمومي الإيجاري ذلك السكن الممول من طرف الدولة أو الجماعات المحلية ، موجه فقط للأشخاص

الذين تم تصنيفهم حسب مداخيلهم ضمن الفئات الاجتماعية المعوزة والمحرومة التي لا تملك سكنا أو تقطن سكنات غير لائقة ولا تتوفر لأدنى شروط النظافة (المادة 02 من المرسوم التنفيذي رقم 142/08 المؤرخ في 11 ماي 2008 الذي يحدد قواعد منح السكن العمومي الإيجاري)، ويشرف على إنجاز هذه الصيغة دواوين الترقية والتسيير العقاري الموجودة على مستوى التراب الوطني بصفتها مرقيا عقاريا عاما تحترف نشاط الترقية العقارية.

في الحقيقة، قبل الإفراج عن آلية التنازل بموجب القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 05 أفريل 2003 الذي يحدد لشروط التنازل عن العقارات المبنية أو غير المبنية التابعة للأملاك الخاصة للدولة والمخصصة لإنجاز عمليات تعمير أو بناء، والملغى بموجب القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011، المعدل والمتمم،ثمة مشاريع سكنية عديدة تتعلق بهذه الصيغة أنجزت فوق أراضي تابعة للأملاك الخاصة للدولة بناء على قرار يقضي بتخصيص تلك الأرضية لفائدة المشاريع المتعلقة بهذه الصيغة، وبعد الإنجاز لم يتم التنازل لفائدة دواوين الترقية والتسيير العقاري، وبذلك بقيت هذه الأراضي بما فيها من مباني مصنفة ضمن أملاك الدولة الخاصة وخاضعة للنصوص القانونية المتعلقة بها، وهو ما طرح إشكالا قانونيا عند قيام أي ديوان للترقية والتسيير العقاري بالتنازل عن ملكية المسكن للمواطن، بسبب عدم حيازة الديوان لسند الملكية. ولحل هذا الإشكال تدخل المشرع الجزائري بالتنصيص ضمن أحكام قانون المالية لسنة 1999،على أنه تنقل مجانا إلى دواوين الترقية والتسيير العقاري بوصفها مرقيا عقاريا عاما كل الأراضي التابعة للأملاك الخاصة للدولة والتي إستعملت كوعاء للبناء المنجز من طرف هذه الدواوين في إطار برامج السكن الاجتماعي قبل 18نوفمبر1990،وهو تاريخ صدور القانون رقم 25/90 المتعلق بالتوجيه العقاري، والتي لم تتم تسويتها عند تاريخ 31 ديسمبر 1998، كما يتعين على دواوين الترقية التنازل مجانا عن الملكية لفائدة الملاك الشركاء في البنايات المعنية على المساحات التابعة للبنايات والأجزاء المشتركة كما هي محددة في المشاريع التقنية المتعلقة بإنجاز الأحياء،فيما أحيلت مسألة بيان كيفية تنفيذ هذا التدبير القانوني على التنظيم(المادة 59 من القانون رقم 12/98 المؤرخ في 31 ديسمبر 1998 المتضمن قانون المالية لسنة 1999، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد 98، المؤرخة في 31 ديسمبر 1998).وتجسيدا لذلك تم إصدار المرسوم التنفيذي رقم 242/99 المؤرخ في 31 أكتوبر 1999 المحدد لكيفيات تحويل لفائدة دواوين الترقية والتسيير العقاري الأراضي التابعة للدولة المستعملة قبل سنة 1990وشروط إعادة بيعها لفائدة الشركاء في ملكية السكنات الاجتماعية، حيث تم الإقرار بموجب هذا المرسوم بأن تحويل ملكية الأوعية العقارية لفائدة دواوين الترقية والتسيير العقاري، يتم بناءا على أي مستند إداري رسمي، يثبت استعمال الأراضي المعنية التابعة للدولة قبل هذا التاريخ، في حين تخصص الأراضي الأخرى التابعة للدولة المتوفرة،والموجهة أصلا لاستقبال تجهيزات عمومية المدمجة في محيط مخطط التهيئة بصفة نهائية لإنجاز التجهيزات العمومية (المادتين 03 و 04 من المرسوم التنفيذي رقم 242/99 المؤرخ في 31 أكتوبر 1999 المحدد لكيفيات تحويل لفائدة دواوين الترقية والتسيير العقاري الأراضي التابعة للدولة المستعملة قبل سنة 1990 وشروط إعادة بيعها لفائدة الشركاء في ملكية السكنات الاجتماعية، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد 76، المؤرخة في 31 أكتوبر 1999).

خاتمة

يعد التنازل عن الأملاك العقارية التابعة للأملاك الخاصة للدولة آلية تبناها المشرع الجزائري في إطار التأسيس لآليات قانونية من شأنها تحفيز نشاط الترقية العقارية المدعمة، بغرض توفير السكن لشريحة كبيرة من المواطنين حسب الصيغة السكنية التي يمكنهم الإكتتاب فيها، خاصة وأن واقع عملية الحصول على العقار من طرف المرقي العقاري تتسم بالصعوبة نتيجة ارتفاع سعره بسبب الندرة والمضاربة العقارية مما ينعكس سلبا على سعر الوحدة السكنية.

يعدّ التنازل آلية قانونية تكتسي طابعا خاصا تلجأ إليه الدولة موضوعه نقل ملكية أملاك عقارية غير مبنية تملكها ملكية خاصة إلى المرقي العقاري، بمناسبة إنجازه لمشروع سكني جماعي مستفيد من دعم الدولة، بناء على دفتر شروط وبمقابل محدد قانونا، وفي بعض الحالات يتم نقل ملكية هذه العقارات غير المبنية مجانا، كما هو الحال في صيغة السكن العمومي الإيجاري وكذلك صيغة البيع بالإيجار، حيث تصل

نسبة التخفيض في سعر الأرضية محل إنجاز المشروع السكني الجماعي إلى 100%، كما لا ينبغي أن نعتبر أن التنازل يتم بشكل آلي بمجرد اختيار المرقي العقاري متى قدم ضمانات كافية لإنجاز المشروع العقاري في أحسن الظروف فيما يتعلق بالنوعية، الأجل ومواءمة قدرة المرقي العقاري مع حجم المشروع، بل هو حسب مستجدات القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011، المعدل والمتمم، تنازل معلق على شرط الإنجاز واثبات هذا الإنجاز يتم بتقديم المرقي العقاري المعني للمدير الولائي المكلف بالسكن ملف تنفيذ هذا المشروع، مصحوبا بالرأي التقني للمصالح الولائية المكلفة بالعمران، وكذلك تأشيرة هيئة المراقبة التقنية للبناء وذلك خلال أجل يتناسب وأهمية المشروع تحدده اللجنة التقنية، شريطة ألا يتجاوز مدة خمسة أشهر، أو اللجوء إلى الفسخ القضائي بعد اعذار المرقي العقاري في حال إخلاله بإلتزاماته، وحلول صندوق الضمان والكفالة المتبادلة في الترقية العقارية محل المرقي المخل بإلتزاماته طبقا لأحكام المرسوم التنفيذي رقم 181/14المحدد لشروط حلول صندوق الضمان والكفالة المتبادلة في الترقية العقارية محل مقتني الأملاك العقارية المغطاة بضمان الترقية العقارية، وهذه المسائل المتداركة من طرف المشرع الجزائري والمتعلقة بشرط الإنجاز واللجوء إلى الفسخ القضائي كانت قد شكلت ثغرات قانونية في إطار القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 05 أفريل 2003 الملغى بأحكام القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011، المعدل والمتمم، وبذلك فإنه من شأن هذه الآلية أن تساهم في تنوع العرض السكني المدعم من طرف الدولة، من حيث الكم والتحكم في سعر الوحدات السكنية، إضافة إلى ضمان تحقيق الإئتمان العقاري، لكون أن سند ملكية أرضية البناية ثابت وقانوني، محرر من طرف مصالح أملاك الدولة المختصة إقليميا بصفتها موثقة الدولة، ينتقل بموجبه حق ملكية الوعاء العقاري من الدولة إلى المرقي العقاري، فالملاك الشركاء في البنايات ذات الطابع الجماعي، عند تسديد السعر النهائي لثمن المساكن في عقود رسمية محررة من طرف السادة الموثقين وفق التشريع الساري، وهو ما يتوافق واشتراطات أحكام المادة 40 من القانون رقم 04/11 الذي يحدد القواعد التي تنظم نشاط الترقية العقارية، والتي تلزم المرقي العقاري بضرورة أن يكون اقتناء الأوعية العقارية غير المبنية والمخصصة للبناء موضوع عقد بيع، يتم اعداده قانونا في الشكل الرسمي، وطبقا للأحكام التشريعية السارية المفعول وكذلك أحكام القانون رقم 04/11 المحدد للقواعد التي تنظم نشاط الترقية العقارية، غير أن تطبيق هذه الآلية تعترضها عدة معوقات ينبغي تداركها ومن أهمها:

- تطبيق آلية التنازل في مجال نشاط الترقية العقارية المدعمة يصطدم بمشكل ندرة العقار المملوك ملكية خاصة للدولة في بعض الولايات الكرى من الوطن.

- البطء الشديد في توفير السندات المثبتة لملكية الدولة للعقارات الموجهة لنشاط الترقية العقارية على العموم بسبب عدم جرد الذمة العقارية للدولة بشكل تام.

- صعوبة تحديد الطبيعة القانونية للأراضي المستوعبة لمشاريع الترقية العقارية بسبب التأخر في إعداد المسح العام للأراضي وعدم تحيين سجلات أملاك الدولة نتيجة استمرار الاعتماد على المخططات التي أفرزها تطبيق قانون أعيان أملاك الدولة الصادر في 22 أفريل 1863 المتضمن تحديد ملكيات الأعراش الفردية والمشاعة في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي لها، والتي لم تعد تعكس الوضعية القانونية الحقيقية لهذه الأراضي. وبالتالي فإن عدم الانتهاء من عملية مسح الأراضي من شأنها التأثير سلبا على معدل تطبيق هذه الآلية.

- غالبية الأسعار المتعلقة بتقييم الأرضية المتنازل عنها لفائدة المرقي العقاري والتي تأخذ بها إدارة أملاك الدولة بعيدة عن الواقع، فهي أسعار تم وصفها بأنها أسعار إدارية، بالإضافة إلى نقص التكوين والتأهيل لدى الأعوان المكلفين بإجراء التقييم العقاري، مما يجعلهم يعتمدون تلقائيا على المعاملات والنسب الواردة كأمثلة في ملحقات التعليمات التوضيحية الصادرة عن المديرية العامة للأملاك الوطنية، وهو ما يترتب عنه تقديم نتائج غير واقعية.

قائمة المراجع

- الكتب باللغة العربية

01- السنهوري ، عبد الرزاق أحمد ، 1998 ، الوسيط في شرح القانون المدني"حق الملكية" ، منشورات الحلبي الحقوقية ، لبنان.

02- المغازي ، السيد علي ، 1949 ، ملكية طبقات المنازل في القانون الفرنسي وفي القانون المصري (الملغى والجديد)، دار الفكر العربي ، مصر.

03- الوكاري ، مُحَمَّد ، 2008 ، الملكية المشتركة للعقارات المبنية(دراسة مقارنة بين القانونين المغربي والفرنسي)، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، المغرب.

04- سلطاني ، عبد العظيم ، 2010 ، تسيير وإدارة الأملاك الوطنية في التشريع الجزائري ، دار الخلدونية ، الجزائر .

- المقالات العلمية

01- بخوش ، إلهام ، 2017 ،"المرقي العقاري في التشريع الجزائري" ، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية ، المجلد 02 ، العدد (08).

02- بن مُحَمَّد ، مُحَمَّد ، 2012 ،"دور إدارة أملاك الدولة في الترقية العقارية (قراءة في القرارات التنظيمية المستحدثة)" ، ضمن كتاب: المؤتمر الوطني حول الترقية العقارية"الواقع والآفاق" المنظم يومي 27 و28 فيفري 2012 بكلية الحقوق والعلوم السياسية ، جامعة قاصدي مرباح بورقلة.

03- بوستة ، إيمان ، 2013 ،"دعم الدولة غير المباشر لمشاريع الترقية العقارية ذات الطابع الاجتماعي" ، مجلة الحقوق والحريات ، المجلد 01 ، العدد(01) .

04- بوعتبة ، فوزية ، 2015 ،"الضوابط القانونية لممارسة مهنة المرقي العقاري الخاص في ظل التشريع الجزائري على ضوء أحدث التعديلات" ، مجلة المعيار في الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية والثقافية ، المجلد 06 ، العدد (02).

05- زايدي ، حميد ، 2016 ،"عقد البيع بالإيجار في القانون الجزائري (دراسة نقدية)" ، المجلة النقدية للقانون والعلوم السياسية ، المجلد 02 ، العدد (02).

06- زروق ، يوسف ، 2017 ،"الضمانات القانونية والاستثمارية لممارسة نشاط المرقي العقاري الخاص في الجزائر" ، مجلة الحقوق والعلوم السياسية ، المجلد 04 ، العدد (02).

07- سعيداني- لوناسي ، جججيقة ، 2012 ،"المركز القانوني للمرقي العقاري في القانون الجزائري 04/11". مداخلة ألقيت بمناسبة انعقاد الملتقى الوطني حول الترقية العقارية- الواقع والآفاق- يومي 27 و28 فيفري 2012 بكلية الحقوق والعلوم السياسية بجامعة قاصدي مرباح بورقلة.

08- طيب ، عائشة ، 2011 ،"صندوق الضمان والكفالة المتبادلة للترقية العقارية كضمان خاص في الترقية العقارية" ، المجلة الجزائرية للعلوم القانونية والاقتصادية والسياسية ، المجلد 48 ، العدد (04).

09- عمور ، مُحَمَّد ، 2017 ،"الإطار القانوني لمنح العقار الموجه لنشاط الترقية العقارية بالجزائر" ، مجلة البحوث العلمية في التشريعات البيئية المجلد 05 ، العدد (09).

09- مغداد ، خالد ، 2016 ،"التنازل عن الأملاك العقارية التابعة للدولة ذات الطابع السكني- التجاري- المهني والحرفي" ، مجلة تاريخ العلوم ، المجلد 03 ، العدد (05).

10- نقاز ، سيدأحمد ،"دور مشكل ونوعية السكن في ظهور السلوك الإجرامي" ، مداخلة ألقيت بمناسبة انعقاد الملتقى الوطني الأول حول "أزمة قطاع السكن في الدول العربية- واقع وأفاق-" يومي 23 و24 ماي 2012 بكلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير ، جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية ، (مداخلة غير منشورة).

- الرسائل الجامعية

- رسائل الماجستير

01- أومُحَمَّد ، حياة ، 2015/2014 ،"النظام القانوني للترقية العقارية في الجزائر" ، (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية الحقوق والعلوم السياسية ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، الجزائر.

02- بن عيسى ، مُحَمَّد ، 2017/2016 ،"المسؤولية الجزائية للمرقي العقاري" ، (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية الحقوق والعلوم السياسية ، جامعة عبد الحميد إبن باديس ، مستغانم ، الجزائر.

03- كتو ، لامية ، 2014/2013 ،"عقد البيع على التصاميم في إطار القانون رقم 04/11 المحدد لقواعد نشاط الترقية العقارية" ، (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية الحقوق والعلوم السياسية ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، الجزائر.

- أطروحات الدكتوراه

01- عياشي ، شعبان ، 2012/2011 ،"عقد بيع العقار بناءا على التصاميم (دراسة مقارنة بين القانون الجزائري والفرنسي)" ، (أطروحة دكتوراه دولة غير منشورة)، كلية الحقوق ، جامعة الإخوة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر.

02- نوي ، عقيلة ، 2018/2017 ،"التنظيم القانوني لمسؤولية المرقي العقاري في التشريع الجزائري" ، (أطروحة دكتوراه علوم غير منشورة)، كلية الحقوق ، جامعة أمُحَمَّد بوقرة ، بومرداس ، الجزائر.

03- مسكر ، سهام ، 2016/2015 ،"التزامات المرقي العقاري المترتبة على بيع السكنات الترقوية" ، (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، كلية الحقوق والعلوم الإدارية ، جامعة الإخوة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر.

04- موسى ، نسيمة ، 2015 ،"ضمانات تنفيذ عقد الترقية العقارية- عقد بيع العقار في طور الانجاز-" ، (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، كلية الحقوق ، جامعة الجزائر 1 ، الجزائر العاصمة ، الجزائر.

- المذكرات والتعليمات الإدارية

01- المذكرة رقم962 الصادرة عن المديرية العامة للأملاك الوطنية بتاريخ20 فيفري2001 والمتعلقة بالترقية العقارية ذات الطابع الاجتماعي فيما يخص التخفيضات المطبقة على سعر التنازل.

02- المذكرة رقم 4647 الصادرة عن المديرية العامة للأملاك الوطنية بتاريخ 12 ماي 2013 المتعلقة بالتنازل عن الأراضي التابعة للأملاك الخاصة للدولة الموجهة لإنجاز مشاريع الترقية العقارية ذات الطابع الإجتماعي والدفع بالتقسيط.

- النصوص القانونية

01- الأمر رقم 58/75 المؤرخ في 26 سبتمبر 1975 المتضمن القانون المدني، المعدل والمتمم، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد 78، المؤرخة في 30 سبتمبر 1975.

02- الأمر رقم 74/75 المؤرخ في 12 نوفمبر 1975 المتضمن اعداد مسح الأراضي العام وتأسيس السجل العقاري، المعدل والمتمم، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد 92، المؤرخة في18 نوفمبر 1975.

03- القانون رقم 25/90 المؤرخ في18 نوفمبر1990 المعدل والمتمم بالأمر رقم 26/95 المؤرخ في26 سبتمبر1995 المتضمن قانون التوجيه العقاري، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد 49، المؤرخة في 18 نوفمبر 1990.

04- القانون رقم 30/90 المؤرخ في 01 ديسمبر 1990 المتضمن قانون الأملاك الوطنية، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد 52، المؤرخة في 02 ديسمبر 1990.

05- القانون رقم 12/98 المؤرخ في 31 ديسمبر 1998 والمتضمن قانون المالية لسنة 1999، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد 98، المؤرخة في 31 ديسمبر 1998.

06- القانون رقم 21/04 المؤرخ في29 ديسمبر2004 والذي يتضمن قانون المالية لسنة 2005، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد 85، المؤرخة في 30 ديسمبر 2004.

07- القانون رقم 14/08 المؤرخ في 20 جويلية 2008 المعدل والمتمم للقانون رقم 30/90 المؤرخ في 01 ديسمبر 1990 المتضمن قانون الأملاك الوطنية، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد 44، المؤرخة في 03 أوت 2008.

08- القانون رقم 04/11 المؤرخ في 17 فيفري 2011 الذي يحدد القواعد التي تنظم نشاط الترقية العقارية، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد 14، المؤرخة في 06 مارس 2011.

09- القانون رقم 16/11 المؤرخ في 28 ديسمبر 2011 يتضمن قانون المالية لسنة 2012، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد 72، المؤرخة في 29 ديسمبر 2011.

10- القانون رقم 11/17 المؤرخ في27 ديسمبر 2017 يتضمن قانون المالية لسنة2017، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد 76، المؤرخة في 28ديسمبر 2017.

11- المرسوم التنفيذي رقم 148/91 المؤرخ في 12 ماي 1991 المتضمن احداث وكالة وطنية للسكن وتطويره، المعدل والمتمم بالمرسوم التنفيذي رقم 298/14 المؤرخ في 21 أكتوبر 2014، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد25، المؤرخة في 29 ماي1 199

12- المرسوم التنفيذي رقم 406/97 المؤرخ في03 نوفمبر1997 يتضمن احداث صندوق الضمان والكفالة المتبادلة في الترقية العقارية، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد 73، المؤرخة في 05نوفمبر 1997.

13- المرسوم التنفيذي رقم 242/99 المؤرخ في 31 أكتوبر 1999 المحدد لكيفيات تحويل لفائدة دواوين الترقية والتسيير العقاري الأراضي التابعة للدولة المستعملة قبل سنة 1990 وشروط إعادة بيعها لفائدة الشركاء في ملكية السكنات الاجتماعية، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد 76، المؤرخة في 31 أكتوبر 1999.

14- المرسوم التنفيذي رقم 105/01 المؤرخ في 23 أفريل 2001 الذي يحدد شروط شراء المساكن المنجزة بأموال عمومية في إطار البيع بالإيجار وكيفيات ذلك، المعدل والمتمم بموجب المرسوم التنفيذي رقم 35/03 المؤرخ في 13 جانفي 2003، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد 25، المؤرخة في 29 أفريل 2001.

15- المرسوم التنفيذي رقم 142/08 المؤرخ في 11 ماي 2008 الذي يحدد قواعد منح السكن العمومي الإيجاري، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد 24، المؤرخة في 11 ماي 2008.

16- المرسوم التنفيذي رقم 84/12 المؤرخ في20 فيفري2012 الذي يحدد كيفيات منح الاعتماد لممارسة مهنة المرقي العقاري وكذا كيفيات مسك الجدول الوطني للمرقين العقاريين، المعدل والمتمم، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد 11، المؤرخة في 26 فيفري 2012.

17- المرسوم التنفيذي رقم 85/12 المؤرخ في20 فيفري2012 المتضمن دفتر الشروط النموذجي الذي يحدد الالتزامات والمسؤوليات المهنية للمرقي العقاري، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد 11، المؤرخة في 26 فيفري 2012 .

18- المرسوم التنفيذي رقم 427/12 المؤرخ في 16 ديسمبر 2012، والذي يحدد شروط وكيفيات إدارة وتسيير الأملاك العمومية والخاصة التابعة للدولة، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد 69، المؤرخة في 19 ديسمبر 2012.

19- المرسوم التنفيذي رقم 96/13 المؤرخ في 26 فيفري 2013 المعدل والمتمم للمرسوم التنفيذي رقم 8/12 الذي يحدد كيفيات منح الاعتماد لممارسة مهنة المرقي العقاري وكذا كيفيات مسك الجدول الوطني للمرقين العقاريين، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد 13، المؤرخة في 06 مارس 2013.

20- المرسوم التنفيذي رقم 99/14 المؤرخ في 04 مارس 2014 الذي يحدد نموذج الملكية المشتركة المطبق في مجال الترقية العقارية، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد 14، المؤرخة في 16 مارس 2014.

21- المرسوم التنفيذي رقم 180/14 المؤرخ في 05 جوان 2014يعدل ويتمم المرسوم التنفيذي رقم 406/97 المتضمن إحداث صندوق الضمان والكفالة المتبادلة في الترقية العقارية، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، العدد 37، المؤرخة في 19 جوان 2014.

22- المرسوم التنفيذي رقم 181/14 مؤرخ في 05 جوان 2014 يحدد شروط حلول صندوق الضمان والكفالة المتبادلة في الترقية العقارية محل مقتني الأملاك العقارية المغطاة بضمان الترقية العقارية وكيفيات ذلك ، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية ، العدد 37، المؤرخة في 19 جوان 2014.

23- المرسوم التنفيذي رقم 203/14 المؤرخ في 15 جويلية 2014 الذي يحدد شروط وكيفيات شراء السكن الترقوي العمومي ، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية ، العدد 44، المؤرخة في 27 جويلية 2014.

24- المرسوم التنفيذي رقم 06/18 المؤرخ في 20 جانفي 2018 ، يعدل ويتمم المرسوم التنفيذي رقم 235/10 المؤرخ في 05 أكتوبر 2010 الذي يحدد مستويات المساعدة المباشرة الممنوحة من الدولة لاقتناء سكن جماعي أو بناء سكن ريفي أو سكن فردي منجز في شكل مجمع في مناطق محددة في الجنوب والهضاب العليا ومستويات دخل طالبي هذه السكنات وكذا كيفيات منح هذه المساعدة ، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية ، العدد 02 ، المؤرخة في 21 جانفي 2018.

25- المرسوم التنفيذي رقم 311/18 المؤرخ في 15 ديسمبر 2018 ، يعدل ويتمم المرسوم التنفيذي رقم 203/14 المؤرخ في 15 جويلية 2003 الذي يحدد شروط وكيفيات شراء السكن الترقوي العمومي. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية ، العدد 74، المؤرخة في 12 ديسمبر 2018.

26- المرسوم التنفيذي رقم 243/19 المؤرخ في 08 سبتمبر 2019 المعدل والمتمم للمرسوم التنفيذي رقم 84/12 المؤرخ في20 فيفري2012 المحدد لكيفيات منح الاعتماد لممارسة مهنة المرقي العقاري وكذا كيفيات مسك الجدول الوطني للمرقين العقاريين ، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية ، العدد 55، المؤرخة في 15 سبتمبر 2019.

27- التعليمة الوزارية المشتركة رقم 01 مؤرخة في 05 فيفري 2018 الصادرة عن وزارة الداخلية والجماعات المحلية والتهيئة العمرانية ووزارة السكن والعمران والمدينة المتعلقة بكيفيات تجسيد برنامج السكنات الترقوية المدعمة.

28- القرار المؤرخ في 30 جانفي 2018 والذي يحدد الخصائص التقنية المطبقة على إنجاز السكن الترقوي المدعم ، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية ، العدد 13 ، المؤرخة في 28 فيفري 2018.

29- القرار الوزاري مشترك المؤرخ في 14 ماي 2011 الذي يحدد شروط وكيفيات التنازل عن قطع أرضية تابعة للأملاك الخاصة للدولة وموجهة لإنشاء برامج السكنات المدعمة من طرف الدولة ، المعدل والمتمم ، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية ، العدد 51، المؤرخة في 14 سبتمبر 2011.

30- القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 06ديسمبر 2013المتعلق بإثبات الموارد الكافية لإكتساب صفة المرقي العقاري ، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية ،العدد 02 ، المؤرخة في 13 جانفي 2013.

31- القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 25 أوت 2015 المعدل والمتمم للقرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011 الذي يحدد شروط وكيفيات التنازل عن قطع أرضية تابعة للأملاك الخاصة للدولة والموجهة لإنشاء برامج السكنات المدعمة من طرف الدولة ، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، العدد 70، المؤرخة في29 ديسمبر 2015.

32- القرار الوزاري مشترك المؤرخ في 25 أفريل 2018 المعدل والمتمم للقرار الوزاري المشترك المؤرخ في 14 ماي 2011 المحدد لشروط وكيفيات التنازل عن قطع أرضية تابعة للأملاك الخاصة للدولة والموجهة لإنشاء برامج السكنات المدعمة من طرف الدولة ، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ،العدد58، المؤرخة في 03 أكتوبر 2018.

- الكتب باللغة الفرنسية

01- Malinvaud, Philippe, Jestaz, Philippe, 1995, Droit de la promotion immobilière, éditions DALLOZ, france.

تمظهر الآخر الذكوري في قصص غادة السمان

The Masculine Other in the Stories of Ghada al-Samman

تاريخ الإرسال: 06-10-2019 تاريخ القبول:29-12-2020

فاطمة قيدوش- المركز الجامعي عبدالحفيظ بو الصوف بميلة Fatima.guidouche@yahoo.fr

الملخص

شهدت الساحة الأدبية في فترة الستينيات ميلاد أقلام نسوية جديدة ، وحقق النص النسوّي قفزة نوعية ، وحمل معه قضايا المرأة وحقوقها في المساواة والاختلاف إلى الواجهة ، حيث جسّدت هذه المتون ذلك الصراع القائم بين الذكورة والأنوثة. تعتبر غادة السمان من الأديبات اللواتي حققن هذا التميّز حيث حملتنا نصوصها الإبداعية على نوع من التجديد على مستوى المضامين وكشفت عن صور التهميش والإقصاء المفروض على الأنثى ، وكشفت عن العلاقة الحقيقية للمرأة بالرجل كسلطة فوقية رادعة كما تصدت هذه الكتابات لهذا التهميش مع كسر هذه النمطية المفترضة وإعطاء صورة مغايرة عن المرأة في علاقتها بالآخر الذكوري ، من خلال طرح هذه الأسئلة : ما مفهوم الآخر ؟ ، كيف قدّمت لنا القاصّة الآخر الذكوري/الرجل/ العربي والغربي من وجهة نظر نسوية . ، لماذا يصبح الأب / آخر/ بالنسبة للأنا الأنثوي ؟ ، وكل ذلك يتم الإجابة عنه للوقوف على حقيقة الكتابة النسوية التي حملت صيغا جديدة ،وأحدثت طفرة في السرد العربي وأعطت للمرأة مساحة للبوح ، وأعطتنا بدورها نصوصا ذات جمالية فائقة عبرت من خلالها عن رؤيتها الصريحة فيما يخص بنات جنسها من قضايا تمس وضعهن في ظل احتكار ذكوري للسرد.

الكلمات المفاتيح: غادة ، الآخر الذكوري ، الرجل العربي ، الرجل الغربي ، القصة.

Résumé

La scène littéraire des années 1960 a vu naître de nouveaux stylos féministes et le texte féministe a fait un saut qualitatif, faisant ressortir les problèmes des femmes et leur droit à l'égalité et à la différence, car ce contenu incarnait le conflit entre masculinité et féminité. Ghada Al-Samman est l'un des écrivains qui ont obtenu cette distinction. Une image différente de la femme dans son rapport au masculin, En posant ces questions ? Quel est le concept de l'autre ? Comment l'histoire a-t-elle présenté l'autre homme / homme / arabe et occidental d'un point de vue féministe ? - Pourquoi devenir père / autre / pour le moi féminin ? Tout cela répond à la recherche de la vérité sur l'écriture féministe, qui comportait de nouvelles formules et apportait une percée dans le récit arabe et donnait aux femmes un espace de révélation, et nous donnait à son tour des textes d'esthétique supérieure à travers lesquels elle exprimait sa vision franche des questions qui concernaient leur sexe, des questions qui affectaient leur statut en tant que monopole masculin du récit

Mots-clés : Autre, masculin, ghada, homme arabe, homme occidental

Abstract

In the sixties, the literary scene witnessed the birth of new women writers. The women text achieved a qualitative leap, bringing to the front the issues of women and their rights of equality and difference, and embodied the existing conflict between masculinity and femininity. Ghada al-Samman is one of the female writers who achieved this distinction. Her creative texts brought a kind of innovation at the level of content and revealed the images of marginalization and exclusion imposed on the female. She also revealed the true relationship between women and men as a deterrent super power. These writings addressed this marginalization and tried to break this supposed stereotype, and give a different image of women in relation to the Masculine Other through asking these questions: What is the definition of the Other? How did the author present to us the Masculine Other: The Arab and occidental man from a feminine point of view? Why does the father become an Other in relation to the feminine I? All these questions will be answered in order to unveil the nature of women writing which carried new feature, and radically changed the Arabic narration. It equally gave the woman a new space for expression. Women literature granted us texts with high esthetic value through which they expressed their viewpoints concerning issues that touch their situation within an atmosphere of masculine domination.

Keywords: Other, masculine, Ghada, Arab man, Western man

مقدّمة

تُعتبر غادة السمان من الكاتبات العربيات اللاتي كسرن حاجز الصمت وكتبن متنا سرديا مغايرا، حمل مفاهيم جديدة عن المرأة وقضاياها، حيث خاضت هذه المتون في الممنوع والمسكوت عنه، وامتلكت سلطة تعريته زيادة على سعيها الجادّ في تغيير الصورة النمطية للمرأة في السرد الذكوري، وإعطاء صيغ واضحة لا تشوبها شائبة، وسعت في هذا السرد لتجسيد العلاقة المتوتّرة بين الأنا الأنثوي والآخر الذكوري.

خاضت غادة السمّان في مسألة الذكورة والأنوثة ، وتسجيل موقف من الآخر الذكوري لأن هذه " الموضوعات وغيرها شكّلت الصياغات المحورية والمفردات والتيمات الرئيسة داخل الكتابة النسوية، ممّا شكّل انتقاله نوعية من بند الكتابة التقليدية المتعايشة مع كتابة الرجل، إلى نمط جديد يبحث عن فرادته الإبداعية بعيدا عن منطق الاسترجال لغة وفكرا وإنتاجا أدبيا وبعيدا عن الاستبدادية الأنثوية التي اتّهمها بها البعض " (كاظم، 2013، صفحة 4) وهذا وفق" بنية لغوية مغايرة للآخر/ الذكر، كونها تبتغي كينونة خاصّة مبنية على خلفية واعية مسؤولة لإعطاء الكتابة النسوية معناها الإنساني المنفتح على قضايا الحياة المختلفة مقابل الحرص الثقافي الجمعي على احتواء هذه الكتابة" (كاظم، 2013، صفحة 7).

من خلا ل القراءة المتأنية لقصص الكاتبة تم الوقوف على ثنائيات مختلفة، من مثل الأنا والآخر هذه الأخيرة التي تجلت بوضوح في هذه المتون وكشفت عن صراع أزلي بين الذكورة والأنوثة، في محاولة كل طرف شد حبل القوة ناحيته والانتصار لمفاهيمه، وهذا ما نخلص إليه من خلال تحليل بعض القصص للوقوف على تمثلّات الآخر الذكوري ؛ الرجل العربي، والرجل الغربي، وكذا الأب حيث كانت السلطة الأبوية في أغلب الحالات حاجزا ومانعا لرغبات الذات.

1- مفهوم الآخر

يُعدّ مفهوم الآخر من أكثر المفاهيم استعصاء على البحث منذ الفكر اليوناني إلى اليوم وقد تباينت الرؤى حول هذا المصطلح، لتفرز دلالات مختلفة ومتعددة تقارب بعضها أحيانا، واختلف هذا المفهوم حسب الحقول المعرفية التي تداولته.

بدأت نواة التأسيس لهذا الفكر بطريقة فلسفية مع أرسطو الذي يرى أن الشيء إمّا أن يكون "هوهو وإما أن يكون مخالفا لذلك فهو بالنسبة إلى كينونته هوهو وبالقياس إلى الغير مخالف له" (شحاتة، 2008، صفحة 18)وهذه الرؤية تؤكد أن الذات هي ذات بالنسبة لنفسها في حين تكون آخر بالنسبة للطرف المغاير والمخالف لها .

أمّا من الناحية الوجودية يرى جون بول سارتر Jean paulsartre الآخر عامل فعّال في تكوين الذات إذ " يرى أن وعي الذات الوجودي يكون بناء على الطرف الآخر، بل ينطوي على عداء يدمّر إنسانيتين لأنّه يربط الكينونة بطريقة جبرية وغير مستقلّة بين لحظتي "ما كان وما سيأتي" فهذا الوضع يجعل الكينونة تصرّف بطريقة مخجلة بسبب الآخر الذي يمنع حرية الاختيار، لذلك اختتم سارتر مسرحيته "لا مخرجَ" بمقولته المشهورة الآخرون هم الجحيم " (الرويلي و البازعي، 2002، صفحة 22).فالذات لا تدرك وجودها إلاّ بفعل الآخر وتأثيره السلبي الذي يكون فعلا حاسما في الممارسة التعسفية لنفي الذات ومصادرة الحرية ويكون بذلك هو الجحيم في ممارساته .

أما الآخر عند ميشال فوكو Michel Foucaultهو: "الا مفكّر فيه في الفكر نفسه، أو هو الهامشي الذي استبعده المركز، أو الماضي الذي يقصيه الحاضر، لكنّه أيضا جوهري بالنسبة لكينونة الخطاب الذي يستبعده، فنحن لا نعرف الحاضر دون الماضي ولا نعرف الذات دون الآخر" (الرويلي والبازعي، 2002، صفحة 22). فيصبح حسب مفهوم فوكو ذلك المهمش الذي يستبعده المركز من تفكيره أو الماضي الذي يبعده ويزيحه الحاضر ومع ذلك يبقى هذا الآخر ذلك الأساس الذي يسهم في تشكيل الذات.

ويرى جاك لاكان Jacques Lacan" أن المرء لا يتشكّل كفرد دون علاقة تربطه بالآخر، فالطفل حين يرى صورا في المرآة فإنه لا يزال يستبدل صورة الآخر بنوع من الأنا ولكنّه تدريجيا يدرك أن الصورة خارجية بالنسبة للذات... وتتحول الصورة إلى علاقة للأنا وهذه مرحلة نظام الرمز، فيتعدد معنى الآخر عنده ، فقد يدخل طرفا في

علاقة مع الذات ، و يُعدّ المصطلح أداة للربط بين العالم الداخلي للشخص وعالمه مع الآخرين " (مُحَمَّد ، 2012، صفحة 4).فمن وجهة نظر نفسية يرى لاكان أن المرء لا يحقق وجوده دون علاقة كافية مع الآخر تمكّنه من بناء ذات ، وهذا ما يتضح من خلا ل رؤية الأنا للآخر في أناها ، في مرحلة المرآة لكن سرعان ما تتضح الرؤية وتتبلور الفكرة في كون الذات منفصلة عن الآخر وتتعدد الرؤى حول تعدد الآخر الذي يكون طرفا في العلاقة بين عالمه الداخلي والمحيط .

مما سبق نصل إلى أنّ مفهوم الآخر يتحدد حسب الذات مما يجعله مختلفا عنها وهو الغير سواء كان الخصم الذي اصطدم مع الذات وكان معاديا لها ومتمردا عليها أو كان صديقا تعاطف معها وانجذب نحوها " فالفرد يمكن أن يكون آخر حتى بالنسبة إلى نفسه قبل مدة قصيرة ، ويمكن أن يتحوّل إلى آخر بعد مدة قصيرة أيضا وكل شخص هو آخر بالنسبة لأي شخص على وجه الأرض" (سرحان ، 2015، صفحة 244)، إنه المختلف في الجنس والانتماء الفكري والديني والثقافي.

إن قضية "الآخر "قضية محورية في الدراسات الأدبية والنقدية العربية ،ولها في السرد العربي مساحة كبيرة في كيفية تمثُّل الذات للآخر لأن "الأدب هو تعبير عن المشاعر والأفكار والآراء الإنسانية ، وكل ذلك حصيلة لتفاعل الأديب في مجتمعه من خلال مواقفه وعلاقاته ومن خلال أدبه ، حين يعكس فهمه للمجتمع أو رفضه له ، فالأديب يتخذ لنفسه دائما موقفا فكريّا من مجتمعه" (اسماعيل ، 1976 ، صفحة 42)

فهذا الأديب يمتلك تجاربه الخاصة التي بلورت شخصيته وكانت المنبع الذي يغرف منه أفكاره ويشكّل إبداعاته وهو في الحقيقة إنّما يعبّر عن نفسه وما يعتريه من أحاسيس ، لأنّ الفنّ فيض تلقائي من ذاته والتي هي في الأصل حصيلة تفاعل مستمر بين الذات وذوات الآخرين.

ظهرت كتابات غادة السمّان في فترة شهدت انفتاحا على الثقافة الغربية ، والحركات التحررية النسوية والتي ألقت بظلالها على قضايا المرأة العربية وغاصت فيما تعانيه من القهر والتسلّط من قبل الأسرة وكذلك المجتمع بعاداته وتقاليده المكبلة للحرية ، ومن حضن ذلك ولدت هذه الكتابة معبّرة عن الهمّ النسوي في محاولة لكشف المستور وتعرية الممارسات الذكورية وتهميشها للمرأة ، وهذا ما يظهر في المجموعات القصصية من صور متعددة للآخر الذكوري بصورتيه الغربي والعربي ، ضمن صراع الأنوثة والذكورة من زاوية نظر نسوية .ف" في تاريخ الفكر ، كما في العلوم الإنسانية ، احتلت موضوعات الآخر وما تزال مكانة بارزة نظرا لارتباطها الجدلي بموضوعات أساسية ملازمة : الأنا / الذات - الهوية ... فيصير الآخر بالمفرد والجمع الذي نعيش معه تجارب كالقرابة والصداقة والجوار ، أو كالمنافسة والخصومة والعداء ... و هذه التجارب وسواها تحدد بتنوعّها واختلافها طبيعة العلاقات ودرجتها إمّا على صعيد الوعي أو في حقل السلوك والفعل " (حميش ، 2003 ، صفحة 5) ،فهذه الثنائيات تعطي صورة واضحة عن الصراع الأبدي القائم على مبدأ الاختلاف.

تُبدي الذات موقفها من الآخر الرجل الغربي في مراحل اكتشاف الآخر وثقافته ؛" مرحلة التطلّع والانبهار ، مرحلة التودّد والتقرّب ، مرحلة المواجهة والصدام ، مرحلة رفض الآخر والعودة للوطن "(سرحان ، 2015، صفحة 239)ما أن هذا الصراع لم يقتصر على مواجهة الآخر الغربي فقط "وإنّما ظهرت في النصّ مواجهة حضارية بين الذات والآخر الشرقي ، الذي هو جزء منها ومن مجتمعها الذي تنتمي إليه ، ولكنْ بينهما اختلافات عديدة في الفكر والثقافة ؛ مما جعلهما في صدام ومواجهة ، وتمظهرت مراحل صراع الذات مع الآخر الشرقي في: مرحلة قلق وتوجّس ، مرحلة تمرّد الذات على الآخر الشرقي ، مرحلة خضوع واستسلام الآخر الشرقي للذات" (سرحان ، 2015، صفحة 239). فهذه تمثيلات الآخر الذكوري وصراع الذات معه في صوره المختلفة ، الذكوري (الرجل/العربي والغربي ، والأب) والتي كشفت عما يخفيه الآخر من سلوك وممارسات.

2- الآخر الذكوري

2-1 -الرجل العربي

تنظر الأنا الغربية إلى الآخر العربي بعين عدائية فيها صداما ثقافيا بين حضارتين مختلفتين عن بعضهما البعض ، ويتجلّى ذلك في قصة " سجل أنا لست عربية"

التي حملت في متنها رغبة الأنا الغربي في كشف عيوب هذا العربي القادم إلى مدينة باريس بكل عقده.

تبدأ علاقة الأنا الأنثوي الغربي بالآخر العربي علاقة حميمية في البداية ،حينما يتطلع كل طرف إلى مغريات الآخر وتنتهي بالزواج لتكتشف بعدها هذه الشخصية مساوئ وانتهازية الآخر " إنه متناقض ، متسلط ... لقد تحول هذا الزواج إلى إهانات وإذلال وضرب يومي لي وإرغامي على العمل في بيوت أكبر عدد من الناس لأعود إليه وهو يحشش ويذلّني وينشد: سجل أنا عربي " (السمان ، 1994 ، صفحة 72)

ففي العرف الاجتماعي العربي الإسلامي يقوم الزواج على بناء أسرة متماسكة هدفها الحفاظ على النسل وعمادها الألفة والرحمة ، غير أن هذه العلاقة السامية في الأصل بُنيت على المصلحة الذاتية الضيقة جدا فظهر صدام كشف عن طبيعة و صفات العربي وتصرّفاته السيئة التي تلقّاها من الموروث ، حيث وظف سلطته الذكورية لقمع المرأة وتحقيرها وتهميشها لأجل أغراضه الشخصية الدنيئة ، ويضمر هذا الخطاب استهزاء من هذه الشخصية التي تتغنى بقصيدة محمود درويش "سجل أنا عربي" ، التي توحي بذلك العربي الذي يحمل كل صفات الرجولة والعزة والقوامة التي تُحمّله مسؤولية حماية المرأة وصون عفتها داخل البيت ، ويكون قائما على كلّ متطلباتها.

لقد تملصت الشخصية الذكورية من التكليف وأصبحت مجرد عالة على الأنثى وعلى المجتمع ، فهو سلبيّ متناقض يدعي الرجولة ويمارس عكسها ويحاول أن يظهر فحولته بممارسة سلطته ، " إنه يستولي على راتبي ، لكنّه يتقدمني بخطوة حين نمشي معا! يشتمني لأنني فرنسية ويقتل نفسه للبقاء هنا " (السمان ، 1994 ، الصفحات 71-72).

يعكس هذا المقطع الاستلاب التي تتعرض له المرأة والظلم حينما يتم الاستيلاء على راتبها وفوق ذلك يُهينها لأنها فرنسية في الوقت الذي سعى واجتهد للظفر بها ، وظل يعيش في بيتها ويدعي القوامة حينما يتقدمها في المشي ، وتقدم لنا الكاتبة إشكالية المفهوم الخاطئ للقوامة الذي يستند عليه الرجل حين يتقدمها أثناء المشي معا آخذا بالقشور من معنى القوامة ، لا بالمضمون فلا ينفق عليها ولا يتولى شؤونها ، بل يأخذ راتبها ويصرفه في ملذاته ، وهذا ما يبين ازدواجية وتصرف العربي حينما لا يعمل بما جاء به هذا المفهوم ويقوم بشتم هذه المرأة.

ويظهر العنف والانتقام من أجل تحقيق هذا المسعى حين تقول " قالت لي بالفرنسية: إنّني حامل. الصافي يضربني... رفضوا إعطاءه إذنا بالإقامة لأكثر من عام لأنّ الكثيرين من العرب يتزوجون من فرنسيات بهدف الإقامة لا أكثر. ما زال بلا عمل يقضي وقته في إنفاق راتبي ... يضربني ثم يثمل ويغني سجل أنا عربي " (السمان ، 1994 ، صفحة 71)

كل ذلك يكشف عن غاية العربي ، فهو يرفض الآخر ويرفض حضارته ، ومع ذلك يسعى جاهدا للإقامة عنده بهدف تحسين مستوى المعيشة وليس بناء أسرة متكاملة متكافئة يحترم فيها هذا العربي زوجته ، وخاصة حين تمر بظروف صحية من الواجب يكون فيها أقرب إليها من حبل الوريد ، وليس تعنيفها وظلمها " مزّق لي بطاقتي الشخصيّة الفرنسية وصوري وكسّر التلفزيون والأثاث وخلّف الأذى ... عقابا لي لأنّني شكوت إلى البوليس ضربه لي ولجأت إلى القانون الفرنسي وطلبت إخراجه منها ، فإيجارها باسمي وأنا هنا مواطنة لي حقوق كأيّ ذكر مثله" (السمان ، 1994 ، صفحة 76).

يمارس الذكر سلطته ويحاول إثبات وجوده ، وحينما يفشل في تطبيق أعرافه وتقاليده في مجتمع يختلف عن مجتمعه في التقاليد والدين والقانون الوضعي يقوم بتعنيف الطرف الآخر ، وهذا ما يظهر غضبه من هذه المرأة التي أهانت فحولته وطردته من البيت ، بينما يكون له حق فعل ذلك في مجتمعه ، وكل ذلك يضمر همجيته عند فشله في بلد يساوي بين الأنثى والذكر في الحقوق والواجبات معتمدا على قناعاته الخاطئة وترفض الأنا الغربية الآخر العربي الجائر الذي تحميه قوانينه وتزكي تصرفاته " جاء ذات يوم بغانية إلى شقتي وقال أنّه يريد الزواج منها وسيرغمني على الإقامة معها وهذا حقه ، وإنّي سأكون واحدة من أربع نساء . اتصلت ليلتها بالبوليس فجاء وطردهما بوليس بلده لن يفعل الشيء ذاته لو كنّا هناك وأنا لا أستطيع أن أقبل ذلك الإذلال ولست مضطرة فلي عملي وثمة قوانين عصرية هنا تحميني ولن أدخل

متاهات قوانين غابرة لا أفهم فيها ولن أدع أحدا يدمّر حياتي بعد الآن ... سجلي! أنا لست عربية !" (السمان ، 1994 ، صفحة 79)

يمثل الآخر للأنا الغربية كل القسوة والهمجية لما تمليه عليه سلطته المستمدة من قوانين العرف وبالمقابل أذلته لأنّ القانون الفرنسي يحميها ، زيادة على أن عملها يمنحها التحرر فهي ليست بحاجة إليه لأنها تملك موردا ماليا يضمن لها حياة كريمة ، فالتحرر الاقتصادي من قبضة الرجل يُمكّن المرأة من إبداء رأيها زيادة على ممارسة حريتها ورفضت فوق ذلك الانتماء إليه من خلا ل التأكيد بعبارة "سجل أنا لست عربية "، نتيجة اختلاف التركيبة الاجتماعية والأخلاقية والثقافية لكل منهما.

ونتيجة العنف الشديد الممارس ضدّ هذه المرأة يتحوّل في نظرها الآخر الذكوري إلى شبح قاهر مخيف يترصّد خطاها ويتصيّدها " تقول وهي ترتجف: الشبح موجود في بيتي الآن (إذن فهي تُحسّ بكهارب حضوره بسيّالاته النفسية المتدفقة كالشلّالات حتى هنا)" (السمان ، 1994 ، صفحة 72) فالرجل بعنفه يدمّر الأنا ويخلف فيها آثارا جسدية ثُمّ نفسية حينما تتخيّله في كلّ الأمكنة رغم بعد المسافات ويصبح شبحا يهلك حضورها أينما كانت ويطاردها أينما حلت مما يظهر عنفه الزائد .

تكشف الكاتبة في هذه القصة عن الوجه السلبي للرجل العربي مع أناه الغربية والتناقض بينهما إلى حدّ استحالة العيش معا كما تجد له تبريرا أخر حين تقول " بعض الرجال ما زالوا يضربون نساءهم في كلّ مكان وإنّ ذلك لا يقتصر على الرجال العرب " (السمان ، 1994 ، صفحة 73) ومن زاوية نظر نسوية ترى الكاتبة أن الرجل يحمل في جيناته رغبة قهر المرأة واضطهادها في كل الحضارات الإنسانية ولا يقتصر أمره على العربي الذي ظهر بهذه الصورة النمطية .

وتختلف نظرة الأنا الغربية للآخر العربي في قصّة "الساعتان والغراب" حيث نجد هذه الذات تتعلّق بالآخر وتتعلق بشخصيته وتبحث فيها عن كل الإيجابيات التي تجعلها تتمسك بها من خلا ل البطلة "أيدا " التي عاشت في الغرب منذ ولادتها وتطبعت بطباعه وغرفت من ثقافته "كنت أجد صعوبة في الرد بالعربية ، لكنّني كنت أفهم كلّ حرف ، وكنت أستمتع بسماع كلماته مثلما يحسّ سجين في المنفى حينما يسمع أغنية كانت أمّه تنشدها له في طفولته لينام ، يغنّيها سجين آخر عبر الجدران الحجرية للسجن" (السمان ، رحيل المرافئ القديمة ، 1973 ، صفحة 72).

فهذه الذات عندها قابلية التعايش مع الآخر وتقبله والسعي للذوبان في ثقافته ، فهي تظهر رغبتها من خلا ل اعتبارها ذلك الرباط الروحي الذي يشدها إلى أرضها ويفكها من أسر الاغتراب وتصبح تابعة للآخر لا تستطيع الخلاص منه ، بل ترى فيه المنجد لها والطفل الذي يظل ضعيفا متعلقا بأمه وذكرياته الطفولية ، وهذا يضمر ضعف الغرب أمام سحر الشرق حينما يكتشفه كانت رائحة زهر " الكادي" التي قطفها لي تفوح من صدري حيث دفنتها... كنت أتأمل أصابعه وهي تقطف الأزهار في الظلام وأكاد لا أصدّق.. هذه الأصابع التي طالما توتّرت على زناد بنادق ورشّاشات وشدّت عليها لتطلق النار. وهذه الأصابع التي طالما التفّت حول مقبض خنجر في الظلام تحفّز صاحبها للقفز كفهد ، ها هو الآن أمامي بالأصابع نفسها يقطف أزهار الليل والحبّ وكأنّه مخلوق أثيري من مسرحية (حلم ليلة صيف لشكسبير)" (السمان ، رحيل المرافئ القديمة ، 1973 ، صفحة 126)

هذه الذات ورغم اختلاف الهوية والعادات والتقاليد ، إلا أنّها تتجاوب مع الآخر بهدف بناء تواصل حضاري بينهما ، وهناك رغبة قوية للحفاظ عليه ثم ترسم البطلة للآخر العربي "فضل صورة نضالية راقية لبطولاته ضد المستعمر فيقدّر الأنثى ويحرّرها من قيد الحضارة الغربية "كم بكيت في الليل حينما كان يعيدني إلى فندقي. ثمّ يتلاشى في الظلمة مثل نقطة مضيئة تبتعد ويخلّفني وراءه مثل شيء ، مثل شجرة ، مثل المقاعد الحجرية" (السمان ، رحيل المرافئ القديمة ، 1973 ، صفحة 129).

كشفت هذه العلاقة عن ذلك الاختلاف بين الرجل العربي ومثيله الغربي حين يصبح الآخر سبب وجود الأنا ، فهو من يجعلها تحسّ بوجودها ، وأنها إنسان لها كيّان ، وقد تتحول عند فقدانه إلى مجرد شيء من الأشياء ، تعبيرا عن تشيئ المرأة في الغرب.

وتتعلق أكثر بالآخر العربي وتُعجب بأفكاره التحرّرية والعملية ، في حين يرفض هو أفكارها النظرية "

إنّك تتحدّثين من الخارج، مثل أيّ خبير أجنبي أو مستشرق. إنّك لا تعرفين كم نعاني، وطريقنا طويلة ومشكلاتنا لا تُحلّ بالفذلكات اللفظية" (السمان، رحيل المرافئ القديمة ، 1973، صفحة 137)

كما يُبطن الخطاب تلك الانتقادات التي وُجهت للنظرية النقدية النسوّية التي تعتمد على التنظير وبعيدة عن التطبيق الفعلي في صياغة نظرية نسوية موحدة تجمع حولها كل الآراء النسوية لتقوم على أساس الفعل لحل مشاكل المرأة.

وفي قصة "يا دمشق" من مجموعة "ليل الغرباء تظهر الكاتبة نظرة الأنا الغربية للعربي من خلا ل الحوار الموالي من : (السمان، ليل الغرباء، 1966، صفحة 76)

- وهل اسمها يشبه اسمي أيضا؟
- أجل اسمها سوسن يا سوزان!
- طباعها شخصيتها، أفكارها، هل تشبهني أيضا؟
- أجل لها عنادك واعتدادك وطموحك وقوة شخصيّتك أي جميع الصفات التي أحبّها فيك
- وهل ستتزوج منها حينما تعود؟
- طبعا لا
- لماذا؟
- لأنّ لها نفس الصفات!
- أيها الشرقي المتناقض..

تجر هذه الأنثى الرجل العربي من خلال الأسئلة للكشف عن أغواره، وتقف على سلبياته في عمليّة المقارنة بينها وبين الآخر الأنثوي العربي، لتقف على حقيقته فهو يؤمن بشيء ويكفر بآخر ففي الوقت الذّي يؤمن بالحرية والتحرر وإقامة علاقة معها، يرفض ذلك إذا تعلّق الأمر بالطرف الآخر العربي راضخا في ذلك للموروث الثقافي والاجتماعي الذّي تشبع به، والذي يرفض هذا التحرر وينظر لهذه المرأة التي تخلت عن أنوثتها واسترجلت فالرجل العربي يبحث دائما عن المرأة المطيعة التي تخضع لكل القرارات ولا تبدي نقاشا لأن ذلك يثير حافظته

2- 2 -الرجل الغربي

تكتشف الذات حقيقة الآخر بمجرد اكتشافها لذاتها والوقوف على هويتها وهذا ما نقراه في قصة الساعتان والغراب" عامان بعد الجامعة وكل لحظة نعيشها معا ... نخطّط فيها ليوم زفافنا الذّي كان من المفروض أن يتمّ اليوم... واليوم، إذ أفكر بك، أحسّ أن قلبي يستحيل ثلوجا كتلك المكعّبات التي اشتريناها.. اليوم.. بيني وبينك قارّات وبحار ومئات الأميال" (السمان، رحيل المرافئ القديمة ، 1973، صفحة 155)

تعيش هذه الشخصية في توافق فكري واجتماعي مع الآخر المماثل الطباع وفي حرية تامة في المجتمع الغربي فتقيم علاقة مع الطرف الآخر وتلازمه، وتخطط للزواج به، غير أن ذلك يتحول مع الوقت ويصبح حدوثه من المستحيلات، وترفض الآخر الغربي حينما تقف على هويتها المختلفة عنه ويكشف الخطاب عن حرية العلاقات الجنسية قبل الزواج والإباحية في المجتمع الغربي القائم على الحرية الفردية وهذا يبين الاختلاف الحضاري بينهما.

كما تسعى هذه الذات إلى تهميش الآخر الذكوري الغربي وإلغائه " كأنّني أرى صورة رجل لا أعرفه. لا أكرهه ولا أحبّه ولا دخل لي به. ولا أدري من الذّي دسّ بصورته تحت وسادتي (السمان، رحيل المرافئ القديمة ، 1973، صفحة 155).

تسعى هنا المرأة للتخلّص من الرجل حين اكتشاف أصلها وهويتها العربية، ومعها تهمّش حضارة غربية بأكملها، برغم مغرياتها وجمالها، وهذا ما تجلى من خلال جمال هذه الشخصية الذي كان سببا مباشرا للتأثير عليها " عيناه واسعتان خضراوان. الشعر كستنائي ومضيء والابتسامة حارة على شفتين" (السمان، رحيل المرافئ القديمة ، 1973، صفحة 116). تعلي من قيمة وجمال الآخر وما يملكه من إغراء وتعلي معه قيمة الغرب ومغرياته التي تضعف الأنثى، لكنّها بالمقابل تضمر قوة المرأة وقدرتها على السيطرة على ذاتها أمام الرجل الغربي ومغرياته." وكنت أحسّ بالخيبة.. فأنت كإسباني الأصل في دمك بعض من دمي.. وهكّذا خيّل إليّ في البداية.. ومن المفروض أن تفهم بعضا من جنوني " (السمان، رحيل المرافئ القديمة ، 1973، صفحة 119) تحس هذه الأنا بالقرب من الآخر الغربي ذو الأصول الاسبانية وما لها من امتداد تاريخي ضارب في عمق الحضارة العربية إلا أن ذلك لم يشفع له في فهمها والوقوف على لحظات جنون الفكر

لديها أو ما يعتريها من تصرفات تنبئ بأنها عربية الأصل فيها ما ورثته فطريا من حضارتها .

وتكشف عن طباع كل الذين كانت لها بهم علاقة خاصة "وميشيل الفرنسي زميلنا في الجامعة كان يتقن التقبيل أكثر منك وتنميق الألفاظ والتحليلات النفسية الفرويدية" (السمان ، رحيل المرافئ القديمة ، 1973 ، صفحة 28)تظهر الكاتبة ميزات هذا الفرنسي وتكشف عن ثقافته من خلال طبيعته الرومانسية ولباقته وحسن تعامله فهو من شعب متحضر السلوك رومانسي العلاقات و" ريتشارد الإنجليزي كان أفضل منك في لفّ سجائر" الماريوانا" وصنع مخدر أل. أس.دي" (السمان ، رحيل المرافئ القديمة ، 1973 ، صفحة 28) والانجليزي الذي يملك القدرة على لفّ السجائر المخدرة " وولفايك الألماني كان حصانا في مرج المتعة لا مثيل لأصالته ووحشية ركضه " (السمان ، رحيل المرافئ القديمة ، 1973 ، صفحة 28).وتظهر قدرة الألماني في الجنس وكل هذه الأمثلة الذكورية إنما تخفي خلفها حرية العلاقات في مجتمع يغرق في براثن الفساد و المخدرات والجنس والحريات الفردية ،والمرأة تملك الحرية في تعدد العلاقات في الغرب

ثم يأتي الآخر الغربي في مجموعة لا بحر في بيروت حاملا أفكارا مسبقة عن المرأة العربية وذلك لما أسست له الثقافة الغربية من خلال المستشرقين الذين أعطوا صورة خاطئة عن هذه المجتمعات وعن المرأة خصوصا " أنت جارية ساحرة أنت عاهرة تاريخية " (السمان ، لا بحر في بيروت ، 1963 ، صفحة 14).

فهذه الصورة الحريمية للمرأة في الفكر الغربي كما رسمها المستشرقون تظهرها كائنا ساحرا أو جسدا شهوانيا مثيرا للعواطف " ، فبمجرد ذكر الشرق أمام الغربيين يتبادر إلى أذهانهم أنّه مرتع الشهوات والملذّات ، وبمجرد لفظ كلمة 'حريم' ، يتبادر إلى أذهانهم ذلك المخلوق الخامل العاجز ، القابع خارج دائرة عجلة التاريخ فالمرأة في التراث الغربي لا يصلح لحالها الخروج عن المألوف بمحاولة في مساهمة علمية ، أو سيّاسية أو اقتصادية في مجتمعها ، بل يلزمها أن تمتثل للحدود التي رُسمت لها (لعرافة ، 2018 ، صفحة 113)فهي مجرد أنثى ومرتع للذة وهذا ما يظهره الحوار الآتي: (السمان ، لا بحر في بيروت ، 1963 ، صفحة 15)

- يقول بالفرنسية أحبّ رأسك الجميل..

- أقول بالعربية رأسي ليس مجرد ديكور صحراوي محرض للغرائز...لو عرفت ما يدور فيه لهربت مني ...

- يقول بالفرنسية أحبّ نساء ألف ليلة وليلة اللواتي خلقنا للحب مثلك! زوجتي بباريس مديرة شركة تعمل وتفكّر. كم أكره ذلك.

- أقول بالعربية أكثر البورجوازيين يكرهون ذلك ، إنّه ضدّ نظامهم القائم.

- يقول بالفرنسية أنا أحبّ أن تظلّ الأنثى أنثى..

.....

يقول بالفرنسية أيتها الجارية كم ثمنك ؟

أقول بالعربية أيها الرجل ، لو أعجبتني لسألتك كم ثمنك ؟

يطرح هذا الحوار جدلية الأنا والآخر المحافظ على الهوية من خلال إصرار البطلة والرد باللغة العربية ، فهي المرأة العربية التي رسمها الغرب في مخياله أنثى الحلم والخيال والجنس ، امرأة ألف ليلة وليلة تصبح فيه مجرد جسد لا يفكر ، في حين تبدي المرأة الغربية العقل المفكّر الذي يجد الحلول للمشاكل ،وتُعلي الكاتبة من قيمة المرأة العربية حين تكسر نمطيتها في الفكر الغربي ، فبإمكانها أيضا تحقيق ذاتها دون أن تتخلى عن أنوثتها فالجانب العقلي والجسدي لا ينفصلان عن بعض وهذا ما تراه النسوية في أن المرأة كائن بشري وإنساني تتساوى فيه مع الرجل في الحقوق والواجبات .كما يخفي الخطاب ذلك التصريح والمجادلة بين المرأة الحرة العاملة والرجل البورجوازي ، ذلك الصراع القوّي بين الاشتراكية التي منحت الإنسان إمكانية التواجد واثبات الذات من منطلق الحقوق والواجبات وبين الرأسمالية التي تسعى إلى تشيئ الإنسان وتحويله إلى آلة في الغرب ، ومن جانب آخر نسوي تكشف المساواة بين المرأة و الرجل.

3 --الآخر الأب

يمتلك الأب التفويض الكلي ، ويصبح الطرف الفاعل في ذلك ، مستمدا قوته وهيمنته من العرف

الاجتماعي والتقاليد التي تقر هذه الثوابت وتزكيها. وتتجلى السلطة الأبوية في قصة "رجل في الزقاق " من مجموعة " رحيل المرافئ القديمة" من خلال البطلة التي تعيش في البداية حالة اتصال مع الآخر – الأب- الذي يظهر بقيمة إيجابية وهذا في قول الشخصية : " ظلّ أبي الرجل الأول حتى كدت أبلغ الرابعة عشر... ظلّ ينتزعني من مساكب الشمس في أرصفة زقاقنا ويحملني بين ذراعيه الحانيتين مدللا حتى صبيحة ذلك اليوم المشئوم " (السمان ، رحيل المرافئ القديمة ، 1973، صفحة 90).

تعيش الذات الأنثوية حالة من الحصار والكبت والمراقبة الدائمة وهذا ما يتضح من قول الشخصية "الرجل الأول " دلالة على أن القانون والعرف لا يترك المرأة بمفردها ويجب أن يكون حام لها ؛ لأنها في نظرهم قاصر يجب توفير الحماية لها على مدى مراحل تكوينها ويكون بمثابة الرقيب لها حيث "تخضع البنت منذ الصغر لرقابة مسلكية وأخلاقية صارمة ،فصوتها يجب أن يكون خافتا وضحكتها منخفضة ، وحركتها هادئة ،ومشيتها متزنة ،ونظرتها منكسة ،ولباسها محتشما" (السيوف ، 2002، صفحة 13).

تظهر العلاقة الطيبة المبنية على الألفة والحنان مع الآخر الأب في مرحلة الطفولة ، بحكم أن البنت تميل إلى الأب كما يري سيغموند فرويد بأنّ الأنا الأنثوي يميل إلى الآخر الذكوري غير أن ذلك سرعان ما يتغير نتيجة التغيرات البيولوجية لهذا الجسد وهذا ما خلق فجوة وانفصالا بينهما ، وتتوتر العلاقة بين الطرفين ليتحول الأب الحميمي إلى الأب السلطوي المانع الكابح ، وتتجلى هذه السلطة الأبوية بمجرد ما يقف هذا الجسد ويظهر ما فيه من أنوثة " كنت أقف على إطار هذه النّافذة بالذات أمسح زجاجها بحيوية أربعة عشر عاما ، ثوبي الحريري يكاد يتمزّق عن جسدي ، الفجر الوليد ينسكب من صدري وزندي... ورأيت أبي يقف أمام باب الغرفة مشدوها " (السمان ، رحيل المرافئ القديمة ، 1973، صفحة 90).

ففي الوقت الذي تحتفي فيه الأنا بالجسد الأنثوي الثائر أنوثة والمتمرد على حدود الثوب ليكشف عن أنوثة ناضجة في سن مبكرة ، الذي يبرز الشخصية ويظهر الأنوثة يكون في الآن ذاته عائقا أمام هذه الشخصية " نظراته عالقة بصدري حيث انتفض برعمان متمردان ، يدفعان الثوب بتحدٍ.. بقوة الحياة.. تشنجت نظراته هناك ولاح فيهما صراع قصير غريزي " (السمان ، رحيل المرافئ القديمة ، 1973، صفحة 91)

لقد صار الجسد مانعا وعائقا بينهما ، ينظر إليه الآخر- الأب- بنوع من الريبة والخوف وأنه من الموانع التي يجب حجبها وتكميمها ، فهذا الجسد هو عار ويجب إخفاؤه ، لأنّ ذلك متجذر في اللاّوعي الأبوّي المتوارث جيلا بعد جيل.

إنها نظرة الخوف المتأصلة في الأبوة للحفاظ على قداسة الجسد وخوفا من التدنيس ، فيخلق هذا الهاجس شرخا في المخيلة الأبوّية التي طالما حافظت على هذه الذات في مراحل الطفولة ، وفي مرحلة البلوغ ليصبح الجسد عنوانا للشهوة والخوف ، ولذا يجب الاحتراس من العار الذي يجلبه بمجرد تدنيسه.

وتعزز الكاتبة احتفاء الأنثى بهذا الجسد وأنه سرّ وجودها " لا يمكن أن تظَلّ دميتك المدللة إلى الأبد ألا ترى أنها امرأة؟ " (السمان ، رحيل المرافئ القديمة ، 1973، صفحة 91). يكسر هذا التساؤل رغبة الفحولة في الخلاص من هذا الجسد وتقزيمه. مما خلق نوعا من الحواجز بين الذات والآخر – الأب- وكسرت تلك المشاعر الراقية بينهما حينما أدرك أنها مجرد أنثى تحمل جسدا مخيفا قد ينفجر في أي لحظة ويطيح برجولته وهيبته " حدث هذا كله في أقل من ثوان في التقاء نظراتنا.. وشعرت بإيحاء مكهرب! إنني أتيت جرما منكرا ... إن مجرد كوني امرأة عار لا يغتفر.. إن في صدري وبروزه خيانة لصداقتي مع أبي " (السمان ، رحيل المرافئ القديمة ، 1973، صفحة 91) وبهذا تحمل الأنثى عار أنوثتها المتوارث منذ الجاهلية ، فهي عار يجب التخلص منه باحتراس.

إن الذات تعيش حالة إرباك مع الأخر وبطريقة لا شعورية تعمل على إخفاء معالم هذه الأنوثة الذنب " ودون وعي مني ، قوست كتفي إلى الداخل ، وكأنني أستطيع إخفاء صدري عن لسع نظراته.. فنحن لم نتبادل أي حوار!! لكنني فهمته جيدا كما فهمني " (السمان ، رحيل المرافئ القديمة ، 1973، صفحة 91)

إنها نظرة مشفرة تحمل وراءها رسالة تساؤل عن هذا الجسد وهذا الصدر المخيف الذي كان حدا فاصلا للعلاقة البريئة التي انتهت إلى انفصال كلّي ، يجسد في الحقيقة همّا نسويّا منذ الأزل لا يقتصر على هذه الأنثى فقط ، وإنما يتعداها لكل بنات حواء " صدري يضجّ بعويل مبهم الأنات ثار واستيقظ منذ ذلك اليوم المشئوم... فيه بعض من صرخات طفلة موؤدة في عصرنا وفيه بعض من نحيب أمي المختلس في غرفة نائية الجدران.. وفيه من مذلة إخوتي الثلاث اللواتي تزوجن بعد أن زارتنا خاطبة ثرثارة تشبه الساحرات " (السمان ، رحيل المرافئ القديمة ، 1973 ، الصفحات 91-90).

لقد كشفت الذات عن معاناة الأنثى أمام السلطة الأبوية التي عملت على تهميش المرأة وإقصائها بوأدها ماديا ومعنويا بين الماضي والحاضر ، فهي المرأة الأم المقهورة الذليلة التي تعيش حالة الإقصاء ، والأخت التي تحمل على عاتقها عبء الموروث الثقافي الذي يرى فيها حملا يجب الخلاص منه.

وتبدأ السلطة الأبويّة في قول الكاتبة " انتهت سنوّ دراستي في الثانوية وسجنت في الدار" (السمان ، رحيل المرافئ القديمة ، 1973 ، صفحة 92) ، فهذا الأب تحول من الأب الإيجابي إلى الأب السلطوي الذي فرض قوانينه على ابنته ومنعها من الدراسة لأنه اكتشف أنها لم تعد طفلة ،وأنها صارت تحمل جسد الفتنة الذي يجب تكميمه داخل البيت حتى لا يأتي بالعار داخل هذه الجدران التي تكون في نظر السلطة موانع للحفاظ على الجسد ، وتكون بمثابة سجن يقبع الحرية ويقتل الأمل بالنسبة للأنثى .

غير أن الشخصية تتمرد على هذه العادات والتقاليد وتكسر هذه الجدران من خلال الحلم كغاية سامية تخرج من خلالها من الحواجز المقامة إلى حيث تعانق أفضية رحبة " أحلم بكلية الطب التي شغفت بها حبا ، أخلق من الأوهام زملاء أقف أمامهم في فناء الجامعة بثيابي المحتشمة نظيفة الوجه معقوفة الشعر ، وقد فردت كتفي وشددت صدري إلى الخارج ... لماذا لا أجرؤ يوما على أن أبوح بهذا كله لأبي ؟؟" (السمان ، رحيل المرافئ القديمة ، 1973 ، صفحة 92)

تكسر الذات الكبت والحصار وتقفز على هذه السلطة المقيدة للحرية عن طريق الحلم بالتحرر والذهاب إلى الجامعة وفي ذلك رفض تام لهذه القيود المفروضة لإكمال الدراسة وفق شروط نظامية تراها السلطة الاجتماعية والثقافية ضوابط للسلوك الحسن بالثياب المحتشمة والسلوك الملتزم ، وتمكنها من الدراسة الأمر الذي يمنحها الحرية والتحرر من هذه القيود ؛ لكن الحلم يصبح ممنوعا وذلك لشدة هذه السلطة وجبروتها ويتجلى ذلك في الاستفهام الذي تطرحه : " لماذا لم أجرؤ يوما على أن أبوح بهذا كله لأبي ؟؟" (السمان ، رحيل المرافئ القديمة ، 1973 ، صفحة 92).حيث تصادر الأحلام والأمنيات .

ويمارس الأب سلطته على الشخصية من خلال توظيف سلطة الأخ كنائب وحارس على هذه الأنثى" أخي الرجل الثاني في حياتي ... رفيق دربي أربع مرات في اليوم وحارسي الأمين أثناء ذهابي إلى مدرستي (السمان ، رحيل المرافئ القديمة ، 1973 ، صفحة 92) " ، تتجلى سلطة الأب في أحد رموزه الذكورية - الأخ- التي تحمي المرأة الضعيفة ، غير أن الآخر - الأب - لا يهمه من هذا المنطلق النجاح بقدر ما يهمه موعد خلاصه من البنت ، ويصبح الأمر إجباريا من خلال ما أصدره هذا الأب من قرارات بكبح رغبات ابنته الحالمة ليصير البيت بمثابة السجن المقيد للحرية خشية تمرد هذه الأنثى وخوفا من الجسد وخضوعا للأعراف التي ترى في المرأة كائنا بيتيا مهمته القيام بالأعمال المنزلية والإنجاب.

تقف الذات أمام الآخر في محاولة للتعبير عن رأيها وإيضاح فكرتها بإتمام الدراسة ، لكن الآخر الممارس لسلطته يرفض الحوار ويبعث الخوف والتردد في نفسها " أبي.. أرجوك.. أعني هل من الممكن.. أقصد.. هل يمكن أن أحلم بالذهاب إلى كلية الطب " (السمان ، رحيل المرافئ القديمة ، 1973 ، صفحة 93)

تعيش الذات حالة من الكبت والخوف والتهميش ، مما وقف حائلا أمام علاء صوتها والمطالبة بحقها فهذه الدوال (أرجوك ، أعني ، هل من الممكن ، أقصد ، هل يمكن) تعكس اضطراب الشخصية وترددها وضعفها في إبداء رأيها ، وذلك إنما يدُل على أنها تعاني من القهر

والتهميش أمام الآخر الذي يملك السلطة والنفوذ، وذلك ما تكشفه صيغ الرجاء.

وبعد الرجاء الذي يظهر استعطاف الآخر، ويبيّن الرغبة الجامحة تتوارى تلك الرغبة حينما تصطدم بالسلطة لتتحول إلى مجرد طلب بسيط لا تأمل في تحقيقه وتنهيه بإبعاد الأمر ليصير في النهاية حلما بعيدا يصعب تحقيقه ما دام القرار بيد هذه السلطة المانعة التي أعطت ردا واضحا يؤكد الموانع السابقة، "وكم كان جوابه مختصرا وبليغا: صفعة على خدي، بصقة على الأرض.. وتخبط الحلم الذهبي بين سنابك واقعي" (السمان، رحيل المرافئ القديمة ، 1973، صفحة 93)، وهذه العبارة تكشف عن العنف الجسدي والمعنوي والاستلاب والقهر والإهانة والإقصاء.

ثم تهرب الذات إلى الحلم للتنفيس وتحقيق هذه الرغبات الممنوعة للخلاص من الأوضاع المتأزمة والجدران التي تخنقها " كم تزينت وتسللت إلى هذه النافذة في وضح النهار منتظرة مرور أحمد.. أعرض عليه مفاتني بقدر ما تسمح به النافذة الضيقة ورعبي من أن يضبطني أبي " (السمان، رحيل المرافئ القديمة ، 1973، صفحة 93). وبهذا تقف الذات على كنه الجسد فتعمل على تجاوز هذه الجدران الحاجبة له، وذلك بمحاولة عرضه على الآخر- الرجل- رغبة منها في إظهار مفاتنها متحدية العرف الاجتماعي والعادات التي رأته عورة، وكانت سببا في منعها من تحقيق حلمها، امتثلت للنسق الثقافي الذي يرى في الجسد شهوة ولذة وإغراء كما علل ذلك فرويد.

تعيش الذات حالة استلاب فتبحث عن منفذ من السلطة التي حجبتها بين أطر اجتماعية عن طريق البحث عن الآخر المنقذ لها والتي تراه عبر الحلم رجلا مكتملا فيه كل صفات الرجولة التي تعوضها صورة الأب المتشظية " وأحببته مبهما مثيرا.. وأحببته شبحا تحوك أمي وجاراتها أساطير طويلة عنه. خيالا لا أعرف عنه سوى جسد غامض يتحرك ليلا في الزقاق " (السمان، عيناك قدري ، 1962، صفحة 93).

إنها الرغبة في البحث عن معادل آخر تغير به الوضع، رجل يكون متفهما ليس كوالدها المتسلط، تبحث فيه عن الكمال، وذلك عبر الحلم الذي منحها إمكانية تجسيد كل الصفات المرغوبة والمضمرة في اللاشعور " أحببته وهما نائيا ساحر البعد.. مدينة عجيبة الالتماع.. أحببته جزيرة مرجان ضبابية غارقة في بحار فيروزية.. وأنا على الشاطئ القفر.. تشدني إليه نظرات أبي وذعر أمي " (السمان، عيناك قدري ، 1962، صفحة 93).

إن منطلق هذا الحب كان من مبدأ الحلم، فهي مجرد صور مكبوتة تجيء من عمق الطفولة المغتصبة وكل ذلك الوصف (ساحر البعد، مدينة عجيبة، جزيرة المرجان، بحار فيروزية) هي أوصاف ومشاهد من ألف ليلة وليلة تمنحها تأشيرة العبور إلى مدينة الرجل الفاضلة حيث يتجاوز طبيعته العادية ويصبح رجلا كامل الأوصاف الجمالية والخلقية كما تراه النسوية.

وتبقى الذات في حالة من القلق والتوتر والرغبة في الخلاص وكسر قيود السلطة الأبوية، غير أنها تستيقظ على واقع مرّ حينما تدرك أن الآخر الرجل لم يكن سوى حلم " جاء في موكبه المريع بعد أن ناديته ليالي وليالي بعينين معصبّتين.. إنه يقترب.. إنه يقترب وأنا ما زلت واقفة كتلة من صقيع" (السمان، عيناك قدري ، 1962، صفحة 97).

يوحي هذا المقطع بذات مسلوبة الإرادة والفعل تفر إلى أحلام اليقظة لتحقق الهروب المتخيل إلى عالم سحري بعيد عن الأب الجائر، غير أنها تدرك في نهاية الأمر أنها ستكرر مأساة جديدة " مسامير حذائه تزحف على وجهي في كل خطوة.. القيد ينغرس في لحمي كاوي البرودة .. أريد أن أهرب.. أبي يقف أمامي في يده صفعة وعلى شفتيه بصقة.. أريد أن أهرب.. أمي تجفف قدمي والبرود ينسكب من أصابعها.. أريد أن أهرب.. البرود ينسكب من أجيال تعول في صدرها" (السمان، عيناك قدري ، 1962، صفحة 97)

لتدرك الأنا أن جبروت الآخر- الأب- يأخذ صورة مصغرة في هذا الرجل الذي استفاقت على حقيقته وأنه مجرد إله ممسوخ حيث يتحول حضوره إلى كابوس لا ينتهي مؤلم ومؤذ ويصبح الهروب منه غنيمة حتى لا تتكرر مأساة حواء، وتعبر عن ذلك الخوف بتكرار (أريد أن أهرب)، حيث يصير الهروب من السلطة التي تريدها صفقة مربحة بين رجل غني وأب تملأه رغبة الخلاص من الجسد الفتنة وكل ذلك يتم في مزاد علني " نظرة أبي القاسية تنسكب فوق رأسي، إنني أدور أمام الرجل بتقديم كأس ماء.. أعرض

عليه غنائمه ، عيناي تصرخ به: ارفع الثمن" (السمان ، عيناك قدري ، 1962 ، صفحة 97).

ويدفع الأب بابنته للبيع عبر عملية عرض وطلب حيث تصبح مجرد سلعة مما يدل على عودة الأنثى إلى عصر الإماء ، وتنتهي بهذه الذات الواقعة تحت سياط السلطة الموافقة على إتمام الصفقة " أُوزن ببرود لا إنساني.. بعد دقائق وأنضم إلى أمي وجداتي أجتر همسات الزقاق الضيق" (السمان ، عيناك قدري ، 1962 ، صفحة 98).

يظهر هذا أن المرأة متاع متوارث جيلا بعد جيل ، وفي أكثر الأحوال هي عار يجب دفنه ووأده قبل تمرده " رأيته منذ أكثر من ألف عام في الصحراء.. بينما كانت عباءة أبي تطير وراءه ومخالبه العشرة تنبش الرمال وتحضر لوأد سنواتي العشر! وأراه الآن وأنا أكاد أدفن في صدر رجل مجهول " (السمان ، عيناك قدري ، 1962 ، صفحة 98).

فهذا الرجل هو التمثيل الفعلي لهذا الأب وزواجها منه يماثل ذلك الوأد المادي للجسد حتى وإن اختلفت أنواع الوأد بين مادي تدفن فيه حيّة في رمال الصحراء ومعنوي بوأد هذا الجسد في صدر رجل آخر لتحقيق رغباته ليكشف ذلك عن ظلم وقسوة ووحشية السلطة الأبوية. ونقرأ مقطعا مماثلا في قصة سجل أنا لست عربية من مجموعة "عيناك قدري " "يريد لهذا الزواج البائس أن يستمر .طلب مني الصبر .مهمة المرأة في نظره أن تتحمل من زوجها كل شيء إنه زواج حتى القبر " (السمان ، القمر المربع ، 1994 ، صفحة 72)

تكثر الأوامر والنواهي من الآخر فيولد ذلك الكبت نوعا من الانفجار والتمرد داخل الأنا وتحدث المواجهة برفض الامتثال للأوامر حينما تخرج من حلم اليقظة بالتعبير الفعلي عن تحقيق هذه الرغبة والذود عنها بشدة " لن أتزوج هذا الرجل.. أريد أن أتمم دراستي ... أردد بلذة محمومة: أريد.. أريد.. للمرة الأولى أتجرأ على أن ألفظ كلمة أريد" (السمان ، القمر المربع ، 1994 ، صفحة 99).

لقد استعادت الذات ثقتها من خلال قرارها ورغبتها في التعبير بكلمة أريد التي تخفي وراءها إرادة وعزيمة ،وذات مواجهة تسعى للتحرر من العبودية المفروضة عليها ومصادرة رغبتها ، ويصبح هذا المسعى تحد للأبوة ، والذي يراه إهانة " وينسحب من الغرفة وقد حنا رأسه أكثر من عادته " (السمان ، القمر المربع ، 1994 ، صفحة 99) ،وهذا ما يوحي بأنها قد أصبحت ذاتا فاعلة لها القدرة على كسر النمطية عندما تصبح المرأة قادرة على الرفض والتمرد وامتلاك زمام أمرها فهذا يقلب الموازين ويهدد شرعية السلطة الأبوية ويُعجل بفنائها .

وتتراجع سلطة الأب في قصة "عيناك قدري " ، حينما تتحرر هذه الذات وتدخل في نديّة مع الآخر – الأب – بداية من كلمة "رجل الدار" التي تحمل دلالة المساواة وتبادل الأمكنة حيث تصبح الذات هي القوة الفاعلة والمؤثرة والمزاحمة لسلطة الأب بعدما كانت مجرد عبء لديه " لماذا لم يقتلها أبوها يوم نبؤه بأن بنتا خامسة ولدت له؟ بنت! جاءت بوقاحة ، وبالرغم من تهديداته لأمها.. بالرغم من تمائمها وأدعيتها وذعرها.. لماذا أبعدوه عن فراشها عندما ثار وأرغى وأزبد وهجم عليها بسكينه يريد إرجاع الطفلة إلى بطنها بالقوة؟ كان يريد صبيا بعد بناته الأربع" (السمان ، عيناك قدري ، 1962 ، صفحة 9).

تظهر سلطة الآخر وظلمه للأنا فتولد هذه الأخيرة بهاجس الخوف ، حيث يفضل الأب الذكر على الأنثى بما يحمل في مضمونه من تبجيل للذكر واحتفاء بقدومه ، إنّه الوريث الشرعي لهذه السلطة بينما الأنثى تكون مجلبة للعار ولذا وجب وأدها جسديا ومعنويا " كان يريد صبيا بعد بناته الأربع.. وريث أمجاد دكانه وحلقته على رصيف الشارع.. وريث نرجيلته.. لا يريد لجمرها أن يخبو بعد وفاته.. يريد صبيا لا يضطر لسجنه في الدار بعد أن يفوز في الشهادة الابتدائية.. لا يخاف عليه من السير في الشارع وحده " (السمان ، عيناك قدري ، 1962 ، صفحة 9). يمنح المجتمع الذكر سلطة القيادة والتمركز والحضور ، يكون فيه امتداد للفحولة ولا يريد أنثى يخاف عليها من المجتمع ويضطر لمراقبتها باستمرار.

وتتجه الكاتبة اتجاها نسويا عندما تمنح الشخصية فرصة التعلم ، لتكتمل شخصيتها وتملك قوة تمكّنها من الدفاع عن نفسها دون خوف كما تمكنها من مواجهة السلطة الأبوية بقراراتها " يوم حازت على شهادتها الجامعية رمتها بوجه أبيها كأنّها تصفعه.. وفي المساء رمقته بنظرة تحدّ قاسية عندما فاجأته يغازل الجارة على الدرج.. إنها

سعيدة باحترامه لها .سعيدة بإذلالها الخفي له " (السمان ، عيناك قدري ، 1962 ، صفحة 10)

تمتلك المرأة حرية كبيرة حينما تحوز شهادات علمية تقوّي من منصبها وشخصيتها ، وتكون بذلك قوة مؤثرة في صنع القرار ، بل تفرض على الآخر احترامها والأكثر من ذلك تكون هناك مساواة في المعاملات والحقوق وتتحرر المرأة من التهميش والإقصاء وتزيدها هذه الشهادات حصانة تقوي شوكتها وترفع راية التمرد.

خاتمة

من خلا ل ما تم إدراجه نقف على حقيقة أن الكاتبة غادة السمان من اللاتي اظهرن قوة كبيرة في تعرية المسكوت عنه والكشف عن العلاقة المتوترة بين الأنا الأنثوي والأخر الذكوري ؛العربي في ممارسة سلطته على الأنثى مستمدا قوته من الموروث الثقافي وأصبح في نظرها الآخر المهمش الذي لا يملك القدرة على الدفاع عن حقوقه في حين كفلت له الكاتبة حق الرد ، وحق الدفاع عن حقوقه وهذا ما اتسمت به الشخصيات النسوية ، وكذا الأخر الغربي المختلف حضاريا وما يترتب عن ذلك الاختلاف من توتر في العلاقة ، لتكشف في الأخير عن جبروت السلطة الأبوية وما تشكله من ممنوعات للذات الأنثوية ،لتعطي صور ا واضحة عن الآخر الذي مارس سلطته على الأنا الأنثوي الذي جردته الثقافة من أدنى الخصوصيات.

الهوامش

اسماعيل ، ع. ا. (.(1976 *الأدب وفنونه دراسة ونقد*.دار الفكر العربي .
البازعي ، م. ا. (.(2002 *دليل الناقد*.الدارالبيضاء : المركز الثقافي العربي.
السمان ، غ. (.(1994 *القمر المربع*.لبنان: منشورات غادة السمان.
السمان ، غ. (.(1973 *رحيل المرافئ القديمة* .لبنان: منشورات غادة السمان .
السمان ، غ. (.(1962 *عيناك قدري* .لبنان : منشورات غادة السمان .
السمان ، غ. (.(1963 *لا بحر في بيروت* .لبنان: منشورات غادة السمان.
السمان ، غ. (.(1966 *ليل الغرباء*.لبنان: منشورات غادة السمان.
السيوف ، ن. ف. (.(2002 *قضايا المرأة بين الصمت والكلام في الرواية النسوية العربية رسالة ماجستير . غير منشورة . كلية الدراسات العليا* الأردن : الجامعة الأردنية .
حميش ، ب. س. (.(2003 *في معرفة الآخر*.سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع.
سرحان ، م. ك. (,2015 يوليو /ديسمبر). الذات والآخر في رواية حب في كوبن هاجن لمحمد جلال . *مجلة جامعة ناصر*.
شحاتة ، ح. (.(2008 *الذات والآخر في الشرق والغرب*.القاهرة : دار العالم العربي .
كاظم ، ح. (.(2013 *متغيرات السرد في الرواية العراقية (2010-1990)الكتابة النسوية* .العراق: جامعة القادسية.
لعرافة ، ن. (,2018 فيفري". جدل التخيل الاستشراقي في الخطابات النسوية فاطمة المرنيسي أنوذجا . *مجلة رؤى فكرية*.
مُحَمَّد ، س. س. (.(2012 *الأنا والآخر في المعلقات العشر* . رسالة ماجستير غير منشورة . قسم اللغة العربية وآدابها / جامعة البصرة .

جدلية الافتقاد والامتلاك في رواية بنت المطر لمريم الغفلي -دراسة موضوعاتية-

Le manque et l'appartenance dans le roman « la fille de la pluie » par l'auteur « Mériam El Ghefli » Etude Thématique

تاريخ الإرسال: 17-10-2018 تاريخ القبول:22-12-2020

سامية يحياوي، جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة،samiayahiaoui1@hotmail.fr

الملخص

تعد الرواية النسائية الإمارتية تجربة إبداعية ثرية ، ومرآة عاكسة لقضايا المجتمع المختلفة ، ورواية "بنت المطر" للروائية "مريم الغفلي" نموذجا متميزا نقل لنا صورة نمطية وهاجسا مأساويا عن المرأة في المجتمع الخليجي ، تمثل في قضية الزواج المبكر وغير المتكافئ وما انجر عنه من تبعات وخيبات تحملتها البطلة الدرامية "لطيفة" عبر محورين رئيسين هما "الافتقاد والامتلاك"..

الكلمات المفاتيح: الرواية الإماراتية ، الرواية النسائية ، الامتلاك ، الافتقاد ، البطل المأساوي.

Résumé

Le roman féminin émirati est considéré comme une expérience créative très riche, et un miroir qui reflet les différents cas sociaux. Nous considérons le roman « la fille de la pluie » de l'auteur « Mériam El Ghefli » comme un exemple très distingué. Il dégage une image typique et une obsession tragique de la femme dans la société du pays du Golf, qui se concrétise par le mariage précoce et non équitable, avec tous ce qu'il engendre comme déception de l'héroïne tragique « Latifa » qui a subi parallèlement les deux notions : « du manque et de l'appartenance ».

Mots-clés : roman émirati, roman féminin, le manque, l'appartenance, héros tragique, *Philosophie*

Abstract

The Emirati feminist novel is a rich creative experience that reflects the different social issues. Meriem El Ghefli's novel The Rain's Daughter is a distinct model that conveyed a stereotypical and a dramatic picture about women in Gulf society by depicting the issue of early and unequal marriage and its consequences on the dramatic heroine, "Latifa", through two main axes, missing and possession.

Keywords: The Emirate's Novel, The Women Novel, Missing , possession, the dramatic heros

- **توطئة**

الرواية الإماراتية رواية فتية فنيا مقارنة بنظيرتها العربية، حيث تعود بداياتها الأولى إلى سبعينيات القرن الماضي، مع رواية شاهندة لعبد الله النعيمي، و"على مدى ثلاثة عقود من الزمن نجد أن الشكل الفني للرواية قد قطع أشواطا عديدة، فإذا كان راشد عبد الله قد اعتمد شكلا سرديا بسيطا يتسم بالحكائية؛ فإن الكتاب اللاحقين قد سعوا إلى تبني الأشكال الفنية المتطورة. إذ تأثر الكتاب الإماراتيون الجدد والمخضرمون منهم بالأشكال الفنية الحديثة، مجارين بذلك النقلات السريعة الجارية على مستوى التطوير العمراني والمؤسسي في البلد، حيث جاءت التجارب الروائية اللاحقة متبنية أنماطا حديثة" (البيل، 2016، صفحة 37)، ومن أبرز الأسماء الروائية المتميزة نذكر: "علي أبو الريش، منصور عبد الرحمن، ثاني السويدي، مُحَمَّد غباش، ابراهيم مبارك، ناصر الظاهري...

كما نجحت الكتابة النسائية الإماراتية في رسم جماليات المتخيل المنعكس عن الذات والواقع، ولعل أول رواية لمبدعةٍ إماراتيةٍ هي رواية (شجن بنت القدر الحزين) لحصة الكعبي، وقد صدرت عام 1992م. ومن الأسماء المتميزة في ساحة الإبداع النسوي نذكر أيضا ميسون صقر، باسمة يونس، نادية النجار، سارة الجروان، أسماء الزرعوني، أمنيات سالم، صالحة غابش، ومريم الغفلي ...

وقد استطاعت الرواية الإماراتية أن تنقل قضايا اجتماعية وثقافية وسياسية من الواقع، كما عالجت موضوعات اجتماعية حساسة في المجتمع الخليجي كمشكلة تعليم المرأة، وتعدد الزوجات، والاغتراب، والهجرة؛ "فمجال الرواية هو المجتمع، وفضاؤها قضاياه، وهي من حيث مضامينُها وعوالمها سجل اجتماعي يرصد حركة التغيير التي تطرأ على المجتمع وتؤثر في سلوكه، فهي النص القادر على استيعاب حراك المجتمع وتفاعلاته " (البيل، 2016، صفحة 25)

وقد تدرّج الروائيون في طرح هذه القضايا الاجتماعية انطلاقا من الأسرة باعتبارها أهم لبنة في المجتمع، وذلك وفق محورين رئيسين هما: شخصيات خاضعة وراضخة لحتمية تقاليد المجتمع الإماراتي، وشخصيات رافضة نادت بضرورة التغيير الاجتماعي والتحرر من التقاليد الجامدة. وبين المحافظة والتحرر تولد صراع بين جيل الآباء وجيل الأبناء، وبين قيم الماضي والحاضر، وكلّها تحوّلات فرضتها الظروف الاقتصادية والثقافية للبلد؛ "فقد شهدت الأسرة في مجتمعات الخليج العربي تغيرا من هذا القبيل، بعد ظهور النتائج الاجتماعية لحياتها الاقتصادية الجديدة التي بعثت بها ثروة النفط. فالتعليم والدخل المتزايد للفرد، ومشاريع التنمية، والتخطيط الديمغرافي الجديد، واستقرار الحياة السياسية بأحد الأشكال الديمقراطية (مجلس الأمة)، كل هذه المؤشرات، وغيرها تمثل ضربات عنيفة لحتمية المعايير، وضبطها لنظام الأسرة، لأنها بمثابة النوافذ، التي أشرعت أبوابها لهبب النزعة الفردية، ولاقتحام المثل البرجوازي الأعلى للنظام الأسري التقليدي المغلق" (غلوم، 1986، الصفحات 124-125)

ويمكن أن نصنف رواية "**بنت المطر**" لمريم الغفلي ضمن المحور الأول "المحافظ". فمضمونها اجتماعي، انطلقت فيه الكاتبة من الأسرة بعد أن طال التغيير ثوابتها، وأصبحت وحدة اجتماعية متغيرة "لا وجود فيها للمساواة وللحرية الفردية بين أفرادها، وحيث المكبوتات القهرية الهائلة للميول، والرغبات التلقائية، وحيث الحالة القمعية المستمرة للأفكار الأخلاقية المضادة: ذلك طالما أن الأسرة في سكون تام، أمام الحتمية، التي تفرضها المعايير، والقيم" (غلوم، 1986، صفحة 124)وأمام جدلية خضوع الأفراد لتقاليد المجتمع الإماراتي، والتمرد عليها جاءت رواية "بنت المطر" لتصور لنا نموذجا عن المرأة المحافظة الصابرة والراضية بقرارات أسرية جائرة فرضت عليها، وتحملت عواقبها بكل إيمان وصبر.

1. ملخص الرواية: صدرت رواية "بنت المطر" للكاتبة الإماراتية "مريم الغفلي" عام 2009، عن دار الحوار، وتضم 277 صفحة متوسطة الحجم.

تحكي الرواية قصة "لطيفة" اليتيمة؛ التي عاشت حياة قاسية مع زوجة أبيها "نورة"، بعد أن فقدت والدها وهي ابنة الإثنتي عشرة عاما، لتتزوج زوجة أبيها بعد العدّة مباشرة بابن عمها السكير "عبد الله"، الذي كان يتحرش بها. ولما بلغت الفتاة خمسة عشرة عاما قررت "نورة" تزويجها من شيخ

ثريّ دون أخذ إذنها بالقبول أو الرفض، وقد كانت صدمتها" كبيرة لأن حلم إتمام دراستها كما وعدت والدها قد تلاشى. وكان مصابها جللا عندما علمت أن العريس شيخ كبير طاعن في السن. ليتم الزواج بينهما، وبعد حفلة الزفاف أخبرت "لطيفة" الشيخ بالخديعة التي حيكت لها من قبل عمتها، فرأف بحالها، واقترح عليها حلّين اثنين: الأول ؛ أن ترجع إلى عمتها "نورة"، بشرط أن تُرجع كل الأموال التي صرفها عليها. والحل الثاني: هو أن تبقى معه لتعتني به كوالدها، لأنه شيخ وغير قادر على دلالها. احتارت لطيفة وفكرت في الجحيم الذي ستعيشه إذا رجعت لبيت "نورة" وزوجها فقبلت بشرط العجوز الثاني، وهو أن تبقى معه تحت مسمى زوجة فقط، واشترطت عليه أن يتركها تكمل دراستها فوافق.

كان للشيخ ابن واحد اسمه "عبد الله" ؛ وهو متزوج بابنة عمه "شيخة"، وكانا يكرهان لطيفة كرها شديدا، وكان الشيخ قد وكّل ابنه بكل أمواله، فكان لا يصل "لطيفة" إلاّ مبلغ زهيد كل شهر تنفقه في شراء الكتب والمجلات. أمضت "لطيفة" عشر سنوات من عمرها في خدمة هذا العجوز ورعايته، لأنه كان يعاني من أمراض كثيرة. كما تحملت إساءة العجوز الذي يصبح عصبيا في كثير من الأحيان، بل ويضربها بعصاه. وكذا إساءات "شيخة" وأمها وجاراتها. وكان ملاذها في كل هذا دراستها، وجارتها "أم مُحَمَّد" التي كانت بمثابة أمها، وطيف شاب التقته صدفة أمام المدرسة.

يمرض العجوز ويُنقل للعلاج في لندن، هناك تلتقي "لطيفة" بـ"حمدة" التي كانت لها نعم الصديقة. ثم يموت الشيخ، وترجع إلى الإمارات ذليلة وحيدة، لتطرد من منزلها بعد انتهاء عدتها. هنا تلجأ إلى صديقتها "حمدة" التي تساعدها في العثور على أهلها، كما تتصل بها "أم مُحَمَّد" بعد عودتها من العمرة وتساعدها في محنتها.

تتحصل لطيفة على ميراث أبويها وتصبح ثرية، ثم تلتقي بفتى أحلامها "مُحَمَّد" وتتزوج به وتنجب منه توأمين، وتكمل حياتها في سعادة وهناء.

2. رمزية العنوان

العنوان "رسالة لغوية تعرّف بتلك الهوية وتحدد مضمونها، وتجذب القارئ إليها وتغريه بقراءتها، وهو الظاهر الذي يدل على باطن النص ومحتواه" (البستاني، 2002، صفحة 34)، كما يُعد بمثابة اللافتة الإشهارية التي تدعو القارئ وتغريه بضرورة قراءة النص.

وقد اختصر عنوان رواية "**بنت المطر**" متنها، فهو مركب اسمي تكون من مبتدأ ومضاف إليه، أحال على دلالات عديدة، منها الخصب والنماء، ذلك أن المطر هو مني الأرض يسقيها ويخصبها، ومن جهة أخرى أحال على الحزن والقسوة ؛ فالوقوف طويلا تحت المطر يؤدي إلى البلل والبرد، وبالتالي المرض. وكلها صفات تتطابق على "لطيفة" التي نشأت في أسرة ميسورة الحال لكن الظروف الصعبة جعلتها تعاني آلاما وقسوة.

كما تحيل تسمية "بنت المطر" علميا على حشرة صغيرة معروفة في منطقة الخليج، وهي حمراء اللون تظهر بعد سقوط المطر، وترمز للخصب والنماء، وهي في الرواية تشبه لطيفة حيث منحها البطل "مُحَمَّد" هذا الاسم لأنها فتاة الصُدف، وجلّ لقاءاتهما كانت عند هطول المطر، تقول الكاتبة:"جمال رباني...أمسك يدها بقوة، تشبث بها برجاء قائلا: تبدين **كبنت المطر**. يغالب ابتسامة على وجهه قائلا: أنت بحق كبنت المطر التي تخرج من مخبئها فجأة. حتى وجهك أحمر كما هو حال ملابسك الحمراء. من أنت؟..." (الغفلي، 2009، صفحة 265). ليحيل عنوان الرواية على دلالات الخصب والنماء والجمال من جهة، والحزن والشقاء من جهة أخرى، وكلها تدخل ضمن ثنائية "الحياة والموت" و"الامتلاك والافتقاد".

3. تجليات الفقد والامتلاك في الرواية

تعد رواية "بنت المطر" من الروايات الإماراتية الواقعية التي مزجت بين الواقعي والمتخيل، لنقل رسالة هادفة للمتلقي، "فالخيالي لا يجد جذوره العميقة والمغذية في الصور، وهو في حاجة إلى حضور أقرب وأكثر مادية" (Bachelard, 1991, p. 164)

فعالجتُ صورة المرأة في المجتمع الخليجي، وفق مستويات "الفقد، والحنين، والاغتراب"، وهي صورة نمطية موروثة عن المرأة الإماراتية الضعيفة الخاضعة كما صورتها الروائية من خلال شخصية البطلة "لطيفة".

فقد كانت حياتها "تعبير دال على حركة هذا الزمن، وما يتوالد فيه في عالمنا –أي ذلك التناسل الموصول الذي

يشير إلى دينامية الزمن على قاعدة موت له معنى الفقدان، وولادة لها معنى لاستعادة الحياة ولديمومتها" (عيد، 2011، صفحة 282).

وقد انقسمت الرواية على مستويين:

-مستوى الفقد والخضوع /ومستوى الامتلاك وتحقق الحلم.

1- مستوى الفقد والخضوع

يعد الفقد خسارة؛ وقد يكون ماديا أو معنويا، فأن تَفْقِد هو أن تُضيّع أو تخسر شخصا عزيزا، عاطفة أو شعورا حميميا جميلا، أو شيئا ثمينا بالنسبة لك، كما قد يفقد الإنسان ذاته أيضا. وقد تعددت أشكال الفقد في مدونتنا.

تنطلق الرواية من لحظة الحاضر لتغوص بالقارئ في فصولٍ وتفاصيل تجربة حياتية لبطلةٍ اسمها "لطيفة" التي أدّت دور الراوي والمروي عنه في آن واحد، مما جعلها بطلة محورية تَنسُج وتُنسَج حولها علائق متداخلة ومتفاوتة، تؤلف بينها وبين باقي شخوص الرواية التي يقوم التركيب النصي فيها على مشاهد يتداخل ويتقاطع فيها الحاضر بالماضي، وتحضر بطريقة تقابلية تتأسس على المفارقة، مما يعمق الإحساس بالخيبة...ويقوي الإدراك بفداحة وأفول الحلم " (مسعود، 2006، صفحة 104).

عانت "لطيفة" من فقدٍ ماديٍّ ومعنويٍّ، حيث فقدت والدتها، ولم تعوضها زوجة الأب "نورة"؛ فقد كانت امرأة قوية، وقاسية، وشريرة، تلذذت بحرمانها من أبسط حقوقها. ثم تلاه فقد والدها وهي ذات الثانية عشرة عاما، حيث تزوجت "نورة" مباشرة بعد انقضاء عدتها من ابن عمها السكير "عبد الله" الذي لا يفتأ يضايق نورة ويتحرش بها. ولم تكتف "نورة" بمعاملتها السيّئة لـ "لطيفة"، بل قررت أن تزوجها زواجا تقليديا مبكرا، دون أخذ إذن الموافقة منها. لتفقد "لطيفة" مرة أخرى حُرّيتها، وحلمها وحلم والدها بإتمام دراستها. تقول مريم الغفلي:"ما هذه الأحاسيس التي تجتاحها؟ مخاوفها في تلك اللحظة كانت منصبة على كيفية تركها لمنزل والدها، ولا شيء آخر من حياة جديدة لا تعلم عنها شيئا. لم تكن تعلم ما يخبئه لها القدر، فهي لازالت طفلة...لا طاقة لها على مفارقة هذا المنزل. رحل منه الأحباب، وتركوا ذكرياتهم أمانة في ذاكرة لطيفة. تحمّلت كل ما جرى لها بعد وفاة والدها لكن نورة هذه المرة ترغب في حرمانها من دراستها والتخلص منها. ماذا تفعل؟" (الغفلي، 2009، صفحة 11)

فقدت لطيفة حريتها كما فقدت قبلا طفولتها، وبسمتها، وأحلامها بفقدان الأسرة وبالتالي، الأمان/ السعادة/الحلم.

كانت شخصية "لطيفة" في الرواية تشبه شخصية "سندرلا" مثالية وضعيفة، منقادة غير مقاومة، فرغم إدراكها للخطأ، ووعيها بالظلم الممارس عليها، ورفضها للواقع، إلا أنها لم تملك القوة للمواجهة والرفض أو حتى التمرد. لكنها سلّمت أمرها لله سبحانه وتعالى فهو أحنّ عليها من كل البشر تقول: "ليس لي أحد سواك يا ربي، لمن ألجأ ليس لي أحد يا ربي. كن معي يا ربي، لا تتركني لأهواء نورة تتقاذفني، يا ربي لا تتركني وحدي وخذ بيدي" (الغفلي، 2009، صفحة 12)

أقنعت "لطيفة "نفسها بحلّ الزواج، وقبلت في سريرتها أن تهب نفسها لزوج شاب، سيعوضها ألمها، وخذلانها، وحتى الحرمان المادي والمعنوي الذي مارسته عليها زوجة أبيها "نورة". لكن للأسف كانت صدمتها قوية عندما علمت أن عريسها ليس إلا شيخا هرما؛ فـ "لطيفة وجمالها أصبحت بقايا سعادة. رحل حظها وسعادتها مع رحيل والدها عن هذا البيت وتسليم قيادتها لنورة، تسومها سوء العذاب، جراء ذنب لا تعلم أنها ارتكبته) (الغفلي، 2009، صفحة 14). فقد تحولت حياة البطلة إلى معاناة بعد فقدانها لوالدها ولسلطة اتخاذ القرارات.

أ-الصفقة وتبعاتها

رغم قساوة القدر على لطيفة، إلاّ أن صبرها وقوة إيمانها منحها حلولا، وبصيص أمل من أجل المواصلة والاستمرار، فبعد أن استيقظت من إغمائها وجدت العجوز أمامها، وكان "الألم يكاد يفتك برأسها وهي لا تقوى على رفع جسدها المتثاقل من السرير. تجلس مكانها ضائعة لا تعرف أين هي، كما اختلط عليها الزمان، تحاول معرفة المكان والوقت، تتذكر المكان، تنظر خيوط النور التي حاولت التسلل رغم الستائر الثقيلة المنسدلة، وتحاول التعرف على المكان" (الغفلي، 2009، صفحة 31)

سردت لطيفة لزوجها العجوز خديعة نورة لها ، فرأف بها واعترف أنه عاجز عن دلالها وإسعادها كامرأة شابة ، فقبل أن تعيش معه كابنته. ووافقت أن تمضي حياتها معه رفيقة ، وممرضة ، بل وكخادمة ، على أن ترجع لحجيم زوجة أبيها. وهو انفراجٌ حمله المقطع السردي مع دلالات أمل اختبأت بين السطور ، فعندما وظفت الروائية عبارات " خيوط النور التي حاولت التسلل رغم الستائر الثقيلة المنسدلة" أرادت بعدا استشرافيا إيجابيا فرغم الظروف الصعبة واليأس الذي أحاط بلطيفة ، فإنه هناك بصيص أمل بالانفراج يلوح في الأفق. تقول: "وتلامَح لها إحساس بالراحة ، داهمها أمل جديد بشيء ما غمرها نور وسلام داخلي أنار حياتها في تلك اللحظة ، أحست أن هذا العجوز هو والدها الذي تمنت وجوده معها قبل أيام ، وكأن الله قد حقق لها ما تمنت ، لكن بطريقة أخرى لا تخطر على بال" . (الغفلي ، 2009 ، صفحة 37).

واستمرت هذه الاتفاقية بين "لطيفة" و"الشيخ" مدة عشر سنوات فقدت فيها البطلة سعادتها وأحلامها ، وبالمقابل تمكنت من اكتساب بعض الإيجابيات كـ:

1-تعويض الأب المفقود من خلال زواجها بالشيخ "أبو عبد الله"

2-مواصلة دراستها وبالتالي تحقيق حلمها وحلم والدها.

3-التعرف على جارتها "أم مُحَمَّد" التي عوّضت الأم المفقودة.

4- التخلص من قسوة زوجة الأب "نورة" وشرّها ، وإن كانت قد عوضتها زوجة الابن "شيخة" وأمها وصويحباتها حيث كنّ يكرهن لطيفة ، ويتنافسن في إحباطها ، وذكر عيوبها تقول: "شيخة يأكلها الكره والحقد ينهش قلبها نهشا ، لا لشيء سوى سوء الظن" (الغفلي ، 2009 ، صفحة 69)، لكنها واجهت كل مكائدهن بالصمت "تعلمت لطيفة في هذا المنزل الصمت ، تظل صامتة تلعق جراحها بنفسها ، لا تريد إخبار أحد بما يجري لها في هذا المنزل. دفنت كلّ معاناتها في قلبها ، وجل تفكيرها مُنصبٌّ على الانتهاء من دراستها." (الغفلي ، 2009 ، صفحة 45).

5-كانت الدراسة سببا في التقائها بفتى أحلامها ، الذي أيقظ مشاعرها ومنحها سعادة ولو مؤقتة.

6-السفر والتعرف على عاصمة الضباب لندن ، وأهم مناطقها السياحية.

7-تعرفها على صديقتها "حمدة" التي كانت لها نعم الرفيقة ونعم المؤنسة.

كان للشيخ "أبا عبد الله" ابنا انتهازيا ، كان همّه ثروة أبيه وتجميع أمواله ، وكذلك زوجته "شيخة" التي رفضت تقديم المساعدة للشيخ في غياب زوجته "لطيفة" ، رغم أنه عمّها شقيق والدها تقول: "غالبته العبرة وهو يقول: أتعلمين ناديت على شيخة كي تناولني الدواء ولم تحضر ، حتى لم تدخل غرفتي كي تسلم علي..." (الغفلي ، 2009 ، صفحة 43) وبعد تدهور حاله قرّر ابنه اصطحابه للعلاج في لندن ، مستغلا الفرصة للسياحة مع زوجته وأطفاله. وفعلا تمت الرحلة وكانت أعباء السفر صعبة على العجوز المُقعد ، حيث كانت نفسيته جد متعبة ومتأزمة ، وقد ألقى جامّ غضبه على زوجته المسكينة ، التي كانت هي الشخص الوحيد الذي يهتم به ، ويرأف لحاله. تقول: "أيام مرّت على لطيفة وهي مرتبطة بالعجوز ، من المستشفى إلى الفندق والجلوس معه لا تستطيع الخروج. أصبح أكثر تشبثا بها بجانب عصبيته التي أصبحت لا تقوى على احتمالها ، وعندما يحلّ الليل تنزوي على الكنبة الصغيرة وتترك لدموعها العنان كي تعبر شلالات وغدرانا تغسل همومها وآلامها حتى يأخذها النوم بعيدا" (الغفلي ، 2009 ، صفحة 102). ليكون وقت الليل الفرصة التي تراجع فيها لطيفة حاضرها المزري ، ثم ترثي نفسها الميتة والدفينة في وكر شيخ عجوز.

لم يشفع للطيفة الخروج من هذا الكابوس ، سوى حديقة المشفى بلندن ، بمناظرها الخلابة المنفتحة على بحيرة تتقافز من حولها الطيور والنوارس والبط. حيث اتخذتها لطيفة متنفسا لها من كل هذا العذاب والضغط النفسي الرهيب. وقد تعرفت فيها على صديقة من الإمارات ، اسمها "حمدة" ؛ قدمت هي الأخرى منذ ثلاثة أشهر من أجل علاج والدتها ، وهي نفس المدة التي قضتها "لطيفة" في لندن. وقد تفاجأت وتعاطفت معها لزواجها بشيخ مُسن تقول: "حرام ، حرام أنت زوجته ؟ كيف ذلك كيف التقى الخريف مع الربيع ؟ كيف لوردة متفتحة أن تتزوج ببقايا رجل ؟" (الغفلي ، 2009 ، صفحة 120). كما عرّفتها بخادمتها "أم بلال" فكانت لها "حمده" نعم الصديقة

التي هوّنت عليها ألم الواقع ، والغربة ، والضياع الذي تشعر به.

لتحيل الكلمات الموظفة في المقطع السردي "المشفى/الحديقة/البحيرة" دلاليا على الحالة المرضية المزرية التي تعيشها لطيفة والتي ستنفرج للشفاء والمعافاة ولو بعد حين.

ب-ملاذ البطلة في مواجهة واقعها

-الصدفة ولقاء فتى الأحلام

رافق خيبة البطلة "لطيفة" وكل هذا الضياع الذي شعرت به والرتابة التي غشيت حياتها ، حلما جميلا كان ملاذها عند كلّ إغفاءة ، أو خلوة مع ذاتها. فـ"الأنا ميال نحو اللذة ، ويحاول تجنب الألم (سبيلا مُحَمَّد. بن عبد العالي عبد السلام ، 2009، صفحة 115)؛ حيث حدث وأن التقت صدفة بفتى أحلامها عند باب المدرسة ، بعد أن انهالت عليها زميلتها "مريم" بالضرب ، لأنها لم تعطها الإجابة أثناء الامتحان ، ونزعت عنها نقابها ، لينكشف وجهها الوضّاء أمام الشاب الذي انبهر بجمالها ، وقد ساعدها في جمع أوراقها المتناثرة بكل أدب واحتشام "فجأة انتبهت لوجود شخص بجانبها يساعدها في جمع الكتب المتناثرة على الأرض ، رفعت نظرها باتجاهه ، وعاصفة من الأحاسيس اجتاحتها ، لا تعلم ما حلّ بها ، تتسلل لأنفها رائحة عطر أخاذة ، عندما تلاقت العيون كان قريبا منها" (الغفلي ، 2009، صفحة 51)

أحدث هذا اللقاء شغفا في قلب لطيفة ، ودغدغ فيها مشاعر أنثوية مليئة بالخجل ، والشوق ، والرغبة ، كما ظلت في منزلها تسترق اللحظات لتحلم بطيف هذا الشاب "ذلك الفارس الذي صادفته في ذلك اليوم هو من فتح لها هذا الباب الذي ظل مغلقا حتى التقته ، هو من فتح عينها على هذه الأحاسيس التي ما فتئت تجتاحها ...تخيلته أبا حنونا بدلا من والدها الراحل. تخيلته أخا لم تحظ به ، يساندها ويقف إلى جانبها ، تخيلته خالا أو عمًّا ، تخيلته حبيبا فارسا فتى أحلام تحلم به كل فتاة وامرأة على وجه الأرض ، وليس هي فقط. أصبح الطيف الغريب الذي تلاقت عيونها مع عينيه فجأة هو الحلم القادم. يراود خيالها ، ملك عليها حياتها ، أصبح محور أحلامها وآمالها ، احتل قلبها ، فما من قوة تستطيع انتزاعه. لا تعلم تفسيرا لحالها. من بعد ذلك اليوم تغير كلّ شيء ، أصبح لها هدف لا تعرف ماهيته" (الغفلي ، 2009، صفحة 66).لم تصدق لطيفة أنها مثل كل الفتيات تملك أحاسيس ومشاعر ، "تتساءل: كنت أخالني مختلفة عن باقي بنات حواء ، لم أكن أعلم بأني أمتلك مثل تلك الأحاسيس. لكن تلك النظرات فجرت في نفسها براكين من الأحاسيس التي أصبحت تعذبها. أحاسيس دفنتها وتناستها منذ اكتشفت أن قدرها ساقها نحو النهاية ، مع أنها لم تعش البداية ، نحو الموت البطيء مع أنها لم تحظ بفرحة الميلاد. أصبحت عجوزا في مشاعرها ، ولم تمر بمرحلة شباب المشاعر..." (الغفلي ، 2009، صفحة 67). ظلّت لطيفة تحلم بفارسها ، وكثيرا ما كان يخرجها من أحلامها صوت العجوز البائس وهو يتألم.

التقت "لطيفة" مرة أخرى بفتى أحلامها صدفة في مكان لا يخطر على البال ، كان اللقاء هذه المرة تحت سماء لندن في يوم ماطر ، وهي تتأهب لأخذ سيارة أجرة "في وسط الحشود المزدحمة أحست بمن يراقبها. لا تعلم لماذا داهمها هذا الإحساس. فجأة صدرت منها التفاتة ليمينها ، كان هناك يراقبها. بدا شكله مختلفا بشعره الأسود الناعم الذي ارتاح من ضغط السفرة والعقال ، وبملابسه الحديثة ، وقميص أبيض بأكمام قصيرة...لم تستطع التحكم في نظراتها التي بادلته النظر ، وهي تهم بدخول السيارة مستعجلة التقت عيناها بعينيه ، إنه هو الشخص الغريب نفسه. معذبها" (الغفلي ، 2009، صفحة 114)، حيث التقت العيون محدثة شرارة في القلب عجز العقل عن فك شفراتها أو تفسيرها.

لم تنقطع الصدف بينهما ، حيث التقته مرة أخرى في متجر في لندن ، زارته مع "حمدة" لاقتناء بعض الهدايا للأهل ، فاضطربت وارتبكت لرؤيته يقترب منهما ؛ **تقول** "فجأة تحين منها التفاتة باتجاه الباب. كان ظلّ طويل يتهادى تجاههم ، ملامح شرقية جميلة تغطي على كل من تواجد هناك ، تلمحه وكأنه يتجه نحوها هي ، ...لأول مرة تقف وجها لوجه معه هو نفسه...بشعره الأسود اللامع حيث بدت قطرات ماء المطر كأنها حبات ألماس تلمع بشفافية على شعرات رأسه القافزة بخوف جراء الهواء والمطر بالخارج" (الغفلي ، 2009، الصفحات 136-137)، ليكون المطر في كل مرة بمثابة همزة الوصل بين روحيهما كما كان همزة وصل بين السماء والأرض. " تلك الأحداث النفسية التي تقوم بها النفس ردا على الأحوال

الاجتماعية والطبيعية التي تعرقل الإشباع الكلي لحاجة ما ، فتنعكس في أقوال الفرد العادي وأفعاله" (عصار ، 2008 ، صفحة 80) ، وتأكدت "حمدة" أن كل هذه الرجفة ما كانت لتصدر إلا من عاشقة ولهانة ، لكن "لطيفة" امتنعت عن البوح بمكنون روحها ، وفضلت أن تحتفظ بسرها لها وفقط.

-مظاهر الطبيعة

تعد علاقة الإنسان بالطبيعة علاقة وطيدة ، بعدّها المكان الأول الذي يستعيد فيه الفرد راحته واتزانه. اختارت لطيفة أن تختلي بنفسها عند أول فرصة سنحت لها ، وذلك في حديقة المشفى في لندن المطلة على بحيرة ساحرة "تتجه نحوها ، وتنظر حولها ، الأشجار الضخمة المغطاة بالطحالب والنباتات المتسلقة. الطيور المختلفة ، تماثيل تنتشر في كل زاوية ، يتراءى لها كرسي خشبي تحت إحدى الأشجار الضخمة فتيمم شطره وتجلس مبهورة بما تراه من طبيعة خلابة وعالم مثالي" (الغفلي ، 2009 ، ص106)

كانت "لطيفة" تذهب وحيدة لتتأمل الجمال الإلهي الخلاب ، ولرؤية الحمام والبط والسناجب في حركاتها العفوية. لتنسى همومها وحاضرها المؤلم. فهي "تلجأ إلى الحلم ، لا بمعنى الهروب الرومانسي الساذج ، وإنما هو هروب إبداعي يخرج من الزمن إلى زمن آخر ، ومن مكان إلى مكان آخر ، حيث لا يكون الطرف قيدا أو مانعا " (الغدامي ، 1996 ، صفحة 222)فكثيرا ما استذكرت البطلة لحظة لقائها بفتى أحلامها ، متحسرة على شبابها الذي وُئد في مقتبل عمرها "في تلك اللحظة اجتاحتها ذكريات ذلك اليوم ، وكأن بركانا انفجر وأخرج منه ما كانت تخشاه من ذكريات تحاول كبتها وطردها. ذكريات ذلك اليوم ، وتلك النظرات التي لا زالت تطاردها في حلها وترحالها ، تتذكر من أصبح فارسا لأحلامها ، تتذكر ذلك الوجه الجميل والعينين الحالمتين. أين هو بكل عنفوان الشباب من بقايا الرجل الذي تسجن نفسها معه ؟" (الغفلي ، 2009 ، الصفحات 106-107)

وتعد علاقة البطلة بالطبيعة حميمية في الرواية ، فقد كانت الواجهة البحرية المقابلة لنافذة "حمده" بدبي ، هي مكانها المفضل لتأمل البحر والشعور براحة ولو مؤقتة. حيث "اتجهت لطيفة للنافذة ، وقفت لدقائق صامتة. كان المنظر رائعا ، البحر بلونه الزمردي الساحر وأمواجه الهادئة المتكسرة على الصخور المكدسة على الشاطئ. الأفق الأبيض الصافي ، مجموعة من السفن وناقلات النفط بدت من بعيد وهي تنساب ببطء في مياه الخليج.. أشجار جوز الهند ترصع الحديقة المطلة على الشاطئ الرملي. رائحة البحر مختلطة برائحة أشجار الليمون. تتنفس بعمق وهي تقف مشدوهة" (الغفلي ، 2009 ، صفحة 211) هذا التماهي مع هدوء البحر وجمال المكان جعل الهدوء يسري في نفس "لطيفة" لتشعر بالراحة فتتذكر ماضيها والسجن الذي كانت مأسورة فيه ، وهي راضخة قانعة تقول مخاطبة صديقتها:

"-هل تعلمين يا حمدة بأني عشت السنوات الماضية حياة معلبة ليس فيها متنفس؟ هل تصورت مدى صعوبة أن تصحي وتنامي وأنت لا ترين الخارج؟ لا تتنفسين هواء خارجيا. محبوسة بين أربعة جدران. هل تصورت مدى الملل والضيق الذي كنت أحسه وأعانيه وأنا محبوسة بين أربعة جدران وحراس ناس غلاظ قساة القلوب لا يأبهون لحالي" (الغفلي ، 2009 ، صفحة 212).

كانت لطيفة تدرك أنها محرومة من التجوال ، وتغيير الجو في ذلك المنزل المظلم ، لكنها كانت قانطة يائسة من كل ما هو جميل ، إلا أن الله كافأها على صبرها وقوة إيمانها ، تقول: "كنت أحن لرؤية مساحات خضراء ، كنت أحن للمشي على الرمال ، كنت أحن لرؤية زرقة البحر كما هي الآن. لا أعلم كيف تحملت كلّ ذلك ، لا أعلم. الحمد لله أن تلك السنوات انقضت بغير رجعة ، الحمد لله أنني انعتقت من ذل عبوديتي لتلك العائلة البائسة.." (الغفلي ، 2009 ، صفحة 212)

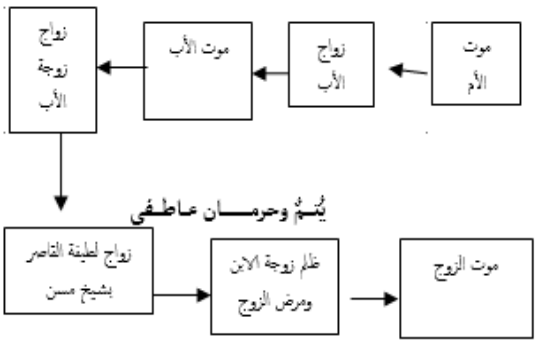
فقد الزوج والمأوى-نهاية ويأس

يتوالى مسلسل الفقد في حياة "لطيفة" حيث توفي زوجها في مستشفى لندن ، وهي معه وحيدة بعد سفر ابنه وأسرته بعد تفجيرات أمريكا 2011. فتحزن لوفاته حزنا عميقا ، حيث رافقته مدة عشر سنوات ، كانت فيها نعم الرفيقة والزوجة المطيعة. ينقل جثمان الفقيد إلى الإمارات ، أين يقام العزاء في منزل والد "شيخة" ، في حين تهمش "لطيفة" وتقابل بالجحود والنكران ، بل وتطرد من منزلها الذي أوصى به زوجها ابنه "عبد الله" أن يسجله على اسمها مع مبلغ من المال ، لكن لم ينفذ وصيته.

تتوالى الصدمات تباعا على البطلة لتجد نفسها دون مأوى ، فتفكر في بيع الذهب الذي اشترته لها "نورة" كمهر فتصدم أنه مغشوش ومزيف. فتلجأ للإقامة مؤقتا في مطبخ جارتها "أم مُحَمَّد" الغائبة لأنها في البقاع المقدسة ، لكن جاراتها يتهمنها بارتكاب الفاحشة مع الحارس "عبد السلام" فتُجرّ إلى السجن ضعيفة وذليلة. بعدها تثبت براءتها ، وتخرج من السجن متجهة إلى "دبي" أين تقيم صديقتها "حمدة" ، فهي ملاذها الأخير والوحيد. وتستقبلها استقبالا حارا ، وتعرض عليها أن تقيم معها ، بعد وفاة أمها.

كانت السلطة الصارمة التي مارست ضغطها على لطيفة في الرواية هي الأنثى متمثلة في شخصيتي "نورة" و"شيخة" ، فالمرأة هي من قمعت حريتها ، وسلبتها حقوقها في تقرير مصيرها ، أو امتلاك ميراثها ، ليكون صوت السلطة الذكورية في هذه الرواية خافت ، بل وعاجز على اتخاذ القرارات وذلك مثل الشيخ أبو عبد الله وابنه.

ويمكن أن نلخص مستويات الفقد لدى البطلة في الخطاطة الآتية:



تأسست متواليات الفقد لدى البطلة "لطيفة" من خلال البرنامج السردي للرواية بفقدانها للأم (موضوع القيمة)، وتعويضها بزوجة الأب القاسية التي رفضت القيام بنفس الدور ، وحرمت الفتاة اليتيمة من الحنان والحب بعد وفاة أمها أولا ، ثم بعد وفاة والدها ثانيا ، وذلك بزواجها وتزويجها. حيث عاشت البطلة في أسرتين ؛ الأسرة الأولى منزل والديها الذي ولدت وعاشت فيه حياة مستقرة سعيدة ، ثم تغيّر حالها بعد فقدان الأم وتعويضها بالأم البديلة. وكانت لطيفة راضية بهذه الحياة رغم قسوتها. أما الأسرة الثانية وهي أسرة زوجها ، وقد وسمها خضوع البطلة للواقع رغم حزنها وألمها وعدم رضاها بهذه المعيشة. التي انتهت بوفاة زوجها.

"فحسب وجهة نظر الرواية على الولد اليتيم أن يعيش يتمه ، ويتقبل نتائجه ويعيه كمرحلة ضرورية لبناء شخصيته. عليه أن يعيش الحرمان العاطفي والتهميش الذي على "البطل الملحمي" أن يحياه في مستهل حياته ، وذلك لكي يأخذ فيما بعد البعد الملحمي للبطولة عمقه وزخمه وقيمه الاستعراضية وهالته النابعة من الانتقال من وضع الحرمان والصغار والإهانة إلى وضعية الانتصار والتجلي في أبهى صورة" (بورايو ، 1995 ، صفحة 91)، فهل استطاعت البطلة لطيفة أن تتجلى في أبهى صورة بعد وفاة زوجها وتشردها دون مال ودون مأوى ؟

2-مستوى الامتلاك والتخلص من لعنة سوء الحظ

يعد الامتلاك بعد الفقدان نعمة يحس بحلاوتها كل إنسان عانى ويلات الحرمان كبطلة الرواية ، التي بدأ مسلسل الفقد ينتهي عندها لتتوج بإكليل النصر والفرج ، لهذا "فإن كل المشاعر أضحت شكلا من أشكال الاغتراب الذي تم تعويضه بمشاعر الامتلاك" (Marks ، 1929 ، صفحة 28)

لجأت "لطيفة" إلى "حمدة" بعد انقطاع كل السبل أمامها ، فعرضت عليها البقاء معها ، وكذلك "أم مُحَمَّد" بعد عودتها من البقاع المقدسة ، اتصلت بـ"لطيفة" وفتحت أمامها أبواب منزلها لأنها تعتبرها كابنة لها ، فكانت أُمّا بديلة ، وعبرها تم استرداد موضوع القيمة (الأم الميتة). لكن "لطيفة" قررت أن تواجه واقعها وأن تبحث عن منزل والدها.

التقت "لطيفة" أثناء رحلتها لتحقيق ذاتها بالخادمة "أم بلال" التي أكدت لها أنها تعاني من نحس بسبب وجود شامة في ظهرها ، وهي سبب كل معاناتها وفقدها لسعادتها ، وطلبت منها أن تسمح لها بحرقها ، حتى تتخلص من لعنة سوء الطالع التي تلاحقها ، وبعد إلحاح منها قبلت لطيفة بذلك:

"أنظري حمدة: أترين هذه الدائرة في ظهر لطيفة ؟

كانت هناك دائرة من الشعر ملتفة بعضها على بعض...

-قالت حمدة:

نعم ، صحيح هذا. كانت أمي تخبرني أن هذه علامة شؤم يطلق عليها اسم...نسيت ، ماذا يطلق عليها أم بلال ؟

قالت أم بلال:

هذه ناسفة

قالت لطيفة بدهشة:

ماذا تعني ناسفة؟

قالت أم بلال:

هي مثل القنبلة الناسفة، تنسف كل شيء: المال والأولاد والأهل والزوج. لا تترك شيئا، ويجب التخلص منها." (الغفلي، 2009، صفحة 194)

قامت "أم بلال" بحرق الناسفة في ظهر لطيفة بالفحم لإزالة النحس. وهي أحد المعتقدات الشعبية في المجتمع الإماراتي، وفعلا بعد هذه الطقوس تغير حالها وانفرج إلى الأحسن لأنها قررت المواجهة لتغيير قدرها، ليتحول الحال من الافتقاد إلى الامتلاك.

1-الامتلاك المادي

استطاعت البطلة "لطيفة" بمساعدة صديقتها "حمده" العثور على منزل والدها، لكنها وجدته مؤجّرا للهنود، فاتصلت بجاراتها القدامى "أم راشد" ثم "أم حميد"، لتعلم أن زوجة والدها "نورة" قد أصيبت بمرض خبيث بعد وفاة زوجها، وأن والديها قد تركا لها ميراثا ضخما. لتقرر ذرأ الخوف والذهاب لزيارة زوجة أبيها، فوجدتها في حالة مزرية، لا تنقطع عن الصراخ بسبب الألم، فسامحتها وعرضت على الممرضة مساعدتها بعد أن قدمت لها مالا. بعدها اقتنت منزلا فخما وسيارة من آخر طراز. وقررت أن تزور "أم مُحَمَّد" لتوفيها حقها من الهدايا، لأنها كانت كريمة معها في محنتها.

تفاجأت جارات "أم مُحَمَّد" بفخامة السيارة والهدايا، وأصابهن الفضول للتعرف على صاحب هذا العز والمال، فصعقن عندما علمن أن كل هذا الجاه ملك للطيفة، فحاولن التقرب منها، لكنها رفضت استقبالهن بسبب الأذى الذي سببنه لها، واتجهت نحو غرفة استقبال الرجال في بيت "أم مُحَمَّد" كونها كانت فارغة، لتأخذ إغفاءة بعد غذاء دسم. لتستلقي على الكنبة وهي تحلم بفتى أحلامها.

2-الامتلاك المعنوي

امتلكت "لطيفة" في رحلتها الشائكة، قلوب أناس كانوا ملاذا لها من قسوة الواقع، وعدم إنصافه لها. كأم مُحَمَّد وزوجها، وكذلك "حمدة"، إضافة إلى هذا كان حلما جميلا يواسيها، ويدفعها للمواصلة عندما تفكر فيه قبل نومها، أو لحظة عزلتها لتبتسم وتغفو. "ذلك أن التركيب الحلمي الفعلي هو تركيب عميق ينصهر فيه الكائن بواقع كوني" (Biguin, 1967, p. 140) فقد كان خيال فتى الصدف حاضرا في ذهنها، وقد حلمت به في منزل "أم مُحَمَّد" قبل أن تغفو تقول: "رويدا رويدا بدأت أفكار جميلة تتسلل لها، تداعب خيالها بصور ذلك الخيال الباهت الذي ما فتئ يتغذى بالشوق لتلك العيون. لشبح يتسلل لها كلما اختلت بنفسها. تفكر فيه ... فجأة وهي بين اليقظة والمنام أحست بشيء ما. ربما خطوات، داهمها خوف، وكأنها مراقبة. من يراقبها؟ لم تحس بنفسها. فجأة انتبهت على خيال يقف أمامها محدقا بها ببلاهة. تعتدل في مكانها تسحب شيلتها تغطي شعرها المكشوف. تنظر للعينين المحدقتين فيها تراقبها باندهاش واستغراب..." (الغفلي، 2009، الصفحات 262-263)

جعل هذا المشهد "لطيفة" تعتقد أنها لاتزال تحلم، وأنها لم تستيقظ بعد و"مُحَمَّد" كذلك، حيث قال لها: "آخر مكان كنت أتوقع أن أجدك فيه هنا. ماذا تفعلين هنا؟ يا لها من صدف!! أليس كذلك؟ لكن بربك أخبريني من أنت وماذا تفعلين هنا؟ أي صدفة هذه التي ساقتك إلي وللمرة الرابعة. هذه هي المرة الرابعة؟ التي ألتقي بك كالعادة، صدفة." (الغفلي، 2009، صفحة 264).

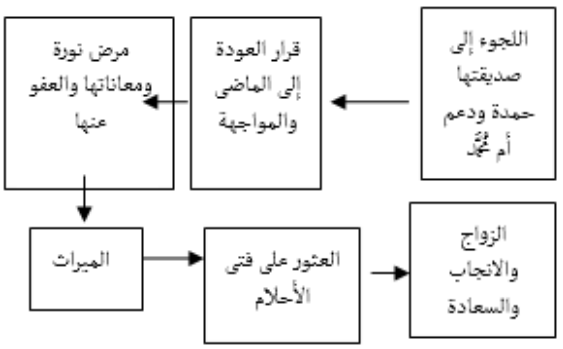
أحسّت "لطيفة" بالخجل، وأخذت ترتجف محاولة الهروب من المجلس باتجاه الحوش الواسع: "انسلت من تحت يديه وأزاحته من طريقها، وهي تحاول الخروج في تلك اللحظة جادت السماء بغيث منهمر، دموع ماسية أخذت بالتساقط عليها امتزجت معها بملابسها الحمراء، بدت كحورية، ملاك يقف أمامه، ليس هناك من مساحيق تسيح مع المطر. جمال رباني...أمسك يدها بقوة، تشبث بها برجاء قائلا: تبدين كبنت المطر. يغالب ابتسامة على وجهه قائلا: أنت بحق كبنت المطر التي تخرج من مخبئها فجأة. حتى وجهك أحمر كما هو حال ملابسك الحمراء. من أنت؟" (الغفلي، 2009، صفحة 265)

و"مُحَمَّد" هو ابن أخ الشيخ "أبو مُحَمَّد" وطليق "مريم" التي كانت سببا في تعرفه على فتاة أحلامه بعد مشاجرتهما أمام المدرسة. وقد كانت "لطيفة" المرأة التي اقترحتها " أم مُحَمَّد" وزوجها عليه منذ فترة، وأبدعا في وصف خصالها وجمالها، هي نفسها فتاة الصدف التي أحبها "مُحَمَّد" وهام بها دون أن يحدثها. وقد رفض طلبهما وامتنع لانشغال قلبه بحب

فتاة أحلامه، فقد كان خائفا أن يدخل في علاقة فاشلة كزواجه الأول من ابنة خالته "مريم" الذي انتهى بالطلاق. ونظرا لشفقته على شخص "لطيفة" فقد اقترح على "أم مُحَمَّد" مساعدتها، وبعد إلحاح منهما قبل عن مضض، بعد أن يأس من لقاء بنت المطر يقول: "فتاة الصدف سأتركها جانبا لأني لا أستطيع رفض طلب لك ولعمي" (الغفلي، 2009، صفحة 257)

ليكتشف أن لطيفة هي فتاة أحلامه التي عشقتها روحه، وتيّمه حبها دون أن يكلمها "فالمرأة الجميلة التي يمكن أن تجتذب الرجل العربي وتثيره هي امرأة صامتة" (المرنيسي، 1985، صفحة 87). وقد كان لجمال لطيفة وجاذبيتها سحر أسر "محمد" وسلب لبّه ليتم اللقاء والزواج وثم الإنجاب.

ليتحقق الامتلاك: امتلاك العائلة والأصدقاء، وامتلاك رجل الأحلام، وامتلاك الأطفال وبالتالي امتلاك السعادة الأبدية. التي يمكن توصيفها عبر هذا المخطط:



استطاعت البطلة "لطيفة" أن تغير سوء طالعها، ليتحول مسار حياتها من مستوى الافتقاد إلى مستوى الامتلاك، و"إننا نعرف الآن أن الوعي هو وعي بشيء ما، وأن الإنسان ...يتحدد بعلاقاته، وبطريقته في إدراك العالم، وإدراك نفسه إزاء العالم، وأسلوب العلاقة التي توحده بالأشياء، وبغيره من الناس وبنفسه" (Richard، 1955، صفحة 9)، فبعد قرارها بمواجهة ماضيها والتنقيب عن أهلها استطاعت أن تحقق ذاتها، فعثرت على زوجة والدها "نورة" سبب ألمها وشقائها مريضة ذليلة، لتدرك أن الزمن كفيل بتصفية الحسابات وتضميد الجراح، لتمنحها عفوها وتمضي في إعادة بناء حياتها من جديد بكل حب وتفاؤل.

خاتمة

تعد رواية بنت المطر رواية إماراتية تقليدية في حبكتها وشخصياتها، وتطور أحداثها. وقد تناصت شخصية البطلة مع القصة العالمية "سندرلا"، التي عانت من ويلات زوجة الأب، وانتهى بها المطاف زوجة للأمير.

حافظت الكاتبة "مريم الغفلي" في سردها على تقاليد المجتمع الإماراتي، ولم تجرأ على خدش حيائه، فصورت "لطيفة" خاضعة مسلّمة لواقعها الذي فرض عليها بزواجها، وبالمقابل خاضت في قلب التقليد حول علاقة الرجل بالمرأة، فكانت البطلة تتبادل النظرات والإعجاب مع الشاب محمد رغم أنها متزوجة من الشيخ، لتكون هذه العلاقة فيما بعد محورا هاما لإثارة الانقسام الدرامي في الرواية.

كانت شخصية البطلة شخصية واقعية، سلبية نوعا ما، ومسلوبة للإرادة، شخصيتها خاضعة ومستسلمة لتقاليد المجتمع الإماراتي، ومنفذة لأوامر من أطراف مختلفة.

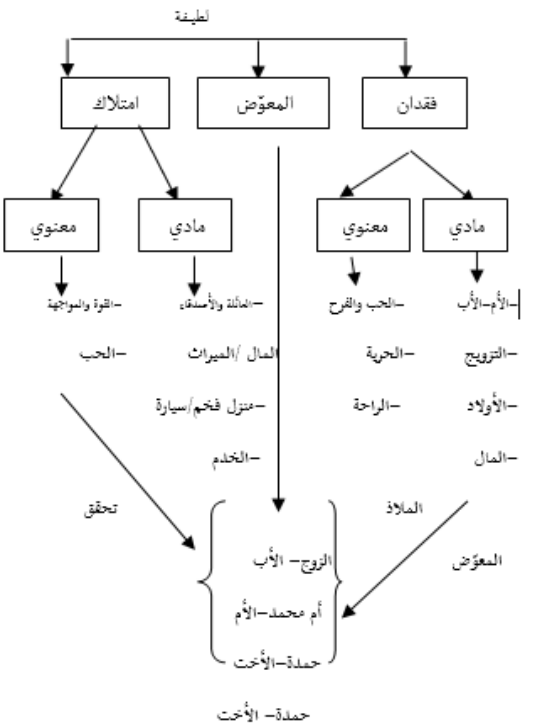
كما كانت مؤمنة بقضاء الله وقدره، حيث سلمت أمرها لبارئها في مواقف مختلفة من حياتها.

فلطيفة هي "نموذج للبطل الدرامي المحطم الذي تهزمه تقاليد الأسرة وقيمها، وقوانينها ليس لضعفه أو انقياده لها، وإنما لتطلعه الشديد للفردية لدرجة يصبح فيها هذا التطلع أرضا خصبة لجميع التقلبات الرومانسية التي يخوضها البطل" (غلوم، 1986، الصفحات 133-134)، لتكون البطلة تجسيدا لهاجس مأساوي تستدعيه المشاعر الإنسانية، وهو زواجها بشيخ مريض، كان هو العائق الحائل أمام سعادتها، وبالرغم من هذا كانت تشفق وتعطف عليه، فأظهرت استعدادها الواعي بأن تكون ضحية. ليصبح موت الشيخ ضرورة من أجل التغيير في البناء السردي للرواية، ليكون موت الشيخ ميلاد جديد للطيفة.

توقعتُ خلال تتبعي لسرد أحداث الرواية وتطوره ؛ أن البطلة ستحدث الفارق والتغيير لواقعها بشهادتها العلمية، لكن للأسف لاحظنا أن الدراسة كانت سببا وحجة فقط لخروج لطيفة من المنزل، وبالتالي لقاء فارس أحلامها. وكان الميراث هو المنعرج الحاسم في حياة "لطيفة". وهو ربح ليس للطيفة دخل في تحصيله. لتختتم الرواية بالزواج وهو نفس المشهد الذي افتتحت به، لكن الفرق أن الزواج الأول كان

فاشلا لعدم وجود الرغبة ، والانجذاب ، والحب وكذا التكافؤ بين العريسين. في حين كان الثاني بمثابة تحقق الحلم ، زواجا ناجحا لتحقق الرغبة والانجذاب.

عانت البطلة "لطيفة" عبر تطور المسار السردي للرواية من افتقاد وامتلاك يمكن أن نختصره في الترسيمة التالية:



مستوى الافتقاد والامتلاك في رواية بنت المطر

عبرت لطيفة أمكنة متعددة من دبي إلى أبو ظبي إلى انجلترا ، لتعود في نهاية المطاف إلى مسقط رأسها إلى بيت والدها ، لتبدأ حياتها من جديد ، وكأنها طائر العنقاء بعثت من جديد من رحم المعاناة والرماد.

ونستنتج أن رواية "بنت المطر" للروائية "مريم الغفلي" قد قدمت صورة نمطية عن المرأة في المجتمع الخليجي وهي:

- المجتمع الإماراتي مجتمع محافظ متشبث بالقيم الروحية وتعاليم الدين الإسلامي
- الزواج المبكر والإكراه عليه ، وعدم مشاورة الفتاة.
- الجهل والفساد من خلال أخلاق "نورة وشيخة والجارات"
- انتشار طقوس السحر والتطير كما عند "شيخة" و"أم بلال".
- سلطة المرأة على الرجل من خلال نموذجي "نورة" و"شيخة" زوجة عبد الله ، فقد كانتا المسيطرتين والمحركتين للأحداث بقراراتهما.
- تشجيع تعليم المرأة ، وإن كانت متزوجة كما في نموذج "لطيفة ومريم وزميلاتهما في الصف"
- نظرة المجتمع السلبية للمرأة المتعلمة كما في نموذج "حمدة "
- المرأة المتعلمة والمثقفة ذات شخصية قوية ، محافظة تقول حمدة: "نشأتُ مدلّلة في عائلة منفتحة
- نوعا ما على التعليم والحرية للفتاة. ذهبت إلى مصر للدراسة وعدت منها أكثر نضجا ووعيا ، لكني كنت ملتزمة طوال حياتي في الغربة. كنت قد وضعت لنفسي خطوطا حمراء لا يمكن أن أتجاوزها. كان همي إنهاء دراستي فقط" (الغفلي ، 2009 ، صفحة 124)
- انتشار ظاهرة الطلاق لأسباب مختلفة كنموذج "حمدة" و"مريم"
- العقم وعدم الإنجاب وصبر الزوجين ومواصلتهما للحياة معا كنموذج أم مُحَمَّد وزوجها
- تماسك المجتمع الخليجي والحفاظ على صلة الرحم

كل هذه النقاط هي امتلاك وافتقاد ، جسدتها الروائية الإمارتية "مريم الغفلي" في روايتها "بنت المطر" عبر شخصية البطلة "لطيفة" وشخصيات أنثوية بعضها ملتزم وبعضها الآخر نموذج سيء. إضافة إلى شخصيات ذكورية أغلبها كان خاضعا تابعا للمرأة المتسلطة مطيعا لها. وشخصيات برغم اختلاف أدوارها والقيم التي دافعت عنها ، كانت مسببا لحصول الافتقاد ، وكذلك تحقق الامتلاك في شقيه الإيجابي والسلبي.

الهوامش

-البستاني ، بشرى. (2002)، قراءات في الشعر العربي الحديث ، دار الكتاب العربي ، ط1 ، بيروت لبنان

-بورايو ، عبد الحميد. (1995) "تحليل خطاب الحكاية الشعبية مقاربة منهجية" ، أعمال ملتقى السيميائية والنص الأدبي ، جامعة باجي مختار عنابة ، الجزائر

- بن مسعود ، رشيدة. (2006)، زمن الخيبة والحلم في عام الفيل ، ملتقى الكتابة النسائية التخييل والتلقي ، منشورات اتحاد كتاب المغرب ، ط1 ، الرباط ، المغرب.

- البيل ، فارس. (2016)، الرواية الخليجية قراءة في الأنساق الثقافية ، شركة دار الأكاديميون ، ط1 ، عمان ، الأردن

- سبيلا ، مُحَمَّد. بن عبد العالي ، عبد السلام. (2009)، الحداثة الفلسفية ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، ط1 بيروت ، لبنان

-عصار ، خير الله. (2008)، مقدمة لعلم النفس الأدبي ، منشورات بونة ، ط1 ، عنابة ، الجزائر

-عيد ، يمنى. (2011)، الرواية العربية ، المتخيل وبنيته الفنية ، دار الفارابي ، بيروت

- الغدامي ، عبد الله. (1996)، المرأة واللغة ، المركز الثقافي العربي ، المغرب

-الغفلي ، مريم. (2009)، بنت المطر ، دار الحوار ، ط1 ، سوريا

-غلوم ، ابراهيم عبد الله.1986، المسرح والتغير الاجتماعي في الخليج العربي ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت

- المرنيسي ، فاطمة ، (1985)، "واقع المرأة العربية" ، مجلة الوحدة ، ع9 ، جوان.

-Bachelard, Gaston. (1991), L'eau et les rêves, essai sur l'imagination de la matière, José corti

Biguin, Albert. (1967), L'âme romantique et le rêve, essai sur le romantique Allemand et la poésie Française, José corti, Paris

-Marks, Karl. (1929), Notes sur communisme et la propriété privée, in la revue Marxiste 1

-Richard, Jean Pierre. (1955), Poésie et profondeur, éd du Seuil, Paris.

دور حملات التوعية المرورية في نشر ثقافة السلامة المرورية –دراسة ميدانية على عينة من شباب بولاية سطيف–

The Role of traffic awareness campaigns in spreading the traffic culture A field study on a sample of youth in Setif Town

تاريخ الإرسال: 2018-07-14 تاريخ القبول: 2020-12-22

إيمان هاجر مقيدش، جامعة الجزائر، mimenehadjer@yahoo.com

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة تسليط الضوء على دور حملات التوعية المرورية في نشر ثقافة السلامة المرورية ، الهادفة إلى خلق الوعي بقواعد المرور لدى الشباب السائقين ، وذلك من خلال التركيز على واقع تطبيق هذه الحملات الذي يواجه إشكاليات تتعلق بالنسق الاجتماعي الذي نعيشه. وبناء على ذلك تم استخدام المنهج الوصفي للوصول إلى النتائج المرجوة ، إذ قمنا بتوزيع استبيان على عينة عشوائية من الشباب السائقين بولاية سطيف ، حيث قدرت عينة الدراسة ب 150 مفردة وذلك للحصول على تصور كامل ودقيق في موضوع البحث ، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها دراستنا: أن أغلب حملات التوعية المرورية لا تساهم بدرجة كبيرة في تغيير السلوكيات المرورية السلبية لدى الشباب السائقين بولاية سطيف.

الكلمات المفاتيح: حملات التوعية المرورية ، الوعي المروري ، حوادث المرور ، السلامة المرورية.

Résumé

L'objectif de Cette étude est de mettre en exergue le rôle des campagnes de sensibilisation routière en vue de sensibiliser les jeunes conducteurs et ce, en mettant l'accent sur la réalité de l'application de ces campagnes souvent confrontées à des problèmes sociaux liés au contexte dans lequel nous vivons.

À cet effet, la méthode descriptive a été utilisée pour atteindre les résultats de l'étude. Nous avons distribué un questionnaire sur un échantillon aléatoire estimé à 150 jeunes conducteurs de Sétif. L'un des résultats les plus probants de notre étude est que la plupart des campagnes de sensibilisation routière ne contribuent pas de manière significative à modifier les comportements négatifs chez les jeunes conducteurs à Sétif.

Mots-clés : *Les Campagnes de sensibilisation - la conscience Routière – Les Accidents de la route –La Sécurité routière.*

Abstract

This study aims to shed light on the role of traffic awareness campaigns in promoting a culture of traffic safety which aims at creating an awareness of the traffic rules which targets young drivers, by focusing on the reality of these campaigns which face social problems.

Accordingly, the descriptive methods were used to reach the results of the study. We distributed a questionnaire to a random sample of young drivers in Sétif. The sample was estimated to be 150 Person. One of the most important findings of our study is that: most traffic awareness campaigns do not contribute significantly to changing the negative behaviors among young drivers in Sétif.

Keywords : *Awareness campaigns, ؛ Traffic awareness, Roads Accidents, traffic Safety.*

مقدمة

إن نشر ثقافة مرورية وقائية يعد من بين أهم المطالب التي تسعى الدولة الجزائرية لتحقيقها، وبرغم المجهودات المبذولة من طرف الجهات المعنية بالمنظومة المرورية، إلا أن حوادث المرور لا تزال في ارتفاع مستمر، وهو ما تؤكده الإحصائيات الرسمية للمركز الوطني للوقاية والأمن عبر الطرق التي تشير إلى أن "العامل البشري هو المتسبب الرئيسي لحوادث المرور في الجزائر بنسبة 97%، والأخطر من ذلك تعد فئة الشباب أكثر الفئات تضررا وتعرضا لحوادث المرور" (المركز الوطني للوقاية والأمن عبر الطرق ،2019، ص ص 10-22).

والمسألة المرورية من المسائل الهامة والحيوية في حياتنا اليوم نظرا لما تتركه من آثار اجتماعية، واقتصادية، وأمنية، بالرغم من وجود برامج وحملات إعلامية توعوية متواصلة عبر مختلف وسائل الإعلام الساعية إلى ترسيخ الوعي المروري، الذي يشكل نوعا من الثقافة تدعى: بالثقافة المرورية التي تساهم بشكل كبير في التقليل من حوادث المرور، إلا أن المشكلة المرورية تعدّ مشكلة سلوكية بالدرجة الأولى ترتبط ارتباطا وثيقا بقيم الشباب السائقين، واتجاهاتهم ودرجة ادراكهم، واهتمامهم بالمواضيع التي تقدمها حملات التوعية المرورية الهادفة إلى تغيير السلوكيات المرورية السلبية.

إشكالية الدراسة وتساؤلاتها

لقد أصبح الوعي المروري في المجتمع الجزائري، يمثل مطلبا ودعامة هامة للوقاية من حوادث المرور، إذ يتزايد الاهتمام بالحملات التحسيسية الخاصة بالتوعية المرورية، التي أصبحت تشكل ملمحا أساسيا في سبيل ترسيخ الوعي المروري، الذي يشكل بذلك ثقافة مرورية تساهم في توفير قواعد السلامة المرورية، وبطبيعة الحال يسعى الفاعلون الاجتماعيون (وسائل الإعلام، الأجهزة الأمنية، المدارس، المساجد، الأسر، منظمات المجتمع المدني وغيرها....) إلى محاولة ترسيخ وتشكيل قواعد السلامة المرورية لدى كل الشرائح الاجتماعية.

لكن الملاحظ أنه وبرغم من تطوير الاستراتيجيات وتنفيد برامج الحملات التوعوية في الجزائر من طرف الجهات المختصة، الهادفة إلى تثبيت الاتجاهات المرورية السليمة لدى فئة السائقين الشباب من حيث؛ الإلمام بقواعد المرور وآدابه وأنظمته، واتخاذها أنساقا فكرية وسلوكيات مرورية، إلا أن المشكلة المرورية، وتكاليفها، وآثارها الاجتماعية، والاقتصادية لم تنخفض بل إنها مستمرة، ومرتفعة نظرا للإحصائيات الرسمية التي تؤكد ارتفاع هذه الأزمة التي لاتزال تحصد أرواح الجزائريين حيث خلفت 3639 قتيل و36287 جريح و25038 حادث مروري خلال سنة 2019 حسب الإحصائيات الرسمية للمركز الوطني للوقاية والأمن عبر الطرق (المركز الوطني، نفس المرجع، ص ص 2-4-6).

وهذا كله يدفعنا إلى التساؤل عن هذه الظاهرة، كمحاولة للوقوف على واقع هذه البرامج، وحملات التوعية المرورية في الجزائر، ومدى مساهمتها في ترسيخ الثقافة المرورية لدى السائقين الشباب بولاية سطيف لهذا السبب ارتأينا طرح السؤال الرئيسي الآتي:

– ما مدى مساهمة حملات التوعية المرورية في نشر الثقافة المرورية لدى الشباب السائقين بولاية سطيف؟

وقد ترتب عن هذا السؤال الرئيسي مجموعة من التساؤلات الفرعية:

– ماهي وسائل الاتصال المستخدمة في ترسيخ الثقافة المرورية لدى الشباب السائقين بولاية سطيف؟

– ما هو الدور الذي تلعبه الأجهزة المعنية في نشر وترسيخ الوعي المروري لدى الشباب السائقين؟

تحديد مفاهيم الدراسة

❖ **الوعي المروري**

الوعي لغة: بمعنى حفظ قلب الشيء، وحفظ الحديث يعني وعيه، وأوعاه أي؛ حفظه، وفهمه، وقبله، وفلان أوعى عن فلان؛ أحفظ وأفهم. (الخلف، حامد، 2005، ص19).

ويعرّف الوعي المروري بأنه: "الإلمام بالمعلومات الأساسية مرتبطة بمواقف يتعرض لها المشاة أو السائقون أثناء السير أو في المواقف الطارئة أو في الحوادث". (السليماني، 1997، ص 24).

ويعرف برنامج الوعي المروري بأنه: جهد الشرطة نحو جعل المواطن يطبق تعليمات المرور والذي يتضمن مايلي: (المركز الوطني، 1995، ص 15).

* التعرف على مشاكل وأخطار المرور.

*إعطاء التفسير القانوني للمواقع التي تكثر فيها الحوادث.

*تعزيز النشاطات وتقديم الخدمات في الأماكن الأهلة بالسكان.

*إبراز قيمة الحيطة والحذر بشكل أكبر في كل الظروف من أجل قيادة ومشاة بلا حوادث.

*نشر قواعد المعرفة المرورية وأسس السلوك البشري حسب أوضاع حركة المرور.

❖ **حملات التوعية المرورية**

هي: "تلك الأنشطة المختلفة التي تهدف إلى تذكير مستعملي الطريق بالأخطار التي تشكلها بعض السلوكيات المخالفة لقواعد السلامة المرورية، والتي غالبا ما تؤدي إلى وقوع حوادث مرورية مأساوية تهدف الحملات إلى التنبيه والإرشاد إلى اعتماد السليم أثناء السياقة، ومحاولة الإقناع لعدم ارتكاب الأخطاء المرورية حفاظا على سلامة كل مستعملي الطريق" (بوطالبي ،2006، ص14).

"هي برنامج إداري وإعلامي يستهدف ابراز نشاط منظم ومخطط لجهة ما يستهدف نشر الوعي المروري أو تعديل سلوك مستخدمي الطريق المركبة" (ميرزا، 2007، ص 04).

يمكن القول إن حملات التوعية المرورية هي "تلك الأنشطة، والجهود التي تقوم بها وسائل الإعلام سواء كانت مكتوبة، أو مرئية، أو مسموعة، من أجل تنبيه وإرشاد الشباب بمخاطر حوادث المرور، والأضرار الناجمة عنها بهدف نشر الوعي المروري لديهم، وإقناعهم بضرورة احترام القوانين أثناء السياقة حفاظا على سلامة الشباب السائقين، والمشاة على حد سواء".

❖ **حوادث المرور**

لغة: الحادث: ويعود أصل كلمة حادث مرور إلى اللغة اللاتينية (Accident) وتعني كل ما يأتي لتحطيم مجرى الحياة المنظمة (فريج، 1993، ص07).

اصطلاحا: يُعرّف حادث المرور على أنه: "الفعل الخاطئ الذي يصدر دون قصد سابق أو عمد، وينجم عنه ضرر سواء أكان وفاة أو إصابة بسبب استخدام المركبة أثناء حركتها على الطريق العام". (السيد عبد المعطي ،2008، ص 08).

يعرفه كامل مُحَمَّد عويضة على أنه: "كل حادث غير متوقع وفجائي، يؤدي إلى أخطار وأضرار كالإصابات والموت" (عويضة كامل، 1996، ص124).

يمكن القول أن حوادث المرور هي عملية اصطدام بين مركبة وشيء آخر قد تكون مركبة أخرى، أو أشخاص أو حيوانات، أو حواجز وقد ينجم عن هذه الحوادث خسائر مادية وبشرية مما يترتب عنها مخالفة، أو عقوبة مالية، أو جزائية بحق المتسبب في حادث المرور.

❖ **السلامة المرورية**

السلامة المرورية هي مجموعة من الإجراءات تهدف لتأمين السلامة في مفهومها الواسع لمستخدمي الطريق (سائق، راجل، راكب)

وتذهب بعض التعريفات الأخرى للسلامة المرورية إلى أنها مجموعة إجراءات تهدف لتقليص أو تخفيف أخطار حوادث الطرقات ومن ثم تحقيق تراجع في نسبها ومخلفاتها. (العجمي، 2014، ص12)

➢ **منهج الدراسة**

إن هذه الدارسة هي من الدراسات الوصفية التي تستهدف تقرير خصائص معينة لمشكلة معينة ودراسة الظروف المحيطة بها، أي كشف الحقائق الراهنة المتعلقة بظاهرة، موقف، أو مجموعة من الأفراد مع تسجيل دلالاتها، وخصائصها وتصنيفاتها، وكشف ارتباطها وتغيرات أخرى بهدف وصف هذه الظاهرة وصفا دقيقا شاملا من كافة جوانبها، ولفت النظر إلى أبعادها المختلفة. (عبد الله، 2011، ص174).

يعـــد المنهج الوصفي من أنسب المناهج العلمية للدارسات الوصفية والذي يستهـدف وصـف وتحليل المحيط العام للمؤسسة محل الدراسة، والذي يعرف على أنه أحد الأشكال الخاصة بجمع المعلومات عن حالة الأفراد وسلوكهم وإدراكهم، ومشاعرهـم، واتجاهاتهم الرئيســي والمعياري لجميع المعلومات ويسمح بدراسة عدد كبير من المتغيرات في وقت واحد إذا ما تعلق الأمر بدارسة جمهور وسائل الإعلام (عبد الحميد، 2000، ص159).

وبعد فحص وتحليل موضوع الدراسة استخلصنا إلى أن أنسب المناهج التي يمكن الاعتماد عليها في إطار هذه الدراسة الوصفية هو منهج المسح بالعينة.

➢ **مجالات الدراسة**

يعدّ مجال الدراسة خطوة أساسية في البناء المنهجي لأي بحث علمي لأنه يؤطر الدراسة في قالب يسمح لنا بالتحكم في كل خطوات البحث، ويمكن أن نميز في مجال الدراسة ثلاثة أنواع من المجالات:

2**المجال المكاني:** ويقصد به مكان إجراء الدراسة الميدانية، لذا فقد تم اختيار المجال الجغرافي للدراسة بولاية سطيف.

3**المجال الزماني:** استغرقت الدراسة الميدانية حوالي شهرين تقريبا بين شهر ماي وجوان 2018.

4**المجال البشري وعينة الدراسة:** إن مجتمع البحث في لغة العلوم الإنسانية هو مجموعة متناهية أو غير متناهية من العناصر المحددة مسبقا والتي ترتكز الملاحظات عنها ... وهو مجموعة عناصر لها خاصية أو عدة خصائص مشتركة تميزها عن غيرها من العناصر الأخرى والتي يجرى عليها البحث أو التقصي. (أنجرس ، تر: ماضي ، 2006 ، ص298).

ونظرا لكبر حجم مجتمع البحث ، واستحالة إجراء الدراسة على كافة أفراد المجتمع ، وتعقد حركة المرور ، واتساع عدد السيارات بها ، سيكون من الضروري تحديد عينة مناسبة تخدم هذه الدراسة ، لهذه الأسباب اعتمدنا على العينة العشوائية من فئة الشباب ، لأنها الفئة المستهدفة والمعنية بحوادث المرور ، كما أن مفرداتها تمثل المجتمع الأصلي تمثيلا جيدا ، وفي حدود الإمكانات المتوفرة وجدنا أن 150 مفردة (سائق) هو عدد كاف للعينة التي سنحاول من خلالها تحقيق نتائج تعبر عن حال الظاهرة بالنسبة لمجتمع الدراسة.

وفي عينة بحثنا والمتمثلة في السائقين الشباب حددنا خاصية السن ، وهي أن يكون الفرد المبحوث يملك رخصة السياقة ، وأن يكون قد قام بعملية السياقة ، لأن هناك من يملك الرخصة ولم يقد ، إضافة إلى عامل السن وهو أن يتراوح سن المبحوث ما بين 18 و40 سنة.

- **أدوات جمع البيانات**

اعتمدنا في هذه الدراسة على أداة استمارة الاستبيان بعدِّها "الوسيلة التي من خلالها تكون هناك علاقة بين الباحث والمبحوث إذ أن هدف الباحث هو الحصول على المعلومات التي يدلي بها المبحوث للباحث" (Moser, 1975, p214)

حاولنا فيها قدر الإمكان أن تكون الأسئلة ملمة وواضحة متبعين في ذلك الخطوات المنهجية المتعارف عليها في تصميم استبيان وقمنا بتوزيع الاستبيان على الشباب الذين تتراوح أعمارهم ما بين 18 إلى 40 سنة نظرا لضيق وقت الدراسة الميدانية قمنا بتصميم استبيان بحيث اشتمل على أربعة محاور وهي:

*__المحور الأول__: البيانات السوسيوغرافية

*__المحور الثاني:__ مدى مساهمة حملات التوعية المرورية في نشر الثقافة المرورية لدى الشباب السائقين.

*__المحور الثالث:__ الوسائل الاتصالية المستخدمة في ترسيخ الثقافة المرورية لدى الشباب السائقين.

*__المحور الرابع:__ مساهمة الأجهزة المعنية في نشر الوعي المروري لدى السائقين الشباب.

وقد تنوعت الأسئلة بين المغلقة والمفتوحة وترتيبها حسب أبعاد ومؤشرات الدراسة.

1. استراتيجية تصميم حملات التوعية المرورية

على الرغم من وجود اختلافات بين الباحثين حول الميكانيزمات النموذجية لإعداد حملات إعلامية إلا أن المتفق عليه هو أن تشمل بعض العناصر التي لا ينبغي إغفالها ، مهما اختلف ترتيبها ، فإن نجاح الحملات التوعية المرورية مرهون بنجاح المراحل الآتية:

1-1 تحديد المشكلة وجمع المعلومات والإحصائيات

بحيث يبدأ تحديد المشكلة بجمع المعلومات عن الوضع المحيط بالمشكلة وتمثل هذه الخطوة المدخل العلمي في التخطيط ، ويتم جمع المعلومات من مصادر مختلفة لأن توخي المعلومات المطلوبة يسهم في وضع الخطة وصياغتها على نحو محكم مع ملاحظة تحديد طبيعة المعلومات المطلوبة ومعرفة مصادرها المختلفة كالمعرفة الشخصية ، أو المصادر الأولية ، ومعرفة أساليب جمعها حتى يتم تحليلها.

وتحديد العلاقة بين المعلومات التي تتعلق بمجال التخطيط الإعلامي في المؤسسة المعنية وبين المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية ، والقانونية ، التي تحكم العمل في البلد ، وتبين حـــدود عملها. (الدليمي ، 2010 ، ص54).

1-2 تحديد أهداف الحملة الإعلامية

تعدّ هذه المرحلة من أهم مراحل الحملات الإعلامية ، وذلك لأنه يتم من خلالها تحديد العديد من العوامل والمتغيرات للحملة الإعلامية من الرسالة ، الوسيلة ، والوقت ، كما أن الهدف من الحملة هو إحداث تغيير أو تعديل في الأفكار والاتجاهات أو تغيرها لدى غالبية الجماهير وحثهم على اتخاذ مواقف إيجابية. (رضا ، عيد ،2006 ، ص 187).

1-3 تحديد الجمهور المستهدف

الجمهور هو العنصر الرئيسي في عملية الاتصال ، والذي يعمل المصممون في الحملات الإعلامية على الوصول إليه والتأثير فيه ، وأن المبدأ الأساسي في العملية الاتصالية هو (أعرف جمهورك) ومعرفة الجمهور من الأسس الهامة لنجاح الحملة الإعلامية ، لأنه إن لم تستطع أن تصل إلى الجمهور فلن تتمكن التأثير فيه.

من المعروف أن تحديد الجمهور بدقة يزيد من فاعلية الرسالة الإعلامية ، ومن الأسس الرئيسية لتصميم الحملات

الإعلاميـــة ، بحيث لا يشكل هذا الجمهور اي مقاومة أو عداء لأهداف الحملة وأفكارها بما يفرض توافقنا مع الثقافات والمعايير والقيم الاجتماعية. (البكري ، 2007 ، ص 137).

1-4 صياغة الرسالة الإعلامية

تمثل صياغة الرسالة الإعلامية عاملا آخر من العوامل التي تساهم في تأثيرها على الجمهور ، فصياغتها تخاطب العقل والفكر والخيال ، وهي غير الأسلوب الذكي في استخدام الألوان والأضواء ، والأصوات ، وبقية المؤثرات الخارجية ، إنها الطريقة التي يستخدم فيها الفكر الذي تقوم عليه الرسالة نفسها ، أو هي قالب تصاغ فيه أفكار الرسالة بطريقة منظمة من خلال الاستخدام الذكي للغة ، والترتيب المنطقي للمواقع والأحداث. قد تُعرض الرسالة الإعلامية بطريقة جذابة ومؤثرة ، لكن لو كانت صياغتها رديئة فذلك يضعف تأثيرها ، حيث إنّ هدف الحملة الإعلامية هو الترويج لقيم لها علاقة بمفهوم ما مثلا: حرية المرأة ودورها في المجتمع المسلم المحافظ ، ليس من السهولة عرض رسالة إعلامية مباشرة تدعوا المرأة إلى التمرد على القيم السائدة وتشجيعها صراحة على تبني حياة لا تحمل ضوابط العرف والأخلاق. (الحصيف ، 1988 ، ص 57).

1-5 اختيار الوسائل والقنوات الاتصالية

بعد أن يقوم القائم بالحملة بتحديد طبيعة المشكلة أو الفكرة ، وبعد أن يتعرف على الجمهور وخصائصه يلزم عليه اختيار الوسائل التي يفضل استخدامها من أجل تحقيق الهدف من الحملة ، لذا فإن عملية اختيار الوسائل لعرض حملة إعلامية تخضع لمجموعة من المعايير الآتية:(فرج ، 1986 ، ص 23).

*__حسب طبيعة المشكلة__: ليست كل الوسائل لها القدرة على العمل بالكفاءة نفسها لكل المشكلات والأفكار وذلك أن بعض المشكلات تحتاج لنوعية معينة من الوسائل.

*__حسب الأهداف الخاصة بالحملة:__ تختلف عملية تحديد الوسيلة باختلاف أهداف الحملة ، فإذا كان هدف الحملة هو الوصول إلى جمهور عريض فإننا نحتاج إلى وسائل اتصالية متعددة لتفي بهذا الغرض ، أما إذا كان الهدف هو تكرار رسائل إلى مجموعة محددة من الجماهير فاستخدام وسيلة واحدة يكون أجدر.

*__حسب الجمهور المستهدف:__ إن نوعية الوسائل تختلف باختلاف الجماهير الموجه لها ، فالجماهير المتعلمة تحتاج إلى وسائل تختلف عن الوسائل التي يحتاجها الجمهور الأمي ، والفئات الشابة تحتاج إلى استخدام وسائل اتصالية مختلفة عن الفئات العمرية الأخرى وهذا ينطبق على الخصائص الجماهيرية الأخرى.

*__حسب الميزانية المحددة:__ قد تؤثر كمية المبالغ المخصصة للحملة في عملية استخدام الوسائل ، فلو كانت المخصصات قليلة ، وتحتاج لمخطط وقت طويل من أجل إيصال رسائل الحملة ، فإنه سيضطر إلى استخدام عدد محدود من الوسائل.

*__حسب مضمون الرسائل:__ لا شك في أن لطبيعة الرسالة ومضمونها أهمية كبرى عند اختيار وسيلة دون أخرى فالرسائل الصعبة والمعقدة على سبيل المثال يفضل استخدامها في وسائل الطباعة أو الأنترنت بينما يفضل عرض الرسائل السهلة وغير المعقدة تلفزيونيا وهكذا.

لذلك يجب اختيار وسائل الاتصال وفق اعتبارات تناسب القائم بالاتصال ، وإمكاناته ، وطبيعة الجمهور المستهدف ومضمون الرسالة لتناسب المجتمع الذي تنقل إليه الصورة ، لذلك يجب أن تأخذ بعين الاعتبار محددات تدخل في اختيار وسائل الاتصال في الحملة التي تستهدف التنمية الاجتماعية.

1-6 الميزانية

إن كيفية تحديد الميزانية في الحملات الإعلامية تختلف كثيرا عن كيفية تحديدها في الحملات الإعلانية و ذلك نتيجة لاختلاف موضوعات كل منهما ، وكذلك اختلاف العوامل المؤثرة في هذا التحديد بحيث يتم تحديد الميزانية في الحملات الإعلانية بطرق اقتصادية ، وإدارية عديدة منها: الطرق التجريبية ، والنظرية وطرق القواعد والإشارات ، بينما تتركز الحملات الإعلامية في تحديد ميزانيتها غالبا على الطرق الإدارية حيث يتم تحديد الميزانية والتكاليف للحملة بتقديرات اولية لا تخضع لقواعد محددة ، ذلك أن الحملات النوعية الإعلامية تحظى بالمساعدات من هيئات عديدة سواء كانت حكومية أو أهلية ، جماعية أم فردية لذلك يجب أن تبقى ميزانية الحملات مرنة وقابلة للزيادة والنقص بحسب الظروف والمستجدات. (العوفي بن ديبان ، 2012 ، ص 202).

1-7 الجدولة الزمنية للحملة

بعد أن يقوم المرسل باختيار الوسائل الإعلامية التي يستخدمها فإنه بعد ذلك سيحدد الاستراتيجية التي تسير عليها الإذاعة، وبث الرسالة على مدار الحملة، فيطلق على هذه الخطوة بجدولة الحملة، والتي تسعى للتأكيد على أن كـــل فعالية تبدأ في التاريخ المحـدد، وأن فرص التعاون بين الرسائل يتم استخدامها بشكل كامل وهناك عدة طرق في العرض الإعلامي: (العوفي بن ديبان، نفس المرجع، ص 307).

1-8 التنفيذ والمتابعة لبرامج الحملة

بعد الانتهاء من خطوات المراحل السابقة والانتهاء من جزئية اتخاذ القرارات تصل الحملة إلى مرحلة التنفيذ، و التي يقصد بها إعداد تقرير نهائي، و تحديد البدايات، و النهايات لكل خطوة من برنامج العمل ، وغالبا ما تكون هذه المرحلة شديدة التعقيد نظرا لاعتماد الحملات ذات الطابع الإعلامي على أكثر من وسيلة، إلى جانب الطبيعة الخاصة للمواضيع التي تطرحها في المجتمع، والتي تحتاج بدورها إلى فترة طويلة لإقناع الناس، وخاصة عندما يتعلق الأمر بتغيير الاتجاهات السائدة و تعديل السلوك، ويتطلب تنفيذ الحملة الإعلامية توافر مجموعة معلومات، و إمكانيات تمكن القائمين على تنفيذ الحملات من أداء عملهم مثل :

- خطة مفصلة تذكر فيها الاحتياجات، والأهداف، وطرق التنفيذ.

- قنوات مستمرة للمعلومات والتعديلات المطروحة عن الأهداف والبدائل المتاحة لإجراء التعديل على الخطة، وأسلوب تنفيذها.

- أساليب عملية، وعلمية للتقويم المرحلي، والنهائي لعمليات تنفيذ الخطة.(الكافي ،2015، ص ص 99-100).

2. آليات تجسيد الثقافة المرورية بالجزائر

تعدد الجهات المساهمة في تفعيل الأمن، ورفع السلامة المرورية في المجتمع الجزائري، وتختلف هذه الجهات من حيث مسؤوليتها ما بين التربوية التعليمية، القانونية، والإرشادية، إلا أنها تشترك في الدور التوعوي والتحسيسي إذ تعدّ مؤسسات اجتماعية فاعلة في المجتمع، وبالتالي فإن حدوث تعاون، وتنسيق في برامج، وحملات التوعية المرورية، من شأنه زيادة الوعي المروري، وبالتالي تكوين ثقافة مرورية ويمكن تقديم الجهات على النحو التالي:

1-2الأسرة

تعدّ الأسرة إحدى المؤسسات المسؤولة عن تطوير وبناء شخصية الفرد من النواحي الاجتماعية، والنفسية والعقلية، والأخلاقية، خاصة وأن المفاتيح الأساسية لشخصية الفرد تتكون في السنوات الأولى من طفولته حيث تكون الاسرة هي البيئة الوحيدة التي يعرفها الطفل قبل توجهه إلى المدرسة

وكما أن الأسرة تسهم في تربية الطفل أخلاقيا وصحيا واجتماعيا فإنها يجب أن تكون قادرة على تربيته مروريا ويتم ذلك من خلال السعي لتعريف الأطفال بأساليب السلامة المرورية وتعويدهم على السلوكيات، والعادات المرورية الصحية، وأن يكون جميع أفراد الأسرة وخاصة الوالدين القدوة للأطفال في مجال السلوك المروري. (تباني، 2012، ص 163).

2-2 المؤسسات التربوية

تعدّ المدرسة مرحلة أرقى في عملية التربية والتعليم والتوجيه فيها يصبح الفرد أكبر سنا وأكثر معرفة وأكثر قربا من مرحلة النضوج الشخصية واكتمالها، وتستطيع المدرسة عموما ترسيخ الفكر العلمي في ذهن التلميذ وتدريبه على فهم الحياة والمجتمع.

إن مهمة المدرسة نابعة من مهام القطاع التربوي التعليمي ككل والذي يتعين عليه التكفل بالتربية المرورية ضمن البرامج والحياة المدرسية، وكذا المساهمة في الأنشطة المكملة لأعمال المدرسة أي إنها تقوم بعملية التكوين من خلال مهمتها الأساسية، وكذا تقوم بالتأثير بحكم علاقتها مع المجتمع (التأثير في الفرد، العائلة، الأقران، الوسط المدرسي)

وعليه يمكن القول إن المؤسسات التعليمية بمراحلها المختلفة بدءا من المدرسة ثم الجامعات والمعاهد العلمية والمهنية بكل أنواعها تلعب دورا أساسيا في اكتساب الوعي المروري، وتنمية مهارات والسلوكيات الصحيحة، وتحديد النماذج التي يقتدي بها وذلك بدءا من التعريف بالسلوك المروري وجدواه للحفاظ على النفس، والآخر في المجتمع وانتهاء بالقيام بالدراسات العلمية للارتقاء بالسلوك المروري.

4-3المؤسسات الدينية (المساجد)

من المؤسسات الكبرى التي ينبغي ألا يُغفل دورها في التوعية والتحسيس من خلال الخطاب الديني الذي له أثر كبير في نفوس الجزائريين ، فهناك كثير من القضايا التي تحتاج إلى خطاب ديني هادف ومقنع وعلى رأسها حوادث المرور ، التي يجب أن تلعب المؤسسات الدور المنوط بها على أكمل وجه وذلك بتفعيل الوازع الديني وتذكير الناس بأن من أهم مقاصد الشريعة حفظ النفس وأن الاعتداء على حق الحياة يعد جريمة وأمرا غير مقبول. (تباني ، نفس المرجع ، ص165).

4-4مدارس تعليم السياقة

يعدّ دور مدارس السياقة مهما شأنها شأن المؤسسات التربوية الأخرى حيث توصلت إحدى الدراسات في الجزائر والتي أجيزت من طرف المركز الوطني للوقاية والأمن عبر الطرق والتي عرضت نتائجها في اليوم الدراسي تحت شعار" أعطني تكوينا ناجحا أعطك سائقا بارعا" على النحو التالي:

- إن شروط وظروف وإمكانيات التكوين في السياقة غير متوفرة لدى المكون.
- إن الوسائل المستعملة في التكوين جد محدودة خاصة فيما يتعلق بالتجهيزات السمعية البصرية والوسائل الحديثة.
- إن أهداف التكوين ومدته غير محدودة. (شداد ،2007 ، ص 94).

يمكن القول إن مدارس تعليم السياقة في الجزائر يجب ألا يقتصر دورها على تعليم المتدرب على كيفية قيادة المركبة فحسب وإنما لابد من غرس الجوانب التربوية ، والتعليمية السليمة لدى طالبي الحصول على رخصة سياقة ، ليس فقط في مجال تعليم القيادة ، وإنما أيضا في ترسيخ القيم والمبادئ المرورية الصحيحة التي يفترض أن يتمتع بها سواق العربات وتربيتهم على عقيدة احترام القانون وروح التسامح والتجامل مع باقي مستعملي الطريق.

4-5**الجمعيات**

تعدّ مؤسسات فاعلة في المجتمع ولها قدرة هائلة على التأثير في القرارات الاجتماعية ، حيث تكمن أهميتها في مدى فعاليتها ، وتأثيرها في المجتمع واهتمامها بشؤون المواطنين ومعاناتهم من مختلف الظواهر السلبية.

وبناء على هذا يجب تظافر جهود الجميع من أجل مكافحة ظاهرة حوادث المرور خاصة من قبل الجمعيات لقربها من المواطن ، وعلاقتها الوطيدة مع أفراد المجتمع بجميع شرائحه ، ولأن لها قدرة كبيرة على التواصل مع أفراد المجتمع ، لذا لابد من دعم جميع الجمعيات الناشطة في مجال السلامة المرورية ، وحثها على العمل الى جانب الهيئات والمصالح المكلفة بالوقاية المرورية من خلال مد يد العون لها سواء بالإمكانات المادية ، كتزويدها بالمطويات ،والملصقات التوعوية ، أو البشرية بالاستفادة من خبرات إطاراتها في مجال التوعية من حوادث المرور ، وذلك من أجل التقليل من عدد الحوادث وضحاياها. **(المركز الوطني،** (http://www.cnpsr.org.dz/news_article/7

4-6**وزارة النقل**

تضطلع هذه الوزارة بدور حيوي وهام للنهوض والتحسين في مستوى السلامة المرورية بالمشاركة والتعاون مع الجهات الأخرى كالجهات الأمنية لجمع المعلومات الخاصة بالحوادث ، وإيجاد استراتيجيات لرفع مستوى السلامة المرورية حيث تعمل على: (شداد ، مرجع سابق ، ص 93).

- الإشراف على إعداد وتأطير البرامج وحملات التوعية المرورية
- إصدار المنشورات والملصقات الخاصة بالتوعية المرورية
- التواصل مع الجهات الأخرى ضمن اللجنة الوطنية للسلامة المرورية
- التنسيق والمشاركة مع لجان السلامة المرورية في الدول العربية

4-7**المركز الوطني للوقاية والأمن عبر الطرق**

وفي سبيل الإسهام بمبادرات الوقاية ، والتوعية المرورية عكفت وزارة النقل على تأسيس المركز الوطني للوقاية والأمن عبر الطرق سنة 1988.

وهذا المركز يعمل على تنشيط وتنفيذ برامج وحملات التوعية المرورية عبر الوطن ، من خلال الملتقيات والندوات ، وتدعيم الجمعيات الناشطة في مجال الوقاية ، إضافة إلى تفعيل برامج التربية المرورية ، حيث يصرح مدير المركز بقوله: "... نجد جهود العاملين على الوقاية مركزة ومنصبة أساسا على الإنسان من حيث تربيته ، وتعويذه منذ نعومة أظافره على القواعد الأساسية للتعامل... وذلك بغرس روح الانضباط والالتزام في نفوس النشء.... ثم تأتي عملية التوعية المستمرة". [1](بوطالبي ، 2007 ، ص1).

4-8وسائل الإعلام

تعدّ وسائل الإعلام من أكثر الوسائل تأثيرا وحضورا لدى الجمهور ، حتى أصبحت هذه الوسائل مسؤولة كغيرها من جهات أخرى في معالجة المشاكل وتدارك النقائص وانعكس ذلك على شرائح واسعة من المجتمع

، فوسائل الإعلام وعلى اختلافها قادرة على التأثير في الآراء والسلوكيات حسب المراحل الزمنية أو حسب الجمهور بعيدا عن خصائصها.

ومن هنا يبرز الدور الفعّال الذي تقوم به وسائل الإعلام في صنع المعلومة وتقديمها في شكل رسالة إعلامية قد تكون مسموعة ، أو مرئية ، أو مقروءة ، تسعى إلى تعديل سلوكيات المواطنين عموما ، والسائقين الشباب على وجه الخصوص من خلال استراتيجيات وخطط وبرامج الحملات التحسيسية ، وتجسد مهامها في التوعية والوقاية المرورية من خلال تعاون كل الجهات المعنية من مصالح الأمن ، ووزارة النقل ، والشؤون الدينية ، والمجتمع المدني وغيرها...

1. تفريغ وتحليل بيانات الدراسة

الجدول رقم (01): يوضح توزيع العينة حسب متغير الجنس

الجنس	التكرار	النسبة المئوية
ذكور	110	%73
إناث	40	%27
المجموع	**150**	**%100**

يتضح من خلال الجدول المبين أعلاه أن الاتجاه العام يمثل نسبة 73 % هم ذكور ، مقابل نسبة 27% إناث.

وتبين هذه النتائج أن عدد الذكور أكبر من الإناث ، وهو ما يعكس واقع ولاية سطيف التي يغلب فيها العنصر الذكوري في السياقة ، إضافة إلى خاصية المجتمع الجزائري عموما ، نظرا لأن السياقة فيها من صفات الذكور رغم أننا نلاحظ في الآونة الأخيرة استفحال ظاهرة سياقة النساء.

الجدول رقم (02): يوضح العلاقة بين جنس المبحوثين ومدى جلب رسائل التوعية المرورية لانتباههم:

الجنس / الإجابة	الذكور		الإناث		المجموع	
نعم	%05	05	%62	25	20%	30
لا	%95	105	%38	15	%80	120
المجموع	%100	110	%40	40	%100	150

يتبين من خلال الجدول المبين أعلاه أن الاتجاه العام يمثل 80% من المبحوثين صرحوا أن رسائل التوعية المرورية لا تجلب انتباههم ، مقابل نسبة 62% صرحوا بأنها تجلب انتباههم.

أما عند الإناث المبحوثات فإن نسبة 62% منهن صرحن بأن رسائل التوعية المرورية تجلب انتباههن مقابل 38% أكدن أنها لا تجلب انتباههن.

ومن هنا تؤكد نتائج الجدول أن أغلب المبحوثين السائقين أكدوا بأن رسائل التوعية المرورية لا تجلب انتباههم ، هم من فئة الذكور ، حيث يشير ذلك إلى حقيقة اجتماعية من الواقع وذلك أن نسبة الذكور السائقين هي أعلى من نسبة الإناث السائقات ، وذلك يرجع إلى طبيعة المجتمع الجزائري الذي يغلب عليه العنصر الذكوري في سياقة السيارات ، إضافة إلى عنصر الذكور قد لا يبدي اهتماما لمثل هذه المواضيع ، ومثل هذه البرامج والأنشطة التي تتضمنها رسائل التوعية المرورية ، عكس الإناث نظرا لطبيعتهن حيث يبدين الاهتمام لأبسط الأشياء ، خاصة وأن السياقة تمثل جانبا مهما لهن من خلال أخذ الحيطة والحذر ، وعلى هذا الأساس نجد أن المخالفات المرورية هي أكثر عند الذكور مقارنة بالإناث.

الجدول رقم (03): يوضح الوسائل التي اطلع من خلالها المبحوثون على حملات التوعية المرورية

نوع الوسيلة	التكرار	النسبة
الإذاعة	42	%28
التلفزيون	35	%23,33
المطويات	22	%14,66
مدارس السياقة	20	%13,33
المجلات	15	%10
شرطة المرور	11	%7,33
المعارض	05	%3,35
المجموع	**150**	**%100**

من خلال الجدول المبين أعلاه نلاحظ أن الوسائل التي اطلع من خلالها المبحوثون على حملات التوعية المرورية هي الإذاعة بنسبة 28% ، يليها التلفزيون بنسبة 23,33 % ، ثم المطويات بنسبة 14,66% ، يليها مدارس السياقة 13,33% ، ثم المجلات بنسبة 10% ، يليها شرطة المرور بنسبة 7,33% ، وفي المرتبة الأخيرة المعارض بنسبة 3,35%.

يبين الجدول أن المبحوثين قد اطلعوا على حملات التوعية المرورية من خلال وسائل متعددة ومتنوعة فالإذاعة

هي الأولى في الترتيب وهو أمر طبيعي ، ويرجع ذلك طبعا إلى الخصائص التي تتميز بها الإذاعة من مقدرة على مخاطبة كافة شرائح المجتمع باختلاف مستوياتهم التعليمية ، والثقافية هذا من جهة ومن جهة أخرى زيادة تعرض السائقين لمضامينها بما فيها البرامج والحملات التوعوية المعدة من قبل المركز الوطني للوقاية والأمن عبر الطرق ، بحكم تنقلاتهم واستعمالهم للسيارة مقارنة بتعرضهم لباقي الوسائل الأخرى ، حيث تتميز بقصر مدة البث وببساطة مضامينها ، وبتكرارها بشكل دائم كل هذه العوامل تساهم في احتمالية التعرض لها والاستماع إلى مضامينها وتذكرها.

الجدول رقم (04): يبين مواضيع حملات التوعية المرورية التي يطلع عليها المبحوثين

نوع الرسالة	التكرار	النسبة
استعمال حزام الأمن	137	%91
تجنب السرعة المفرطة	109	%73
احترام المشاة	90	%60
تجنب التجاوز الخطير	88	%59
عدم السياقة في حالة سكر	63	%42
تجنب القيادة مع التعب	63	%42

يتضح من خلال الجدول المبين أعلاه أن موضوع استعمال حزام الأمن من أكثر المواضيع التي تم الاطلاع عليها من طرف أفراد العينة وذلك بنسبة 91% ، يليها موضوع تجنب السرعة المفرطة بنسبة 73% ، ثم احترام المشاة بنسبة 60% ، ثم تجنب التجاوز الخطير بنسبة 59% ، ثم عدم السياقة في حالة سكر بنسبة 42% ، وفي المرتبة الأخيرة يأتي موضوع تجنب القيادة مع التعب بنسبة 42%.

نستنتج من خلال النتائج المبينة في الجدول أن أكثر الرسائل التوعوية التي اطلع عليها المبحوثون هي الرسائل التي تحث على استعمال حزام الأمن ، والذي يعدّ من أهم الوسائل الوقائية لمستعملي المركبات سواء أكانوا سائقين أم راكبين ، ونتيجة لذلك نجد تركيزا كبيرا على هاته الوسيلة كونها أداة أمان ووقاية ، أما عن رسائل تجنب السرعة المفرطة فهي في المقام الثاني من حيث اطلاع المبحوثين عليها ، وذلك أن مشكلة الإفراط في السرعة مستفحلة لدى السائقين ، وتحرص الجهات المرورية على التحذير من مخاطر هاته المخالفة ، وتعمل على تشديد العقوبات على مرتكبيها ، وذلك من خلال بث رسائل إعلامية مختلفة حولها ، أما عن النسبة الثالثة التي هي لصالح رسائل التوعية حول احترام المشاة فهي كذلك من أهم الموضوعات المركز عليها من طرف الجهات المعنية ذلك أن كثيرا من المخالفات يقع ضحيتها الراجلون ، أما فيما يخص التجاوز الخطير فهو كذلك ضمن السلوكيات المرورية الخطيرة حيث يعدّ من الأسباب الرئيسية المؤدية لحوادث المرور ويتم التركيز عليه في الإعلانات ، والومضات ، وبعض المطبوعات خاصة وأنه يرتكبه أكثر السائقون الشباب ، أما عن الرسائل حول تجنب السياقة في حالة سكر ، وتجنب السياقة في حالة تعب أكد المبحوثين أنهم اطلعوا عليها بنسب منخفضة في حين أن هاتين المشكلتين هما سببان في الحوادث عند كثير من السائقين وتكون نتيجتهما ؛ فقدان التركيز ، والسيطرة أثناء عملية السياقة فهو عامل يحتل المرتبة الثانية في ارتكاب حوادث المرور.

الجدول رقم (05): يوضح مدى علم المبحوثين بوجود أسبوع المرور العربي:

الإجابة	التكرار	النسبة
نعم	39	26
لا	111	%74
المجموع	**150**	**%100**

نلاحظ من خلال الجدول المبين أعلاه أن الاتجاه العام يمثل نسبة 74% من المبحوثين صرحوا بأنهم لا يعلمون بوجود أسبوع المرور العربي ، مقابل نسبة 26% صرحوا بأنهم يعلمون به.

يمكن القول إن أغلب المبحوثين لا يعلمون بأسبوع المرور العربي الذي تقام فعاليته في كامل أنحاء الوطن العربي ابتداء من شهر ماي في كل سنة ، وتشرف عليه كل من وزارة النقل والمركز الوطني للوقاية والأمن عبر الطرق بالتنسيق مع الجهات المعنية بالمنظومة المرورية ، تقدم من خلاله نشاطات وبرامج متنوعة ومختلفة ابتداء من المطويات ، الملصقات ، الندوات ، الملتقيات ، برامج التلفزيون ، الحصص الإذاعية.

الجدول رقم (06): يوضح الأماكن المناسبة للتوعية المرورية من وجهة نظر المبحوثين:

نوع المكان	التكرار	النسبة المئوية
مدارس السياقة	114	%76
الطرق	101	%67
مدارس التعليم	86	%57
الشوارع	71	%47
المساجد	60	%40
وسائل الإعلام	21	%14

نلاحظ من خلال الجدول المبين أعلاه أن المبحوثين ركزوا وبنسبة عالية على مدارس السياقة بنسبة 76% حيث تمثل لهم المكان الفعال للتوعية، تليها الطرقات بنسبة 67%، ثم نسبة 57% مدارس التعليم، ثم الشوارع بنسبة 47%، يليها المساجد بنسبة 40%، لتأتي في المرتبة الأخيرة وسائل الإعلام بنسبة 14%.

من خلال نتائج الجدول نجد أن المبحوثين أعطوا النسبة الأولى لمدارس السياقة من حيث إنها المكان المناسب والفعال للتوعية المرورية.

- **نتائج الدراسة**

يمكن أن نلخص أهم نتائج الدراسة من خلال النقاط الآتية:

المحور الأول: البيانات السوسيوغرافية

✓ يمثل الذكور أعلى نسبة من حيث السياقة بنسبة % 73 إذا ما قرنها بالمرأة السائقة نجد 27% وهي نسبة تعكس واقع قيادة السيارة من طرف الجنسين في ولاية سطيف خاصة، وهذا راجع إلى ارتباط قيادتها للسيارة بعدد من المتغيرات الأخرى كالمستوى التعليمي والعمل.

✓ كلما ارتفع المستوى التعليمي كلما كان الأفراد أكثر وعيا وإدراكا بقوانين المرور مما يؤدي إلى التقليل من حوادث المرور.

المحور الثاني: مدى مساهمة حملات التوعية المرورية في نشر الثقافة المرورية لدى الشباب السائقين

نلخص من بين أهم الأسباب المؤدية إلى حوادث المرور النقاط الآتية:

✓ نستنتج نقص الوعي المروري لدى السائقين الشباب، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على حملات التوعية المرورية غير المؤثرة وغير المقنعة، الأمر الذي يجعلها لا تساهم في تغيير اتجاهات السائقين الشباب السلبية مما ينتج عن ذلك ارتفاع حوادث المرور.

✓ توصلت الدراسة أن أغلب المبحوثين لم يطلعوا على الرسائل التي تعالجها حملات التوعية المرورية بنسبة 80% عند الذكور مقارنة بالإناث حيث بلغت نسبة اهتمامهن بـ 82% يدل على أن أغلب رسائل التوعية لا تتمتع بعنصر الجاذبية من حيث الشكل، ولا من حيث المضمون مما يفقدها القدرة على الإقناع والتأثير في الجمهور المستهدف.

✓ كشفت الدراسة بأن أغلب الرسائل التوعوية المستخدمة في الحملات التحسيسية هي الرسائل التي تحث على استعمال حزام الأمن بنسبة91%، حيث تعدّ من أهم الوسائل الوقائية التي يمكن أن يتبعها السائقون والراكبون على حد سواء.

✓ تتسم حملات التوعية المرورية في الجزائر بأنها مناسبية وغير مستمرة الأمر الذي يجعلها غير مؤثرة وغير مقنعة في محاولة تغيير السلوكيات المرورية السلبية.

✓ توصلت الدراسة إلى أن حملات التوعية المرورية يجب أن تكون ضمن فترات متعددة في السنة حتى تكون فعالة ومؤثرة في السلوكيات المرورية للسائقين الشباب.

المحور الثالث: الوسائل الاتصالية المستخدمة في ترسيخ الثقافة المرورية لدى الشباب السائقين.

✓ يستخدم أغلب الشباب السائقين وسائل اتصالية متعددة ومتنوعة وكانت في الصادرة الإذاعة بنسبة 28% وهذا أمر طبيعي ذلك أن أغلب السائقين يستمعون إلى برامج التوعية المرورية عبر وسيلة الإذاعة التي ترافقهم أثناء تنقلاتهم اليومية وتزودهم بكل المعلومات والأخبار حول أحوال الطريق، بما يؤدي إلى زيادة الوعي المروري لدى السائقين الشباب.

✓ أغلب المبحوثين لا يعلمون بأسبوع المرور العربي الذي يقام سنويا في الأوائل من شهر ماي، وذلك بنسبة 74% مما يدل على أن وسائل الإعلام لا تقوم بالدور الواجب القيام به من خلال إعلام كل المواطنين عن هذه الأيام الخاصة بالتوعية المرورية الأمر الذي يؤدي إلى نقص الوعي لدى أغلب الشباب السائقين.

✓ ضعف مساهمة الجانب الإعلامي والاتصالي في تفعيل الحملات التحسيسية يقلل بالضرورة من دورها وتأثيرها في تنمية الوعي المروري لدى الشباب السائقين.

المحور الرابع: مدى مساهمة الأجهزة المعنية في نشر الوعي المروري

✓ تعدّ فترة تعلم مبادئ السياقة هي الأنسب والأكثر فعالية لتنمية الوعي المروري لدى الشباب السائقين، وذلك بنسبة 58%، ذلك أن المترشح يكون في فترة تعليمية شاملة تمكنه من استقبال المعلومات الخاصة بالجانب المروري، واستيعابها وتصبح بالنسبة لهم معارف ومدركات تكون لديهم اتجاها إيجابيا.

✓ إن الأماكن المناسبة والفعالة للتوعية المرورية حسب المبحوثين تأكدت بنسبة عالية في الطرقات ، مدارس التعليم ، المساجد.

✓ نستنتج أن الجهة التي تتحمل مسؤولية التوعية بالدرجة الأولى هي الأسرة كونها تمثل النواة الأساسية في المجتمع واللبنة الأولى في تنشئة الأطفال على سلوكيات مرورية إيجابية ، مما يؤدي إلى خلق الوعي المروري ، كذلك بالنسبة للمدارس التعليمية فهي تلعب دورا كبيرا في تشكيل ثقافة مرورية لدى الشباب.

خاتمة

يتضح أن ثقافة المرور والسلامة المرورية تندرج ضمن ثقافة المجتمع والسلوكيات المتعارف عليها ، على اعتبار أن مشكلة حوادث المرور تعدّ مشكلة سلوكية ، لذا يجب الاهتمام بالعنصر البشري بحيث تولى له عناية خاصة ، فتخطط له برامج تربوية للتعريف بكيفية الاستعمال الأمثل للمركبات ، وتغرس فيه ثقافة احترام قوانين المرور ، وتعويد السائق على الالتزام بتطبيق قواعد السلامة المرورية منذ فترة الطفولة ، لأن طفل اليوم هو سائق الغد ، ويتم تعزيز كل هذا بحملات توعوية مستمرة ودائمة ، ومعدة لكل فئات مستعملي الطريق مرتكزة على أخطار حوادث الطرق والعواقب التي تشكلها مخالفة قواعد السلامة المرورية ، والتعريف بالفوائد التي يحققها الالتزام بتطبيق نظم وقوانين حركة المرور.

اقتراحات والتوصيات

*محاولة تغيير السلوكيات السلبية للأفراد من خلال تكثيف الحملات التوعوية والتثقيفية والتربوية للمواطنين عبر وسائل الإعلام المرئية ، والمسموعة ، والمكتوبة ، ومواقع التواصل الاجتماعي.

*إنشاء مراكز خاصة بتقييم البرامج ، والحملات التحسيسية التي يتم إعدادها وتنظيمها من طرف الجهة المعنية ، والمتمثلة في : "المركز الوطني للوقاية والأمن عبر الطرق" وهذا ما يسمح بالكشف عن مدى نجاح أو فشل الأنشطة والحملات التحسيسية.

*إدراج مادة التربية المرورية ضمن المناهج الدراسية بهدف تعميم ثقافة السلامة المرورية لدى جميع الأطوار التعليمية.

*ضرورة إجراء بحوث ودراسات علمية وتكثيفها وذلك للوقوف على أهم الأسباب الرئيسية المؤدية لحوادث المرور بالجزائر.

*الاستفادة من التجارب الأوروبية في مجال أمن الطرقات وجعلها ضمن الاستراتيجية الوطنية للسلامة المرورية بالجزائر.

*محاولة التنسيق بين كل الفاعلين الاجتماعيين في عملية التوعية والوقاية المرورية من ؛ الأسرة ، والمساجد ، والمؤسسات التعليمية ، والوسائل الإعلامية ، والمؤسسات الأمنية وغيرها....

قائـــمة المـــراجع

* **الكتب العربية**

- البكري. عبد المنعم فؤاد. (2007)، **التسويق الاجتماعي وتخطيط الحملات الإعلامية** ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر.
- الدليمي. عبد الرزاق. (2010)، **الإعلام إشكاليات التخطيط والممارسة** ، دار الجرير ، عمان ، الأردن.
- رضا. علي ، عيد. عاطف. (2006)، **إدارة المؤسسات الإعلامية** ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر.
- الحصيف. مُحَمَّد عبد الرحمن. (1988)، **كيف تؤثر وسائل الإعلام** ، ط4 ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، السعودية.
- عبد الحميد. مُحَمَّد. (2000)، **البحث العلمي في الدراسات الإعلامية**، ط1 ، عالم الكتب ، مصر.
- عبد الله. مي. (2011)، **البحث في علوم الاعلام والاتصال** ، ط1 ، دار النهضة العربية ، لبنان.
- العجمي محسن. عيسى. (2014)، **السلامة المرورية الواقع والتطلعات** ، ط1 ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن.
- عويضة كامل. مُحَمَّد. (1996)، **علم النفس الصناعي والتنظيمي** ، ط.1 ، دار الكتاب ، لبنان.
- فريج. نبيل. (1993)، تحليل **سلوك الحادث علم النفس تنظيم وعمل** ، ب.د.ط ، الجزائر.
- الكافي. يوسف مصطفى. (2015)، **تخطيط الحملات الإعلامية والإعلانية**، ط1 ، دار مكتبة الجامد للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن.
- كامل. فرج. (1986)، **تخطيط إستراتيجيات وبرامج الاتصال** ، المكتب الإقليمي للشرق الأوسط وإفريقيا ، منظمة الأمم المتحدة.
- موريس. أنجرس. (2006)، **منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية: تدريبات علمية**، ترجمة: ماضي. مصطفى ، ط.2 ، دار القصبة ، الجزائر.

* **الكتب الأجنبية**

- Moser. Claus, Kulton. (1975), **survey methods in social investigation**, 2nd Edition, Heinemann educational books, London.

* **المقالات العلمية**

- بوطالبي. الهاشمي. (2007)، **"كلمة الافتتاحية من مجلة الوقاية والسياقة"** ، المركز الوطني للوقاية والأمن عبر الطرق ، العدد(04).
- المركز الوطني للوقاية والأمن عبر الطرق. (2019)، **دراسة إحصائية لحوادث المرور في الجزائر خلال سنة 2019** ، الجزائر.
- المركز الوطني للوقاية والأمن عبر الطرق. (1995)، **"حوادث المرور.... سرطان يتغلغل في جسد الطريق"** ، مجلة الشرطة ، عدد (5).

* **الرسائل الجامعية**

- بوطالبي. الهاشمي. (2006)، **فعاليات حملات التوعية المرورية**، مؤتمر التعليم والسلامة المرورية ، مركز الدراسات والبحوث قسم الندوات واللقاءات العلمية ، الرياض ، السعودية.
- تباني. عبير. (2012)، **"الحملات الإعلامية الإذاعية الخاصة بالتوعية المرورية في الجزائر"** ، دراسة ميدانية على عينة من جمهور السائقين بولاية سطيف ، (رسالة ماجيستير غير منشورة) ، قسم العلوم الإنسانية ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة مُحَمَّد خيضر ، بسكرة ، الجزائر.
- الخلف ، عبد الله. حامد ، عبد الله. (2005)، **"دور أفلام التوعية المرورية في رفع الوعي المروري"**، (رسالة ماجيستير غير منشورة) قسم العلوم الاجتماعية ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض ، السعودية.
- السليماني. مُحَمَّد. (1997)، **السلامة المرورية في المملكة العربية السعودية "مطلب وطن"**، جامعة أم القرى مكة المكرمة ، السعودية.
- السيد عبد المعطي. راضي. (2008)، **الآثار الاقتصادية لحوادث المرور** ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، مركز الدراسات والبحوث ، السعودية.
- شداد. عبد الرحمان. (2008)، **"دور برامج وحملات التوعية المرورية في زيادة الوعي المروري لدى السائقين"**، دراسة ميدانية على عينة من السائقين الشباب بمدينة الجلفة ، (رسالة ماجيستير غير منشورة) ، قسم علم الاجتماع ، كلية علوم الاجتماعية والإنسانية ، جامعة الجزائر 2.
- العوفي بن ديبان. عبد اللطيف. (2012)، **حملات التوعية الإعلامية (الأسس النظرية والإجراءات التطبيقية)** ، النشر العلمي والمطابع ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، السعودية.
- ميرزا. جاسم خليل. (2007)، **إعداد وتنفيذ حملات الإعلام الأمني**، تجربة شرطة دبي في مجال الحملات المرورية، كلية التدريب قسم البرامج التدريبية ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، دبي.

* **المواقع الإلكترونية**

2. المركز الوطني للوقاية والأمن عبر الطرق ، الموقع: http://www.cnpsr.org.dz/news_article/7

الكلمة المنقولة وتأثيرها على كسب ولاء المستهلكين - دراسة ميدانية لعينة من مستهلكي وكالة موبيليس بالجزائر العاصمة -

The Word of mouthand and its effect on earning customers' loyalty: The Case of a sample from Mobilis Foundation

تاريخ الإرسال: 15-02-2020 تاريخ القبول: 29-12-2020

يوسف مريخي ، مخبر السياسات التنموية والدراسات الاستشرافية، جامعة أكلي محند أولحاج-البويرة-، y.merikhi@univ-bouira.dz
رابح أوكيل، جامعة أكلي محند أولحاج-البويرة-، الجزائر، rabeh__pg@yahoo.fr

الملخص

تعالج الدراسة أثر الكلمة المنقولة في المجتمع التي هي عبارة عن نقل انطباعات إيجابية عن المؤسسة أو المنتج إلى مختلف أفراد المجتمع ، إذ هدفت الدراسة إلى معالجة إشكالية مدى أهمية الكلمة المنقولة وأثرها في كسب ولاء المستهلكين ، من خلال الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي ، وتصميم استبيان وتوزيعه على عينة عشوائية من مستهلكي وكالة مؤسسة موبيليس في ولاية الجزائر العاصمة متمثلة في 120 شخص ، وقد خلصت الدراسة إلى وجود أثر إيجابي ذو دلالة إحصائية عند مستوى معنوية 0.05 للكلمة المنقولة المعتمدة من طرف مؤسسة موبيليس على كسب ولاء المستهلكين وخلصت الدراسة أيضا إلى وجود اختلاف ذو دلالة إحصائية بين تأثير الكلمة المنقولة المعتمدة من طرف مؤسسة موبيليس على كسب ولاء المستهلكين يعزى لاختلاف خصائصهم الديمغرافية (الجنس ، العمر ، المستوى التعليمي ، الدخل). كما خلصت الدراسة إلى أن الكلمة المنقولة الإيجابية تحافظ على سمعة المؤسسة من جهة وتعتبر قناة إتصال ترويجية مجانية للمؤسسة من جهة أخرى.

الكلمات المفاتيح: الكلمة المنقولة ، الانطباعات الإيجابية ، كسب الولاء ، مؤسسة موبيليس.

Résumé

L'étude porte sur l'effet du bouche à oreille dans la société, qui a pour sens de transmettre des impressions positives sur l'institution ,ou le produit, aux différents membres de la société, car l'étude visait à résoudre la problématique de l'importance du bouche à oreille et de son impact sur la fidélisation des consommateurs, en s'appuyant sur l'approche analytique descriptive, en concevant un questionnaire et en le distribuant sur un échantillon aléatoire de consommateurs de l'agence Mobilis dans la wilaya d'Alger, d'un nombre de 120 personnes. L'étude a conclu qu'il y avait un effet positif d'une signification statistique au niveau de signification 0,05 de la bouche à oreille par l'institution Mobilis pour gagner la fidélité des consommateurs. L'étude conclut également qu'il y a une différence d'une signification statistique entre l'effet de la bouche à oreille approuvé par l'institution Mobilis pour gagner la loyauté des consommateurs en raison des différences dans leurs caractéristiques démographiques (sexe, âge, niveau d'éducation, revenu). L'étude a également conclu que le bouche à oreille positif préserve la réputation de l'institution d'une part et est considéré comme un canal de communication promotionnel gratuit pour l'institution d'autre part.

Mots clés : *le bouche à oreille, impressions positives, fidélisation, l'institution Mobilis*

Abstract

The study deals with the effect of the word of mouth in society, which is to transmit positive impressions about the institution or product to different members of society. The study aims to address the problematic of the importance of the: word of mouth and its impact on gaining consumer loyalty. The study uses the descriptive analytical approach. A questionnaire was designed and distributed to a random sample of Mobilis agency consumers in the wilaya of Algiers, represented by 120 people. The study concluded that there was a positive effect of statistically significance at the level of implication 0.05 of the word of mouth by the Mobilis Foundation to gain the loyalty of consumers. The study concluded that there is a difference between a statistically significant effect of movable floor approved by Mobilis Foundation to earn the loyalty of consumers due to the different demographic characteristics as well (sex, age, educational level, income). The study also concluded that the positive transmitted word preserves the reputation of the institution on the one hand; and is considered a free promotional communication channel for the institution on the other hand.

Key words: word of mouth, positive impressions, earning loyalty, Mobilis Foundation.

1.مقدمة

إن التغيرات الكثيرة الحادثة على المستوى العالمي ، نتيجة لما أفرزته العولمة بمظاهرها المختلفة أدت إلى انفتاح الأسواق وتحررها ، وإشتداد المنافسة بين المؤسسات بهدف زيادة حصتها السوقية وتحقيق ميزة تنافسية مستمرة ، مما فتح المجال أمام المستهلكين للاختيار بين السلع والخدمات المقدمة من طرف المؤسسات ، مما جعلها تولي إهتماما كبيرا لوظيفة التسويق وتتابع أهم التطورات الحديثة في هذا المجال حيث أن من بين أحد هذه التوجهات ظهور ما يعرف بالكلمة المنقولة ، التي تعتبر من بين الاستراتيجيات التسويقية الأكثر فعالية لكنها الأقل فهما من طرف المسوقين ، وتعتبر الكلمة المنقولة الإيجابية بين المستهلكين من أفضل الممارسات التي تستخدم في كسب ولاء المستهلكين ، وأكبر ميزة تمتلكها الكلمة المنقولة هي موثوقية المصدر ، مقارنة بالأشكال التقليدية للاتصال التي تستخدمها وتطبقها مؤسسة موبيليس لتحقيق هدفها في كسب ولاء المستهلكين والاحتفاظ بهم ، لهذا حاولنا في هذه الدراسة التطرق إلى مفهوم الكلمة المنقولة والتسويق بالكلمة المنقولة ، والمفاهيم الأساسية حول ولاء المستهلكين ، ولإسقاط الجانب النظري على الجانب الميداني قمنا بدراسة ميدانية ، من خلال تصميم وتوزيع استمارة استبيان على مستهلكي وكالة مؤسسة موبيليس بولاية الجزائر العاصمة.

من بين الدراسات السابقة التي تناولت جوانب من موضوع دراستنا نجد

-(أمينة طريف، 2015): دراسة بعنوان" أثر الكلمة المنطوقة على قرار تبني المستهلك للمنتجات الجديدة ، دراسة ميدانية لخدمات الجيل الثالث 3G لمؤسسة موبيليس بولاية الأغواط" ، هدفت الدراسة إلى التعرف على أثر الكلمة المنطوقة –من الفم إلى الأذن- على قرار تبني المستهلك لخدمات الجيل الثالث لمؤسسة موبيليس بولاية الأغواط ، باعتبارها تلعب دورا هاما في تشكيل المواقف وتوجيه سلوكيات المستهلكين نحو قرار تبني أو الرفض ، كما خلصت نتائج الدراسة إلى وجود أثر ذو دلالة إحصائية بين الكلمة المنطوقة وقرار المستهلك بتبني خدمات الجيل الثالث المقدمة من طرف مؤسسة موبيليس.

-(نجوى سعودي، رابح بوقرة، 2015):دراسة بعنوان" دور الكلمة المنطوقة في تقييم علامة الخدمة –حالة خدمات الهاتف النقال في الجزائر ، هدفت الدراسة إلى التعرف على مفهوم الكلمة المنطوقة بصفة عامة ، وفي سياق الخدمات بصفة خاصة ومعرفة تأثير ها على تقييم العملاء لعلامة الخدمة ، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن الكلمة المنطوقة تنتشر بشكل واسع وكثيف بين العملاء حول مختلف الخدمات التي تقدمها شركات الهاتف النقال العامة في الجزائر ، مما يؤكد على أهميتها في نقل المعلومات ، كما أنها تؤثر بشكل كبير على إتجاهات العملاء والقيمة التي يدركونها من خدمات الهاتف النقال في الجزائر ، نظرا للدور الذي تلعبه في إقناعهم سواء في الاختيار أو الحكم على مستوى الأداء والخدمة من خلال المناقشات والمقارنات التي عادة ما يقوم بها العملاء.

-(مدني سوار الذهب مُحَمَّد عبد الرحمان، 2016):دراسة بعنوان" دور الكلمة المنقولة إلكترونيا على قرار شراء الخدمة الفندقية –دراسة حالة الفنادق الكبرى بمنطقة نجران السعودية"، هدفت الدراسة إلى التعرف على تأثير الكلمة المنقولة إلكترونيا على قرار شراء الخدمة الفندقية بمنطقة نجران ، و بينت نتائج الدراسة وجود تأثير للكلمة المنقولة إلكترونيا على قرار شراء الخدمة الفندقية بمنطقة نجران ، أكدت نتائج الدراسة والتحليل الإحصائي للمتغيرات أن الكلمة المنقولة إلكترونيا تلعب دور مؤثر في قرار شراء الخدمة الفندقية من خلال كثافة الكلمة المنقولة في السياق الإلكتروني ، كما أظهرت نتائج الدراسة أن العوامل الشخصية ليس لها تأثير مباشر على قرار شراء الخدمة الفندقية.

إشكالية الدراسة

يمكن صياغة إشكالية الدراسة كما يلي: **ما هو أثر الكلمة المنقولة التي تطبقها مؤسسة موبيليس على كسب ولاء المستهلكين ؟**

فرضيات الدراسة

للإجابة عن إشكالية الدراسة تم اقتراح الفرضيات التالية:

الفرضية الرئيسية الأولى

H0.لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوي معنوية 0.05 للكلمة المنقولة المعتمدة من طرف مؤسسة موبيليس على كسب ولاء المستهلكين.

H1.يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوي معنوية0.05 للكلمة المنقولة المعتمدة من طرف مؤسسة موبيليس على كسب ولاء المستهلكين.

الفرضية الرئيسية الثانية

H0 .لا يوجد اختلاف ذو دلالة إحصائية بين تأثير الكلمة المنقولة المعتمدة من طرف مؤسسة موبيليس على كسب ولاء المستهلكين يعزى لاختلاف خصائصهم الديمغرافية (الجنس ، العمر ، المستوى التعليمي ، الدخل).

H1: يوجد اختلاف ذو دلالة إحصائية بين تأثير الكلمة المنقولة المعتمدة من طرف مؤسسة موبيليس على كسب ولاء المستهلكين يعزى لاختلاف خصائصهم الديمغرافية (الجنس ، العمر ، المستوى التعليمي ، الدخل).

انطلاقا من هذه الفرضية يمكن إشتقاق الفرضيات الجزئية التالية

H0 .لا يوجد اختلاف ذو دلالة إحصائية بين تأثير الكلمة المنقولة المعتمدة من طرف مؤسسة موبيليس على كسب ولاء المستهلكين يعزى لاختلاف جنسهم ؛

H1. يوجد اختلاف ذو دلالة إحصائية بين تأثير الكلمة المنقولة المعتمدة من طرف مؤسسة موبيليس على كسب ولاء المستهلكين يعزى لاختلاف جنسهم ؛

H0 .لا يوجد اختلاف ذو دلالة إحصائية بين تأثير الكلمة المنقولة المعتمدة من طرف مؤسسة موبيليس على كسب ولاء المستهلكين يعزى لاختلاف عمرهم ؛

H1. يوجد اختلاف ذو دلالة إحصائية بين تأثير الكلمة المنقولة المعتمدة من طرف مؤسسة موبيليس على كسب ولاء المستهلكين يعزى لاختلاف عمرهم ؛

H0 .لا يوجد اختلاف ذو دلالة إحصائية بين تأثير الكلمة المنقولة المعتمدة من طرف مؤسسة موبيليس على كسب ولاء المستهلكين يعزى لاختلاف مستواهم التعليمي ؛

H1. يوجد اختلاف ذو دلالة إحصائية بين تأثير الكلمة المنقولة المعتمدة من طرف مؤسسة موبيليس على كسب ولاء المستهلكين يعزى لاختلاف مستواهم التعليمي ؛

H0 .لا يوجد اختلاف ذو دلالة إحصائية بين تأثير الكلمة المنقولة المعتمدة من طرف مؤسسة موبيليس على كسب ولاء المستهلكين يعزى لاختلاف دخلهم ؛

H1. يوجد اختلاف ذو دلالة إحصائية بين تأثير الكلمة المنقولة المعتمدة من طرف مؤسسة موبيليس على كسب ولاء المستهلكين يعزى لاختلاف دخلهم ؛

أهمية الدراسة

- تكمن أهمية الدراسة من أهمية المؤثرات الخارجية على القرار الشرائي للمستهلك.

- تركيز الاهتمام على دور الكلمة المنقولة كبرنامج لكسب الولاء.

- تبرز أهمية الدراسة من مدى قوة تأثير الكلمة المنقولة في مواقع التواصل الاجتماعي على سلوك الولاء لدي المستهلك.

أهداف الدراسة

يمكن إبراز أهداف الدراسة في النقاط التالية:

- التعرف على قوة الكلمة المنقولة بين المستهلكين ودورها في كسب الولاء.

- التعرف على تأثير الكلمة المنقولة على القرار الشرائي للمستهلك.

- التعرف على خطوات تطبيق الكلمة المنقولة في المؤسسة.

- التعرف على دور الكلمة المنقولة إلكترونيا في مواقع التواصل الاجتماعي.

حدود الدراسة

- تمت الدراسة على عينة عشوائية من مستهلكي (زبائن) وكالة مؤسسة موبيليس في ولاية الجزائر العاصمة ، وذلك عن طريق المقابلة الشخصية.

- أجريت الدراسة الميدانية في الفترة الممتدة بين شهري نوفمبر وديسمبر لعام 2019.

2.الإطار النظري للدراسة

قبل الشروع في العمل الميداني لاختبار الفرضيات وجب علينا المرور على الإطار النظري للدراسة حتى يتسنى لنا معرفة البعد النظري لمتغيرات هذا العمل البحثي، إذ سنتطرق إلى مفهوم الكلمة المنقولة والتسويق بالكلمة المنقولة، المفاهيم الأساسية لولاء المستهلكين.

1.2مفهوم الكلمة المنقولة

تعد من أهم الأدوات التي تستخدمها المؤسسات في تعزيز الولاء بينها وبين مستهلكيها، فما المقصود بالكلمة المنقولة؟

1.1.2 تعريف الكلمة المنقولة: تعتبر الكلمة المنقولة الإيجابية بين المستهلكين من أفضل الاستراتيجيات لجذب مستهلكين محتملين وتعرف على أنها" إتصال شفوي شخصي بين متصل ومستقبل يدرك بأن المتصل لا يقوم بترويج العلامة أو المنتج أو الخدمة"، وتعتبر التزكية كلمة منطوقة ينبغي أن يكون المتصل مستقلا عن المصنع، حيث يمكن أن تكون هذه التزكية إيجابية أو سلبية وذلك حسب الخبرة السابقة للمؤثر، كما يمكن أن تكون الكلمة المنقولة عشوائية ومعتمدة ببساطة على الخبرة الشخصية الخاصة، أو تكون نظامية أو منتظمة كما هو الحال عندما يتشارك عدد من المستهلكين تجارب متشابهة للإشارة إلى التدفقات المحتملة للمنتجات أو العلامات الرائدة(نجوى سعودي، رابح بوقرة، 2015، ص 127).

تعرف على أنها "ملاحظات إيجابية أو سلبية نتيجة خدمة استخدمها زبون أو مستهلك نقلها لشخص آخر، إن الإتصال بالكلمة المنقولة يعد عاملا مؤثر في إدراك المستهلك لجودة الخدمة أو المنتج ولكن المشكلة تكمن في صعوبة السيطرة عليها، والسبب في ذلك يعود إلى استقلالية الشخص الناقل للكلمة، فوسيلة الإتصال بالكلمة المنقولة غير مدفوعة الثمن، وأن ردة فعل المستهلك نحو الكلمة المنقولة تعتمد على ذاتها والخبرة والتجربة الشخصية (نظام موسى سويدان، 2011، ص8).

كما تم تعريفها على أنها " النصيحة الغير رسمية التي يتناقلها المستهلكين فيما بينهم، عن علامة تجارية، منتج أو خدمة ما وعادة ما تكون سريعة وتفاعلية، كما تفتقر إلى التحفيز التجاري ((Robert East et al, 2008, p215

وتعرف على أنها " تلك الإتصالات الشخصية التي تحدث بصورة طبيعية بين المستهلكين عن منتج ما، يتم فيه تقييمه، بحيث تكون نتائج التقييم إما إيجابية أو سلبية، كما قد تكون شفوية تصدر من زبون راضي جرب حقا هذا المنتج، أو مكتوبة عن طريق البريد، أو رسائل قصيرة عبر الهاتف المحمول، أو الأنترنت عبر وسائل التواصل الاجتماعي (أمينة طريف، 2015، ص 45).

من خلال التعاريف السابقة يمكن أن نستخلص تعريف للكلمة المنقولة كما يلي " هي عبارة عن إتصال بين الأشخاص سواء كانوا مستهلكين حاليين أو محتملين، في كل من البيئة التقليدية والإلكترونية، يتم فيه تقييم منتج ما، بحيث تكون نتائج التقييم إما سلبية أو إيجابية.

2.1.2 أهمية الكلمة المنقولة

– للكلمة المنقولة فوائد إيجابية كثيرة خاصة الصادرة من المستهلكين ذوي الرضا العالي ويشكلون ويعتبرون بمثابة إعلان متحرك للمؤسسة، وهذا بدوره يشجع على تخفيض التكاليف لجذب مستهلكين محتملين (مدني سوار الذهب ومُحَمَّد عبد الرحمان ،2007، ص 114)

– تعتبر مراقبة تأثير الكلمة المنقولة هامة جدا للمعنيين ؛ (نظام موسى سويدان ،2011، ص10).

– بناء علاقات مع المستهلكين، الذي يولد لديهم الولاء للمنتج، ومنه تحقيق ميزة تنافسية ؛

– الحفاظ على سمعة المؤسسة من جهة وتقليل الجهد والوقت والمال لتسريع عملية انتشار منتجات المؤسسة ؛

– توسيع خصائص العلامة مثل الولاء والثبات ؛

– تكمن الأهمية الكبيرة للكلمة المنقولة في أنها تقاد من طرف المستهلكين الراضين عن منتجات المؤسسة لجذب مستهلكين محتملين؛ (أمينة طريف، 2015، ص45).

3.1.2 خصائص الكلمة المنقولة

تتميز الكلمة المنقولة بعدة خصائص حسب الباحث فرنسيس باتل Buttle كما يلي: Buttle, F. A, 1998, p (243)

- الطبيعة أو التفضيل: تكون إما إيجابية أو سلبية ؛

- التركيز: يمكن أن تعمل الكلمة المنقولة في جميع الأسواق بالإضافة إلى سوق العملاء (سوق العملاء ، التأثير الداخلي ، الأعضاء الجدد ، المورد/التحالفات ، الإحالة)، والحجة على هذا هي أنه وعلى سبيل المثال يمكن أن تؤثر الكلمة المنقولة في قرارات الاستثمار ، كما يمكن أن تكون الكلمة المنقولة مصدر هام للمعلومات في سوق الأعضاء الجدد ، إضافة إلى أنها الشكل الأولي للتصرف الذي تقدم وتبنى فيه الثقافة التنظيمية ، وبالتالي امتلاك تأثير كبير على سلوك الموظفين.

- التوقيت: يمكن ترويج إحالة الكلمة المنقولة سواء قبل أو بعد الشراء ، حيث يمكن أن تعمل الكلمة المنقولة كمصدر مهم للمعلومات قبل الشراء وهو ما يعرف بالكلمة المنقولة المدخلة (Input)، كما يمكن أن ينشر المستهلكون الكلمة المنقولة بعد تجربة الشراء أو الاستهلاك وهو ما يعرف بالكلمة المنقولة المخرجة أو الناتجة. (Output)

- التحريض أو الحث: لا ترتبط الكلمة المنقولة بالمستهلكين فقط (يمكن أن تقوم المؤسسة بالحديث عن نفسها)، إضافة إلى ذلك يمكن أن تكون الكلمة المنقولة مقدمة سواء بتحريض أو بدون تحريض ، كما يمكن البحث عنها وقد لا يتم ذلك.

- التدخل أو الاعتراض: رغم أن الكلمة المنقولة يمكن أن تكون معممة تلقائيا ، إلا أن عدد متزايد من المؤسسات تتدخل بشكل نشط لتحفيز وإدارة نشاط الكلمة المنقولة ، كما يمكن أن تعمل الكلمة المنقولة التي يتم إدارتها في المستوى الفردي أو التنظيمي.

2.2 أبعاد الكلمة المنقولة

توجد عدة أبعاد للكلمة المنقولة يمكن إبرازها فيما يلي:

1.2.2 مصداقية الكلمة المنقولة: تعتبر المصداقية أحد أهم العناصر المكونة للكلمة المنقولة ، والتي تلعب دورا هاما في تشكيل المواقف ، فمعظم الباحثين إتفقوا على أن مفهوم المصداقية يقوم أساسا على الولاء والخبرة ، فحسب الباحث METZGER فمصداقية الكلمة المنقولة تتمثل في " مدى الحكم الصادر من صاحب المعلومة ، وما ينطوي عليه من أحكام موضوعية عن جودة ودقة المعلومات ، نابعة من التصورات الشخصية والخبرة الذاتية (أمينة طريف ، 2015، ص46)

2.2.2 محتوى الكلمة المنقولة: يتضمن محتوى الكلمة المنقولة البيانات التي تعطي دقة حول المعلومات المنشورة مثل السعر والمنتج أو الخدمة المعروضة.

3.2.2 نشاط الكلمة المنقولة: ويشير إلى مدى تكرار الأحاديث وعدد الإتصالات ودرجة التفاصيل التي تنطوي عليها.

4.2.2 طبيعة الكلمة المنقولة: وتعبر عن مدى إيجابية أو سلبية الأحاديث التي تدور حول المنتج أو البائع.

5.2.2 كثافة الكلمة المنقولة: التردد الذي يبدأ به الشخص في إتصالات الكلمة المنقولة حتى يهتم عدد المحاورين.

6.2.2 تشتت الكلمة المنقولة: يعبر عن تفاصيل الكلام.

7.2.2جانب العلاقة في الكلمة المنقولة : يمثل البيانات حول طبيعة العلاقة بين المتحدث والمؤسسة (نجوى سعودي ، 2015، ص8)

3.2 تفعيل الكلمة المنقولة: يمكن للمؤسسات تفعيل الكلمة المنقولة إتجاه منتجاتها من خلال ما يلي: (سيرين مُحَمَّد العمري ، 2016، ص 32)

1.3.2 لا يمكن شراء هذه الوسيلة لأنها عبارة عن تحد لا بد أن تكون رائعا لتحصل على هذه الميزة لأن المستهلك الراضي هو الذي سيتحدث عن المنتج أو الخدمة بطريقة إيجابية ، وسيعمل على إيصال هذه النصيحة لغيره من المحيطين به سواء القريبين أو البعيدين عنه جغرافيا عبر الكلمة المنقولة عبر الفم وجها لوجه ، أو في الهاتف ، أو عبر الكلمة المنقولة الإلكترونية ، فالمستهلك الراضي عن المنتج الذي استهلكه أو الخدمة التي تلقاها سيقوم بنشر ذلك عبر

وسائل الإتصال الاجتماعية ليحدث أصدقائه المضافين لديه عن تجربته الإيجابية.

2.3.2 حاليا أصبحت الكلمة المنقولة أكثر أهمية بسبب وجود الأنترنت ، وذلك لأن لكل مستهلك مكبر صوت سواء كان ذلك من خلال الصوت أو الكلمة المنقولة ، وأصبح المستهلكون يتواصلون فيما بينهم للتعرف إلى ما هو جيد في السوق ، والبحث عن خيارات وبدائل عن طريق استشارة الأفراد.

3.3.2 الكلمة المنقولة عبارة عن قناة توصيل إذ أن معظم المسوقين يجب أن يكتشفوا ويطوروا كافة الوسائل التي تدعم الكلمة المنقولة وتحفز المستهلك ليكون شريكا في الترويج للمنتج عن طريق جذب مستهلكين محتملين بأقل تكلفة ممكنة وأوسع انتشارا.

4.2 الكلمة المنقولة إلكترونيا (eWOM)* ومواقع التواصل الاجتماعي

ظهر مفهوم الكلمة المنقولة إلكترونيا وتنوع من خلال ظهور مواقع التواصل الاجتماعي ، وبسبب هذا الابتكار أصبح الأفراد قادرين على توثيق تبادل الأفكار والمفاهيم المتعلقة بالعلامات التجارية والمنتجات أو الخدمات مع أصدقائهم من خلال شبكة الأنترنت. وهذا ما أدى بالمؤسسات لدمج مواقع التواصل الاجتماعي كجزء لا يتجزأ من المزيج الترويجي ، نظرًا لخصائص هذه المواقع مثل فيسبوك وتوتير يوتيوب...الخ.

تعد مصداقية الكلمة المنقولة إلكترونيا عامل رئيسي في مساعدة المستهلكين للحكم على صحة المعلومات الواردة ضمن الكلمة المنقولة إلكترونيا ، كما أن تصميم مواقع التواصل الاجتماعي التي تنشر عليه الكلمة المنقولة إلكترونيا يساعد على زيادة استخدام هذه المواقع من قبل المستهلكين ، فكلما احتوى الموقع على مرئيات فاعلة كلما زاد من استخدام الموقع والتعامل معه باستمرار ، كما أن تصنيف مصدر المعلومات الواردة من خلال الكلمة المنقولة إلكترونيا من حيث خبرة المرسل ودرجة الولاء التي يتمتع بها تؤدي إلى زيادة الولاء. (هاني تيسير الخطيب ، 2014 ، ص16).

5.2 التسويق بالكلمة المنقولة

يعتبر التسويق بالكلمة المنقولة من بين الاستراتيجيات التسويقية الأكثر فعالية التي تعتمد عليها المؤسسات في كسب ولاء مستهلكيها وجذب مستهلكين جدد.

1.5.2 تعريف التسويق بالكلمة المنقولة

تعتبر الكلمة المنقولة الايجابية بين المستهلكين من أفضل الممارسات التي تستخدم لقياس والتنبؤ بنمو المؤسسة وأكبر ميزة يمتلكها تسويق الكلمة المنقولة هي موثوقية المصدر التي يفتقر إليها الإعلان.

يعرف التسويق بالكلمة المنقولة على أنه " جهد من طرف المؤسسة للتأثير على الطريقة التي يقوم من خلالها المستهلك بخلق و/أو توزيع المعلومات المتعلقة بالتسويق إلى مستهلكين آخرين" ؛

هو جهد من طرف المؤسسة لتشجيع وتسهيل وتضخيم الإتصالات المتعلقة بالتسويق بين المستهلكين (نجوى سعودي ، 2015 ، ص 59).

كما يعتبر التسويق بالكلمة المنقولة على أنه نوع من أنواع التسويق الذي يروج للكلمة المنقولة الإيجابية عن المنتج بين الأشخاص بطرق احترافية تحقق هدف المؤسسة.

2. 5.2 خطوات التسويق بالكلمة المنقولة

توجد عدة خطوات تم اقتراحها لتسويق بالكلمة المنقولة كما يلي:

– البحث عن وسيلة لوضع المنتج أو الخدمة في أيدي أشخاص مؤثرين.

– توفير القنوات المناسبة لهؤلاء ليتحدثوا بحماسة عن المنتج أو الخدمة.

– جمع شهادات المستخدمين ووسائل الشكر والمديح.

– عقد مناسبات مرحة تجمع المستهلكين وغير المستهلكين لما يتم بيعه.

– إخراج مقاطع فيديو وتسجيلات صوتية للمستهلكين الراضين عن المنتج أو الخدمة ، وإتاحتها في

أسطوانات وعبر الأنترنت ونشرها بين المستهلكين المحتملين.

– عقد دورات تدريبية وجلسات للتشاور والتحاور (نجوى سعودي ، 2015، ص 86).

– أن تعمل المؤسسة على إجراء مقابلات، أو تشكيل مجموعات للمناقشة مع المستهلكين، للتعرف على آرائهم، مقترحاتهم الخاصة بالسلع والخدمات التي تقدمها المؤسسة والمؤسسات المنافسة.

– أن تقوم المؤسسة بتطبيق برامج فوائد العضوية ؛ (منى يوسف شفيق ، 2009، ص63).

6.2 مفاهيم أساسية حول ولاء المستهلك

في ظل التغيرات المستمرة لسلوكيات المستهلكين، أصبح موضوع الولاء من المواضيع والقضايا الصعبة جدا، مما أدى بالكثير من الباحثين في مجال التسويق للإهتمام به ودراسته، لما له من أهمية بالغة في نجاح وتفوق المؤسسات، فما المقصود بولاء المستهلك؟

1.6.2 تعريف ولاء المستهلك

ولاء المستهلك هو ارتباط المستهلك بعلامة تجارية أو متجر أو مؤسسة أو مزود خدمة أو كيانات أخرى، بناءً على المواقف الإيجابية والاستجابات السلوكية مثل تكرار الشراء (Ibrahim Zakaria et al, 2013)، ولاء المستهلك هو نتيجة لموقف إيجابي من الفرد إتجاه علامة تجارية (منتج أو خدمة) ينتج عنها عمليات شراء متكررة ؛

(Christian Barbaray, 2016, p06) كما يعرفه Brawn انه "توقع شراء علامة ما في غالب الأحيان انطلاقا من خبرة إيجابية سابقة، بمعنى أن المستهلك الذي يتميز بالولاء هو المستهلك الذي يشتري نفس العلامة عدة مرات، وبشكل متتالي، ومنه يمكن تحديد وقياس الولاء بطريقة عملية، مفادها أن المستهلك يكون في اعتقاد إيجابي إتجاه هذه العلامة". (نوري منير ولجلط إبراهيم ، 2013، ص30)

أما ترينكوست Trinquecoste فعرف ولاء المستهلك كما يلي" الولاء موقف إيجابي للمستهلك نحو المنتج، أو العلامة أو المؤسسة، يتضح في تكرار السلوك الشرائي" (معراج هواري وآخرون ، 2013، ص38).

ويعرف ولاء المستهلك على أنه "التزام عميق من قبل المستهلك بإعادة شراء منتج معين مفضل لديه، وقيام هذا المستهلك بتوصية الآخرين بشرائه، مع وجود مؤثرات ترويجية تستهدف إثناءه، وإبعاده عن التعامل مع هذا المنتج لصالح منتجات أخرى" (مُحَمَّد منصور أبو جليل وآخرون، 2014، ص76).

من خلال التعاريف السابقة نستنتج أن مفهوم ولاء المستهلك يرتكز على الموقف الإيجابي للمستهلك إتجاه منتج أو علامة أو مؤسسة، يتضح من خلال عملية تكرار الشراء، بالرغم من وجود مؤثرات ترويجية، وبدائل تستهدف إبعاده عن هذا المنتج أو العلامة أو المؤسسة لصالح التعامل مع المنافسين.

2.6.2 أهمية كسب ولاء المستهلك

إن كسب ولاء المستهلك من طرف المؤسسة يعد مؤشر هام لنجاحها، وهذا لما له من فوائد وأهمية كبيرة، يمكن توضيحها في النقاط التالية:

– تخفيض التكاليف التسويقية: كسب ولاء المستهلك والحفاظ عليه، أهم من جذب مستهلكين جدد، فقد تم التركيز فيما مضى على جذب مستهلكين محتملين، لكن الجميع يدرك اليوم أن فقدان المستهلكين كلف الكثير، وأن المستهلكين الذين يتم تزكيتهم شخصيا من قبل الأقارب والأصدقاء هم الأكثر ولاء على المدى الطويل، لهذا تستخدم المؤسسات برامج كسب الولاء، لتحفيز المستهلكين الحاليين على جذب وتشجيع مستهلكين محتملين للتعامل معها (جيل غريفن ، 2001، ص23)

– إعطاء قدرة للمنتجين في التفاوض مع الموزعين: العلاقة بين المؤسسة المنتجة والموزع عادة ما يحكمها مبدأ القوة، ووجود ولاء لدى المستهلكين للمنتج يقوى الوضعية التفاوضية للمؤسسة أمام الموزعين، لأنهم يدركون أن المستهلك ذو الولاء إذ لم يجد المنتج في نقطة بيعه، فإنه يتخلى عنه ويتجه للبحث عنها في نقاط بيع أخرى.

– جذب مستهلكين جدد: يقوم المستهلك ذو الولاء بالتحدث بشكل إيجابي عن المنتج أمام أصدقائه أو زملائه أو جيرانه، وهو بذلك يعتبر مصدر ترويجي للمنتج وتزكية له عند المستهلك الجديد، ونظرا لمصداقية تلك الأحاديث (الكلمة

المنقولة) مقارنة بالمصادر الترويجية الأخرى (الإعلان ، البيع الشخصي...)، فإنها تمنح المؤسسة فرصة جذب مستهلكين جدد دون تحمل أي تكلفة.

- الولاء يمنح الوقت في الرد على المنافسين ؛
- لا يبحث المستهلك ذو الولاء عن التجديد ، وقد لا يكون مهتما إطلاقا بتوفر علامات جديدة في السوق لأنه لا ينوي تغيير المنتج الحالي ، وبالتالي في حالة قيام المنافس بإطلاق منتج جديد لا يثير ذلك مخاوف المؤسسة عند وجود مستهلكين موالين لها ، فهذا يعطيها فرصة لمواجهة المنافسة (دباغي مريم ، 2017 ، ص13)
- زيادة حجم الأرباح التي تحصل عليها المؤسسة ؛

إن العائد المتحقق من ولاء المستهلك هو عائد طويل الأجل ، فكلما زادت مدة الاحتفاظ بالمستهلكين ذوي الولاء كلما حصدت المؤسسة أرباحا أكثر ، ويمكن أن يساهم ولاء المستهلك في زيادة الأرباح من خلال إسهامه في تخفيض التكاليف ؛ (علاء عباس علي ، 2009 ، ص 44).

3.6.2 برامج كسب ولاء المستهلك

تعتمد المؤسسات من أجل كسب ولاء مستهلكيها على عدة برامج من بينها نجد:

-**برنامج بطاقة الولاء**: هو خطة حوافز تسمح للمؤسسات بجمع معلومات عن مستهلكيها وتمنحهم خصومات المنتج ، ونقاط للمنتجات أو بعض المكافآت الأخرى في مقابل مشاركتهم الطوعية في البرنامج ، والهدف من هذا البرنامج هو بناء أعمال متكررة من خلال تقديم شيء غير متاح للمستهلكين. (Sima Ghaleb 2015،p81 ، Magatef, Elham Fakhri Tomalieh).

-**برنامج نادي المستهلكين**: برنامج نادي المستهلكين يتم فيه منح عضوية مجانية للمتعاملين مع المؤسسة ، أو في مقابل رسم اشتراك بسيط ، بحيث يتمتع المنتمي لهذا النادي بخصومات على بعض المنتجات ، ودعوات لاجتماعات محلية وشهرية لحضور برامج خاصة مثل الحفلات الموسيقية (منى شفيق ، 2009 ، ص64).

-**برنامج خدمة ما بعد البيع**: هي الخدمة التي يتم توفيرها للمستهك بعد تسليم المنتج ، وتهدف هذه الخدمة إلى دعم المستهلكين في استخدام المنتج والتخلص منه ، ويعتبر وسيلة لتحقيق فوائد لهم ، وإنشاء عمل تجاري كفرصة للمؤسسة ، وعادة ما تستخدم في مجال التصنيع (Didik Wahjudi et al, 2018, p66).

-**برنامج مجلات المستهلكين**: هو عبارة عن مجلات خاصة بالمؤسسة تشبه المجلات الصحفية لكنها موجهة نحو المؤسسة ومنتجاتها بحيث تقوم المؤسسة بإرسال هذه المجلات بصفة منتظمة للمستهلكين المشتركين فيها (معراج هواري وآخرون ، 2013 ، ص 118).

3. الإطار التطبيقي للدراسة

حتى نتحقق من صحة فرضيات الدراسة ونجيب عن الإشكالية قمنا بدراسة ميدانية على عينة من مستهلكي وكالة مؤسسة موبيليس في ولاية الجزائر العاصمة كما سنوضحه في العناصر التالي:

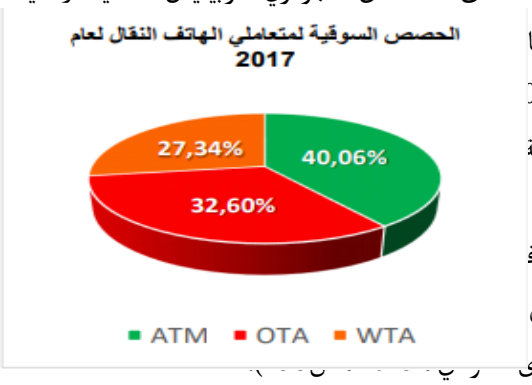
1.3 تعريف مؤسسة موبيليس ونشأتها

إتصالات الجزائر للهاتف النقال Algérie Télécom Mobileهي شركة تنشط في مجال خدمات الهاتف النقال وهي عبارة عن مؤسسة ذات أسهم رأسمالها يقدر ب 000 000 100دج مقسم إلى1000 سهم قيمة كل سهم تقدر ب:000 100 دج ، وهي أحد فروع المؤسسة الوطنية لإتصالات الجزائر ، أصبحت مستقلة بذاتها بداية من شهر أوت 2003 لتكون بذلك مؤسسة ذات أسهم ، مقرها الاجتماعي بحيدرة الجزائر العاصمة ، وقد بدأت مؤسسة موبيليس في تقديم خدمات الدفع المسبق للجمهور في أوت 2004.

باشرت هذه المؤسسة أعمالها بوسائل مادية وبشرية كانت تابعة لمؤسسة إتصالات الجزائر ، وورثت مؤسسة موبيليس150 ألف مشترك عن الشركة الأم ، وباختيارها وتبنيها لسياسة التغيير والإبداع ، تعمل مؤسسة موبيليس دوما على عكس صورة إيجابية من خلال السهر على توفير شبكة ذات جودة عالية وخدمة جد ناجعة للمشتركين ، كما أرادت مؤسسة موبيليس التموقع كمتعامل أكثر قربا من شركائها وزبائنها ، وما زاد ذلك قوة شعارها الجديد "أينما كنتم" ، يعد هذا الشعار تعهد بالإصغاء الدائم ، ودليلا على التزامها بلعب دور مهم في مجال التنمية المستدامة

وبمساهمتها في التقدم الاقتصادي، بالإضافة إلى احترام التنوع الثقافي، والتزامها بتحمل مسؤوليتها الاجتماعية ومساهمتها في حماية البيئة، وهذا بالرجوع إلى قيمها الأربعة المتمثلة في الشفافية، الولاء، الحيوية، والإبداع.

حقق المتعامل الجزائري موبيليس تغطية وطنية



للسكا
0000
تغطية
اليوم
وشفاف
يكمن
(نجوى

2.3. موقع مؤسسة موبيليس في سوق الهاتف النقال في الجزائر

تعتبر مؤسسة موبيليس المنافس برتبة المتحدي الأول، كما تعتبر الرائدة في سوق الهاتف النقال في الجزائر، وحسب تقرير سلطة الضبط للبريد والمواصلات لسنة 2018 فإن مؤسسة موبيليس تحوز على نسبة 42.01 ٪ من الحصة السوقية بعدد مشتركين يزيد عن 21 ألف مشترك.

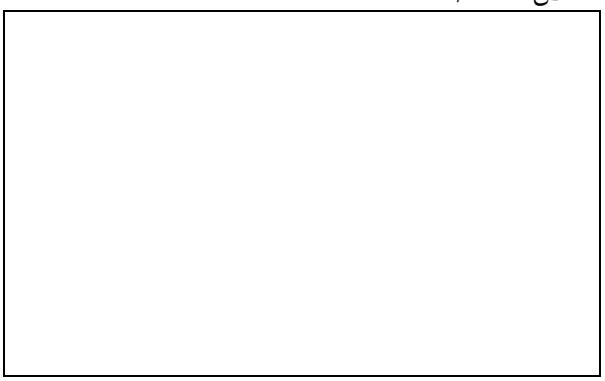
الجدول رقم (1): عدد المشتركين لكل متعامل في سوق الهاتف النقال في الجزائر خلال 2017/ 2018.

السنة / المتعامل	2017	2018
الجزائر للإتصالات موبيليس	18365148	21632076
أوراسكوم تيليكوم الجزائر جازي	14947870	15943194
الوطنية للاتصالات الجزائر أوريدو	12532647	13914876
المجموع	45845665	51490146

Source https://www.mpttn.gov.dz/ar/content/ type-paiement, page consultée le : 14/01/2020.

نلاحظ من الجدول أعلاه أن عدد المشتركين لدى الجزائر للإتصالات موبيليس قد انتقل في الفترة 2018/2017 من18365148 إلى 21632076 وهو ما يمثل قفزة نوعية للمؤسسة مسجلة بذلك أعلى نسبة مقارنة بمنافسيها، أما عدد المشتركين لدى أوراسكوم تيليكوم الجزائر جازي بلغ 15943194 بعد أن كان 14947870 خلال سنة 2017، في حين وصل عدد المشتركين لدى الوطنية للاتصالات الجزائر أوريدو 13914876 بعدما كان 12532647 خلال سنة 2017، في الإجمالي إنتقل عدد المشتركين في خدمة الهاتف النقال في الجزائر من 45845665 إلى 51490146.

الشكل رقم (1): توزيع حصص المتعاملين في السوق خلال 2017/ 2018.



ATM : الجزائر للإتصالات موبيليس

OTA : أوراسكوم تيليكوم الجزائر جازي

WTA : الوطنية للاتصالات الجزائر أوريدو

Source : https://www.mpttn.gov.dz/ar/content/type-paiement, page consultée le : 14/01/2020.

من خلال الشكل يتضح أن الجزائر للاتصالات موبيليس تمتلك الحصة الأكبر بنسبة 40.06٪ في سنة 2017 ولتتوسع حصتها إلى 42.01 ٪ في سنة 2018، وبالتالي تأكيدها كرائدة في السوق خلال السنتين على التوالي، تليها أوراسكوم تيليكوم الجزائر جازي بنسبة 32.60 ٪ في سنة 2017 مسجلة انخفاض طفيف في حصتها لسنة 2018 إلى 30.96٪، وتليها الوطنية للاتصالات الجزائر أوريدو بنسبة 27.34 ٪ في سنة 2017 مسجلة انخفاض طفيف في حصتها لسنة 2018 إلى 27.02٪.

3.3. مجتمع وعينة الدراسة

يتمثل مجتمع الدراسة في جميع مستهلكي وكالة مؤسسة موبيليس بمدينة الجزائر العاصمة، ونظرا لقيود الوقت والتكلفة، فقد تم استخدام أسلوب العينة العشوائية، ولهذا الغرض تم توزيع120 استمارة استبيان على مستهلكي وكالة مؤسسة موبيليس في الجزائر العاصمة، حيث تم استرداد 114منها، وبعد مراجعة الاستبيانات المسترجعة تم استبعاد 6 استمارات لعدم اكتمالها أو لتناقض البيانات

المدونة فيها من سؤال لآخر ، وتم اعتماد108 استمارة لغرض التحليل الإحصائي.

4.3. طريقة القياس وجمع البيانات

لقد تم الاعتماد على الاستبيان باعتباره من أكثر الأدوات المستخدمة في جمع البيانات المتعلقة بالدراسة ، حيث يتكون من ثلاث محاور ، يحتوي المحور الأول على معلومات حول البيانات الشخصية لعينة الدراسة من الجنس ، العمر ، المستوى التعليمي ، الدخل.

أما المحور الثاني من الاستبيان يتعلق بالمتغير المستقل الكلمة المنقولة حيث شمل 09 عبارات تقيس في مجملها أبعاد الكلمة المنقولة المطبقة في مؤسسة موبيليس والمحور الثالث يتعلق بالمتغير التابع كسب ولاء المستهلكين ، تم قياسه بالاعتماد على 5عبارات.

تم استخدام مقياس لكرت الخماسي لقياس إجابات أفراد العينة لعبارات الاستبيان ولمعالجة البيانات التي تم جمعها من خلال قوائم الاستبيان تم الاعتماد على برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية Stastical Package for SPSS social Scienees (النسخة 22)، للحصول على نتائج أكثر دقة.

5.3. أدوات التحليل الإحصائية المستخدمة

من أجل الإجابة عن أسئلة الدراسة واختبار الفرضيات تم استخدام الأدوات الإحصائية التالية:

- التكرارات والنسب المئوية لإجابة عينة الدراسة: لوصف البيانات الشخصية لعينة الدراسة.

- المتوسط الحسابي: وذلك لمعرفة إتجاهات أفراد العينة المدروسة.

- الانحراف المعياري: لمعرفة درجة تشتت قيم إجابات أفراد العينة عن المتوسط الحسابي.

- معامل الثبات ألفا كرو نباخCronbachAlpha: لقياس درجة مصداقية فقرات أبعاد الاستبيان.

- تحليل الانحدار الخطي البسيط لتحليل العلاقة بين المتغيرات وقياس أثر المتغير المستقل في التابع.

- تحليل التباين الأحادي ANOVA One Way من أجل تحديد مدى وجود اختلافات ذات دلالة معنوية بين متغيرات الدراسة والخصائص الديمغرافية لأفراد العينة المدروسة.

6.3. نتائج الدراسة (التحليل والمناقشة)

1.6.3تحليل ثبات وصدق الاستبيان

- **الثبات**: يقصد بثبات الاستبيان ، أننا لو قمنا بتوزيعه مرة أخرى على أفراد العينة أنفسهم ، فإننا سنحصل على إجابات نفسها ومقدار معامل الثبات نفسه ، وقد تم التحقق من ثبات استبيان الدراسة من خلال حساب معامل ألفا كرونباخ لمحور الكلمة المنقولة ومحور كسب ولاء المستهلكين وكذا حساب معامل ألفا كرونباخ الإجمالي للاستبيان وهذا ما يوضحه الجدول التالي:

جدول رقم (2): اختبار الثبات

المحاور	العبارات	معامل ألفا كرونباخ
محور الكلمة المنقولة	09	0.71
محور كسب ولاء المستهلكين	05	0.79
جميع محاور الاستبيان	14	0.81

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات البرنامج ال إحصائيSPSS.

نلاحظ من خلال الجدول أعلاه أن معامل الثبات الإجمالي (معامل ثبات الاستبيان) Alpha de Cronbach (ألفا كرونباخ) قد بلغ:0,81، كما أن محاور الدراسة قدرت معاملات ثباتها ب 0.71 لمحور الكلمة المنقولة و0.79 لمحور كسب الولاء ، حيث إذا فاق هذا المعامل 0,6 فإننا نعتبر أن الاستبيان ثابت ويمكن إجراء باقي التحاليل الإحصائية عليه ، لذلك فإن الاستبيان الذي لدينا صالح لإجراء التحليل الاحصائي.

-**الصدق**: يقاس صدق الاستبيان من خلال تجذير معامل الثبات (معامل ثبات الاستبيان) Alpha de Cronbach (ألفا كرونباخ) والذي بلغ: 0,81، إذن معامل الصدق: 0,90 بما أن هذا المعامل قريب من الواحد فإن الاستبيان الذي لدينا يتمتع بصدق كبير ، كما تم عرض الاستبيان قبل توزيعه على مجموعة من الأساتذة المحكمين في ميدان تخصص التسويق وقد تم الاستجابة لأرائهم وإجراء ما يلزم من حذف وتعديل في ضوء مقترحاتهم ، حتى خرج الاستبيان في صورته النهائية مكون من 14 عبارة.

2.6.3خصائص عينة الدراسة

من أجل التعرف على خصائص البيانات الشخصية لأفراد عينة الدراسة، تناول المحور الأول من الاستبيان أهم البيانات الشخصية وهي: الجنس، العمر، المستوي التعليمي، الدخل، وتم الاستعانة بمقاييس الإحصاء الوصفي كالتكرارات والنسب المئوية لوصف العينة حسب هذه المتغيرات والموضحة في الجدول الموالي:

الجدول رقم (03): توزيع أفراد العينة حسب الخصائص المدروسة

الخصائص الشخصية	المستوى	التكرار	النسب المئوية
الجنس	ذكر	57	٪52.8
	أنثى	51	٪47.2
العمر	أقل من 21سنة	14	٪13
	من 21 إلى 30 سنة	67	٪ 62
	سنة من 31 إلى 40	18	٪16.7
	أكثر من 41	9	٪8.3
المستوى التعليمي	متوسط	6	٪5.6
	ثانوي	28	٪25.9
	جامعي	48	٪44.4
	دراسات عليا	26	٪24.1
الدخل	أقل من 18000دج أو لا يملك دخل ثابت	59	٪54.6
	18000دج إلى 29999 دج	16	٪14.8
	30000دج إلى 49999 دج	19	٪17.6
	أكثر من 50000دج	14	٪13

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات البرنامج الإحصائي SPSS.

من خلال الجدول أعلاه يتضح أن فئة الذكور في العينة المدروسة قد بلغ تكرارها 57 مفردة أي ما نسبته 52.8٪ من مجموع أفراد العينة، في حين قدر تكرار الإناث ب 51 مفردة بنسبة 47.2٪ من مجوع عينة الدراسة وبالتالي نلاحظ وجود تقارب بين نسبة الذكور والإناث في العينة المدروسة.

فيما يخص متغير العمر الذي تم تقسيمه إلى أربع فئات عمرية نلاحظ أن أكبر نسبة قدرت ب 62٪من عينة الدراسة للأفراد الذين تتراوح أعمارهم ما بين 21 إلى 30 سنة وتليها نسبة16.7٪للأفراد الذين تتراوح أعمارهم من 31 إلى 40 سنة وتليها النسبة 13٪للأفراد الذين تتراوح أعمارهم أقل من 21سنة، ونسبة 8.3٪للأفراد الأكبر من 41 سنة.

تفسر هذه النتائج على أن مؤسسة موبيليس لها توجه لاستهداف جميع الفئات العمرية وبالأخص الفئة الشابة، والتي تعتبر الأنسب في تطبيق استراتيجيات المؤسسة في كسب ولاء مستهلكيها وتحقيق ميزة تنافسية في سوق شديدة المنافسة.

فيما يخص المستوى التعليمي لمفردات العينة فقد كان أغلبهم يحمل مستوى جامعي حيث بلغت نسبتهم44.4٪ وتليها نسبة 25.9٪من الافراد العينة الذين يحملون مستوى ثانوي، ثم نسبة 24.1٪من أفراد العينة الذين يحملون شهادة دراسات عليا، أما أقل نسبة قدرت ب 5.6٪كانت لأفراد العينة الذين يحملون مستوى متوسط.

بالنسبة لدخل أفراد العينة فنجد أعلى نسبة 54.6٪للأفراد ذوي دخل أقل من 18000دج أو لا يملكون دخل ثابت. لتليها النسبة 17.6٪للأفراد ذوي دخل يتراوح من 30000دج إلى 49999 دج وهذا ما يفسر أن المنتجات والخدمات التي تقدمها مؤسسة موبيليس تستهدف جميع شرائح المجتمع باختلاف دخلهم ومستوياتهم التعليمية.

.7.3 تحليل نتائج محاور الدراسة

-تحديد إتجاه آراء العينة

بغرض تحليل النتائج لابد من تحديد إتجاه آراء عينة الدراسة على مقياس ليكرت الخماسي) موافق تماما، موافق، محايد، غير موافق، غير موافق تماما (فإننا نعطيها قيما كما يلي:

موافق تماما	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق تماما
5	4	3	2	1

ويتم بعد ذلك حساب المتوسط الحسابي المرجح، ثم نحدد الإتجاه حسب قيم المتوسط المرجح كما يلي:

جدول رقم (04): معايير تحديد الإتجاهات

المتوسط المرجح	من1 إلى 1.79	من 1.8 إلى2.59	من 2.6 إلى 3.39	من 3.4 إلى 4.19	من 4.2 إلى 5
الإتجاه	غير موافق تماما	موافق	محايد	موافق	موافق تماما

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على دراسات سابقة

حيث نلاحظ أن طول المسافة هي 5/4 وقد تم حساب هذه المسافة على أساس أن القيم الخمسة ، 1،2،3،4،5 ، حصرت فيما بينها 4 مسافات.

-إتجاه أفراد العينة فيما يخص محور الكلمة المنطوقة

الجدول رقم (05): إتجاه أفراد العينة فيما يخص متغيرة الكلمة المنقولة

العبارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التقييم
يتم الحكم على مصداقية الكلمة المنقولة إذ صدرت من أشخاص ذوو خبرة في تجربة منتجات وخدمات مؤسسة موبيليس.	3.14	1.14	محايد
يتضمن محتوى الكلمة المنقولة بيانات ومعلومات دقيقة عن منتجات وخدمات مؤسسة موبيليس.	3.47	0.98	موافق
يتم تكرار الأحاديث عن منتجات وخدمات مؤسسة موبيليس بين الأشخاص بشكل متواصل.	3.55	1.24	موافق
الأحاديث التي تدور حول منتجات وخدمات مؤسسة موبيليس إيجابية.	3.42	1.01	موافق
الأحاديث التي تدور حول منتجات وخدمات مؤسسة موبيليس سلبية.	3.37	1.11	محايد
يزداد عدد المحاورين في الكلام عن منتجات وخدمات مؤسسة موبيليس من خلال التردد في الإتصالات.	3.52	1.13	موافق
المستهلك الراضي عن منتجات وخدمات مؤسسة موبيليس هو الذي يتحدث عنها بطريقة إيجابية وينصح الآخرين بالتعامل معها.	3.70	1.19	موافق
استخدام الأنترنت ساهم في تواصل المستهلكين والتعرف على ما هو جديد في منتجات وخدمات مؤسسة موبيليس.	3.61	0.90	موافق
مواقع التواصل الاجتماعي ساعد على انتشار الكلمة المنقولة بين المستهلكين حول منتجات وخدمات مؤسسة موبيليس.	3.69	1.13	موافق
المتوسط الحسابي والانحراف المعياري العام	3.49	0.61	موافق

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات البرنامج الإحصائي SPSS.

يلاحظ من الجدول أعلاه أن تقييم إتجاه الأفراد لمتغيرة الكلمة المنقولة كان تقيما بدرجة موافق بمتوسط 3.49 وهو أكبر من المتوسط الفرضي 3 مما يدل على الإتجاهات الإيجابية لمفردات العينة ، وانحراف معياري 0.61 مما يؤكد على تجانس إجابات مفردات العينة ، وهذا ما يعكس تركيز مؤسسة موبيليس على تطبيق استراتيجية الكلمة المنقولة لما يحملها من أهمية بالغة في جذب المستهلكين وكسب ولائهم واعتماد الكلمة المنقولة كوسيلة لتحقيق التميز والتفوق على المنافسين.

-إتجاه أفراد العينة فيما يخص محور كسب ولاء المستهلكين

الجدول رقم (06): إتجاه أفراد العينة فيما يخص متغيرة كسب الولاء المستهلكين

العبارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التقييم
تساهم الكلمة المنقولة في تحفيز المستهلكين لإعادة تكرار شراء منتجات وخدمات مؤسسة موبيليس.	3.43	1.14	موافق
الكلام الإيجابي عن منتجات وخدمات مؤسسة موبيليس يساهم في خلق رضا لدى المستهلكين.	3.35	1.16	محايد
الأحاديث المتداولة بين الأصدقاء والأقارب عن منتجات وخدمات مؤسسة موبيليس تعزز ثقة المستهلكين.	3.71	1.01	موافق
تساهم الكلمة المنقولة عبر شبكة الأنترنت حول منتجات وخدمات مؤسسة موبيليس في تعزيز ولاء المستهلكين.	3.59	0.92	موافق
انتشار الكلمة المنقولة حول منتجات وخدمات مؤسسة موبيليس عبر مواقع التواصل الاجتماعي يؤدي للاحتفاظ بالمستهلكين وكسب ولائهم.	3.56	0.95	موافق
المتوسط الحسابي والانحراف المعياري العام	3.52	0.76	موافق

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات البرنامج الإحصائي SPSS.

يلاحظ من الجدول أعلاه أن تقييم إتجاه الأفراد لمتغيرة كسب ولاء المستهلكين في معظم عباراتها كان تقييما بدرجة موافق بمتوسط حسابي عام 3.52 وهو أكبر من

المتوسط الفرضي3 مما يدل على الإتجاهات الإيجابية لمفردات العينة ، وانحراف معياري 0.76 مما يؤكد على تجانس إجابات مفردات العينة ، وهذا ما يعكس سعي المؤسسة على الحفاظ على مكانتها وتفوقها على منافسيها في السوق من خلال دور ومساهمة الكلمة المنقولة في كسب ولاء المستهلكين من خلال الحديث الإيجابي عن المؤسسة ومنتجاتها وتوصية الآخرين بالشراء من مؤسسة موبيليس.

8.3. اختبار الفرضية الرئيسية الأولى

H0: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 0.05 للكلمة المنقولة المعتمدة من طرف مؤسسة موبيليس على كسب ولاء المستهلكين.

H1: يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 0.05 للكلمة المنقولة المعتمدة من طرف مؤسسة موبيليس على كسب ولاء المستهلكين.

لاختبار فرضية الدراسة المتعلقة بإيجاد العلاقة بين متغير الكلمة المنقولة ومتغير كسب الولاء ، سيتم استخدام الانحدار الخطي البسيط عند مستوى دلالة 0.05 والجدول التالي يوضح النتائج

جدول رقم (07): نتائج تحليل الانحدار الخطى البسيط وتحليل التباين

النموذج	المتغير التابع: كسب ولاء المستهلكين							
المتغير المستقل الكلمة المنقولة	معامل الارتباط كارل بيرسون	معامل التحديد R2	معامل المتغير المستقل	الجزء الثابت	تحليل التباين ANOVA			
					اختبار F للنموذج		اختبار t للنموذج	
					قيمة معامل	مستوى	قيمة المعامل t	مستوى
	0.554	0.307	0.698	1.086	46.91	0.000	3.001	0.003

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات البرنامج الإحصائي SPSS.

نلاحظ من خلال الجدول أعلاه أن قيمة معامل الارتباط R بلغت 0.554 وذلك عند مستوى دلالة إحصائية 0.000 وهي أقل من مستوى الدلالة الإحصائية المعتمدة 0.05 ، ما يشير إلى وجود ارتباط متوسط بين المتغير التابع كسب ولاء المستهلكين والمتغير المستقل الكلمة المنقولة ، كما تشير نتائج اختبار معامل التحديد R^2 الذي بلغت قيمته 0.307 إلى أن 30.7٪ من التغيرات الحاصلة الكلمة المنقولة مفسرة من طرف كسب ولاء المستهلك أما النسبة المتبقية فتعود إلى عوامل أخرى لم يتضمنها النموذج.

كما نلاحظ أن قيمة t المحسوبة بلغت 3.001 بمستوى دلالة 0.003 وهي أقل من مستوى الدلالة المعتمدة 0.05 ، وهذا يعني معنوية المتغير المستقل ومعنوية العلاقة التي تجمعه مع المتغير التابع ، أما قيمة F المحسوبة بلغت 46.915 بمستوى معنوية 0.000 وهي أقل من مستوى المعنوية المعتمد 0.05 ، ما يؤكد كفاءة الكلمة المنقولة في تفسير ولاء المستهلكين (كفاءة النموذج)، وعليه وبالاستناد على ما سبق يمكن كتابة نموذج الانحدار الخطي البسيط كما يلي:

كسب ولاء المستهلكين= 0.698 كلمة المنقولة 1.086+

قيمة معامل الكلمة المنقولة في النموذج بلغت 0.698 وهذا يعني أن تغير الكلمة المنقولة بمقدار وحدة واحدة يعزز كسب ولاء المستهلكين لمنتجات وخدمات مؤسسة موبيليس بمقدار 0.698 أي بنسبة 69.8٪

من كل ما سبق نرفض الفرضية الصفرية H0 ونقبل الفرضية البديلة H1 أي يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 0.05 للكلمة المنقولة المعتمدة من طرف مؤسسة موبيليس على كسب ولاء المستهلكين.

9.3. اختبار الفرضية الرئيسية الثانية

H0: لا يوجد اختلاف ذو دلالة إحصائية بين تأثير الكلمة المنقولة المعتمدة من طرف مؤسسة موبيليس على كسب ولاء المستهلكين يعزى لاختلاف خصائصهم الديمغرافية (الجنس ، العمر ، المستوى التعليمي ، الدخل).

H1: يوجد اختلاف ذو دلالة إحصائية بين تأثير الكلمة المنقولة المعتمدة من طرف مؤسسة موبيليس على كسب ولاء المستهلكين يعزى لاختلاف خصائصهم الديمغرافية (الجنس ، العمر ، المستوى التعليمي ، الدخل).

وتضم هذه الفرضية كما سبق وأشرنا أربع فرضيات جزئية نختبرها بالاعتماد على تحليل التباين الأحادي

ANOVA One Way وفيما يلي نتائج التحليل الاحصائي الخاص باختبار هذه الفرضية

جدول رقم (08): نتائج تحليل التباين الأحادي لتأثير الكلمة المنقولة المعتمدة من طرف مؤسسة موبيليس على كسب ولاء المستهلكين بدلالة الخصائص الديمغرافية.

متغيرات الدراسة	مصادر الاختلاف	متوسط مجموع المربعات	اختبار F	مستوى المعنوية
تأثير الكلمة المنقولة المعتمدة من طرف مؤسسة موبيليس على كسب ولاء المستهلكين	بين الجنسين	0.527	14.583	0.000
	بين أفراد الجنس الواحد	0.036		
	بين الأعمار	1.151	7.334	0.000
	بين أفراد العمر الواحد	0.157		
	بين مستويات الدخل	1.504	16.407	0.000
	بين أفراد الدخل الواحد	0.092		
	بين المستويات التعليمية	2.317	5.854	0.000
	بين أفراد المستوى التعليمي الواحد	0.396		

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات البرنامج الإحصائي SPSS.

من خلال الجدول أعلاه نلاحظ ما يلي:

- قيمة F المحسوبة بلغت 14.583 يقابلها مستوى دلالة إحصائية 0.000 وهي أقل من مستوى الدلالة المعتمدة ، وعليه نرفض الفرضية الصفرية H0 ونقبل الفرضية البديلة H1 أي يوجد اختلاف ذو دلالة إحصائية بين تأثير الكلمة المنقولة المعتمدة من طرف مؤسسة موبيليس على كسب ولاء المستهلكين يعزى لاختلاف جنسهم. وهذا يدل على وجود تأثير للكلمة المنقولة على كسب ولاء المستهلكين حسب اختلاف الجنس (ذكر أو أنثى).

- قيمة F المحسوبة بلغت 7.334 يقابلها مستوى دلالة إحصائية 0.000 وهي أقل من مستوى الدلالة المعتمدة ، وعليه نرفض الفرضية الصفرية H0 ونقبل الفرضية البديلة H1 أي يوجد اختلاف ذو دلالة إحصائية بين تأثير الكلمة المنقولة المعتمدة من طرف مؤسسة موبيليس على كسب ولاء المستهلكين يعزى لاختلاف عمرهم . وهذا يدل على وجود تأثير للكلمة المنقولة على كسب ولاء المستهلكين حسب اختلاف عمر المستهلك.

- قيمة F المحسوبة بلغت 16.407 يقابلها مستوى دلالة إحصائية 0.000 وهي أقل من مستوى الدلالة المعتمدة ، وعليه نرفض الفرضية الصفرية H0 ونقبل الفرضية البديلة H1 أي يوجد اختلاف ذو دلالة إحصائية بين تأثير الكلمة المنقولة المعتمدة من طرف مؤسسة موبيليس على كسب ولاء المستهلكين يعزى لاختلاف مستواهم التعليمي. وهذا يدل على وجود تأثير للكلمة المنقولة على كسب ولاء المستهلكين حسب اختلاف المستوى التعليمي للمستهلك.

- قيمة F المحسوبة بلغت 5.854 يقابلها مستوى دلالة إحصائية 0.000 وهي أقل من مستوى الدلالة المعتمدة ، وعليه نرفض الفرضية الصفرية H0 ونقبل الفرضية البديلة H1 أي يوجد اختلاف ذو دلالة إحصائية بين تأثير الكلمة المنقولة المعتمدة من طرف مؤسسة موبيليس على كسب ولاء المستهلكين يعزى لاختلاف دخلهم. وهذا يدل على وجود تأثير للكلمة المنقولة على كسب ولاء المستهلكين حسب اختلاف دخل المستهلك.

من خلال صحة الفرضيات الجزئية المتعلقة بكل من الجنس ، العمر ، الدخل ، المستوى التعليمي نرفض الفرضية الصفرية H0 ونقبل الفرضية البديلة H1أي يوجد اختلاف ذو دلالة إحصائية بين تأثير الكلمة المنقولة المعتمدة من طرف مؤسسة موبيليس على كسب ولاء المستهلكين يعزى لاختلاف خصائصهم الديمغرافية (الجنس ، العمر ، المستوى التعليمي ، الدخل).

4.الخلاصة

حاولنا في هذا البحث دراسة المفاهيم النظرية المتعلقة بالولاء والكلمة المنقولة كاستراتيجية تعتمد عليها المؤسسات في كسب ولاء المستهلكين ، ولإسقاط الجانب

النظري على الجانب الميداني ، قمنا بدراسة ميدانية وذلك باستهداف مستهلكي وكالة مؤسسة موبيليس في ولاية الجزائر العاصمة من خلال استبيان ، لمعرفة آرائهم في مدى تأثرهم بالكلمة المنقولة المطبقة من طرف مؤسسة موبيليس.

- **نتائج الدراسة**

وفيما يلي سنعرض أهم النتائج النظرية والتطبيقية التي توصلنا إليها من خلال بحثنا في النقاط التالية:

- الكلمة المنقولة الإيجابية تحافظ على سمعة المؤسسة من جهة وتقليل الجهد والوقت والمال لتسريع عملية انتشار منتجات المؤسسة.

- تعتبر الكلمة المنقولة الإيجابية بين المستهلكين من أفضل الممارسات التي تستخدم لقياس والتنبؤ بنمو المؤسسة وأكبر ميزة تمتلكها الكلمة المنقولة هي موثوقية المصدر التي يفتقر إليها الإعلان.

- الكلمة المنقولة تعتبر نوع من أنواع التسويق الذي يروج للكلمة المنقولة الإيجابية عن المؤسسة أو المنتج بين الأشخاص بطرق احترافية تحقق هدف المؤسسة في كسب المستهلكين.

- يقوم المستهلك الراضي بالإشهار عن طريق تسويق الكلمة المنقولة ، حيث يعتبر قناة إتصال ترويجية مجانية للمؤسسة.

من خلال تحليل ومناقشة نتائج الدراسة الميدانية توصلنا إلى ما يلي:

- هناك إتجاه إيجابي لمفردات العينة نحو متغيرة الكلمة المنقولة حيث كان التقييم بدرجة موافق بمتوسط 3.49 وهو أكبر من المتوسط الفرضي 3، وانحراف معياري 0.61 مما يؤكد على تجانس إجابات مفردات العينة ، وهذا ما يعكس تركيز مؤسسة موبيليس على تطبيق استراتيجية الكلمة المنقولة لما تحملها من أهمية بالغة في جذب المستهلكين وكسب ولائهم.

- هناك إتجاه إيجابي لمفردات العينة نحو متغيرة كسب ولاء المستهلكين حيث كان التقييم بدرجة موافق بمتوسط 3.52وهو أكبر من المتوسط الفرضي3 ، وانحراف معياري 0.76 مما يؤكد على تجانس إجابات مفردات العينة ، وهذا ما يعكس سعي المؤسسة على الحفاظ على مكانتها وتفوقها على منافسيها في السوق من خلال دور ومساهمة الكلمة المنقولة في كسب ولاء المستهلكين من خلال الحديث الإيجابي عن المؤسسة ومنتجاتها وتوصية الآخرين بالشراء من مؤسسة موبيليس.

وفيما يخص اختبار فرضيات الدراسة فقد تم التوصل إلى صحة الفرضية الرئيسية الأولي ، فقد أشارت نتائج تحليل الانحدار الخطي البسيط إلى أنه يوجد أثر إيجابي ذو دلالة إحصائية عند مستوي معنوية 0.05 للكلمة المنقولة المعتمدة من طرف مؤسسة موبيليس على كسب ولاء المستهلكين. وهذا ما يفسر مدى فعالية الكلمة المنقولة بين المستهلكين في الاحتفاظ بالمستهلكين وكسب ولائهم ، واعتمادها من طرف مؤسسة موبيليس كاستراتيجية لكسب الولاء.

وتم التوصل إلى صحة الفرضية الرئيسية الثانية ، من خلال قبول صحة الفرضيات الجزئية المتعلقة بكل من الجنس ، العمر ، الدخل ، المستوى التعليمي ، حيث أشارت نتائج تحليل التباين الأحادي أنه يوجد اختلاف ذو دلالة إحصائية بين تأثير الكلمة المنقولة المعتمدة من طرف مؤسسة موبيليس على كسب ولاء المستهلكين يعزى لاختلاف خصائصهم الديمغرافية (الجنس ، العمر ، المستوى التعليمي ، الدخل).

- **توصيات واقتراحات**

في ضوء نتائج الدراسة يمكن أن نقترح على المؤسسات الناشطة في قطاع الإتصالات وخاصة مؤسسة موبيليس ما يلي:

- ضرورة جمع بيانات ومعلومات عن مستهلكيها الحاليين والمحتملين ، من خلال إدارة علاقة المستهلكين.

- كسب ولاء المستهلكين الحاليين والمحافظة عليهم والعمل على توجيههم في جذب مستهلكين محتملين.

-الاعتماد على استراتيجية الكلمة المنقولة في كسب ولاء المستهلكين.

المراجع العربية

كتاب

- شفيق منى يوسف. (2009). *التسويق بالعلاقات* ، المنظمة العربية للتنمية الإدارية ، القاهرة ، مصر.
- علي علاء عباس. (2009). *ولاء المستهلك كيفية تحقيقه والحفاظ عليه* ، الدار الجامعية ، الإسكندرية ، مصر.
- غريفن جيل. (2001). *طرق كسب المستهلكين وزيادة الأرباح ، ترجمة: أيمن الأرمنازي* ، العبيكان ، الرياض ، السعودية.
- منصور مُحَمَّد أبو جليل وآخرون. (2014). *المفاهيم التسويقية الحديثة وأساليبها* ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، الأردن.
- هواري معراج وآخرون. (2013). *سياسات وبرامج الولاء وأثرها على سلوك المستهلك* ، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن.

أطروحات

- دباغي مريم. (2017). *دراسة العوامل المؤثرة في ولاء المستهلك النهائي اتجاه العلامة التجارية للأجهزة الالكترونية* ، أطروحة دكتوراه ، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير ، جامعة البويرة.
- سعودي نجوى. (2015). *مدى تأثير خصائص المنتج ومصدر الكلمة المنقولة في تقييم خدمات الهاتف النقال في الجزائر* ، أطروحة دكتوراه ، علوم تجارية ، جامعة المسيلة.
- سيرين مُحَمَّد العامري. (2016) أثر الكلمة المنطوقة على السلوك الشرائي للمستحضرات التجميل ، مذكرة ماجستير ، كلية الدراسات العليا ، جامعة الزرقاء.

مقال

- سعودي نجوى ، رابح بوقرة. (2015). "دور الكلمة المنقولة في تقييم علامة الخدمة-حالة خدمات الهاتف النقال في الجزائر-" ، *مجلة العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير والعلوم التجارية* ، العدد 13 ، جامعة المسيلة ، ص ص: 125-141.
- سوار الذهب مدني مُحَمَّد عبد الرحمان. (2007). "دور الكلمة المنقولة إلكترونيا على قرار شراء الخدمة الفندقية" ، *مجلة كلية العلوم الإدارية* ، العدد 1 ، جامعة إفريقيا العالمية ، ص ص:101-135.
- سويدان نظام موسى. (2011). "تأثير الكلمة المنقولة على القرار الشرائي للمستهلك من حيث اختياره وولاءه للعلامة التجارية" ، *مجلة المحاسبة والادارة والتأمين* ، جامعة القاهرة ، العدد 79 ، ص ص:1- 21.
- طريف أمينة. (2015). "أثر الكلمة المنقولة على قرار تبني المستهلك للمنتجات الجديدة دراسة ميدانية لخدمات الجيل الثالث G3 لمؤسسة موبيليس بولاية الاغواط" ، *مجلة أداء المؤسسات الجزائرية* ، العدد 07 ، 2015 ، جامعة عمار ثليجي ، الأغواط ، ص ص43-58.
- نوري منير ولجلط إبراهيم. (2013). "التحالف مع العملاء ذوي الولاء مدخل الإدارة رأس المال الفكري للمؤسسة" ، *مداخلة مقدمة للملتقى الدولي الخامس حول رأس المال الفكري في منضمات الأعمال العربية في ضل الاقتصاديات الحديثة* ، جامعة حسيبة بن بوعلي ، الشلف ، الجزائر.

المراجع الأجنبية

Book

-Barbaray Christian. (2016). *Satisfaction fidélité et experience client*, Dunod, Paris ،

Journal

- Didik Wahjudi et al. (2018) "The Impact of After-sales Service Quality on Customer Satisfaction and Customer Loyalty of Middle-upper Class Landed Housings", Journal Teknik Industry, Vol. 20, No. 1.

-Robert East et al. (2008). "Measuring the Impact of Positive and Negative Word of Mouth On Brand Purchase Probability", *International Journal of Resaearch Marketing, Vol.25*.

-Sima Ghaleb Magatef, Elham Fakhri Tomalieh. (2015). "The Impact of Customer Loyalty Programs on Customer Retention", International Journal of Business and Social Science, Vol. 6, No. 8.

- Zakaria Ibrahim Zakaria et al. (2013). "The Relationship between Loyalty Program, Customer Satisfaction and Customer Loyalty in Retail Industry", International Conference on Innovation, Management and Technology Research, Malaysia.

Buttle, F. A: "Word Of Mouth -Understanding And Managing Referral Marketing-", Journal of Strategic - .Marketing, Vol. 6, 1998, p 243

المواقع الالكترونية

-https://www.mpttn.gov.dz/ar/content/type-paiement.

Algerian Higher Education Instructors' Perceptions towards Incorporating Global Citizenship Education in ELT Courses

Date de réception : 2020-01-12 Date d'acceptation : 2021-01-06

Zeyneb khaldi, University of Mouloud Maameri of Tizi Ouzou, zeynebkhaldii@gmail.com

Abstract

This study investigates Algerian EFL university instructors' attitudes towards incorporating Global Citizenship Education (GCE) into ELT courses. The data were collected using a semi-structured interview from 15 university teachers working the academic year 2018-2019. Opinions were taken regarding how instructors described GCE, their responsibilities, the way of practicing GCE, and the challenges faced while doing so. Findings revealed that participants mostly focused on the "value" dimension of GC such as sensitivity. The instructors deemed their roles as guides and mediators. While most of them stated they did not involve techniques in their courses, addressing global issues was conducted by few to promote GC. Consequently, it was concluded that ELT instructors have insufficient levels of knowledge and skills related with GCE.

Keywords: Global citizenship education, ELT courses, higher education instructors.

Résumé

Cette étude examine les attitudes des enseignants universitaires algériens vis-à-vis de l'intégration de l'éducation à la citoyenneté mondiale dans les cours d'anglais. Les données ont été collectées suite à un entretien semi-structuré avec 15 enseignants (A.U. 2018-2019). Des avis sont exprimés sur leur conception de la citoyenneté mondiale, sur leurs pratiques, sur les défis rencontrés et les responsabilités dont ils se sont sentis investis.Selon les résultats, les enseignants se concentraient sur ''le sens des valeurs'' de la citoyenneté telle la ''conscience''. Par ailleurs, ils se considéraient comme guides ou médiateurs, même si, majoritairement, ils ne s'y étaient pas consacrés. Seuls quelques-uns parmi ont essayé de promouvoir la citoyenneté mondiale. Conclusion : les enseignants d'anglais n'auraient pas des niveaux de connaissances et de compétence suffisants pour la promotion de la citoyenneté mondiale.

Mots-clés : L'éducation à la citoyenneté mondiale GCE, classes d'EFL, enseignants universitaires algériens.

الملخص

تستقصي هذه الدراسة مواقف أساتذة اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية (EFL) في الجامعة الجزائرية نحو دمج تعليم المواطنة العالمية (GCE) في أقسام اللغة الانجليزية. تم جمع البيانات باستخدام مقابلة شبه منظمة من 15 أستاذا جامعيًا عاملين في العام الدراسي 2018-2019. تم أخذ الآراء حول كيفية وصف الأساتذة للمواطنة العالمية ، ومسؤولياتهم ، وطريقة ممارستها في أقسامهم ، والتحديات التي تواجههم أثناء القيام بذلك. كشفت النتائج أن المشاركين ركزوا في الغالب على بعد "القيم" لـ لمواطنة العالمية مثل الحساسية. اعتبر الأساتذة أدوارهم كمرشدين ووسطاء. في حين صرح معظمهم أنهم لم يستعملوا أي تقنيات في أقسامهم ، إلا أن معالجة المشكلات العالمية أجريت من طرف الأقلية للترويج لمواطنة العالمية. وبالتالي ، نستنتج أن أساتذة الانجليزية لا يتمتعون بمستويات كافية من المعرفة والمهارات المتعلقة بالمواطنة العالمية.

الكلمات المفاتيح: تعليم المواطنة العالمية-GCE أقسام اللغة الانجليزية - EFL الأساتذة الجامعيين الجزائريين.

Introduction

Since its early beginning, the 21st century held crucial global issues as human rights, democracy, terrorism, peace and war, poverty, social inequality and environmental destruction. Taking into account the fact that in such reciprocally dependent world each correlates to one another, where incidents happening anywhere frame the other parts of the globe, it can be readily deduced that it is impossible to found a secluded life from these matters. Subsequently, raising citizens who have awareness of and sensitivity to global matters and the skills to solve them, and learning to participate in interconnected, complex and diverse societies is no longer a luxury but an ultimate pressing necessity. In this regard, Osler and Starkey (2005) asserted that a paradigm of citizenship within a country's frontiers was inconceivable, while Kan (2009) distinguished between being a citizen of a country to being a citizen of the world. Therefore, the concept of Global Citizenship (GC) was coined, indicating a sense of belonging to a wider community and shared humanity (UNESCO, 2014) and inviting academic institutions to update the curricula and the concept of "citizenship" that was previously integrated in different school subjects throughout the 20th century.

Recognising the unique roles that academic institutions play in constructing youth to participate in our world, many project works developed frameworks to explain and foster what PISA (2018) named Global Competence. PISA (2018) introduced Global Competence as the ability "to examine local, global and intercultural issues, to understand and appreciate the perspectives and world views of others, to engage in open, appropriate and effective interactions with people from different cultures and to act for collective well-being and sustainable development". Similar to PISA, the Council of Europe developed a Reference Framework of Competences for Democratic Culture, to be adapted in primary and secondary schools and higher education and vocational training throughout Europe as well as national curricula and teaching programmes.

Therefore, what scholars call Global Citizenship Education became the radix of an equiponderant teaching. This claim is no exception in the Foreign Language teaching domain where its fruitful application enhances not only the linguistic competence but also the global awareness of learners giving its communicative autonomous platform. The availability of such intellectual base that provides the right atmosphere for rationality in thinking, problem solving as far as the global issues are concerned with the ram of preparing and training good citizens is the responsibility of many educational institutions; most notably universities. Thus, the premise is that higher education nowadays can contribute to the public good by training more global citizens who enter society not only with technical know-how, but also with cultural awareness, a strong sense of civic responsibility and the skills needed to participate as active citizens in a globalized world.

Consequently, this research is deemed important. The general purpose of this study is to examine the perceptions of university educators about integrating global citizenship education (GCE) into ELT courses. In accordance with this purpose, we seek to answer the following:

1. What are their roles and responsibilities in educating students as global citizens?

2. How do they practice GCE in their classes?

3. What challenges are they facing in practicing GCE in ELT courses?

1. Global Citizenship Education (GCE)

The novel citizenship paradigm termed global, world, cosmopolitan or intercultural citizenship, still to date lacks a consensus on its definition. For Brownlie (2001) global citizenship goes beyond just learning about intricate 'global issues' such as sustainable development, conflict and international trade. It is about the worldwide dimension to local matters present in our communities and lives. It is part of what we do,

what we wear, what we eat, what we listen to, etc. To Burrows (2004); however, global citizenship is realizing the powers and their effects on human life, understanding cultures and cultural differences, analyzing the problems of the world from different perspectives, and producing new ideas for the world. OXFAM (2006, p.5), which prepares the global citizenship curriculum, defines a global citizen as someone who:

- is aware of the wider world and has a sense of their own role as a world citizen;
- respects and values diversity. - has an understanding of how the world works;
- is passionately committed to social justice. - participates in the community at a range of levels, from the local to the global;
- works with others to make the world a more equitable and sustainable place;
- takes responsibility for their actions.

In a study carried out by Lima and Brown's (2007), a global citizen is defined as an individual who: **(1)** speaks multiple languages; **(2)** understands about different cultures; **(3)** has no prejudice and respects diversity; **(4)** is willing to help those in need; **(5)** plays important roles in the society; **(6)** uses technology effectively; and **(7)** is informed about what is going on in their country and/or the world.

In this context, enabling individuals as agents who identify with a nascent set of global values and practices and work for the common good and act accordingly within those circumstances can only be trained through education and training activities. That is why, raising global citizens requires renewable educational approaches allowing individuals to adapt to the mobile globalized world. Thence, global citizenship education has recently gained importance in education systems around the world. Global citizenship education infuses learners the idea of not only belonging to their nation, but also to the world and includes global issues such as democracy, social justice and human rights (Davies, 2016).

UNESCO (2015, p.16) expressed the aims of global citizenship education as follows:

- develop an understanding of global governance structures, rights and responsibilities, global issues and connections between global, national and local systems and processes;
- recognise and appreciate differences and multiple identities, e.g. culture, language, religion, gender and our common humanity, and develop skills for living in an increasingly diverse world;
- develop and apply critical skills for civic literacy, e.g. critical inquiry, information technology, media literacy, critical thinking, decision-making, problem solving, negotiation, peace building and personal and social responsibility;
- recognise and examine beliefs and values and how they influence political and social decision making, perceptions about social justice and civic engagement;
- develop attitudes of care and empathy for others and the environment and respect for diversity;
- develop values of fairness and social justice, and skills to critically analyse inequalities based on gender, socio-economic status, culture, religion, age and other issues;
- participate in, and contribute to, contemporary global issues at local, national and global levels as informed, engaged, responsible and responsive global citizens.

According to Cates (2000), the aims of global education are divided into four as; knowledge about world countries and cultures, and about global problems, etc; skills of critical thinking, co-operative problem solving, conflict resolution, etc; attitudes of global awareness, cultural appreciation, respect for diversity, etc; and action: thinking globally and acting locally. Similarly, OXFAM (2006) identified the key elements for developing active and responsible global citizenship as: knowledge and understanding (social justice and equity, identity and diversity, human rights, etc), skills (critical and creative

thinking, cooperation and conflict resolution, communication, etc), values and attitudes (respect for people and human rights, value diversity, concern for the environment and commitment to sustainable development, etc).

2. Global Citizenship Education and EFL Classroom

Global citizenship can be implemented with various subject areas, and each of them has a paramount contribution to foster the key elements of efficacious global citizenship (OXFAM, 2006). However, the language classroom seems to be the ideal place to incorporate 21st century citizenship education, given its cross-cultural nature. Rivers expressed his thoughts (1976, p. 96), ''As language teachers we are the most fortunate of teachers--all subjects are ours". In this context, whatever the learners want to communicate about is the language classroom subject matter (Rivers, 1976 as cited in Jacobs & Cates, 1999).

Indeed, in recent years, many educators in the field of English Language Teaching (ELT) around the world have argued for the importance of global (citizenship) education for English as a Second Language (ESL) and English as a Foreign Language (EFL) (Cates 1997; 2000; 2009; Chowdhury, 2013; Dyer & Bushell 1996; Focho, 2010; Jacobs & Cates, 1999; Jacobs & Goatly 2000; Serrano, 2008; Yamashiro & McLaughlin, 1999). According to Cates (1997), Focho (2010) and Marshal (2007), there is a certain subject flexibility in foreign language courses which does not exist in others. Therefore, advocates note for the importance of bringing a world intercultural perspective to EFL classes. Pramata and Yuliati (2016) argued that foreign language educators, in their classes, have the responsibility of training learners to become active participants in the solution of global issues and develop awareness of these issues, not only focus on the teaching of vocabulary, grammar, pronunciation, listening, speaking, reading and writing. This might be very challenging to the teachers to be more shrewd and updated on the global issues; not only educating students but also conducting teachers' growth (Sato, 1999). In this regard, EFL instructors have to hold a positive attitude towards global citizenship; being flexible about their curriculum and the educational atmosphere.

3. Global Citizenship Education in Higher Education Institutions

Scholars emphasize that global issues should be addressed in ELT courses as a way of teaching for global citizenship. In this context, many researchers argue that one of the best ways to address global issues in class is theme-based instruction within a communicative approach (Cates 1997, 2000; Crandal, 1993; Gursoy, 2010; Met, 1991; Prodromou, 1992; Serrano, 2008; Swenson & Cline, 1993). Theme-based instruction refers to a language teaching approach in which teaching is organized around themes and topics, instead of functions or situations. Educators such as Brinton, Snow & Wesche (1989) and Mohan (1986) suggest that language is a means in learning the world and propose the use of creative, updated themes in classroom teaching. Such atmosphere can be best found in foreign language university subjects. Universities arguably have a responsibility in fostering a student citizenry and global awareness through international curricula.

As a matter of fact, there exists a certain level of awareness about integrating global citizenship education in higher education ELT courses around the world; however, scholarly publications suggest that little has been done on this subject in Algeria. A study by Salem (2018) has showed successful learning in addition to students' positive attitudes towards the course while promoting awareness of global issues. The lack of vital studies in assessing the effectiveness of the educational practices being adopted, no study has been found as far as the perceptions of the educationalists regarding the implementation of GCE is concerned. Hence, the claim here is that higher education today can contribute to the public good by training more global citizens who enter society not only with technical know-how, but also

with cultural awareness, a strong sense of civic responsibility and the skills needed to participate as active citizens in a globalized world.

4. Research Methodology

4.1. Research Design

This research was conducted qualitatively using a phenomenological design. The latter requires rigorous understanding and determination of how individuals perceive, describe, feel, criticize and understand certain phenomenon (Patton, 2002). This study seeks to investigate integrating global citizenship education into ELT courses. By using phenomenological design, attitudes of the instructors about incorporating global citizenship education into ELT courses, the practices they perform, the challenges they encounter during these practices have all been inspected pointedly.

Accordingly, it was indispensable that a semi-structured interview method is to be employed allowing in-depth description of practitioners about the phenomenon under study. Thus, this research is pivotal and the results can provide database for future work related to the topic.

In order to examine the perceptions of higher education instructors about integrating global citizenship education into ELT courses, answers of the following questions were sought:

1) What does global citizenship mean according to the instructors' perceptions?

2) What are the roles and responsibilities of the ELT instructors in educating students as global citizens as perceived by them?

3) What are the instructors' teaching practices in preparing students for "global citizenship?" (If any)?

4) What is the contribution of the current ELT curriculum in educating students as global citizens as perceived by the instructors?

5) What are the challenges of integrating global citizenship education with ELT courses as perceived by the instructors?

4.2. Participants

The participants of the research consist of 15 English instructors who work at higher education institutions in Algeria in the academic year 2018-2019. Convenience sampling or availability sampling, which is one of the purposeful sampling methods, was adopted due to the speed and practicality it gives to the researcher when selecting a situation that is close and easy to access (Saunders, Lewis & Thornhill, 2012). While the twelve of the instructors are male, eight of them are female. Participants' ages ranges from 26 to 65 years. Four of the instructors are professors, whereas seven are doctors and four are doctoral students. Seniority of the instructors are as follows: six of them have 1-5 years, four of them have 6-10 years, two of them have 11-15 years, and three of them have 16 years and up of seniority.

4.3. Data instruments and tools

In order to collect the research data, a semi-structured interview was opted for. The semi-structured format was constructed by the researcher through the literature review. In this interview form, there are ten questions, six of which are open ended. The questions on the interview form run as follows: **1.** How would you define the concept of "global citizenship" in your own words? What characteristics do you think a global citizen should have? **2.** How do you define your role and responsibility as an English Instructor in preparing students as "global citizens?" **3.** What types of teaching practices do you involve in your classroom in preparing students for "global citizenship?" (If any)? Is there anything that you do differently or add to the curriculum at your classes to promote global citizenship? **4.** Do you think the ELT curriculum you are currently following educate students as global citizens? Explain. **5.** What do you see as challenges in ELT courses for preparing students to become global citizens?

4.4. Data Analysis

The data gathered through the interview were analyzed with content analysis technique. The

analysis followed the next steps: the data were downloaded to the computer preparing the texts for data analysis. Educators' answers were examined and coded, and these codes were joined with each other and categorized. Codes and categories were edited. Findings were presented in tables and interpreted (Creswell, 2007, p.185, Strauss and Corbin, 1990, p.61). So as to increase the validity and reliability of the study, the data collected were reported in detail and explained explicitly how the results were reached (Neuman, 2011). Moreover, reflecting the participants' standpoints, findings were presented without any comment, often with a direct quotation. Instructors were given numbers and when they were quoted these numbers (e.g, Educator 3) were added at the end of the quotes. To save the accurate data, participants' responses were voice recorded after their own.

4.5. Findings

4.5.1. Findings regarding the perceptions of the instructors with respect to the concept of "global citizenship"

Frequency distribution of the categories regarding the perceptions of the instructors with respect to the concept of global citizenship is shown in Table 1.

Table N° 1: Categories of instructors' perceptions regarding the concept of "global citizenship"

Category	Code	Frequency
Values and attitudes	Respect	6
	Responsibility	3
	Belonging	8
	Sharing	2
	Openness	4
Skills	Active civic engagement	1
	Solutions	2
Understanding and Knowledge	Identity	1
	Global issues	2
Total		30

According to the teachers' answers about global citizenship definition, three categories were identified: values and attitudes, skills, and understanding. The first category is values and attitudes for most of the educators defined global citizenship as a set of values and attitudes individuals observe. The key components that constitute these values and attitudes according to the interviewed participants were: respect (f:6), responsibility (f:3), belonging (f:8), sharing (f:2), and openness (f:4). Two examples on the concept of global citizenship can be seen in:

"Citizenship is a set of values that any individual should observe when living in social communities. These values contribute to the well-being and safety of all the people. They make like comfortable and enjoyable to all people. Examples of theses social norms could include respect for other people environment." (Educator 1).

"I would define it as the person's ability to feel a part of one global world the way they feel to home in which they have rights and duties to fulfill...simply a person should feel that they belong to one world where the people are seen as one race thinking more about the benefits of humanity than one particular group. They should respect, tolerate, and communicate regardless the political, religious, cultural or social differences. This happens with the existence of a unified Language". (Educator 8).

The second category that comes under the umbrella definition of global citizenship is skills. Two codes were reached regarding this: active civic engagement (f:1), and solutions (f:2). Active engagement was expressed in terms of active duties towards the humanity and the world as protecting the environment. Whereas solutions' skill was discussed through finding resolutions to global issues such as racial discrimination, wars and conflicts, etc. Instructors' statements are illustrated in the following:

"Global Citizenship is the feeling of belonging to the world the way you feel to home. This feeling should engender actions of active citizenship; e.g. protecting the environment." (Educator 14).

"As far as I know, it's the ability to find resolutions to global problems as poverty, racial discrimination, wars and conflicts… etc." (Educator 5).

From table 1, the third category elicited from the teachers' definitions about Global citizenship is understanding, which was expressed as identity, and global issues skills. One example can be seen in:

"Global citizenship is a vague concept linked to openness of the mind and much knowledge about other countries' cultures. It is to feel everywhere one's home by understanding others' languages, customs, habits…". (Educator 3).

4.5.2. Findings regarding the characteristics a global citizen should have.

The results according to the lists provided by the instructors are shown in table 2.

Table N° 2: Categories regarding global citizen's characteristics**.**

Category	Code	Frequency
Acceptance	Respectful	4
	Tolerant	4
Communication	Foreign languages speaker	6
Reflection	Critical thinker	5
Total		19

Table 2 shows the categories obtained from the set of global citizen's characteristics relying on the educators' responses. The categories are: acceptance, communication, and reflection. Two codes were attributed to acceptance; respectful (f:4), tolerant (f:4). Whereas for communication and reflection, one for each were coded as: foreign languages speaker (f:6), and critical thinker (f:5) respectively. Examples taken from the instructors' responses are:

"Educated, conscious, tolerant, speaker of Foreign Languages of, at least a lingua franca, English or otherwise." (Educator 4).

"Respect for people environment, doing one's duties, helping others in need, showing empathy for the disabled, respecting social norms, cooperating with authorities, preserving ecological environment and natural resources such as water, and behaving oneself with people." (Educator 1).

"Culturally aware, autonomous, and tolerant as a whole." (Educator 9).

"Tolerance, multilingual, respect for others' culture and faith". (Educator 15).

"Civism, critical thinking, constructive human being, sharing...etc." (Educator 3).

4.5.3. Findings regarding perceived roles and responsibilities of ELT Instructors in preparing students as global citizens.

Five educators stated that higher education instructors are not much concerned with teaching values of global citizenship. They justified this by stating that they are more concerned with the teaching of content modules and scientific matters. Table 3 shows categories attained according to the statements of those who believe they have a responsibility in this issue.

Table N° 3: Categories regarding responsibilities of ELT Instructors in preparing students as global citizens

Category	Code	Frequency
A Guide	Introducing students to the world and globalization	1
	Teaching about different cultures	3
	Fostering 21st century skills learning	1
A Mediator	Raising awareness	4
	Providing assistance on social strategies	2
Total		11

Table 3 shows the ten answers from the teachers stating they have a responsibility in preparing learners to become global citizens were categorized in the role of a guide and a mediator. According to the responses, a guide is practiced through; introducing students to the world and globalization (f:1), teaching about different cultures (f:3), fostering 21st century skills learning (f:1). Below are the opinions of instructors expressing their role as a guide:

"I believe it is very typical for a teacher to raise their awareness, providing direct instruction on citizenship in the globalized world, provide assistance on social strategies, schedule workshops, trainings, themed study days, work in

collaboration (teachers and students) and participate together in social activities. (Educator 15).

"As an EFL Student and instructor, we would feel more responsible to introducing Students to the world and globalization. English is the medium that ties and unifies the world's societies. The English Language teaching does not only involve teaching about the Language signs themselves but also deals with teaching about cultures and interactions with other societies and cultures. As teachers, our role bases on guiding these Students towards this New world." (Educator 7).

A mediator, the second category, was coded in raising awareness (f:4), providing assistance on social strategies (f:2). The statement of educator 11 expresses the opinions:

"I act as a mediator of knowledge about national and international citizenship and my responsibility also touches upon guiding and helping my learners acquire the skills of the 21st century." (Educator 11).

4.5.4. Findings regarding teaching practices implemented in ELT classes to prepare students for global citizenship.

Eight instructors stated that they did not incorporate any teaching practices in their classroom to prepare students as global citizens. They explained that their classes do not involve systematic teaching of attitudes in respect with citizenship.

Table N° 4: Categories regarding the implementation of teaching practices with respect to the integration of global citizenship with ELT.

Category	Code	Frequency
Discussing global matters	Discussions and debates	5
	Texts' writing	2
Total		7

The only category obtained is; discussing global matters given as a response by the remaining seven instructors who said that they involved global citizenship education practices in their ELT courses. It was found out that discussing global issues were practiced through; debates and discussions (f:5), and texts writing (f:2). Examples on this category are:

"Teaching English culture and literature as parts of a humanist attitude of tolerance." (Educator 15).

"Talking about tolerating differences and the importance of discovering the other in the writing classes." (Educator 2).

"Reflective and critical learning by linking my content (texts and instruction) to the Algerian society and encourage them to make comparisons with other countries." (Educator 6).

4.5.5. Findings regarding whether current ELT curricula in universities educate students to become global citizens.

All of the participants stated that the current ELT curriculum they were following did not educate students as global citizens.

4.5.6. Findings regarding challenges faced by instructors in integrating global citizenship in ELT curricula

The categories attained in accordance with the challenges of integrating global citizenship into ELT curriculum are presented in Table 5.

Table N ° 5: Categories regarding the challenges of integrating global citizenship education into ELT.

Category	Code	Frequency
Student	Unwillingness to become citizens of the world	1
	Cultural barriers	1
Teacher	Less equipped	1
	Less knowledgeable	1
Institutions	Insufficient time and space	2
	Unreadiness for new concepts	1
	Lack of international opportunities	2
Total		9

As seen in Table 5, three categories concerning the challenges faced when integrating

global citizenship education into ELT were marked; namely: student, teacher, and institutions. Student category was coded as: unwillingness to become citizens of the world (f:1), and the cultural barrier (f:1). An example for this category can be seen in educator 15 opinion:

"I think some Students in Algeria do not like being global citizens, İ mean, their attitudes toward worldwide are negative. Also the curricula do not give much time and space to include more activities and topics that Help to engage Students to the global citizens." (Educator 15)

Challenges from the teacher's perspective were expressed in: less equipped (f1), and less knowledgeable (f:1). The following instructor's expression is the example:

"Actually many challenges are sufficient in this field. The big challenge is to systematically incorporate it into teaching contents. The formal teaching of language should dovetail the teaching of values of citizenship. Moreover, teachers should be well equipped explain and demonstrate to their students genuine significance of the values in question." (Educator 1)

The last challenge was categorized as institution whereby three codes were attained: Insufficient time and space (f:2), unreadiness for new concepts (f:1), and Lack of international opportunities (f:2). These two statements enlighten the institutional challenges:

"The lack of intercultural experience. Talking about global citizenship theoretically does not always work. Students should live being global citizens. In this regard, the integration of telecollaboration, which is gaining momentum in EFL today, can really help." (Educator 2).

"Students cannot travel outside their hometown, let alone the country, cannot become global citizens."(Educator 11)

5. Discussion and recommandations

This study was carried out through a semi-structured interview conducted with 15 higher education instructors working at Algerian universities to investigate their perceptions about incorporating global citizenship into ELT courses. According to Oxfam (2006), which prepares global citizenship curriculum, a global citizen should possess the following qualities: knowledge and understanding, skills, and values and attitudes. Research findings showed that Algerian educators put so much emphasis in their answers on the "values and attitudes" dimension such as respecting differences, belongingness, sharing, and responsibility towards global matters. The educators also included solutions skills, and surprisingly, few characteristics as critical thinking, tolerance, communication, mastery of foreign languages within the same context were embraced. This result reveals the degrees concerning instructors' knowledge about the concept Global Citizenship as a whole despite the fact that no studies in the Algerian context have been carried out about the matter before in EFL classrooms. Scholars advocate the teacher's role in making the world a better place developing students' language competencies. Ameziane and Guendouzi (2005) assert that "the English language is not only seen as a means of communication enabling people to interact with cultural appropriateness, but also a means to develop cognitive and metacognitive skills and form knowledgeable citizens of the world". Likewise, Byram (2003) believes that the main task of language instructors is not to teach only language; but to also teach young people the experience of thinking, valuing and behaving in other ways. However, five teachers stated that they have no role towards the responsibility of making the EFL learners global citizens. Two of them suggested a subject with the concept name rather. The other ten educators, whose answers embraced the teacher's role in introducing global citizenship in ELT classes, expressed their roles as guides and mediators. The participants claimed the tasks in practicing their roles are: introducing students to the world and globalization, teaching about different cultures, fostering 21st century skills learning, providing assistance on social strategies, and raising awareness. According to Focho (2010),

FL teachers have a certain flexibility in topics that does not exist in other subjects. Similarly, in studies carried out by Marshal (2007) and Jing (2013), teachers stated that EFL classes have very few restrictions on the types of subjects they may tackle, which makes it possible for the instructors to relate to a wide range of crucial social and cultural issues in the classroom. In this regard, Hosack (2012, 2013) asserts that the use of global issues content related in foreign language classrooms would reinforce global citizenship education. In other words, working with content designed to increase student awareness of issues such as climate change, human rights, international health problems, cultural diversity is considered as a means of teaching for global citizenship. The results also show that most of the instructors interviewed who admitted their responsibility in fostering global citizenship education in their courses, reflect their thoughts in their ELT course practices. Eight instructors stated that they did not incorporate any teaching practices in their classroom to prepare students as global citizens. They explained that their classes do not involve systematic teaching of attitudes in respect with citizenship. This stems from instructors' perception of global citizenship education as an issue only associated with certain courses, such as Social Studies. Oppositely, the literature prevails an increasing awareness in incorporating global citizenship education with ELT. As a matter of fact, numerous studies have shown the possibility of integrating global citizenship as a common area of connection within the scope of many disciplines, including ELT (Cates 1997; 2000; 2002; Chowdhury, 2013; Dyer & Bushell 1996; Focho, 2010; Jacobs & Cates, 1999; Jacobs & Goatly 2000; Hauschild et al., 2012; Hosack, 2012; 2011; Kruger, 2012; Pramata & Yuliati, 2016; Serrano, 2008; Yakovchuk, 2004; Yamashiro & McLaughlin, 1999). The aforementioned studies also emphasize the role of language educators in teaching for a better moral world. In this study, the seven instructors who practice global citizenship education in their courses stated that they did it by only discussing global issues mainly through discussions and debates, or texts' writing. Concordantly, Provo (1993) called for dialogues and debates in teaching. He stated that the educators should design an informative content about substantial world issues to encourage learners think about resolutions. Moreover, researchers favoring the use of global issues as a theme in EFL courses advocate theme-based instruction as a communicative teaching methodology of FL teaching (Cates; 1997, 2000; Crandal, 1993; Met, 1991; Prodromou, 1992; Serrano, 2008; Swenson & Cline, 1993). Gürsoy and Salı (2014) found out that such an approach does not only improve learners' language skills but also raise their awareness, skills and positive attitudes towards these affairs. As far as the curriculum is concerned, all of the participants stated that the current ELT university curriculum they were following did not educate students as global citizens. Nevertheless, a recent study conducted by Omidvar and Sukumar in 2013 displayed a "real" curriculum in university as an unlimited curriculum to specific content but rather a college curriculum that aims to cultivate multifaceted citizens who fulfill their social functions more efficiently. According to the findings, the challenges faced by the instructors when integrating global citizenship education into ELT were related to students, teachers and institutions as well. The participants addressed the challenges related to students in terms of the learners being reluctant and unwilling to become citizens of the world, in addition to social and cultural barriers about the subject. Another perspective regarding the challenges was teachers' related. According to the interviewees' answers, the fact that global citizenship education is a very new concept in the field of ELT, and the instructors' lack of knowledge about it contribute to the challenging aspect in incorporating global citizenship in ELT. Another impulse challenging the GCE integration was the institutional limitations. The latter were expressed by the participants in terms of

insufficient space and time in the curriculum and the lack of international opportunities exchange for the learners. Although the flexibility of the teacher to carry out their lessons is necessary; the intercultural dimension can still be improved even if teachers have to follow a certain curriculum as suggested by Byram, Gribkova and Starkey (2002). The fact that global citizenship education is a very new concept in the field of ELT corresponds to the other findings of the study. The challenge of Instructors' lack of awareness about the subject may have caused them not to struggle enough to raise students' awareness on this issue. It is thought that ELT instructors/ teachers have great roles and responsibilities in educating students as global citizens.

Conclusion

The fundamental goal of this article has been to investigate the perceptions of Algerian higher education instructors about integrating global citizenship education into their ELT courses through a semi-structured interview. Instructors' opinions were taken regarding how they described global citizenship, their roles and responsibilities in educating students as global citizens, the way of practicing global citizenship education in their classes, and the challenges faced while going about it. Findings revealed that participants mostly focused on the "value and attitude" dimension of global citizenship such as sensitivity, sense of belonging, responsibility… etc. The instructors deemed their responsibilities as guides and mediators. While most of them stated that they did not involve any specific teaching techniques in their courses to educate students and prepare them as global citizens, addressing global issues in the courses through discussion, debates and even texts writing were conducted by few instructors to promote global citizenship. Therefore, it has been concluded from the study that ELT instructors have insufficient levels of knowledge, skills, attitude and action related with global citizenship education. It may be helpful to provide ELT educators at all levels with in-service training on integrating global citizenship education into ELT so that they can organize the teaching-learning environment according to global citizenship education. However, it should be reminded that this study was carried out through interviews with 15 instructors working at university in Algeria as a whole. Similar studies with larger samples with mixed methods can provide significant contributions in terms of clarifying the subject in larger groups. In addition, other qualitative studies to be carried out at middle and secondary school levels can be useful in explaining the issue in depth. Empirical studies, case studies and action research that integrate global citizenship education with ELT courses will also make a great contribution to the field.

References

Brownlie, A. (2001). *Citizenship education: the global dimension, guidance for key stages 3and 4*, Development Education Association, London.

Brown, & M, Brown (Eds.). *Reflections on citizenship in a multilingual world*, 15-24, Centre for Information on Language Teaching and Research, London.

Burrows, D. (2004). ‹‹World citizenship››. Paper presented at the American Council on Education Regiona Conference on New Directions in International Education, Beloit, Wisconsin. Retrieved from https://www.beloit.edu/oie/assets/Burrows.pdf.

Byram, M. (2003). *Teaching languages for democratic citizenship in Europe and beyond*. In K.

Byram, M., Gribkova, B., & Starkey, H. (2002). *Developing the intercultural dimension in language teaching: Apractical introduction for teachers.* The Council of Europe. Retrieved from http://lrc.cornell.edu/director/intercultural.pdf.

Cates, K. A. (2009*).* Teaching for a better world: Global issues and language education. *Human Rights Education in Asian Schools* 5, 41-52.

Cates, K. (2000). Entry for global education. In Byram, M. (Ed.). *Routledge encyclopedia of language teaching and learning,* 241-243, Routledge, London.

Cates, K. A. (1997). New trends in global issues and English teaching. The LanguageTeacher. Retrieved fromhttp://jalt-publications.org/old_tlt/files/97/may/cates.html on November 01, 2019.

Chowdhury, P. (2013). ‹‹ELT for peace education: Negotiating ethnic and cultural plurality››. *Advances in Language and Literary Studies*, 4(1)

Crandal, J. (1993). ‹‹Content-centered language learning››.*Annual Review of Applied Linguistics*, 13, 111-126.

Creswell, J. W. (2007). *Qualitative inquiry and research design.* Thousand Oaks, California:Sage Publications.

Davies, L. (2006). ‹‹Global citizenship: Abstraction of framework for action? ›› *Educational Review,* 58 (1), 5-25

Dyer, B., & Bushell, B. (1996). ‹‹World issues or a global perspective? ›› *The Language Teacher Online*, Retrieved from http://jalt-publications.org/tlt/articles/2065-world%20issues-or-global%20prespective on 25 October, 2019

Erfani, S. M. (2012). ‹‹The rationale for iintroducing "global issues" in English textbook development››. *Theory and Practice in Language Studies,* 2(11), 2412-2416.

Focho, G. N. (2010). ‹‹Language as tool for a global education: Bridging the gap between the traditional and a global curriculum››. *Journal of Research in Innovative Teaching*, 3(1), 135-148.

Hosack, I. (2012). ‹‹Citizenship and language education in Japanese high schools››. In Cunningham, P. &Fretwell, N. (Eds.). *Creating communities: Local, national and global,* 132 — 144. London: CiCe.

Hosack, I. (2011). ‹‹Foreign language teaching for global citizenship››. *Policy Science*, 18(3), 125-140

Jacobs, G. M. & Cates, K. (1999). ‹‹Global education in second language teaching››. *KATA*, 1(1), 1999, 44-56.

Jacobs, G. M.,& Goatly, A. (2000). ‹‹The treatment of ecological issues in ELT course books››. *ELT Journal,*54(3), 256-264.

Jing, H. (2013). ‹‹Global awareness: Foreign language teachers' beliefs and practices››. *Intercultural Communication Studies*, 22(1), 95-116.

Kan, Ç. (2009). ‹‹DeğiŞen değerler ve küresel vatandaŞlık eğitimi [Changing values and global citizenship education] ››. *Kastamonu Eğitim Dergisi*, 17(3), 895-904.

Kruger, F. (2012). ‹‹The role of TESOL in educating for peace››. *Journal of Peace Education*, 9(1), 17—30.

Kluge, S., McGuire, D., Johnson, & Johnson, R. (Eds.), *Cooperative Learning* ,82- 94. Tokyo: Japan Association for Language Teaching.

Lima, C.O., & Brown, S.W. (2007). ‹‹ICT for development: Are Brazilian students well prepared to become global citizens? ›› *Educational Media International.* 44 (2), 141-153.

Marshal, H. (2007). ‹‹Global education in perspective in an English secondary school››. *Cambridge Journal of Education*, 37(3), 353—374.

Met, M. (1991). ‹‹Learning language through content: learning content through language››.*Foreign Language Annuals*, 24(4),281-295.

Miles, M. B., & Huberman, A. B. (1994). *Qualitative data analysis* (2nd Ed.). Thousand Oaks, CA:Sage Publications, Inc.

Mohan, B. A. (1986). *Language and content*. Reading, MA: Addison-Wesley.

Nault, D. (2006). *Going global: Rethinking culture teaching in ELT contexts. Language, Cultureand Curriculum*, 19:3, 314-328, DOI: 10.1080/07908310608668770.

Osler, A.,& Starkey, H. (2005). *Changing citizenship-democracy and inclusion in education*. England: Open University Press.

Oxfam (2006). *Education for global citizenship: A guide for schools*. Retrieved fromhttp://www.oxfam.org.uk/coolplanet/teachers/globciti/downloads/gcguide06.pdf

Patton, M. Q. (2002). *Qualitative research & evaluation methods*. USA: Sage Publications

OECD. (2018). PISA 2018 Global Competence. Retrieved from https://www.oecd.org/pisa/pisa-2018-global-competence.htm on 25October, 2019

Pramata, H. & Yuliati (2016). ‹‹ Global education in English classroom: Integrating global issues intoEnglish Language Teaching››. *International Journal of Social Science and Humanity*, 6(9), 719-722.

Prodromou, L. (1992).‹‹ What culture? Which culture? Cross-cultural factors in language learning››. *ELT Journal*, 46(1), 39-50.

Richards, J. C., & Rodgers, T. S. (2001). *Approaches and methods in language teaching* (2nd ed.). Cambridge: Cambridge University Press.

Sato, R. (1999). *Global issues: A communicative activity with integrated grammar*. Departmental Bulletin Paper of KANAGAWA University Repository, Retrieved from http://klibredb.lib.kanagawau.ac.jp/dspace/bitstream/10487/3761/1/kana-12 0003.pdf.

Saunders, M., Lewis, P. & Thornhill, A. (2012). *Research Methods for Business Students* (6th edition), Pearson Education Limited

Serrano, J. R. (2008). ‹‹ELT and citizenship: Basic principles to raise social awareness through language teaching››. *HOW*, 15(1), 63-82.

Strauss, A., & Corbin, J. (1990). *Basics of qualitative research*. Newbury Park, California: Sage PublicationsLtd

Swenson, T.,& Cline, B. (1993). ‹Global issues in a content-based curriculum››. *The Language Teacher*, 17(5), 27,40.

UNESCO (2015). *Global ctizenship education: Topics and learning objectives*.

UNESCO (2014). *Global citizenship education: Preparing learners for the challenges of the 21st century*.

Wang, C.,& Hoffman, D. M. (2016). ‹‹Are WE the world? A critical reflection on selfhood and global citizenship education››. *Education Policy Analysis Archives*, 24(56) 1-22 http://dx.doi.org/10.14507/epaa.24.2152 T

Yakovchuk, N. (2004). ‹‹Global issues and global values in foreign language education:Selection and awareness-raising››. *ELTED*, 8, 28-47.

Yamashiro, A. D., & McLaughlin, J. W. (1999). *The EFL NGO Forum: Integrating Cooperative Learning and Global Issues*. In D.

Preliminary Analysis of Management Master's Students English Needs: Considerations for English for Specific Purposes Problem Based Course Design

Date de réception : 2018-08-08 Date d'acceptation : 2020-12-22

Soumia Boudinar, Mohamed Lamine Debaghine university -Setif 2-, boudinar.soumia@yahoo.com
Said Keskes Mohamed Lamine Debaghine university -Setif 2, keskaid@gmail.com

Abstract

This study aims at analysing the English language needs of 45 Master's Management students in the Department of Management, Faculty of Economics, Commerce and Management at Farhat Abbes University –Setif 1-. To meet the research aim, a questionnaire was designed according to the needs analysis framework suggested by Dudley-Evans and St John (1998) focusing on target needs analysis, present situation analysis, and learning situation analysis. In the light of results, the majority of Master's students noted that ESP course is significant and beneficial for both their academic studies and for their professional future careers. However, the results revealed the participants' dissatisfaction with the different ESP course components due to the absence of clear course objectives in addition to the mismatch between course content and learners' needs. Therefore, students' low proficiency level in English productive skills, especially speaking skills, necessitates reconsideration of the instructional practices of the ESP course and requires considerable focus on the students' needs and spoken communicative aspects of the target language.

Keywords: English for Specific Purposes, Needs Analysis, Business English, Course Design

Résumé

L'analyse des besoins d'apprenants est une étape essentielle dans l'enseignement de l'anglais pour buts spécifiques (ESP). Cette étude cherche à examiner les besoins en langue anglaise de 45 étudiants de Master en Management au Département de Gestion de la faculté d'Economie, de Commerce et de Gestion de l'Université Farhat Abbas - Setif -1. Un questionnaire a été conçu selon l'approche développée par Dudley Evans et St John (1998) couvrant des aires comme : Analyse de la Situation Cible (TSA) ; Analyse de la Situation Présente (PSA) ; et Analyse des besoins d'apprentissage (LSA). L'analyse des données a indiqué que la plupart des étudiants ont noté l'importance de l'anglais dans leur domaine d'étude académique et leur future carrière, cependant, les résultats obtenus ont aussi révélé l'insatisfaction des participants au programme d'anglais et ses composants à cause de l'inadéquation entre le contenu du cours et les besoins des apprenants. Par conséquent, le faible niveau des étudiants dans les compétences de production, en particulier les compétences d'expression orale, nécessite de repenser des pratiques éducatives et une attention particulière aux aspects communicatifs des compétences ciblées.

Mots-clés : ESP (Anglais des Buts Spécifiques), Analyse des Besoins, Anglais des Affaires, Elaboration de programme

الملخص

يعتبر تحليل احتياجات المتعلمين خطوة أولى وأساسية في تدريس اللغة الانجليزية لأغراض خاصة. وتهدف هذه الدراسة إلى تحليل احتياجات تدريس اللغة الإنجليزية لـ 45 طالب ماستر تخصص إدارة الأعمال في قسم الإدارة ، كلية الاقتصاد ، التجارة والإدارة في جامعة فرحات عباس - سطيف - 1. وقد تم تصميم الاستبانة وفقًا لإطار تحليل الاحتياجات التي اقترحها دادلي إيفانز وسانت جون (1998) مع التركيز على تحليل الاحتياجات المستهدفة وتحليل الوضع الحالي ، وتحليل حالة التعلم. في ضوء ما تم العثور عليه ، وقد نوّه معظم الطلاب بأهمية اللغة الانجليزية في مجال دراستهم الأكاديمية ومستقبلهم المهني ، ومع ذلك كشفت النتائج عن عدم رضا المشاركين عن البرنامج ومحتوياته المختلفة بسبب عدم وجود أهداف واضحة ، بالإضافة إلى عدم التوافق بين محتوى الدروس واحتياجات المتعلمين. ولذلك فإن مستوى الكفاءة المنخفضة للطلاب في مهارات الإنتاج ، وخاصة مهارات التحدث يستلزم إعادة النظر في الممارسات التعليمية ويحتاج إلى تركيز كبير على الجوانب التواصلية للمهارات المستهدفة.

الكلمات المفاتيح: الإنجليزية للأغراض الخاصة ، تحليل الاحتياجات ، اللغة الإنجليزية للأعمال ، تصميم المناهج

Introduction

Due to the noteworthy changes that have been recently taking place in the organization of Algerian economic growth, the English language has become a necessary tool for communication. Accordingly, the professional profile of a modern qualified employee should include appropriate communication skills and acceptable English language proficiency to cope with the modern competitive global work arena. In the process of educating future employees, special emphasis on English for Specific Purposes (ESP), henceforth becomes necessary. Given the prevalent importance of Business English (BE) communication, its learning and teaching seem to be a challenging task for Algerian learners whose goal is effective communication. In the same concern, business students, specifically management students need a specific set of communicative language skills for their success in education and career. Due to globalization, international organizations are voicing their concerns about the need for better communication skills among students of Business. Therefore, English for Business Purposes courses should be tailored to suit the requirements of the evolving needs of the workplace.

1.1. Statement of the Problem

Algeria is trying to integrate ESP courses into tertiary studies to respond to the growing demand for English. However, business students consider the English course as necessary but not linked to what they believe to be their genuine study program. Furthermore, the latter is still teacher centred limited to teaching subject related lexis and language structure ignoring the specific needs and interests of learners. This often leads to low and poor learners' performance when they use English in their future profession. In response to this situation, ESP teachers should take into considerations learners' needs. Besides, they should apply innovative approaches which help to develop not only students' ability to communicate properly in English but also to promote their professional skills. To meet these expectations, NA henceforth aims to gather sufficient factual information about the students' perceived English-language needs prior to the start of an English course. According to Kennedy and Bolitho (1984, p.2), "once a learner's needs have been defined, in terms of why he wishes to learn English and the kind of English he will have to use, this information can be used as a guideline for the content of a course suited to his particular interests and needs". Therefore, NA for business students is expected at the beginning of the ESP course to be ready to function effectively in their future workplaces technically and linguistically.

1.2. Aims of Research

The present study aims at analysing the English language needs of Master's students in the Department of Management Sciences at Farhat Abbes -Setif 1- University, Algeria, in order to investigate students' perceptions of the current ESP course and to identify the students' perceptions of their academic and future work needs as regards English language learning. This is done in order to help teachers to design an appropriate ESP course and raise awareness of educationalists in Algeria to draw a clear policy to ensure successful implementation of ESP courses. The main enquiries that were addressed in the present investigation are as follow:

1.3. Research Questions

1) What are the difficulties facing Master's students regarding the learning of English?

2) What are Management students' perceptions regarding their English language needs?

3) Is the ESP course delivered in Management Department at Sétif-1- University adequate to satisfy the Master students' needs?

4) Based on Needs Analysis results, what type of ESP course might fit these students' requirements?

2. Literature Review

2.1. English for Specific Purposes

ESP emerged as an answer to the social demand associated with prosperous business

environment. From the early 1960's, ESP has grown to become one of the main areas of English language Teaching (ELT, henceforth), especially at tertiary education, since it is directed towards meeting specific needs of the particular learners. Accordingly, Hutchinson and Waters (1987) define ESP as an approach to language teaching in which all decisions concerning the content and method are principally based on the learner's reasons for learning. In fact, ESP movement has shown a slow but steady growth over the past decades. According to Hutchinson and Waters (1987, p.6): "ESP was not a planned and coherent movement, but rather a phenomenon that grew out of a number of converging trends."

The emergence and growth of ESP then was brought about by a combination of three main factors: the demands of a brave new world, a revolution in linguistics, and focus on the learner. Therefore, the reason that led to the emergence of ESP was the development in language theory which put much emphasis on learner's specific needs (Hutchinson & Waters, 1987, p. 8). ESP refers to "the area of inquiry and practice in the development of language programs for people who need a language to meet a predictable range of communicative needs" (Swales, 1992, p. 300). That is to say, ESP has been developed in response to learners' communicative needs in specific scientific fields in academic or professional settings. The dominant areas in ESP are Business English (BE) and English for Academic Purposes (EAP, henceforth) and course design issues need to take into account the target learning needs of ESP students. In the same line of thought, Zhang (2013, p.72) states: "ESP is a goal-oriented and well targeted instruction system, which stresses the combination of English language learning and specific purposes of professional learning."

2.2. Needs Analysis and Business English

As the main focus of ESP is the learner and his needs, the importance of NA in any ESP course is undoubtedly undisputable (Songhori, 2008). It is considered as a prerequisite in any course design (Richterich & Chancerel, 1980). Needs analysis is part of main four absolute characteristics of ESP and is referred to as "needs assessment". In Strevens's definition (Johns & Dudley-Evans, 1991, p. 116), NA refers to a set of activities involved in gathering information that will serve as the basis for developing an ESP course that will meet the learning needs of a particular group of learners. According to West (1994, p.1), NA is a process to identify "what learners will be required to do with the foreign language in the target situation and how learners might best master the target language during the period of training".

Concerning Business English (BE), the identification of needs is a prerequisite for the BE course designers. In this respect, Dudley-Evans & St John (1998, p.2) note that "Needs Analysis may indeed be even more fundamental to Business English than to English for Science and Technology, as the learners' needs may vary much more." Likewise, in ESP, rigorous analysis of the linguistic features of the designated situation should be carried out in BE. The identified features, accordingly, will form the BE course. Brieger (1997, cited in Dudley-Evans & St John, 1998, p.58) claims that: "Needs analysis for Business English will set out to identify the range of general and specialist language knowledge required, together with general and professional communication skills." In other words, the data collected include the language application information, communicative skills, and the cognition of the teaching objectives of the learners, working institutions and societies.

2.3. Models of Needs Analyses

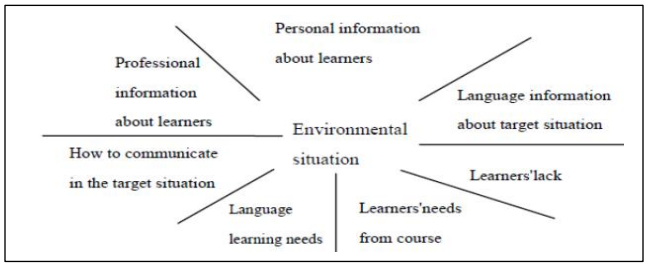
According to Long (2005, p.1), 'just as no medical intervention would be prescribed before a thorough diagnosis of what ails the patient, so no language teaching program should be designed without thorough needs analysis'. NA is considered as one of the key stages in ESP since it provides relevancy for ESP course design process (Jackson, 2004; John, 1991; Dudley-Evans & St. John, 1998). Richterich and Chancerell (1980) put forward some significant aims of NA: to identify elements which will lend themselves to training, to establish the relative importance, and to find out what is

indispensable, necessary, or just desirable. NA aims at clearly demonstrating the objectives, goal, content, teaching learning methods and evaluation procedures for designing the syllabus of the course (Cowling, 2007; St. John, 1996). According to Dudley-Evans and St John (1998), needs were seen as a distinct language item of grammar and vocabulary. At its earlier stage, NA was mainly concerned with linguistic and register analysis (Songhori, 2008). Despite of the various models of NA, only four models are gaining much recognition by scholars. Each model can identify language needs from a particular perspective. The four models are Munby's Target Situation Analysis (1978), Allwright's Present Situation Analysis (1982), Hutchinson and Waters' model (1987) and Dudley-Evans and St. John's Model (1998). The present study follows Dudley-Evan and St John's model since it combines many approaches. Besides, it is appropriate for the objectives of this study which sheds light on every aspect that is relevant to Master's Management students' needs. This model can be viewed as the most comprehensive model for an investigation of ESP needs.

2.3.1. Dudley-Evans and St John's Model of Needs Analysis

Dudley-Evans and St John (1998) established a model for Business English courses which contain a number of aspects illustrated in the following:

Figure 1: *Model of Needs Analysis*



Dudley-Evans and St John's Model of Needs Analysis 1998, p.125

The model, developed by Dudley-Evans & St John (1998) on language needs, is practical and pragmatically covering all aspects of language, such as TSA (Target Situation Analysis), PSA (Present Situation Analysis), LSA (Learning Situation Analysis) and other important considerations. In the model, professional information includes the tasks and activities in which learners are using or will be using English for. This is the Target Situation Analysis and the objective needs of the learners. However, personal information includes concerns about the factors that might affect the way in which learners approach learning tasks, cultural background, attitude to English, or even their reasons and expectations for taking the course. this can be considered as the learners' subjective needs, that include learners' wants, means and strategies. The English language information about the learners' proficiency in language skills and language use which characterize learners is their current skills and language uses; this part belongs to the Present Situation Analysis. This analysis is the effective way to assess the learners' lack, which is the gap between "the English language information about the learner's" and "professional information about the learners".

The main concern of the Present Situation Analysis is the current language proficiency of the learners. Learning needs Analysis seeks to find out the effective ways of learning the language and skills providing remedy for the lacks. Professional communication information concerns the way how the language and skills are used in the target situation. As the learners' needs and attitudes may change during the course, NA is recommended to be conducted all along the process of the course.

2.4. Procedures of Needs Analysis

Needs analysis is a useful tool to investigate learner's needs, but it is not an easy task. As Hyland (2007) argued the use of systematic means to define the specific sets of skills, texts, linguistic forms, and communicative practices that a particular group of learners must acquire is central to ESP. Thus, NA results help in designing syllabi and materials and underlining their pragmatic engagement with occupational, academic, and professional realities. When conducting NA, a variety of procedures can be

used and the type of selected procedures will determine the required information (Richards, 2001).

According to Mohammadi and Nacer (2013, p.1016), in order to conduct Needs Analysis, a comprehensive framework has been proposed by Brown (2009) who explains the stages of a Needs Analysis. His framework consists of three major stages with ten steps:

A. Get ready to do NA

1. Define the purpose of the NA
2. Delimit the student population
3. Decide upon approach (es) and syllabus (es)
4. Recognize constraints
5. Select data collection procedures

B. Do the NA research

6. Collect data
7. Analyse data
8. Interpret results

C. Use the NA results

9. Determine objectives
10. Evaluate the report on the NA project

From the overall findings of the analysis, the researcher attempts to draw implications about the learners' language needs, and finally explains the limitations of the study.

2.5. Previous Studies on Needs Analysis

As mastery of English has become an essential requirement for communication in professional settings, ESP courses have been essentially approved worldwide to satisfy the specific needs of the learners in both academic and professional contexts. A plethora of research in NA that has been undertaken in different disciplines with different frameworks; in the present study, some key studies in Business English context are reviewed and discussed.

Zughoul and Hussein (1985) conducted a Needs Analysis study as an attempt to examine the perceptions of both students and staff members in different disciplines. The findings indicated that the students stressed developing the ability to communicate in various forms includes written, oral, audio-visual and graphic presentations. In the same vein, Basturkmen (1998) carried out NA research to identify students' needs, in seven departments at Kuwait University. The obtained results revealed that engineering students gave great importance to English academic needs.

Besides, Taillefer (2007) conducted a research in which he investigated the professional English language needs of French economics students intending to pursue different professions in the future. Despite their different professional aims, the findings of skills-based questionnaire revealed that an overall high level of English language proficiency was required, mainly in oral communication. Likewise, Kim (2006) carried out a NA study for non-science and non-engineering East Asian graduate students. The results identified individual, small group discussions and whole class discussions as the most frequently required oral classroom tasks for developing listening and speaking skills. Concerning writing skills, Bacha and Bahous (2008) conducted a research to investigate the business students' writing needs at the Lebanese American University. The obtained results indicated the written language ability of the business students and stressed on the improvement of the writing proficiency level in order to cope with the different writing types needed in various target situations.

In professional settings, Cowling (2007) conducted a NA research on a large Japanese heavy-industry company and found content, skills, topic and task based syllabus as the immediate requirement to design a course for intensive workplace course. Furthermore, Crosling and Ward (2002) in their study aimed to determine the importance and frequency of oral communication in the workplace. The obtained results revealed that oral communication in the workplace was highly frequent and important within a company's own department such as work-related discussion. Consequently, participants recommended that the teaching of presentation skills at tertiary level was important in order to equip the students with the oral communicative demands of the workplace.

The major findings of these studies revealed that the majority of the offered BE courses may have not been implemented based on Need Analysis; thus, there would be a gap between the teaching of Business English and the actual communicative target needs. Finally, the process of Needs Analysis may help to contextualize ESP courses according to participants' needs in terms of appropriateness and effectiveness in different settings.

3. Research Design and Methodology

3.1. Participants

The participants in this study were 45 first year Master's students from the Department of Management Sciences in Commerce, Economics and Management Faculty at Farhat Abbes University of Sétif 1. They enrolled in their academic programmes during the first semester of the 2017-2018 academic year, and specializing in "Human Resources Management". They were divided in two groups that consisted of (23) and (22) students respectively.

3.2. Data Collection Tool

There is a shared agreement on the variety of the methods used to collect data in NA. For example, Basturkmen (2010), Chen (2009), Brown (2009), Long (2005), Richards (2002), Graves (2000), and Dudley-Evans and St John (1998) agreed that NA can be conducted using questionnaires, observations, interviews, and tests. The necessary collection procedure tool for the present study is the one through which the research questions can be answered, and it can give a full description and deep understanding of the phenomenon of ESP in the Algerian context. Therefore, questionnaire seems to be the appropriate means for such examination because they are used to gather information on a larger scale (Dudley-Evans & St John, 1998; Graves, 2000). Moreover, questionnaires are useful in collecting data from a large number of people. They can cover questions, which interviews and meetings cannot.

3.2.1. Design of the Questionnaire

The students' questionnaire aims at eliciting information on students' perceptions concerning their language needs, their current language difficulties and competencies, and their language competencies in particular skill related to the target situation with a view to giving implication to Business English course design. The questionnaire is designed according to Dudley-Evans and St John's model (1998) for needs analysis. Before distributing the questionnaire, a focus group discussion was done with participants, who were asked about their opinions about the current ESP course and their expectations from it. In addition to some information about the teaching materials, teaching methods and classroom activities in the courses had been obtained and the information is very important for the design of the questionnaire and was paid special attention to. An adapted needs analysis questionnaire was distributed to the students to investigate the student's situational needs. It was consisted of four sections: personal information, Present Situation Analysis (PSA), Target Situation Analysis (TSA), and Learning Situation Analysis (LSA). Personal information section seeks students' age, gender and learning background. PSA seeks students' current language proficiency level, deficiencies and strengths as well appropriateness of current English course. TSA aims to find out about the learners' needs at the end of a language course and the target level performance. LSA investigates preferred learning styles and strategies of learners, assessment methods as well as the applied teaching and learning methods. The questionnaire consists of a set of multiple choices and an open-ended question to be answered by the participants. In an Attempt to guarantee the reliability of the findings and insure the validity of the results, the questionnaire was pilot-tested with 12 students and the final version was distributed to whole sample.

3.3. Data Collection and Analysis

All the participants were given a brief overview of the objectives of the study, the way of answering and the length of time given for answering the questionnaire. The students were assured that their answers would be kept confidential and their grades would not be affected by their answers in any way. Furthermore, they were informed that they were

not compelled to participate in the research or to declare their names. After the administration of the questionnaire, the collected data were analysed using the Statistical Package for Social Sciences (SPSS). For answering the research questions of the study the results were compared and contrasted. Having collected the responses of the participants, the analyses consisted of descriptive statistics including frequencies and percentages. A process of analysing and interpreting the results is to be conducted in the following section to depict the present status of ESP course in Management Department at -1- university and the English language needs that students are aiming to meet.

4. Data Analysis and Interpretation

4.1. Personal Information

In the survey questionnaire, (45) Human Recourses Management (HRM) Master Students participated. There were (12) male and (33) female students ranging in age from (23) to (35) years old. All participants' mother language is Arabic, the majority of the participants (77,77%) studied English over than (10) years. The majority (86,66%) of the participants are still students, while (13.33%) of the participants work in private and public companies as managers or assistant managers.

4.2. Present Situation Analysis (PSA)

PSA explores to find out the current language proficiency of the students when the language course begins and their strengths and weakness (Robinson, 1991; Songhori, 2008).

4..2.1. The Status of English in the Current Course

The first question in this part was about the overall level of proficiency in English; the results indicated that there was a significant number of students, with a percentage of (57,77%), who claimed to have medium level and have an "Average" capacity at English language skills.

Table 1: Students' English Proficiency Level

	Very weak		Weak		Acceptable		Good		Very good	
	F	%	F	%	F	%	F	%	F	%
Speaking	16	35,55	19	42,22	06	13,33	04	08,88	00	00,00
Writing	11	24,44	09	20,0	15	33,33	10	22,22	00	00,00
Reading	00	00,00	05	11,11	22	48,88	11	24,44	07	15,55
Listening	02	04,44	13	28,88	18	40,00	08	17,77	04	08,88
Grammar	06	13,33	07	15,55	17	37,77	11	24,44	04	08,88
Pronunciation	06	13,33	10	22,22	22	48,88	07	15,55	00	00,00
Vocabulary	04	08,88	09	20,0	19	42,22	07	15,55	06	13,33

Concerning the use of English in their studies, the majority of the participants (80%) claimed that they used English in their discipline. The third question was devised in order to know the main medium Management students used in their discipline. The results showed that (21) participants (46,6%) reported that the written form was the most used in their studies, whereas only (4) participants (08.88%) reported the use of spoken form.

The fourth question aimed to explore students' proficiency level in different language areas as shown in table (1). Accordingly, findings indicated that participants reported an acceptable (average) English proficiency level in different language skills (48,88%) in reading, (42,22%) in vocabulary, (40,0%) in listening, (37,77%) in grammar. Results also indicated that the top three language areas students reported to have low (weak or very weak) proficiency level were speaking (77,77%) in the first rank, then Writing (44,44%) and finally pronunciation in the third rank (35,55%). However, the skills in which participants claimed high proficiency level (good and very good) were: reading (40%), followed by grammar (33,33%) and then listening (28,88%).

4.2.2. Students' Attitudes towards the Present ESP Course

Question (5) in the students' questionnaire sought to determine learners' attitudes towards the present ESP course and its components.

Concerning the ESP course satisfaction, table (1) shows that (24) (53.33%) out of (45), participants were not satisfied with the current English course at the department of Management which was possibly due to the absence of language needs identification right from the beginning and the lack of clear course objectives. Besides, (22) participants (48,88%) showed dissatisfaction with the amount of lessons and (23) participants (51,11%) were not satisfied with the course quality and level. Furthermore, learners' attitude towards students' participation was fairly the same as number and level of activities. (20) participants (44,44%) were not satisfied with the classroom participation which was the outcome of the lack of motivation on the one hand and the low level of students on the other hand.

Table 2: Students' Level of Satisfaction with the

Course Components	Very satisfied		Satisfied		Partially satisfied		Not Satisfied		Undecided	
	F	%	F	%	F	%	F	%	F	%
I am satisfied with the current English course	00	00,00	07	15,55	12	26,66	24	53,33	02	04,44
Quantity of lessons	00	00,00	08	17,77	15	33,33	22	48,88	00	00,00
Quality of lessons	00	00,00	06	13,33	13	28,88	23	51,11	03	06,66
Students' participation	03	06,66	08	17,77	12	26,66	20	44,44	02	04,44
Number and level of activities	02	04,44	06	13,33	13	28,88	20	44,44	04	08,88
Schedule (class time and duration)	03	06,66	10	22,22	09	20,00	22	48,88	01	02,22
Productive skills are stressed in this course	00	00,00	07	15,55	13	28,88	25	55,55	00	00,00
Receptive skills are stressed in this course	06	00,00	26	57,77	07	15,55	03	6,66	02	04,44
Materials used (printed, audio, video, internet)	03	06,66	07	15,55	12	26,66	13	28,88	00	00,00
Teacher's method and style of teaching	05	11,11	05	11,11	10	22,22	21	46,66	03	06,66

4.2.3. English Course Components

As well as the number and the level of activities, participants reported their dissatisfaction about the quantity as well as the quality of language activities and tasks; this was probably due to the fact that these activities did not match their requirements.

Another cause of the participants' dissatisfaction about the English teaching at the department of Management was the time allocated for the course which was one hour and a half, only, per week. About (48,88%) of the respondents claimed that it was the real reason of their disappointment, and the main obstacle to reach a considerable level in the foreign language.

The only satisfying English course component was the emphasis on the receptive skills (reading and listening) where (26) (57,77%) participants reported their satisfaction about the current course in terms of developing reading and listening skills abilities. However, (25) (55,55%) respondents were displeased with the emphasis on the productive skills (writing and speaking), the latter were seemingly neglected due to the nature of teaching methodology where the teacher played the main role in the classroom.

As far as the materials used in the current English course is concerned, (28,88%) of participants demonstrated dissatisfaction that may be because they do not reflect their needs or they are not updated and most often printed based materials that did not motivate them. While (12) (26,66%) participants were fairly satisfied about the used materials and that may be due to the link between their field of speciality with the content of materials. Finally, the teaching methodology remained one of

the major problems for about (46,66%) of the students, who expressed their dissatisfaction with the teacher centeredness and their desire for teaching methodology that should take into account their needs and learning styles.

Table 3: Students' Language Learning Priorities

	Strongly Agree		Agree		Neutral		Disagree		Strongly Disagree	
	F	%	F	%	F	%	F	%	F	%
To use correct grammar	15	33,33	18	40	05	11,11	09	20,00	00	00,00
To expand my vocabulary	08	17,77	17	37,77	05	11,11	09	20,00	06	13,33
To improve my pronunciation	16	35,55	21	46,66	04	08,88	04	08,88	00	00,00
To improve my reading skill	12	26,66	13	28,88	03	06,66	17	37,77	00	00,00
To improve my writing skill	12	26,66	19	42,22	06	13,33	05	11,11	00	00,00
To become a fluent speaker	30	66,66	13	28,88	00	00,00	02	04,44	00	00,00
To improve my listening skill	11	24,44	14	31,11	06	13,33	10	17,77	04	08,88

4.3. Target Situation Analysis

Target Situation Analysis (TSA) is a kind of needs analysis that mainly focuses on students' needs at the end of a language course (Robinson, 1991). In this section, the students target needs are demonstrated.

4.3.1. Students' Language Learning Target Situation

A slightly higher percentage that of participants who answered "very interested" (57,77%) and "interested" (31.11%) in taking a needs based ESP course. Besides, the next question has been devised to know the target for studying English. The results revealed that (100%) of respondents reported that they needed English for work context. Out of (45), (41) participants (91,11%) assumed that their goal was to pursue their academic studies; whereas (33) (73,33%) of participants said that they needed it for the sake of communication in social and private life. These results showed the great impact of the English language on the Master's students' professional career. Students consider English as a prominent language to be taken into consideration as their target needs for their future life.

4.3.2. Students' Language Learning Skills Priorities

In the following, students were asked about their English language priorities. The results in table (3) indicated that out of (45), (43) participants (95,55%) prioritized the ability to improve their speaking and conveyed a comprehensible message in English. (31) (68,88%) participants said that improving the writing skill was their learning primacy. Improving listening and reading skills were the priority of (25) (55.55%) participants. Concerning the other areas of language, the majority of participants (about 70%) gave much importance to improve their pronunciation and grammar; whereas, vocabulary was less emphasized by percentage of (55,55%). Students' learning priorities seemed to lie in improving the productive language skills, especially the speaking skills. The latter is one of the communicative pillars of language that help learners carry and sustain oral communication.

4.3.4. Sub Skills Importance as Perceived by Students

Participants' answers to the question "How much importance do you give to these types of language skills?" were categorized and classified into four categories according to the language skills: reading, writing, speaking, and listening. In this question, students were also asked to rate the importance of some abilities of each of the four skills. Concerning reading skill, the suggested reading abilities that were considered by the participants as important: were (57,77%) of the answers were the ability to read discipline-related documents, such as: books and articles. Besides, (55,55%) of the

participants needed to acquire the ability to read understanding the meaning of technical and academic vocabulary.

As far as the writing skill abilities are concerned, the highest percentage (51,11%) of the answers was devoted to improving the ability to write reports and articles. Additionally, a significant percentage of (44,44%) was devoted to develop the ability to integrate technical and academic vocabulary in their writing.

Almost all the suggested speaking skill abilities were considered by the majority of participants as being either important or very important. The majority of the students, with a percentage of (91,11%), needed to improve the skills necessary to speak fluently with clarity and correctly pronounce words and sentences. Furthermore, the percentage of (80%) was about the importance to participate, to give presentation in discipline-related activities, in addition to the ability to ask and answer questions related to the discipline. Respectively, a percentage of (80%) opted for speaking in conferences and seminars. Finally, (64.44%) of the answers were about speaking with foreign visitors.

Concerning listening sub-skill, (66,66%) of the answers concentrated on the ability to understand general conversations or specific topics. Furthermore, (46,66%) needed to develop the ability to understand discipline related lectures and lessons. Moreover, (44,44%) of the answers provided from students emphasized the ability to understand presentations and reports.

4.4. Learning Needs Analysis

Generally, Learning Needs refers to what students need to do in order to learn the language. According to Hutchinson and Waters (1987, p. 61), an influential needs analysis should cater for students' preference to learn and the learning situation. Thus, this section covered learning needs of Master students in management. This section aims at providing information on the effective ways of learning the language according to the students' views. In line with what was mentioned earlier, results revealed that the current English language course was not based on Management students' language needs. Thus, the highest percentage of the respondents voiced negative views towards the effectiveness of the ESP course as shown in table (4) above.

4.4.1. Pattern of Preferred Learning Styles and Methods

Previously, the majority of students expressed dissatisfaction with the time devoted to English course. Master students at the Department of Management have expressed varied wishes concerning the amount of time per week during which they want to study English. The majority of participants (66,66%) proposed that two sessions (4 hours per week) of English would be convenient. The next question intended to find out students' preferred learning styles. The participants had different learning styles that affected their grouping preferences. The responses revealed that (21) participants (46,66%) opted for "small size group" because it was probably useful particularly in large classes since it provided more opportunities for practice to all learners to practice the language simultaneously.

Concerning students' preferred learning methods to be used in the classroom, the two top options selected were (91,11%) for learning the language through solving problems related to their field and 60% for project work. Regarding students' preference of teaching/learning activities, the majority of participants preferred oral activities where students were involved in oral tasks such as presentations (42) (93.33%), problem solving (39) (86,66%), discussions (38) (84,44%), and role play (30) (66,66%).

4.4.2. Pattern of Preference for the Role of ESP Teacher

The following question attempts to ask students about their preferences concerning their roles in the classroom compared to the teacher's during the English language lesson., it can be seen that 38 (97.6%) of the participants *strongly agreed and agreed* that the teacher should be a facilitator who helps and guides students to learn and does not

control everything. 36 students (76%) also *strongly agreed and agreed* that they preferred to actively participate in the learning process. It seems that students were accustomed to be taught using traditional materials; accordingly, they showed were motivated to use new materials in the English language lessons.

4.4.3. Learning Preferences in Language Materials and Assessment

In this section, results showed that most participants strongly agreed or agreed with all the types of materials. The majority of (39) (86,66%) participants preferred the integration of "ICTs" in ESP lectures, (38) (84,44%) of participants chose "instruction/equipment manuals" that were related to their field of study, while (35) (77,77%) of participants opted for "videotapes" as the needed type of materials to develop their language skills.

As far as the type of assessment is concerned, the majority of 38 participants (84,44%) preferred both "end of term assessment" and "continuous assessment". Comparing the two types, (35) (77,77%) students referred "end of term assessment" over "continuous assessment" with percentage of 48,88%. It seems that students were accustomed to be evaluated at the end of each semester; accordingly, they may have found that continuous evaluation is an efficient method leading to better academic achievement**.**

5. Discussion

The main aim of the present study was to investigate how Master's students of Management perceived the English language needs in the Department of Management Sciences at Farhat Abbes -Setif 1- University. Generally, NA is the process of conducting preliminary research for identifying and analysing the language needs of ESP learners. In this vein, many studies (Hutchinson and Waters, 1987; Nunan, 1989; and Dudley-Evans and St-John, 1998) have supported that an ESP course should be based on the results of a thorough NA to determine and fill the learning gaps and meet the necessities of ESP students. According to Hutchinson and Waters (1987, p.53): "If learners, sponsors and teachers know why the learners need English, that awareness will have an impact on the content of the course and on the positive side, what potential can be exploited." In other words, the content of the ESP course can be adapted according to why learners need it, which will result in a teaching and learning process that is centered on these needs.

As far as PSA is concerned, Dudley-Evans and St-John (1998, p.125) state that "PSA estimates strengths and weaknesses in language, skills, learning experiences." The findings revealed that students estimated the overall English language level to be average. However, the students declared themselves to be suffering from English learning difficulties, which make them perform poorly in an English class. These are similar to the findings of many studies where the low language proficiency of learners affected negatively the ESP courses (Shi, Corcos, & Storey, 2001; Tsao, Wei, & Fang, 2008). In fact, the top three language areas students reported to have low proficiency level are speaking in the first rank, then writing and finally pronunciation in the third rank. In spite of their urgent needs to improve speaking skill, the majority of participants acknowledged their weaknesses in it such as taking part in class discussion, asking and responding to questions. As a matter of fact, these difficulties might be due to the insufficient time and lack practice during the lectures; another reason behind such poor level in speaking skill was their weak English background in oral production due to the nature of ESP course content. Similarly, Jackson (2004) revealed that ESP learners faced difficulty in handling with ESP course due to the weak level in English speaking skills; namely participating in class discussion, asking and replying to questions, and listening comprehension.

According to Basturkmen (2006, p.06), "ESP has functioned to help language learners cope with the features of language or to develop the competencies needed to function in a discipline, profession, or workplace". In the light of what has been found, the majority of Master's students noted that ESP course is significant and beneficial for both;

their academic studies and most importantly for their professional future careers. In this vein, Flowerdew and Peacock (2001) stated that English for Academic Purposes aims to aid learners to study, conduct research, and teach in the target language, whereas, English for Occupational Purposes, as Kim (2008) noted, improves learners' performance in their future occupational settings and places extra emphasis on the manner they learn a language for effective communicative situations in work-related contexts.

Statistically, almost all the named skills were considered as important to be acquired. However, there was an overwhelming agreement among management students in perceiving productive skills to be number one in terms of needs more than receptive ones. When coming to determine the most needed skill, the speaking skill is taken as a crucial one which would benefit the students' future professional careers. This implies that the participants take the English language speaking skills development as a serious matter. Additionally, students prioritised English language speaking sub-skills to be of a paramount importance that the students have to master in order to function effectively in the target situation; such as giving presentations, asking and answering questions, speaking in conferences and seminar. Consequently, the majority of the participants in the present study had the perception that the speaking skills should be given priority when designing an ESP course. In addition, the results indicated that writing, listening as well as pronunciation should also be taken into consideration to improve their English language proficiency in the target situation**.** In this respect, Dudley- Evans and St John (1998) noted that spoken communication in Business English is of a paramount importance especially for professional purposes, though written communication is the most reliable in doing a research.

In order to determine the effectiveness of a language course, the learners' attitude and expectations ought to be examined (Nunan, 1989, p. 176). As far as Nunan's claim is concerned, even though Master's students of Management tended to be enthusiastic and motivated to learn English, the majority of them show signs of dissatisfaction on the current ESP course in terms of various components. The findings indicated that students were not satisfied with the current ESP course because they confronted with several problems such as insufficient English language productive skills practice, students' low achievements, and the inadequacy in the quality and the quantity of delivered ESP lessons in terms of content and materials. Most importantly, insufficient practice on speaking and pronunciation was reported to be the most challenging reason for their failure in ESP learning. In addition to the mismatched teaching materials and methodology since most of the lectures and activities focused on terminology, translation, and grammar on top of the absence of updated aids during the lectures. In the same line of thoughts, many studies denoted the challenges related to the inadequacy of ESP course content in terms of methodology, activities and materials (Ferris & Tagg, 1996a/b, Gatehouse, 2001; and Bacha & Bahous, 2008). These findings advocated the difficulties that students encountered as mentioned previously, thus, it can be inferred that there is an urgent need for having a renewed ESP course to meet management students' English language needs.

Content description, methodological and pedagogical concepts can be comprehensively developed through NA findings (Cowling, 2007). Based on the results of Learning Situation Analysis, the obtained data demonstrated that the traditional teaching approach is fully practised in the ESP classroom at management department, while there is no existence of communicative language teaching, though needs analysis revealed that students devoted a particular attention to active interaction in ESP classroom. Practical suggestions for reforming existing ESP course and classroom teaching practices should be based on communicative methods of English language learning. In this respect, Gatehouse (2001) claimed that ESP is defined as a learning-centred approach; accordingly, it is the teachers' task to identify the changes in learners' needs and then to tailor the ESP course by integrating four language

skills into their lessons, thereby making subject content knowledge accessible and communicative to students' target needs. That is to say, designing and tailoring an ESP course which integrates speaking skills is of paramount importance in the present study since management students' responses were highly weighted towards their desire to improve their spoken communication in English in the target situation. Henceforth, a Problem Based Learning (PBL) course is probably a most suitable method for Master's students in Management Department at Setif 1 University because it can include professional-based oral presentations, specialised vocabulary activities, audio-visual aids, ICTs and authentic course materials and topics relevant to students' area of specializations. Furthermore, language teaching strategies such as problem solving, discussions, and debates could also help improve the ESP students' speaking skills proficiency in the English language. Many scholars advocated the pedagogical significance of PBL in learning the target language because learners develop their language learning through authentic and contextualized involvement in the language use (Abdullah, 1998; kosel, 2002) . The nature of PBL environment in small groups increases speaking opportunities and brings out different opinions and contributions to the subject under study smoothly and effectively. Finally, in PBL context, learners' role is shifted to be more dynamic in the classroom and have the ability to plan for their own studies and the dominant learning style in which they are actively involved is group work in the classroom.

Conclusion

In conclusion, an ESP course based on needs analysis can be regarded as highly effective in enhancing Management students' performance and promoting their achievement in target situations. The current study's NA survey revealed the participants' target academic and professional requirements in addition to the several deficiencies they encounter in ESP course. Besides, students' low proficiency level in English productive skills necessitates reconsideration of teaching speaking skills and demands considerable focus on the communicative aspects of the target skills. Therefore, thoughtful decisions in terms of teachers' experience and methods of teaching in addition to the involvement of learners in the process of course design are required. The obtained results indicated that the participants need a flexible approach to ESP course design which provides practice in speaking skills. To address this issue, a problem-based instructional treatment will be introduced and experimentally conducted to ascertain its effectiveness in stimulating students' speaking skills performance.

References

1. Dudley-Evans, T. & St. John, M. (1998). Development in English for Specific Purposes. Cambridge: Cambridge University Press.

2. Kennedy, Chris & Bolitho, Rob. (1984). English for Specific Purposes. London: Macmillan Publishers Ltd. 6.

3. Hutchinson, T., & Waters, A. (1987). *English for specific purposes: a learning centred approach*. Cambridge: Cambridge University Press.

4. Swales, J. (1992) "Language for Specific Purposes", Bright, W. (ed.) ... II, New York, Oxford, Oxford University Press

5. Zhang, Z. (2013). Business English students learning to write for international business: What do international business practitioners have to say about their texts? *English for Specific Purposes*, *32*, 144-156.

6. Songhori, M.H. (2008). 'Introduction to needs analysis'. English for Specific Purposes world. 4/ 1-25.

7. . Richterich, R., & Chancerel, L. (1980). Identifying the needs of adults learning foreign language. Oxford: Pergamon Press for the Council of Europe.

8. Johns, A.M. & Dudley-Evans, T. (1991). English for specific purposes: international in scope, specific in purpose. TESOL Quarterly 25, 2, Summer, 297-314.

9. West, R. (1994). Needs analysis in language teaching. Language Teaching, 27, 1-9.

10. Breiger, N. (1997). Teaching Business English Handbook. York: York Associates Publications.

11. Long, M. (2005). A Rationale for Needs Analysis Research. Cambridge: Cambridge University Press.

12. Jackson, J. (2004). Case-based teaching in a bilingual content: Perceptions of business faculty in Hong Kong. English for Specific Purposes, 23, 213-232.

13. Johns, A. (1991). English for specific purposes: its history and contribution. In M. Celce-Murcia (Ed.). Teaching English as a second or foreign language (pp.67-77). Boston, MA: Heinle&Heinle.

14. Cowling, J. D. (2007). Needs analysis: Planning a syllabus for a series of intensive workplace courses at a leading Japanese company. *English for Specific Purposes, 26*, 426-442.

15. St. John, M. J. (1996). Business is Booming: Business English in the 1990s. English for Specific Purposes, volume 15 (1): 3-18.

16. Munby, J. (1978). Communicative syllabus design. Cambridge: Cambridge University Press.

17. Allwright, R.L. (1982). Perceiving and pursuing learners' needs. In M. Geddes& G. Coffey, B. (1984). ESP- English for Specific Purposes. Language Teaching, 17(1). Arden-Close,

18. Hyland, K. 2007. «English for Specific Purposes: Some influences and impacts». International handbook of English Language Teaching, eds. Jim Cummins, Chris Davison, 391-402. New York: Springer.

19. Richards, J. (2001). Curriculum developments in language teaching (3rd ed). Cambridge: Cambridge University Press.

20. Mohammadi, V. & Nasser, M. (2013). Analysing needs analysis in ESP: A(re) modeling. International Research Journal of Applied and Basic Sciences, Vol 4 :5/ 1014-1012. Available online at www. Irjab.com

21. Brown JD. (2009). Foreign and Second Language Needs Analysis. In M. H. Long & C. Doughty (Eds.), The Handbook of Language Teaching (pp. 269-293). Oxford: Blackwell

22. Zughoul, M. R., & Hussein, R. F. (1985). English for higher education in the Arab world: a case Study of needs of analysis of Yarmulke University. English for Specific Purposes Journal, 4, 133–152.

23. Basturkmen, H. (1998). Refining Procedures. *The Internet TESL Journal, 36*(4), Oct.-Dec. 1998.

24. Taillefer, G. F. (2007). The professional language needs of economics graduates: Assessment and perspectives in the French context. *English for Specifc Purposes, 26*(2), 135-155.

25. Kim, S. (2006). Academic oral communication needs of East Asian international graduate students in non-science and non-engineering fields. *English for Specific Purposes, 25*, 479–489.

26. Bacha, N. N., &Bahous, R. (2008). Contrasting views of business students' writing needs in an EFL environment. *English for Specific Purposes, 27*, 74–93.

27. Crosling, G., & Ward, I. (2002). Oral communication: The workplace needs and the uses of business graduate employees. English for Specific Purposes, 21(1), 41-57

28. Bastrukmen, H. (2010). Developing courses in English for specific purposes. Palgrave: Macmillon.

29. Chen, Y. (2006). From the common core to specific. Asian ESP Journal. 1(3),

30. Graves, K. (2000). Designing Language Courses. Canada: Heinle & Heinle.

31. Robinson, P.C. (1991). ESP Today: A practitioner s guide. New York: Prentice Hall.

32. Nunan, D. (1989). Designing Tasks for the Communicative Classroom. Cambridge University Press.

33. Shi, L., Corcos, R., & Storey, A. (2001). Using students' performance data to develop an English course for clinical training. English for Specific Purposes, 20, 267- 291

34. Tsao, C.C. H.,Wei, A.M. S.,and Fang, A.S. H. (2008). ESP for College Students in Taiwan: A Survey of Student and Faculty perceptions. *International Symposium on ESP.*

35. Basturkmen, H. (2006) Ideas and Options in English for Specific Purposes; Lawrence ERLBAUM Associates Publishers, London.

36. Flowerdew, J., & Peacock, M. (2001). Issues in EAP: A preliminary perspective. In J. Flowerdew & M. Pea- cock (Eds.), Research perspectives on English for academic purposes (pp. 8–24). Cambridge: Cambridge University Press.

37. Kim, D. (2008). English for occupational purposes: One language? London: Continuum.

38. Ferris, D., &Tagg, T. (1996a). Academic listening/speaking tasks for ESL students: Probems, suggestions, and implications. TESOL Quarterly, 30, 297-320.nary approach. Cambridge: Cambridge University Press

39. Gatehouse, K. (2001). Key Issues in English for Specific Purposes (ESP) Curriculum Development in TESL Journal

40. Abdullah, M. H. (1998). Problem-based learning in language instruction: A constructivist method. : http://teach.valdosta.edu/whuitt/files/prbsollrn.html

41. Kosel, B. (2002). Problem-Based Learning in Teaching English Across the Curriculum. IATEFL ESP SIG News Letter, Issue 21

Atheism in Emily Dickinson Selected Poems

Date de réception : 2018-11-13 Date d'acceptation : 2020-11-25

Wafa Nouari, , university of 20 aout 1955 skikda, nouariwafa190@gmail.

Abstract

In brief, this paper aims to show the seriousness of Dickinson as a poetess and her thoughtful mood a woman to deal with such important issue as divinity and the existence of God. When her peers were busy with their families and social life she had been reading and writing about what was restricted and hardly dicussed in such conservative community a hers. Throughout philosophical approach we are going to analyze certain selective representative poems to show how could she pave the way for existentialist pessimist responses against the world and state major principals of Theater of the Absurd based of meaningless of life.

Keywords: Atheism, Existentialism, skipticism, blaphemy

Résumé

Cet article vise à montrer le sérieux de Dickinson en tant que poétesse et son humeur réfléchie en tant que femme pour traiter d'un problème aussi important que la divinité et l'existence de Dieu. Quand ses pairs étaient occupés de leur famille et de leur vie sociale, elle lisait et écrivait sur ce qui était restreint et peu discuté dans une communauté aussi conservatrice. Tout au long de notre approche philosophique, nous allons analyser certains poèmes représentatifs sélectifs afin de montrer comment elle pourrait ouvrir la voie à des réponses pessimistes existentialistes contre le monde et aux principes majeurs du Théâtre de l'Absurde fondés sur le non-sens de la vie.

Mots-clés : athéisme, existentialisme, skipticisme, blaphemy

الملخص

باختصار ، تهدف هذه الورقة إلى إظهار مدى جدية ديكنسون كشاعرة ومزاجها كامرأة في التعامل مع قضية مهمة مثل الألوهية ووجود الله. عندما كان أقرانها مشغولين بعائلاتهم وحياتهم الاجتماعية ، كانت تتابع القراءة والكتابة حول ما كان مقيدًا ونادراً في مجتمع المحافظين. هذا وسنقوم طوال المقاربة الفلسفية ، بتحليل بعض القصائد التمثيلية الانتقائية لإظهار كيف يمكن أن تمهد الطريق للنظريات والوجودية التشاؤمية ضد العالم ورواد مسرح العبثية القائم على معنى الحياة اللامحدد.

الكلمات المفاتيح: الإلحاد ، الوجودية ، الهرطقة ، الشك

1.Introduction

The poetess had not focused on the traditional standards in terms of form and content when most poets used to follow the archetypal image of the formal. Although she was well versed in the Bible and the form of many of her poems appears like hymnal pattern, the poetess had liberated herself from religious as well as poetic conventions of the nineteenth century (Freeman 2, 3). Paradoxically, most of her poems concerning religion such as The *Bible is an antique Volume* are full of theological vocabulary, they convey critical messages to the religious conventions of Christianity. Furthermore, Critics like Pollak argue that "Dickinson's poems are short yet intellectually challenging due to intense of emotion as and profound meaning (5). These arguments are due to her untraditional style which is full of misplaced punctuations, capitalizations, and short lines that do not convey the message differently.

To begin with, throughout this Section including Seleced Poems, we are going to represent her skeptic attitude against divinity and holy sanctities of Christian faith and abscence of inner religious influence inside the woman's psych about sacred elements. Through her personal perceptions, she celebrates the existential tendency and stands against Emersonian transcendentalism (Martin, ed.5). Far from religious norms, for instance, in *Those dying then* she intends to rise metaphysical inquiries about the end of life and hardly attempts to convince herself with religious interpretations. Here, she deceives herself by trying to state persuasive poetic production about what her society called holy issues. To add more, she dares to adress God as if one is speaking with closer friend. Simply, she reacts passively towards what had been sincerely believable at her time and uses religious word diction to ensure her doubt leading to disbelief. In that sense, her work had not been persuasive poetically as well as thematically. Long before the emergence of EX and its prominent figures such as Sartre, she had composed several poems in which she dares to criticize and accuse Divinity as if she is addressing her intimate friend.

Dickinson keeps questioning every detail in life and later just like in *'I died for Beauty'*, she seems hesitated about death itself and sacrifice, and in *Did our Best Moments last?* she appears uncertain about the afterlife and Heaven. In those poems like several others, she attempts to convince herself with conventions, yet, this shows her Self-Deception when she doubts about the formal and dares to criticise sanctities and in the same time assures her faith. To sum up, this religious hesitation could refer to Skepticism and the disrespectful addressing to God is Blasphemy, and ED free attitude reflects the present of both concepts in her Selected Poems.

2. God is Indeed a jealous God

Generally, ED relies on what she had already read in the Bible to judge the common overviews about religion taking into consideration her social conventions; and all this is forged with her individual background about the issue. To begin with, in this poem, she addresses the Divine with disrespect and disgust:

God is indeed a jealous God
He cannot bear to see
That we had rather not with Him
But with each other play.
There comes an hour
When begging stops,
When the long interceding lips
Perceive their prayer is vain.
"Thou shalt not"
Is a kinder sword Than?
From a disappointing God
"Disciple, call again."

In the above lines, she adds that God; the Creator is endowed with human characteristics like feelings of jealousy and desperation.

2.1 Bad Faith

In American society at the nineteenth century, people were accustomed to go to Church every Sunday to perform their former prayers. However, in one poem entitled *Some keep the*

Sabath going to Church she celebrates her connection with the Divine and performs her prayers at home. In this poem like in several others, she does not advocate going to those religious places to worship God, because the latter cannot be found at any place. In details, she stands against those religious places and what they represent as if to say their message is neither true nor convincing and people are merely deceived by mythological speeches:

There comes an hour
when begging stops,
When the long Interceding lips
Perceive their prayer is vain.

Though some people spend long time praying to God, one day they will find their 'interceding' beginnings done in 'vain'. This will happen after they die and find neither Heaven nor Hell, while God had been nothing but their wishes to be helped by super power. In that sense, Shira Wolosky, in *Emily Dickinson: A Voice of War* urges that ED's work is classified within pioneer liberal blasphemous writings since her poetic mode stands against Divinity which she blames for any lifely disaster, while Rowena Revis Jones, adds she had remained critical mind against Orthodoxy (Freeman 14). Here, she acknowledges the invalidity of religious institutions as if to say they were created to serve greedy minority of hypocrites in order to benefit from others' benevolence and influence their thinking.

2.2 Personification of God

Instead of glorifying God and putting Him above all, she dares to describe His feelings negatively; disappointed, because He has discovered that humans could worship other gods and are so satisfied without His blessings then become Divinely powerful. Then, people return back to God, yet sooner, find they were deceived as if someone stabs them deadly with 'a sward' in the heart.

2.3 Despair

The general mood of the poem is pessimistic; when people discover God had been vanished and their prayers were performed in vain, they got depressed. In details, human life is surrounded with several circumstances leading to disappointment such as aimless life, unknown end, uncertainty of the Divine...etc. In spite the fact that people believed God exists, they were not satisfied since whenever they tried to ensure His existence they found He was the source of evil, disappointment, and jealousy. ED conveys intense agony in her relationship with the Lord until she becomes destroying herself in the name of love with God (Martin, ed. XXXI). Here, she seems uncertain of Divinity from the beginning because people had not noticed any effective role done by this God, instead He stood against their happiness and persuasions.

3. Those - dying then

Though ED begins the coming poem as if she had been sure about the afterlife, suddenly, she turns to doubt. Her belief changes into Atheism when she assumes that people got shocked about their afterlife and God after death. In the transcendental sense, they 'knew' that 'they went to 'God's right hand' which rescues them from falling in Hell, but they found nothing:

Those-dying then
Knew where they went
They went to God's Right Hand
That Hand is amputated now
And God cannot be found
The abdication of Belief
Makes the Behavior small
Better an ignis fatuus
Than no illume at all

So, human life is vainly lived since no God – if He exists at all- is going to either reward or punish.

3 .1 Bad Faith

During their lifetime, people find no other way to calm down their doubts rather than to claim they will meet God and live in Paradise. However, in the coming lines this 'hand of God' gets cut off which means that God losses power. At the ending

lines, she presumes that people had no way to satisfy their anxiety and curiosity but to refer those complicated inquiries into metaphysical interpretations. Through this poem, she could be more like the Rassian existentialist Dostoevsky, than any other contemporaries because she had written about the loss of faith and "bravely tried to calculate the cost." And she won her way through doubt into genuine faith (Keane 38). So, for her, they had been creating mythological stories about gods as the best way to avoid Atheism.

3.2 Simile

ED is known for the use of figures of speach to compare concrete things to abstract ideas. Here, she states this resemblance between life with long path, and God with a lamb. Accordingly, she examplifies life as a dull path and human is walking the way; sight is so gloomy without lumination to brighten the place. So, one would use even faint fire in order to see the surrounding since it is better than staying in the dark. This darkness is compared with life without faith, yet one finds no way but to use a delusive fire to enlighten that path somehow better than no light at all. Here, one finds no way to satisfy his/her curiosity and enlighten the darkness except to deceive oneself and proclaim God exists. In addition, some expressions like 'God cannot be found' and His hand is 'amputated now' remind us that God's arm could be a dreadful force as well as a saving one just like human hands could be helpful as well as harmful (pollak 69).

3.3 Blasphemy

In spite the fact that the poem includes theological vocabulary and deals with religious themes like Divinity and faith, ED shows different attitude towards the sacred religious tenets. She seems less respectful to God and does not trust His sovereignty over creation. Accordingly, in *Blasphemy* reference, ED's poem *Much Madness is the Divinest Sense* is introducing Chapter One; entitled Naming Blasphemy, that is defined as a concept comes from 'blame', the opposite of 'praise' so then, it is the free thinking that leads one to stand against formal religious, and refuses to accept it as definite truth, and doubt about Divinity and legitimacy of Jesus Christ, instead one has the total right and wisdom to criticize, disbelief, and even mock at those spiritual rituals (Lawton 2,3). In details, she personified God with no power referring to His cut off hands:

Hand cut that hand is amputated now
And God cannot be found

Here, as if she ensures that people went to the afterlife and found nothing about power of Divinity ever existed. This poem reflects the poet's own turn from youthful trust in God's promises to skeptical maturity working in parallel with America's transition from the Second Great Awakening to Post Darwinian Skepticism (Pollak 71). Religiously speaking, people believe after they die, they will go to Paradise as she refers to by 'right hand' in order to join God and reach satisfaction. However, here, sincere believers found paralyzed God as if she refers to the pain of crusification which made God powerless and all humans become cursed and sinful by nature. This passive God had been acting as if cheating His faithful believers who will trust Him any more later.

4. So has a Daisy Vanished

The poetess again is disappointed from her doubts about God and what will happen exactly when one dies. In that sense, people are eager to discover the future and whether they will find better place than 'crimson bubbles' of magnificent nature.

So has a Daisy vanished
From the fields today
So tiptoed many a slipper
To Paradise away
Oozed so in crimson bubbles
Day's departing tide
Blooming - tripping - flowing
Are ye then with God?

Normally, death remains one of the ambiguous issues for the human mind. In details, no one knows when and where is going to die, so this unknown destination urges people to seek for appropriate answers for their curiosity.

4.1 Skepticism

When ED had been so excited to ensure her faith and interest to join the Creator, controversially, she becomes uncertain about her far future when she or anyone dies. According to the above poem, the 'departing' day is not the day of doom, but the 'crowd is flowing' like waterfalls strongly towards destiny. Here, as if she is enthusiastic to join this crowd, yet keeps hesitated because her end is still not ensured. The last question summaries all the content of the poem and leaves the question openly answered; up to the reader.

Uncertainty indeed begins from the first lines when she finds God had retreated backward from the sublime nature that becomes like a desert, then she finds people dying and going as she expects to vague place. Her poem brilliantly expresses tensions between doubt and faith of the nineteenth-century Western World (Pollak 69). All in all, all along the poem, she keeps presenting nature's resemble to the Divine as if to satisfy herself in case she finds no God, nature will play deep role to heal her soul.

4.2 Finitude

Though the poem deals implicitly wih death as a vague end, the poetess does not seem interested to die. She had noticed people run towards the idea of Paradise as if they are sure this place is as glorious as it is described in Holy Books. However, the first and last lines reflect her uncertainty about existence of God, then, death becomes fearful end. Hence, life itself is meaningless and held under no powerful control and precise aim. In *the Cambridge Companion to Emily Dickinson*, critics like For Fred White argues that ED's poetry pertains to Existentialism since it advocates the limited nature of humanity and boundaries of time and space (Martin, ed.5). Eventually, life is limited with certain circumstances like death, and whatever one is doing, this end is impossibly avoided. To clarify, finitude here is not only the limitation of death as finality in itself, yet it exceeds into what is supposed to be in the afterlife, that is, nothing according to the simple existential sense.

5. Did Our Best Moment last

The question of living has been haunting the poetess's mind besides to eternity; she repeats her question if time is limitless. On the one hand, if one considers life as the best moment, she fears this pleasure will end one day, referring to death. On the other hand, she could convey that faith itself is the aim of living, and belief in after life is the real beginning despite she doubts there will be Immortality:

Did our best Moment last?
Would supersede the Heaven
A few - and they by Risk – procure
So this Sort-are not given
Except as stimulants - in
Cases of Despair
Or Stupor - The Reserve
These Heavenly Moments are
A Grant of the Divine
That Certain as it Comes
Withdraws - and leaves the dazzled Soul
In her unfurnished Rooms

In addition, time is controversial element here because it could lead into definite perfection of life, and in the same time, its limitations put one in the cycle of finitude.

5.1 Atheism vs Mysticism

By tradition, people depend on Holy Books as basic reference shows God, Immortality, reward and punishment…etc. However, through logic and scientific investigations, some intellectuals start to question metaphysical interpretations and even suspect that what is mentioned is really true, especially when science still has not found yet persuasive explanation. For example, in this poem, ED asks if those moments of sincere faith would remain as deep as they are at the moment, or one day she will discover the 'reverse' of all her beliefs.

Moreover, at the beginning of one's life, he/she passively receives religious teachings and gets pleased with what they offer as rewards in the after world, yet through time, she adds, one begins to state some questions and could become

unconvinced with metaphysical answers. So, religion becomes simple interpretation for those wise thinkers who find no way but to refuse this and claim the contrary. In details, while some people would spend the whole of their lives worshipping God, others stand against those religious conventions. Depending on shifting moods and contexts, she had opposed central argues about goodness of God, reality of Heaven, and presence Divine in nature, instead she seeks an alternative faith that will be truer to her moral conceptions (Keane 39). That is to say, wisdom is the doorway towards truth behind life, yet religion is the fundamental cause reduces human mental capacities because it does not lead one to search creatively for truth, but it dictates old interpretations just to satisfy human curiosity:

Withdraws - and leaves the dazzled Soul
In her unfurnished Rooms

Eventually, one finds that deep faith is nothing but mirage captivates human mind in empty circle full of unanswered questions.

5.2 Despair

For existentialists, the state of being in itself is ambigious and undetermined; one knows nothing and is not certain about the aim of existence, and what will happen later. In *Cambridge Companion to Emily Dickinson*, it is stated that similarly to Kierkegaard: finitude and Divine uncertainty, besides to chaotic life far from moral codes led the female towards overwhelming hopelessness, while he preferred to refer to faith again to certain extent, she continued to move far away from religion to assert her disbelief in God (Martin. Ed, 97) However, this does not reflect the negative connotation of despair since the latter becomes in the existential sense the door way to discover the truth. Far from emotional attraction to the unknown and submission to religious procedures, everyone's curiosity ends with despair clarifies ambiguity of life and leaves only one convincing answer for an existentialist; that is, life is nothing and religion could never determine its meaning.

6. Going to Heaven!

On the behalf of the human mind, ED thought about what would perplexes one and tried to find convincing interpretations. For example, the question of 'going to Heaven' and how one would feel if that was allusion had been her essential interest in the coming poem:

I don't know when,
Pray do not ask me how,—
Indeed, I'm too astonished
To think of answering you!
Going to heaven!—
How dim it sounds!
And yet it will be done
As sure as flocks go home at night
Unto the shepherd's arm!
Perhaps you 're going too!
Who knows?
If you should get there first,
Save just a little place for me
Close to the two I lost!
The smallest "robe" will fit me,
And just a bit of "crown";
For you know we do not mind our dress
When we are going home.
I'm glad I don't believe it,
For it would stop my breath,
And I 'd like to look a little more
At such a curious earth!
I am glad they did believe it
Whom I have never found
Since the mighty autumn afternoon
I left them in the ground.

Though it seems interesting to know what will happen when one uplifts to Heaven, she seems afraid and stressed towards her comparison between life and Heaven.

6. 1 Skepticism

She puts herself in an overall position to decide how and what to answer when it comes to metaphysical inquiries in the human mind. It is claimed in *Emily Dickinson Romantic Imagination* that she dares to tackle serious issues like asking about Heaven and its decoration through modern

tendency, and in her way, she did not fear to be accused of blasphemy against God who is the only one as she presumes to judge her intention (Diehl 27). In this poem, she involves her reader and every human being in this case when death is neither avoidable nor preferred. In case, Heaven exists, she will be satisfied with the simplest needs for any human. Uncertainly, she is going to feel at ease there, yet, she knows that death is coming eventually like birds will go to nests later. Death here becomes as dark and fearful as night when nothing to be seen and evil comes around. Besides, she is still questioning 'who knows' when and where to die and if he/she deserves to go to Heaven or Hell if ever such places existed. For ED, nothing should be expected to happen after death so it is so 'dim' to think about it at all:

As sure as flocks go home at night
Unto the shepherd's arm!
Perhaps you 're going too!
Who knows?

6.2 Anxeity

Skepticism goes in accordance with desperate mood of the poetess, she finds herself anxious about fundamental questions in life like existence in itself. Here, the state of uncertainty is like one going and coming back and this could lead to mental instability. Again here, in certain step, she seems ready to become formal believer, yet sooner her attachment towards earthy material objects obscured her eagerness to link with the Divine (Martin.ed, 97). In the same sense, thinking about the secret behind life 'sounds dim' for a normal human mind though one's curiosity keeps on rising relevant questions and passes those archetypal answers. However, this psychological situation of despair is not portrayed negatively and at least it does not create a sense of self deception. In details, ED is satisfied since she does not believe:

glad I don't believe it,
For it would stop my breath,
And I 'd like to look a little more
At such a curious earth!
I am glad they did believe it
Whom I have never found
Since the mighty autumn afternoon
I left them in the ground.

She argues that those believers are self-deceived when they believe is such miracles called religious certainties, while she is self-confident just because she disbelieves and still breathes while faith 'would stop her breath'.

7. What Is-Paradise

Similarly, the previous poems deal with metaphysics and question what will happen later as if religion and conventions had never being convincing. ED here tries to find logical answer to one simple question: 'what is Paradise' and whether it is worth living; waiting for such imaginative rewards in the far future:

What is - "Paradise"
Who live there
Are they "Farmers"
Do they "hoe"
Do they know that this is "Amherst»?
And that I - am coming - too
Do they wear « new shoes" in "Eden "
It always pleasant – there-
Won't they scold us - when we're homesick
Or tell God - how cross we are
You are sure there's such a person
As "a Father" - in the sky
So if I get lost - there – ever-
Or do what the nurse calls "die"
I shan't walk the "Jasper" – barefoot
Ransomed folks - won't laugh at me
Maybe - "Eden" is not so lonesome
As New England used to be!

In the same time, she inclines to say that there is no need to glorify such place and imagine its magnificence since its inhabitants are 'cross with those who live in earth' and will effect God to direct His anger on humans to punish them.

7.1 Skepticism

Starting from the title on, she keeps on questioning 'what is Paradise' and who are its inhabitants and this reflects on the one hand her

interest to know more about it, and on the other hand, it indicates her uncertainty and anxiety. At times, her attitude towards uncertainty could even be playful, as when she had written in a letter to Otis Phillips Lord that "on subjects of which we know nothing, or should I say Beings…we both believe, and disbelieve a hundred times an Hour, which keeps believing nimble" (Pollak, qtd. 69).

To begin with, she states a scene of comparison so as to simplify how to imagine Heaven and her magnificent gardens in Amherst. Also, those sincere believers, prophets, martyrs…are no more than poor farmers poorly 'hoe' and toil the land.

Or do what the nurse calls "die"
I shan't walk the "Jasper" – barefoot
Ransomed folks - won't laugh at me
Maybe - "Eden" is not so lonesome
As New England used to be!

Later, dead people run towards Paradise like those who participate in folk gatherings while others 'laugh at them' when they lose. Here, she thinks those believers will face the same destiny and wise people who had never believed will laugh at last.

7.2 Blasphemy

In addition to her skeptic sense about Paradise, she moves to describe God Himself. In brief, she does not give the Divine any glorious characters but describes Him very normaly:

You are sure there's such a person
As "a Father" - in the sky

God is like any human if ever He exited, she prefers to find God just like Father they worshipped in the Church during her lif time. The only difference between God and human is the first is in the sky, while the second lives in earth. The comparison in itself is blasphemous since she does not show any respect to God and even focuses more on Paradise and its inhabitants as if they were vulgar. This sounds like her personal ideas revealed in her letters like when she says "I feel that I have not yet made my peace with God (farr and carter 20). Besides, she goes to detect the similarities between Paradise and Amherst and eventually thinks that the latter is even wider and more pleasant than Paradise.

8. I never lost as much but Twice

The reaction of ED against what is used to be formal and believable had been always refusal unless sometime if logic agrees on. She had suffered from the death of her relatives and friends especially during the Civil War like any American citizen. Yet, one would mark that the death of two dear lovers had created deep and negative effect on the woman and poetess as well:

I never lost as much but twice,
And that was in the sod.
Twice have I stood a beggar
Before the door of God!
Angels - twice descending
Reimbursed my store
Burglar' Banker - Father!
I am poor once more!

She considers her beloved ones and family memebers the most precious element pushing her to live and be happy just like 'store' of precious stones hidden away in case of urgent need. However, death comes like professional thief and stool her 'store', then she becomes so poor.

8.1 Blasphemy

At first, she tries to stand up strongly to resist that sudden change in her life yet when she finds her resistance is done in vain, she begins to damn that reality and finality caused by death. For her, it is God who asks angels to come and end human's life since He is the leader of life. Accordingly, death had created much pain and misery for her, yet this desperate mood has made her wise and deduce that God is neither merciful nor fair since He separates beloved ones and pleases by their sufferance. So, even though she 'begs' Him and His angels to be merciful with her, He denies her prayers and leaves 'the poor beggar' alone waiting for her own death as the only chance to reunite with her beloved ones once again.

The archetypal image of blessing and helpful 'God' is changing completely into 'Burglar' Father!'

steals happiness from people's heart, or 'vice banker' steals people's precious properties just because they trust him/her. In both cases, God for ED becomes stealer, and one should any more believe in such big lie and worship what is called holy merciful God. And if one is doing so, he/she is like a 'poor beggar' asking for charity and unfortunately will be given nothing.

Another possibility to interpret the poem is that ED refers to a dear friend using holy title as God to show she adores him/her and highly respects this relationship better than she worships God Himself. In that sense, if her friend is helpful and understandable, she would never mind to react with profound heart devotion and consider him/her closer than God *(Farr 125)*. So, she glorifies her attachment with simple people than her faith in the sacred doctrine.

8.2 Despair

Here, both of death and life are the source of depression because in both cases she is pessimist and prefers to be in another situation. On the one hand, life becomes source of agony because she lives separated from her beloved ones and just waiting for their meeting. On the other hand, death also causes her sufferance because it is personified like bulgur steals her expensive supplies hidden in 'the store'. So, the loss of her dear ones led her to deny the truth of finality, that is, death whatever the reasons and whenever time, her closest had to die one day.

9. I know that He exists

In such poem, ED seems in contradictory state; in one time, she asserts the belief of God's existence, while in the other, denies the assurance of any Divinity:

I know that He exists
Somewhere – in silence –
He has hid his rare life
From our gross eyes.
'Tis an instant's play –
'Tis a fond Ambush –
Just to make Bliss
Earn her own surprise!
But – should the play
Prove piercing earnest –
Should the glee – glaze –
In Death's – stiff – stare –
Would not the fun
Look too expensive!
Would not the jest –
Have crawled too far!

In spite the fact that the idea is so serious, the poem shows ED simplifies her views and puts her God under personal considerations.

9.1 Blasphemy

Through disrespectful attitude ED personifies a funny God playing with His creatures. All along the poem, God is childlike similar to a father playing with his children; hiding and appearing to make them enjoy. At first, she appears certain about God's existence, yet gradually she becomes not sure because He keeps on hiding and obscures essential details about His private life. His appearance and disappearance in the same time makes her stressed and uncertain. What made her doubting is that this God does not prove His existence, instead He remains abscent and keeps 'silence' though people need to listen to His blessing words. Indeed, she discovers with all believers that faith is nothing but 'ambush' they were deceived by referring to those historical myths so called, as she thinks, religion. For her, though people think faith in God is the greatest 'bliss' in life, suddenly, deep investigation will 'prove' truth about such playful childlike God. Compared to Nietzsche, she was deeply desperate about the loss of Divine guidance that had urged her to declare doubtful thoughts through blunt and sharp poetic diction different from nineteenth century poetry (keane, qtd. 38). However, the 'funny' play ends dramatically after death and coasts 'expansive'prices for the human power because it ends one's mental abilities exhausted in thinking about unseen and unproved issues. So, though she begins her poem asserting her faith, gradually she rises some skeptic questions leading her to final

answer, that God is childlike and had any more controlled.

10. Faith is a Fine Invention

ED had been influenced by inventions of nineteenth century, and even used certain new concepts in her poetry and involved them to contribute in the literary value of her poetic production:

"Faith" is a fine invention
For Gentlemen who see!
But Microscopes are prudent
In an Emergency!

In comparision to the previous poems, ED here involves new terms and linked science with metaphysics.

10.1 Blasphemy

By traditions, faith is Divine gift and could not interpreted by logic and scientific interpretations rather than intuition. Yet, here is compares faith as metaphysical element created through spiritual connection by inventions and new scientific creations reached by experimentations and work field outcomes. At first, it seems incomparable elements, yet she conveys that faith is human invention done to serve needs of humanity without any intervention from spiritual power of God. Then, acknowledges that it is personal way to serve humanity to search for overall truth behind creation. In addition, according to this poem, religion is not true characteristic in life, but a new creation invented by people to serve the spiritual needs of humanity yet with time it becomes sacred and mistakenly believable. In that sense, in certain literary references about the poetess such as in *the Cambridge Companion to Emily Dickinson* her work is studied in accordance to existential themes, certain poems of ED celebrate the priority of one's achievements to determine the meaning of one's life and identity far from Divine assistance to guide humans as if she advocates Sartre's famous phrase of 'existence precedes the essence' (Martin, ed. 5). However, for intelligent people, one should believe nothing out of experience and logic since they admit that important steps should be followed such as 'to see' and test in order to reach valid result at last:

For Gentlemen who see!
But Microscopes are prudent

And if nature fails to give convincing answer, scientific equipments like 'Microscopes' lead certainly to true outcomes; proved and logical.

All in all, intuition leads only to imaginative allusions like religion, that is, merely human invention while science certainly makes the human able to reach the precise truth.

12. The Bible is an Antique Volume

In previous poems, ED resists any assurance of God's existence and disagreed with religious conventions that truth reached through intuitions and deep faith inside. In details, here she criticizes the direct representative of religion, that is, the Bible. For her this Holy Book is merely a historical document registries old information about ancient stories from which people of the temporary time could benefit:

The Bible is an Antique Volume
Written by faded Men
At the suggestion of Holy Spectres
– Subjects–Bethlehem–
Eden – the ancient Homestead
– Satan – the Brigadier –
Judas–theGreat Defaulter–
David – the Troubadour
– Sin–a distinguished Precipice
Others must resist –
Boys that "believe" are very lonesome –
Other Boys are "lost" –
Had but the Tale a warbling Teller –
All the Boys would come –
Orpheus' Sermon captivated –
It did not condemn

She tries to simplifiy and summarize well known stories and characters so as to make it simple and better understood.

12.1 Blasphemy

In the above poem, religious prophets appear like normal people and their myracles included in

Holy Books are no more than myths and skills any one could be endowed with. Besides, the Bible itself is written under the suggestion of wise people; wrote it to help people and gone away. Those wise men relied more of their imagination, history, and myths to interpret nature and narrate the past so as to guide people's life through teaching lessons. Then, the content of such document as she describes is like an adventure story full of suspense and speculations so as to attract the reader 's attention. So, she is not afraid to declare that she is skeptic about the authority of the Bible (Martin, ed. xxiv). With any respect, David is Troubadour; as if to say his essential message is to sing aimlessly and tempt listeners by melodies in order to fascinate their mental abilities:

Eden – the ancient Homestead
– Satan – the Brigadier –
Judas–the Great Defaulter–
David – the Troubadour–
Sin–a distinguished Precipice

However, 'Satan' is personified positively like another member of religious men; stands near to the door entrance to guard and protect. Also, when religion considers 'Sin' as big mistake, here ED thinks it is behavior wrongly performed and not as negative as religion presents it. To add more, for her, the way of the preacher is so important to attract people towards religion. In details, if preachers are sever and keep on warning people from God's anger and punishment, they would fear and avoid going to Church and refuse to read the Bible that will convince them any more:

All the Boys would come –
Orpheus' Sermon captivated –
It did not condemn

Instead, she compares good 'Orpheus' tunes that attract people with preachers' flexible ways to persuade the audience. Eventually, she wants to convey, if religious men fail to gather peole around religion, it is because they perform it severely, while if they imitate 'orpheus' and musicians' kindness and flexibility, they will fascinate the audience easily.

13. To lose one's faith – surpass

Another poem shows ED stands against what is inherited and not adopted through persuasion and logic:

To lose one's Faith_surpass
The loss of an Estate
Because Estates can be
Replenished - faith cannot
Inherited with Life
Behef-but once-can be
Anmhllate a single clause
And Being's - Beggary

Here, she thinks that if one asks questions about faith, the answers would not be rational matters.

13.1 Bad Faith

Before one becomes mature, he/she gets involved in religious institutions to determine one's religious belonging. In one of her letters, ED said: "I do not respect doctrines'' neglect the ceremonial teachings and beliefs like Predestination (Armand 127). Gradually, one begins to reconsider those religious teachings and investigate their credibility until one 'loses faith'. In that sense, it will be so hard to go back again since one had already been in such situation previously and needs to move forward.

Moreover, one would inherit several traits from ancestors including culture and religion. However, ED wants to convey that one should not be passive and accepts everything given just like a begger always seeks help. This passivity of acceptance of belief is Bad Faith because one is not convinced by what is dectated but only receives.

14. He preached upon "Breadth" till it argued him narrow

Here, ED criticizes religion, yet directed her attention into religious men and institutions. At that time, religion was still influential and preachers had an effective role to serve people's daily life. So, they took priority and acted like the secretary of the Divine; permitted what they liked and prohibited what they disagreed with. In so doing, no one had the right to criticize their faith and

doubted in the certainty of what they were preaching:

He preached upon "Breadth" till it argued him narrow
The Broad are too broad to define
And of "Truth" until it proclaimed him a liar
The Truth Never Haunted a Sign
Simplicity fled from his counterfeit presence
As Gold the Pyrites would shun
What confusion would cover the innocent Jesus
To meet so enabled a Man!

According to ED, religious men insist on prayers and worshiping God as the best way to gain His satisfaction. God for them was the Dominator over the cosmos and the only Determiner for peoples' life, so they had to submit to His sovereignty. However, ED disagrees with those preachers and thinks they cheat people with material assistance while faith is not certain.

14.1 ***Blasphemy***

ED proclaims that 'truth' is highly stated and hardly reached and all human efforts are not valid to assert it. Here, one should not trust neither preachers nor prayers since they are merely personal performance to show obedience and goodness. However, such begging and worshiping will return with nothing simply because God had already predestined what will happen in life before creating the world. So, for her, controversially, prayers are aimless and God is paradoxical; in one sense, He asks people to pray to change their life and gain His satisfaction, and in the other, those prayers are no more than wasting of time because their future is already planned long before. In her response to Emily Dickinson's poetic values, Christina Rossetti argues that this work opposes the conservative Christian belief in predestination then could recognize her blasphemous (Keane, qtd.40)

Conclusion:

Finally, we conclude that her tendency is deviated from formalities and conservatism of her times, and instead she dares to doubt essential metaphysical questions about the existence of Divinity and after world. In so doing, blasphemy and skepticism,I,e. Atheism had been her best way to deduce at last that human entity could never been related to more powerful entity. Though she lived during religious revivals era, she had been paving the way for Sartre and his followers to establish the founding basics of Existentialism far away from doctrinal teachings and asserting that Divine is no more dominating over creation. For example, in *So has a Daisy Vanished* and *God is Indeed a jealous God and* other poems she compares the Divine holiness into the human personification with its imperfect characters as if to say God if ever existed is like her friend could feel jealousy, hatred, disgust…etc.

References

1. Armand, Barton Levi ST. *Emily Dickinson and her Culture the Soul's Society*. Cambridge University Press. USA, 1986

2. Diehl, Joanne Feit. *Dickinson and Romantic Imagination*. Princeton Legacy Library, New Jersey :1981

3. Farr, Juddith, and Carter, Louise. *The Gardens of Emily Dickison*. Harvard University press, England: 2004

4. Farr, Juddith. *The passion of Emily Dickinson*. Harvard University press, London:1992

5. Freeman, Linda. *Emily Dickinson and Religious Imagination*. Cambridge university Press. NY 2011.

6. Keane, Patrick J. *Emily Dickinson's Approving God*. University of Missouri Press, Misouri :2008

7. Lawton, David. *Blasphemy* University of Pennsylvania Press Philadelphia, USA: 1993

8. Martin, Wendy. ed. *All Things about Emily Dickinson: An Encyclopedia of Emily Dickinson Wolrd.*Volume 1. Greenwood, USA: 2014

9. Martin, Wendy. *The Cambridge Companion to Emily Dickinson*. Cambridge University Press, NY: 2007

10. Pollack, Vivian R, ed. *A Historical Guide to Emily Dickinson*. Oxford University Press. NY. 2004

L'Image de la femme orientale dans Léon l'Africain d'Amin Maalouf : entre mémoire, politique, religion et… vengeance !

Image of the oriental woman in Leon the African by Amin Maalouf: between memory, politics, religion and ... revenge!

Date de réception : 2019-05-14 Date d'acceptation : 2020-11-11

Djellal Eddine Semaane ENS Bouzaréah, sdje39mother@gmail.com

Résumé

La présente contribution se propose d'étudier le tout premier roman de l'écrivain franco-libanais Amin Maalouf, Léon l'Africain (1986), tout en tâchant d'y voir comment la femme orientale, en particulier la musulmane, est représentée et comment elle est vue par un écrivain oriental, de religion chrétienne, d'une culture et d'une éducation très marquées par les valeurs occidentales. Une approche descriptive du roman ainsi qu'un recours aux outils de l'imagologie nous ont permis de constater l'objectivité avec laquelle Amin Maalouf a abordé le thème de la femme, notamment dans son lien avec la mémoire de la société, son rôle dans la politique ainsi que ses rapports à la religion à travers la question du voile. Une constante revient dans toutes ces relations : la vengeance.

Mots-clés : Léon l'Africain, Amin Maalouf, Représentation, Orient, Femme

Abstract

The present contribution aims to study the first novel written by the French-Lebanese writer Amin Maalouf, Léon l'Africain (1986), by trying to see how the oriental woman, in particular the Muslim one, is represented and how she is seen by a Christian oriental writer, known for his marked influence by Western culture and education. The use of a descriptive approach as well as the tools of imagology enables us to note the objectivity with which Amin Maalouf approched the theme of the woman; in particular, her link with the memory of society, her role in politics as well as her relationship to religion (the question of veil). The study concludes that the constant aspect in all these relationships is revenge.

Keywords: Léon l'Africain, Amin Maalouf, Representation, Orient, Woman

الملخص

تهدف هذه الورقة إلى دراسة أولى روايات الكاتب الفرنكو-لبناني أمين معلوف ، *ليون الإفريقي* (1986). حاولنا أن نرى من خلالها كيف يتمّثل المرأة المشرقية – وبخاصة المرأة المسلمة – وكيف ينظر إليها هذا الكاتب المشرقي المسيحي والمشبّع بثقافة وتربية جدّ متأثرة بالقيّم الغربية. المقاربة الوصفية للرواية واستعانتنا بترسانة أدوات علم الصّورية مكنتنا من ملاحظة الموضوعية التي حلّل بها معلوف صورة المرأة وخاصة علاقتها مع الذاكرة ، دورها السياسي بالإضافة إلى علاقتها مع الدين من خلال مسألة الحجاب. الثابت في كل هذه العلاقات هو: الانتقام.

الكلمات المفاتيح: ليون الإفريقي ، أمين معلوف ، تمّثل ، الشرق ، المرأة

Introduction

Dans un entretien accordé au magazine *Club-Internet* à l'occasion du 8 mars 2000, Journée Internationale de la femme, « *des droits des femmes* » nuanceront certains, Amin Maalouf déclare que « *l'évolution d'une société* [ne] *peut se mesurer* [qu'] *à la place qu'y occupent les femmes* ». (Bougenot, 2000, http://www.aucoindesmots.fr/wp-content/uploads/2014/02/interview-maalouf2.pdf). Même s'il ne réaliserait pas d'où lui venait cette sensibilité à la question de la gente féminine et même s'il n'a jamais écrit un roman dont le personnage principal (et qui dit « je ») est une femme – un exercice qu'il trouve assez difficile pour un homme – (Idem), Maalouf est réputé être l'un des grands défenseurs de leurs droits[1], la preuve en est que tous ses récits pullulent de figures féminines qui, malgré leur statut de personnages secondaires, sont au centre des intrigues et jouent des rôles cruciaux dans le développement de l'histoire narrée et de l'Histoire tout court.

La présente contribution se propose d'étudier le tout premier roman d'Amin Maalouf, *Léon l'Africain*, paru en 1986, tout en tâchant d'y voir, justement, comment la femme orientale, en particulier la musulmane, est représentée et comment elle est vue par un écrivain oriental *chrétien*, d'une culture et d'une éducation très marquées par les valeurs occidentales, disons universelles. Pour ce faire, une approche descriptive du roman s'impose tout en faisant appel à l'imagologie.

Puisqu'une bonne partie du roman raconte l'histoire de la chute de Grenade et des premières années de Léon l'Africain à Fès, au Maroc (histoire se déroulant géographiquement en Occident et au Nord de l'Afrique), il s'avère important de signaler ici que nous entendons par « Orient » les deux aires culturelles et religieuses plutôt que l'aire géographique, étant donné que la plupart des définitions dudit terme désignent habituellement les pays du Moyen-Orient et n'incluent que rarement l'Andalousie ou le Nord de l'Afrique. En effet, « l'Orient » peut aussi relever de « l'Orient musulman » si nous nous référons à la définition de Edward Saïd qui le situe dans cette « région où l'Europe a créé les plus vastes, les plus riches et les plus anciennes de ses colonies, la source de ses civilisations et de ses langues. » (Saïd, 1980, 14). À propos de *l'Andalousie*, nous pouvons parler d'un « *pan-Orient*» (Dakroub, 2010), terme utilisé par Fida Dakroub – un spécialiste d'Amin Maalouf – par lequel il désigne cette volonté de notre écrivain de reconnaitre à cet espace Européen son appartenance géographique et de lui restituer sa culture de veine orientale, voire asiatique.

Parmi les personnages féminins du récit, nous avons choisi de mettre la lumière sur trois d'entre eux : Salma la Horra, la mère de Hassan, Fatima, la mère de Boabdil et Mariam, la demi-sœur de Hassan. Notre choix est à l'évidence subjectif car, en lisant le roman, en lecteur lambda nous avons pris acte – à notre sens – et des rôles déterminants que jouent les deux premières femmes, et de la dimension de la troisième. On constatera particulièrement une certaine évolution chez Salma : de la soumission aux hommes, elle passe à la volonté sinon de domination, du moins de (re)valorisation à l'égard notamment de son époux. Pour ce qui est de Fatima, elle est dès le départ une femme intelligente et qui refuse de se plier à ce regard misogyne et réducteur que lui porte l'Homme. Quant à Mariam, elle incarne la faiblesse d'une sœur et l'injustice que subit la jeune fille.

Nous allons donc effectuer, en premier lieu, une lecture descriptive des trois personnages féminins afin de voir comment ils sont peints par A. Maalouf. Dans un second temps, nous aborderons également le thème du voile qui est assez présent tout au long du récit et qui donne une certaine idée du rapport Femme/Religion islamique vu par A. Maalouf.

I. 1. Salma la Horra : gardienne d'une mémoire collective

I. 1. a. Libre mais… soumise !

Léon l'Africain est une autobiographie imaginaire écrite sous forme d'une longue lettre d'un père destinée à son fils. Le premier chapitre du roman a pour titre : L'ANNEE DE SALMA LA HORRA (LA LIBRE) (Maalouf, 1986, 15), un titre avant-coureur révélateur de la place privilégiée qu'occupera la femme, non seulement dans ce roman mais dans toutes les œuvres ultérieures d'Amin Maalouf.

Salma est la mère de Hassan, le personnage principal (surnommé Léon l'Africain bien des années après), et c'est surtout à travers sa voix narrative que l'on découvre l'ambiance régnant à l'intérieur des foyers des musulmans de l'Andalousie lors des dernières années de son existence. Aussi, pouvons-nous parler d'elle comme gardienne de cette « mémoire collective »[2] et comme canal via lequel se transmet le récit d'une nation et d'un peuple. « Ma mère n'était plus la même quand elle parlait de la chute de notre ville ; elle avait pour ce drame une voix, un regard, des mots, des larmes que je ne lui connaissais en aucune autre circonstance » (Maalouf, 1986, 50), remarquait Hassan.

De fait, une « mémoire collective » est définie dans le *Dictionnaire culturel en langue française* comme étant :

« Un phénomène social parce que c'est dans la société que l'être humain acquiert ses souvenirs. Les souvenirs sont ceux d'expérience, de sociabilité, à ce titre partagés par plusieurs, prenant sens au sein de groupes, de communautés. (...) Ainsi, parce que l'individu se construit par ses relations aux autres, sa mémoire n'est pas une tour d'ivoire imprenable, mais s'insère dans ces réseaux et ces tissus. C'est en ce sens très précis que l'on peut parler de "mémoire collective". » (Rey, 2005, 522)

Même si d'autres personnages (l'oncle maternel et le père, donc des figures masculines) prennent de temps en temps la parole pour relater à Hassan, encore enfant, l'histoire de l'agonie de sa ville natale, c'est plutôt sa mère, Salma, qui lui relate la grande partie de ce récit. C'est une sorte de « *Shéhérazade* »[3] qui s'attelle à accomplir une mission longtemps réservée aux femmes orientales : raconter des histoires, préserver l'héritage oral de la société en le transmettant d'une génération à une autre.

C'est à travers Salma également que l'écrivain tente de nous donner l'image d'une certaine catégorie de femmes orientales de cette époque : un mélange de douleur mais aussi de courage ; des soumises mais aussi des rebelles ; des femmes effacées mais également des figures de proue qui sont au cœur des plus grandes décisions.

Au début du récit, nous avons affaire à une femme qui n'est promise à l'existence qu'à travers le masculin : son époux et *a fortiori* son fils :

« Sa joie exubérante n'avait toutefois ni la profondeur ni l'intensité de celle de Salma qui, en dépit de ses douleurs persistantes et de son extrême faiblesse, se sentait naître une seconde fois par ma venue au monde, car ma naissance faisait d'elle la première des femmes de la maison et lui attachait les faveurs de mon père pour de longues années à venir. » (Maalouf, 1986, 15)

Salma est la première femme de Mohamed et, puisqu'elle a tardé à lui donner un enfant, il a décidé de prendre une esclave, « une belle chrétienne aux cheveux noirs tressés, achetée à un soldat qui l'avait capturée lors d'une razzia aux environs de Murcie. » (Idem, 16) Paradoxalement et ironiquement, vu les privilèges dont bénéficient les esclaves à cette époque, Salma a l'impression que c'est elle qui est plutôt esclave et déclare : « Pour nous, femmes de Grenade, la liberté est un esclavage sournois, l'esclavage une subtile liberté » (ibidem, 16).

Cette citation résume – judicieusement – l'emprisonnement qu'ont dû subir les femmes de son temps, répondant à l'autorité de leur père, frère et époux ; une autorité dont la source est leurs propres interprétations de ce

que l'islam leur destine, interprétations erronées de certains versets et préceptes religieux en rapport avec les femmes. L'un des promoteurs de cette interprétation dans ce roman est un certain cheikh du nom d'Astaghfirullah (Cf. Infra).

Dans *Le Livre de Grenade*, la première des quatre parties du roman, Salma incarne le modèle de la femme non seulement soumise mais qui se conforme sans peine à cet assujettissement ; elle est entièrement livrée à son sort et à la domination masculine. Obéissante outre mesure, elle est aussi le prototype du premier ennemi de la femme qui n'est pas l'homme mais… la femme elle-même.

En voyant la déception de son époux ayant appris que son esclave lui a donné une fille, elle lui dit : « Moi, je ne te décevrai pas! » (Ibid., 19) Car elle savait, grâce aux prédictions de *Sarah-la-bariolée*, qu'elle portait un garçon. Ces propos peuvent aussi être une allusion au verset coranique qui décrit la réaction de l'homme arabe pendant la période antéislamique (*El-jahiliya*, l'âge de l'ignorance), au moment où on lui annonce la naissance d'une fille : on lit dans le Coran que « lorsqu'on annonce à l'un d'entre eux la bonne nouvelle (de la naissance) d'une fille, son visage noircit et il suffoque (de colère) ». (Sourate 16, verset 58).

Les propos de Salma ne sont que la confirmation de cette inimitié entre femmes, qui se manifeste, à peu d'exceptions près, dans le conflit légendaire entre la belle-mère et la belle-fille, la fille et sa mère et qui se traduit aussi par cette préférence assumée d'une mère pour ses garçons au détriment de ses filles. Pour Amin Maalouf, cette hostilité entre femmes « s'explique de diverses manières. Parfois, on cherche à éviter à ses filles les problèmes qu'elles devraient affronter si jamais elles s'écartaient des attitudes traditionnelles. Parfois, les raisons sont plus sordides : "puisque j'ai souffert, elles aussi doivent souffrir…"» (Bougenot, 2000)

Partageant désormais son mari avec une autre, elle n'affiche -aux premiers temps- que soumission et résignation. Bien mieux, résignée, elle s'accommode de la situation. Elle dit :

« Une épouse sage cherche à être la première des femmes de son mari, car il est illusoire de vouloir être la seule." Et d'ajouter, faussement enjouée : "Quoi qu'on en dise, être épouse unique n'est pas plus agréable que d'être enfant unique. On travaille plus, on s'ennuie plus et on supporte seule les humeurs et les exigences de l'homme. Il est vrai qu'il y a la jalousie, les intrigues, les disputes, mais au moins cela se passe-t-il à la maison, car, dès que le mari se met à chercher ses joies à l'extérieur, il est perdu pour toutes ses femmes. » (Maalouf, 1986, 75-76).

Puis un incident survient et chamboule la vie de Salma. La femme devient source de honte et de castration symbolique pour Mohamed, son époux. En effet, humilié devant les Grenadins dans un marché par un soldat chrétien (le frère de Warda, sa sa seconde épouse), il fut contraint de la libérer. Vu l'amour passionné qu'il éprouvait pour elle, il perdit tous ses repères et il n'eut qu'une seule idée en tête : la récupérer. Cette obsession fait de lui un nouvel être, chose qui n'est pas sans conséquences sur sa première épouse, Salma. En effet, cette dernière voit dans le nouveau délire de son mari une humiliation pour elle aussi et son abandon total. Intolérable ! C'est alors qu'elle décide de faire de son mieux pour le reconquérir, quitte à faire usage des plus abominables manières : la sorcellerie.

I.2. 6. Superstition et sorcellerie

Dans la deuxième partie du roman, *Le livre de Fès*, Salma doit gérer la nouvelle situation de son mari qui a du mal à s'y adapter, plus triste par la perte de Warda que par la perte de sa ville natale et de sa notabilité. « Ces obsessions qui le faisaient agir contre toute sagesse laissaient supposer que Mohamed était sous l'effet d'un enchantement. Elle tenait à l'en délivrer, même si elle devait consulter un à un tous les devins de Fès. » (Ibid., 100)

Son fils, Hassan, découvre l'énorme souffrance de sa maman qui n'en peut plus et qui a décidé de récupérer son époux vaille que vaille et en ne lésinant sur aucun moyen. Nous assistons donc à un changement radical du comportement de Salma qui, en compagnie toujours de sa fidèle amie juive retrouvée à Fès, fait le tour des devineresses de la ville en quête de la solution miracle capable de lui rendre son époux ainsi que leur dignité. Malheureusement pour elle, cet acharnement, assimilé à une sorte de rébellion, va la mener à sa perte à son tour : en essayant un soir de verser un élixir sur son mari dormant chez Warda, il se réveille et il la répudie séance tenante.

À travers ce récit, le personnage de Salma n'échappe pas à cette étiquette collée – non sans raison – à la femme en général, orientale en particulier : sa croyance démesurée en la superstition et en la sorcellerie. Héritant elle-même de cette croyance de sa propre mère qui « avait accroché à [ses] habits deux amulettes identiques, l'une apparente, l'autre cachée, pour ne prendre aucun risque avec le mauvais sort » (Ibid., 21), Salma reconnait le caractère illicite de ces pratiques. En effet, en racontant à Hassan l'histoire de ces que sa mère lui avait accrochées, elle implore Dieu pour qu'il lui pardonne son geste (« […] ta grand-mère – Dieu lui pardonne ! – avait accroché [deux amulettes …] ». Une interdiction, voire un péché que dénonce même Hassan qui, cherchant à justifier de telles pratiques, évoquait la faiblesse de l'être humain, notamment les femmes, une faiblesse qui les pousse à ce recours récurrent à des rituels irrationnels mais qui leur procure un sentiment de sureté et de protection :

« Les gens pieux trouvent ces croyances et ces pratiques contraires à la religion, pourtant leurs propres enfants portent souvent des amulettes, car ces hommes de bien parviennent rarement à raisonner leurs femmes ou leur mère. Moi-même, pourquoi le nier ? jamais je ne me suis séparé du bout de jais que Sarah a vendu à Salma la veille de mon premier anniversaire, et sur lequel sont tracés des signes cabalistiques que je n'ai pu déchiffrer. Je ne crois cette amulette investie d'aucun pouvoir magique, mais l'homme est si vulnérable face au Destin qu'il ne peut que s'attacher à des objets enveloppés de mystère. Dieu, qui m'a créé faible, me reprochera-t-Il un jour ma faiblesse ? » (Ibid., 39)

Nous pouvons donc dire qu'au début, le malheur de Mohamed était, sinon *bénéfique*, du moins déclencheur d'une certaine conscience chez Salma. Il provoque chez elle un changement dans son attitude et elle élaborera progressivement des comportements libérateurs, peu importent pour elle les manières car seule la fin et la concrétisation de son objectif comptaient. Malheureusement pour elle, cet éveil finira par causer son divorce parce qu'elle n'a pas su gérer son élan et choisir l'outil et le moment opportuns pour secourir et sauver son mari.

Il serait cependant légitime de poser cette question : est-ce que la volonté de Salma de récupérer son mari est vraiment une quête de sa propre valorisation et de sauvetage de son mari ou serait-ce tout simplement une *vengeance* contre la seconde épouse, et donc une autre manifestation de l'inimitié entre femmes dont parle Amin Maalouf ?

I.2. Fatima, la mère de Boabdil : le rêve d'un matriarcat libéral.

« Tu pleures comme une femme un royaume que tu n'as pas su défendre comme un homme.» (Maalouf, 1986, 66)

Cette citation très célèbre dans le monde arabo-musulman est attribuée à Fatima, la mère du dernier sultan de Grenade. Si elle résume la responsabilité de son fils dans la chute du dernier bastion des musulmans de l'Andalousie, elle reflète aussi le sentiment que Fatima a dû éprouver à ce moment-là : celui, d'une part, de déception et, de l'autre, de responsabilité - étant la personne qui avait été derrière l'accès de Boabdil au trône.

Placée par son mari en résidence forcée dans la tour de Comares en compagnie de ses deux fils, Mohamed (dit Bouabdillah ou Boabdil) et Youssef, Fatima va réussir à

s'enfuir et à les faire fuir. Elle, de même que Sarah-la-bariolée, représentent la femme rusée et combattive, manœuvrant par tous les moyens afin de défendre sa place et surtout de défier le joug masculin qui pèse lourdement sur sa vie et de s'imposer à lui. Fatima pousse son fils au parricide afin de récupérer le pouvoir. Elle le fait non par amour du pouvoir, mais par *vengeance* contre son mari le roi Abou al-Hassan Ali qui l'a délaissée et lui a préférée sa nouvelle épouse, Isabelle de Solis, la chrétienne.

« […] Fille de sultan, épouse de sultan, mère de sultan, Fatima était pétrie de politique et d'intrigues, bien plus que Boabdil qui se serait contenté volontiers d'une vie de plaisir sans ambition et sans risque. C'est elle qui avait poussé son fils vers le pouvoir, afin qu'il détrône son propre époux Abou-l-Hassan, coupable de l'avoir délaissée en faveur de la belle captive chrétienne Soraya. C'est Fatima qui avait fait fuir Boabdil de la tour de Comares et organisé dans le détail sa rébellion contre le vieux monarque. C'est elle qui avait ainsi évincé la concubine et écarté à jamais du pouvoir les jeunes enfants de celle-ci. » (Ibid., 66)

C'est donc la *vengeance*, encore une fois, qui constituerait le moteur principal derrière les (ré) actions de la femme orientale. Néanmoins, et contrairement à ce qui est répandu à propos de cette dernière (sa soumission totale et son rôle insignifiant, voire inexistant, dans la vie de sa société, notamment les choses d'ordre politique), Amin Maalouf, à travers la figure de Fatima, dément ce cliché et nous offre un exemple d'une femme dont l'influence est considérable dans la gestion des affaires de l'État et en particulier la désignation des rois et des princes. Cette aura est résumée par une phrase qu'on lira dans un autre roman du même écrivain, *Samarcande* : « Chez nous, ce sont les hommes qui font la guerre, mais ce sont les femmes qui leur disent contre qui se battre. » (Maalouf, 2000, 144.)

I.3. Mariam, invisibilité et infortune

Demi-sœur du personnage principal, Mariam est de ce genre de figures fictionnelles qui nous marquent profondément et qu'il est difficile, voire impossible d'oublier.

« Mon père la regarda à peine. » (Maalouf, 1986, 19) C'est la phrase qui vient juste après celle qui annonce sa naissance et elle en dit long sur le destin qui l'attend, un destin marqué par l'oppression masculine mais surtout par une indifférence quasiment totale à son égard, faisant d'elle une créature invisible. Cette indifférence est ressentie dès les premières pages du texte où elle n'est évoquée que très rarement, contrairement à son frère et aux autres personnages. Le lecteur ne sait rien d'elle, ni de son éducation ni de son quotidien d'enfant, fille d'une esclave. Les rares fois où elle est mentionnée avant qu'elle devienne un personnage important – malgré elle – dans le récit, elle est décrite comme une sorte de fardeau : « […] ma sœur Mariam également au bras de sa mère » (Ibid., 73) ; « tenant Mariam d'une main et moi de l'autre » (Ibid., 73) ; « que nous aurions tous eu du mal à la reconnaître si Mariam n'avait été dans ses bras » (Ibid., 89).

Après la chute de Grenade et l'exil forcé, Hassan et des siens arrivent à Fès avec l'intention de s'installer chez son oncle maternel, Abou-Marwan. Mais, dès que ce dernier aperçoit la seconde épouse de son beau-frère, il détourne son regard ; son visage s'assombrit tel que « Mariam elle-même, adorable fillette joufflue et souriante, n'eut pas droit à la moindre caresse. » (Ibid., 122). Ce geste de la part de l'oncle de Hassan va engendrer une séparation entre le frère et la sœur, une séparation qui n'est pas sans impact sur leur rapport fraternel :

« Ma sœur Mariam avait grandi à mon insu. Deux longues séparations avaient fait d'elle une étrangère. Nous n'avions plus le même toit, nous n'avions plus les mêmes jeux. Lorsque je la croisais, nos paroles n'étaient plus complices, nos regards n'étaient pas

entendus. Il a fallu qu'elle m'appelle cette année-là du haut d'une mule pour que je la voie à nouveau, pour que je la contemple, pour que je me souvienne de la petite fille que j'aimais et battais jusqu'aux larmes. » (Ibid., 133)

En effet, c'est lors d'une tournée dans l'arrière-pays, organisée par le père de Hassan et à laquelle sont conviées Warda et Mariam, qu'ils vont, enfin, se retrouver après un long éloignement causé par la faute des adultes. Mariam y voit une occasion idéale pour discuter longuement avec son (demi) frère, lui parler de ses angoisses et d'un futur dont son intuition de femme la met en garde. Commence alors une conversation des plus touchantes entre une jeune fille fragile et pusillanime et un garçon attentionné et protecteur.

Bien qu'elle soit longue, nous reproduisons cette discussion car elle symbolise et reflète les rapports plutôt dominants dans les pays arabo-musulmans entre le frère et sa (demi) sœur :

« […]

- Ton oncle te chérit comme si tu étais son fils, n'est-ce pas ? […] « Quand j'aurai des enfants, les aimeras-tu comme il t'aime ?"

- Bien sûr", dis-je. […]

- "Quand j'aurai des enfants, les aimeras-tu ?"

J'aurais dû être agacé, mais je souris, car je me rappelai toujours la façon qu'elle avait, dès l'âge d'un an, de réclamer le même jouet trois, quatre, dix fois sans répit et sur le même ton.

"Bien sûr que je les aimerai. […]

- Viendras-tu souvent chez elle ? Lui demanderas-tu si elle va bien ? Écouteras-tu ses chagrins ?

- Oui, Mariam, oui ! "[…]

- "Mais pourquoi ne me parles-tu jamais ? Pourquoi ne viens-tu pas me demander si je pleure la nuit ? De tous les autres hommes, mon devoir est d'avoir peur. De mon père aujourd'hui, de mon mari demain, de tous ceux qui ne sont pas mes proches et dont je dois me cacher. "

Elle lâcha bride, sa mule repartit au petit trot. Je me hâtai pour rester à ses côtés. Je ne lui parlais toujours pas, mais, étrange sensation, j'avais peur pour elle, je l'enveloppais de mes yeux avec une affection soudaine. Il me semblait qu'un danger la guettait. » (Ibid., 134-135)

L'intuition de Mariam ne sera pas démentie. Après des années d'oubli et de négligence, son père se rappelle de son existence mais non par acquis de conscience ou pour la bonne cause. Son avidité et son désir de construire une grande fortune vont le pousser à s'allier avec un homme retors et connu pour l'origine douteuse de sa richesse : Zerouali. « "Pour sceller l'accord, poursuivit le Zerouali, quoi de mieux qu'une alliance de sang ? N'as-tu pas une fille à marier ?" Séance tenante, Mohamed promit à son bailleur de fonds la main de Mariam. » (Ibid., 140).

Quatre fois plus âgé que Mariam, il devient son fiancé malgré le refus de la concernée (un non qui, bien sûr, ne sera pas pris en considération) ainsi que celui de son frère, Hassan. Sauf que ce dernier persévère et, malgré ses treize ans, déclare la guerre contre cette injustice – secondé en cela par son ami de toujours Haroun-le-Furet –. Ils multiplièrent les contacts et les manœuvres et ils réussirent à annuler ce mariage.

Mais les choses ne vont pas s'arrêter là car la méchanceté du Zerouali n'a pas de limites : pour se venger de Mariam et de son frère, il répand la rumeur selon laquelle son ex-fiancée est lépreuse. Moyennant un pot-de-vin, le cheikh du Quartier des lépreux y interne de force Mariam bien qu'elle ne soit aucunement atteinte par ce « mal ». Hassan, toujours en compagnie de son fidèle ami, est obligé de déclarer une autre guerre afin de faire sortir sa demi-sœur de cet asile. Les choses vont s'avérer très compliquées et Mariam passera beaucoup plus de temps que prévu en compagnie de vraies lépreuses. Jusqu'au jour où Haroun décide de la prendre comme épouse, de monter une stratégie pour la faire évader et de quitter la ville vers les Montagnes. Bien des

années plus tard, Haroun et Mariam prennent leur *vengeance* de Zerouali en le tuant et l'enterrant.

Cette vengeance constitue un nouveau départ dans la vie de Mariam. En aidant son époux à tuer Zerouali, c'est aussi l'image de son père qu'elle tue. C'est de ces années d'oppression paternelle qu'elle se libérait, réussissant ainsi à s'en émanciper et à profiter pleinement de sa vie.

II. Le voile

Cité exactement vingt-quatre fois tout au long du roman, le mot voile y est associé, évidemment, à celui de femme. Dès qu'elle est mentionnée, Amin Maalouf tient à signaler si elle porte son voile ou non parce qu'il est conscient et de l'importance que recouvre cet élément vestimentaire chez les musulmans (mais aussi chez les chrétiens à cette époque) et, surtout, de la polémique qu'il suscite quant à son obligation ou son caractère optionnel.

Le cheikh Astaghfirullah, l'un des personnages principaux de la première partie du roman, est une personnification de l'un des courants religieux les plus importants en islam : le fondamentalisme. Par le biais de ce personnage, l'écrivain brosse au lecteur, en particulier occidental, le portrait de l'une des interprétations de la religion musulmane, celle marquée par une intransigeance et une manière d'agir des plus sévères.

La victime indiquée de cette intransigeance n'est autre que la femme. Ainsi, pour Astaghfirullah, c'est le relâchement religieux de cette dernière qui est à l'origine de la chute de la ville (sic) ; notamment sa négligence du port du voile, un élément plus qu'obligatoire selon sa vision fondamentaliste.

« Oui, frères croyants, ces choses se passent dans votre ville, sous vos yeux, et vous ne réagissez pas, comme si Dieu ne vous attendait pas au jour du Jugement pour vous demander des comptes. Comme si Dieu allait vous soutenir contre vos ennemis quand vous laissez bafouer Sa parole et celle de Son Messager, Dieu le gratifie de Sa prière et de Son salut ! Quand, dans les rues grouillantes de votre ville, des femmes se promènent sans voile, offrant leur face et leur chevelure aux regards concupiscents de centaines d'hommes qui ne sont pas tous, je suppose, leur mari, leur père, leurs fils ou leurs frères. Pourquoi Dieu préserverait-Il Grenade des dangers qui la menacent […] » (Ibid., 42)

Nombreux sont les hommes qui sont d'avis avec le cheikh : même les femmes, dans une proportion moindre partagent ses idées rétrogrades.

Consciemment ou inconsciemment, le voile est devenu pour elles une obsession tellement il est constamment omniprésent dans la vie des gens : « Bien qu'aucun homme ne fût en vue, elle avait jeté sur son visage un voile blanc qu'elle n'enleva qu'après avoir verrouillé la porte derrière moi », raconte Salma à propos d'une femme qui est venue l'aider lors du déluge qu'a connu la ville de Grenade.

Cependant, en plus de sa fonction première, à savoir la couverture des cheveux des femmes, le voile sert aussi à autre chose. Au moment de traverser clandestinement la Méditerranée pour quitter Grenade, Warda a porté « des voiles si sombres » (Ibid., 89) rien que pour passer inaperçue, car, étant chrétienne, elle en est dispensée. Bien des pages plus loin, Maalouf citera également l'une des raisons qui poussent les femmes à porter le voile, plus par le choix de se soumettre à un seul homme que par conviction religieuse, et cela à travers un dialogue entre le protagoniste et son amante :

« Je ne m'attendais pas à te voir voilée. Sans l'âne, je ne t'aurais pas reconnue.

- C'est bien pour ne pas être reconnue que je suis voilée. Nous sommes ensemble, dans la rue, au milieu d'une foule curieuse et bavarde, et nul ne se rend compte que je ne suis pas ta femme. » Et d'ajouter, taquine : « J'enlève le voile si je veux plaire à tous les hommes ; je le porte si je ne veux plaire qu'à un seul.

- Désormais, je détesterai que ton visage soit découvert.

- Ne voudras-tu jamais le contempler ? » (Ibid., 247)

Quant à l'avis personnel d'Amin Maalouf à propos du voile, c'est plutôt dans son essai *Les identités meurtrières* que nous pouvons le découvrir. Il y déclare qu'il est contre et qu'il y voit un comportement passéiste et rétrograde.

« Mais pour en revenir un instant au port dudit 'voile', je ne doute pas qu'il s'agit d'un comportement passéiste et rétrograde. Je pourrais longuement dire pourquoi je vois les choses ainsi, à la lumière de mes convictions, et en rappelant divers épisodes de l'histoire du monde arabo-musulman, et du long combat de ses femmes pour l'émancipation. » (Maalouf, 1998, 54)

À travers ce roman, nous découvrons également que jusqu'au Moyen-Âge, le voile n'était pas uniquement l'affaire des musulmanes, car même les juives et les chrétiennes le portaient, en particulier en la présence d'un étranger. Au moment où Salma et Sarah discutaient et, entendant les pas de Mohamed qui venait de rentrer, « Sarah se couvrait précipitamment la tête et le visage » (Maalouf, 1986, 60). C'est le cas aussi de Warda la chrétienne qui est voilée lors de sa rencontre inattendue avec son frère Juan. « Un jeune soldat moustachu s'était arrêté […] cherchant non sans mal à identifier la femme voilée qui venait de l'interpeller ainsi. […] – Juan, je suis Esméralda, ta sœur ! En prononçant ces mots, elle dégagea son bras droit du poing serré de Mohamed et souleva légèrement son voile. » (Ibid., 73).

Conclusion

Léon l'Africain marque le début d'une carrière scripturaire qui continue toujours et à travers laquelle Amin Maalouf confirme, d'une œuvre à l'autre, sa volonté, entre autres, de comprendre et de faire comprendre à ses lecteurs les autres cultures – notamment musulmane – et cela à des fins de coexistence et d'élargissement des horizons.

Il s'inscrit dans un certain humanisme, celui d'Edward Saïd et de William Blake cherchant « à briser les chaines de notre esprit afin d'utiliser celui-ci à une réflexion historique et raisonnée. » (Saïd, 2003, page V). Il tente de déconstruire cette relation éminemment complexe entre l'Orient et l'Occident en offrant aux lecteurs l'Orient d'un oriental, « dépourvu de cette description occidentale héritée des chansons de geste qui le décrit à travers le prisme d'un double stéréotype : la barbarie et la violence guerrière » (Makhlouf, 2014, 7).

Fidèle à cette objectivité qui a caractérisé son premier livre, *Les Croisades vues par les arabes* (1983) (et qui caractérisera tous ses livres ultérieurs), Amin Maalouf dresse, dans *Léon l'Africain,* différents tableaux des figures féminines vivant dans le monde arabo-musulman de la fin du XVème et du début du XVIème siècle.

Contrairement à ce qu'avancent certains critiques musulmanes (qui se fondent sur la religion chrétienne de l'écrivain pour le taxer de simple reproducteur des clichés et des stéréotypes relatifs à l'Orient[4]), la lecture attentive de *Léon l'Africain* prouve l'impartialité et l'objectivité avec lesquelles Amin Maalouf décrit la société musulmane. Cela prouve aussi que ce roman, ainsi que toutes ses œuvres, sont destiné à tordre le cou aux idées reçues sur l'Orient. Toutes les catégories féminines (et sociales) ont voix au chapitre et elles interviennent toutes dans son récit pour exprimer leurs opinions, aussi opposées les unes aux autres. Le seul juge interpellé par le roman est le lecteur et à lui seul revient cette tâche de considérer les positions et d'apprécier les postures. Quant à la religion, Maalouf trouve que toutes les religions, du moins tous les discours religieux, à des degrés différents, sont dans l'obligation absolue de se soumettre à un examen de conscience par rapport au rôle de la femme et « à la place qu'elles ont donnée aux femmes et à la complaisance qu'elles ont constamment montrée à l'égard de ceux qui veulent la réduire et l'asservir. » (Bougenot, *Op. Cit.*).

Références

1. « J'accuse les massacreurs des femmes », article dans *Le Nouvel Observateur*, cité dans l'entretien *«L'évolution d'une société… »*

2. « C'est dans l'ouvrage de Maurice Halbwachs [*La mémoire collective,* Paris, PUF, 1950] qu'ont apparu, pour la première fois, les mots "mémoire collectives". Halbwachs reconnait qu'il existe deux formes de mémoires, "des mémoires individuelles" et "des mémoires collectives". Ce qui fait l'originalité de la pensée de Halbwachs est l'importance qu'il attribue à la participation de l'individu à la vie de son groupe. Selon Halbwachs, l'individu construit sa mémoire en fonction de son contact avec des groupes, car c'est dans le contact avec le groupe que l'individu fixe ses souvenirs. » Cité par Catherine Ann Bagot, L'Autre côté : la mémoire collective dans trois romans d'Amin Maalouf. Thesis submitted for the degree of Master of Arts, School of Humanities, University of Adelaide, May 2009, p. 18.

3. Voir par exemple : Sami Zaki, H. (2001). Schéhérazade, figure de la femme orientale. Tangence, (65), 99–114. https://doi.org/10.7202/008233ar

4. Voir par exemple : 2018 ، براهيم بوخالفة ، *أطياف الاستشراق ، تشكلات الآخر في روايات أمين معلوف* ، القاهرة ، رؤية للنشر والتوزيع

Bibliographie

1. Belarbi, Aïcha (Dir). (1998), *Femmes et Islam*, Éditions Le Fennec, Casablanca.

2. Bagotm Catherine Ann. (2009) « *L'Autre côté : la mémoire collective dans trois romans d'Amin Maalouf* », Thesis submitted for the degree of Master of Arts, School of Humanities, University of Adelaide, Adelaide, Australia.

3. Coran. Sourate 16, verset 58.

4. Dakroub, Fida. (2010), « *Amin Maalouf et le pan-orientalisme : Écriture et construction identitaire dans le roman historique d'Amin Maalouf* », Littératures, The University of Western Ontario, Ontario, Canada.

5. Bougenot, Françoise. (2000), Entretien : *« L'évolution d'une société peut se mesurer à la place qu'y occupent les femmes »*, http://www.aucoindesmots.fr/wp-content/uploads/2014/02/interview-maalouf2.pdf

6. Lazard, Madeleine. (1985), *Images littéraires de la femme à la renaissance*, PUF, Paris.

7. Maalouf, Amin. (1998), *Léon l'Africain,* Casbah édition, Alger [© JC Lattès 1986].

8. Maalouf, Amin. (2000), *Samarcande*, Casbah Éditions, Alger [© JC Lattès 1988].

9. Maalouf, Amin. (1998), *Les Identités meurtrières,* Grasset, Paris.

10. Makhlouf, Georgia. (2014), *Le goût de l'Orient*, textes choisis, Mercure de France, Paris.

11. Rey, Alain (dir). (2005), *Dictionnaire culturel en langue française*, Tome 3, Dictionnaire Le Robert, Paris.

12. Saïd, Edward. (1980), *L'Orientalisme*, Seuil, Paris.

13. Sami Zaki, H. (2001), « Schéhérazade, figure de la femme orientale », in : Tangence, (65), 99–114. https://doi.org/10.7202/008233ar

14. بوخالفة ، براهيم. (2018)، أطياف الاستشراق ، تشكلات الآخر في روايات أمين معلوف ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة.

Formulaic Sequences Difficulties in Affecting Communicative Competence: The Case of Master One EFL Learners in Biskra

Date de réception : 2020-02-03 Date d'acceptation : 2021-01-06

Raihana Fourar, University of Kasdi Merbah, Ouargla, fourar.raihana@gmail.com
Ahmed Chaouki Hoadjli*, University of Mohamed Kheider, Biskra, ac.hoadjli@univ-biskra.dz

Abstract

The present study aimes *to pinpoint one of the encountered difficulties by Master one students at the Section of English in the foreign* language *Department in Biskra University* where in *only one group was taken as a sample. In addition, it* seeks *to evaluate its effect on learners' communicative competence, mainly on the oral and written levels. this study* is *a qualitative research approach and a case study design. With regard to the research tools, a semi-structured classroom observation and document analysis were employed respectively. The findings revealed that semantic opaqueness stands as a major difficulty to EFL learners as they showed a poor level when dealing with formulaic sequences that hold a non-literal meaning even though they were directly and explicitly instructed in the assigned area. Moreover, the effect of this difficulty was negatively reflected on EFL learners' communicative competence.*

Keywords: Communicative competence, EFL learners, formulaic sequences, non-literal meaning, semantic opaqueness

Résumé

La présente étude vise à identifier l'une des difficultés rencontrées par les étudiants de Master 1 d'anglais de l'Université de Biskra (un seul groupe a été pris comme échantillon) : l'opacité sémantique L'étude cherche à évaluer son effet sur la compétence communicative des apprenants, à l'oral et à l'écrit. Pour mener à bien cette étude, la méthode qualitative est adoptée et un plan d'étude de cas est établi. En ce qui concerne les outils de collecte de données, une observation en classe semi-structurée et une analyse de documents sont respectivement effectuées. Les résultats ont révélé que l'opacité sémantique représente une difficulté majeure pour les apprenants car ils ont montré un niveau insatisfaisant en traitant les expressions non littéralement chargées. De plus, l'effet de cette difficulté s'est répercuté négativement sur la compétence communicative des apprenants EFL.

Mots clés : Apprenants EFL, compétence communicative, expressions figées, opacité sémantique, sens non-literaire

الملخص

هدفت الدراسة الحالية إلى تحديد إحدى الصعوبات التي يواجهها طلاب ماستر في قسم اللغة الإنجليزية بجامعة بسكرة حيث تم أخذ مجموعة واحدة فقط كعينة. بالإضافة إلى ذلك ، سعى هذا البحث إلى تقييم تأثير هذه الصعوبة على الكفاءة التواصلية للمتعلمين ، ولا سيما على المستوى الشفوي والكتابي. لإجراء هذه الدراسة ، تم اعتماد نهج بحث نوعي ، واستخدام تصميم دراسة الحالة. فيما يتعلق بالوسائل البحثيّة ، تم إدراج الملاحظة وتحليل المستندات على التوالي. كشفت النتائج أن الغموض الدلالي يمثل صعوبة كبيرة أمام متعلمي اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية لأنهم أظهروا مستوى ضعيفًا عند التعامل مع الصيغ النمطية التسلسلية التي تحمل معنى غير حرفي على الرغم من أنهم تلقوا تعليمات مباشرة في مجال الدراسة. علاوة على ذلك ، انعكس تأثير هذه الصعوبة سلبًا على الكفاءة التواصلية لمتعلمي اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية.

الكلمات المفاتيح: التعتيم الدّلالي ، الصيغ النمطية التسلسلية ، الكفاءة التواصلية ، المعنى غير الحرفي ، متعلمي اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية

* Corresponding author

Introduction

Communicating fluently and effectively in a target language, notably the English language in the case of this study does not arise out of vacuum, but it prerequisites a good command of the lexicon, in addition to using it in accordance with the socio-cultural norms of the speech community. In other words, a high level of proficiency in terms of communicative competence is certainly a long-term goal and, at the same time, a requirement for a learner of the foreign language. However, this long-term goal cannot be attained unless it was aligned with the enrolment of some key components, one of which is formulaic sequences. In fact, targeting the latter has become a priority in academically based contexts. Therefore, it is certainly needed not to underestimate some basic problems, specifically on the semantic level, that may impede an EFL learner from mastering these multi-words combinations. Accordingly, the present paper attempts to cast light on some of the induced difficulties by formulaic sequences, and to, ultimately, end up with an evidence on the seriousness of these difficulties through an evaluation of their effect on EFL learners' communicative competence.

1. *Theoretical Background*

It is widely accepted, in the body of literature, that communicative competence is witnessing its heyday in the context of foreign language learning/teaching. As a point of departure, Chomsky (1965) sets up one of the early milestones to this phenomenon when he advances his dichotomy of "competence-performance". This linguist reckons that, while, competence refers primarily to an abstract system of rules, performance is the actual ability to apply this system (Chomsky, 1965). As a countermovement to this chomskyan sense, Hymes (1972) insists on the significance of the sociocultural factors that govern the appropriate production of a message in order to be in harmony with the norms of the speech community (Hymes, 1972). Simply put, Chomsky is interested in grammatical correctness; whereas, Hymes focuses on sociocultural appropriateness of a communicative product. This explains the shifting of centrality from grammatical competence to communicative competence in the new trends of teaching second and foreign languages.

Nowadays, EFL learners' foremost aim is having, "The ability to use language, or to communicate, in a culturally-appropriate manner in order to make meaning and accomplish social tasks with efficacy and fluency through extended interactions" (Tarvin, 2015, p.2). To put it differently, they seek to become communicatively competent so that they can interact and converse successfully in the sociocultural context in which they find themselves. As a result, the researchers find themselves urged to find out methods and techniques for assisting learners to reach such an aim. For instance, they uphold formulaic sequences as an option with a high potential of functionality in language production and learning (e.g, Wood, 2002).

With regard to this linguistic phenomenon (i.e., formulaic sequences), Wray (2013) proclaims the existence of a "terminological problem" because it has been labelled differently, and this, in turn, has opened the door for contradictory prospects (Wray, 2013). Likewise, for defining it, providing one single definition to formulaic sequences is not an easy task as each researcher is approaching it based on his perspective. What is more likely to harden this task is the absence of an absolute criteria that can act as a basis for putting forth a complete definition (Schmitt & Carter, 2004). Yet, Wood (2015) claims that three items should be covered in any definition: multiplicity of the lexical units, singularity of the meaning and prefabrication for retrieval (Wood, 2015).

As a laudable attempt from him, Kecskes defines them as, "multiword collocations which are stored and retrieved holistically rather than being generated de novo with each use" (Kecskes, 2007, p.193). This means that a learner is not supposed to generate sentences from scratch each time since language is typically formulaic in nature. However, the definition that has been quoted in much of the literature goes back to Wray, and it is as follow:

A sequence, continuous or discontinuous, of words or other meaning elements, which is, or appears to be, prefabricated: that is, stored and retrieved whole from memory at the time of use, rather than being subject to generation or analysis by the language grammar (Wray, 1999, p.214).

In her definition, Wray (1999) highlights the essential criteria that should be considered when introducing/defining the notion of formulaicity (Wray, 1999).

This "formulaic paradox", as Assassi and Benyelles (2016) describe it, did not stop at the level of agreeing on a standardised label or a referential definition, but it included the issue of categorising these ready-made combinations into well-defined subclasses (Assassi & Benyelles, 2016). Yet, three categories have benefited from a large amount of studies, and which are *collocations* "e.g., cost a fortune" (Duan & Qin, 2012; Fernández & Schmitt, 2015; O'Dell & Mccarthy, 2017; Rao, 2018) , *idioms* "e.g., kick the bucket" (Irujo, 1986; McCarthy & O'Dell, 2002), and *phrasal verbs* "e.g., look after" (Rudzka-Ostyn, 2003; Wood, 2015). Perhaps, this may feature them to be considered, according to a considerable number of researchers, as the main categories under the umbrella of formulaic language. Accordingly, the following research, along with its aims, addresses these categories.

It seems inconceivable to investigate the importance of formulaic sequences in relation to communicative competence without studying their performed functions. As a matter of fact, a functionally-based categorisation has been established by Wray and Perkins (2000) where the focus was on two functions: (a) social interaction, and (b) short-cut in processing (Wray & Perkins, 2000). The former function evolves around the concept of using formulaic sequences as devices for social interactions such as asserting separate/group identity, in addition to performing different speech acts (e.g. apologising and vowing). On the other side, the latter function means that these sequences reduce the amount and effort of the mental processing of an information, and they increase the fluency and production of communication, be it spoken or written. Apart from this, Schmitt (2010) signals other functions that can be realised by formulaic sequences such as discourse organisation and transfer of precise information (Schmitt, 2010).

Based on what has been mentioned earlier, and counting on the results of different studies (e.g. Wisniewska, 2015; Assassi & Benyelles, 2016; Rafieya, 2018), formulaic sequences have proved to be highly relevant and functional for the improvement of EFL learners' communicative competence along with its main components. By way of contrast, this does not eliminate the possibility of affecting negatively learners' ability to communicate with the foreign language even under the light of explicit exposure in academic contexts. Regarding this assumption, it entails the existence of naturalistic difficulties wherein formulaic sequences act as a primary source to them; worth mentioning, the unfocused pedagogical instruction, the non-acquaintance with the sociocultural norms of the foreign culture, in addition to the nature of formulaic sequences that may represent a major difficulty for an EFL learner. In line with this claim, Wray and Perkins (2000) shed light on semantic irregularities where they argue that some formulaic sequences are hard to understand without a direct contextual explanation, and this can be attributed to their metaphorical meaning and semantic opaqueness (Wray & Perkings, 2000). The latter simply means that the meaning of a sequence cannot be inferred from the meaning of its constituent parts. On this account, it is definitely required to investigate thoroughly formulaic sequences difficulties, each researcher from a different standpoint in order to ease a teacher/learner process of teaching/learning these prefabricated expressions.

2. *The Study*

2.1 The Problem

Paring the notion of formulaicity within the process of communication helps in affecting positively communicative competence, and reaching native-likeness proficiency in an EFL context. However, some formulaic sequences seem to be more

challenging in their learning and integration in communicative products (dialogues, pedagogical written/oral activities and others). Therefore, assuring the functionality of these formulae both at the written and oral aspects requires, at the outset, detecting what may impede it, specifically on the semantic level.

2.2 The Research Questions

Based on the formulated problematic for this study, the following research questions were posed:

RQ1: What type of difficulties do EFL learners encounter when integrating some formulaic sequences in their communication, mainly speaking and writing?

RQ2: What kind of effect do these difficulties have on EFL learners' communicative competence?

2.3 The Research Hypotheses

Based on the aforementioned questions, the following research hypotheses were proposed:

RH1: Non-literal meaning of some formulaic sequences hinder EFL learners from communicating successfully.

RH2: EFL learners' communicative competence will be negatively affected.

2.4 The Research Aims

The present study aims to develop a sense of awareness for both EFL learners and teachers towards the area of formulaic sequences in addition to its relevance to the communicative competence. More precisely, it seeks to:

- Determine the sort of difficulties that may hinder the functionality of formulaic sequences for EFL learners by focusing on their meaning type (literal/non-literal).

- Evaluate the effect of these sort of difficulties on EFL learners' communicative competence, (i.e., speaking and writing).

2.5 Population and Sample

Based on the belief that Master one students at the Section of English in the Department of Foreign Languages in Biskra university (Algeria), supposedly, have an advanced level in the English language, the researchers have attempted to include them in the present study as an overall population (N=195). Alternatively, stated, Master one students are considered to be more acquainted with the area of formulaic sequences comparing to other levels since they deal with it in the course of Language Mastery. Following a purposive sampling technique, only one group (N=47) was chosen to take part in this study, and this selection was based on the sample suitability for the collection of appropriate data in order to end up with adequate answers to the research questions.

2.6 Study Description and Rationale

Formulaic language as a promising field of study is gaining more attention by researchers who are conducting many studies on the improvement of teaching formulaic sequencess via different approaches. However, we were mainly concerned with identifying certain difficulties that may impair this improvement. Wray states, "If formulaic sequences are so difficult to learn, then unless we understand why, we are unlikely to hit a successful way of teaching them" (Wray, 2000, p.468). That was what has urged the researcher to investigate some of the induced difficulties by formulaic sequencess and their effect on learner's communicative competence. Precisely, the focus was on the semantic level to see whether non-literal meaning can constitute an obstacle to EFL learners when attempting to communicate or they can be learnt and reproduced easily regardless to their meaning type. Based on the nature of the study, in addition to the researchers' purposes, a qualitative approach was opted for, where two phases of data collection were included.

First phase

This phase integrated collecting qualitative data through two semi-structured classroom observations: One at the teaching level where the focus was only on the teacher, and the other at the practicing level where the focus was on the representative sample. In this phase, the researchers intended to be non-participant observers in six sessions where one of the teachers was already

teaching formulaic language as a part of the syllabus of Language Mastery course to Master One students.

During lectures, the students were introduced to a general definition about formulaic language, its categories, and its importance in relation to communicative competence. Here, the first used checklist took into consideration the teachers' method of delivering the content, so that the researchers can make sure that the teacher's way of instruction is not a source for the difficulties that his students may face. Throughout tutorials, the focus of the second checklist was directed towards students' involvement and participation during their practice to get insights about the faced difficulties in relation to the integration of these ready-made combinations in their oral communication.

Second phase

It also integrated collecting qualitative data through an official test designed and submitted by the teacher after the end of the classroom observation. As the teacher confirmed, the test covered the main categories of formulaic language, while a greatest focus was given to the semantic level. Then, a Content-based Approach was undertaken on one activity from students' copies of the test in order to check that a non-literal meaning of a formulaic sequence can constitute an obstacle to an effective communication, notably at the level of the writing skill.

After passing through these two phases, the researchers may become able to make a final evaluation about the effect of the encountered difficulties on students' communicative competence.

2.7 Methodology

2.7.1 The Research Approach

Due to the aims, and nature of assumption that our research is based upon, a qualitative research approach was adopted. This approach has been selected because it can help in producing rich textual data. In addition, it aids in gaining an in-depth understating of the pre-determined issue that needs to be explored in relation to formulaic sequences and communicative competence. Furthermore, it can help in producing the kind of qualitative evaluation that we are looking to get by the end of the study.

2.7.2 The Research Design

With reference to the narrow context of the present study, a case study was selected for the research design. In line with this matter, Zainal notes that, "A case study method enables a researcher to closely examine the data within a specific context" (Zainal, 2007, p.1). This methodological decision can also be justified by the allowance of this kind of research design to collect live data in natural settings. Not only this, but it strongly emphasises reaching a deeper understanding of the investigated issue.

2.7.3 Research Tools

To execute our study practically, the researchers, first, have opted for a semi-structured classroom observation as it permits us to have a direct access to live occurring situations, and to take reliable snapshots for the encountered difficulties by EFL learners in the assigned area (i.e., formulaic sequences). Then, this data collection method was soon followed by document analysis as another source of relevant data, and which, by good fortune, happens to be applicable to qualitative studies, and collected in non-artificial educational settings. Opting for these two data collection methods, the researchers have aimed to minimise potential bias resulting from their part, specifically in the observational level, and to strengthen the credibility and validity of the collected data.

With regard to the classroom observation wherein the observers were non-participants, two semi-structured checklists have been designed as the learning-teaching process of the area of formulaic sequences occupied two different settings (i.e., tutorial sessions and lectures). It is noteworthy no ready-made grid, to the best of the researchers' knowledge can be used to serve the study purpose; so, they took charge of checklists development. In other words, the researchers designed tailor-made checklists by, mainly, taking into account their research questions and aims.

The first checklist that contained six directive items under one section was used during lectures. It was directed only towards the teacher along with his instructional delivery of the content in order to ensure the effectiveness and relevance of his teaching approach both to the students and to the subject under study. In the mean time, the second checklist was formed by the inclusion of three sections that sought, respectively, to: (1) explore teacher's instructional practices, (2) confirm the relevance of the content knowledge (i.e., area of formulaic sequences) to students in general and to their communicative competence in particular, and (3) examine students' participation and involvement in performing some pedagogical activities. Although this checklist consists of different parts, it attempted to identify and evaluate the effect of the potential difficulties on learners' communicative competence (i.e., the oral aspect) (See Appendices 1 &2).

However, these checklists were not used until being piloted and validated with the assistance of some knowledgeable teachers in the department.

Opting for documents analysis, the researchers endeavoured to explore formulaic sequences integration in the written productions of students by laying focus on the encountered difficulties that have been noted during the observation. This was done with the intention of evaluating the effect of such difficulties on learners' communicative competence (i.e., the written aspect). It should be noted that the used documents were in the form of test papers where the latter belonged to the same sample being observed (See Appendix3). As far as we were concerned with difficulties on the semantic level of formulaic sequences, one activity was selected to be analysed. In this activity, the students were required to write full sentences from their own productions by integrating four phrasal verbs in their literal and non-literal meaning. In others words, students were supposed to present each phrasal verb in two contexts where one context is biased towards literal meaning, and the other one is biased towards non-literal meaning. The four assigned phrasal verbs were respectively as follow:

1- Put up!
2- Look through!
3- Run out!
4- Get into!

3. Results

To analyse the collected data through this research phase, the researchers opted for a thematic analysis to the classroom observation, and a content analysis to the documents. Then, a descriptive method was used for the description, explanation/analysis and interpretation of the major ideas deduced from each data collection method.

3.1 Classroom Observation

The following section is devoted to report the obtained results from both observation checklists. Then, it will be followed by a discussion to the findings with reference to the set research aims for this study.

3.1.1 The First Classroom Observation

It was observed that there was no confirmation or comprehension checks by the teacher, so that he can check if his students have fully grasped the content delivered to them, or there were certain difficulties in the learning process to be detected. However, this does not reject the idea of the teacher's reliance on other criteria. In fact, he depended heavily on observing non-verbal behaviours of his students to determine if comprehension is attained, or there is a need for adding further explanations. As an example, he kept focusing, while explaining, on some paralinguistic features such as facial expressions, and body gestures as they can help him to tell whether his students were looking for more clarification about the content or not. On the top of that, he endeavoured to simplify complex and difficult materials by providing varied explanations. For instance, he used the act of exemplification to explain opaque idioms, and he even used activities to explain an idea when needed.

The teacher was noticeably stating information directly, and explaining the content explicitly. He also attempted to communicate his ideas effectively as he articulated clearly, repeated some explanations, and used the board to write

important notes. During the process of teaching, the teacher was directing his students' attention towards the importance of understanding the meaning of formulaic sentences, but he did not completely neglect their syntactical forms. For example, he considered phrasal verbs to be challenging in terms of their meaning that is typically not obvious for their first-time readers. In the case of collocations, there was greater emphasis on their syntactical forms due to its variety that needs to be considered by students. By the end of every attended lecture, the teacher included follow-up activities that were simple and linked to FSs.

Based on what has been observed, it can be claimed that the teacher's method of teaching was based on directness and explicitness, so that the students could be able to keep their focus on the content explained to them. In his attempt to determine the attainability of comprehension, he depended on the non-verbal type of communication (i.e., paralinguistic features). This behaviour may help students who prefer to keep silent even if they do not fully understand what they are being taught. Nonetheless, this did not allow him to ignore verbal communication, and which requires asking direct questions such as yes/no questions (e.g., do you need further explanation?).

It appears that the teacher could succeed, to a certain extent, in simplifying the complex material since he opted for a set of ways to explain effectively, such as exemplification, repetition and visualisation (i.e., forming a mental image in the mind for an abstract idea). Additionally, he tried to consolidate his students' understanding through a simple follow-up activity by the end of each lecture. Most importantly, the teacher showed a kind of sensibility about considering both syntax and semantics when teaching FSs. This can be proved by his insistence on the idea that no logical connection can be found between the form and the meaning of many FSs. Overall, the students had the chance to be exposed explicitly to the area of FSs in an academically based context even if it was for a limited period.

3.1.2 The Second Classroom Observation

Section One: Teacher's Instructional Practices

In each session, it was observed that the teacher avoided being monotonous in his selection and development of instructional practices. This means the developed questions and activities were varied in terms of the difficulty level as well as the type (e.g., matching activities, completion tasks and improvising dialogues). What is important is that the activities fitted the area of formulaic sequences, and, by consequence, were suitable for developing students' formulaic competence. Moreover, the teacher noticeably made an extra emphasis on the semantic level where he sought to direct his students' attention towards the necessity of using contextual clues, in some cases, to extract the non-literal meaning of some formulaic sequences that cannot be processed holistically. On the top of this, the students were not only instructed but also urged to participate by the teacher who intended to pose integrative questions, and to give sufficient allotted time for the answer.

Section Two: Content Knowledge and Relevance

It was found that classroom activities were designed based on the content being delivered to the students in the designated area (i.e., formulaic sequences), and this can be confirmed by what the researchers have previously observed and collected as data using the first observation checklist. This indicates the relevance and usefulness of the content knowledge for the reinforcement of students' communicative competence, notably at the written and oral aspects. On another note, the expected difficulty that was put under lens by both researchers, specifically on the semantic level, proved to work as a hindrance in the way of a successful communication whether the activity demanded immediate oral responses or written answers from the students' part. However, the level of difficulty changed according to the type of meaning held by the sequences. For instance, the students were able to answer easily and

correctly when a formulaic sequence held a context-independent meaning (i.e., literal meaning).

Section Three: Students' Involvement in the Practice of FSs

Throughout all the sessions, there was not a clear tendency of students to involve themselves in the teaching process by asking clarification questions in any level, be it semantic or syntactic, and this may imply their full comprehension to the content for the observers. However, this did not have any reflection in their answers because they became unable to communicate their ideas adequately in the different instructional activities. It is worthy to mention that a high level of students' participation was recorded when the instructions of in-class activities were about formulaic sequences that are semantically transparent, and not vice versa. With regard to meeting the teacher's expectation of appropriate integration of formulaic sequences in their communicative products, his feedback seemed to be an optimal sign to be taken into account by the researchers. For instance, he showed negative feedback to his students in the case of idioms and phrasal verbs where he considered their answers as artificial unlike the case of collocations where he looked more satisfied through his positive feedback.

3.2 Document Analysis

To pinpoint the sort of encountered difficulty by most students when attempting to integrate formulaic sequences in their written productions, and to evaluate its effect on their communicative competence, specifically the writing skill, an analysis of their written answers was carried out. The following table transforms qualitative data into quantitative one in order to ease our task of analysis and discussion, and to give more reliability to the results.

Table 1 Percentages of Correct and Wrong Answers in the Activity

	Literal meaning		**Non-literal meaning**	
	Correct answers	Wrong answers	Correct answers	Wrong answers
Put up	62.5%	37.5%	17.5%	82.5%
Look through	95%	5%	82.5%	17.5%
Run out	92.5%	7.5%	67.5%	32.5%
Get into	72.5%	27.5%	77.5%	22.5%
Total percentage	**80%**	**20%**	**60.6%**	**39.4%**

As can be seen in **table 1**, the total percentage of correct answers in the case of integrating phrasal verbs in their literal meaning was higher (**80%**) unlike the percentage of using them in their non-literal meaning, and which was lower (**60.6%**). Moreover, what has drawn our attention during the analysis process is the non-variety of using these sequences in partnership with students' ideas and themes. For instance, most of the students tended to link the phrasal verb "run out" with time (e.g., time runs out!), whereas they linked the phrasal verb "look through" with sheets of papers.

Moreover, the students became incompetent when it comes to dealing with a sequence that has not been introduced during lectures, as it is the case with the phrasal verb "put up". Regarding the latter, lower percentages of correct answers (**62.5%**, **17.5%**) were estimated in both types of meaning in comparison to the percentages of the other phrasal verbs that were higher (see to the table). This means that the majority of students failed in doing their task (i.e., providing meaningful written sentences).What is more, some students preferred leaving a blank space instead of being obliged to handle the semantic opaqueness of these phrasal verbs, regardless to its level.

4. Discussion

In this section, the researchers attempt to present the results that were collected from the pre-specified data collection methods. Then, these results

will be discussed with reference to the aim of this study.

Based on our purpose of undertaking this study, and which was examining whether non-literal meaning of FSs stands as a challenge for students when communicating their ideas in an oral or written way, in addition to the analysis in section four, a precise and concise discussion can be presented in the following lines. First, the teaching method adopted by the teacher within the area of formulaic sequences was fully explicit and direct. This means that the students were fortunate to receive direct instruction, and to be explicitly exposed to the pre-specified area in academic settings though it was over a short period. In fact, this kind of explicit instruction proved to be highly relevant for EFL learners in order to gain familiarity and ability to use them adequately in their both types of meaning (i.e., literal/non-literal). Furthermore, the teacher could succeed, to a certain degree, in driving students' attention to the importance of considering both syntax and semantics when learning and using formulaic sequences, as there is no logical connection between the form and the meaning of these multi-words combinations.

Not far from this vein, the designed instructional practices were characterised by their diversity, well order and a graduation in the difficulty scale, and, most importantly, by their direct relevance to the area of formulaic sequences. From a pedagogical perspective, this kind of activities such as acting-out dialogues, matching activities and fill-in the gaps is a good strategy to make learners more familiar with using formulaic sequences adequately in authentic communicative situations. In this way, students' level of expectancy towards tackling this area was probably met. When it comes to the teacher who developed the activities, he demonstrated a sense of awareness about the necessity of casting light on the semantic level of formulaic sequences without ignoring the syntactic one.

On the counter part, there is no absolute evidence of the teacher's concern about the difficulty that can be created by the type of meaning, particularly the non-literal one, of these chunks of language. More to the point, this difficulty may work as an obstacle for students when they intend to integrate formulaic sequences in their communicative products. Therefore, it is possible to note that the teacher foremost goal was apparently enabling his students to understand the content delivered more than promoting their long-term learning progress. As a justification, the devoted time for the pre-assigned area (formulaic sequences) is too limited, and this may have a negative impact on the teaching process. On the top of this, students' inability to extract holistically the meaning of some formulaic sequences obstructed them from being communicatively competent, specifically on the level of the speaking skill. Otherwise stated, dealing with a lower level of semantic transparency can lead to a higher level of difficulty for students when transmitting their ideas orally. With respect to the writing skill, students' literal usage of formulaic sequences in their written answers was characterised by disparity and correctness in contrast to the non-literal usage where students did not succeed to show neither disparity nor correctness, in most of the cases. Once again, it can be confirmed that the non-literal meaning/ low level of semantic transparency of formulaic sequences stands as an obstacle to an effective communication of ideas, both at the oral and written levels.

While earlier studies (e.g., Kweon, 2011) proved that there is a difficulty when processing formulaic sequences whose meaning is less salient, the present study confirmed, within the boundary of its methodological framework, that this difficulty did not stop at that end. In fact, it indeed exceeded the processing phase, and led to the inappropriate use/integration of formulaic sequences, in addition to creating a negative effect on EFL learners' communicative competence.

5. Conclusion and Recommendation

In recent times, communicative competence has reached its hey days since EFL learners and practitioners in the educational field are gaining more awareness about its importance in relation to understanding and producing communicative messages. Therefore, researchers have been looking

for solutions that may contribute in its development, one of which is formulaic sequences. The latter proved to play a crucial role in turning learners to proficient communicators of the target language.

As for the current study, it was concerned with problems that hinder the functionality of the suggested solutions in the literature. In precise terms, this study focused on pinpointing the non-literal meaning/ semantic opaqueness of formulaic sequences as a difficulty that can create certain effect on learners' communicative competence. That is to say, this difficulty was explored and its effect was evaluated in order to provide a reliable evidence rather than putting an assumption quite blindly.

To conduct this evaluative study, a qualitative research approach was adopted where two classroom observations and document analysis were employed to collect appropriate and relevant data to the research's purpose. With regard to the findings, it revealed that even after being explicitly instructed, learners are still obstructed by the non-literal meaning when trying to incorporate formulaic sequences in their communication, namely speaking and writing. Most importantly, this obstruction reaches their communicative competence where the latter is negatively affected.

The results of this study asserted the necessity of developing instructional practices and strategies that can be suitable for prolonging learners' ability to use formulaic sequences more effectively, and, eventually, affecting positively their communicative competence. Accordingly, researchers are urged to come up with solutions to the already presented difficulty, and which can be relevant in the Algerian educational context, each researcher from his own unique perspective.

Pedagogical Implications

Lastly, some pedagogical implications can be drawn based on the analysis of the obtained data and in accordance with the aims of this study. They are as follow:

For teachers

- Teachers should give more attention to teaching the area of formulaic sequences.
- Teachers are encouraged to introduce formulaic sequences to EFL learners in an early stage from their learning process. Moreover, this inclusion demands carefulness from the teachers' part in order to avoid being a source of learning difficulties.
- Teachers are urged to devote more time for their students to practise the use of formulaic sequences after being explicitly taught.

For students

- Students are recommended to extend their practice on formulaic sequences away from the classroom context.
- Students should integrate formulaic sequences in their communication, so that they can develop their formulaic competence, in particular, and communicative competence, in general.

For researchers

- Researchers should consider conducting more studies in the field of formulaic sequences, in addition to creating practical instructional strategies that can consolidate teachers' efforts to overcome the sort of difficulties discussed earlier in this study.

References

Assassi, Tarek. Benyelles, Radia. 2016, "Formulaic Language for Improving Communicative Competence", *Arab World English Journal*, *7*(2), 163–176. https://doi.org/https://doi.org/10.2139/ssrn.2814817

Chomsky, Noam. 1965, *Aspects of the theory of syntax*. Cambridge, Massachusetts: Massachusetts Institute of Technology.

Fernández, Beatriz González. Schmitt, Norbert. 2015, "How much collocation knowledge do L2 learners have ? The effects of frequency and amount of exposure". *International Journal of Applied Linguistics*, *166*(1), 94–126. https://doi.org/10.1075/itl.166.1.03fer

Hymes, Dell. 1972, On Communicative Competence. In *Sociolinguistics: Selected Readings*. Harmondsworth: Penguin.

Irujo, Suzanne. 1986, "Don't Put Your Leg in Your Mouth : in the Acquisition of Idioms Transfer in a Second Language". *TESOL QUARTERLY*, *20*(2), 287–304.

Kecskes, István . 2007, Formulaic Language in English Lingua Franca. In I. Kecskes & L. R. Horn (Eds.), *Explorations in Pragmatics: Linguistic, cognitive and intercultural aspects*. Berlin/New York: Mouton de Gruyter.

Kweon, In So. 2011, "Is Literal Meaning Processed Before Figurative Meaning in L2 Idiom Processing ?" 1, *8*(1), 63–85. Retrieved from http://www.asiatefl.org/main/download_pdf.php?i=146&c=1419303262

McCarthy, Michael. O'Dell, Felicity. 2002, *English Idioms In Use*. Cambridge: Cambridge University Press.

O'Dell, Felicity. Mccarthy, Michael. 2017, *English Collocations in Use Advanced* (2nd ed.). Cambridge: Cambridge University Press.

Rafieya, Vahid. 2018, "Knowledge of Formulaic Sequences as a Predictor of Language Proficiency". *International Journal of Applied Linguistics and English Literature*, *7*(2), 64–69. https://doi.org/10.7575/aiac.ijalel.v.7n.2p.64

Rao, Chandra Sekhar. 2018, "The Importance of Collocations in Teaching of Vocabulary". *Journal for Research Scholars and Professionals of English Language Teaching*, *2*(7).

Rudzka-Ostyn, Brygida. 2003, *Word Power: Phrasal Verbs and Compounds*. (A. A. Walt & C. van Der, Eds.). Berlin/New York: Mouton de Gruyter.

Schmitt, Norbert. 2010, *Researching Vocabulary: A Vocabulary Research Manual*. New York: Palgrave Macmillan.

Schmitt, Norbert., & Carter, Ronald. 2004, "Formulaic sequences in action: An introduction". In N. Schmitt (Ed.), *Formulaic Sequences: Acquisition, processing and use*. Amsterdam: John Benjamins.

Tarvin, Lynn David. 2015, "*Communicative Competence: Its Definition, Connection to Teaching, and Relationship with Interactional Competence"*. https://doi.org/10.13140/RG.2.1.3214.2807

Wisniewska, Marta. 2015, "Communicative Competence in Professional Discourse". *Linguistics and Literature Studies*, *3*(2), 50–57. https://doi.org/10.13189/lls.2015.030203

Wood, David. 2002, "Formulaic Language in Acquisition and Production : Implications for Teaching". *TESL Canada Journal*, *20*(1), 1–15. https://doi.org/https://doi.org/10.18806/tesl.v20i1.935

Wood, David. 2015, *Fundementals of Formulaic Language: An Introduction*. London: Bloomsbury Academic.

Wray, Alison. 1999, "Formulaic Language in Learners and Native Speakers". *Language Teaching*, *32*(4), 213–231.

Wray, Alison. 2013, "Formulaic language". *Language Teaching*, *46*(3), 316–334. https://doi.org/10.1017/S0261444813000013

Wray, Alison. Perkins, Mick. 2000, "The functions of formulaic language : an integrated model". *Language and Communication*, *20*(1), 1–28. https://doi.org/https://doi.org/10.1016/s0271-5309(99)00015-4

Zainal, Zaidah. 2007, Case study as a research method. *Kemanusiaan*, *9*, 1–6. Retrieved from http://psyking.net/htmlobj-3837/case_study_as_a_research_method.pdf

Appendices

Appendix 1

Classroom Observation Checklist

Department: Course:
Section: Level:
Observer: Date
Teacher: Time:
Observation Number: 1 2 3 4

All items marked **Not Observed** must be explained in Comments

Teacher's Instructional Delivery of Content	
Items	**Observed**
1-Teacher endeavours to perceive difficulties that obstruct his learners' comprehension by asking questions and listening to their verbal responses.	Yes ○ No ○
Comment:	
2- Teacher observes non-verbal behaviours to determine if comprehension is attained or to add further explanations.	Yes ○ No ○
Comment:	
3- Teacher simplifies complex and difficult materials by providing varied explanations in order to meet the needs of all his students.	Yes ○ No ○
Comment:	
4- Teacher delivers the content explicitly, and communicates his ideas clearly during the lecture.	Yes ○ No ○
Comment:	
5- Teacher directs his students' attention towards the importance of the meaning of different formulaic sequences.	Yes ○ No ○
Comment:	
6- Teacher includes follow-up activities in order to consolidate and monitor students' overall understanding of what has been taught.	Yes ○ No ○
Comment:	

Overall Comments:

.....
.....
.....

Observer's signature: Date:...../...../.....
Supervisor's signature: Date:...../...../.....

Appendix 2

Classroom Observation Checklist

Department: Course:
Section: Level:
Observer: Date
Teacher: Time:
Observation Number: 1 2 3

All items marked **Not Observed** must be explained in Comments

Section one: Teacher's Instructional Practices	
Items	**Observed**
1- Teacher develops a variety of questions and activities that imply a graduation in the difficulty scale as appropriate both for students and the area of formulaic sequences (FSs).	Yes ○ No ○
Comment:	
2- Teacher directs his students' attention towards the importance of extracting the implicit meaning of some formulaic sequences (such as idioms) based on contextual clues in the developed activities.	Yes ○ No ○
Comment:	
3- Teacher fosters students' participation during classroom activities in order to enable them to communicate effectively.	Yes ○ No ○
Comment:	

Section two: Content Knowledge and Relevance	
Items	**Observed**
1- Classroom activities are chosen based on their relevance to the content being taught in the assigned area (FSs).	Yes ○ No ○
Comment:	
2- The observed difficulties of learning the content (FSs), especially on the semantic level, impede learners from being communicatively competent whether in the speaking or writing skill	Yes ○ No ○
Comment:	
3- The explicit instruction of FSs is relevant and useful for the reinforcement of students' communicative competence, notably speaking and writing.	Yes ○ No ○

Comment: ....

Section three: Students' Involvement	
Items	**Observed**
1- Students tend to ask more questions that have a relation with the content/meaning of formulaic sequences more than their form.	Yes ○ No ○
Comment:	
2- Students are able to communicate and answer correctly different instructional activities regardless of their difficulty level.	Yes ○ No ○
Comment:	
3- Students tend to participate more frequently in classroom activities in relation to FSs that are semantically transparent.	Yes ○ No ○
Comment:	
4- Students meet teacher's objectives by integrating some formulaic sequences to communicate their ideas.	Yes ○ No ○
Comment:	

Observer's signature: Date:..... / ..... /.....
Supervisor's signature: Date:..... / ..... /.....

Appendix 3

University Mohammed Khider- Biskra-
Faculty of Letters and Languages
Department of Foreign Languages
Division of English

Class: Master I (G1 & G2)
Course: Language Mastery
Date: 18/12/2018

09,25/12

TEST 02

I. Idioms

1. Choose from the box a corresponding idiom to the following sentences. **(02)**

As dry as a bone, all's fair in love and war, as thick as two short planks, have second thoughts, I am all fingers and thumbs, as red as a lobster, put my foot in it, it's the thought that counts, better safe than sorry, as thick as thieves, I have all my fingers green

- I really get her embarrassed; I asked her if Jane was her mother, but she said Jane is her sister.
  - Idiom: Put my foot on it
- I reconsidered lending him the money as my wedding is to be next April.
  - Idiom: Have a second thought
- I can't believe I didn't know the answer – I looked really thick and dull.
  - Idiom: As thick as two short planks
- I can't do up these tiny buttons; I feel awkward and clumsy.
  - Idiom: I am all fingers and thumbs

07/8

09,25/12

2. Use the following idioms in a meaningful conversation. **(02)**

- It never rains but it pours

A: What a horrible day! I didn't wake up early. So I missed the bus. also I lost cell phone
B: Oh darling! It never rains but it pours 0,5

- It takes two to tango.

A: The tea party was perfectly organized, you should be so tired after
B: You know, it takes two to tango, Maria did the decoration and I made the cake I wasn't alone don't worry the guests had left 0,5

- First come, first served

A: Are you sure that you don't have any free seats for tonight's movie?
B: Unfortunately sir, you know that it is an exclusive movie you would better come earlier. First come, first served 0,5

- Spend a penny

A: Susan what's wrong with you, I feel like you are not at ease?
B: Yes you get it, I have to spend a penny 0,5

1

II. Phrasal verbs

- Use the following phrasal verbs in their literal and non literal meaning in sentences of your own. **(04 pts)**

1. Put up

Literal: ...I put that vase up so the decoration looks better now.

Non-literal: The guests enjoyed staying here we were very welcoming and we put them up with pleasure.

2. Look through

Literal: I could have an accident today the snow falls heavily so I couldn't see through the glass.

Non-literal: This homework is out of 12 so I should look through each paragraph in it.

3. Run out

Literal: He run out from the house after knowing that his father will punish him.

Non-literal: I went to work by bycicle today my car run out of fuel.

4. Get into

Literal: I had a fight with my brother because he got into my room without permission

Non-literal: I don't read newspapers because I don't want to get into political issues.

III. Collocations

Complete this passage by choosing the best collocation from the choices below. **(04 pts)**

Courses and qualifications

When she was a small child, Amelia's teachers identified her as having unusual intelligence and remarkable mental agility , and they put her on a special programme for (1) b children. Amelia (2) b a scholarship to (3) b a local grammar school. By the age of eighteen, she was a straight A student , and she (4) c a place at one of the country's most prestigious (5) c of learning to read English Literature.

In the first academic year of the English Literature programme, the core subjects were *The development of the novel* and *Contemporary poetry*. Amelia had a large number of set texts to read. It was hard work but she loved it. Her professors were all (6) c scholars and her courses were taught by some of the world's leading authorities in the field. She completed her studies with considerable success and graduated from university last year. In the meantime, her parents have decided that it is time they made up for their lack of (7) b education and they have signed up for a number of evening courses . Eventually they hope to meet the entry requirements for university entrance and to be able to complete a degree as (8) b students .

1. (a). gifted (b). endowed (c). capable
2. (a). had (b). won (c). gained
3. (a). attend (b). join (c). enroll
4. (a) secured (b). ensured (c). guaranteed
5. (a). sittings (b). settings (c). seats
6. (a). remarkable (b). distinguished (c). great
7. (a). official (b). formal (c). certified
8. (a). mature (b). grown up (c). prime

2

Est-il temps pour une Cour internationale des conflits : Un œil sur les différends liés au Droit de la Mer ?

Is It Time for an International Court of Conflicts: An Eye on Law of the Sea Disputes?

Date de réception : 2018-01-11 Date d'acceptation : 2021-01-06

Katya Guermache, université Mohammed Lamine Debaghine, Sétif 2, guermachekatia@yahoo.fr

Résumé

Le système judiciaire international a connu depuis une vingtaine d'années une multiplication des juridictions internationales, spécialement en Droit de la mer, sujet de notre étude. Le Droit de la mer a vu naitre un Tribunal international du Droit de la mer et des Tribunaux d'arbitrage (général et spécial), sans pour autant éliminer les juridictions internationales traditionnelles telles que la Cour internationale de justice et la Cour permanente d'arbitrage. La multiplication des juridictions internationales en Droit de la mer est due à diverses raisons, en l'occurrence la volonté des États, la nature des différends liés au Droit de la mer et la diversité de ses sources, spécialement les sources conventionnelles. Cette multiplication offre, d'un côté, un choix immense de moyens de résolution des différends et pose, d'un autre côté un problème de conflit de compétence et de jugements contradictoires, problème auquel le Droit international en général et le Droit de la mer, plus spécialement, doivent faire face et d'où se pose la question de la nécessité d'une Cour internationale des conflits.

Mots clés : Juridictions internationales, Droit de la mer ; Conflit de compétence, Jugements contradictoires.

Abstract

The international legal system has known, for about twenty years, a multiplication of the international jurisdictions, especially in the Law of the sea that is the subject of our study. The Law of the sea witnessed a birth of an International tribunal for that end, in addition to Arbitral Tribunals (general and special arbitration), without eliminating the traditional international jurisdictions such as the International Court of Justice and the Permanent Court of Arbitration. The multiplication of the international jurisdictions in the Law of the sea is due to varied reasons, such as the will of the countries, the nature of disputes related to the Law of the sea and the diversity of its sources, especially the conventional sources. This multiplication offers not only an immense choice of means of resolution, but, also, poses a problem of conflict of competence and contradictory judgments, a problem that International Law, in general, and the Law of the sea, in particular, must face. The question of the need for an International Court of the Conflicts arises then.

Keyswords: International jurisdictions, Law of the sea; Conflict of competence, Contradictory judgments.

الملخص

عرف التنظيم القضائي الدولي منذ حوالي عشرين سنة تعددا في المحاكم الدولية خاصة في: مجال قانون البحار ؛ موضوع دراستنا ، إذ شهد القانون الدولي للبحار ؛ ميلاد المحكمة الدولية لقانون البحار ، ومحاكم التحكيم (العام و/الخاص) ، إلى جانب المحاكم التقليدية كمحكمة العدل الدولية ، والمحكمة الدائمة للتحكيم. إن تعدد المحاكم الدولية في مجال قانون البحار ناتج عن أسباب عدة منها: رغبة الدول في إنشاء محاكم جديدة ، طبيعة منازعات قانون البحار وتعدد مصادره-خاصة-الاتفاقية منها ، وإن هذا التعدد -وإن كان من جهة-يمنح خيارا واسعا لوسائل التسوية إلا أنه -من جانب ثان-يطرح مسألة تنازع الاختصاص ، وتناقض الأحكام بين هذه المحاكم ، وهي ظاهرة يتعين على القانون الدولي عموما ، والقانون الدولي للبحار-خصوصا-مواجهتها ، ومن ثم تطرح مسألة مدى الحاجة لمحكمة تنازع دولية.

الكلمات المفاتيح: المحاكم الدولية ؛ قانون البحار ؛ تنازع الاختصاص ؛ تناقض الأحكام.

Introduction

Depuis 1994, date de l'entrée en vigueur de la convention des Nations Unies sur le Droit de la mer de 1982, de nouvelles juridictions ayant compétence en matière de résolution des différends liés au Droit de la mer ont été instaurées, on a vu naitre le Tribunal international du Droit de la mer et les Tribunaux internationaux d'arbitrage général et spécial, à côté des anciennes juridictions, tel que la Cour internationale de justice et la Cour permanente d'arbitrage.

Ces nouvelles juridictions ont compétence en matière de résolution des différends liés à l'interprétation et à l'application de la convention des Nations Unies sur le Droit de la mer (CNUDM), ainsi que tout différend lié à l'interprétation ou l'application de tout accord international se rapportant aux buts de la convention soumis conformément à cet accord (article 288 de la CNUDM). Mais vu que la convention des Nations Unies sur le Droit de la mer n'est pas l'unique source du Droit international de la mer, autres forums de règlement peuvent être choisis en dehors du système instauré par la convention, un droit affirmé expressément aux articles 279,280 de la convention elle-même.

Ce vague choix de forums de règlement des différends offre, d'un côté, un choix immense de moyens de résolution des conflits internationaux favorisant ainsi le règlement pacifique des différends, mais ce multiple choix, d'un autre côté, a favorisé, depuis 1999, l'apparition du phénomène de conflit de compétence entre juridictions internationales et le risque de jugements contradictoires. Problèmes soulevés et illustrés dans quatre affaires, sujets de controverse juridictionnelle et doctrinale, dont le résultat était le règlement de différends juridiques en dehors des institutions instaurées pour dire le Droit.

L'apparition d'autres affaires soulevant même problèmes est imminente, d'où la nécessité de chercher une solution efficace et définitive. Afin d'atteindre ce but la problématique de notre étude est conçue comme suit : vu les effets de la multiplication des juridictions internationales sur le Droit de la mer, serait-il plus adéquat de créer une Cour internationale des conflits ?

Pour répondre à cette problématique, nous allons procéder à exposer deux causes principales de la multiplication des juridictions internationales : la volonté des Etats et la nature des différends liés au Droit de la mer. Puis étudier les deux effets néfastes de cette multiplication : le conflit de compétence et le risque de jugements contradictoires, à la lumière des affaires en cause, pour exposer à la fin de notre étude, pourquoi opter pour une Cour internationale des conflits. De ce fait notre plan d'étude est le suivant :

1/Causes de la multiplication des juridictions internationales :

1.1/La volonté des Etats.

1.2/La nature des différends liés au Droit de la mer.

2/Impacts négatifs de la multiplication :

2.1/Le conflit de compétence.

2.2/Le risque de jugements contradictoires.

3/La nécessité d'une Cour internationales des conflits :

3.1/Nécessité due à une controverse juridictionnelle.

3.2/Nécessité due à une controverse doctrinale.

1/Causes de la multiplication des juridictions internationales :

L'apparition de nouvelles juridictions internationales en Droit de la mer est due à deux causes principales ; La volonté des Etats et la nature des différends liés au Droit de la mer :

1.1/La volonté des Etats

L'idée de la création de nouvelles juridictions en Droit de la mer est apparue lors de la quatrième session de la Conférence des Nations Unies sur le Droit de la mer, à un moment où plusieurs Etats venaient d'avoir leurs indépendances refusant de se soumettre à un Droit auquel ils n'avaient pas participé et à des juridictions où ils étaient mal représentés.

Les points de vue se divisèrent en trois tendances au sujet de la création du nouveau Tribunal du Droit de la mer :

A) -Le premier groupe refusa la création d'un nouveau tribunal, et voyait que la création d'une chambre spéciale au sein de la Cour internationale de justice était suffisante, cette solution éviterait le risque de jugements contradictoires.

B)-Le deuxième groupe était en faveur de la création d'un Tribunal spécialisé en Droit de la mer, en préservant la Cour internationale de justice comme forum, vu que cette dernière n'est accessible que par les Etats, tandis que la nouvelle convention du Droit de la mer permet aux particuliers et aux entreprises de se livrer à des activités dans la zone, des différends pourraient survenir entre ces particuliers et l'autorité, d'où la nécessité d'un nouveau tribunal permettant à ces entités de faire valoir leurs droits.

Les pays en voie de développement avancèrent, pour argumenter leurs points de vue favorisant la création de ce nouveau tribunal, que le mode de désignation des juges au sein de la Cour internationale de justice ne garantit pas leurs intérêts, d'où la nécessité d'un nouveau tribunal qui prendrait en considération ce point.

Ce groupe ajouta que la Cour internationale de justice est dépourvue d'une compétence obligatoire au sens propre du mot, d'où la nécessité d'un nouveau tribunal ayant compétence obligatoire dans des domaines spécifiques.

C)-Le troisième groupe était en faveur de la création de deux nouveaux tribunaux en Droit de la mer, l'un ayant compétence en matières énoncées à la première partie du projet de la nouvelle convention sur le Droit de la mer, et le deuxième spécialisé en différends liés au fonds marins[1].

Quant à l'arbitrage spécial, nommé lors de la quatrième session « procédures ad hoc », les délégations des pays arabes et pays en voie de développement le refusèrent, tandis que quelques délégations des pays développés qui acceptèrent l'idée d'un arbitrage spécial se posèrent la question de savoir si les autres juridictions auraient compétence à résoudre les différends réservés à l'arbitrage spécial, et si le tribunal d'arbitrage spécial aurait une compétence exclusive en matière des différends liés à l'application de la convention sans autant pouvoir régler les différends liés à son interprétation.

A la neuvième session de la conférence, et par consensus, il a été admis de créer le Tribunal international du Droit de la mer et l'arbitrage spécial comme moyens de règlement des différends liés à l'interprétation et l'application de la convention[2].

1.2/La nature des différends liés au Droit de la mer

Un bref coup d'œil sur la convention des Nations Unies sur le Droit de la mer, nous permet de constater l'immense étendu de son champ d'application ; Elle concerne les différends liés à la délimitation des frontières maritimes, la pêche, la préservation des ressources maritimes, la protection de l'environnement marin, le transfert de technologie, l'exploitation et l'exploration de la zone, la recherche scientifique marine, ect. Ces différends sont aussi sujet d'autres champs du Droit international tel que le Droit international de l'environnement et le Droit international du développement, et à chaque filière de Droit ses sources -spécialement ses sources conventionnelles- qui exigent des modes de règlement des différends spécifiques.

Pour illustrer ceci prenant l'exemple d'un différend entre deux Etats parties à la fois à la convention des Nations Unies sur le Droit de la mer et la convention sur la diversité biologique, portant sur la recherche scientifique marine : Le fait de mener un projet de recherche scientifique marine en abusant des ressources génétiques constitue à la fois une violation des articles 240/d, 263/3 de la convention des Nations Unies sur le Droit de la mer, et les articles 03 et 06 de la convention sur la diversité biologique. Les parties en litige, et en l'absence de tout accord sur le moyen de règlement de ce conflit, sont supposés avoir accepté l'arbitrage conformément à l'annexe 07 de la convention des Nations Unies sur le Droit de la mer (CNUDM) - en

application de l'article 287/3- comme ils sont supposés avoir accepté la conciliation en application de l'article 27/4 de la convention sur la diversité biologique, d'où nous constatons qu'un même litige peut résulter de plusieurs sources et être objet de plusieurs juridictions.

2/Impacts négatifs de la multiplication des juridictions internationales

Si la multiplication des juridictions internationales à des effets positifs en offrant un choix immense de moyens de règlement des différends tout en permettant à d'autres entités que les Etats de pouvoir régler leurs différends devant des juridictions permanentes, cette multiplication a des impacts négatifs, pouvant menacer le Droit international de la mer et l'unité du Droit international en général, ces impacts ont été soulevés dans quatre affaires, deux d'entre elles reflètent le conflit de compétence, tandis que les deux autres illustrent un risque de contradiction de jugements :

2.1/Le conflit de compétence

Dans le Droit interne, spécialement le Droit Français, une distinction est faite entre « conflit de juridiction» et « conflit de compétence », les conflits de compétence correspondent à une conception différente du partage des compétences résultant du principe de séparation des autorités judiciaire et administrative. Il se rattache à l'existence de deux ordres de juridiction statuant chacun de manière souveraine et pouvant dès lors s'opposer sur des points de leur compétence. En ce sens, il ne faut pas confondre les conflits de compétence(ou d'attribution) avec les conflits de juridiction ; Les conflits d'attribution sont réglés par un juge spécial et suivant des hypothèses déterminées, tandis que les conflits de juridiction naissent de la répartition de compétences d'un seul et même ordre de juridiction, et non de l'existence de deux ordres de juridiction(conflit de compétence). Les conflits de juridiction ne posent pas de problème très compliqué, ils étaient réglés suivant une procédure spéciale, appelée Règlement de juges, par le tribunal immédiatement supérieur et commun aux deux tribunaux en conflit, ils sont réglés aussi au moyen de l'exception d'incompétence, de litispendance ou de connexité.[3]

Sur le plan du Droit international, cette différentiation n'est pas autant discutée, vu que l'ordre juridictionnel international est organisé d'une façon horizontale (non hiérarchique), avec une tendance à employés des termes plus vagues tels que « concurrence de juridictions » (competing jurisdictions or jurisdictional competition), termes employés par exemple par les professeurs (Igor V. Karaman) et (Yuval Shany) pour désigner toute concurrence entre juridictions pouvant mener à un conflit de compétence ou à des jugements contradictoires[4].

Dans cette étude, nous nous abstenant à utiliser le terme « conflit de compétence » pour désigner l'état ou deux ou plusieurs juridictions ont compétence à régler le même différend. Cas illustré en Droit de la mer, après cinq ans de l'entrée en vigueur de la (CNUDM), à l'occasion de l'affaire du thon à nageoire bleue et une année après dans l'affaire de l'usine Mox.

2.1.1/Affaire du thon à nageoire bleue

L'Australie, la Nouvelle-Zélande et le Japon, sont trois Etats parties à la (CNUDM), intéressés à la pêche du thon à nageoire bleue(TNB). Dans le but de la conservation et la gestion de cette espèce, une convention a été conclu en 1993 dont les trois Etats font partie : La convention pour la conservation du thon à nageoire bleue (CCSBT), en application de cette convention, une commission a été établie en 1994 afin de déterminer le total admissible des captures (TAC), et il a été admis que toutes les décisions de la commission doivent être prises à l'unanimité des parties (article 7 de la convention).

Lors de la première session de la Commission en 1994, le Japon avait proposé la modification du TAC ouvert à la pêche commerciale, et en 1996 il avait par ailleurs proposé l'établissement d'un programme de pêche expérimentale conjoint pour s'assurer des effets des mesures de contrôle de la pêche opérées par les

parties depuis 1985. Les trois États ne se mirent pas d'accord sur les captures et les modalités concrètes de sa mise en œuvre. En raison de ces différences, la Commission ne parvint pas à arrêter les décisions pour déterminer le TAC des captures et les quotas nationaux, ainsi que les décisions de mise en œuvre de la pêche expérimentale pour les années 1996 à 1998. Les parties ont dès lors simplement maintenu le TAC et les quotas nationaux décidés en 1995. En réponse à ce mauvais fonctionnement de la Commission, le gouvernement japonais a unilatéralement décidé une mise en œuvre de la pêche expérimentale pour une période pilote courant du 10 juillet au 31 août 1998, puis pour une nouvelle période de trois ans à compter de 1999, en prévoyant une hausse des captures annuelles.

L'Australie et la Nouvelle-Zélande s'y opposèrent et proposèrent la tenue de consultations ainsi que les négociations prévues à l'article 16/1 de la convention de 1993, mais sans issu. Le Japon proposa la résolution du différend par médiation, puis par arbitrage en application de la convention de 1993(CCSBT), l'Australie et la Nouvelle-Zélande répliquèrent que le japon a violé les obligations découlant de la convention des Nations Unies sur le Droit de la mer et la convention de 1993, de ce fait les deux Etats décidèrent que l'obligation d'échange de vue prévue à l'article 283 de la (CNUDM) a été épuisé et que les deux Etats aller entamé une procédure d'arbitrage en application de la partie 15 de la convention.[5]

Il apparait dans cette affaire, que le litige en question est régit par deux conventions, instaurant un système de règlement des différends totalement différent, il ya une opposition entre les disposition de l'article 16 de la convention (CCSBT) et l'article 287 de la convention (CNUDM) ; L'article 16 renvoie à la compétence de la Cour internationale de justice ou à un Tribunal d'arbitrage à condition que le renvoi soit par décision unanime des parties au différend, tandis que l'article 287 renvoie à un Tribunal d'arbitrage constitué conformément à l'annexe 07 de la (CNUDM), d'où il apparait qu'un même litige, entre les même parties, ayant même cause et même objet peut être l'objet de systèmes de règlement des différends totalement différents (conflit de compétence).

2.1.2/Affaire de l'Usine Mox :

Cette affaire opposa l'Irlande et le Royaume-Uni au sujet du complexe de Sellafield (source de tensions entre les deux pays depuis plusieurs années), le complexe est situé au Nord-Ouest de l'Angleterre sur les rivages de la mer d'Irlande et à 135 kilomètres des côtes irlandaises. En 1990 les installations destinées au retraitement des combustibles nucléaires usés ont été complétées par la construction d'une usine de production de combustible pour réacteurs nucléaires associant de l'oxyde de plutonium et de l'oxyde d'uranium, mélange appelé MOX, d'où le surnom de cette affaire.

Le 3 octobre 2001, le Royaume-Uni annonça la mise en service imminente de l'usine MOX, fixée au 20 décembre 2001, cette annonce fut immédiatement accueillie par des protestations de l'Irlande contre ce qu'elle considère comme une violation des obligations qui s'imposent au Royaume-Uni en vertu de la convention des Nations Unies sur le Droit de la mer de 1982. L'Irlande estima que le fonctionnement de l'usine conduirait à une augmentation de la pollution radiologique de l'environnement marin et à des conséquences dramatiques, tel que les risques de pollution liés à l'augmentation induite par le développement des activités de l'usine et des transports maritimes de matières nucléaires à destination ou au départ du complexe de Sellafield.

Le 25/10/2001, le gouvernement Irlandais saisit un Tribunal arbitral en application de l'article 287-5 qui prévoit que le différend sera soumis à un Tribunal arbitral constitué en vertu de l'annexe VII lorsque Les choix des deux Etats ne coïncidant pas. Une autre instance a été introduite, auparavant le 15/06/2001, devant un autre Tribunal arbitral en application de la convention pour la protection du milieu marin de l'Atlantique du Nord-Est (dite Convention OSPAR), le litige portait sur

l'application de l'article 9 de la Convention OSPAR concernant l'accès à l'information.[6]

Le Royaume-Uni souleva devant le Tribunal arbitral constitué en application de la (CNUDM) l'incompétence du tribunal vu que la plupart des préjudices de l'Irlande soulevaient du Droit Européen, et que la convention des Nations Unies sur le Droit de la mer est un Droit mixte, dont la Cour de justice des Communautés Européennes a une compétence exclusive[7].

A la différence de la précédente affaire, cette affaire illustre le cas de conflit de compétence entre une juridiction universelle et une juridiction régionale (CJCE).

2.2/Le risque de jugements contradictoires

Ce risque a été soulevé dans deux affaires, impliquant une organisation internationale (Communautés Européennes, actuel Union Européenne) et entre deux juridictions, dont l'une est soumise au Droit international public :

2.2.1/Affaire concernant la conservation et l'exploitation durable des stocks d'Espadon dans l'océan Pacifique Sud-Est

Le 19 avril 2000, les Communautés Européennes ont demandé, au niveau de l'organisation internationale du commerce l'ouverture de consultations avec le Chili concernant son interdiction de débarquer des Espadons dans les ports Chiliens, mesure instaurée en vertu de l'article 165 de la Loi générale du Chili sur la pêche et l'aquaculture (Ley General de Pesca y Acuicultura).

Les Communautés Européennes (CE) affirmaient que leurs navires de pêche naviguant dans le Pacifique Sud-Est n'étaient pas autorisés, d'après la loi Chilienne, à débarquer des Espadons dans les ports Chiliens, que ce soit pour l'entreposage à terre ou pour le transbordement sur d'autres navires. Les CE estimaient que le Chili empêchait ainsi le transport en transit des Espadons dans ses ports. Elles alléguaient que les mesures susmentionnées étaient incompatibles avec le GATT de 1994, et en particulier les articles V et XI de cet accord[8].

Le 20 décembre 2000, à la demande du Chili et de la Communauté Européenne, le Tribunal international du Droit de la mer a constitué une chambre spéciale pour connaître du différend concernant la conservation et l'exploitation durable des stocks d'Espadon dans l'océan Pacifique Sud-Est (ordonnance du 20 décembre 2000).

La chambre spéciale était appelée à statuer, entre autres, sur le point de savoir si la Communauté Européenne s'est conformée aux obligations qui lui incombent au regard de la Convention des Nations Unies sur le Droit de la mer d'assurer la conservation de l'Espadon dans les activités de pêche entreprises dans la haute mer adjacente à la zone économique exclusive du Chili, par les navires battant pavillon de l'un quelconque des Etats membres de la Communauté, sur le point de savoir si le décret du Chili -censé appliquer en haute mer des mesures de conservation de l'Espadon- constitue une violation de la Convention des Nations Unies sur le Droit de la mer; et sur le point de savoir si l'«Accord de Galapagos», conclu au courant de l'an 2000, avait été négocié conformément aux dispositions de la Convention des Nations Unies sur le Droit de la mer[9].

Il est clair dans cette affaire que le problème posé ne concerne pas un conflit de compétence entre juridictions, vu que l'objet du différend soulevé devant les deux systèmes de règlement des différends n'est pas similaire, mais il ya un risque de jugements contradictoires, vu que les dispositions de la GATT favorise la liberté de transport et transit, tandis que les dispositions de la CNUDM favorisent la préservation des ressources marines.

2.2.2/ L'affaire Atlanto-Scandian Herring

Les îles Féroé sont un territoire autonome du Royaume du Danemark, elles ne relèvent pas du champ territorial de l'Union Européenne.

Le stock de hareng atlanto-scandinave est réparti entre les zones exclusives respectives de cinq États côtiers, à savoir les îles Féroé, l'Islande, la Norvège, la Fédération de Russie et dans une certaine mesure l'Union européenne. Afin d'une

gestion appropriée de ce stock, chaque année, les îles Féroé et les quatre autres États côtiers mènent des négociations en vue de convenir d'une clé de répartition du total admissible de capture ("TAC") recommandée sur avis du Conseil international pour l'exploration de la mer ("CIEM"), et définie sur la base d'un taux de mortalité par pêche établi selon un plan de gestion à long terme convenu entre les cinq États côtiers.

Les cinq États côtiers n'ont pas pu convenir d'une clé de répartition pour le TAC correspondant au hareng atlanto-scandinave pour 2013, de ce fait, le 26 mars 2013 les îles Féroé ont fixé à 105 230 tonnes la limite de capture pour ce stock sur la base des preuves scientifiques disponibles. En réponse à cette décision, l'Union européenne (UE) a adopté des mesures économiques coercitives à l'encontre des îles Féroé ; Elle a interdit l'introduction sur son territoire de certains produits du hareng atlanto-scandinave et du maquereau de l'Atlantique Nord-Est (Scomber scombrus) capturés sous le contrôle des îles Féroé; et elle a banni des ports de l'UE les navires battant pavillon des îles Féroé pêchant le hareng atlanto-scandinave ou le maquereau, et les navires transportant les poissons ou les produits de la pêche issus de hareng atlanto-scandinave ou de maquereau capturés soit par les navires battant pavillon des îles Féroé, soit par d'autres navires autorisés par ce pays battant pavillon d'un pays tiers.

Vu cette situation, le Royaume du Danemark au nom des îles Féroé a adressé le 16 août 2013 à l'Union européenne une Notification d'arbitrage et un mémoire en demande, invoquant les Articles 287 et 288(1) de la Convention des Nations Unies sur le Droit de la mer, en notant que le différend porte sur l'interprétation et l'application de l'Article 63(1) de la Convention concernant le stock partagé de hareng atlanto-scandien[10].

En date du 4 novembre 2013, le Royaume du Danemark pour le compte des îles Féroé a demandé aussi l'ouverture de consultations avec l'Union européenne au sujet du recours par l'Union Européenne à des mesures économiques coercitives visant le hareng atlanto scandinave (Clupea Harengus), conformément à l'article 4 du Mémorandum d'accord sur les règles et procédures régissant le règlement des différends ("Mémorandum d'accord") et à l'article XXIII:1 de l'Accord général sur les tarifs douaniers et le commerce de 1994 ("GATT de 1994"). La demande des îles Féroé a été distribuée le 7 novembre 2013 dans le document portant la cote WT/DS469/1, G/L/1058. Des consultations ont eu lieu le 12 décembre 2013 en vue de parvenir à une solution mutuellement satisfaisante, mais malheureusement elles n'ont pas permis de régler le différend. De ce fait le Royaume du Danemark pour le compte des îles Féroé a demandé que l'Organe de règlement des différends (ORD) établisse un groupe spécial pour examiner cette question (conformément à l'article 6 du Mémorandum d'accord et à l'article XXIII du GATT de 1994). L'ORD, à sa réunion du 22 janvier 2014, a reporté l'établissement d'un groupe spécial[11].

Cette affaire est semblable à la précédente, elle concerne un litige réunissant les même parties, mais dont l'objet est différent, le différend soulevé devant le Tribunal arbitral concerne l'interprétation et l'application de la CNUDM, tandis que celui soulevé devant l'ORD de l'OMC, concerne l'application et l'interprétation de l'Accord général sur les tarifs douaniers et le commerce de 1994, d'où un risque de jugements contradictoires était prévisible.

3/La nécessité d'une Cour Internationale des conflits

3.1/Nécessité due à une controverse juridictionnelle

Dans les quatre affaires précédentes, une concurrence de compétence entre juridictions menant à un conflit de compétence ou à un risque de jugements contradictoires s'est manifestée, avec une position non unanime des juridictions internationales, posant par fois une interprétation conflictuelle des dispositions de la CNUDM et un sursis à statuer (selon la volonté des parties) pendant presque 10 ans, ce qui menace spécialement la crédibilité et l'efficacité du système obligatoire de

règlement des différends instauré par la CNUDM, ainsi que le Droit international lui-même.

Dans l'affaire du thon à nageoire bleue, le Tribunal arbitral s'est déclaré incompétent, en concluant que l'article 16 de la CCSBT fait partie des moyens de résolution des différends stipulés à l'article 281 ; et de ce fait les dispositions de la partie 15 ne peuvent être appliqué[12].

Cette position fut critiquée pour mauvaise interprétation et application de la CNUDM et des règles d'interprétations conçues dans la convention de Vienne de 1969 sur le Droit des traités, pour les raisons suivantes :

A- Le tribunal arbitral a affirmé que le différend concerne à la fois l'interprétation et l'application des deux conventions (CNUDM et CCSBT), que l'article 16 de la convention CCBT prévoyait des moyens de règlement obligatoires, et qu'en application de l'article 281 de la CNUDM il doit se déclarer incompétent à statuer dans cette affaire. Cette logique de raisonnement du tribunal a été jugée comme mauvaise interprétation de la CNUDM, car l'article qui régit les moyens de résolution obligatoires hors CNUDM est l'article 282 et non pas l'article 281, et qu'en plus, cette interprétation s'oppose à l'interprétation adoptée par le Tribunal international du Droit de la mer dans la même affaire en tant que juge des mesures conservatoires[13].

B- Cette mauvaise interprétation mène à une mauvaise application de la CNUDM ; Car l'article 16 de la CCSBT conditionne le recours aux moyens obligatoires (arbitrage et CIJ) à un accord commun de toutes les parties au litige (unanimité des parties), clause non consommée dans cette affaire, d'où l'article 282 ne peut être un obstacle pour évoquer la section 2 de la partie 15 de la CNUDM[14].

C- Le Tribunal arbitral a été aussi critiqué vu qu'il a interprété la CNUDM à la lumière de la CCSBT, en déclarant que suivant l'article 16 de la CCSBT et le comportement ultérieur des États, il s'avère que les trois Etats n'ont tendance à accepter les moyens de règlements obligatoires qu'a l'unanimité, une interprétation contraire aux règles énoncées aux articles 30 et 31 de la convention de Vienne de 1969 sur le Droit des traités.

Malgré ces critiques, la sentence arbitrale rendue dans cette affaire, permet de conclure, que lorsqu'un conflit de compétence surgit entre juridictions internationales issues d'un même système (convention cadre-convention type), la solution est l'application des articles 281 ou 282, selon la situation, et à condition que le moyen de règlement du différend énoncé dans la convention type soit bien précisé.

Quant à la position du Tribunal arbitral dans l'affaire de l'Usine Mox, ce dernier a choisi par ordonnance datée du 24/06/2003, de suspendre les procédures en attendant la décision de la Cour de justice des Communautés Européennes[15], cette dernière a rendu un arrêt le 30/05/2006 déclarant la responsabilité de l'Irlande pour violation du Droit communautaire[16]. De ce fait l'Irlande a retiré sa requête et le Tribunal en date du 06/06/2008 a rendu une ordonnance en décidant de consigner le retrait par l'Irlande de la demande formulée par lui contre le Royaume-Uni dans l'affaire de l'usine MOX, et que ces procédures sont terminées[17].

L'approche du Tribunal a été félicité, mais avec un peu de remord vis-à-vis de l'attitude adoptée par la Cour de justice des Communautés Européennes, car selon le professeur (Nico Schrijver) le différend ne relève pas en sa totalité que de la compétence de la Cour, et celle–ci selon le professeur (N. Lavranos) pouvait par mesure de complaisance céder la compétence au Tribunal arbitral dans les points ou elle n'avait pas compétence exclusive[18].

Dans cette affaire, si le Tribunal arbitral est parvenu par application de la (*Lis pendens)* à éviter un conflit de compétence, et que cette méthode pourrait être acceptable en Droit international comme solution au risques de conflit de compétence et jugements contradictoires - à condition du respect des juridictions en conflit de leurs champ de compétence- il est à noter que ce différend a été réglé loin du siège des cours et tribunaux, d'où la nécessité d'une solution plus fiable et effective.

En ce qui concerne l'affaire de la conservation et l'exploitation durable des stocks d'Espadon dans l'océan Pacifique Sud-Est, et l'affaire de l'Atlanto-Scandian Herring**,** le Tribunal international du Droit de la mer et le Tribunal arbitral, ont prorogé les délais pour une période de 09 ans dans la première affaire et pour 01 an dans la deuxième, et n'ont pu exprimer leurs positions comme l'a très bien illustré l'ancien président du Tribunal international du Droit de la mer, le juge (L.Dolliver M.Nelsen) en déclarant: «L'Affaire des stocks d'Espadon a soulevé un point intéressant dans la mesure où, lorsque le Tribunal a été saisi de l'affaire, un différend portant sur des faits analogues avait déjà été soumis à l'Organe de règlement des différends de l'OMC par la Communauté européenne, ce qui donnait à penser que deux procédures de règlement des différends risquaient d'être menées parallèlement. S'agissant de l'Affaire des stocks d'Espadon, un commentateur avait posé la question suivante : le Droit international repose-t-il sur une doctrine de lis pendens ou de forum non conveniens? Le phénomène de la multiplication des instances internationales a mis l'accent sur cette question. Du fait qu'il n'a pas été donné suite à cette procédure aussi bien devant la chambre spéciale du Tribunal que devant l'Organe de règlement des différends de l'OMC, le Tribunal n'a pas été en mesure de se prononcer sur cette question »[19].

Il s'avère donc, suite aux positions des tribunaux susmentionnées l'absence d'une solution juridictionnelle définitive au risque de conflit de compétence et de jugements contradictoires, ce qui nous mène à étudier la question via la position doctrinale.

3.2/Nécessité due à une controverse doctrinale

Du côté de la doctrine, des propositions de solutions ont été émises, tels que la proposition du juge (Gilbert Guillaume) de faire de la Cour internationale de justice une cour suprême, Cour d'appel et de cassation des jugements émis par d'autres Cours et Tribunaux, en précisant que cela nécessiterait une grande volonté politique des Etats. Dans le même contexte, le juge (Stephen M. Schwebel) proposa d'attribuer aux Cours et Tribunaux la faculté de demander des avis consultatifs de la Cour internationale de justice, par l'intermédiaire du Conseil de Sécurité ou l'Assemblée Générale des Nations Unies.

Ces deux propositions furent critiquées, vu que le Statut actuel de la Cour n'ouvre ses portes qu'aux Etats, et que la mise en marche de ces propositions exige la modification de son Statut, chose pas évidente à l'état actuel du Droit international[20].

Quant au professeur (Igor V. Karaman), il a essayé de schématiser le phénomène de la concurrence en trois catégories :

A-Concurrence au sein d'un même système : C'est le cas des conflits et concurrences entre les conventions cadres et les accords concernant leurs applications et interprétations, ce cas peut être résolu au sein du Droit de la mer, en appliquant les articles 281 et 282 de la Convention des Nations Unies sur le Droit de la mer.

B-Concurrence entre des systèmes différents : C'est le cas où le différend est sujet de deux ou plusieurs systèmes de règlement des différends, dont chaque système a la compétence de résoudre une partie de ce différend, tel que l'affaire de la conservation et l'exploitation durable des stocks d'Espadon dans l'océan Pacifique Sud-Est. Dans ce cas chaque juridiction devrait respecter son champ de compétence, mais cela n'exclurait pas le risque de jugements contradictoires, qui ne peut être résolu, ni par les articles 281, 282, ni par l'application de la (*Lis pendens).*

C-Concurrence entre système Hybride : C'est l'état où un différend est sujet de plusieurs juridictions, dont quelques-unes ont compétence pour résoudre la même partie du différend, alors que les autres parties sont fragmentées sur d'autres juridictions dont chacune a compétence à connaitre un fragment de ces parties restantes, tel était le cas dans l'affaire de l'Usine Mox. Le professeur (Igor .V. Karaman) salua la position du Tribunal arbitral, comme étant une solution (sage et proactive), et

déclara que dans ces cas les parties au différend devraient consulter auparavant la juridiction ayant compétence pour préciser son champ de compétence exclusive[21].

Quant au professeur (Yuval Shany), il considère qu'en l'absence de coordination et d'harmonisation entre les Cours et Tribunaux internationaux, on ne peut parler d'un réel système judiciaire, d'un ordre institutionnel organisé et structuré, d'où la crainte de décisions inconsistantes et l'incitation des Etats à engager - de façon abusive- de multiples procédures sans aboutir à un jugement final. De ce fait il propose une réforme structurelle radicale vers la redéfinition de la compétence juridictionnelle des Cours et Tribunaux internationaux, à la création d'une Cour d'appel universelle investie de la juridiction obligatoire, en ajoutant que de telles possibilités sont peut-être trop radicales et nécessiteraient des changements extrêmes dans le présent état du Droit international, donc il suggère une structure plus raisonnable : La réforme pourrait inclure l'augmentation du rôle de la Cour internationale de justice en tant qu'organe de coordination et d'harmonie[22].

Vu les positions jurisprudentielles et doctrinales, nous constatons que :

-Si les articles 281 et 282 de la Convention des Nations Unies sur le Droit de la mer, font face aux problèmes de conflit de compétence et risque de jugements contradictoires, leurs applications sont limitées au système de la Convention elle- même (relation entre CNUDM et les accords relatifs à son application ou à son interprétation), leurs applications exigent aussi une unanimité sur leurs interprétation, chose pas toujours garantie. De ce fait, ces deux articles ne peuvent résoudre tous les risques de conflit de compétence et les risques de jugements contradictoires.

-Si le (*Lis pendens)* est une solution adéquate pour la résolution du risque de conflit de compétence, cette solution est conditionnée à un non abus de la délimitation de la compétence par la juridiction bénéficiaire du renvoi, condition difficile à assumer.

De ce fait, et vu que le risque de conflit de compétence et de jugements contradictoires est toujours aussi persistant, et que les solutions apportées par la jurisprudence et la doctrine restent insuffisantes, vu l'état actuel du Droit international qui a tendance de plus en plus à se fragmenter et pourquoi pas voir la création de nouvelles juridictions spécialisées (ex :l'appel a une Cour internationale de l'environnement), nous optons pour la proposition du professeur (Yuval Shany) concernant la création d'une Cour internationale Universelle, mais pas comme Cour d'appel, car cela touchera la crédibilité des juridictions internationales existantes, la Cour sera une cour internationale des Conflits, composée de cinq juges, juges compétents en Droit international, ces juges seront désignés par les parties au différend -à l'occasion de chaque différend incluant un risque de conflit de compétence ou de jugements contradictoires- parmi une liste de juges détenue par le secrétaire général des Nations Unies, et dont chaque Etat membre de l'ONU désignera deux juges.

La compétence personnelle de cette Cour suggérée sera étendue aux Etats, organisations internationales, individus et sociétés internationales. Quant aux procédures, nous suggérons que le droit de soulever le risque de conflit de compétence et de jugements contradictoires soit donné aux parties litigieuses (exceptions préliminaires) et aux tribunaux en conflit.

Les arrêts de la Cour doivent être rendus dans un délai de trois mois, ils seront obligatoires et définitifs.

La suggestion de cette nouvelle Cour ne permettra pas seulement de faire face au problème de concurrence de juridictions internationales en Droit de la mer, elle aura compétence pour régler tous les aspects de la concurrence entre organes juridictionnelles, quasi juridictionnelles en Droit international et pourquoi pas même comme solution envisageable pour le conflit de compétence entre le Conseil de Sécurité des Nations Unies et la Cour internationale de justice.

Conclusion

La multiplication des juridictions internationales en Droit de la mer est une réalité imposée, due à la volonté des Etats et à la nature des différends liés au Droit de la mer, cette multiplication a été la cause de l'apparition d'une concurrence entre juridictions internationales menant à un conflit de compétence ou à un risque de jugements contradictoires. Quatre affaires illustrent ces deux phénomènes ; Les deux premières reflètent le conflit de compétence, soit entre juridictions appartenant au même système (affaire du thon à nageoire bleue) ou juridictions appartenant à des systèmes différents (affaire de l'Usine Mox), les deux dernières représentent le risque de jugements contradictoires (affaire de la conservation et l'exploitation durable des stocks d'Espadon dans l'océan Pacifique Sud-Est, affaire Atlanto-Scandian Herring).

Les positions des juridictions en questions étaient controversées, les solutions émises par la doctrine n'ont n'étaient pas moins, elles peuvent être résumées ainsi :

-Application des articles 281 et 282 de la convention des Nations Unies sur le Droit de la mer, quand le conflit de compétence ou le risque de jugements contradictoires est née suite à une concurrence des systèmes de règlements des différends de la Convention et ses accords interprétatifs ou d'application.

-Application de la (*Lis pendens)*, quand le conflit de compétence est issu de la concurrence entre deux systèmes différents.

-Faire de la Cour internationale de justice une Cour suprême.

-Créer une Cour d'appel Universelle.

Vu que l'application des articles 281 et 282 exige une interprétation unanime de ces articles, que la (*Lis pendens)* ne résout pas tous les aspects de la concurrence entre juridictions internationales, tel que le risque de jugements contradictoires, elle est aussi conditionnée au respect strict du champ de compétence par la juridiction bénéficiaire du renvoi, une condition pas totalement garantie en Droit international, vu que la création d'une Cour d'appel Universelle ou de faire de la Cour internationale de justice une Cour suprême toucherait à la crédibilité des juridictions existantes, et nécessiterait la réforme du Statut de la Cour internationale de justice, vu l'état actuel du Droit international en fragmentation, et l'appel à de nouvelles juridictions internationales spécialisées tel que la Cour internationale pour l'environnement dont la mer est l'un de ses sujets, le risque de conflit de compétence et de jugements contradictoires s'accroit, d'où la nécessité d'une Cour des conflits s'avère primordiale.

Au sujet de cette nouvelle Cour, nous suggérons qu'elle soit appelée (Cour internationale des Conflits), composée de 05 juges compétents en Droit international, désignés à l'occasion de chaque différend incluant un risque de conflit de compétence ou de jugements contradictoires, par les parties au différend. Ces juges seront désignés à partir d'une liste détenue par le secrétaire général des Nations Unies, dont chaque Etat membre de l'ONU a fait le choix de deux juges.

La compétence personnelle de cette Cour suggérée sera étendue aux Etats, organisations internationales, individus et sociétés internationales.

Quant aux procédures, nous suggérons que le droit de soulever le risque de conflit de compétence et de jugements contradictoires soit donné aux parties litigieuses (exceptions préliminaires) et aux tribunaux en conflit.

La Cour des Conflits se prononcera dans un délai de trois mois à partir de la date de l'introduction de la requête, sa décision est définitive et obligatoire.

La suggestion de cette nouvelle Cour ne permettra pas seulement de faire face au problème de concurrence de juridictions internationales, mais elle pourra être aussi une solution envisageable pour le conflit de compétence entre le Conseil de Sécurité des Nations Unies et la Cour internationale de justice.

Références

1. -A.O.Adede, " **The basic structure of the disputes settlement part of the Law of the Sea Convention**", in: Donald R.Rothwell, **Law of the Sea**, Edward Elgar Publishing Limited, United Kingdom, 2013, pp.737-760 at pp.739-744.

2. Salah eddinne Ammer, **Droit international de la mer (étude des principales dispositions de la Convention des Nations Unies sur le Droit de la mer de 1982)**, 2ème éditions, Dar Ennahda El Arabia, Egypte,2000, pp.586,587. (Version arabe).

3. -R.R.Mada, **"Settlement of Disputes"**, 2 H.B.N.I.L.S., 1991, p.1367.

4. Ibrahim Mohamed Edoghma, **Le nouveau Droit international de la mer**, Dar Ennahda El Arabia, Egypte, 1998, pp.475-481. (Version arabe).

5. - http://fr.jurispedia.org/index.php/Conflit_de_competence_(fr);

6. http://fr.jurispedia.org/index.php/Conflit_de_juridiction_(fr)

7. -Igor V.Karaman, **dispute resolution in the Law of the sea**, Martinus Nijhoff publishers, Leiden, 2012, p.249-252.

8. -Mariko Kawano, « **L'affaire du thon à nageoire bleue et les chevauchements de juridictions internationales** », Annuaire Français de Droit international, vol.49, éditions CNRS, Paris, 2003, pp.516-541 at pp.517-520.

9. Southern Bluefin Tuna Case - Australia and New Zealand v. Japan (https://icsid.worldbank.org/ en/ Pages/ about / Southern-Bluefin-Tuna-Case---Australia-and-New-Zealand-v.-Japan. Aspx, site consulté le 05/01/2018 à 20 :38.)

10. - Christophe Nouzha, « **L'affaire de l'usine Mox (Irlande-Royaume-Uni) devant le tribunal international du droit de la mer : Quelles mesures conservatoires pour la protection de l'environnement ?** », actualité et Droit international, Mars 2002 (http//www.ridi.org.adi).

11. -Voir le contre- mémoire du Royaume-Uni, pp.97-107, sur le site : https://pcacases.com/web/sendAttach/854, consulté le 09/12/2017 à 11 :00.

12. -https://www.wto.org/french/tratop_f/dispu_f/cases_f/ds193_f.htm,site consulté le 12/12/2017 à 22 :25.

13. -ITLOS/ Press 43, daté du 21 décembre 2000, sur le site : https://www.itlos.org/fileadmin/itlos/documents/press_releases_french/press_release_43_fr.pdf, consulté le 13/12/2017 à 15 :30.

14. - http://www.pcacases.com/web/sendAttach/304.

15. https://docs.wto.org/dol2fe/Pages/FE_Search/DDFDocuments/120697/r/WT/DS/469-1.pdf

16. 11. -https://www.wto.org/french/tratop_f/dispu_f/cases_f/ds469_f.htm.

17. 12. - Affaire du thon à nageoire bleue entre l'Australie et le Japon et entre la Nouvelle-Zélande et le Japon, sentence sur la compétence et la recevabilité, Décision du 4 août 2000, Recueil des Sentences Arbitrales, Vol. XXIII, Nations Unies, 2006, pp. 1-57 (spécifiquement pp.40-46).

18. 13. -Opinion individuelle du juge KENNETH KEITH, ibid, pp.49-57.

19. Igor V.Karaman, Op.Cit., pp.259-260.

20. 14. -Quentin Liénard, « **La concurrence des procédures de règlement des différends internationaux environnementaux** », in : Yann Kerbrat, **Forum shopping et concurrence des procédures contentieuses internationales,** Bruylant, Bruxelles, 2011, pp.211-250 at p.242,243.

21. 15. - The MOX Plant Case IRELAND V. UNITED KINGDOM, order on 24 June 2003, sur le site: https://pcacases.com/web/sendAttach/867, consulté le 30/12/2017 à 00:04

22. 16. - Affaire C-459/03, Commission des Communautés européennes/Irlande, arrêt rendu le 30 Mai 2006, disponible sur le site de la Cour de justice de l'Union Européenne : http://curia.europa.eu/juris/showPdf.Consulté le 31/12/2017 à 07:45.

23. 17. - MOX Plant Case IRELAND V. UNITED KINGDOM, order on 06 June 2008, sur le site:

24. https://pcacases.com/web/sendAttach/870,consulté le 31/12/2017 à 08 :30.

25. 18. - Nico Schrijver, **"The Mox Plant Case-a litigation Saga without a pronouncement on the merits- "In**: Heather Clark and Lise Bosman(eds), **The Mox Plant Case (Ireland-United Kingdom): record of proceeding 2001-2008**, Permanent Court of arbitration Award Series, Vol.7, 2010, pp.1-18

26. N. Lavranos, **The Mox Plant and the Ijzeren Rijn Disputes: Which Court is the Supreme Arbiter?** 19 LJIL 2006, p.236.

27. 19. -Déclaration de M. Dolliver Nelson, président du Tribunal international du Droit de la mer à l'occasion de la célébration du vingtième anniversaire de l'ouverture à la signature de la Convention des Nations Unies sur le Droit de la mer de 1982, devant la cinquante-septième session de l'Assemblée Générale des Nations Unies, le 09 Décembre 2002.(https://www.itlos.org/fileadmin /itlos/ documents / statements_ of_president/nelson/ga_091202_fr.pdf, consulté le 31/012/2017 à14:00).

28. 20. - Robert Jennings, **International Law**, 6th edition, Cambridge University Press, United Kingdom, 2008, p.1117.

29. 21. -Igor.V.Karaman, Op.Cit., pp.260-283.

30. 22. - Candice Whyte, Yuval Shany, **The Competing Jurisdictions Of International Courts And Tribunals,**(Philllipe Sands et al. eds.2003) 348 pp., 12 U. Miami Int'l & Comp. L. Rev. 231 (2005) Available at: http://repository.law.miami.edu/umiclr/vol12/iss1/6(consulté le 31/12/2017 à 21 :45).

Liste des ouvrages

1-Livres

1. Adede.A.O, « The basic structure of the disputes settlement part of the Law of the Sea Convention", in: Rothwell Donald R., Law of the Sea, Edward Elgar Publishing Limited, United Kingdom, 2013.

2. Ammer Salah Eddinne, Droit international de la mer (étude des principales dispositions de la Convention des Nations Unies sur le Droit de la mer de 1982), 2ème éditions, Dar Ennahda El Arabia, Egypte, 2000. (Version arabe).

3. Edoghma Ibrahim Mohamed, Le nouveau Droit international de la mer, Dar Ennahda El Arabia, Egypte, 1998.

4. Jennings Robert, International Law, 6th edition, Cambridge University Press, United Kingdom, 2008.

5. Karaman Igor V., Dispute resolution in the Law of the sea, Martinus Nijhoff publishers, Leiden, 2012.

6. Liénard Quentin, « La concurrence des procédures de règlement des différends internationaux environnementaux », in : Yann Kerbrat, Forum shopping et concurrence des procédures contentieuses internationales, Bruylant, Bruxelles, 2011.

Articles

7. 1)- Kawano Mariko, « L'affaire du thon à nageoire bleue et les chevauchements de juridictions internationales », Annuaire Français de Droit international, vol.49, éditions CNRS, Paris, 2003.

8. 2)- Lavranos N., "The Mox Plant and the Ijzeren Rijn Disputes: Which Court is the Supreme Arbiter?", Leiden Journal of International Law, Vol.19, 2006.

9. 3)-Mada R.R., « Settlement of Disputes", 2 H.B.N.I.L.S., 1991.

10. 4)-Nouzha Christophe, « L'affaire de l'usine Mox (Irlande-Royaume-Uni) devant le tribunal international du droit de la mer : Quelles mesures conservatoires pour la protection de l'environnement ? », actualité et Droit international, Mars 2002 (http//www.ridi.org.adi).

11. 5)-Schrijver Nico, "The Mox Plant Case-a litigation Saga without a pronouncement on the merits-".In: Clark Heather and Bosman Lise (eds), The Mox Plant Case (Ireland-United Kingdom):record of proceeding 2001-2008,Permanent Court of arbitration Award Series, Vol.7, 2010.

12. 6)-Whyte Candice, Shany Yuval, "The Competing Jurisdictions Of International Courts And Tribunals (Philllipe Sands et al. eds.2003) 348 pp., 12 U. Miami Int'l & Comp. L. Rev. 231 (2005) Available at: http://repository.law.miami.edu/umiclr/vol12/iss1/6(consulté le 31/12/2017 à 21 :45).

Recueil

1. Affaire du thon à nageoire bleue entre l'Australie et le Japon et entre la Nouvelle-Zélande et le Japon, sentence sur la compétence et la recevabilité, Décision du 4 août 2000, Recueil des Sentences Arbitrales, Vol. XXIII, Nations Unies, 2006.

Sites Internet

1. http://fr.jurispedia.org.

2. Southern Bluefin Tuna Case - Australia and New Zealand v. Japan (https://icsid.worldbank.org/ en/ Pages/ about / Southern-Bluefin-Tuna-Case---Australia-and-New-Zealand-v.-Japan. Aspx, site consulté le 05/01/2018 à 20 :38.).

3. www.ridi.org.adi.

4. https://pcacases.com/web/sendAttach/854

5. https://www.wto.org/

6. The MOX Plant Case IRELAND V. UNITED KINGDOM, order on 24 June 2003, sur le site: https://pcacases.com/web/sendAttach/867

7. Affaire C-459/03, Commission des Communautés européennes/Irlande, arrêt rendu le 30 Mai 2006, disponible sur le site de la Cour de justice de l'Union Européenne (http://curia.europa.eu /juris/ showPdf).

8. Déclaration de M. Dolliver Nelson, président du Tribunal international du Droit de la mer à l'occasion de la célébration du vingtième anniversaire de l'ouverture à la signature de la Convention des Nations Unies sur le Droit de la mer de 1982, devant la cinquante-septième session de l'Assemblée Générale des Nations Unies, le 09 Décembre 2002.(https://www.itlos.org/fileadmin /itlos/ documents / statements_ of président/Nelson/ga_091202_fr.pdf).

9. http://repository.law.miami.edu/umiclr/vol12/iss1/6